جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الأجزاء

٢٥-٢٦-٢٧

دار الفكر

جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء الخامس والعشرون

دار الفكر

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م



بيروت
لبنان

المكاتب : البناية المركزية - هاتف : ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب : ١١/٧٠٦١
المطابع والمعمل : حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف : ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧
برقياً : فكسي - تلكس ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

فهارس الجزء الخامس والعشرون
من
جامع البيان عن تأويل آي القرآن
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الفهرس الأول : للآيات المفسرة
الفهرس الثاني : مواضيع الآيات المفسرة
الفهرس الثالث : للقوافي
الفهرس الرابع : للأحاديث النبوية.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

١ – فهرس الآيات

سورة الدخان

٢ – فهرس الموضوعات

الصفحة

الصفحة

٣ – فهرس القوافى

٤ ــ فهرس الأحاديث

١٣	انفش
١٣٨	في نيق
١٠	[illegible]
١٢	تمتش
١٣	للدخل

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾

يقول تعالى ذكره: إلى الله يردّ العالمون به علم الساعة، فإنه لايعلم ماقيامها غيره (وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا) يقول: وما تظهر من ثمرة شجرة من أكمامها التى هى متغيبة فيها، فتخرج منها بارزة (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى) يقول: وما تحمل من أنثى من حمل حين تحمله، ولاتضع ولدها إلا بعلم من الله، لايخفى عليه شىء من ذلك.

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا) قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبوعاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، فى قوله (مِنْ أَكْمَامِهَا) قال: حين تطلعُ.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدىّ (وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا) قال: من طلعها، والأكمام جمع كمّة (١)، وهو كل ظرف لماء أوغيره، والعرب تدعو قشر الكفرّاة كُمًّا.

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (مِنْ ثَمَرَاتٍ) فقرأت ذلك قرّاء المدينة (مِنْ ثَمَرَاتٍ) على الجماع، وقرأته قرّاء الكوفة (مِنْ ثَمَرَاتٍ) على لفظ الواحدة، وبأىّ القراءتين قرئ ذلك فهو عندنا صواب لتقارب معنييهما مع شهرتهما فى القراءة.

وقوله (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي) يقول تعالى ذكره: ويوم ينادى الله هؤلاء المشركين به فى الدنيا الأوثان والأصنام: أين شركائى الذين كنتم تشركونهم فى عبادتكم إياى (قَالُوا آذَنَّاكَ) يقول: أعلمناك (مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ) يقول: قال هؤلاء المشركون لربهم يومئذ: ما منا من شهيد يشهد أن لك شريكا.

---

(١) لعل الأصل: جمع كم، بلا تاء، لأن الأكمام جمع «كم» لا جمع كة. وانظر (اللسان كم).

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (آذَنَّاكَ) يقول ، أعلمناك .

حدثنى محمد ، قال : ثنا أبو صالح قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ) قالوا : أطعناك [1] ما منا من شهيد على أن لك شريكا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : وضلّ عن هؤلاء المشركين يوم القيامة آلهتهم التى كانوا يعبدونها فى الدنيا ، فأخذ بها طريق غير طريقهم ، فلم تنفعهم ، ولم تدفع عنهم شيئا من عذاب الله الذى حلّ بهم .

وقوله (وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ) يقول : وأيقنوا حينئذ مالهم من ملجأ : أى ليس لهم ملجأ يلجئون إليه من عذاب الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ) : استيقنوا أنه ليس لهم ملجأ .

واختلف أهل العربية فى المعنى الذى من أجله أبطل عمل الظنّ فى هذا الموضع ، فقال بعض أهل البصرة : فعل ذلك ، لأن معنى قوله (وَظَنُّوا) : استيقنوا . قال : وما ههنا حرف وليس باسم ، والفعل لا يعمل فى مثل هذا ، فلذلك جعل الفعل ملغى . وقال بعضهم : ليس يلغى الفعل وهو عامل فى المعنى إلا لعلة . قال : والعلة أنه حكاية ، فإذا وقع على مالم يعمل فيه كان حكاية وتمنيا ، وإذا عمل فهو على أصله .

وقوله (لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ) يقول تعالى ذكره : لايملّ الكافر بالله من دعاء الخير ، يعنى من دعائه بالخير ، ومسألته إياه ربه ، والخير فى هذا الموضع : المال وصحة الجسم ، يقول : لايملّ من طلب ذلك (وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ) يقول : وإن ناله ضرّ فى نفسه من سقم أو جهد فى معيشته ، أو احتباس من رزقه (فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ) يقول : فإنه ذو يأس من روح الله وفرجه ، قنوط من رحمته ، ومن أن يكشف ذلك الشرّ النازل به عنه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

(١) كذا فى الأصل . ولعله « أطلعناك » ، ليكون فيه معنى العلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (لايَسْأَمُ الإنسانُ مِنْ دُعاءِ الخَيْرِ) يقول : الكافر (وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ) قانط من الخير .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لايَسْأَمُ الإنسانُ) قال : لايمل . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (لايَسْأَمُ الإنسانُ مِنْ دُعاءٍ بالخَيْرِ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾

⁂ يقول تعالى ذكره : ولئن نحن كشفنا عن هذا الكافر ما أصابه من سقم فى نفسه وضرّ ، وشدّة فى معيشته وجهد ، رحمة منا ، فوهبنا له العافية فى نفسه بعد السقم ، ورزقناه مالا ، فوسّعنا عليه فى معيشته من بعد الجهد والضرّ (لَيَقُولَنَّ هَذَا لى) عند الله ، لأن الله راض عنى برضاه عملى ، وما أنا عليه مقيم .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لَيَقُولَنَّ هَذَا لى) : أى بعملى ، وأنا محقوق بهذا (وَما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً) يقول : وما أحسب القيامة قائمة يوم تقوم (وَلَئِنْ رُجِعْتُ إلى رَبّى) يقول : وإن قامت أيضا القيامة ، ورددت إلى الله حيا بعد مماتى (إنَّ لى عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى) يقول : إن لى عنده غنى ومالا .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (إنَّ لى عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى) يقول : غنى (فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِما عَمِلُوا) يقول تعالى ذكره : فلنخبرنّ هؤلاء الكفار بالله ، المتمنين عليه الأباطيل يوم يرجعون إليه بما عملوا فى الدنيا من المعاصى ، واجترحوا من السيئات ، ثم لنجازينّ جميعهم على ذلك جزاءهم (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِيظٍ) وذلك العذاب الغليظ تخليدهم فى نار جهنم ، لايموتون فيها ولا يحيون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾

⁂ يقول تعالى ذكره : وإذا نحن أنعمنا على الكافر ، فكشفنا ما به من ضرّ ، ورزقناه غنى وسعة ،

ووهبنا له صحة جسم وعافية ، أعرض عما دعوناه إليه من طاعته ، وصدّ عنه (وَنَأَى بِجَانِبِهِ) يقول : وبعد من إجابتنا إلى مادعوناه إليه ، ويعنى بجانبه بناحيته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ) يقول : أعرض : صدّ بوجهه ، ونأى بجانبه : يقول : تباعد .

وقوله (وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ) يعنى بالعريض : الكثير .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ) يقول : كثير ، وذلك قول الناس : أطال فلان الدعاء : إذا أكثر ، وكذلك أعرض دعاءه .

القول في تأويل قوله تعالى:

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يامحمد للمكذّبين بما جئتهم به من عند ربك من هذا القرآن (أَرَأَيْتُمْ) أيها القوم (إِنْ كَانَ) هذا الذى تكذّبون به (مِنْ عِنْدِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ) ألستم فى فراق للحقّ وبعد من الصواب ، فجعل مكان التفريق الخبر ، فقال : (مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فى شِقَاقٍ بَعِيدٍ) إذ كان مفهوما معناه .

وقوله (مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فى شِقَاقٍ بَعِيدٍ) يقول : قل لهم من أشدّ ذهابا عن قصد السبيل ، وأسلك لغير طريق الصواب ، ممن هو فى فراق لأمر الله وخوف له ، بعيد من الرشاد .

القول في تأويل قوله تعالى:

سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾

❊ يقول تعالى ذكره : سنرى هؤلاء المكذّبين ما أنزلنا على محمد عبدنا من الذكر آياتنا فى الآفاق .

واختلف أهل التأويل فى معنى الآيات التى وعد الله هؤلاء القوم أن يريهم ، فقال بعضهم : عنى بالآيات فى الآفاق وقائع النبىّ صلى الله عليه وسلم بنواحى بلد المشركين من أهل مكة وأطرافها ، وبقوله (وَفِى أَنْفُسِهِمْ) فتح مكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن عمرو بن أبى قيس ، عن المنهال ، فى قوله (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ) قال : ظهور محمد صلى الله عليه وسلم على الناس .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ) يقول : ما نفتح لك يا محمد من الآفاق (وَفِى أَنْفُسِهِمْ) فى أهل مكة ، يقول : نفتح لك مكة .

وقال آخرون : عنى بذلك أنه يريهم نجوم الليل وقمره ، و شمس النهار ، وذلك ما وعدهم أنه يريهم فى الآفاق . وقالوا : عنى بالآفاق : آفاق السماء ، وبقوله (وَفِى أَنْفُسِهِمْ) سبيل الغائط والبول .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنْفُسِهِمْ) قال : آفاق السموات : نجومها وشمسها وقمرها اللاتى يجرين ، وآيات فى أنفسهم أيضا .

وأولى القولين فى ذلك بالصواب القول الأوّل ، وهو ما قاله السدىّ ، وذلك أن الله عزّ وجلّ وعد نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرى هؤلاء المشركين الذين كانوا به مكذّبين آيات فى الآفاق ، وغير معقول أن يكون تهدّدهم بأن يريهم ما هم راءوه ، بل الواجب أن يكون ذلك وعدا منه لهم أن يريهم ما لم يكونوا رأوه قبل من ظهور نبىّ الله صلى الله عليه وسلم على أطراف بلدهم وعلى بلدهم ، فأما النجوم والشمس والقمر ، فقد كانوا يرونها كثيرا قبل وبعد ولا وجه لتهدّدهم بأنه يريهم ذلك .

وقوله (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) يقول جلّ ثناؤه : أرى هؤلاء المشركين وقائعنا بأطرافهم وبهم حتى يعلموا حقيقة ما أنزلنا إلى محمد ، وأوحينا إليه من الوعد له بأنا مظهرو ما بعثناه به من الدين على الأديان كلها ، ولو كره المشركون .

وقوله (أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) يقول تعالى ذكره : أو لم يكف بربك يا محمد أنه شاهد على كل شىء مما يفعله خلقه ، لا يعزب عنه علم شىء منه ، وهو مجازيهم على أعمالهم ، المحسن بالإحسان ، والمسىء جزاءه .

وفى قوله (أَنَّهُ) وجهان : أحدهما : أن يكون فى موضع خفض على وجه تكرير الباء ، فيكون معنى الكلام حينئذ : أو لم يكف بربك بأنه على كلّ شىء شهيد ؟ والآخر : أن يكون فى موضع رفع رفعا ، بقوله : يكف ، فيكون معنى الكلام : أو لم يكف بربك شهادته على كل شىء .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾

يقول تعالى ذكره : ألا إن هؤلاء المكذّبين بآيات الله فى شكّ من لقاء ربهم ، يعنى أنهم فى شكّ من البعث بعد الممات ، ومعادهم إلى ربهم .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أَلَا إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ) يقول : فى شكّ .

وقوله (ألا إنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ) يقول تعالى ذكره : ألا إن الله بكل شيء مما خلق محيط علما بجميعه ، وقُدرةً عليه ، لايعزب عنه علم شيء منه أراده فيفوته ، ولكن المقتدر عليه العالم بمكانه .

آخر تفسير سورة حم السجدة ، والحمد لله وحده

(٤٢) سُورَةُ الشُّورَىٰ مَكِّيَّة
وآياتها ثلاث وخمسون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

حمٓ ۝ عٓسٓقٓ ۝ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝

قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فيمعانى حروف الهجاء التى افتتحت بها أوائل ما افتتح بها من سور القرآن ، وبيَّنا الصواب من قولهم فيذلك عندنا بشواهده المغنية عن إعادتها فيهذا الموضع ، إذكانت هذه الحروف نظيرة الماضية منها .

وقد ذكرنا عن حُذيفة فى معنى هذه خاصة قولا ، وهوماحدثنا به أحمد بن زهير ، قال : ثنا عبدالوهاب ابن نجدة الحوطى ، قال : ثنا أبوالمُغيرة عبد القدوس بن الحجاج الحمصى ، عن أرطاة بن المنذر قال : جاء رجل إلى ابن عباس ، فقال له وعنده حُذيفة بن اليمان ، أخبرنىعن تفسير قول الله (حمٓ . عسقٓ) ، قال : فأطرق ثم أعرض عنه ، ثم كرّر مقالته فأعرض فلم يجبه بشيء وكره مقالته ، ثم كرّرها الثالثة فلم يجبه شيئا ، فقال له حُذيفة : أنا أنبئك بها قد عرفت بم كرهها ، نزلت فىرجل من أهل بيته يقال له عبدالإله أو عبد الله ينزل على نهر من أنهار المشرق ، تبنى عليه مدينتان يشقّ النهر بينهما شقا ، فإذا أذن الله فى زوال مُلكهم ، وانقطاع دولتهم ومدتهم ، بعث الله على إحداهما نارا ليلا ، فتصبح سوداء مظلمة قد احترقت ، كأنها لم تكن مكانها ، وتصبح صاحبتها متعجبة ، كيف أفلتت ، فما هو إلا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كلّ جبارعنيد منهم ، ثم يخسف الله بها وبهم جميعا ، فذلك قوله (حمٓ . عسقٓ) يعنى : عزيمة من الله وفتنة وقضاء حم عين ، يعنى عدلا منه ، سين يعنى سيكون ، وقاف يعنى واقع بهاتين المدينتين .

وذُكر عن ابن عباس أنه كان يقرؤه (حم . سق) بغيرعين ، ويقول : إن السين : عمر كل فرقة كائنة وإن القاف : كل جماعة كائنة ، ويقول : إن عليا إنما كان يعلم العين بها . وذُكر أن ذلك فىمصحف عبدالله [1] على مثل الذى ذكر عن ابن عباس من قراءته من غير عين .

وقوله (كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) يقول تعالى ذكره : هكذا يوحى إليك يامحمد وإلى الذين من قبلك من أنبيائه . وقيل : إن حم عين سين ق أوحيت إلى كلّ نبىّ بُعث ، كما أُوحيت إلى نبينا صلى الله عليه وسلم ، ولذلك قيل (كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ) فىانتقامه من أعدائه (الْحَكِيمُ) فى تدبيره خلقه .

(١) عبد الله : هو ابن مسعود رضى الله عنه ، معلم أهل الكوفة القرآن .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۞ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۞﴾

❁ يقول تعالى ذكره (لِلهِ) مُلك (مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ) من الأشياء كلها (وَهُوَ العَلِىُّ) يقول : وهو ذو علوّ وارتفاع على كلّ شىء ، والأشياء كلها دونه ، لأنهم فى سلطانه ، جارية عليهم قُدرته ، ماضية فيهم مشيئته (العَظِيم) الذى له العظمة والكبرياء والجبرية .

وقوله (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ) يقول تعالى ذكره : تكاد السموات يتشققن من فوق الأرضين ، من عظمة الرحمن وجلاله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ) قال : يعنى من ثقل الرحمن وعظمته تبارك وتعالى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ) : أى من عظمة الله وجلاله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ) قال : يتشقّقن فى قوله (مُنْفَطِرٌ بِهِ) قال : منشقّ به .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ) يقول : يتصدّعن من عظمة الله .

حدثنا محمد بن منصور الطوسى ، قال : ثنا حسين بن محمد ، عن أبى معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : جاء رجل إلى كعب فقال : يا كعب أين ربنا ؟ فقال له الناس : دقّ الله تعالى ، أفتسأل عن هذا ؟ فقال كعب : دعوه ، فإن يك عالما ازداد ، وإن يك جاهلا تعلم ، سألت أين ربنا ، وهو على العرش العظيم متكئٌ ، واضع إحدى رجليه على الأخرى ومسافة هذه الأرض التى أنت عليها خمسمائة سنة ومن الأرض إلى الأرض مسيرة خمس مئة سنة ، وكثافتها خمس مئة سنة ، حتى تمّ سبع أرضين ، ثم من الأرض إلى السماء مسيرة خمس مئة سنة ، وكثافتها خمس مئة سنة ، والله على العرش متكئٌ ، ثم تفطر السموات ثم قال كعب : اقرءوا إن شئتم (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ) . . . الآية .

وقوله (وَالمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) يقول تعالى ذكره : والملائكة يصلون بطاعة ربهم وشكرهم له من هيبة جلاله وعظمته .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَالمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) قال : والملائكة يسبحون له من عظمته .

وقوله (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِى الأَرْضِ) يقول : ويسألون ربهم المغفرة لذنوب من فى الأرض من أهل الإيمان به .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِى الأَرْضِ) قال : للمؤمنين ، يقول الله عزّ وجلّ : ألا إن الله هو الغفور لذنوب مؤمنى عباده ، الرحيم بهم أن يعاقبهم بعد توبتهم منها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝

﴿ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا) يامحمد من مشركى قومك (مِنْ دُونِ اللهِ) آلهة يتولونها ويعبدونها (اللهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ) يُحْصِي عليهم أفعالهم ، ويحفظ أعمالهم ، ليجازيهم بها يوم القيامة جزاءهم (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) يقول : ولست أنت يامحمد بالوكيل عليهم بحفظ أعمالهم ، وإنما أنت منذر فبلغهم ما أرسلت به إليهم ، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ۝

﴿ يقول تعالى ذكره : وهكذا (أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) يامحمد (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) بلسان العرب ، لأن الذين أرسلتك إليهم قوم عرب ، فأوحينا إليك هذا القرآن بألسنتهم ، ليفهموا ما فيه من حجج الله وذكره ، لأنا لانرسل رسولا إلا بلسان قومه ، ليبين لهم (لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى) وهى مكة (وَمَنْ حَوْلَهَا) يقول : ومن حول أمّ القرى من سائر الناس .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى) قال : مكة .

وقوله (وَتُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ) يقول عزّ وجلّ : وتنذر عقاب الله فى يوم الجمع عباده لموقف الحساب والعرض . وقيل : وتنذر يوم الجمع ، والمعنى : وتنذرهم يوم الجمع ، كما قيل : يخوّف أولياءه ، والمعنى : يخوّفكم أولياءه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَتُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ) قال : يوم القيامةِ .

وقوله (لارَيْبَ فِيهِ) يقول : لاشكّ فيه .

وقوله (فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) يقول : منهم فريق فى الجنة ، وهم الذين آمنوا بالله واتبعوا ما جاءهم به رسوله صلى الله عليه وسلم (وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) يقول : ومنهم فريق فى الموقدة من نار الله المسعورة على أهلها ، وهم الذين كفروا بالله ، وخالفوا ما جاءهم به رسوله .

وقد حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن أبى قبيل المعافرىّ عن شفىّ الأصبحىّ ، عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده كتابان ، فقال : هَلْ تَدْرُونَ ما هَذَا ؟ فقلنا : لا ، إلا أن تخبرنا يا رسول الله ، قال : هَذَا كِتابٌ مِنْ رَبِّ العالَمِينَ ، فِيهِ أسْماءُ أهْلِ الجَنَّةِ ، وأسماءُ آبائِهِمْ وَقَبائِلِهِمْ ، ثُمَّ أجْمَلَ[1] على آخِرِهِمْ ، فَلا يُزَادُ فِيهِمْ وَلايُنْقَصُ مِنْهُمْ أبَدًا ، وَهَذَا كِتابُ أهْلِ النَّارِ بأسْمائِهِمْ وأسْماءِ آبائِهِمْ ، ثُمَّ أجْمَلَ عَلى آخِرِهِمْ ، فَلا يُزادُ وَلايُنْقَصُ مِنْهُمْ أبَدًا ، قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ففيم إذن نعمل إن كان هذا أمر قد فُرغ منه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بَلْ سَدِّدُوا وَقارِبُوا ، فإنَّ صَاحِبَ الجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ الجَنَّةِ وَإنْ عَمِلَ أىَّ عَمَلٍ ، وَصاحِبُ النَّارِ يُخْتَمُ لَه بِعَمَلِ النَّارِ وَإنْ عَمِلَ أىَّ عَمَلٍ ، فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ العِبادِ ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه فنبذهما : فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ الخَلْقِ ، فَرِيقٌ فِى الجَنَّةِ ، وَفَرِيقٌ فِى السَّعِيرِ ، قالوا : سبحان الله ، فلم نعمل وننصب ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : العَمَلُ إلى خَوَاتِمِهِ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث وحيوة بن شريح ، عن يحيى بن أبى أسيد ، أن أبا فراس حدثه أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول : إن الله تعالى ذكره لما خلق آدم نفضه نفض المزود ، فأخرج منه كلّ ذرية ، فخرج أمثال النغف ، فقبضهم قبضتين ، ثم قال : شقى وسعيد ، ثم ألقاهما ، ثم قبضهما فقال (فَرِيقٌ فِى الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى السَّعِيرِ) » .

قال : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن أبى شُبُّويه ، حدثه عن ابن حجيرة أنه بلغه أن موسى قال : ياربّ خلقك الذين خلقتهم ، جعلت منهم فريقا فى الجنة ، وفريقا فى السعير ، لوما أدخلتهم كلهم الجنة قال : ياموسى ارفع زرعك ، فرفع ، قال : قد رفعت ، قال : ارفع فرفع ، فلم يترك شيئا ، قال : ياربّ قد رفعت ، قال : ارفع ، قال : قد رفعت إلا ما لاخير فيه ، قال : كذلك أدخل خلقى كلهم الجنة إلا ما لاخير فيه . وقيل (فَرِيقٌ فِى الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى السَّعِيرِ) فرفع ، وقد تقدّم الكلام قبل ذلك بقوله

(١) أجمل : أى ذكر جملة عددهم فى آخر الكتاب .

(لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) بالنصب ، لأنه أريد به الابتداء ، كما يقال : رأيت العسكر مقتول أو منهزم ، بمعنى : منهم مقتول ، ومنهم منهزم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾

يقول تعالى ذكره : ولو أراد الله أن يجمع خلقه على هدى ، ويجعلهم على ملة واحدة لفعل ، ولجعلهم أمة واحدة : يقول : أهل ملة واحدة ، وجماعة مجتمعة على دين واحد (وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ) يقول : لم يفعل ذلك فيجعلهم أمة واحدة ، ولكن يُدخل من يشاء من عباده فى رحمته ، يعنى أنه يُدخله فى رحمته بتوفيقه إياه للدخول فى دينه ، الذى ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم (وَالظَّالِمُونَ ما لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ) يقول : والكافرون بالله ما لهم من ولىّ يتولاهم يوم القيامة ، ولا نصير ينصرهم من عقاب الله حين يعاقبهم ، فينقذهم من عذابه ، ويقتص لهم ممن عاقبهم ، وإنما قيل هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له عما كان يناله من الهمّ بتولية قومه عنه ، وأمرا له بترك إدخال المكروه على نفسه من أجل إدبار من أدبر عنه منهم ، فلم يستجب لما دعاه إليه من الحقّ ، وإعلاما له أن أمور عباده بيده ، وأنه الهادى إلى الحقّ من شاء ، والمضلّ من أراد دونه ، ودون كلّ أحد سواه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۖ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله أولياء من دون الله يتولونهم (فَاللَّهُ هُوَ الوَلِيُّ) يقول : فالله هو ولىّ أوليائه ، وإياه فليتخذوا وليا لا الآلهة والأوثان ، ولا مالا يملك لهم ضرّا ولا نفعا ، (وَهُوَ يُحْيِي المَوْتَى) يقول : والله يحيى الموتى من بعد مماتهم ، فيحشرهم يوم القيامة (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول : والله القادر على إحياء خلقه من بعد مماتهم وعلى غير ذلك ، إنه ذو قدرة على كلّ شىء .

وقوله (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ) يقول تعالى ذكره : وما اختلفتم أيها الناس فيه من شىء فتنازعتم بينكم ، فحكمه إلى الله : يقول : فإن الله هو الذى يقضى بينكم ويفصل فيه الحكم .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا

الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ) قال ابن عمرو فى حديثه ، فهو يحكم فيه ، وقال الحارث : فالله يحكم فيه .

وقوله (ذَلِكُمُ اللهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المشركين بالله هذا الذى هذه الصفات صفاته ربى ، لا آلهتكم التى تدعون من دونه ، التى لاتقدر على شىء (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) فى أمورى ، وإليه فوّضت أسبابى ، وبه وثقت (وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) يقول : وإليه أرجع فى أمورى وأتوب من ذنوبى .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾

❊ يقول تعالى ذكره : (فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ، خالق السموات السبع والأرض .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (فاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) قال : خالق .

وقوله (جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) يقول تعالى ذكره : زوّجكم ربكم من أنفسكم أزواجا وإنما قال جلّ ثناؤه (مِنْ أَنْفُسِكُمْ) لأنه خلق حوّاء من ضلع آدم ، فهو من الرجال (وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا) يقول جلّ ثناؤه : وجعل لكم من الأنعام أزواجا من الضأن اثنين ، ومن المعز اثنين ، ومن الإبل اثنين ، ومن البقر اثنين ، ذكورا وإناثا ، ومن كل جنس من ذلك (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) : يقول : يخلقكم فيما جعل لكم من أزواجكم ، ويعيشكم فيما جعل لكم من الأنعام .

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : معنى ذلك : يخلقكم فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) قال : نسل بعد نسل من الناس والأنعام .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (يَذْرَؤُكُمْ) قال : يخلقكم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبدالرحمن ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن مجاهد ، فى قوله (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) قال : نسلا بعد نسل من الناس والأنعام .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، أنه قال فى هذه الآية (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) قال : يخلقكم .

وقال آخرون : بل معناه : يعيشكم فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ، وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) يقول : يجعل لكم فيه معيشة تعيشون بها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) قال : يعيشكم فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) قال : عيش من الله يعيشكم فيه . وهذان القولان وإن اختلفا فى اللفظ من قائليهما فقد يحتمل توجيههما إلى معنى واحد وهو أن يكون القائل فى معناه يعيشكم فيه ، أراد بقوله ذلك : يحييكم بعيشكم به كما يحيي من لم يخلق بتكوينه إياه ، ونفخه الروح فيه حتى يعيش حيا . وقد بينت معنى ذرء الله الخلق فيما مضى بشواهده المغنية عن إعادته .

وقوله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) فيه وجهان : أحدهما أن يكون معناه : ليس هو كشيء ، وأدخل المثل فى الكلام توكيدا للكلام إذا اختلف اللفظ به وبالكاف ، وهما بمعنى واحد ، كما قيل .

• ما إِنْ نَدِيتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ[١] •

فأدخل على « ما » وهى حرف جحد « إن » وهى أيضا حرف جحد ، لاختلاف اللفظ بهما ، وإن اتفق معناهما توكيدا للكلام ، وكما قال أوس بن حجر :

وَقَتْلَى كَمِثْلِ جُذُوعِ النَّخِيلْ تَغَشَّاهُمُ مُسْبِلٌ مُنْهَمِرْ[٢]

ومعنى ذلك : كجذوع النخيل ، وكما قال الآخر :

---

(١) هذا مصراع أول من بيت للنابغة الذبياني . وعجزه :

• إِذَنْ فَلاَ رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ يَدِي •

(انظر مختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي) ورواية الشطر الأول فيه • ما قلت من سيىء مما أتيت به • قال شارحه : يقول : إذا كنت قلت هذا الذى بلغك ، فشلت يدى حتى لا أطيق رفع السوط على خفته . وروى فى اللسان والتاج كرواية المؤلف ، قال الزبيدى : يقال : ما نديني من فلان شيء أكرهه ، أى ما بلني ولا أصابني . وما نديت له كفى بشر وما نديت بشيء . ومحل الشاهد فى البيت عند المؤلف قوله « ما إن » حيث أدخل حرف النفي « ما » على حرف النفي « إن » لاختلاف لفظهما ، توكيدا للكلام . وهو نظير إدخال كاف التشبيه ، على كلمة « مثل » التى تفيد التشبيه ، فى قوله تعالى « ليس كمثله شيء » ، لتوكيد الكلام ، لاختلاف اللفظين .

(٢) وهذا الشاهد من كلام أوس بن حجر التميمي ، وهو شاعر جاهلي مشهور ، شاهد كالشاهد السابق ، أدخل فيه أداة التشبيه « الكاف » على أختها فى المعنى « مثل » لاختلاف لفظهما ، توكيدا للكلام ، وهو نظير « ما » فى قوله تعالى : « ليس كمثله شيء » .

سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ إذَا أَبْصَرْتَ فَضْلَهُمُ ... ما إنْ كَمِثْلِهِمِ فى النّاسِ مِنْ أحَدِ[١]

والآخر : أن يكون معناه : ليس مثله شيء ، وتكون الكاف هى المدخلة فى الكلام ، كقول الراجز :

* وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤْثَفَيْنِ[٢] *

فأدخل على الكاف كافا توكيدا للتشبيه ، وكما قال الآخر :

تَنْفِى الغَيَادِيقُ عَلَى الطَّرِيقِ ... قَلَّصَ عَنْ كَبَيْضَةٍ فى نِيقِ[٣]

فأدخل الكاف مع « عن » ، وقد بيّنا هذا فى موضع غير هذا المكان بشرح هو أبلغ من هذا الشرح ، فلذلك تجوّزنا فى البيان عنه فى هذا الموضع .

وقوله (وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) يقول جلّ ثناؤه واصفا نفسه بما هو به ، وهو يعنى نفسه ، السميع لما تنطق به خلقه من قول ، البصير لأعمالهم ، لايخفى عليه من ذلك شيء ، ولا يعزب عنه علم شيء منه ، وهومحيط بجميعه ، محصٍ صغيره وكبيره (لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) من خير أو شرّ .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ١٢

يعنى تعالى ذكره بقوله : (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) : له مفاتيح خزائن السموات والأرض وبيده مغاليق الخير والشرّ ومفاتيحها ، فما يفتح من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) قال : مفاتيح بالفارسية .

---

(١) لم أقف على قائل هذا البيت . وقد استشهد به المؤلف على إدخال أداتى التشبيه (الكاف ، ومثل) معا على شيء واحد ، فهو فى معنى الشاهدين قبله .

(٢) هذا بيت من عدة أبيات من مشطور الرجز ، ينسبان إلى خطام المجاشعى ، ونسبهما الجوهرى فى الصحاح ، والصقلى فى شرحه لأبيات الإيضاح للفارسى ، إلى هميان بن قحافة . وبيت الشاهد آخرها بيتا . (انظر الأبيات فى هامش صفحة ٢٨٢ من الجزء الأول من سر صناعة الإعراب لابن جنى طبعة شركة مصطفى البابى الحلبى وأولاده) وفيه : الصاليات : الأثافى التى توضع عليها القدور وقد صليت النار حتى اسودت . ويؤثفين : يجعلن أثافى للقدر ، وهى جمع أثفية ، يقال أثفى القدر يثفيها : جعل لها أثافى . ومحل الشاهد قوله « ككما » فإن الكاف الأولى حرف ، والثانية اسم بمعنى مثل . والمعنى : لم يبق إلا حجارة منصوبة كمثل الأثافى . واستشهد به المؤلف على دخول الكاف على الكاف لتوكيد الكلام .

(٣) لم أقف على قائل البيت . ولم يتضح لى معناه تماما ، ولعل فيه تحريفا من الناسخ . وموضع الشاهد فيه واضح ، وهو دخول « عن » على الكاف فى قوله « كبيضة » فإما أن تكون الكاف زائدة ، أى عن بيضة ؛ وإما أن تكون الكاف اسما بمعنى مثل فى محل جر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) قال : مفاتيح السموات والأرض . وعن الحسن بمثل ذلك .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) قال : خزائن السموات والأرض .

وقوله (يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) يقول: يوسع رزقه وفضله على من يشاء من خلقه ، ويبسط له ، ويكثر ماله ويغنيه . ويقدر: يقول : ويقتر على من يشاء منهم فيضيقه ويفقره (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يقول: إن الله تبارك وتعالى بكل ما يفعل من توسيعه على من يوسع ، وتقتيره على من يقتر ، ومن الذى يصلحه البسط عليه فى الرزق ، ويفسده من خلقه ، والذى يُصلحه التقتير عليه ويفسده ، وغير ذلك من الأمور ، ذو علم لا يخفى عليه موضع البسط والتقتير وغيره ، من صلاح تدبير خلقه .

يقول تعالى ذكره : فإلى من له مقاليد السموات والأرض الذى صفته ما وصفت لكم فى هذه الآيات أيها الناس فارغبوا ، وإياه فاعبدوا مخلصين له الدين لا الأوثان والآلهة والأصنام، التى لا تملك لكم ضرًّا ولا نفعا .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ ١٣

يقول تعالى ذكره : (شَرَعَ لَكُمْ) ربكم أيها الناس (مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحا) أن يعمله (وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وشرع لكم من الدين الذى أوحينا إليك يا محمد ، فأمرناك به (وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ) يقول : شرع لكم من الدين ، أن أقيموا الدين ، فأن إذ كان ذلك معنى الكلام ، فى موضع نصب على الترجمة بها عن « ما » التى فى قوله (ما وَصَّى بِهِ نُوحا) . ويجوز أن تكون فى موضع خفض ردًّا على الهاء التى فى قوله (بِهِ) ، وتفسيرا عنها ، فيكون معنى الكلام حينئذ : شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه . وجائز أن تكون فى موضع رفع على الاستئناف ، فيكون معنى الكلام حينئذ : شرع لكم من الدين ما وصى به ، وهو أن أقيموا الدين . وإذ كان معنى الكلام ما وصفت ، فمعلوم أن الذى أوصى به جميع هؤلاء الأنبياء وصية واحدة ، وهى إقامة الدين الحق ، ولا تتفرّقوا فيه

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ما وَصَّى بِهِ نُوحا) قال : ما أوصاك به وأنبياءه ، كلهم دين واحد .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحا) قال : هو الدين كله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحا) بعث نوح حين بعث بالشريعة بتحليل الحلال ، وتحريم الحرام (وَما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحا) قال : الحلال والحرام .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحا) . . . إلى آخر الآية ، قال : حسبك ماقيل لك .

وعنى بقوله (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ) أن اعملوا به على ماشرع لكم وفرض ، كما قد بينا فيما مضى قبل فى قوله (أَقِيمُوا الصَّلاةَ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ) قال : اعملوا به .

وقوله (وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) يقول : ولا تختلفوا فى الدين الذى أمرتم بالقيام به ، كما اختلف الأحزاب من قبلكم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) تعلَّموا أن الفرقة هلكة ، وأن الجماعة ثقة .

وقوله (كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ماتَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كبر على المشركين بالله من قومك يامحمد ما تدعوهم إليه من إخلاص العبادة لله ، وإفراده بالألوهية والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) قال : أنكرها المشركون ، وكبر عليهم شهادة أن لا إله إلا الله ، فصادمها إبليس وجنوده ، فأبى الله تبارك وتعالى إلا أن يمضيها وينصرها ويفلجها ويظهرها على من ناوأها .

وقوله (اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ ويَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) يقول : الله يصطفى إليه من يشاء من خلقه ، ويختار لنفسه ، وولايته من أحبّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ ، ويَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) يقول : ويوفق للعمل بطاعته ، واتباع مابعث به نبيه عليه الصلاة والسلام من الحقّ من أقبل إلى طاعته ، وراجع التوبة من معاصيه .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (ويَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) : من يقبل إلى طاعة الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : وماتفرّق المشركون بالله فى أديانهم فصاروا أحزابا ، إلا من بعد ماجاءهم العلم ، بأن الذى أمرهم الله به ، وبعث به نوحا ، هو إقامة الدين الحقّ ، وأن لاتتفرّقوا فيه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَما تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ العِلْمُ) فقال : إياكم والفرقة فإنها هلكة (بَغْيًا بَيْنَهُمْ) يقول : بغيا من بعضكم على بعض وحسدا وعداوة على طلب الدنيا (وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى) يقول جلّ ثناؤه : ولولا قول سبق ياحمد من ربك لايعاجلهم بالعذاب ، ولكنه آخر ذلك إلى أجل مسمى ، وذلك الأجل المسمى فيما ذُكر : يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى) قال : يوم القيامة .

وقوله (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) يقول : لفرغ ربك من الحكم بين هؤلاء المختلفين فى الحقّ الذى بعث به نبيه نوحا من بعد علمهم به ، بإهلاكه أهل الباطل منهم ، وإظهاره أهل الحقّ عليهم .

وقوله (وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الكِتابَ مِنْ بَعْدِهِمْ) يقول : وإن الذين أتاهم الله من بعد هؤلاء

المختلفين فى الحق كتابة التوراة والإنجيل (لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ) يقول : لفى شك من الدين الذى وصّى الله به نوحا ، وأوحاه إليك يامحمد ، وأمركما بإقامته مريب .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ) قال : أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ) قال : اليهود والنصارى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ ١٥

❊ يقول تعالى ذكره : فإلى ذلك الدين الذى شرَع لكم ، ووصّى به نوحا ، وأوحاه إليك يامحمد ، فادع عباد الله ، واستقم على العمل به ، ولا تزِغ عنه ، واثبت عليه كما أمرك ربك بالاستقامة . وقيل : فلذلك فادع ، والمعنى : فإلى ذلك ، فوضعت اللام موضع إلى ، كما قيل : (بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا) . وقد بيّنّا ذلك فى غير موضع من كتابنا هذا .

وكان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك ، فى قوله (فَلِذَلِكَ فَادْعُ) إلى معنى هذا ، ويقول : معنى الكلام : فإلى هذا القرآن فادع واستقم ، والذى قال من هذا القول قريب المعنى مما قلناه ، غير أن الذى قلنا فى ذلك أولى بتأويل الكلام ، لأنه فى سياق خبر الله جلّ ثناؤه عما شرع لكم من الدين لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بإقامته ، ولم يأت من الكلام ما يدلّ على انصرافه عنه إلى غيره .

وقوله (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) يقول تعالى ذكره : ولا تتبع يامحمد أهواء الذى شكّوا فى الحقّ الذى شرعه الله لكم من الذين أورثوا الكتاب من بعد القرون الماضية قبلهم ، فتشك فيه ، كالذى شكوا فيه (وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ) يقول تعالى ذكره : وقل لهم يامحمد صدّقت بما أنزل الله من كتاب كائنا ماكان ذلك الكتاب ، توراة كان أو إنجيلا أو زبورا أو صحف إبراهيم ، لاأكذّب بشىء من ذلك تكذيبكم ببعضه معشر الأحزاب ، وتصديقكم ببعض .

وقوله (وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ، اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ) يقول تعالى ذكره : وقل لهم يامحمد : وأمرنى ربى أن أعدل بينكم معشر الأحزاب ، فأسير فيكم جميعا بالحقّ الذى أمرنى به وبعثنى بالدعاء إليه .

كالذى حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ) قال : أمر نبىّ الله صلى الله عليه وسلم أن يعدل ، فعدل حتّى مات صلوات الله وسلامه عليه ،

والعدل ميزان الله فى الأرض ، به يأخذ للمظلوم من الظالم ، وللضعيف من الشديد ، وبالعدل يصدّق الله الصادق ، ويكذّب الكاذب ، وبالعدل يردّ المعتدى ويوبخه .

ذُكر لنا أن نبيّ الله داود عليه السلام ، كان يقول : ثلاث من كنّ فيه أعجبنى جدا : القصد فى الفاقة والغنى ، والعدل فى الرضا والغضب ، والخشية فى السرّ والعلانية ؛ وثلاث من كنّ فيه أهلكه : شحّ مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه . وأربع من أعطيَهُنّ فقد أعطى خير الدنيا والآخرة : لسان ذاكر ، وقلب شاكر ، وبدن صابر ، وزوجة مؤمنة .

واختلف أهل العربية فى معنى اللام التى فى قوله (وأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ) فقال بعض نحويى البصرة : معناها : كى ، وأمرت كى أعدل ؛ وقال غيره : معنى الكلام : وأمرت بالعدل ، والأمر واقع على مابعده ، وليست اللام التى فى لأعدل بشرط ؛ قال : (وأُمِرْتُ) تقع على « أن » وعلى « كى » واللام أمرت أن أعبد ، وكى أعبد ، ولأعبد . قال : وكذلك كلّ ماطالب الاستقبال ، ففيه هذه الأوجه الثلاثة .

والصواب من القول فى ذلك عندى أن الأمر عامل فى معنى لأعدل ، لأن معناه : وأمرت بالعدل بينكم.

وقوله (اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ) يقول : الله مالكنا ومالككم معشر الأحزاب من أهل الكتابين التوراة والإنجيل (لَنَا أعمالُنا وَلَكُمْ أعمالُكُمْ) يقول : لنا ثواب ما اكتسبناه من الأعمال ، ولكم ثواب ما اكتسبتم منها .

وقوله (لاحُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) يقول : لاخصومة بيننا وبينكم .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ والحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (لاحُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) قال : لاخصومة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله عزّ وجلّ : (لاحُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) : لاخصومة بيننا وبينكم ، وقرأ (وَلا تُجادِلُوا أهْلَ الكِتابِ إلاَّ بالَّتى هِيَ أحْسَنُ) . . . إلى آخر الآية .

وقوله (اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا) يقول : الله يجمع بيننا يوم القيامة ، فيقضى بيننا بالحقّ فيما اختلفنا فيه (وإلَيْهِ المَصِيرُ) يقول : وإليه المعاد والمرجع بعد مماتنا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : والذين يخاصمون فى دين الله الذى ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من بعد ما استجاب له الناس ، فدخلوا فيه من الذين أورثوا الكتاب (حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ) يقول : خصومتهم

التى يخاصمون فيه باطلة ذاهبة عند ربهم (وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ) يقول : وعليهم من الله غضب ، ولهم فى الآخرة عذاب شديد ، وهو عذاب النار .

وذُكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من اليهود خاصموا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دينهم ، وطمعوا أن يصدّوهم عنه ، ويردّوهم عن الإسلام إلى الكفر .

ذكر الرواية عمن ذكر ذلك عنه

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِى اللهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) قال : هم أهل الكتاب كانوا يجادلون المسلمين ، ويصدّونهم عن الهدى من بعد ما استجابوا لله . وقال : هم أهل الضلالة كان استجيب لهم على ضلالتهم ، وهم يتربصون بأن تأتيهم الجاهلية .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فى اللهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ) قال : طمع رجال بأن تعود الجاهلية .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، أنه قال فى هذه الآية (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِى اللهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ) قال : بعد ما دخل الناس فى الإسلام .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فى اللهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : هم اليهود والنصارى ، قالوا : كتابنا قبل كتابكم ، ونبينا قبل نبيكم ، ونحن خير منكم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِى اللهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ) . . . الآية ، قال : هم اليهود والنصارى حاجوا أصحاب نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : كتابنا قبل كتابكم ، ونبينا قبل نبيكم ، ونحن أولى بالله منكم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِى اللهِ) . . . إلى آخر الآية ، قال : نهاه عن الخصومة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ۗ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : (اللهُ الَّذِي أَنْزَلَ) هذا (الكِتابَ) يعني القرآن (بالحَقِّ والمِيزَانِ) يقول : وأنزل الميزان وهو العدل ، ليقضي بين الناس بالإنصاف ، ويحكم فيهم بحكم الله الذي أمر به في كتابه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَنْزَلَ الكِتابَ بالحَقِّ والمِيزَانَ) قال : العدل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (الَّذِي أَنْزَلَ الكِتابَ بالحَقِّ والمِيزَانَ) قال : الميزان : العدل .

وقوله (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ) يقول تعالى ذكره : وأيّ شيء يدريك ويعلمك ، لعل الساعة التي تقوم فيها القيامة قريب ، (يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا) : يقول : يستعجلك يا محمد بمجيئها الذين لا يوقنون بمجيئها ، ظنا منهم أنها غير جائية (وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا) يقول : والذين صدّقوا بمجيئها ، ووعد الله إياهم الحشر فيها ، (مشفقون منها) : يقول : وَجِلون من مجيئها ، خائفون من قيامها ، لأنهم لا يدرون ما الله فاعل بهم فيها (وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الحَقُّ) يقول : ويوقنون أن مجيئها الحقّ اليقين ، لا يمترون في مجيئها (أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ) يقول تعالى ذكره : ألا إن الذين يخاصمون في قيام الساعة ويجادلون فيه (لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ) يقول : لفي جَور عن طريق الهدى ، وزيغ عن سبيل الحقّ والرشاد ، بعيد من الصواب .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : الله ذو لطف بعباده ، يرزق من يشاء فيوسع عليه ويقتّر على من يشاء منهم (وَهُوَ القَوِيُّ) الذي لا يغلبه ذو أيد لشدّته ، ولا يمتنع عليه إذا أراد عقابه بقدرته (العَزِيزُ) في انتقامه إذا انتقم من أهل معاصيه (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ) يقول تعالى ذكره : من كان يريد بعمله الآخرة نزد له في حرثه : يقول : نزد له في عمله الحسن ، فنجعل له بالواحدة عشرا ، إلى ما شاء ربنا من الزيادة (وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا) يقول : ومن كان يريد بعمله الدنيا ولها يسعى لا للآخرة ، نؤته منها ما قسمنا له منها (وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ) يقول : وليس لمن طلب بعمله الدنيا ، ولم يرد الله به في ثواب الله لأهل الأعمال التي أرادوه بأعمالهم في الدنيا حظّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخرةِ نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ) . . . إلى (وَما لَهُ فِى الآخرةِ مِنْ نَصِيبٍ) قال : يقول : من كان إنما يعمل للدنيا نؤته منها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ ، وَمَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا) . . . الآية ، يقول : من آثر دنياه على آخرته لم نجعل له نصيبا فى الآخرة إلا النار ، ولم نزده بذلك من الدنيا شيئا إلا رزقا قد فرغ منه وقسم له .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ) قال : من كان يريد الآخرة وعملها نزد له فى عمله (وَمَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها) . . . إلى آخر الآية ، قال : من أراد الدنيا وعملها آتيناه منها ، ولم نجعل له فى الآخرة من نصيب الحرث العمل ، من عمل للآخرة أعطاه الله ، ومن عمل للدنيا أعطاه الله .

حدثنى محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ) قال : من كان يريد عمل الآخرة نزد له فى عمله .

وقوله (وَما لَهُ فِى الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ) قال : للكافر عذاب أليم .

القول في تأويل قوله تعالى:

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره : أم لهؤلاء المشركين بالله شركاء فى شركهم وضلالتهم (شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ ما لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ) يقول : ابتدعوا لهم من الدين ما لم يبح الله لهم ابتداعه (وَلَوْلا كَلِمَةُ الفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) يقول تعالى ذكره : ولولا السابق من الله فى أنه لا يعجل لهم العذاب فى الدنيا ، وأنه مضى من قيله إنهم مؤخرون بالعقوبة إلى قيام الساعة ، لفرغ من الحكم بينكم وبينهم بتعجيلنا العذاب لهم فى الدنيا ، ولكن لهم فى الآخرة من العذاب الأليم ، كما قال جلّ ثناؤه (وَإِنَّ الظّالِمِينَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ) يقول : وإن الكافرين بالله لهم يوم القيامة عذاب مؤلم مُوجِع .

القول في تأويل قوله تعالى: تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

﴿ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ترى يامحمد الكافرين بالله يوم القيامة (مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا) يقول : وَجِلِين خائفين من عقاب الله على ما كسبوا فى الدنيا من أعمالهم الخبيثة (وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ) يقول : والذين هم مشفقون منه من عذاب الله نازل بهم ، وهم ذائقوه لامحالة .

وقوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِى رَوْضَاتِ الجَنَّاتِ) يقول تعالى ذكره : والذين آمنوا بالله وأطاعوه فيما أمر ونهى فى الدنيا فى روضات البساتين فى الآخرة . ويعنى بالروضات : جمع روضة ، وهى المكان الذى يكثر نبته ، ولا تقول العرب لمواضع الأشجار رياض ؛ ومنه قول أبى النجم .

والنَّغضَ مِثْلَ الأجْرَبِ المُدَجَّلِ حَدائِقَ الرَّوْضِ التى لَمْ تُحْلَلِ [1]

يعنى بالروض : جمع روضة . وإنما عنى جلّ ثناؤه بذلك : الخبر عما هم فيه من السرور والنعيم .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِى رَوْضَاتِ الجَنَّاتِ) إلى آخر الآية . قال فى رياض الجنة ونعيمها .

وقوله (لَهُمْ ما يَشاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) يقول للذين آمنوا وعملوا الصالحات عند ربهم فى الآخرة ما تشتهيه أنفسهم ، وتلذّه أعينهم ، ذلك هو الفضل الكبير ، يقول تعالى ذكره : هذا الذى أعطاهم الله من هذا النعيم ، وهذه الكرامة فى الآخرة : هو الفضل من الله عليهم ، الكبير الذى يفضل كلّ نعيم وكرامة فى الدنيا من بعض أهلها على بعض .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَٰلِكَ الَّذِى يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : هذا الذى أخبرتكم أيها الناس أنى أعددته للذين آمنوا وعملوا الصالحات فى الآخرة من النعيم والكرامة ، البشرى التى يبشر الله عباده الذين آمنوا به فى الدنيا ، وعملوا بطاعته فيها (قُلْ لاأسألُكُمْ

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز ، لأبى النجم الفضل بن قدامة العجلى والأرجوزة بتمامها فى مجلة المجمع العلمى (مجلد ٨ : ٤٧٢) وروى البيت الأول منهما وفسره ابن قتيبة فى كتابه (المعانى الكبير ، طبع الهند ٣٣٢ - ٣٣٣) والنغض من أسماء الظليم ، لأنه يحرك رأسه إذا عدا . والمدجل : المهنوء بالقطران . وشبهه بالأجرب ، لأنه قد أسن وذهب ريشه من أرفاغه . وفى (اللسان : دجل) : شدة طلى الجرب بالقطران . والمدجل : المهنوء بالقطران . ونغض برأسه ينغض نغضا : حركه . وإنما سمى الظليم نغضا ، لأنه إذا عجل فى مشيته ارتفع وانخفض . اهـ . والنغض منصوب بالفعل « راحت » فى البيت قبله ، أى راقبته ونظرت إليه . والحدائق : جمع حديقة ، وهى القطعة من الزرع ؛ وكل بستان كان عليه حائط فهو حديقة . وما لم يكن عليه حائط ، لم يقل له حديقة . وقال الزجاج : الحدائق البساتين والشجر الملتف . وحدائق الروض : ما أعشب منه والتف . يقال : روضة فى فلان ما هى إلا حديقة . وإذا لم يكن فيها عشب فهى روضة (اللسان : حدق) وانصب قوله حدائق بقوله « تبقلت من أول التبقل » وهو بيت فى أول الأرجوزة . والتى لم تحلل : التى لم توطأ ولم ترعها الحيوانات ، ليقل نبتها .

عَلَيْهِ أَجْرًا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد للذين يمارونك فىالساعة من مشركى قومك : لاأسألكم أيها القوم على دعايتكم إلى ما أدعوكم إليه من الحق الذى جئتكم به ، والنصيحة التى أنصحكم ثوابا وجزاء ، وعوضا من أموالكم تعطوننيه (إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى) .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى) فقال بعضهم : معناه : إلا أن تودّونى فى قرابتى منكم ، وتصلوا رحمى بينى وبينكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ويعقوب ، قالا : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن داود بن أبى هند ، عن الشعبى ، عن ابن عباس ، فى قوله (لاأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى) قال : لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم قرابة ، فقال : قل لاأسألكم عليه أجرا إلا أن تودّونى فى القرابة التى بينى وبينكم .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا شعبة ، عن عبدالملك بن ميسرة عن طاوس ، فى قوله (قُلْ لاأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى) قال : سئل عنها ابن عباس ، فقال ابن جبير : هم قربى آل محمد ، فقال ابن عباس : عجلتَ ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من بطون قريش إلا وله فيهم قرابة ، قال : فنزلت (قُلْ لاأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى) قال : إلا القرابة التى بينى وبينكم أن تصلوها .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (قُلْ لاأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى) قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة فى جميع قريش ، فلما كذّبوه وأبَوْا أن يبايعوه قال : ياقوم إذ أبيتم أن تبايعونى فاحفظوا قرابتى فيكم لايكن غيركم من العرب أولى بحفظى ونُصرتى منكم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قُلْ لاأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ، قال لقريش : لاأسألكم من أموالكم شيئا ، ولكن أسألكم أن لاتؤذونى لقرابة ما بينى وبينكم ، فإنكم قومى وأحقّ من أطاعنى وأجابنى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عكرمة ، قال : « إن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان واسطا فى قريش ، كان له فى كل بطن من قريش نسب ، فقال : لاأَسْأَلُكُمْ على ما أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ إِلاَّ أَنْ تَحْفَظُونِى فى قَرَابَتِى ، قُلْ لاأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى » .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن أبى مالك ، قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسط النسب من قريش ، ليس حىّ من أحياء قريش إلا وقد ولدوه ؛ قال : فقال الله عزّ وجلّ : (قُلْ لاأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أجرا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى) : إلا أن تودّونى لقرابتى منكم وتحفظونى » .

حدثنا أبوحصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن أبي مالك في هذه الآية (قُلْ لاأسألُكُمْ عَلَيْهِ أجرا إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم وأمه من بني زهرة وأم أبيه من بني مخزوم ، فقال : احفظوني في قرابتي .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا حرمى ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني عمارة ، عن عكرمة ، في قوله (قُلْ لاأسألُكُمْ عَلَيْهِ أجرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) قال : تعرفون قرابتي ، وتصدّقوني بما جئت به ، وتمنعوني .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ لاأسألُكُمْ عَلَيْهِ أجرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) وإن الله تبارك وتعالى أمر محمدا صلى الله عليه وسلم أن لايسأل الناس على هذا القرآن أجرا إلا أن يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة ، وكلّ بطون قريش قد ولدته وبينه وبينهم قرابة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) أن تتبعوني ، وتصدقوني وتصلوا رحمي .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، في قوله (قُلْ لاأسألُكُمْ عَلَيْهِ أجرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) قال : لم يكن بطن من بطون قريش إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ولادة ، فقال : قل لاأسألكم عليه أجرا إلا أن تودّوني لقرابتي منكم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) يعني قريشا . يقول : إنما أنا رجل منكم ، فأعينوني على عدوّي ، واحفظوا قرابتي ، وإن الذي جئتكم به لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة في القربى ، أن تودّوني لقرابتي ، وتعينوني على عدوّي .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قُلْ لاأسألُكُمْ عَلَيْهِ أجرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) قال يقول : إلا أن تودّوني لقرابتي كما تَوادّون في قرابتكم وتواصلون بها ، ليس هذا الذي جئت به يقطع ذلك عني ، فلست أبتغي على الذي جئت به أجرا آخذه على ذلك منكم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : أخبرني سعيد بن أبي أيوب ، عن عطاء بن دينار ، في قوله (قُلْ لاأسألُكُمْ عَلَيْهِ أجرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) يقول : لا أسألكم على ما جئتكم به أجرا ، إلا أن تودّوني في قرابتي منكم ، وتمنعوني من الناس .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (قُلْ لاأسألُكُمْ عَلَيْهِ أجرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) قال : كل قريش كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ، فقال : قل لاأسألكم عليه أجرا إلا أن تودّوني بالقرابة التي بيني وبينكم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : قل لمن تبعك من المؤمنين : لاأسألكم على ماجئتكم به أجرا إلا أن تودّوا قرابتى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا إسماعيل بن أبان ، قال : ثنا الصباح بن يحيى المرىّ ، عن السدىّ ، عن أبى الديلم قال : لما جىء بعلىّ بن الحسين رضى الله عنهما أسيرا ، فأقيم على درج دمشق ، قام رجل من أهل الشأم فقال : الحمد لله الذى قتلكم واستأصلكم ، وقطع قرنى الفتنة ، فقال له علىّ بن الحسين رضى الله عنه : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم ، قال : أقرأت آل حم ؟ قال : قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم ، قال : ماقرأت (قُلْ لاأسألُكُمْ عَلَيْهِ أجرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) قال : وإنكم لأنتم هم ؟ قال : نعم .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا عبد السلام ، قال : ثنا يزيد بن أبى زياد ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : « قالت الأنصار : فعلنا وفعلنا ، فكأنهم فخروا ، فقال ابن عباس ، أو العباس ، شكّ عبد السلام : لنا الفضل عليكم ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم فى مجالسهم ، فقال : يا مَعْشَرَ الأنْصَارِ أَلَمْ تَكُونُوا أذِلَّةً فأعزَّكُمُ اللهُ بِي ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : أَلَمْ تَكُونُوا ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : أفَلا تُجِيبُونِي قالوا : ما نقول يارسول الله ؟ قال : ألا تقولون : أَلَمْ يُخْرِجْكَ قَوْمُكَ فَآوَيْنَاكَ ، أوَلَمْ يُكَذِّبُوكَ فَصَدَّقْنَاكَ ، أوَلَمْ يَخْذُلُوكَ فَنَصَرْنَاكَ ؟ قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب ، وقالوا : أموالنا وما فى أيدينا لله ولرسوله ، قال : فنزلت (قُلْ لاأسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) » .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا مروان ، عن يحيى بن كثير ، عن أبى العالية ، عن سعيد بن جُبير ، فى قوله (قُلْ لاأسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) قال : هى قُربى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى محمد بن عمارة الأسدى ومحمد بن خلف قالا : ثنا عبيد الله قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق قال : سألت عمرو بن شعيب ، عن قول الله عزّ وجلّ (قُلْ لاأسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) قال : قُربى النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : قل لاأسألكم أيها الناس على ماجئتكم به أجرا إلا أن تودّدوا إلى الله ، وتتقرّبوا بالعمل الصالح والطاعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن داود ومحمد بن داود أخوه أيضا قالا : ثنا عاصم بن على ، قال : ثنا قزعة بن سويد ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم « (قُلْ لاأسألُكُمْ على ما أَتَيْتُكُمْ بِهِ مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَى أجْرًا إلاَّ أنْ تَوَدَّدُوا للهِ ، وَتَتَقَرَّبُوا إلَيْهِ بِطاعَتِهِ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور بن زاذان ، عن الحسن أنه قال فى هذه الآية (قُلْ لاأسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْرًا إلا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) قال : القُربى إلى الله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عوف ، عن الحسن ، في قوله (قُلْ لاأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قال : إلا التقرّب إلى الله ، والتودّد إليه بالعمل الصالح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن ، في قوله (قُلْ لاأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قل لاأسألكم على ماجئتكم به ، وعلى هذا الكتاب أجرا ، إلا المودّة في القربى ، إلا أن تودّدوا إلى الله بما يقرّبكم إليه ، وعمل بطاعته .

قال بشر : قال يزيد : وحدثنيه يونس ، عن الحسن ، حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (قُلْ لاأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) إلا أن تودّدوا إلى الله فيما يقرّبكم إليه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إلا أن تصلوا قرابتكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا أبوعامر ، قال : ثنا قرة ، عن عبد الله بن القاسم ، في قوله (إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قال : أمرت أن تصل قرابتك .

❊ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، وأشبهها بظاهر التنزيل قول من قال : معناه : قل لاأسألكم عليه أجرا يامعشر قريش ، إلا أن تودّوني في قرابتي منكم ، وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم .

وإنما قلت هذا التأويل أولى بتأويل الآية لدخول « في » في قوله (إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ، ولو كان معنى ذلك على ماقاله من قال : إلا أن تودّوا قرابتي ، أو تقربوا إلى الله ، لم يكن لدخول « في » في الكلام في هذا الموضع وجه معروف ،ولكان التنزيل: إلا مودّة القربى إن عُنِيَ به الأمر بمودّة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو إلا المودّة بالقُرْبى ، أوذا القربى إنعُنِيَ به التودّد والتقرّب. وفي دخول « في » في الكلام أوضح الدليل على أن معناه : إلا مودّتي في قرابتي منكم ، وأن الألف واللام في المودّة أدخلتا بدلا من الإضافة ، كما قيل (فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) . وقوله « إلا » في هذا الموضع استثناء منقطع . ومعنى الكلام : قل لاأسألكم عليه أجرا ، لكني أسألكم المودّة في القربى ، فالمودّة منصوبة على المعنى الذي ذكرت.وقدكان بعض نحويي البصرة يقول:هي منصوبة بمضمر من الفعل، بمعنى : إلاأن أذكر مودّة قرابتي .

وقوله (وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) يقول تعالى ذكره : ومن يعمل حسنة ، وذلك أن يعمل عملا يطيع الله فيه من المؤمنين (نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) يقول : نضاعف عمله ذلك الحسن ، فنجعل له مكان الواحد عشرا إلى ماشئنا من الجزاء والثواب .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد ، قال: ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، في قول الله عزّ وجلّ (وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً) قال : يعمل حسنة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْنا) قال : من يعمل خيرا نزد له . الاقتراف : العمل .

وقوله (إنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ) يقول : إن الله غفور لذنوب عباده ، شكور لحسناتهم وطاعتهم إياه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّ اللهَ غَفُورٌ) للذنوب (شَكُورٌ) للحسنات يضاعفها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ) قال : غفر لهم الذنوب ، وشكر لهم نعما هو أعطاهم إياها ، وجعلها فيهم .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾

يقول تعالى ذكره : أم يقول هؤلاء المشركون بالله : (افْتَرَى) محمد (على اللهِ كَذِبا) فجاء بهذا الذى يتلوه علينا اختلاقا من قِبَل نفسه . وقوله (فَإنْ يَشأِ اللهُ) يامحمد يطبع على قلبك ، فتنس هذا القرآن الذى أُنزل إليك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أمْ يَقُولُونَ افْتَرَى على الله كَذِباً ، فإنْ يَشأ اللهُ يَخْتِمْ على قَلْبكَ) فينسيك القرآن .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فإنْ يَشأ اللهُ يَخْتِمْ على قَلْبكَ) قال : إن يشأ الله أنساك ما قد أتاك .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قول الله عزّ وجلّ (فإنْ يَشأ اللهُ يَخْتِمْ على قَلْبكَ) قال : يطبع .

وقوله (وَيَمْحُ اللهُ الباطِلَ) يقول : ويذهب الله بالباطل فيمحقه (وُيحِقُّ الحَقَّ بِكَلِماتِه) التى أنزلها إليك يامحمد فيثبته .

وقوله (وَيَمْحُ اللهُ الباطِلَ) فى موضع رفع بالابتداء ، ولكنه حُذفت منه الواو فى المصحف ، كما حُذفت من قوله (سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ) ، ومن قوله (وَيَدْعُ الإنْسانُ بالشَّرِّ) وليس بجزم على العطف على يختم .

وقوله (إنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ) يقول تعالى ذكره : إن الله ذو علم بما فى صدور خلقه ، وما

تنطوى عليه ضمائرهم ، لايخفى عليه من أمورهم شىء ، يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: لوحدّثت نفسك أن تفترى على الله كذبا ، لطبعت على قلبك ، وأذهبت الذى آتيتك من وحيي ، لأنى أمحو الباطل فأذهبه ، وأحقّ الحقّ ، وإنما هذا إخبار من الله الكافرين به ، الزاعمين أن محمدا افترى هذا القرآن من قبل نفسه ، فأخبرهم أنه إن فعل لفعل به ما أخبر به فى هذه الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره: والله الذى يقبل مراجعة العبد إذا رجع إلى توحيد الله وطاعته من بعد كفره (وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ) يقول : ويعفو له أن يعاقبه على سيئاته من الأعمال ، وهى معاصيه التى تاب منها (وَيَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (يَفْعَلُونَ) بالياء ، بمعنى : ويعلم ما يفعل عباده ، وقرأته عامة قرّاء الكوفة (تَفْعَلُونَ) بالتاء على وجه الخطاب .

والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان فى قرّاءة الأمصار متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أن الياء أعجب إلىّ ، لأن الكلام من قبل ذلك جرى على الخبر ، وذلك قوله (وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ) ويعنى جلّ ثناؤه بقوله (وَيَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ) ويعلم ربكم أيها الناس ماتفعلون من خير وشرّ ، لايخفى عليه من ذلك شىء ، وهومجازيكم على كل ذلك جزاءه ، فاتقوا الله فى أنفسكم ، واحذروا أن تركبوا ما تستحقون به منه العقوبة .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال: أخبرنا إسحاق بن يوسف ، عن شريك عن إبراهيم بن مهاجر ، عن إبراهيم النخعى ، عن همام بن الحارث ، قال : أتينا عبد الله نسأله عن هذه الآية (وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئاتِ وَيَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ) قال : فوجدنا عنده أناسا أو رجالا يسألونه عن رجل أصاب من امرأة حراما ، ثم تزوّجها ، فتلا هذه الآية (وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئاتِ ، وَيَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى ذكره : ويجيب الذين آمنوا بالله ورسوله ، وعملوا بما أمرهم الله به ، وانتهوا عما نهاهم عنه لبعضهم دعاء بعض .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا عثام ، قال : ثنا الأعمش ، عن شقيق بن سلمة ، عن سلمة بن سبرة ، قال : خطبنا معاذ ، فقال : أنتم المؤمنون ، وأنتم أهل الجنة ، والله إنى لأرجوأن من تصيبون من فارس والروم يدخلون الجنة ، ذلك بأن أحدهم إذا عمل لأحدكم العمل قال : أحسنت رحمك الله ، أحسنت غفر الله لك ، ثم قرأ (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) .

وقوله (وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) يقول تعالى ذكره : ويزيد الذين آمنوا وعملوا الصالحات مع إجابته إياهم دعاءهم ، وإعطائه إياهم مسألتهم من فضله على مسألتهم إياه ، بأن يعطيهم مالم يسألوه . وقيل : إن ذلك الفضل الذى ضمن جلّ ثناؤه أن يزيدهموه ، هوأن يشفعهم فى إخوان إخوانهم إذا هم شفعوا فى إخوانهم ، فشفعوا فيهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابىّ ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن إبراهيم النخعىّ فى قول الله عزّ وجلّ (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) قال : يُشَفَّعون فى إخوانهم ، ويزيدهم من فضله ، قال : يشفعون فى إخوان إخوانهم .

وقوله (وَالكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) يقول جلّ ثناؤه : والكافرون بالله لهم يوم القيامة عذاب شديد على كفرهم به .

واختلف أهل العربية فى معنى قوله (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا) فقال بعضهم : أى استجاب فجعلهم هم الفاعلين ، فالذين فى قوله رفع ، والفعل لهم . وتأويل الكلام على هذا المذهب : واستجاب الذين آمنوا وعملوا الصالحات لربهم إلى الإيمان به ، والعمل بطاعته إذ دعاهم إلى ذلك .

وقال آخر منهم : بل معنى ذلك : ويجيب الذين آمنوا . وهذا القول يحتمل وجهين : أحدهما الرفع ، بمعنى : ويجيب الله الذين آمنوا . والآخر ماقاله صاحب القول الذى ذكرنا .

وقال بعض نحويى الكوفة (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا) يكون « الذين » فى موضع نصب بمعنى : ويجيب الله الذين آمنوا . وقد جاء فى التنزيل (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ) والمعنى : فأجاب لهم ربهم ، إلا أنك إذا قلت استجاب ، أدخلت اللام فى المفعول ؛ وإذا قلت أجاب حذفت اللام ، ويكون استجابهم ، بمعنى : استجاب لهم ، كما قال جلّ ثناؤه (وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ) والمعنى والله أعلم : وإذا كالوا لهم ، أو وزنوا لهم (يُخْسِرُونَ) . قال : ويكون « الذين » فى موضع رفع إن يجعل الفعل لهم ، أى الذين آمنوا يستجيبون لله ، ويزيدهم على إجابتهم ، والتصديق به من فضله . وقد بيَّنّا الصواب فى ذلك من القول على ما تأوّله معاذ ومن ذكرنا قوله فيه .

القول في تأويل قوله تعالى:

* وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾

ذكر أن هذه الآية نزلت من أجل قوم من أهل الفاقة من المسلمين تمنوا سعة الدنيا والغنى ، فقال جلّ ثناؤه: ولو بسط الله الرزق لعباده ، فوسعه وكثّره عندهم لبغوا ، فتجاوزوا الحدّ الذى حدّه الله لهم إلى غير الذى حدّه لهم فى بلاده بركوبهم فى الأرض ماحظره عليهم ، ولكنه ينزل رزقهم بقدر لكفايتهم الذى يشاء منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال : قال أبو هانئ : سمعت عمرو بن حريث وغيره يقولون: إنما أنزلت هذه الآية فى أصحاب الصفّة (وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِى الأرْضِ ، وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يَشاءُ) ذلك بأنهم قالوا : لو أن لنا ، فتمنوا .

حدثنا محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا أبوعبدالرحمن المقرى ، قال : ثنا حيوة ، قال أخبرنى أبو هانئ ، أنه سمع عمرو بن حريث يقول : إنما نزلت هذه الآية ، ثم ذكر مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِى الأرْضِ) الآية . . . قال : كان يقال : خير الرزق ما لا يُطغيك ولا يُلهيك .

وذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال : « أخْوَفُ ما أخافُ على أُمَّتِى زَهْرَةُ الدُّنْيا وكَثْرَتُها ، فقال له قائل : يانبىّ الله : هل يأتى الخير بالشرّ ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : هَلْ يأتى الخَيْرُ بالشَّرِّ؟ فأنزل الله عليه عند ذلك ، وكان إذا نزل عليه كرب[1] لذلك ، وتربّد وجهه ، حتى إذا سرّى عن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال: هَلْ يأتى الخَيْرُ بالشَّرِّ ، يقولها ثلاثا : إنَّ الخَيْرَ لايأتى إلاَّ بالخَيْرِ ، يقولها ثلاثا . وكان صلى الله عليه وسلم وتر الكلام ، ولكنه والله ماكان ربيع قط إلا أحبط أو ألمّ فأما عبد أعطاه الله مالا ، فوضعه فى سبيل الله التى افترض وارتضى ، فذلك عبد أريد به خير ، وعزم له على الخير ، وأما عبد أعطاه الله مالا فوضعه فى شهواته ولذّاته ، وعدل عن حقّ الله عليه ، فذلك عبد أريد به شرّ ، وعزم له على شرّ » .

وقوله (إنَّهُ بِعِبادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله بما يصلح عباده ويفسدهم من غنى وفقر وسعة وإقتار ، وغير ذلك من مصالحهم ومضارّهم ، ذو خبرة وعلم بصير بتدبيرهم وصرفهم فيما فيه صلاحهم .

(١) فى (اللسان : كرب) : وفى الحديث : كان إذا أتاه الوحى كرب له ، أى أصابه الكرب فهو مكروب .

القول فى تأويل قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾

يقول تعالى ذكره : والله الذى ينزل المطر من السماء فيغيثكم به أيها الناس (مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا) يقول : من بعد ما يئس من نزوله ومجيئه (وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ) يقول : وينشر فى خلقه رحمته ، ويعنى بالرحمة : الغيث الذى ينزله من السماء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة أنه قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : أجدبت الأرض ، وقنط الناس ، قال : مطروا إذن .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال: ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا) قال : يئسوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذُكر لنا أن رجلا أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين قحط المطر ، وقنط الناس قال : مطرتم (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الغَيْثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا ، وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ) .

وقوله (وَهُوَ الوَلِيُّ الحَمِيدُ) يقول : وهو الذى يليكم بإحسانه وفضله ، الحميد بأياديه عندكم ، ونعمه عليكم فى خلقه .

القول فى تأويل قوله تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

يقول تعالى ذكره : ومن حججه عليكم أيها الناس أنه القادر على إحيائكم بعد فنائكم ، وبعثكم من قبوركم من بعد بلائكم خلقه السموات والأرض ، وما بثّ فيهما من دابة ، يعنى وما فرّق فى السموات والأرض من دابة .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال: ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَما بَثَّ فِيهِما مِنْ دَابَّةٍ) قال : الناس والملائكة (وَهُوَ على جَمْعِهِمْ إِذَا يَشاءُ قَدِيرٌ) يقول : وهو على جمع ما بثّ فيهما من دابة إذا شاء جمعه ، ذو قدرة لا يتعذّر عليه ، كما لم يتعذر عليه خلقه وتفريقه ، يقول تعالى ذكره : فكذلك هو القادر على جمع خلقه بحشر يوم القيامة بعد تفرّق أوصالهم فى القبور .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۝ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝

يقول تعالى ذكره : وما يصيبكم أيها الناس من مصيبة فى الدنيا فى أنفسكم وأهليكم وأموالكم (فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) يقول: فإنما يصيبكم ذلك عقوبة من الله لكم بما اجترمتم من الآثام فيما بينكم وبين ربكم ويعفو لكم ربكم عن كثير من إجرامكم ، فلا يعاقبكم بها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أيوب ، قال : قرأت فى كتاب أبى قلابة ، قال : نزلت (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) وأبو بكر رضى الله عنه يأكل ، فأمسك فقال : يا رسول الله إنى لراء ما عملت من خير أو شرّ ؟ فقال : أرأيْتَ ما رأيْتَ مِمَّا تَكْرَهُ فَهُوَ مِنْ مَثَاقِيلِ ذَرِّ الشَّرِّ ، وَتُدَّخَرُ مَثَاقِيلَ الخَيْرِ حتى تُعْطاهُ يَوْمَ القِيامَةِ ، قال : قال أبو إدريس : فأرى مصداقها فى كتاب الله ، قال : (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ، وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) .

قال أبو جعفر : حدّث هذا الحديث الهيثم بن الربيع ، فقال فيه أيوب عن أبى قلابة ، عن أنس ، أن أبا بكر رضى الله عنه كان جالسا عند النبيّ صلى الله عايه وسلم ، فذكر الحديث ، وهو غلط ، والصواب عن أبي إدريس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) . . . الآية « ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لايُصِيبُ ابْنَ آدَمَ خَدْشُ عُودٍ ، وَلا عَثْرَةُ قَدَمٍ ، وَلا اخْتِلاجُ عِرْقٍ إلاَّ بِذَنْبٍ ، وَما يَعْفُو عَنْهُ أكْثَرُ) » :

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أيديكم) . . . الآية ، قال : يعجل للمؤمنين عقوبتهم بذنوبهم ولا يؤاخذون بها فى الآخرة .

وقال آخرون : بل عنى بذلك: وما عوقبتم فى الدنيا من عقوبة بحدّ حُدِدتموه على ذنب استوجبتموه عليه فبما كسبت أيديكم : يقول: فبما عملتم من معصية الله (وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) فلا يوجب عليكم فيها حدا.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ)

... الآية ، قال : هذا فى الحدود . وقال قتادة : بلغنا أنه ما من رجل يصيبه عثرة قدم ولا خدش عود أو كذا وكذا إلا بذنب ، أو يعفو ، وما يعفو أكثر .

وقوله (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ) يقول : وما أنتم أيها الناس بمفيتى ربكم بأنفسكم إذا أراد عقوبتكم على ذنوبكم التى أذنبتموها ، ومعصيتكم إياه التى ركبتموها هربا فى الأرض ، فمعجزيه ، حتى لايقدر عليكم ، ولكنكم حيث كنتم فى سلطانه وقبضته ، جارية فيكم مشيئته (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ) يليكم بالدفاع عنكم إذا أراد عقوبتكم على معصيتكم إياه (ولا نَصِيرٍ) يقول : ولا لكم من دونه نصير ينصركم إذا هو عاقبكم ، فينتصر لكم منه ، فاحذروا أيها الناس معاصيه ، واتقوه أن تخالفوه فيما أمركم أو نهاكم ، فإنه لادافع لعقوبته عمن أحلها به .

القول فى تأويل قوله تعالى :-

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾

❁ يقول تعالى ذكره : ومن حجج الله أيها الناس عليكم بأنه القادر على كلّ ما يشاء ، وأنه لايتعذّر عليه فعل شيء أراده السفن الجارية فى البحر . والجوارى : جمع جارية ، وهى السائرة فى البحر .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الجَوَارِى فى البَحْرِ) قال : السفن .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَمِنْ آيَاتِهِ الجَوَارِى فى البَحْرِ) قال : الجوارى : السفن .

وقوله (كالأَعْلامِ) يعنى كالجبال : واحدها علم ؛ ومنه قول الشاعر :

كأنَّه عَلَمٌ فى رأسِهِ نارُ (١)

يعنى : جبَل . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (كالأَعْلامِ) قال : كالجبال .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : الأعلام : الجبال .

(١) هذا عجز بيت لخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمى ، من قصيدة ترثى بها أخاها صخرا (معاهد التنصيص للعباسى) وصدره :

* وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ الهُدَاةُ بِهِ *

وقد استشهد به المؤلف عند قوله تعالى : « وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام » على أن الأعلام فى البيت جمع علم بالتحريك ، وهو الجبل . وقد كان العرب يوقدون النار فى أعالى الجبال ، لهداية الغريب والجائع ونحوهما .

وقوله (إنْ يَشأْ يُسْكِنِ الرِّيح فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ على ظَهْرِهِ) يقول تعالى ذكره : إن يشأ الله الذى قد أجرى هذه السفن فى البحر أن لاتجرى فيه ، أسكن الريح التى تجرى بها فيه ، فثبتن فى موضع واحد ، ووقفن على ظهر الماء لاتجرى ، فتتقدّم ولا تتأخر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنْ آياتِهِ الجَوَارِ فى البَحْرِ كالأعْلام ، إنْ يَشأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ على ظَهْرِهِ) سفن هذا البحر تجرى بالريح فإذا أمسكت عنها الريح ركدت ، قال الله عزّ وجلّ : (إنَّ فى ذلكَ لآياتٍ لكُلِّ صَبَّارٍ شكُورٍ) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إنْ يَشأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ على ظَهْرِهِ) لاتجرى .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ على ظَهْرِهِ) يقول : وقوفا .

وقوله (إنَّ فى ذلكَ لآياتٍ لكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) يقول : إن فى جرى هذه الجوارى فى البحر بقُدرة الله لعظة وعبرة وحجة بينة على قُدرة الله على مايشاء ، لكل ذى صبر على طاعة الله ، شكور لنِعمه وأياديه عنده .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾

يقول تعالى ذكره : أو يوبقْ هذه الجوارى فى البحر بما كسبت ركبانها من الذنوب ، واجترموا من الآثام ، وجزم يوبقهنّ ، عطفا على (يُسْكِنِ الرِّيحَ) ومعنى الكلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ، (أَوْ يُوبِقْهُنَّ) ويعنى بقوله (أَوْ يُوبِقْهُنَّ) أو يهلكهنّ بالغرق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ يُوبِقْهُنَّ) يقول : يهلكهنّ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَوْ يُوبِقْهُنَّ) : أو يهلكهنّ .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أو يُوبِقْهُنّ) قال : يغرقهن بما كسبوا .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (بِمَا كَسَبُوا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا) : أى بذنوب أهلها.

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا) قال : بذنوب أهلها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا) قال : يوبقهنّ بما كسبت أصحابهنّ .

وقوله (وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ) يقول : ويصفح تعالى ذكره عن كثير من ذنوبكم فلا يعاقب عليها .

وقوله (وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا) يقول جلّ ثناؤه : ويعلم الذين يخاصمون رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من المشركين فى آياته وعبره وأدلته على توحيده .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة (وَيَعْلَمُ الَّذِينَ) رفعا على الاستئناف ، كما قال فى سورة براءة (وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ) وقرأته قرّاء الكوفة والبصرة (وَيَعْلَمَ الَّذِينَ) نصبا كما قال فى سورة آل عمران (وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) على الصرف ؛ وكما قال النابغة :

فَإِنْ يَهْلِكْ أبو قابُوسَ يَهْلِكْ ... رَبِيعُ النَّاسِ والشَّهْرُ الحَرَامُ
وَنُمْسِكَ بَعْدَهُ بِذِنَابِ عَيْشٍ ... أَجَبَّ الظَّهْرِ لَيْسَ لَهُ سَنَامُ[1]

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان ، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ) يقول تعالى ذكره : ما لهم من محيد من عقاب الله إذا عاقبهم على ذنوبهم ، وكفرهم به ، ولا لهم منه ملجأ .

(١) البيتان للنابغة الذبيانى من مقطوعة يخاطب بها عصام بن شهبرة الجرمى حاجب النعمان، ويسأله عما بلغه من مرضه (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا ص ١٩١) وقوله : « ربيع الناس » جعل النعمان بمنزلة الربيع فى الخصب ، لكثرة عطائه . وهو موضع الأمن من كل مخافة لمستجير وغيره ، مثل الشهر الحرام . و « أجب الظهر » : لاسنام له . ويجوز فى الظهر : الرفع والنصب والجر . يقول : نبقى بعده فى شدة من العيش وسوء حال . وذناب الشيء : ذنبه . والشاهد فى البيتين فى قوله « ونأخذ » فإنه يجوز فيه الرفع على الاستئناف ، والنصب بتقدير « أن » ، والجزم بالعطف على يهلك (فرائد القلائد للعينى) . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٩٢) وقوله « ويعف عن كثير ويعلم الذين » : مردودة على الجزم إلا أنه صرف (النصب على الصرف مذهب للفراء فى العطف على المجزوم كما فى الآية ، وفى المفعول معه ، وفى خبر المبتدإ إذا كان ظرفا) قال : والجزم إذا صرف عنه معطوفه نصب ، كقول الشاعر : « فإن يهلك . . . . . البيتين » . والرفع جائز فى المنصوب على الصرف . وقد قرأ بذلك قوم ، فرفعوا ويعلم الذين يجادلون . ومثله مما استؤنف فرفع : « ويتوب الله من بعد ذلك على من يشاء » فى براءة . ولو جزم « ويعلم » جازم كان مصيبا . اهـ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط عن السدىّ ، قوله (ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ) : ما لهم من ملجأ .

وقوله (فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيا) يقول تعالى ذكره : فما أعطيتم أيها الناس من شيء من رياش الدنيا من المال والبنين ، فمتاع الحياة الدنيا ، يقول تعالى ذكره : فهو متاع لكم تتمتعون به فى الحياة الدنيا ، وليس من دار الآخرة ، ولا مما ينفعكم فى معادكم (وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وأَبْقَى) يقول تعالى ذكره : والذى عند الله لأهل طاعته والإيمان به فى الآخرة ، خير مما أوتيتموه فى الدنيا من متاعها وأبقى ، لأن ما أوتيتم فى الدنيا فإن نافد ، وما عند الله من النعيم فى جنانه لأهل طاعته باق غير نافد (لِلَّذِينَ آمنوا) : يقول : وما عند الله للذين آمنوا به ، وعليه يتوكلون فى أمورهم ، وإليه يقومون فى أسبابهم ، وبه يثقون ، خير وأبقى مما أوتيتموه من متاع الحياة الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ۝٣٧ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝٣٨

يقول تعالى ذكره : وما عند الله للذين آمنوا (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ) ، وكبائر فواحش الإثم ، قد بيّنا اختلاف أهل التأويل فيها وبيّنا الصواب من القول عندنا فيها فى سورة النساء ، فأغنى ذلك عن إعادته هاهنا . (وَالفَوَاحِشَ) قيل : إنها الزنى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَالفَوَاحِشَ) قال : الفواحش : الزنى واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (كَبَائِرَ الإِثْمِ) فقرأته عامة قرّاء المدينة على الجماع كذلك فى النجم ، وقرأته عامة قرّاء الكوفة (كَبِيرَ الإِثْمِ) على التوحيد فيهما جميعا ؛ وكأن من قرأ ذلك كذلك ، عنى بكبير الإثم : الشرك ، كما كان الفرّاء يقول : كأنى أستحب لمن قرأ كبائر الإثم أن يخفض الفواحش ، لتكون الكبائر مضافة إلى مجموع إذ كانت جمعا ، وقال : ماسمعت أحدا من القرّاء خفض الفواحش .

والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء على تقارب معنييهما ؛ فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَإِذَا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) يقول تعالى ذكره : وإذا ما غضبوا على من اجترم إليهم جرما ، هم يغفرون لمن أجرم إليهم الجرم ذنبه ، ويصفحون عنه عقوبة ذنبه .

وقوله (وَالَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ وأقامُوا الصَّلاةَ) يقول تعالى ذكره : والذين أجابوا لربهم حين دعاهم إلى توحيده ، والإقرار بوحدانيته والبراءة من عبادة كل ما يعبد دونه (وأقامُوا الصَّلاةَ) المفروضة بحدودها فى أوقاتها (وأمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) يقول : وإذا حزبهم أمر تشاوروا بينهم ، (ومِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ) يقول : ومن الأموال التى رزقناهم ينفقون فى سبيل الله ، ويؤدّون مافرض عليهم من الحقوق لأهلها من زكاة ونفقة على من تجب عليه نفقته . وكان ابن زيد يقول : عنى بقوله (وَالَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ) . . . الآية الأنصار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، وقرأ (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإثْمِ والفَواحِشَ وَإذا ماغَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) قال : فبدأ بهم (وَالَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ) الأنصار (وأقامُوا الصَّلاةَ) وليس فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) ليس فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ۝ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۝

❁ يقول تعالى ذكره : والذين إذا بغى عليهم باغ ، واعتدى عليهم هم ينتصرون .

ثم اختلف أهل التأويل فى الباغى الذى حمد تعالى ذكره ، المنتصرمنه بعد بغيه عليه ، فقال بعضهم : هو المشرك إذا بغى على المسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنى ابن وهب قال : قال ابن زيد : ذكر المهاجرين صنفين ، صنفا عفا ، وصنفا انتصر ، وقرأ (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإثْمِ والفَواحِشَ وَإذا ماغَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) قال : فبدأ بهم (وَالَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ) . . . إلى قوله (ومِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ) وهم الأنصار . ثم ذكر الصنف الثالث فقال : (وَالَّذِينَ إذَا أصابَهُمُ البَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ) من المشركين .

وقال آخرون : بل هو كلّ باغ بغى فحمد المنتصرَ منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَالَّذِينَ إذَا أصابَهُمُ البَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ) قال : ينتصرون ممن بغى عليهم من غير أن يعتدوا .

وهذا القول الثانى أولى فى ذلك بالصواب ، لأن الله لم يخصص من ذلك معنى دون معنى ، بل حمد كلّ منتصر بحقّ ممن بغى عليه .

﴿ فإن قال قائل : وما فى الانتصار من المدح ؟ قيل : إن فى إقامة الظالم على سبيل الحقّ وعقوبته بما هو له أهل تقويما له ، وفى ذلك أعظم المدح .

وقوله (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) وقد بيّنّا فيما مضى معنى ذلك ، وأن معناه : وجزاء سيئة المسيء عقوبته بما أوجبه الله عليه ، فهى وإن كانت عقوبة من الله أوجبها عليه ، فهى مَساءة له . والسيئة : إنما هى الفعلة من السوء ، وذلك نظير قول الله عزّ وجلّ (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا) وقد قيل : إن معنى ذلك : أن يجاب القائل الكلمة القزعة بمثلها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : قال لى أبو بشر : سمعت ابن أبى نجيح يقول فى قوله (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) قال : يقول أخزاه الله ، فيقول : أخزاه الله .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) قال : إذا شتمك بشتيمة فاشتمه مثلها من غير أن تعتدى .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك بما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ) من المشركين (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ) . . . الآية ، ليس أمركم أن تعفوا عنهم لأنه أحبهم (وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) ، ثم نسخ هذا كله وأمره بالجهاد ، فعلى قول ابن زيد هذا تأويل الكلام : وجزاء سيئة من المشركين إليكم ، سيئة مثلها منكم إليهم ، وإن عفوتم وأصلحتم فى العفو ، فأجركم فى عفوكم عنهم إلى الله ، إنه لا يحبّ الكافرين ؛ وهذا على قوله كقول الله عزّ وجلّ (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ) ، وللذى قال من ذلك وجه . غير أن الصواب عندنا : أن تحمل الآية على الظاهر ما لم ينقله إلى الباطن ما يجب التسليم له ، وأن لا يحكم لحكم فى آية بالنسخ إلا بخبر يقطع العذر ، أو حجة يجب التسليم لها ، ولم تثبت حجة فى قوله (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) أنه مراد به المشركون دون المسلمين ، ولا بأن هذه الآية منسوخة ، فنسلم لها بأن ذلك كذلك .

وقوله (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) يقول جلّ ثناؤه : فمن عفا عمن أساء إليه إساءته إليه ، فغفرها له ، ولم يعاقبه بها ، وهو على عقوبته عليها قادر ابتغاء وجه الله ، فأجر عفوه ذلك على الله ، والله مثيبه عليه ثوابه (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) يقول : إن الله لا يحبّ أهل الظلم الذين يتعدّون على الناس ، فيسيئون إليهم بغير ما أذن الله له فيهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : ولمن انتصر ممن ظلمه من بعد ظلمه إياه (فَأُولَئِكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) يقول : فأولئك المنتصرون منهم لاسبيل للمنتصر منهم عليهم بعقوبة ولا أذى ، لأنهم انتصروا منهم بحق ، ومن أخذ حقه ممن وجب ذلك له عليه ، ولم يتعد ، لم يظلم ، فيكون عليه سبيل .

وقد اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بذلك ، فقال بعضهم : عنى به كل منتصر ممن أساء إليه ، مسلما كان المسىء أو كافرا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا معاذ ، قال : ثنا ابن عون ، قال : كنت أسأل عن الانتصار (وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ) . . . الآية ، فحدثنى علىّ بن زيد بن جدعان ، عن أمّ محمد امرأة أبيه ، قال ابن عون : زعموا أنها كانت تدخل على أمّ المؤمنين قالت : قالت أمّ المؤمنين : « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندنا زينب بنت جحش ، فجعل يصنع بيده شيئا ، ولم يفطن لها ، فقلت بيده حتى فطّنته لها ، فأمسك ، وأقبلت زينب تقحم لعائشة[1] ، فنهاها ، فأبت أن تنتهى ، فقال لعائشة : سُبّيها فسبتها وغلبتها ، وانطلقت زينب فأتت عليا ، فقالت : إن عائشة تقع بكم وتفعل بكم ، فجاءت فاطمة ، فقال لها : إنها حبة أبيك وربّ الكعبة ، فانصرفت وقالت لعلىّ : إنى قلت له كذا وكذا ، فقال كذا وكذا ؛ قال : وجاء علىّ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فكلّمه فى ذلك » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ) . . . الآية ، قال : هذا فى الخمش[2] يكون بين الناس .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) قال : هذا فيما يكون بين الناس من القصاص ، فأما لو ظلمك رجل لم يحل لك أن تظلمه .

وقال آخرون : بل عُنِى به الانتصار من أهل الشرك ، وقال : هذا منسوخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) قال : لمن انتصر بعد ظلمه من المؤمنين انتصر من المشركين وهذا قد نسخ ، وليس هذا فى أهل الإسلام ، ولكن فى أهل الإسلام الذى قال الله تبارك وتعالى : (ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ، فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ) .

(١) فى النهاية لابن الأثير فى حديث عائشة : أقبلت زينب تقحم لها ، أى تتعرض لشتمها ، وتدخل عليها فيه ؛ كأنها أقبلت تشتمها من غير روية ولا تثبت .

(٢) المقصود بالخمش : ما كان دون القتل والدية من قطع أو جدع أو جرح أو ضرب أو نهب ونحو ذلك . من أنواع الأذى التى لاقصاص فيها (انظر النهاية لابن الأثير) .

والصواب من القول أن يقال : إنه معنيّ به كلّ منتصر من ظالمه ، وأن الآية محكمة غير منسوخة للعلة التى بينت فى الآية قبلها .

وقوله (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ) يقول تبارك وتعالى : إنما الطريق لكم أيها الناس على الذين يتعدّون على الناس ظلما وعدوانا ، بأن يعاقبوهم بظلمهم لا على من انتصر ممن ظلمه ، فأخذ منه حقه .

وقوله (وَيَبْغُونَ فِى الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ) يقول : ويتجاوزون فى أرض الله الحدّ الذى أباح لهم ربهم إلى مالم يأذن لهم فيه ، فيفسدون فيها بغير الحق (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : فهؤلاء الذين يظلمون الناس ، ويبغون فى الأرض بغير الحقّ ، لهم عذاب من الله يوم القيامة فى جهنم مؤلم موجع .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ ۗ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى ذكره : ولمن صبر على إساءة من أساء إليه ، وغفر للمسىء إليه جرمه إليه ، فلم ينتصر منه ، وهو على الانتصار منه قادر ابتغاء وجه الله وجزيل ثوابه (إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) يقول : إن صبره ذلك وغفرانه ذنب المسىء إليه ، لمن عزم الأمور التى ندب إليها[1] عباده ، وعزم عليهم العمل به (وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِىٍّ مِنْ بَعْدِهِ) يقول : ومن خذله الله عن الرشاد ، فليس له من ولىّ يليه ، فيهديه لسبيل الصواب ، ويسدّده من بعد إضلال الله إياه (وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا العَذَابَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وترى الكافرين بالله يامحمد يوم القيامة لما عاينوا عذاب الله يقولون لربهم : (هَلْ) لنا يا ربّ (إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ؟) وذلك كقوله (وَلَوْ تَرَى إِذِ المُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا) . . . الآية ، استعتب المساكين فى غير حين الاستعتاب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ) يقول : إلى الدنيا .

واختلف أهل العربية فى وجه دخول « إن » فى قوله (إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) مع دخول اللام فى قوله (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ) فكان نحوىّ أهل البصرة يقول فى ذلك : أما اللام التى فى قوله (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ) فلام الابتداء ، وأما إن ذلك فمعناه والله أعلم : إن ذلك منه من عزم الأمور ، وقال : قد تقول : مررت بالدار الذراع بدرهم : أى الذراع منها بدرهم ، ومررت ببرّ قفيز بدرهم ، أى قفيز منه بدرهم .

(١) كذا فى الأصول . ولعل فيه تحريفا من الناسخ ، وأصل العبارة : الذى ندب إليه ، بدليل مابعده .

قال: وأما ابتداء « إن » فى هذا الموضع ، فمثل (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ) يجوز ابتداء الكلام ، وهذا إذا طال الكلام فى هذا الموضع .

وكان بعضهم يستخطئ هذا القول ويقول : إن العرب إذا أدخلت اللام فى أوائل الجزاء أجابته بجوابات الأيمان بما ، ولا ، وإنّ واللام : قال: وهذا من ذاك ، كما قال : (لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ) (وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ ، وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ) فجاء بلا وباللام جوابا للام الأولى . قال : ولو قال : لئن قمت إنى لقائم لجاز ولا حاجة به إلى العائد ، لأن الجواب فى اليمين قد يكون فيه العائد ، وقد لا يكون ؛ ألا ترى أنك تقول : لئن قمت لأقومنّ ، ولا أقوم، وإنى لقائم فلا تأتى بعائد . قال : وأما قولهم : مررت بدار الذراع بدرهم وببرّ قفيز بدرهم ، فلا بدّ من أن يتصل بالأوّل بالعائد ، وإنما يحذف العائد فيه ، لأن الثانى تبعيض للأوّل مررت ببرّ بعضه بدرهم ، وبعضه بدرهم ؛ فلما كان المعنى التبعيض حذف العائد . قال : وأما ابتداء « إن » فى كل موضع إذا طال الكلام ، فلا يجوز أن تبتدئ إلا بمعنى : قل إن الموت الذى تفرّون منه ، فإنه جواب للجزاء ، كأنه قال : مافررتم منه من الموت ، فهو ملاقيكم .

وهذا القول الثانى عندى أولى فى ذلك بالصواب للعلل التى ذكرناها .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴿٤٥﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : وترى يامحمد الظالمين يعرضون على النار (خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ) يقول : خاضعين متذللين .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : الخشوع : الخوف والخشية لله عزّ وجلّ ، وقرأ قول الله عزّ وجلّ (لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ) . . . إلى قوله (خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ) قال : قد أذلهم الخوف الذى نزل بهم وخشعوا له .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (خَاشِعِينَ) قال : خاضعين من الذلّ .

وقوله (يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) يقول : ينظر هؤلاء الظالمون إلى النار حين يعرضون عليها من طرف خفىّ .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) فقال بعضهم : معناه : من طرف ذليل . وكأن معنى الكلام : من طرف قد خفى من ذلّة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خاشِعِينَ مِنَ الذُّلّ) . . . إلى قوله (مِنْ طَرْفٍ خَفِيّ) يعني بالخفيّ : الذليل .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله عزّ وجلّ (مِنْ طَرْفٍ خَفِيّ) قال ذليل .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنهم يسارقون النظر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيّ) قال : يسارقون النظر .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (مِنْ طَرْفٍ خَفِيّ) قال : يسارقون النظر :

واختلف أهل العربية في ذلك ، فقال بعض نحويي البصرة في ذلك : جعل الطرف العين ، كأنه قال : ونظرهم من عين ضعيفة ، والله أعلم . قال : وقال يونس : إن (مِنْ طَرْفٍ) مثل بطرف ، كما تقول العرب : ضربته في السيف ، وضربته بالسيف .

وقال آخر منهم : إنما قيل (مِنْ طَرْفٍ خَفِيّ) لأنه لا يفتح عينيه ، إنما ينظر ببعضها .

وقال آخرون منهم : إنما قيل : (مِنْ طَرْفٍ خَفِيّ) لأنهم ينظرون إلى النار بقلوبهم ، لأنهم يُحشرُون عُميا .

والصواب من القول في ذلك ، القول الذي ذكرناه عن ابن عباس ومجاهد ، وهو أن معناه : أنهم ينظرون إلى النار من طرف ذليل ، وصفه الله جلّ ثناؤه بالخفاء للذلة التي قد ركبتهم ، حتى كادت أعينهم أن تغور ، فتذهب .

وقوله (وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الخاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ) يقول تعالى ذكره : وقال الذين آمنوا بالله ورسوله : إن المغبونين الذين غبنوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة في الجنة .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قوله (الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ) قال : غبنوا أنفسهم وأهليهم في الجنة .

وقوله (أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذابٍ مُقِيمٍ) يقول تعالى ذكره : ألا إن الكافرين يوم القيامة في عذاب لهم من الله مُقيم عليهم ، ثابت لا يزول عنهم ، ولا يبيد ، ولا يخفّ .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾

❁ يقول تعالى ذكره: ولم يكن لهؤلاء الكافرين حين يعذّبهم الله يوم القيامة أولياء يمنعونهم من عذاب الله ولا ينتصرون لهم من ربهم على مانالهم به من العذاب من دون الله (وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ) يقول: ومن يخذله عن طريق الحقّ فما له من طريق إلى الوصول إليه، لأن الهداية والإضلال بيده دون كلّ أحد سواه.

وقوله (اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ) يقول تعالى ذكره للكافرين به: أجيبوا أيها الناس داعيَ الله وآمنوا به واتبعوه على ماجاءكم به من عند ربكم، (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ): يقول: لاشيء يردّ مجيئه إذا جاء الله به، وذلك يوم القيامة (مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ) يقول جلّ ثناؤه: مالكم أيها الناس من معقل تحترزون فيه، وتلجئون إليه، فتعتصمون به من النازل بكم من عذاب الله على كفركم به، كان في الدنيا (وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ) يقول: ولا أنتم تقدرون لما يحلّ بكم من عقابه يومئذ على تغييره، ولاعلى انتصار منه إذا عاقبكم بما عاقبكم به.

وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبوعاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ) قال: من محرز. وقوله (مِنْ نَكِيرٍ) قال: ناصر ينصركم.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ (مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ) تلجئون إليه (وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ) يقول: من عزّ تعتزون.

القول في تأويل قوله تعالى:

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ۗ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾

❁ يقول تعالى ذكره: فإن أعرض هؤلاء المشركون يامحمد عما أتيتهم به من الحقّ، ودعوتهم إليه من

الرشد ، فلم يستجيبوا لك ، وأبَوْا قبوله منك ، فدعهم ، فإنا لن نرسلك إليهم رقيبا عليهم ، تحفظ عليهم أعمالهم وتحصيها (إنْ عَلَيْكَ إلاَّ البَلاغُ) يقول : ماعليك يامحمد إلا أن تبلغهم ماأرسلناك به إليهم من الرسالة ، فإذا بلغتهم ذلك ، فقد قضيت ماعليك(وَإنَّا إذَا أذَقْنا الإنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِها) يقول تعالى ذكره : فإنا إذا أغنينا ابن آدم فأعطيناه من عندنا سعة ، وذلك هو الرحمة التى ذكرها جلَّ ثناؤه ، فرح بها : يقول: سرَّ بما أعطيناه من الغنى ، ورزقناه من السَّعة وكثرة المال ، (وَإنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) يقول : وإن أصابتهم فاقة وفقر وضيق عيش(بِمَا قَدَّمَتْ أيْدِيهِمْ) يقول: بما أسلفت من معصية الله عقوبة له على معصيته إياه ، جحد نعمة الله ، وأيس من الخير (فَإنَّ الإنْسانَ كَفُورٌ) يقول تعالى ذكره: فإن الإنسان جحود نعم ربه ، يعدِّد المصائب ، ويجحد النعم . وإنما قال: (وَإنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) فأخرج الهاء والميم مخرج كناية جمع الذكور ، وقد ذكر الإنسان قبل ذلك بمعنى الواحد ، لأنه بمعنى الجمع .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره : لله سلطان السموات السبع والأرضين ، يفعل فى سلطانه مايشاء ، ويخلق ما يحبّ خلقه ، يهب لمن يشاء من خلقه من الولد الإناث دون الذكور ، بأن يجعل كل ما حملت زوجته من حمل منه أنثى (وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ) يقول : ويهب لمن يشاء منهم الذكور ، بأن يجعل كلَّ حمل حملته امرأته ذكرا لاأنثى فيهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال: ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانا وَإناثا) قال: يخلط بينهم يقول : التزويج : أن تلد المرأة غلاما ، ثم تلد جارية ، ثم تلد غلاما ، ثم تلد جارية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله(يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إناثا ، وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ) قادر والله ربنا على ذلك أن يهب للرجل ذكورا ليست معهم أنثى ، وأن يهب للرجل ذكرانا وإناثا ، فيجمعهم له جميعا ، (وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيما) لايولد له .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قول الله عزّ وجلّ (يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إناثا ، وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ) ليست معهم إناث (أوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانا وَإناثا) قال : يهب لهم إناثا وذكرانا ، ويجعل من يشاء عقيما لايُولَد له .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيما) يقول : لايُلْقِح .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً) لايلد واحدا ولا اثنين .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ يقول : أخبرنا عبيد الله ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إناثاً ، وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ) ليس فيهم أنثى (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإناثاً) تلد المرأة ذكرا مرّة وأنثى مرّة (وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً) لايُولد له .

وقال ابن زيد فى معنى قوله (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ) ماحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإناثاً) قال : أو يجعل فى الواحد ذكرا وأنثى توأما ، هذا قوله (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإناثاً) .

وقوله (إنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله ذوعلم بما يخلق ، وقُدرة على خلق ما يشاء لايعزب عنه علم شيء من خلقه ، ولا يعجزه شيء أراد خلقه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

يقول تعالى ذكره : ومايبنغى لبشر من بنى آدم أن يكلمه ربه إلا وحيا يوحى الله إليه كيف شاء ، أو إلهاما [١] ، وإما غيره (أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ) يقول : أويكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه ، كما كلم موسى نبيه صلى الله عليه وسلم (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً) يقول : أو يرسل الله من ملائكته رسولا ، إما جبرائيل ، وإما غيره (فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مايَشاءُ) يقول : فيوحى ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن ربه ما يشاء ، يعنى : مايشاء ربه أن يوحيه إليه من أمر ونهى ، وغير ذلك من الرسالة والوحى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله عزّ وجلّ (وَما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاَّ وَحْياً) يوحى إليه (أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ) موسى كلمه الله من وراء حجاب ، (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ) قال : جبرائيل يأتى بالوحى .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً) فيوحى ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (فَيُوحِيَ) بنصب الياء عطفا على (يُرْسِلَ) ، ونصبوا (يُرْسِلَ) عطفا بها على موضع الوحى ، ومعناه ، لأن معناه وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحى إليه أو يرسل إليه رسولا فيوحىَ بإذنه مايشاء . وقرأ ذلك نافع المدنى (فيُوحِي) بإرسال الياء بمعنى الرفع عطفا به على (يُرْسِلُ) ، وبرفع (يُرْسِلُ) على الابتداء .

(١) كذا فى الخط ، ولعله إما إلقاء أو إلهاما الخ .

وقوله (إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) يقول تعالى ذكره إنه يعنى نفسه جلّ ثناؤه : ذو علوّ على كل شيء وارتفاع عليه ، واقتدار . حكيم : يقول : ذو حكمة فى تدبيره خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله : (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا) وكما كنا نوحى فى سائر رسلنا ، كذلك أوحينا إليك يامحمد هذا القرآن ، روحا من أمرنا : يقول : وحيا ورحمة من أمرنا .

واختلف أهل التأويل فى معنى الروح فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى به الرحمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن فى قوله (رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا) قال : رحمة من أمرنا .

وقال آخرون : معناه : وحيا من أمرنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا) قال : وحيا من أمرنا .

وقد بيّنا معنى الروح فيما مضى بذكر اختلاف أهل التأويل فيها بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ) يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ما كنت تدرى يامحمد أىّ شيء الكتاب ولا الإيمان اللذين أعطيناكهما (وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا) يقول : ولكن جعلنا هذا القرآن ، وهو الكتاب نورا ، يعنى ضياء للناس ، يستضيئون بضوئه الذى بين الله فيه ، وهو بيانه الذى بين فيه ، مما لهم فيه فى العمل به الرشاد ، ومن النار النجاة (نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا) يقول : نهدى بهذا القرآن ، فالهاء فى قوله « به » من ذكر الكتاب .

ويعنى بقوله (نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ) : نسدّد إلى سبيل الصواب ، وذلك الإيمان بالله (مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا) يقول : نهدى به من نشاء هدايته إلى الطريق المستقيم من عبادنا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا)

يعنى بالقرآن . وقال جلّ ثناؤه (وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ) فوحد الهاء ، وقد ذكر قبل الكتاب والإيمان ، لأنه قصد به الخبر عن الكتاب . وقال بعضهم : عنى به الإيمان والكتاب ، ولكن وحد الهاء ، لأن أسماء الأفعال يجمع جميعها الفعل ، كما يقال : إقبالك وإدبارك يعجبنى ، فيوحدوهما اثنان .

وقوله (وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإنك يامحمد لتهدى إلى صراط مستقيم عبادنا ، بالدعاء إلى الله ، والبيان لهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) قال تبارك وتعالى (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) داع يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) قال : لكل قوم هاد .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول : تدعو إلى دين مستقيم ، (صِرَاطِ اللهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ) يقول جلّ ثناؤه : وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ، وهو الإسلام ، طريق الله الذى دعا إليه عباده ، الذى له مُلك جميع ما فى السموات وما فى الأرض ، لاشريك له فى ذلك . والصراط الثانى : ترجمة عن الصراط الأوّل .

وقوله جلّ ثناؤه (أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) يقول جلّ ثناؤه : ألا إلى الله أيها الناس تصير أموركم فى الآخرة ، فيقضى بينكم بالعدل .

فإن قال قائل : أو ليست أمورهم فى الدنيا إليه ؟ قيل : هى وإن كان إليه تدبير جميع ذلك ، فإن لهم حكاما ووُلاة ينظرون بينهم ، وليس لهم يوم القيامة حاكم ولا سلطان غيره ، فلذلك قيل : إليه تصير الأمور هنالك وإن كانت الأمور كلها إليه وبيده قضاؤها وتدبيرها فى كل حال .

آخر تفسير سورة حم عسق

(٤٣) سُورَةُ الزُّخْرُفِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَثَمَانُونَ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

حمٓ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝

قد بيّنا فيما مضى قوله (حم) بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ) قسَم من الله تعالى أقسم بهذا الكتاب الذى أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال (وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ) لمن تدبّره وفكّر فى عبره وعظاته هداه ورشده وأدلته على حقيته ، وأنه تنزيل من حكيم حميد ، لااختلاق من محمد صلى الله عليه وسلم ولا افتراء من أحد (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) يقول : إنا أنزلناه قرآنا عربيا بلسان العرب ، إذ كنتم أيها المنذرون به من رهط محمد صلى الله

عليه وسلم عربيا (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) يقول : لتعقلوا معانيه وما فيه من مواعظ ، ولم ينزله بلسان العجم ، فيجعله أعجميا ، فتقولوا : نحن عرب ، وهذا كلام أعجمىّ لا نفقه معانيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (حمٓ . والكِتابِ المُبِينِ) هو هذا الكتاب المبين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حمٓ . والكتاب المبين) مبين والله بركته ، وهداه ورشده .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾

يقول تعالى ذكره: وإن هذا الكتاب أصل الكتاب الذى منه نسخ هذا الكتاب عندنا لعلىّ : يقول : لذو علوّ ورفعة ، حكيم : قد أحكمت آياته ، ثم فصلت فهو ذو حكمة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن هشام الدستوائى ، عن القاسم بن أبى بزة ، قال : ثنا عروة ابن عامر ، أنه سمع ابن عباس يقول : أوّل ماخلق الله القلم ، فأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق ، قال : والكتاب عنده ، قال : وإنه فى أمّ الكتاب لدينا لعلىّ حكيم .

حدثنى أبوالسائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبى ، عن عطية بن سعد فى قول الله تبارك وتعالى (وإنَّهُ فى أمِّ الكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ) يعنى القرآن فى أمّ الكتاب الذى عند الله منه نسخ .

حدثنى أبوالسائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت مالكا يروى عن عمران ، عن عكرمة (وإنَّهُ فِى أُمِّ الكِتابِ لَدَيْنا) قال : أمّ الكتاب القرآن .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَإِنَّهُ فِى أُمِّ الكِتابِ لَدَيْنا) قال : أمّ الكتاب : أصل الكتاب وجملته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّهُ فِى أُمِّ الكِتابِ) : أى جملة الكتاب أى أصل الكتاب .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإِنَّهُ فِى أُمِّ الكِتابِ) يقول : فى الكتاب الذى عند الله فى الأصل .

وقوله (لَدَيْنا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ) وقد ذكرنا معناه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ) يخبر عن منزلته وفضله وشرفه .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : أفنضرب عنكم ونترككم أيها المشركون فيما تحسبون ، فلا نذكركم بعقابنا من أجل أنكم قوم مشركون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله عزّ وجل (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحا) قال : تكذّبون بالقرآن ثم لا تعاقبون عليه .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح ، قوله (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحا) قال : بالعذاب .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صفحا) قال : أفنضرب عنكم العذاب .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحا أَنْ كُنْتُمْ قَوْما مُسْرِفِينَ) يقول : أحسبتم أن نصفح عنكم ولما تفعلوا ما أُمرتم به .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أفنترك تذكيركم بهذا القرآن ، ولا نذكركم به ، لأن كنتم قوما مسرفين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحا أَنْ كُنْتُمْ قَوْما مُسْرِفِينَ) : أى مشركين ، والله لو كان هذا القرآن رفع حين ردّه أوائل هذه الأمة لهلكوا ، فدعاهم إليه عشرين سنة ، أو ماشاء الله من ذلك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحا) قال : لو أن هذه الأمة لم يؤمنوا لضرب عنهم الذكر صفحا ، قال : الذكر ما أنزل عليهم مما أمرهم الله به ونهاهم صفحا ، لا يذكر لكم منه شيئا .

وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب تأويل من تأوّله : أفنضرب عنكم العذاب فنترككم ونعرض عنكم ، لأن كنتم قوما مسرفين لا تؤمنون بربكم .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية ، لأن الله تبارك وتعالى أتبع ذلك خبره عن الأمم السالفة قبل الأمم التي توعدها بهذه الآية في تكذيبها رسلها ، وما أحلّ بها من نقمته ، ففي ذلك دليل على أن قوله (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا) وعيد منه للمخاطبين به من أهل الشرك ، إذ سلكوا في التكذيب بما جاءهم عن الله رسولهم مسلك الماضين قبلهم .

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة (إِنْ كُنْتُمْ) بكسر الألف من « إن » بمعنى : أفنضرب عنكم الذكر صفحا إذ كنتم قوما مسرفين . وقرأه بعض قرّاء أهل مكة والكوفة وعامة قرّاء البصرة « أن » بفتح الألف من « أن » ، بمعنى : لأن كنتم .

واختلف أهل العربية في وجه فتح الألف من أن في هذا الموضع ، فقال بعض نحويي البصرة : فتحت لأن معنى الكلام : لأن كنتم . وقال بعض نحويي الكوفة : من فتحها فكأنه أراد شيئا ماضيا ، فقال : وأنت تقول في الكلام : أتيت أن حرمتني ، تريد : إذ حرمتني ، ويكسر إذا أردت : أتيت إن تحرمني . ومثله : (لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ) و (إِنْ صَدُّوكُمْ) بكسر وبفتح .

(فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا) قال : والعرب تنشد قول الفرزدق :

أَتَجْزَعُ أَنْ أُذْنَا قُتَيْبَةَ حُزَّتَا جِهَارًا وَلَمْ تَجْزَعْ لِقَتْلِ ابْنِ حَازِمِ[1]

قال : وينشد :

أَتَجْزَعُ أَنْ بَانَ الْخَلِيطُ الْمُوَدِّعُ وَحَبْلُ الصَّفَا مِنْ عَزَّةَ الْمُتَقَطِّعُ[2]

قال : وفي كل واحد من البيتين ما في صاحبه من الكسر والفتح .

والصواب من القول في ذلك عندنا : أن الكسر والفتح في الألف في هذا الموضع قراءتان مشهورتان في قرّاءة الأمصار صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وذلك أن العرب إذا تقدم « أن » وهي بمعنى الجزاء فعل مستقبل كسروا ألفها أحيانا ، فمحضوا لها الجزاء ، فقالوا : أقوم إن قمت ، وفتحوها أحيانا ،

(١) البيت من شواهد النحويين ومن شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٩٤) قال عند قوله تعالى في سورة الزخرف : « أفنضرب منكم الذكر صفحا أن كنتم » : قرأ الأعمش : « إن كنتم » بالكسر . وقرأ عاصم والحسن « أن كنتم » بفتح أن ، كأنهم أرادوا شيئا ماضيا ، وأنت تقول في الكلام : أأسبك أن حرمتني ، وتكسر إذا أردت : أأسبك إن تحرمني ؟ ومثله : « لايجرمنكم شنآن قوم إن صدوكم » تكسر إن وتفتح ومثله « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا » . والعرب تنشد . قول الفرزدق « أتجزع إن أذنا قتيبة ..... البيت » . بالفتح والكسر . ورواية البيت في شرح شواهد المغني للسيوطي : « أتغضب » في مكان « أتجزع » قال : وضمير تغضب راجع إلى قيس . والحز : القطع . وابن خازم : عبد الله بن خازم ، بمعجمتين ، كما ضبطه الدارقطني وغيره . أمير خراسان ، وليها سنتين ، ثم ثار به أهل خراسان ، فقتلوه ، وحملوا رأسه إلى عبد الملك بن مروان . وقتيبة بن مسلم الباهلي ، من أكبر قواد المسلمين ، وفاتحي بلاد الشرق ، وهو الذي افتتح خوارزم وسمرقند وبخارى . وقتل سنة سبع وتسعين رحمه الله . والظاهر أن قول المؤلف « أتيت أن حرمتني » . فيه تصحيف من الناسخ لقول الفراء في معاني القرآن « أأسبك حرمتني » .

(٢) البيت لكثير عزة ، وهو من شواهد الفراء أورده بعد الشاهد السابق ، قال : أنشدوني « أتجزع أن بان » . . . . البيت . ثم قال : وفي كل واحد من البيتين ، ما في صاحبه من الفتح والكسر .

وهم ينوون ذلك المعنى ، فقالوا : أقوم أن قمت بتأويل ، لأن قمت ، فإذا كان الذى تقدمها من الفعل ماضيا لم يتكلّموا إلا بفتح الألف من « أن » فقالوا : قمتُ أن قمتَ ، وبذلك جاء التنزيل ، وتتابع شعر الشعراء .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ ﴾

۞ يقول تعالى ذكره (وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ) يامحمد فى القرون الأوّلين الذين مضوا قبل قرنك الذى بعثت فيه كما أرسلناك فى قومك من قريش (وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) يقول وما كان يأتى قرنا من أولئك القرون وأمة من أولئك الأمم الأوّلين لنا من نبىّ يدعوهم إلى الهدى وطريق الحق ، إلا كان الذين يأتيهم ذلك من تلك الأمم نبيهم الذى أرسله إليهم يستهزئون سخرية منهم بهم كاستهزاء قومك بك يامحمد . يقول : فلا يعظمنّ عليك مايفعل بك قومك ، ولا يشقنّ عليك ، فإنهم إنما سلكوا فى استهزائهم بك مسلك أسلافهم ، ومنهاج أئمتهم الماضين من أهل الكفر بالله .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ۝ ﴾

۞ يقول تعالى ذكره : فأهلكنا أشدّ من هؤلاء المستهزئين بأنبيائهم بطشا إذا بطشوا فلم يعجزونا بقواهم وشدّة بطشهم ، ولم يقدروا على الامتناع من بأسنا إذ أتاهم ، فالذين هم أضعف منهم قوّة أحرى أن لايقدروا على الامتناع من نقمنا إذا حلّت بهم (وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ) يقول جلّ ثناؤه : ومضى لهؤلاء المشركين المستهزئين بك ولمن قبلهم من ضربائهم مثلُنا الذى مثّلناه لهم فى أمثالهم من مكذّبى رسلنا الذين أهلكناهم ، يقول : فليتوقع هؤلاء الذين يستهزئون بك يامحمد من عقوبتنا مثل الذى أحللناه بأولئك الذين أقاموا على تكذيبك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ) قال : عقوبة الأوّلين .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مَثَلُ الأَوَّلِينَ) قال : سُنَّتهم .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝﴾

يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يامحمد هؤلاء المشركين من قومك: من خلق السموات السبع والأرضين، فأحدثهن وأنشأهن؟ ليقولن: خلقهن العزيز في سلطانه وانتقامه من أعدائه، العليم بهن وما فيهن من الأشياء، لايخفى عليه شيء (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا) يقول: الذي مهّد لكم الأرض، فجعلها لكم وطاء توطئونها بأقدامكم، وتمشون عليها بأرجلكم (وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا) يقول: وسهّل لكم فيها طرقا تتطرّقونها من بلدة إلى بلدة، لمعايشكم ومتاجركم.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا) أي طرقا.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدىّ (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مِهَادًا) قال: بساطا (وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا) قال: الطرق (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) يقول: لكى تهتدوا بتلك السبل إلى حيث أردتم من البُلدان والقُرى والأمصار، لولا ذلك لم تطيقوا براح أفنيتكم ودوركم، ولكنها نعمة أنعم بها عليكم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ۝﴾

يقول تعالى ذكره: (وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ) يعني: مانزّل جلّ ثناؤه من الأمطار من السماء بقدر: يقول: بمقدار حاجتكم إليه، فلم يجعله كالطوفان، فيكون عذابا كالذى أنزل على قوم نوح، ولا جعله قليلا، لاينبت به النبات والزرع من قلّته، ولكنه جعله غيثامغيثا، وحَيًا للأرض الميتة محييا (فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا) يقول جلّ ثناؤه: فأحيينا به بلدة من بلادكم ميتا، يعني مجدبة لانبات بها ولا زرع، قد درست من الجدوب، وتعفت من القحوط (كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ) يقول تعالى ذكره: كما أخرجنا بهذا الماء الذى نزّلناه من السماء من هذه البلدة الميتة بعد جدوبها وقحوطها النبات والزرع، كذلك أيها الناس تُخرجون من بعد فنائكم ومصيركم في الأرض رفاتاً بالماء الذى أنزله إليها لإحيائكم من بعد مماتكم منها أحياء كهيئتكم التى كنتم بها قبل مماتكم.

وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالَّذِى نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ) . . . الآية ، كما أحيا الله هذه الأرض الميتة بهذا الماء كذلك تبعثون يوم القيامة ؛ وقيل : أنشرنا به ، لأن معناه : أحيينا به ، ولو وصفت الأرض بأنها أحييت ، قيل : نشرت الأرض ، كما قال الأعشى :

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا　　يَا عَجَبًا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ[1]

وقوله (وَالَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا) يقول تعالى ذكره : والذى خلق كلّ شيء فزوّجه ، أى[2] خلق الذكور من الإناث أزواجا ، والإناث من الذكور أزواجا (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الفُلْكِ) وهى السفن (والأنعامِ) وهى البهائم (ما تَرْكَبُونَ) يقول : جعل لكم من السفن ماتركبونه فى البحار إلى حيث قصدتم واعتمدتم فى سيركم فيها لمعايشكم ومطالبكم ، ومن الأنعام ماتركبونه فى البرّ إلى حيث أردتم من البلدان ، كالإبل والخيل والبغال والحمير .

القول في تأويل قوله تعالى:

لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾

❁ يقول تعالى ذكره : كى تستووا على ظهور ما تركبون .

واختلف أهل العربية فى وجه توحيد الهاء فى قوله (على ظُهُورِهِ) وتذكيرها ، فقال بعض نحويّى البصرة : تذكيره يعود على ماتركبون ، وما هو مذكر ، كما يقال : عندى من النساء من يوافقك ويسرّك ، وقد تذكّر الأنعام وتؤنث . وقد قال فى موضع آخر : (مِمَّا فى بُطُونِهِ) وقال فى موضع آخر : (بُطُونِهَا) . وقال بعض نحويّى الكوفة : أضيفت الظهور إلى الواحد ، لأن ذلك الواحد فى معنى جمع بمنزلة الجند والجيش . قال : فإن قيل : فهلا قلت : لتستووا على ظهره ، فجعلت الظهر واحدا إذا أضفته إلى واحد . قلت : إن الواحد فيه معنى الجمع ، فردّت الظهور إلى المعنى ، ولم يقل ظهره ، فيكون كالواحد الذى معناه ولفظه واحد . وكذلك تقول : قد كثر نساء الجند ، وقلت : ورفع الجند أعينه ولم يقل عينه . قال : وكذلك كلّ ما أضفت إليه من الأسماء الموصوفة ، فأخرجها على الجمع ، وإذا أضفت إليه اسما فى معنى فعل جاز جمعه وتوحيده ، مثل قولك : رفع العسكر صوتَه ، وأصواته أجود وجاز هذا لأن الفعل لاصورة له فى الاثنين إلا الصورة فى الواحد .

وقال آخر منهم : قيل : لتستووا على ظهوره ، لأنه وصف للفلك ، ولكنه وحد الهاء ، لأن الفلك

---

(١) البيت للأعشى ميمون بن قيس من قصيدة يهجوبها علقمة بن علاثة ويمدح عامر بن الطفيل ، فى المنافرة التى جرت بينهما (ديوانه ١٣٩) وعلقمة بن علاثة صحابى ، قدم على النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو شيخ ، فأسلم وبايع . والبيت : من شواهد (أبى عبيدة فى مجاز القرآن الورقة ٢٢٠ – ١) عند قوله تعالى فى سورة الزخرف : « فأنشرنا به بلدة ميتا » قال : أحيينا . ونشرت الأرض : حييت ، قال الأعشى : « حتى يقول . . . البيت » وفى (اللسان : نشر) : ونشر الله الميت ينشره نشرا ونشورا . وأنشره ، أحياه فنشر هو ، قال الأعشى : « حتى يقول الناس . . . . البيت » اهـ .　　(٢) فى الأصل : أن . ولعله من تحريف الناسخ .

بتأويل جمع ، فجمع الظهور ووحد الهاء ، لأن أفعال كل واحد تأويله الجمع توحد وتجمع مثل : الجند منهزم ومنهزمون ، فإذا جاءت الأسماء خرج على الأسماء لاغير ، فقلت : الجند رجال ، فلذلك جمعت الظهور ووحدت الهاء ، ولو كان مثل الصوت وأشباهه جاز الجند رافع صوته وأصواته .

قوله (ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ) يقول تعالى ذكره : ثم تذكروا نعمة ربكم التى أنعمها عليكم بتسخيره ذلك لكم مراكب فى البرّ والبحر (إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ) فتعظموه وتمجدوه ، وتقولوا تنزيها لله الذى سخر لنا هذا الذى ركبناه من هذه الفلك والأنعام ، مما يصفه به المشركون ، وتشرك معه فى العبادة من الأوثان والأصنام (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب وعبيد بن إسماعيل الهبارى ، قالا : ثنا المحاربىّ ، عن عاصم الأحول ، عن أبى هاشم عن أبى مجلِّز ، قال : ركبت دابة ، فقلت : (سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) ، فسمعنى رجل من أهل البيت ؛ قال أبو كُرَيب والهبارى ، قال المحاربىّ : فسمعت سفيان يقول : هو الحسن بن علىّ رضوان الله تعالى عليهما ، فقال : أهكذا أمرت ؟ قال : قلت : كيف أقول ؟ قال : تقول الحمد لله الذى هدانا للإسلام ، الحمد لله الذى منّ علينا بمحمد عليه الصلاة والسلام ، الحمد لله الذى جعلنا فى خير أمة أُخرجت للناس ، فإذا أنت قد ذكرت نعما عظاما ، ثم تقول بعد ذلك (سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى هاشم ، عن أبى مجلز ، أن الحسن بن علىّ رضى الله عنه ، رأى رجلا ركب دابة ، فقال : الحمد لله الذى سخر لنا هذا ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ) يعلمكم كيف تقولون إذا ركبتم فى الفلك تقولون (بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ، إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) ، وإذا ركبتم الإبل قلتم : (سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) ويعلمكم ما تقولون إذا نزلتم من الفلك والأنعام جميعا تقولون : اللهمّ أنزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه أنه كان إذا ركب قال : اللهمّ هذا من منك وفضلك ، ثم يقول (سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) .

وقوله (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) وما كنا له مُطيقين ولا ضابطين ، من قولهم : قد أقرنت لهذا : إذا صرت له قرنا وأطقته ، وفلان مقرن لفلان : أى ضابط له مُطيق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) يقول : مُطيقين .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله عزّ وَجَلّ (مُقْرِنِينَ) قال : الإبل والخيل والبغال والحمير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) : أى مطيقين ، لا والله لا فى الأيدى ولا فى القوّة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) قال : فى القوّة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) قال : مطيقين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول الله جلّ ثناؤه : (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) قال : لسنا له مطيقين ، قال : لا نطيقها إلا بك ، لولا أنت ما قوينا عليها ولا أطقناها .

وقوله (وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) يقول جلّ ثناؤه : وليقولوا أيضا : وإنا إلى ربنا من بعد مماتنا لصائرون إليه راجعون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : وجعل هؤلاء المشركون لله من خلقه نصيبا ، وذلك قولهم للملائكة : هم بنات الله . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عزّ وجلّ : (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا) قال : ولدا وبنات من الملائكة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا) قال : البنات .

وقال آخرون : عنى بالجزء هاهنا : العدل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبادِهِ جُزْءاً) : أى عدلا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبادِهِ جُزْءاً) : أى عدلا .

وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فى تأويل ذلك ، لأن الله جلّ ثناؤه أتبع ذلك قوله (أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَناتٍ وأَصْفاكُمْ بالبَنِينَ) توبيخا لهم على قولهم ذلك ، فكان معلوما أن توبيخه إياهم بذلك إنما هو عما أخبر عنهم من قيلهم ما قالوا فى إضافة البنات إلى الله جلّ ثناؤه .

وقوله (إنَّ الإنْسانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ) يقول تعالى ذكره : إن الإنسان لذو جحد لنعم ربه التى أنعمها عليه مبين : يقول : يبين كفرانه نعمه عليه ، لمن تأمله بفكر قلبه ، وتدبر حاله .

وقوله (أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَناتٍ) يقول جلّ ثناؤه موبخا هؤلاء المشركين الذين وصفوه بأن الملائكة بناته : أتخذ ربكم أيها الجاهلون مما يخلق بنات ، وأنتم لاترضون لأنفسكم ، وأصفاكم بالبنين : يقول : وأخلصكم بالبنين ، فجعلهم لكم (وَإذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِما ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً) يقول تعالى ذكره : وإذا بشر أحد هؤلاء المشركين الجاعلين لله من عباده جزءا بما ضرب للرحمن مثلا : يقول : بما مثل لله ، فشبهه شبها ، وذلك ماوصفه به من أن له بنات .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً) قال : ولدا.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بِما ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً) بما جعل لله .

وقوله (ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً) يقول تعالى ذكره : ظلّ وجه هذا الذى بشّر بما ضرب للرحمن مثلا من البنات مسودّا من سوء مابشربه (وَهُوَ كَظِيمٌ) يقول : وهو حزين .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُوَ كَظِيمٌ) : أى حزين .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره : أو من ينبت فى الحلية ويزين بها (وَهُوَ فِي الخِصامِ) يقول : وهو فى مخاصمة من خاصمه عند الخصام غير مبين ، ومن خصمه ببرهان وحجة ، لعجزه وضعفه ، جعلتموه جزء الله من خلقه وزعمتم أنه نصيبه منهم ، وفى الكلام متروك استغنى بدلالة ماذكر منه وهو ما ذكرت .

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله (أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِى الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ)، فقال بعضهم: عُنِى بذلك الجوارى والنساء.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِى الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) قال: يعنى المرأة.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن علقمة، عن مرثد، عن مجاهد، قال: رخص للنساء فى الحرير والذهب، وقرأ (أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِى الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) قال: يعنى المرأة.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: قال ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، فى قوله (أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِى الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) قال: الجوارى جعلتموهنّ للرحمن ولدا، كيف تحكمون.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِى الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) قال: الجوارى يسفههنّ بذلك، غير مبين بضعفهنّ.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِى الْحِلْيَةِ) يقول: جعلوا له البنات وهم إذا بشّر أحدهم بهنّ ظلّ وجهه مسودّا وهو كظيم. قال: وأما قوله (وَهُوَ فِى الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) يقول: قلما تتكلم امرأة فتريد أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدىّ (أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِى الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) قال: النساء.

وقال آخرون: عُنِى بذلك أوثانهم التى كانوا يعبدونها من دون الله.

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِى الْحِلْيَةِ)... الآية، قال: هذه تماثيلهم التى يضربونها من فضة وذهب يعبدونها هم الذين أنشئوها، ضربوها من تلك الحلية، ثم عبدوها (وَهُوَ فِى الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) قال: لايتكلم، وقرأ (فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ).

وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال: عنى بذلك الجوارى والنساء، لأن ذلك عقيب خبر الله عن إضافة المشركين إليه ما يكرهونه لأنفسهم من البنات، وقلة معرفتهم بحقه، وتحليتهم إياه من الصفات والبخل، وهو خالقهم ومالكهم ورازقهم، والمنعم عليهم النعم التى عددها فى أوّل هذه السورة ما لايرضونه لأنفسهم، فاتباع ذلك من الكلام ماكان نظيرا له أشبه وأولى من اتباعه ما لم يجر له ذكر.

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِى الْحِلْيَةِ) فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض

المكيين والكوفيين (أَوْ مَنْ يَنْشَأُ) بفتح الياء والتخفيف من نشأ ينشأ . وقرأته عامة قرّاء الكوفة (يُنَشَّأُ) بضم الياء وتشديد الشين من نُشّأته فهو ينَشَّأ .

❁ والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان فى قرأة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، لأن المنشّأ من الإنشاء ناشئ ، والناشئ منشأ ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . وقد ذُكر أن ذلك فى قراءة عبدالله (أَوْ مَنْ لايُنَشَّأُ إلاَّ فِى الْحِلْيَةِ) ، وفى «من» وجوه من الإعراب الرفع على الاستئناف والنصب على إضمار يجعلون كأنه قيل : أو من ينشأ فى الحلية يجعلون بنات الله . وقد يجوز النصب فيه أيضا على الردّ على قوله : أم اتخذ مما يخلق بنات أو من ينشأ فى الحلية ، فيردّ «من» على البنات ، والخفض على الردّ على « ما » التى فى قوله (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ ١٩

❁ يقول تعالى ذكره : وجعل هؤلاء المشركون بالله ملائكته الذين هم عباد الرحمن .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة (الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ) بالنون ، فكأنهم تأوّلوا فى ذلك قول الله جلّ ثناؤه : (إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لايَسْتَكْبِرُونَ) فتأويل الكلام على هذه القراءة : وجعلوا ملائكة الله الذين هم عنده يسبحونه ويقدّسونه إناثا ، فقالوا : هم بنات الله جهلا منهم بحقّ الله ، وجرأة منهم على قيل الكذب والباطل . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إناثا) بمعنى : جمع عبد . فمعنى الكلام على قراءة هؤلاء : وجعلوا ملائكة الله الذين هم خلقه وعباده بنات الله ، فأنثوهم بوصفهم إياهم بأنهم إناث .

❁ والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان فى قرأة الأمصار صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وذلك أن الملائكة عباد الله وعنده .

واختلفوا أيضا فى قراءة قوله (أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ) فقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة (أُشْهِدُوا خَلْقَهُمْ) بضم الألف ، على وجه مالم يسمّ فاعله ، بمعنى : أأشهد الله هؤلاء المشركين الجاعلين ملائكة الله إناثا ، خلق ملائكته الذين هم عنده ، فعلموا ما هم ، وأنهم إناث ، فوصفوهم بذلك ، لعلمهم بهم ، وبرؤيتهم إياهم ، ثم رُدّ ذلك إلى مالم يسمّ فاعله . وقُرئ بفتح الألف ، بمعنى : أشهدوا هم ذلك فعلموه ؟

❁ والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ) يقول تعالى ذكره : ستكتب شهادة هؤلاء القائلين : الملائكة بنات الله فى الدنيا ، بما شهدوا به عليهم ، ويُسئلون عن شهادتهم تلك فى الآخرة أن يأتوا ببرهان على حقيقتها ، ولن يجدوا إلى ذلك سبيلا :

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ۝﴾

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون من قريش: لوشاء الرحمن ما عبدنا أوثاننا التي نعبدها من دونه، وإنما لم يحلّ بنا عقوبة على عبادتنا إياها لرضاه منا بعبادتناها.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (لَوْ شاءَ الرَّحْمَنُ ما عَبَدْناهُمْ) للأوثان يقول الله عزّ وجلّ (ما لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ) يقول: ما لهم بحقيقة ما يقولون من ذلك من علم، وإنما يقولونه تخرّصا وتكذّبا، لأنهم لاخبر عندهم مني بذلك ولا بُرْهان. وإنما يقولونه ظناوحسبانا (إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ) يقول: ما هم إلا متخرّصون هذا القول الذى قالوه، وذلك قولهم (لَوْ شاءَ الرَّحْمَنُ ما عَبَدْناهُمْ).

وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنا الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ) مايعلمون قُدرة الله على ذلك.

وقوله (أَمْ آتَيْناهُمْ كِتابا مِنْ قَبْلِهِ) يقول تعالى ذكره ما(١) آتينا هؤلاء المتخرّصين القائلين لوشاء الرحمن ما عبدنا الآلهة كتابا بحقيقة مايقولون من ذلك، من قبل هذا القرآن الذى أنزلناه إليك يامحمد (فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ) يقول: فهم بذلك الكتاب الذى جاءهم من عندى من قبل هذا القرآن، مستمسكون يعملون به، ويدينون بما فيه، ويحتجون به عليك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ۝﴾

يقول تعالى ذكره: ما آتينا هؤلاء القائلين: لوشاء الرحمن ماعبدنا هؤلاء الأوثان بالأمر بعبادتها، كتابا من عندنا، ولكنهم قالوا: وجدنا آباءنا الذين كانوا قبلنا يعبدونها، فنحن نعبدها كما كانوا يعبدونها؛ وعنى جلّ ثناؤه بقوله (بَلْ(٢) وَجَدْنا آباءَنا على أُمَّةٍ) بل وجدنا آباءنا على دين وملة، وذلك هو عبادتهم الأوثان.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

(١) ما: ساقطة من المطبوعة.

(٢) التلاوة: (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة).

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (على أُمَّةٍ) : مِلَّة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا على أُمَّةٍ) يقول : وجدنا آباءنا على دين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا على أُمَّةٍ) قال : قد قال ذلك مشركو قريش : إنا وجدنا آباءنا على دين .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط عن السدىّ (قالُوا إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا على أُمَّةٍ) قال : على دين .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (على أُمَّةٍ) فقرأته عامة قرّاء الأمصار (على أُمَّةٍ) بضم الألف بالمعنى الذى وصفت من الدين والملة والسنة . وذُكر عن مجاهد وعمر بن عبد العزيز أنهما قرآه (على إِمَّةٍ) بكسر الألف . وقد اختُلف فى معناها إذا كُسرت ألفها ، فكان بعضهم يوجه تأويلها إذا كُسرت على أنها الطريقة وأنها مصدر من قول القائل : أممت القوم فأنا أؤمهم إمَّة . وذُكر عن العرب سماعا : ما أحسن عمته وإمته وجلسته إذا كان مصدرا . ووجهه بعضهم إذا كُسرت ألفها إلى أنها الإمة التى بمعنى النعيم والمُلك ، كما قال عدىّ ابن زيد :

ثُمَّ بَعْدَ الفَلاحِ وَالمُلْكِ والإِمَّـــة وَارَتْهُمْ هُناكَ القُبُـــورُ [1]

وقال : أراد إمامة الملك ونعيمه . وقال بعضهم : (الأُمَّة بالضم ، والإِمَّة بالكسر بمعنى واحد) .

✲ والصواب من القراءة فى ذلك الذى لا أستجيز غيره : الضمّ فى الألف لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار عليه . وأما الذين كسروها فإنى لا أراهم قصدوا بكسرها إلا معنى الطريقة والمنهاج ، على ما ذكرناه قبلُ ، لا النعمة والملك ، لأنه لا وجه لأن يقال : إنا وجدنا آباءنا على نعمة ونحن لهم متبعون فى ذلك ، لأن الاتباع إنما يكون فى الملل والأديان وما أشبه ذلك لا فى الملك والنعمة ، لأن الاتباع فى الملك ليس بالأمر الذى يصل إليه كلّ من أراده .

وقوله (وَإِنَّا على آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ) يقول : وإنا على آثار آبائنا فيما كانوا عليه من دينهم مهتدون ، يعنى : لهم متبعون على منهاجهم .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَإِنَّا على آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ) يقول : وإنا على دينهم .

---

(١) البيت لعدى بن زيد العبادى (اللسان : أمم) وهو من شواهد الفراء فى معانى القرآن ، عند قوله تعالى « إنا وجدنا آباءنا على أمة » (الورقة ٢٩٤) قال : قرأها القراء بضم الألف من « أمة » ، وكسرها مجاهد ، وعمر بن عبد العزيز . وكأن الإمة : الطريقة ، والمصدر من أممت القوم ؛ فإن العرب تقول : ما أحسن إمته وعمته وجلسته ، إذا كان مصدرا . والأمة أيضا : الملك والنعيم . قال عدى : ثم بعد الفلاج . . . البيت » . فكأنه أراد إمامة الملك ونعيمه . اهـ . وفى اللسان : والأمة (بالضم) والكسر الدين . والإمة (بالكسر) لغة فى الأمة (بالضم) وهى الطريقة والدين . اهـ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (وَإِنَّا على آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ) يقول : وإنا متبعوهم على ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾

يقول تعالى ذكره : وهكذا كما فعل هؤلاء المشركون من قريش فعل من قبلهم من أهل الكفر بالله ، وقالوا مثل قولهم ، لم نرسل مِن قبلك يامحمد فى قرية ، يعنى إلى أهلها رسلا تنذرهم عقابنا على كفرهم بنا فأنذروهم وحذّروهم سخطنا ، وحلول عقوبتنا بهم (إلاّ قال مُتْرَفوها) ، وهم رؤساؤهم وكبراؤهم .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إلاّ قالَ مُتْرَفُوها) قال رؤساؤهم وأشرافهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وكَذلكَ ما أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إلاّ قالَ مُتْرَفُوها) قادتهم ورءوسهم فى الشرك .

وقوله (إنَّا وَجَدْنا آباءَنا على أُمَّةٍ) يقول : قالوا : إنا وجدنا آباءنا على ملة ودين (وَإنَّا على آثارِهِمْ) يعنى : وإنا على منهاجهم وطريقتهم مقتدون بفعلهم نفعل كالذى فعلوا ، ونعبد ما كانوا يعبدون ؛ يقول جلّ ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم : فإنماسلك مشركو قومك منهاج من قبلهم من إخوانهم من أهل الشرك بالله فى إجابتهم إياك بما أجابوك به ، وردّهم ما ردّوا عليك من النصيحة ، واحتجاجهم بما احتجوا به لمُقامهم على دينهم الباطل .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإنَّا على آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ) قال بفعلهم

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإنَّا على آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ) فاتبعوهم على ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ۖ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك ، القائلين إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون (أوَلَوْ جِئْتُكُمْ) أيها القوم من عند ربكم (بأَهْدَى) إلى طريق الحقّ ، وأدلّ لكم على سبيل الرشاد (مِمَّا وَجَدْتُمْ) أنتم عليه آباءكم من الدين والمِلّة ،

(قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) يقول : فقال ذلك لهم ، فأجابوه بأن قالوا له كما قال الذين من قبلهم من الأمم المكذّبة رسلها لأنبيائها : إنا بما أرسلتم به ياأيها القوم كافرون ، يعني : جاحدون منكرون . وقرأ ذلك قرّاء الأمصار سوى أبي جعفر (قُلْ أَوَ لَوْ جِئْتُكُمْ) بالتاء . وذُكر عن أبي جعفر القارئ أنه قرأه (قُلْ أَوَ لَوْ جِئْنَاكُمْ) بالنون والألف . والقراءة عندنا ما عليه قرّاء الأمصار لإجماع الحجة عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾

❁ يقول تعالى ذكره : فانتقمنا من هؤلاء المكذّبة رسلها من الأمم الكافرة بربها ، بإحلالنا العقوبة بهم ، فانظر يامحمد كيف كان عقبي أمرهم ، إذ كذّبوا بآيات الله . ويعني بقوله (عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) آخر أمر الذين كذّبوا رسل الله إلام صار ، يقول : ألم نهلكهم فنجعلهم عبرة لغيرهم ؟

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) قال : شرّ والله ، أخذهم بخسف وغرق ، ثم أهلكهم فأدخلهم النار .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾

❁ يقول تعالى ذكره : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ) الذين كانوا يعبدون مايعبده مشركو قومك يامحمد (إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ) من دون الله ، فكذّبوه ، فانتقمنا منهم كما انتقمنا ممن قبلهم من الأمم المكذّبة رسلها . وقيل : (إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ) فوضع البراء وهو مصدر موضع النعت ، والعرب لاتثنى البراء ولا تجمع ولا تؤنث ، فتقول : نحن البراء والخلاء لما ذكرت أنه مصدر ، وإذا قالوا : هو برىء منك ثنوا وجمعوا وأنثوا ، فقالوا : هما بريئان منك ، وهم بريئون منك . وذُكر أنها في قراءة عبد الله : (إِنَّنِي بَرِيءٌ) بالياء ، وقد يجمع برىء : براء وأبراء (إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) يقول : إني برىء مما تعبدون من شيء إلا من الذي فطرني ، يعني الذي خلقني (فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ) يقول : فإنه سيقومني للدين الحقّ ، ويوفقني لاتباع سبيل الرشد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ) ... الآية ، قال : كايدهم ، كانوا يقولون : إن الله ربنا (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) ، فلم يبرأ من ربه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ) يقول : إني برىء مما تعبدون (إِلَّا الَّذِي خَلَقَنِي) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إِلاَّ الَّذِى فَطَرَنِى) قال : خلقنى .

وقوله (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ) يقول تعالى ذكره : وجعل قوله (إِنَّنِى بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِى فَطَرَنِى) وهو قول لاإله إلا الله ، كلمة باقية فى عقبه ، وهم ذرّيته ، فلم يزل فى ذرّيته من يقول ذلك من بعده .

واختلف أهل التأويل فى معنى الكلمة التى جعلها خليل الرحمن باقية فى عقبه ، فقال بعضهم : بنحو الذى قلنا فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ) قال : لاإله إلا الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً) قال : شهادة أن لاإله إلا الله ، والتوحيد لم يزل فى ذرّيته من يقولها من بعده .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ) قال : التوحيد والإخلاص ، ولايزال فى ذرّيته من يوحد الله ويعبده .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ) قال : لاإله إلا الله .

وقال آخرون : الكلمة التى جعلها الله فى عقبه اسم الإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ) فقرأ (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ، قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) قال : جعل هذه باقية فى عقبه ، قال : الإسلام ، وقرأ (هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ) فقرأ (وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ) وبنحو ما قلنا فى معنى العقب قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فِى عَقِبِهِ) قال : ولده .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ) قال : يعنى من خلفه .

حدثنى محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فِى عَقِبِهِ) قال : فى عقب إبراهيم آل محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبدالحكم ، قال : ثنا ابن أبى فديك ، قال : ثنا ابن أبى ذئب ، عن ابن شهاب أنه كان يقول : العقب : الولد ، وولد الولد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (فى عَقِبِهِ) قال : عقبه : ذرّيته .

وقوله (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يقول: ليرجعوا إلى طاعة ربهم ، ويثوبوا إلى عبادته ، ويتوبوا من كفرهم وذنوبهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة(لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) : أى يتوبون ، أو يذّكرون .

القول في تأويل قوله تعالى:

بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾

يقول تعالى ذكره : (بَلْ مَتَّعْتُ) يامحمد (هَؤُلاءِ) المشركين من قومك (وَآباءَهُمْ) من قبلهم بالحياة ، فلم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم (حتى جاءَهُمُ الحَقُّ) يعنى جل ثناؤه بالحق : هذا القرآن : يقول : لم أهلكهم بالعذاب حتى أنزلت عليهم الكتاب ، وبعثت فيهم رسولا مبينا . يعنى بقوله (وَرَسُولٌ مُبِينٌ) : محمدا صلى الله عليه وسلم ، والمبين : أنه يبين لهم بالحجج التى يحتج بها عليهم أنه لله رسول محق فيما يقول (وَلَمَّا جاءَهُمُ الحَقُّ) يقول جل ثناؤه : ولما جاء هؤلاء المشركين القرآنُ من عند الله ، ورسول من الله أرسله إليهم بالدعاء إليه (قالُوا هَذَا سِحْرٌ) يقول : هذا الذى جاءنا به هذا الرسول سحر يسحرنا به، ليس بوحى من الله (وَإِنَّا بِهِ كافِرُونَ) يقول : قالوا : وإنا به جاحدون ، ننكر أن يكون هذا من الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَلَمَّا جاءَهُمُ الحَقُّ قالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كافِرُونَ) قال : هؤلاء قريش قالوا للقرآن الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم : هذا سحر .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ

قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون بالله من قريش لما جاءهم القرآن من عندالله : هذا سحر ، فإن كان حقا فهلا نزل على رجل عظيم من إحدى هاتين القريتين مكة أو الطائف .

واختلف فى الرجل الذى وصفوه بأنه عظيم ، فقالوا : هلا نزل عليه هذا القرآن ، فقال بعضهم : هلا نزل على الوليد بن المُغيرة المخزومى من أهل مكة ، أوحبيب بن عمرو بن عمير الثقفى من أهل الطائف ؟

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ قال : يعنى بالعظيم : الوليد بن المغيرة القرشىّ . أو حبيب بن عمرو بن عُمَير الثقفى ، وبالقريتين : مكة والطائف .

وقال آخرون : بل عُنِى به عُتْبةُ بن ربيعة من أهل مكة ، وابن عبد ياليل ، من أهل الطائف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم : قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ﴿ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ قال عتبة بن ربيعة من أهل مكة ، وابن عبد ياليل الثقفى من الطائف .

وقال آخرون : بل عنى به من أهل مكة : الوليد بن المُغيرة ، ومن أهل الطائف : ابن مسعود[1] .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله ﴿ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ قال : الرجل : الوليد بن المغيرة ، قال : لو كان ما يقول محمد حقا أنزل علىّ هذا ، أو على ابن مسعود الثقفى ، والقريتان : الطائف ومكة ، وابن مسعود الثقفى من الطائف اسمه عروة بن مسعود .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ والقريتان : مكة والطائف ؛ قال : قد قال ذلك مشركو قريش ، قال : بلغنا أنه ليس فخذ من قريش إلا قد ادّعته ، وقالوا : هو منا ، فكنا نحدّث أن الرجلين : الوليد بن المغيرة ، وعروة الثقفى أبومسعود ، يقولون : هلا كان أُنزل على أحد هذين الرجلين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب : قال ابن زيد ، فى قوله ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ قال : كان أحد العظيمين عروة بن مسعود الثقفى ، كان عظيم أهل الطائف .

وقال آخرون : بل عنى به من أهل مكة : الوليد بن المغيرة ، ومن أهل الطائف : كنانة بن عبد بن عمرو .

(١) هو عروة بن مسعود الثقفى ، كما تكرر فى الروايات ، لا أبو مسعود ، كما فى هذه الرواية ؛ فلعلها من تحريف الناسخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُرآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) قال : الوليد بن المغيرة القرشى ، وكنانة بن عبد بن عمرو بن عمير ، عظيم أهل الطائف .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال كما قال جلّ ثناؤه ، مخبرا عن هؤلاء المشركين (وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُرآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) إذ كان جائزا أن يكون بعض هؤلاء ، ولم يضع الله تبارك وتعالى لنا الدلالة على الذين عُنُوا منهم فى كتابه ، ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، والاختلاف فيه موجود على ما بيَّنت .

وقوله (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ) يقول تعالى ذكره : أهؤلاء القائلون : لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يامحمد ، يقسمون رحمة ربك بين خلقه ، فيجعلون كرامته لمن شاءوا ، وفضله لمن أرادوا ، أم الله الذى يقسم ذلك ، فيعطيه من أحبّ ، ويحرمه مَنْ شاء ؟

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمارة ، عن أبى رَوْق ، عن الضحاك عن ابن عباس ، قال : لما بعث الله محمدا رسولا ، أنكرت العرب ذلك ، ومن أنكر منهم ، فقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد ، قال : فأنزل الله عزّ وجلّ : (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ) وقال (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ ، فاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) يعنى : أهل الكتب الماضية ، أبشرا كانت الرسل التى أتتكم أم ملائكة ؟ فإن كانوا ملائكة أتتكم ، وإن كانوا بشرا فلا تنكرون أن يكون محمد رسولا : قال : ثم قال : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ القُرَى) : أى ليسوا من أهل السماء كما قلتم ، قال : فلما كرّر الله عليهم الحجج قالوا ، وإذ كان بشرا فغير محمد كان أحقّ بالرسالة فـ(لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُرآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) يقولون : أشرف من محمد صلى الله عليه وسلم ، يعنون الوليد بن المغيرة المخزومى ، وكان يسمى ريحانة قريش ، هذا من مكة ، ومسعود بن عمرو بن عبيدالله الثقفى من أهل الطائف ، قال : يقول الله عزّ وجلّ ردّا عليهم (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ) أنا أفعل ما شئت .

وقوله (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا) يقول تعالى ذكره : بل نحن نقسم رحمتنا وكرامتنا بين من شئنا من خلقنا ، فنجعل من شئنا رسولا ، ومن أردنا صديقا ، ونتخذ من أردنا خليلا ، كما قسمنا بينهم معيشتهم التى يعيشون بها فى حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات ، فجعلنا بعضهم فيها أرفع من بعض درجة ، بل جعلنا هذا غنيا ، وهذا فقيرا ، وهذا ملكا ، وهذا مملوكا (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الله تبارك وتعالى (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا) فتلقاه ضعيف الحيلة ، عيي اللسان ، وهومبسوط له فى الرزق ، وتلقاه شديد الحيلة ، سليط اللسان ، وهومقتور عليه ، قال الله جلّ ثناؤه : (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا) كما قسم بينهم صورهم وأخلاقهم تبارك ربنا وتعالى .

وقوله (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) يقول : ليستسخر هذا هذا فى خدمته إياه ، وفى عود هذا على هذا بما فى يديه من فضل ، يقول : جعل تعالى ذكره بعضا لبعض سببا فى المعاش فى الدنيا .

وقد اختلف أهل التأويل فيما عنى بقوله (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) فقال بعضهم : معناه ما قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) قال : يستخدم بعضهم بعضا فى السخرة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) قال : هم بنو آدم جميعا ، قال : وهذا عبد هذا ، ورفع هذا على هذا درجة ، فهو يسخره بالعمل ، يستعمله به ، كما يقال : سخر فلان فلانا .

وقال بعضهم : بل عنى بذلك : ليملك بعضهم بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، فى قوله (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) يعنى بذلك : العبيد والخدم سخر لهم .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) ملكة .

وقوله (وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) يقول تعالى ذكره : ورحمة ربك يا محمد بإدخالهم الجنة خير لهم مما يجمعون من الأموال فى الدنيا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) يعنى الجنة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَرَحْمَةُ رَبِّكَ) يقول : الجنة خير مما يجمعون فى الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾

يقول تعالى ذكره : (وَلَوْلا أن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً) : جماعة واحدة .

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى لم يؤمن اجتماعهم عليه ، لوفعل ما قال جل ثناؤه ، وما به لم يفعله من أجله ، فقال بعضهم : ذلك اجتماعهم على الكفر . وقال : معنى الكلام : ولولا أن يكون الناس أمة واحدة على الكفر ، فيصير جميعهم كفارا (لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بالرَّحمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ)

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْلا أنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) يقول الله سبحانه : لولا أن أجعل الناس كلهم كفارا ، لجعلت للكفار لبيوتهم سقفا من فضة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة بن خليفة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (وَلَوْلا أنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) قال : لولا أن يكون الناس كفارا أجمعون ، يميلون إلى الدنيا ، لجعل الله تبارك وتعالى الذى قال ، ثم قال : والله لقد مالت الدنيا بأكثر أهلها ، وما فعل ذلك ، فكيف لو فعله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْلا أنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) : أى كفارا كلهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَوْلا أنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) قال : لولا أن يكون الناس كفارا .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَلَوْلا أنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) يقول : كفارا على دين واحد .

وقال آخرون : اجتماعهم على طلب الدنيا وترك طلب الآخرة . وقال : معنى الكلام : ولولا أن يكون الناس أمة واحدة على طلب الدنيا ورفض الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَوْلا أنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) قال : لولا أن يختار الناس دنياهم على دينهم ، لجعلنا هذا لأهل الكفر .

وقوله (لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بالرَّحْمَن لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ) يقول تعالى ذكره : لجعلنا لمن يكفر بالرحمن فى الدنيا سقفا ، يعنى أعالى بيوتهم ، وهى السطوح فضة .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ) السقف : أعلى البيوت .

واختلف أهل العربية فى تكرير اللام التى فى قوله (لِمَنْ يَكْفُرُ) ، وفى قوله (لِبُيُوتِهِمْ) ، فكان بعض نحويى البصرة يزعم أنها أدخلت فى البيوت على البدل . وكان بعض نحويى الكوفة يقول : إن شئت جعلتها فى (لِبُيُوتِهِمْ) مكررة ، كما فى (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ) ، وإن شئت جعلت اللامين مختلفتين ، كأن الثانية فى معنى على ، كأنه قال : جعلنا لهم على بيوتهم سقفا . قال : وتقول العرب للرجل فى وجهه : جعلت لك لقومك الأعطية : أى جعلته من أجلك لهم .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (سَقْفًا) فقرأته عامة قرّاء أهل مكة وبعض المدنيين وعامة البصريين (سَقْفًا) بفتح السين وسكون القاف اعتبارا منهم ذلك بقوله (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) وتوجيها منهم ذلك إلى أنه بلفظ واحد معناه الجمع . وقرأه بعض قرّاء المدينة وعامة قرّاء الكوفة (سُقُفًا) بضم السين والقاف ، ووجّهوها إلى أنها جمع سقيفة أو سقوف . وإذا وجهت إلى أنها جمع سقوف كانت جمع الجمع ، لأن السقوف : جمع سقف ، ثم تجمع السقوف سقفا ، فيكون ذلك نظير قراءة من قرأه (فرُهُنٌ مَقْبُوضَةٌ) بضم الراء والهاء ، وهى الجمع ، واحدها رهان ورهون ، وواحد الرهون والرهان : رهن . وكذلك قراءة من قرأ (كُلُوا مِنْ ثُمُرِهِ) بضم الثاء والميم ، ونظير قول الراجز :

* حتى إذَا ابْتَلَّتْ حَلاقِيمُ الحُلُقْ[1] *

وقد زعم بعضهم أن السُّقُف بضم السين والقاف جمع سقف ، والرُّهُن بضم الراء والهاء جمع رهن ، فأغفل وجه الصواب فى ذلك ، وذلك أنه غير موجود فى كلام العرب اسم على تقدير فعل بفتح الفاء وسكون العين مجموعا على فعل ، فيجعل السُّقُف والرُّهُن مثله .

(١) البيت فى (اللسان : حلق) ، ولم ينسبه ، ولعله لرؤبة . قال : الحلق : مساغ الطعام والشراب فى المرىء ، والجمع القليل : أحلاق والكثير : حلوق ، وحلق . الأخيرة ككتب عزيزة . أنشد الفارسى : * حتى إذا ابتلت حلاقيم الحلق *
وفى معانى القرآن للفراء (الورقة ٢٩٥) قال عند قوله تعالى : « لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا » : والسقف قرأها عاصم والأعمش «سقفا» (أى بضم السين والقاف) . وإن شئت جعلت واحدها « سقيفة » ، وإن شئت جعلت « سقوفا » ، فيكون جمع الجمع ، كما قال الشاعر :

* حتى إذَا بُلَّتْ حَلاقِيمُ الحُلُقْ *
* أهْوَى لأدْنَى فَقْرَةٍ عَلَى شَفَقْ *

ومثله قراءة من قرأ : « كلوا من ثمره » (بضم الثاء والميم) ، وهو جمع ، وواحده : ثمار . وكقول من قرأ : « فرهن مقبوضة » واحدها « رهان » و « رهون » . اهـ .

والصواب من القول فى ذلك عندى ، أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، معروفتان فى قرأة الأمصار ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) يقول : ومراقى ودَرَجا عليها يصعدون ، فيظهرون على السقف والمعارج : هى الدرج نفسها ، كما قال المثنى بن جندل :

* يارَبَّ رَبَّ البَيْتِ ذى المَعارِجِ[1] *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَمَعَارِجَ) قال : معارج من فضة ، وهى درج .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) : أى دَرَجا عليها يصعدون .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) قال : المعارج : المراقى .

حدثنا محمد ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) قال : دُرُج عليها يرفعون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) قال : درج عليها يصعدون إلى الغرف .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) قال : المعارج : درج من فضة .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ۝ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : وجعلنا لبيوتهم أبوابا من فضة ، وسُرُرا من فضة .

كما حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، وسُرُرا قال : سرر فضة .

---

(١) البيت نسبه المؤلف إلى المثنى بن جندل . ونسبه أبو عبيدة فى مجاز القرآن ، (الورقة ٢٢٠ — ب) إلى جندل بن المثنى ، وهو الصواب ، وهو جندل بن المثنى الطهوى ، كما فى سمط اللآلى (٧٠٢) . والمعارج : جمع معراج ، وهى كما فى (اللسان : عرج) المصاعد والدرج . واستشهد به المؤلف عند قوله تعالى : « ومعارج عليها يظهرون » . قال أبو عبيدة : المعارج : الدرج . قال جندل ابن المثنى :

* يارب رب البيت ذى المعارج *

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ) قال : الأبواب من فضة ، والسرر من فضة عليها يتكئون ، يقول : على السرر يتكئون .

وقوله (وَزُخْرُفًا) يقول : وبجعلنا لهم مع ذلك زخرفا ، وهو الذهب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس (وَزُخْرُفًا) وهو الذهب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَزُخْرُفًا) قال : الذهب . وقال الحسن : بيت من زُخرف ، قال : ذهب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَزُخْرُفًا) الزخرف : الذهب ، قال : قد والله كانت تكره ثياب الشهرة . وذُكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إيَّاكُمْ والحُمْرَةَ فإنَّها مِنْ أحَبِّ الزِّينَةِ إلى الشَّيْطانِ » .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَزُخْرُفًا) قال : الذهب .

حدثنا أحمد [1] قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَزُخْرُفًا) قال : الذهب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَزُخْرُفًا) لجعلنا هذا لأهل الكفر ، يعنى لبيوتهم سقفا من فضة وما ذكر معها . قال : والزخرف سمى هذا الذى سمى السقف ، والمعارج والأبواب والسرر من الأثاث والفرش والمتاع .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَزُخْرُفًا) يقول : ذهبا . والزخرف على قول ابن زيد : هذا هو ما تتخذه الناس فى منازلهم من الفرش والأمتعة والآلات .

وفى نصب الزخرف وجهان : أحدهما : أن يكون معناه : لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومن زخرف ، فلما لم يكرّر عليه من نصب على إعمال الفعل فيه ذلك ، والمعنى فيه ، فكأنه قيل : وزخرفا يجعل ذلك لهم منه . والوجه الثانى : أن يكون معطوفا على السرر ، فيكون معناه : لجعلنا لهم هذه الأشياء من فضة ، وجعلنا لهم مع ذلك ذهبا يكون لهم غنى يستغنون بها ، ولو كان التنزيل جاء بخفض الزخرف لكان : لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومن زخرف ، فكان الزخرف يكون معطوفا على الفضة . وأما المعارج فإنها جُمعت على مفاعل ، وواحدها معراج ، على جمع مِعرج ، كما يجمع المفتاح مفاتح على جمع مفتح ، لأنهما لغتان : معرج ، ومفتح ، ولو جمع معاريج كان صوابا ، كما يجمع المفتاح مفاتيح ، إذ كان واحده معراج .

(١) يظهر أن هذا مكرر .

وقوله (وَإِنْ كُلُّ ذلكَ لَمَّا مَتاعُ الحَياةِ الدُّنْيا) يقول تعالى ذكره : وما كلّ هذه الأشياء التى ذكرت من السقف من الفضة والمعارج والأبواب والسرر من الفضة والزخرف ، إلا متاع يستمتع به أهل الدنيا فى الدنيا (وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) يقول تعالى ذكره : وزين الدار الآخرة وبهاؤها عند ربك للمتقين ، الذين اتقوا الله فخافوا عقابه ، فجدّوا فى طاعته ، وحذروا معاصيه خاصة دون غيرهم من خلق الله :

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) خصوصا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى ذكره : ومن يعرض عن ذكر الله فلم يخف سطوته ، ولم يخش عقابه (نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطانا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) يقول : نجعل له شيطانا يغويه فهو له قرين : يقول : فهو للشيطان قرين ، أى يصير كذلك ، وأصل العشو : النظر بغير ثبت لعلة فى العين ، يقال منه : عشا فلان يعشو عشوا وعشوًّا : إذا ضعف بصره ، وأظلمت عينه ، كأن عليه غشاوة ، كما قال الشاعر :

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِ   تَجِدْ حَطَبا جَزْلاً وَنارًا تَأَجَّجا[1]

يعنى : متى تفتقر فتأته يعنك . وأما إذا ذهب البصر ولم يبصر ، فإنه يقال فيه : عَشِيَ فلان يَعْشَى عَشًى منقوص ، ومنه قول الأعشى :

(١) هذا بيت مركب من شطرين من بيتين مختلفين ؛ فصدره للحطيئة من قصيدة مدح بها بغيض بن عامر بن شماس بن لأى بن أنف الناقة التميمى . وعجزه من بيت لعبد بن الحر من قصيدة قالها وهو فى حبس مصعب بن الزبير فى الكوفة وبيت الحطيئة بتمامه كما فى (خزانة الأدب الكبير للبغدادى ٣ : ٦٦٢) :

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِ   تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَها خَيْرُ مُوقِدِ

وبيت عبد الله بن الحر بتمامه هو ، كما فى (الخزانة ٣ : ٦٦٣) :

مَتَى تَأْتِنا تُلْمِمْ بِنا فِى دِيارِنا   تَجِدْ حَطَبا جَزْلاً وَنارًا تَأَجَّجا

واستشهد المؤلف بالبيت عند قوله تعالى « ومن يعش عن ذكر الرحمن » . قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٢٠) : أى تظلم عينه منه ، كأن عليها غشاوة . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٩٥) : يريد : ومن يعرض عنه . ومن قرأها « ومن يعش » بفتح الشين ، فمعناه : من يعم عنه . وقال القتيبى (اللسان : عشى) » معنى قوله « ومن يعش عن ذكر الرحمن » أى يظلم بصره . قال : وهذا قول أبى عبيدة . ثم ذهب يرد قول الفراء ويقول : لم أر أحدا يجيزه : عشوت عن الشىء : أعرضت عنه . إنما يقال : تعاشيت عن الشىء : أى تغافلت عنه ؛ كأنى لم أره . وكذلك تعاميت . قال : وعشوت إلى النار : أى استدللت عليها ببصر ضعيف . وقال الأزهرى يرد كلام ابن قتيبة : أغفل القتيبى موضع الصواب ، واعترض مع غفلته على الفراء . والعرب تقول : عشوت إلى النار أعشو عشوا ، أى قصدتها مهتديا . وعشوت عنها : أى أعرضت عنها . فيفرقون بين إلى وعن موصولين بالفعل . اهـ .

رأتْ رَجُلاً غائِبَ الوَافِدَيْنِ　　مُخْتَلِفَ الخَلْقِ أعْشَى ضَرِيرًا [١]

يقال منه : رجل أعشى وامرأة عشواء . وإنما معنى الكلام : ومن لاينظر فى حجج الله بالإعراض منه عنه إلا نظرا ضعيفا ، كنظر من قد عَشِيَ بصره (نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطانا) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطانا) يقول : إذا أعرض عن ذكر الله نقيض له شيطانا (فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ) قال : يعرض .

وقد تأوّله بعضهم بمعنى : ومن يعمَ ، ومن تأوّل ذلك كذلك ، فيجب أن تكون قراءته (وَمَنْ يَعْشَ) بفتح الشين على ما بيَّنت قبل .

ذكر من تأوّله كذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ) قال : من يعمَ عن ذكر الرحمن .

وقوله (وإنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) يقول تعالى ذكره : وإن الشياطين ليصدّون هؤلاء الذين يعشون عن ذكر الله ، عن سبيل الحقّ ، فيزينون لهم الضلالة ، ويكرّهون إليهم الإيمان بالله ، والعمل بطاعته (وَيَحْسَبُونَ أنَّهُمْ مُهْتَدُونَ) يقول : ويظنّ المشركون بالله بتحسين الشياطين لهم ما هم عليه من الضلالة ، أنهم على الحقّ والصواب ، يخبر تعالى ذكره عنهم أنهم من الذى هم عليه من الشرك على شكّ وعلى غير بصيرة . وقال جلّ ثناؤه : (وإنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) فأخرج ذكرهم مخرج ذكر الجميع ، وإنما ذُكر قبل واحدا ، فقال : (نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطانا) لأن الشيطان وإن كان لفظه واحدا ، ففى معنى جمع .

القول فى تأويل قوله تعالى :

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (حتى إذا جاءَنا) فقرأته عامة قرّاء الحجاز سوى ابن محيصن ، وبعض

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة ، ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة ٩٥) الضمير فى رأت يعود على امرأة ذكرها من أول القصيدة ، وسماها ليلى . و الوافدان : العينان . ومختلف الخلق : غيرته السن والأحداث عما عهدته عليه من النضرة والقوة . و الأعشى الذى به سوء فى عينيه ، أو هو الذى لا يبصر ليلا ، أو هو الأعمى . وهو الأقرب لقوله بعده « ضريرا » . وفعله عشى يعشى عشا ، مثل عمى يعمى . وهو غير عشا إلى الشيء يعشو إذا نظر إليه وأقبل عليه ؛ أو عشا عنه يعشو عشا : إذا أعرض عنه ، كما بيناه فى الشاهد الذى قبله . اهـ .

الكوفيين وبعض الشاميين (حتّى إذَا جاءنا) على التثنية بمعنى: حتى إذا جاءنا هذا الذى عَشِىَ عن ذكر الرحمن، وقرينه الذى قيض له من الشياطين. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة وابن محيصن: (حتّى إذَا جاءَنا) على التوحيد، بمعنى: حتى إذا جاءنا هذا العاشى من بنى آدم عن ذكر الرحمن.

والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان متقاربتا المعنى وذلك أنّ فى خبر الله تبارك وتعالى عن حال أحد الفريقين عند مقدمه عليه فيما أقرنا فيه فى الدنيا، الكفاية للسامع عن خبر الآخر، إذ كان الخبر عن حال أحدهما معلوما به خبر حال الآخر، وهما مع ذلك قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: حتى إذا جاءَانا هو وقرينه جميعا.

وقوله (يا لَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ) يقول تعالى ذكره: قال أحد هذين القرينين لصاحبه الآخر: وددت أن بينى وبينك بعد المشرقين: أى بُعد ما بين المشرق والمغرب، فغلب اسم أحدهما على الآخر، كما قيل: شبه القمرين، وكما قال الشاعر:

أخَذْنا بآفاقِ السَّماءِ عَلَيْكُمُ لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ[1]

وكما قال الآخر:

فَبَصْرَةُ الأزْدِ مِنَّاوالعِرَاقُ لَنا والمَوْصِلانِ وَمِنَّا مِصْرُ والحَرَمُ[2]

يعنى: الموصل والجزيرة، فقال: الموصلان، فغلب الموصل.

وقد قيل: عنى بقوله (بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ): مشرق الشتاء، ومشرق الصيف، وذلك أن الشمس تطلع فى الشتاء من مشرق، وفى الصيف من مشرق غيره؛ وكذلك المغرب تغرب فى مغربين مختلفين، كما قال جلّ ثناؤه: (رَبُّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ المَغْرِبَيْنِ).

وذُكر أن هذا قول أحدهما لصاحبه عند لزوم كل واحد منهما صاحبه حتى يورده جهنم.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن سعيد الجريرى، قال: بلغنى أن الكافر إذا بُعث يوم القيامة من قبره، سفعَ بيده الشيطان، فلم يفارقه حتى يصيرهما الله إلى النار، فذلك حين

(١) البيت للفرزدق (ديوانه طبعة الصاوى ٥١٩). قال: وقمراها: الشمس والقمر، ثناهما تغليبا. ورواه المبرد فى الكامل: «أخذنا بأطراف» فى موضع، ورواه فى آخر بآفاق. اهـ. واستشهد به المؤلف عند قوله تعالى: «ياليت بينى وبينك بعد المشرقين»: أى بعد ما بين المشرق والمغرب. وأخذ كلامه من كلام الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٩٥) قال الفراء: يريد ما بين مشرق الشتاء ومشرق الصيف. ويقال إنه أراد المشرق والمغرب، فقال: المشرقين، وهو أشبه الوجهين بالصواب؛ لأن العرب قد تجمع الاسمين، على تسمية أشهرهما فيقال: جاءك الزهدمان، وإنما أحدهما زهدم (أى والآخر: كردم العبسيان كما تقدم فى شاهد سابق) وقال الشاعر: «أخذنا بآفاق السماء... البيت».

(٢) هذا الشاهد فى معنى الذى قبله استشهد به الفراء أيضا فى معانى القرآن كسابقه، على أن الشيئين المختلفى اللفظ، قد يجمعان بلفظ واحد، فيقال البصرتان، للبصرة والكوفة، والموصلان للموصل والجزيرة. وكل هذا من باب تغليب الأشهر من اللفظين على الآخر. قال: وأنشدنى رجل من طيىء: «فبصرة الأزد منا... البيت» يريد الجزيرة والموصل.

يقول : ياليت بينى وبينك بعد المشرقين ، فبئس القرين . وأما المؤمن فيوكل به ملك فهو معه حتى قال : إما يفصل بين الناس ، أو نصير إلى ما شاء الله .

وقوله (وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ) أيها العاشون عن ذكر الله فى الدنيا (إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) يقول : لن يخفف عنكم اليوم من عذاب الله اشتراككم فيه ، لأن لكل واحد منكم نصيبه منه ، و « أنّ » من قوله (أَنَّكُمْ) فى موضع رفع لما ذكرت أن معناه : لن ينفعكم اشتراككم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ۝ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ۝

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ) : من قد سلبه الله استماع حججه التى احتجّ بها فى هذا الكتاب فأصمه عنه ، أو تهدى إلى طريق الهدى من أعمى الله قلبه عن إبصاره ، واستحوذ عليه الشيطان ، فزيّن له الردى (وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) يقول : أو تهدى من كان فى جور عن قصد السبيل ، سالك غير سبيل الحقّ ، قد أبان ضلاله أنه عن الحقّ زائل ، وعن قصد السبيل جائر : يقول جلّ ثناؤه : ليس ذلك إليك ، إنما ذلك إلى الله الذى بيده صرف قلوب خلقه كيف شاء ، وإنما أنت منذر ، فبلغهم النذارة .

وقوله (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) اختلف أهل التأويل فى المعنيين بهذا الوعيد ، فقال بعضهم : عُنى به أهل الإسلام من أمة نبينا عليه الصلاة والسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سوار بن عبد الله العنبرى ، قال : ثنى أبى ، عن أبى الأشهب ، عن الحسن ، فى قوله (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) قال : لقد كانت بعد نبىّ الله نقمة شديدة ، فأكرم الله جلّ ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يريه فى أمته ما كان من النقمة بعده .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) فذهب الله بنبيه صلى الله عليه وسلم ، ولم ير فى أمته إلا الذى تقرّ به عينه ، وأبقى الله النقمة بعده ، وليس من نبىّ إلا وقد رأى فى أمته العقوبة ، أو قال ما لا يشتهى . ذُكر لنا أن النبىّ صلى الله عليه وسلم أُرى الذى لقيت أمته بعده ، فما زال منقبضا ما انبسط ضاحكا حتى لقى الله تبارك وتعالى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : تلا قتادة (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) فقال : ذهب النبىّ صلى الله عليه وسلم وبقيت النقمة ، ولم ير الله نبيه صلى الله عليه وسلم فى أمته شيئا يكرهه حتى مضى ، ولم يكن نبىّ قطّ إلا رأى العقوبة فى أمته ، إلا نبيكم صلى الله عليه وسلم . قال : وذُكر لنا أن النبىّ صلى الله عليه وسلم أُرى ما يصيب أمته بعده ، فما رؤى ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله .

وقال آخرون : بل عنى به أهل الشرك من قريش ، وقالوا : قد أرى الله نبيه عليه الصلاة والسلام فيهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (فإمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فإنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) كما انتقمنا من الأمم الماضية (أوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِى وَعَدْنَاهُمْ) فقد أراه الله ذلك وأظهره عليه وهذا القول الثانى أولى التأويلين فى ذلك بالصواب وذلك أن ذلك فى سياق خبر الله عن المشركين فلأن يكون ذلك تهديدا لهم أولى من أن يكون وعيدا لمن لم يجر له ذكر . فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك : فإن نذهب بك يامحمد من بين أظهر هؤلاء المشركين ، فنخرجك من بينهم (فَإنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمونَ) ، كما فعلنا ذلك بغيرهم من الأمم المكذّبة رسلها ، (أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِى وَعَدْنَاهُمْ) يامحمد من الظفر بهم ، وإعلائك عليهم (فَإنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ) أن نظهرك عليهم ، ونخزيهم بيدك وأيدى المؤمنين بك .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ۝

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فتمسك يامحمد بما يأمرك به هذا القرآن الذى أوحاه إليك ربك ، (إنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) ومنهاج سديد ، وذلك هو دين الله الذى أمر به ، وهو الإسلام .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فاسْتَمْسِكْ بالَّذِى أُوحِىَ إلَيْكَ إنَّكَ على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) : أى الإسلام .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فاسْتَمْسِكْ بالَّذِى أُوحِىَ إلَيْكَ إنَّكَ على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وقوله (وَإنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) يقول تعالى ذكره : وإن هذا القرآن الذى أوحى إليك يامحمد الذى أمرناك أن تستمسك به لشرف لك ولقومك من قريش (وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ) يقول : وسوف يسألك ربك وإياهم عما عملتم فيه ، وهل عملتم بما أمركم ربكم فيه ، وانتهيتم عما نهاكم عنه فيه ؟ .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَإنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) يقول : إن القرآن شرف لك .

حدثنى عمرو بن مالك ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَإنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) قال : يقول للرجل : من أنت ؟ فيقول : من العرب ، فيقال : من أىّ العرب ؟ فيقول : من قريش .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) وهو هذا القرآن .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) قال : شرف لك ولقومك ، يعنى القرآن .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) قال : أو لم تكن النبوّة والقرآن الذى أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم ذكرا له ولقومه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا) ومن الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسألتهم ذلك ، فقال بعضهم الذين أُمر بمسألتهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مؤمنو أهل الكتابين : التوراة ، والإنجيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : فى قراءة عبد الله بن مسعود (وَاسْأَلِ الَّذِينَ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ رُسُلَنا) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا) إنها قراءة عبد الله : سل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثناسعيد ، عن قتادة (واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا) يقول : سل أهل التوراة والإنجيل : هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد أن يوحدوا الله وحده ؟ قال : وفى بعض القراءة : واسأل الذين أرسلنا إليهم رسلنا قبلك (أَجَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة فى بعض الحروف (واسْأَلِ الَّذِينَ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا) سل أهل الكتاب : أما كانت الرسل تأتيهم بالتوحيد ؟ أما كانت تأتى بالإخلاص ؟

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا) فى قراءة ابن مسعود (سَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ) يعنى : مؤمنى أهل الكتاب .

وقال آخرون : بل الذين أمر بمسئلتهم ذلك الأنبياء الذين جُمِعوا له ليلة أُسرى به ببيت المقدس .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (واسْئَلْ مَنْ أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ) . . . الآية ، قال : جمعوا له ليلة أُسرى به ببيت المقدس ، فأمهم ، وصلى بهم ، فقال الله له : سلهم ، قال : فكان أشدّ إيمانا ويقينا بالله وبما جاءه من الله أن يسألهم ، وقرأ (فإنْ كُنْتَ فى شَكٍّ مِمَّا أنْزَلْنا إلَيْكَ فاسأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ) قال : فلم يكن فى شكّ ، ولم يسأل الأنبياء ، ولا الذين يقرءون الكتاب . قال : ونادى جبرائيل صلى الله عليه وسلم ، فقلت فى نفسى : الآن يؤمنا أبونا إبراهيم ، قال : فدفع جبرائيل فى ظهرى ، قال : تقدم يامحمد فصلّ ، وقرأ (سُبْحانَ الَّذِى أسْرَى بعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ) . . . حتى بلغ (لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا) .

وأولى القولين بالصواب فى تأويل ذلك ، قول من قال : عنى به : سل مؤمنى أهل الكتابين .

فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يقال : سل الرسل ، فيكون معناه : سل المؤمنين بهم وبكتابهم ؟ قيل : جاز ذلك من أجل أن المؤمنين بهم وبكتبهم أهل بلاغ عنهم ما أتوهم به عن ربهم ، فالخبر عنهم وعما جاءوا به من ربهم إذا صحّ بمعنى خبرهم ، والمسئلة عما جاءوا به بمعنى مسألتهم إذا كان المسئول من أهل العلم بهم والصدق عليهم ، وذلك نظير أمر الله جلّ ثناؤه إيانا بردّ ما تنازعنا فيه إلى الله وإلى الرسول ، يقول : (فإنْ تَنازَعْتُمْ فى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ وَالرَّسُولِ) ، ومعلوم أن معنى ذلك : فردّوه إلى كتاب الله وسنة رسوله ، لأن الردّ إلى ذلك ردّ إلى الله والرسول . وكذلك قوله (وَاسْئَلْ مَنْ أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا) إنما معناه : فاسأل كتب الذين أرسلنا من قبلك من الرسل ، فإنك تعلم صحة ذلك من قِبَلِنا ، فاستغنى بذكر الرسل من ذكر الكتب ، إذ كان معلوما ما معناه .

وقوله (أجَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ) يقول : أمرناهم بعبادة الآلهة من دون الله فيما جاءوهم به ، أو أتوهم بالأمر بذلك من عندنا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أجَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ) ؟ أتتهم الرسل يأمرونهم بعبادة الآلهة من دون الله ؟ وقيل : (آلِهَةً يُعْبَدُونَ) ، فأخرج الخبر عن الآلهة مخرج الخبر عن ذكور بنى آدم ، ولم يقل : تعبد ، ولا يعبدن ، فتؤنث وهى حجارة ، أو بعض الجماد كما يفعل فى الخبر عن بعض الجماد . وإنما فعل ذلك كذلك ، إذ كانت تعبد وتعظم تعظيم الناس ملوكهم وسَرَاتهم ، فأُجْرِى الخبر عنها مُجْرَى الخبر عن الملوك والأشراف من بنى آدم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

❁ يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا يامحمد موسى بحججنا إلى فرعون وأشراف قومه ، كما أرسلناك إلى هؤلاء المشركين من قومك ، فقال لهم موسى : إنى رسول ربّ العالمين ، كما قلتَ أنت لقومك من قريش : إنى رسول الله إليكم ، (فَلَمَّا جاءَهُمْ بآياتِنا إذَا هُمْ مِنْها يَضْحَكُونَ) يقول : فلما جاء موسى فرعونَ وملأه بحججنا وأدلتنا على صدق قوله ، فيما يدعوهم إليه من توحيد الله والبراءة من عبادة الآلهة ، إذا فرعون وقومه مما جاءهم به موسى من الآيات والعِبَر يضحكون ؛ كما أن قومك مما جئتهم به من الآيات والعبر يسخرون ، وهذا تسلية من الله عزّ وجلّ نبيه صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مشركى قومه ، وإعلام منه له ، أن قومه من أهل الشرك لن يعدوا أن يكونوا كسائر الأمم الذين كانوا على مناهجهم فى الكفر بالله وتكذيب رسله ، وندب منه نبيه صلى الله عليه وسلم إلى الاستنان فى الصبر عليهم بسنن أولى العزم من الرسل ، وإخبار منه له أن عقبى مردّتهم إلى البوار والهلاك كسنته فى المتمرّدين عليه قبلهم ، وإظفاره بهم ، وإعلائه أمره ، كالذى فعل بموسى عليه السلام ، وقومه الذين آمنوا به من إظهارهم على فرعون وملئه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾

❁ يقول تعالى ذكره : ومانرى فرعون وملأه آية ، يعنى : حجة لنا عليه بحقيقة مايدعوه إليه رسولنا موسى (إلاّ هِيَ أكْبَرُ مِنْ أُخْتِها) يقول : إلا التى نريه من ذلك أعظم فى الحجة عليهم وأوكد من التى مضت قبلها من الآيات ، وأدلّ على صحة مايأمره به موسى من توحيد الله .

وقوله (وأخَذْناهُمْ بالعَذابِ) يقول : وأنزلنا بهم العذاب ، وذلك كأخذه تعالى ذكره إياهم بالسنين ، ونقص من الثمرات ، وبالجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم .

وقوله (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يقول : ليرجعوا عن كفرهم بالله إلى توحيده وطاعته ، والتوبة مما هم عليه مقيمون من معاصيهم .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأخَذْناهُمْ بالعَذابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) أى يتوبون ، أو يذكرون .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾

❁ يقول تعالى ذكره : وقال فرعون وملؤه لموسى : (يا أيُّها السَّاحِرُ ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ

عِنْدَكَ) وعنوا بقولهم « بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ » : بعهده الذى عهد إليك أنا إن آمنا بك واتبعناك ، كُشف عنا الرِّجْز .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله عزّ وجلّ (بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ) قال لئن آمنا ليُكْشَفَنّ عنا العذاب .

⁂ إن قال لنا قائل : وما وجه قيلهم يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك ، وكيف سموه ساحرا وهم يسألونه أن يدعو لهم ربه ليكشف عنهم العذاب ؟ قيل : إن الساحر كان عندهم معناه : العالم ، ولم يكن السحر عندهم ذما ، وإنما دعوه بهذا الاسم ، لأن معناه عندهم كان : يا أيها العالم .

وقوله (إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ) يقول : قالوا : إنا لمتبعوك فمصدّقوك فيما جئتنا به ، وموحدو الله فبصرو سبيل الرشاد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أَيُّها السَّاحِرُ ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ) قال : قالوا ياموسى : ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك .

وقوله (فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُمُ العَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ) يقول تعالى ذكره : فلما رفعنا عنهم العذاب الذى أنزلنا بهم ، الذى وعدوا أنهم إن كشف عنهم اهتدوا لسبيل الحقّ ، إذا هم بعد كشفنا ذلك عنهم ينكثون العهد الذى عاهدونا : يقول : يغدرون ويصرّون على ضلالهم ، ويتمادون فى غيهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ) : أى يغدرون .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۞

⁂ يقول تعالى ذكره : (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِ) من القبط ، ف (قَالَ يا قَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهارُ تَجْرِى مِنْ تَحْتِى . أَفَلَا تُبْصِرُونَ) يعنى بقوله (مِنْ تَحْتِى) : من بين يدىّ فى الجنان .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهَذِهِ الأَنْهارُ تَجْرِى مِنْ تَحْتِى) قال : كانت لهم جنات وأنهار ماء .

وقوله (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) يقول : أفلا تبصرون أيها القوم ما أنا فيه من النعيم والخير ، وما فيه موسى من الفقر وعيّ اللسان ، افتخر بملكه مصر عدوّ الله ، وما قد مكّن له من الدنيا استدراجا من الله له ، وحسب أن الذى هو فيه من ذلك ناله بيده وحوله ، وأن موسى إنما لم يصل إلى الذى يصفه ، فنسبه من أجل ذلك إلى المهانة محتجا على جهلة قومه بأن موسى عليه السلام لو كان محقا فيما يأتى به من الآيات والعبر ، ولم يكن ذلك سحرا ، لأكسب نفسه من المُلك والنعمة ، مثل الذى هو فيه من ذلك جهلا بالله واغترارا منه بإملائه إياه .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل فرعون لقومه بعد احتجاجه عليهم بملكه وسلطانه ، وبيان لسانه وتمام خلقه ، وفضل مابينه وبين موسى بالصفات التى وصف بها نفسه وموسى : أنا خير أيها القوم ، وصفتى هذه الصفة التى وصفت لكم ، (أَمْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ)لاشىء له من المُلك والأموال مع العلة التى فى جسده ، والآفة التى بلسانه ، فلا يكاد من أجلها يبين كلامه ؟

وقد اختُلف فى معنى قوله (أَمْ) فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناها : بل أنا خير ، وقالوا : ذلك خبر ، لااستفهام :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ،قال : ثنا أحمد قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ) قال : بل أنا خير من هذا .

وبنحو ذلك كان يقول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة .

وقال بعض نحويى الكوفة : هو من الاستفهام الذى جعل بأم لاتصاله بكلام قبله . قال : وإن شئت رددته على قوله(أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ) ؟ وإذا وجه الكلام إلى أنه استفهام ، وجب أن يكون فى الكلام محذوف استغنى بذكر ماذكر مما ترك ذكره ، ويكون معنى الكلام حينئذ : أنا خير أيها القوم من هذا الذى هو مهين ، أم هو ؟ .

وذُكر عن بعض القرّاء أنه كان يقرأ ذلك (أما أنا خَيْرٌ) ؟

حُدثت بذلك عن الفرّاء قال : أخبرنى بعض المشيخة أنه بلغه أن بعض القرّاء قرأ كذلك ، ولوكانت هذه القراءة قراءة مستفيضة فى قرأة الأمصار لكانت صحيحة ، وكان معناها حسنا ، غير أنها خلاف ما عليه قرّاء الأمصار ، فلا أستجيز القراءة بها ، وعلى هذه القراءة لو صحّت لاكلفة له فى معناها ولا مؤنة .

٭ والصواب من القراءة فى ذلك ماعليه قرّاء الأمصار . وأولى التأويلات بالكلام إذ كان ذلك كذلك ، تأويل من جعل : أمْ أنا (خـَيْرٌ) ؟ من الاستفهام الذى جعل بأم ، لاتصاله بما قبله من الكلام ، ووجهه إلى أنه بمعنى : أأنا خير من هذا الذى هو مهين ؟ أم هو ؟ ثم ترك ذكر أم هو ، لما فى الكلام من الدليل عليه . وعنى بقوله (مِنْ هـَذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ) : من هذا الذى هو ضعيف لقلّة ماله ، وأنه ليس له من الملك والسلطان ماله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أمْ أنا خـَيْرٌ مِنْ هـَذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ) قال : ضعيف .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (مِنْ هـَذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ) قال : المهين : الضعيف .

وقوله (وَلا يَكادُ يُبِينُ) يقول : ولا يكاد يُبين الكلام من عِيّ لسانه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلا يَكادُ يُبِينُ) : أى عَيِيّ اللسان .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلا يَكادُ يُبِينُ) الكلام .

وقوله (فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) يقول : فهلا ألقى على موسى إن كان صادقا أنه رسول ربّ العالمين أسورة من ذهب ، وهو جمع سوار ، وهو القُلْب الذى يجعل فى اليد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) يقول : أقلبة من ذهب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) : أى أقلبة من ذهب .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة والكوفة (فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) . وذُكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرؤه (أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) .

٭ وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندى ماعليه قَرَأَة الأمصار ، وإن كانت الأخرى صحيحة المعنى .

واختلف أهل العربية فى واحد الأساورة ، والأسورة ، فقال بعض نحويّى البصرة : الأسورة جمع إسوار قال : والأساورة جمع الأسورة ، وقال : ومن قرأ ذلك أساورة ، فإنه أراد أساوير والله أعلم ، فجعل الهاء عوضا من الياء ، مثل الزنادقة صارت الهاء فيها عوضا من الياء التى فى زناديق . وقال بعض نحويّى الكوفة :

من قرأ أساورة جعل واحدها إسوار ؛ ومن قرأ أسورة جعل واحدها سوار ؛ وقال : قد تكون الأساورة جمع أسورة كما يقال فى جمع الأسقية الأساقى ، وفى جمع الأكرع الأكارع . وقال آخر منهم قد قيل فى سوار اليد : يجوز فيه أُسْوار وإسْوار ؛ قال : فيجوز على هذه اللغة أن يكون أساورة جمعه . وحُكى عن أبى عمرو ابن العلاء أنه كان يقول : واحد الأساورة إسوار ؛ قال : وتصديقه فى قراءة أبىّ بن كعب (فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَساوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) فإن كان ما حكى من الرواية من أنه يجوز أن يقال فى سوار اليد إسوار ، فلا مؤنة فى جمعه أساورة ، ولست أعلم ذلك صحيحا عن العرب برواية عنها ، وذلك أن المعروف فى كلامهم من معنى الإسوار : الرجل الرامى ، الحاذق بالرمى من رجال العجم . وأما الذى يُلبس فى اليد ، فإن المعروف من أسمائه عندهم سوارا . فإذا كان ذلك كذلك ، فالذى هو أولى بالأساورة أن يكون جمع أسورة على ماقاله الذى ذكرنا قوله فى ذلك .

وقوله (أَوْ جاءَ مَعَهُ المَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) يقول : أوهلا إن كان صادقا جاء معه الملائكة مقترنين قد اقترن بعضهم ببعض ، فتتابعوا يشهدون له بأنه لله رسول إليهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى العبارة على تأويله ، فقال بعضهم : يمشون معا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (المَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) قال : يمشون معا.

وقال آخرون : متتابعين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْ جاءَ مَعَهُ المَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) : أى متتابعين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقال آخرون : يقارن بعضهم بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أَوْ جاءَ مَعَهُ المَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) قال : يقارن بعضهم بعضا.

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾

يقول تعالى ذكره : فاستخف فرعون خلقا من قومه من القبط ، بقوله الذى أخبر الله تبارك وتعالى عنه أنه قاله لهم ، فقبلوا ذلك منه فأطاعوه ، وكذّبوا موسى ، قال الله : وإنما أطاعوا فاستجابوا لما دعاهم إليه عدوّ الله من تصديقه ، وتكذيب موسى ، لأنهم كانوا قوما عن طاعة الله خارجين بخذلانه إياهم ، وطبعه على قلوبهم ، يقول الله تبارك وتعالى : (فَلَمَّا آسَفُونا) يعنى بقوله : آسفونا : أغضبونا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَمَّا آسَفُونا) يقول : أسخطونا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (فَلَمَّا آسَفُونا) يقول : لما أغضبونا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَلَمَّا آسَفُونا) : أغضبونا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا آسَفُونا) قال : أغضبوا ربهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَلَمَّا آسَفُونا) قال : أغضبونا .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَلَمَّا آسَفُونا) قال : أغضبونا ، وهو على قول يعقوب : (يا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ) قال : ياحزنى على يوسف .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَلَمَّا آسَفُونا انْتَقَمْنا مِنْهُمْ) قال : أغضبونا ، وقوله (انْتَقَمْنا مِنْهُمْ) يقول : انتقمنا منهم بعاجل العذاب الذى عجّلناه لهم ، فأغرقناهم جميعا فى البحر .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ * وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾

اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الكوفة غير عاصم (فَجَعَلْناهُمْ سُلُفًا) بضم السين واللام ، توجيها ذلك منهم إلى جمع سليف من الناس ، وهو المتقدّم أمام القوم . وحكى الفراء أنه سمع القاسم ابن معن يذكر أنه سمع العرب تقول : مضى سليف من الناس . وقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وعاصم : (فَجَعَلْناهُمْ سَلَفًا) بفتح السين واللام . وإذا قرئ كذلك احتمل أن يكون مرادا به الجماعة والواحد والذكر والأنثى ، لأنه يقال للقوم : أنتم لنا سلف ، وقد يجمع فيقال : هم أسلاف ؛ ومنه الخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ أَسْلافًا » . وكان حميد الأعرج

يقرأ ذلك : (فَجَعَلْنَاهُمْ سُلُفًا) بضم السين وفتح اللام ، توجيها منه ذلك إلى جمع سلفة من الناس ، مثل أمة منهم وقطعة .

وأولى القراءات فى ذلك بالصواب قراءة من قرأه بفتح السين واللام ، لأنها اللغة الجوداء ، والكلام المعروف عند العرب ، وأحقّ اللغات أن يُقرأ بها كتاب الله من لغات العرب أفصحها وأشهرها فيهم . فتأويل الكلام إذن : فجعلنا هؤلاء الذين أغرقناهم من قوم فرعون فى البحر مقدّمة يتقدمون إلى النار ، كفار قومك يامحمد من قريش ، وكفار قومك لهم بالأثر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال . ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ) قال : قوم فرعون كفارهم سلفا لكفار أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا) فى النار .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر : (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا) قال : سلفا إلى النار .

وقوله (وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ) يقول : وعبرة وعظة يتعظ بهم مَنْ بعدهم من الأمم ، فينتهوا عن الكفر بالله

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ) قال : عبرة لمن بعدهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ) : أى عظة للآخرين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ) : أى عظة لمن بعدهم .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً) قال : عبرة .

وقوله (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً) يقول تعالى ذكره : ولما شبه الله عيسى فى إحداثه وإنشائه إياه من غير فحل بآدم ، فمثّله به بأنه خلقه من تراب من غير فحل ، إذا قومك يامحمد من ذلك يضجون ويقولون : ما يريد محمد منا إلا أن نتخذه إلها نعبده ، كما عبدت النصارى المسيح .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم بنحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله عزّ وجلّ (إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ

يَصِدُّونَ) قال : يضجون ؛ قال : قالت قريش : إنما يريد محمد أن نعبده كما عبد قوم عيسى عيسى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : لما ذُكر عيسى بن مريم جزعت قريش من ذلك ، وقالوا : يا محمد ما ذكرت عيسى بن مريم[1] ، وقالوا : مايريد محمد إلا أن نصنع به كما صنعت النصارى بعيسى بن مريم ، فقال الله عزّ وجلّ : (ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما ذُكر عيسى فى القرآن قال مشركو قريش : يامحمد ما أردت إلى ذكر عيسى ؟ قال : وقالوا : إنما يريد أن نحبه كما أحبّت النصارى عيسى :

وقال آخرون : بل عنى بذلك قول الله عزّ وجلّ (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) قيلُ المشركين عند نزولها : قد رضينا بأن تكون آلهتنا مع عيسى وعُزَير والملائكة ، لأن كل هؤلاء مما يُعبد من دون الله ، قال الله عزّ وجلّ : (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) وقالوا : أآلهتنا خير أم هو ؟ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) قال : يعنى قريشا لما قيل لهم (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ)فقالت له قريش : فما ابن مريم؟ قال : ذاك عبد الله ورسوله ، فقالوا : والله ما يريد هذا إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربا ، فقال الله عزّ وجلّ : (ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً ، بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (يَصِدُّونَ) ، فقرأته عامة قرّاء المدينة ، وجماعة من قرّاء الكوفة : (يَصُدُّونَ) بضم الصاد . وقرأ ذلك بعض قرّاء الكوفة والبصرة (يَصِدُّونَ) بكسر الصاد .

واختلف أهل العلم بكلام العرب فى فرق ما بين ذلك إذا قُرئ بضم الصاد ، وإذا قُرئ بكسرها ، فقال بعض نحويّ البصرة ، ووافقه عليه بعض الكوفيين : هما لغتان بمعنى واحد ، مثل يشُدّ ويشِدّ ، ويَنُمّ ويَنِمّ من النميمة . وقال آخر : منهم من كسر الصاد فمجازها يضجون ، ومن ضمها فمجازها يعدلون . وقال بعض من كسرها : فإنه أراد يضجون ، ومن ضمها فإنه أراد الصدود عن الحقّ .

وحُدثت عن الفرّاء ، قال : ثنى أبو بكر بن عياش ، أن عاصما ترك يصدّون من قراءة أبى عبدالرحمن ، وقرأ يصدّون ، قال : قال أبو بكر . حدثنى عاصم ، عن أبى رزين ، عن أبى يحيى ، أن ابن عباس لقى ابن أخى عبيد بن عمير ، فقال : إن عمك لعربىّ ، فما له يُلحِن فى قوله (إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصُدُّونَ) وإنما هى (يَصِدُّونَ) .

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان ، ولغتان مشهورتان بمعنى واحد ، ولم نجد أهل التأويل فرّقوا بين معنى ذلك إذا قرئ بالضمّ والكسر ، ولوكان مختلفا معناه ، لقدكان الاختلاف فى تأويله

(١) كذا فى الأصل ، ولم يتم الكلام ، ولعله اكتفى بدلالة مابعده عليه .

بين أهله موجودا وجود اختلاف القراءة فيه باختلاف اللغتين، ولكن لما لم يكن مختلف المعنى لم يختلفوا فى أن تأويله : يضجون ويجزعون ، فبأىّ القراءتين قرأ القارئ فمصيب .

ذكر ماقلنا فى تأويل ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) قال : يضجون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) يقول : يضجون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبوحمزة ، عن المُغيرة الضبىّ ، عن الصعب بن عثمان قال : كان ابن عباس يقرأ (إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) ، وكان يفسرها يقول : يضجون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبى رزين ، عن ابن عباس (إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) قال : يضجون .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة عن عاصم عن أبى رزين ، عن ابن عباس بمثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ، فى قول الله عزّ وجلّ (إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) قال : يضجون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) : أى يجزعون ويضجون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن عاصم بن أبى النَّجود ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس أنه قرأها (يَصِدُّونَ) : أى يضجون ، وقرأ علىّ رضى الله عنه (يَصُدُّونَ) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) قال : يضجون .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) قال : يضجون .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَقَالُوٓا۟ ءَأَ۬لِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

يقول تعالى ذكره : وقال مشركو قومك يامحمد : آلهتنا التى نعبدها خير ؟ أم محمد فنعبد محمدا ؟ ونترك آلهتنا ؟ .

وذُكر أن ذلك فى قراءة أُبىّ بن كعب : (أآلِهَتُنا خَيْرٌ أمْ هَذا) .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور عن معمر ، عن قتادة أن فى حرف أبى بن كعب (وَقالُوا أآلِهَتُنا خَيْرٌ أمْ هَذا) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : بل عنى بذلك : آلهتنا خير أم عيسى ؟

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَقالُوا أآلِهَتُنا خَيْرٌ أمْ هُوَ ؟ ماضَرَبُوهُ لَكَ إلاّ جَدَلاً ، بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) قال : خاصموه ، فقالوا : يزعم أن كلّ من عبد من دون الله فى النار ، فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعُزَير والملائكة هؤلاء قد عُبِدوا من دون الله ، قال : فأنزل الله براءة عيسى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أآلِهَتُنا خَيْرٌ) قال : عَبَدَ هؤلاء عيسى ، ونحن نعبد الملائكة .

وقوله (ما ضَرَبُوهُ لَكَ إلاّ جَدَلاً ، بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) . . إلى (فِي الأرْضِ يَخْلُفُونَ) . وقوله تعالى ذكره : (ماضَرَبُوهُ لَكَ إلا جَدَلاً) يقول تعالى ذكره : مامثلوا لك هذا المثل يا محمد ، ولا قالوا لك هذا القول إلا جدلا وخصومة يخاصمونك به (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) يقول جل ثناؤه : ما بقومك يامحمد هؤلاء المشركين فى محاجتهم إياك بما يحاجونك به طلب الحق (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) يلتمسون الخصومة بالباطل .

وذُكر عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ماضَلَّ قَوْمٌ عَنِ الحَقِّ إلاَّ أُوتُوا الجَدَلَ » .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يعلى ، قال : ثنا الحجاج بن دينار ، عن أبى غالب عن أبى أُمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كانُوا عَلَيْهِ إلاَّ أُوتُوا الجَدَلَ ، قرأ : (ما ضَرَبُوهُ لَكَ إلاّ جَدَلاً) . . . الآية » .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن الكندى وأبو كُرَيب قالا : ثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا حجاج بن دينار ، عن أبى غالب ، عن أبى أُمامة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أحمد بن عبد الرحمن ، عن عباد بن عباد عن جعفر بن القاسم ، عن أبى أُمامة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج على الناس وهم يتنازعون فى القرآن ، فغضب غضبا

شديدا، حتى كأنما صبّ على وجهه الخلّ، ثم قال صلى الله عليه وسلم: «لا تَضْرِبُوا كِتابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، فإنَّهُ ما ضَلَّ قَوْمٌ قَطُّ إلاّ أُوتُوا الجَدَلَ، ثم تلا: (ما ضَرَبُوهُ لَكَ إلاّ جَدَلًا، بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ)».

وقوله (إنْ هُوَ إلاّ عَبْدٌ أنْعَمْنا عَلَيْهِ) يقول تعالى ذكره: فما عيسى إلا عبد من عبادنا، أنعمنا عليه بالتوفيق والإيمان، وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل، يقول: وجعلناه آية لبنى إسرائيل، وحجة لنا عليهم بإرسالناه إليهم بالدعاء إلينا، وليس هو كما تقول النصارى من أنه ابن الله تعالى، تعالى الله عن ذلك.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: (إنْ هُوَ إلاّ عَبْدٌ أنْعَمْنا عَلَيْهِ) يعنى بذلك عيسى ابن مريم، ما عدا ذلك عيسى ابن مريم، إن كان إلا عبدًا أنعم الله عليه.

وبنحو الذى قلنا أيضا فى قوله (وَجَعَلْناه مَثَلًا لِبَنِي إسْرائيلَ) قالوا.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن قتادة (مَثَلًا لِبَنِي إسْرائيلَ) أحسبه قال: آية لبنى إسرائيل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَجَعَلْناهُ مَثَلًا لِبَنِي إسْرائيلَ) أى آية.

قوله (وَلَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأرْضِ يَخْلُفُونَ) يقول تعالى ذكره: ولو نشاء معشر بنى آدم أهلكناكم، فأفنينا جميعكم، وجعلنا بدلا منكم فى الأرض ملائكة يخلفونكم فيها يعبدوننى وذلك نحو قوله تعالى ذكره: (إنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أيُّها النّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكانَ اللهُ عَلى ذلِكَ قَدِيرًا) وكما قال: (إنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ ما يَشاءُ).

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل، غير أن منهم من قال: معناه: يخلف بعضهم بعضا.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (وَلَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأرْضِ يَخْلُفُونَ) يقول: يخلف بعضهم بعضا.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأرْضِ يَخْلُفُونَ) قال: يعمرون الأرض بدلا منكم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، فى قوله (مَلائِكَةً فِي الأرْضِ يَخْلُفُونَ) قال: يخلف بعضهم بعضا، مكان بنى آدم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأرْضِ يَخْلُفُونَ) لو شاء الله لجعل فى الأرض ملائكة يخلف بعضهم بعضا.

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَلَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِى الأَرْضِ يَخْلُفُونَ) قال : خلفا منكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾

اختلف أهل التأويل فى الهاء التى فى قوله (وإنَّهُ) وما المعنى بها ، ومن ذكرما هى ، فقال بعضهم : هى من ذكر عيسى ، وهى عائدة عليه . وقالوا : معنى الكلام : وإن عيسى ظهوره علم يعلم به مجىء الساعة ، لأن ظهوره من أشراطها ، ونزوله إلى الأرض دليل على فناء الدنيا ، وإقبال الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبى رزين ، عن يحيى ، عن ابن عباس (وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ) قال : خروج عيسى بن مريم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدى ، عن شعبة ، عن عاصم ، عن أبى رزين ، عن ابن عباس بمثله ، إلا أنه قال : نزول عيسى بن مريم .

حدثنى محمد بن إسماعيل الأحمسى ، قال : ثنا غالب بن قائد ، قال : ثنا قيس ، عن عاصم ، عن أبى رزين ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ (وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ) قال : نزول عيسى بن مريم .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن فضيل بن مرزوق ، عن جابر ، قال : كان ابن عباس يقول : ما أدرى علم الناس بتفسير هذه الآية ، أم لم يفطنوا لها ؟ (وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ) قال : نزول عيسى بن مريم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ) قال : نزول عيسى بن مريم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن أبى مالك وعوف عن الحسن أنهما قالا فى قوله (وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ) قالا : نزول عيسى بن مريم وقرأها أحدهما (وإنَّهُ لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ)

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ) قال : آية للساعة خروج عيسى بن مريم قبل يوم القيامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ) قال : نزول عيسى بن مريم علم للساعة : القيامة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ) قال : نزول عيسى بن مريم علم للساعة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ) قال : خروج عيسى بن مريم قبل يوم القيامة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ) يعنى خروج عيسى بن مريم ونزوله من السماء قبل يوم القيامة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ) قال : نزول عيسى بن مريم علم للساعة حين ينزل .

وقال آخرون : الهاء التى فى قوله (وَإِنَّهُ) من ذكر القرآن ، وقالوا : معنى الكلام : وإن هذا القرآن لعلم للساعة يعلمكم بقيامها ، ويخبركم عنها وعن أهوالها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول (وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ) هذا القرآن .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : كان ناس يقولون : القرآن علم للساعة . واجتمعت قرّاء الأمصار فى قراءة قوله (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ) على كسر العين من العلم . ورُوى عن ابن عباس ما ذكرت عنه فى فتحها ، وعن قتادة والضحاك .

والصواب من القراءة فى ذلك : الكسر فى العين ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه . وقد ذُكر أن ذلك فى قراءة أُبىّ ، وإنه لذكر للساعة ، فذلك مصحح قراءة الذين قرءوا بكسر العين من قوله (لَعِلْمٌ) .

وقوله (فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا) يقول : فلا تشكنّ فيها وفى مجيئها أيها الناس .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا) قال : تشكون فيها .

وقوله (وَاتَّبِعُونِ) يقول تعالى ذكره : وأطيعون فاعملوا بما أمرتكم به ، وانتهوا عما نهيتكم عنه ، (وَهَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) يقول : اتباعكم إياى أيها الناس فى أمرى ونهيى صراط مستقيم ، يقول : طريق لا اعوجاج فيه ، بل هو قويم .

وقوله (وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ) يقول جل ثناؤه : ولا يعدلنكم الشيطان عن طاعتى فيما آمركم وأنهاكم ، فتخالفوه إلى غيره ، وتجوروا عن الصراط المستقيم فتضلوا (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) يقول : إن الشيطان لكم عدوّ يدعوكم إلى ما فيه هلاككم ، ويصدّكم عن قصد السبيل ، ليوردكم المهالك ، مبين قد أبان لكم عداوته ، بامتناعه من السجود لأبيكم آدم ، وإدلائه بالغرور حتى أخرجه من الجنة حسدا وبغيا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾

يقول تعالى ذكره : ولما جاء عيسى بنى إسرائيل بالبيِّنات ، يعنى بالواضحات من الأدلة . وقيل : عُنى بالبيِّنات : الإنجيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ) أى بالإنجيل.

وقوله (قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ) قيل : عُنى بالحكمة فى هذا الموضع : النبوّة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ) قال : النبوّة .

وقد بيَّنت معنى الحكمة فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده ، وذكرت اختلاف المختلفين فى تأويله ، فأغنى ذلك عن إعادته .

وقوله (وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) يقول : ولأبين لكم معشر بنى إسرائيل بعض الذى تختلفون فيه من أحكام التوراة .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) قال : من تبديل التوراة .

وقد قيل : معنى البعض فى هذا الموضع بمعنى الكلّ ، وجعلوا ذلك نظير قول لبيد :

تَرَّاكُ أَمْكِنَةٍ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا ... أَوْ يَعْتَلِقْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا[1]

قالوا : الموت لايعتلق بعض النفوس ، وإنما المعنى : أو يعتلق النفوس حمامها ، وليس لما قال هذا القائل كبير معنى ، لأن عيسى إنما قال لهم (وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) ، لأنه قد كان بينهم اختلاف كثير فى أسباب دينهم ودنياهم ، فقال لهم : أبين لكم بعض ذلك ، وهو أمر دينهم دون ما هم

(١) البيت للبيد (مجاز القرآن لأبى عبيدة . الورقة ٢٢١) أنشده عند قوله تعالى : « لأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه » قال : البعض هاهنا : كله . قال لبيد : « تراك . . . البيت » . وفى شرح الزوزنى للمعلقات السبع (ص ١١٦) يقول : إنى تراك أماكن إذا لم أرضها إلا أن يرتبط نفسى حمامها ، فلا يمكنها البراح . وأراد ببعض النفوس هنا : نفسه . هذا أوجه الأقوال وأحسنها . ومن جعل بعض النفوس بمعنى كل النفوس ، فقد أخطأ لأن بعضا لايفيد العموم والاستيعاب . وتحرير المعنى : إنى لا أترك الأماكن أجتويها وأقلبها ، إلا أن أموت . وقال التبريزى فى شرح القصائد العشر ، (ص ١٦٠) يقول : أترك الأمكنة إذا رأيت فيها ما يكره إلا أن يدركنى الموت . وأراد بالنفوس نفسه ، ويعتلق : يحبس . والحمام : الموت . ويقال القدر . وقوله أو يعتلق بجزوم عطفا على قوله : إذا لم أرضها . اهـ .

فيه مختلفون من أمر دنياهم ، فلذلك خصّ ما أخبرهم أنه يبينه لهم . وأما قول لبيد : « أو يعتلق بعض النفوس » ، فإنه إنما قال ذلك أيضا كذلك ، لأنه أراد : أو يعتلق نفسه حمامها ، فنفسه من بين النفوس لا شكّ أنها بعض لا كلّ .

وقوله (فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ) يقول : فاتقوا ربكم أيها الناس بطاعته ، وخافوه باجتناب معاصيه ، وأطيعون فيما أمرتكم به من اتقاء الله واتباع أمره ، وقبول نصيحتى لكم .

وقوله (إِنَّ اللهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ) يقول : إن الله الذى يستوجب علينا إفراده بالألوهية وإخلاص الطاعة له ، ربى وربكم جميعا ، فاعبدوه وحده ، لا تشركوا معه فى عبادته شيئا ، فإنه لا يصلح ، ولا ينبغى أن يُعبد شىء سواه .

وقوله (هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) يقول : هذا الذى أمرتكم به من اتقاء الله وطاعتى ، وإفراد الله بالألوهة . هو الطريق المستقيم : وهو دين الله الذى لا يقبل من أحد من عباده غيره .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۞ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞

اختلف أهل التأويل فى المعنيين بالأحزاب ، الذين ذكرهم الله فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى بذلك : الجماعة التى تناظرت فى أمر عيسى ، واختلفت فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ) قال : هم الأربعة الذين أخرجهم بنو إسرائيل يقولون فى عيسى . وقال آخرون : بل هم اليهود والنصارى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ) قال : اليهود والنصارى .

۞ والصواب من القول فى ذلك أن يقال : معنى ذلك : فاختلف الفرق المختلفون فى عيسى بن مريم من بين من دعاهم عيسى إلى ما دعاهم إليه من اتقاء الله والعمل بطاعته ، وهم اليهود والنصارى ، ومن اختلف فيه من النصارى ، لأن جميعهم كانوا أحزابا مبتسلين [1] ، مختلفى الأهواء مع بيانه لهم أمر نفسه ، وقوله لهم (إِنَّ اللهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) .

وقوله (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ) يقول تعالى ذكره فالوادى السائل من القيح والصديد فى جهنم للذين كفروا بالله ، الذين قالوا فى عيسى بن مريم بخلاف ما وصف عيسى به نفسه

(١) كذا فى الأصل . ولعل الصواب « متبسلين » بتقديم التاء على الباء . قال فى اللسان : تبسل الرجل : عبس من الغضب أو الشجاعة أما ابتسل الرجل بتقديم الباء ، فمعناه : أخذ على رقيته أجرا . اهـ .

فى هذه الآية (مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ) يقول : من عذاب يوم مؤلم ، ووصف اليوم بالإيلام ، إذ كان العذاب الذى يؤلمهم فيه ، وذلك يوم القيامة .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ) قال : من عذاب يوم القيامة .

وقوله (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً) يقول : هل ينظر هؤلاء الأحزاب المختلفون فى عيسى بن مريم ، القائلون فيه الباطل من القول ، إلا الساعة التى فيها تقوم القيامة فجأة (وَهُمْ لاَيَشْعُرُونَ) يقول : وهم لايعلمون بمجيئها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : المتخالّون يوم القيامة على معاصى الله فى الدنيا ، بعضهم لبعض عدوّ ، يتبرأ بعضهم من بعض ، إلا الذين كانوا تخالّوا فيها على تقوى الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ) فكلّ خلة على معصية الله فى الدنيا متعادون .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ) فكل خُلَّة هى عداوة إلا خُلَّة المتقين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن أبى إسحاق ، أن عليا رضى الله عنه قال : خليلان مؤمنان ، وخليلان كافران ، فمات أحد المؤمنَين فقال : يارِبّ إن فلانا كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك ، ويأمرنى بالخير ، وينهانى عن الشرّ ويخبرنى أنى ملاقيك يا ربّ فلا تضله بعدى واهده كما هديتنى وأكرمه كما أكرمتنى ؛ فإذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول : ليثن أحدكما على صاحبه فيقول : يا ربّ إنه كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك ، ويأمرنى بالخير ، وينهانى عن الشرّ ، ويخبرنى أنى ملاقيك ، فيقول : نعم الخليل ، ونعم الأخ ، ونعم الصاحب ؛ قال : ويموت أحد الكافرين فيقول : ياربّ إن فلانا كان ينهانى عن طاعتك وطاعة رسولك ، ويأمرنى بالشرّ ، وينهانى عن الخير ، ويخبرنى أنى غير ملاقيك ، فيقول : بئس الأخ ، وبئس الخليل ، وبئس الصاحب .

وقوله (ياعِبادِ لاخَوْفٌ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) وفى هذا الكلام محذوف استغنى

بدلالة ماذكر عليه . ومعنى الكلام : الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلا المتقين ، فإنهم يقال لهم : ياعبادى لاخوف عليكم اليوم من عقابى ، فإنى قد أمنتكم منه برضاى عنكم ، ولا أنتم تحزنون على فراق الدنيا فإن الذى قدمتم عليه خير لكم مما فارقتموه منها .

وذُكر أن الناس ينادون هذا النداء يوم القيامة ، فيطمع فيها من ليس من أهلها حتى يسمع قوله : (الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ) فييئس منها عند ذلك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال سمعت أن الناس حين يبعثون ليس منهم أحد إلا فزع ، فينادى مناد : ياعباد الله لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ، فيرجوها الناس كلهم ، قال : فيتبعها (الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : فييئس الناس منها غير المسلمين .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ۝ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۝ ﴾

وقوله (الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا) يقول تعالى ذكره : ياعبادى الذين آمنوا وهم الذين صدّقوا بكتاب الله ورسله ، وعملوا بما جاءتهم به رسلهم ، وكانوا مسلمين ، يقول : وكانوا أهل خضوع لله بقلوبهم ، وقبول منهم لما جاءتهم به رسلهم عن ربهم على دين إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم ، حنفاء لايهود ولا نصارى ، ولا أهل أوثان .

وقوله (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ) يقول جلّ ثناؤه : ادخلوا الجنة أنتم أيها المؤمنون وأزواجكم مغبوطين بكرامة الله ، مسرورين بما أعطاكم اليوم ربكم .

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (تُحْبَرُونَ) وقد ذكرنا ما قد قيل فى ذلك فيما مضى ، وبيّنا الصحيح من القول فيه عندنا بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، غير أنا نذكر بعض مالم يُذكر هنالك من أقوال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ) : أى تَنْعَمون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (تُحْبَرُونَ) قال : تنعمون .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (تُحْبَرُونَ) قال : تكرمون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ) قال : تنعمون .

القول في تأويل قوله تعالى:

يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾

۞ يقول تعالى ذكره : يُطاف على هؤلاء الذين آمنوا بآياته في الدنيا إذا دخلوا الجنة في الآخرة بصحاف من ذهب ، وهي جمع للكثير من الصَّحْفَة ، والصَّحْفَة : القصعة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ) قال : القِصاع .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث بن إسحاق ، عن جعفر ، عن شعبة ، قال : « إنّ أدنى أهل الجنة منزلة ، من له قصر فيه سبعون ألف خادم ، في يد كل خادم صحفة سوى ما في يد صاحبها ، لو فتح بابه فضافه أهل الدنيا لأوسعهم » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القميّ ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : « إن أخسّ أهل الجنة منزلا من له سبعون ألف خادم ، مع كل خادم صحفة من ذهب ، لو نزل به جميع أهل الأرض لأوسعهم ، لا يستعين عليهم بشيء من غيره ، وذلك في قول الله تبارك وتعالى (لَهُمْ ما يَشاءُونَ فِيها وَلَدَيْنا مَزِيدٌ) ولهم (فِيها ما تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ) » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي أيوب الأزديّ ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : « ما أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألف غلام ، كلّ غلام على عمل ما عليه صاحبه » :

وقوله (وأكْوابٍ) وهي جمع كوب ، والكوب : الإبريق المستدير الرأس ، الذي لا أذن له ولا خرطوم ، وإياه عنى الأعشى بقوله :

صَرِيفِيَّــةٌ طَيِّبٌ طَعْمُها . لَهَا زَبَدٌ بينَ كُوبٍ وَدَنّ [1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (وأكْوابٍ) قال : الأكواب التي

---

(١) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ص ١٧) وصريفية ، منسوبة إلى صريفون : موضع بالعراق مشهور بجودة خمره . وقيل نسبت إلى الصريف وهو اللبن ساعة يحلب . جعلها صريفية لأنها أخذت من الدن ساعتئذ أحضرت ، كأنها أخذت قبل أن تمزج . والزبد : ما يعلوها عند تحريكها من الدن إلى الكوب من الفقاقيع . والكوب : الكوز الذي لا عروة له ، أو هو الكوز المستدير الرأس الذي لا أذن له .

ليست لها آذان . ومعنى الكلام : يطاف عليهم فيها بالطعام فى صحاف من ذهب ، وبالشراب فى أكواب من ذهب ، فاستغنى بذكر الصّحاف والأكواب من ذكر الطعام والشراب ، الذى يكون فيها لمعرفة السامعين بمعناه(وَفِيهَا مَاتَشْتَهِى[1] الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ) يقول تعالى ذكره : لكم فى الجنة ما تشتهى نفوسكم أيها المؤمنون ، وتلذّ أعينكم (وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) يقول : وأنتم فيها ماكثون ، لاتخرجون منها أبدا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن علقمة بن مرثد ، عن ابن سابط « أن رجلا قال : يارسول الله إنى أُحبُّ الخيل ، فهل فى الجنة خيل ؟ فقال : إنْ يُدْخِلْكَ الجَنَّةَ إنْ شاءَ ، فَلا تَشاءُ أنْ تَرْكَبَ فَرَساً مِنْ ياقُوتَةٍ حَمْراءَ تَطِيرُ بِكَ فِى أىِّ الجَنَّةِ شِئْتَ إلاَّ فَعَلْتَ ، فقال أعرابىّ : يا رسول الله إنى أحبّ الإبل ، فهل فى الجنة إبل ؟ فقال : ياأعرابىّ إنْ يُدْخِلْكَ اللهُ الجَنَّةَ إن شاءَ اللهُ ، فَفِيها ما اشْتَهَتْ نَفْسُكَ ، وَلَذَّتْ عَيْناكَ » .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا عمر بن عبد الرحمن الأبار ، عن محمد بن سعد الأنصارى ، عن أبى ظبية السلفى ، قال : إن السرب من أهل الجنة لتظلهم السحابة ، قال : فتقول : ماأُمْطِرُكُمْ ؟ قال : فما يدعو داع من القوم بشىء إلا أمطرتهم ، حتّى إن القائل منهم ليقول : أمطرينا كواعب أترابا .

حدثنا ابن عرفة ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن علىّ بن أبى الوليد ، قال : قيل لمجاهد فى الجنة سماع ؟ قال : إن فيها لشجرا يقال له العيص ، له سماع لم يسمع السامعون إلى مثله .

حدثنى موسى بن عبدالرحمن ، قال : ثنا زيد بن حباب ، قال : أخبرنا معاوية بن صالح ، قال : ثنى سليمان بن عامر ، قال : سمعت أبا أُمامة ، يقول : « إن الرجل من أهل الجنة ليشتهى الطائر وهو يطير ، فيقع متفلقا نضيجا فى كفه ، فيأكل منه حتّى تنتهى نفسه ، ثم يطير ، ويشتهى الشراب ، فيقع الإبريق فى يده ، ويشرب منه مايريد ، ثم يرجع إلى مكانه .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَفِيهَا مَاتَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ) فقرأته عامة قرّاء المدينة والشام : (ما تَشْتَهِيهِ) بزيادة هاء ، وكذلك ذلك فى مصاحفهم . وقرأ ذلك عامة قرّاء العراق (تَشْتَهِى) بغير هاء ، وكذلك هو فى مصاحفهم .

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

يقول تعالى ذكره : يقال لهم : وهذه الجنة التى أورثكموها الله عن أهل النار الذين أدخلهم جهنم بما

(١) قراءة مشهورة متواترة بحذف الهاء .

كنتم فى الدنيا تعملون من الخيرات (لَكُمْ فِيها) يقول : لكم فى الجنة فاكهة كثيرة من كل نوع (مِنْها تَأْكُلُونَ) يقول : من الفاكهة تأكلون ما اشتهيتم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾

يقول تعالى ذكره (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ) وهم الذين اجترموا فى الدنيا الكفر بالله ، فاجترموا به فى الآخرة (فِى عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدُونَ) يقول : هم فيه ماكثون ، لايفتر عنهم ، يقول : لايخفف عنهم العذاب وأصل الفتور : الضعف (وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) يقول : وهم فى عذاب جهنم مبلسون ، والهاء فى فيه من ذكر العذاب . ويُذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله : (وَهُمْ فِيها مُبْلِسُونَ) والمعنى : وهم فى جهنم مبلسون ، والمبلس فى هذا الموضع : هو الآيس من النجاة الذى قد قنط فاستسلم للعذاب والبلاء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) : أى مستسلمون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) قال : آيسون .

وقال آخرون بما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) متغير حالهم .

وقد بيّنا فيما مضى معنى الإبلاس بشواهده ، وذكر المختلفين فيه بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (وَما ظَلَمْناهُمْ وَلَكِنْ كانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ) يقول تعالى ذكره : وما ظلمنا هؤلاء المجرمين بفعلنا بهم ما أخبرناكم أيها الناس أنا فعلنا بهم من التعذيب بعذاب جهنم (وَلَكِنْ كانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ) بعبادتهم فى الدنيا غير من كان عليهم عبادته ، وكفرهم بالله ، وجحودهم توحيده .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾

يقول تعالى ذكره : ونادى هؤلاء المجرمون بعد ما أدخلهم الله جهنم ، فنالهم فيها من البلاء ما نالهم مالكا خازن جهنم (يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ) قال : ليمتنا ربك ، فيفرغ من إماتتنا ، فذكر أن مالكا لايجيبهم فى وقت قيلهم له ذلك ، ويدعهم ألف عام بعد ذلك ، ثم يجيبهم ، فيقول لهم : (إِنَّكُمْ ماكِثُونَ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن أبى الحسن ، عن ابن عباس (وَنَادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ) ، فأجابهم بعد ألف سنة (إِنَّكُمْ ماكِثُونَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن رجل من جيرانه يقال له الحسن ، عن نوف فى قوله (وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ) قال : يتركهم مئة سنة مما تعدّون ، ثم يناديهم فيقول : يا أهل النار إنكم ماكثون .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : (وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ) قال : فخلى عنهم أربعين عاما لا يجيبهم ، ثم أجابهم : (إِنَّكُمْ ماكِثُونَ . قالُوا رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها فَإِنْ عُدْنا فَإِنَّا ظالِمُونَ) فخلى عنهم مثلى الدنيا ، ثم أجابهم : (اخْسَئُوا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ) قال : فوالله ما نبس القوم بعد الكلمة ، إن كان إلا الزفيرُ والشهيق » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبى أيوب الأزدى ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : « إن أهل جهنم يدعون مالكا أربعين عاما فلا يجيبهم ، ثم يقول : (إِنَّكُمْ ماكِثُونَ) ، ثم ينادون ربهم (رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها فَإِنْ عُدْنا فَإِنَّا ظالِمُونَ) فيدعهم أو يخلى عنهم مثل الدنيا ، ثم يرد عليهم (اخْسَئُوا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ) قال : فما نبس القوم بعد ذلك بكلمة إن كان إلا الزفيرُ والشهيق فى نار جهنم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن الحسن ، عن نوف (وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ) قال : يتركهم مئة سنة مما تعدّون ، ثم ناداهم فاستجابوا له ، فقال : إنكم ماكثون .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط عن السدىّ ، فى قوله (وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ) قال : مالك خازن النار ، قال : فمكثوا ألف سنة مما تعدّون ، قال : فأجابهم بعد ألف عام : إنكم ماكثون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله تعالى ذكره (وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ) قال : يميتنا ، القضاء ههنا الموت ، فأجابهم (إِنَّكُمْ ماكِثُونَ) .

وقوله (لَقَدْ جِئْناكُمْ بِالْحَقِّ) يقول : لقد أرسلنا إليكم يامعشر قريش رسولنا محمدا بالحق .

كما حدثنى محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، (لَقَدْ جِئْناكُمْ بِالْحَقِّ) ، قال : الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (وَلكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ) يقول تعالى ذكره : ولكن أكثركم لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الحقّ كارهون .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾

❁ يقول تعالى ذكره : أم أبرم هؤلاء المشركون من قريش أمرا فأحكموه ، يكيدون به الحقّ الذى جئناهم به ، فإنا محكمون لهم مايخزيهم ، ويذلهم من النكال .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ؛ قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ) قال : مجمعون : إن كادوا شرّا كدنا مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ) قال : أم أجمعوا أمرا فإنا مجمعون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ) قال : أم أحكموا أمرا فإنا محكمون لأمرنا .

وقوله (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ) يقول : أم يظنّ هؤلاء المشركون بالله أنا لانسمع ما أخفوا عن الناس من منطقهم ، وتشاوروا بينهم وتناجوا به دون غيرهم ، فلا نعاقبهم عليه لخفائه علينا .

وقوله (بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) يقول تعالى ذكره : بل نحن نعلم ماتناجوا به بينهم ، وأخفوه عن الناس من سرّ كلامهم ، وحفظتنا لديهم ، يعنى عندهم يكتبون ما نطقوا به من منطق ، وتكلموا به من كلامهم .

وذُكر أن هذه الآية نزلت فى نفر ثلاثة تدارءوا فى سماع الله تبارك وتعالى كلام عباده .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عمرو بن سعيد بن يسار القرشىّ ، قال : ثنا أبوقتيبة ، قال : ثنا عاصم بن محمد العمرىّ ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال : بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها ، قرشيان وثقفىّ ، أوثقفيان وقرشىّ ، فقال واحد من الثلاثة : أترون الله يسمع كلامنا ؟ فقال الأوّل : إذا جهرتم سمع ، وإذا أسررتم لم يسمع ، قال الثانى : إن كان يسمع إذا أعلنتم ، فإنه يسمع إذا أسررتم ، قال : فنزلت (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ، بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) قال : الحفَظة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بلى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) : أى عندهم .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (قُلْ إنْ كانَ للرَّحْمَنِ وَلَدٌ فأنا أوَّلُ العابِدِينَ) فقال بعضهم: فى معنى ذلك: قل يامحمد إن كان للرحمن ولد فى قولكم وزعمكم أيها المشركون، فأنا أوّل المؤمنين بالله فى تكذيبكم، والجاحدين ماقلتم من أن له ولدا.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبوعاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (قُلْ إنْ كانَ للرَّحْمَنِ وَلَدٌ) كما تقولون (فأنا أوَّلُ العابِدِينَ) المؤمنين بالله، فقولوا ما شئتم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، فى قوله (فأنا أوَّلُ العابِدِينَ) قال: قل إن كان لله ولد فى قولكم، فأنا أوّل من عبد الله ووحده وكذّبكم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: قل ماكان للرحمن ولد، فأنا أوّل العابدين له بذلك.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ، قال: ثنا أبوصالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (قُلْ إنْ كانَ للرَّحْمَنِ وَلَدٌ فأنا أوَّلُ العابِدِينَ) يقول: لم يكن للرحمن ولد فأنا أوّل الشاهدين.

وقال آخرون: بل معنى ذلك نفى، ومعنى إن الجحد، وتأويل ذلك ماكان ذلك، ولا ينبغى أن يكون.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (قُلْ إنْ كانَ للرَّحْمَنِ وَلَدٌ فأنا أوَّلُ العابِدِينَ) قال قتادة: وهذه كلمة من كلام العرب (إنْ كان للرَّحمن وَلَدٌ): أى إن ذلك لم يكن، ولا ينبغى.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (قُلْ إنْ كانَ للرَّحْمَنِ وَلَدٌ فأنا أوَّلُ العابِدين) قال: هذا الإنكاف[1] ماكان للرحمن ولد، نكف الله أن يكون له ولد، وإن مثل «ما» إنما هى: ماكان للرحمن ولد، ليس للرحمن ولد، مثل قوله (وَإنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ) إنما هى: ماكان مكرهم لتزول منه الجبال، فالذى أنزل الله من كتابه وقضاه من قضائه أثبت من الجبال، و«إن» هى «ما» إن كان ماكان تقول العرب: إن كان، وماكان الذى تقول. وفى قوله (فأنا أوَّلُ العابِدِينَ) أوّل من يعبد الله بالإيمان والتصديق أنه ليس للرحمن ولد على هذا أعبد الله.

(١) فى النهاية لابن الأثير: إنكاف الله من سوء: أى تنزيهه وتقديسه. وأنكفته: نزهته.

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : سألت ابن محمد ، عن قول الله (إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ) قال : ماكان .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا عمرو ، قال : سألت زيد بن أسلم ، عن قول الله (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ) قال : هذا قول العرب معروف ، إن كان : ماكان ، إن كان هذا الأمر قط ، ثم قال : وقوله وإن كان : ماكان .

وقال آخرون : معنى « إن » في هذا الموضع معنى المجازاة ، قالوا : وتأويل الكلام : لو كان للرحمن ولد ، كنت أول من عبده بذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) قال : لو كان له ولد كنت أول من عبده بأن له ولدا ، ولكن لا ولد له .

وقال آخرون : معنى ذلك : قل إن كان للرحمن ولد ، فأنا أول الآنفين ذلك ، ووجهوا معنى العابدين إلى المنكرين الآبين ، من قول العرب : قد عبِد فلان من هذا الأمر إذا أنف منه وغضب وأباه ، فهو يعبَد عبَدا ، كما قال الشاعر :

أَلَا هَوِيَتْ أُمُّ الوَلِيدِ وأَصْبَحَتْ ... لِمَا أَبْصَرَتْ فِي الرَّأْسِ مِنِّي تَعَبَّدُ (١)

وكما قال الآخر :

مَتَى مَا يَشَأْ ذُو الوُدِّ يَصْرِمْ خَلِيلَهُ ... وَيَعْبَدْ عَلَيْهِ لَا مَحَالَةَ ظَالِمَا (٢)

وقد حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، ثني قال : ابن أبي ذئب ، عن أبي قسيط ، عن بعجة بن زيد الجهني ، أن امرأة منهم دخلت على زوجها ، وهو رجل منهم أيضا ، فولدت له في ستة أشهر ، فذكر ذلك لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، فأمر بها أن تُرجم ، فدخل عليه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه : (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) . وقال : (وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ) قال : فوالله ما عبِد عثمان أن بعث إليها تردّ . قال يونس ، قال ابن وهب : عبد : استنكف .

(١) هذا شاهد لم أقف على قائله . استشهد به المؤلف عند قوله تعالى : « فأنا أول العابدين » . قال أبو عبيدة في تفسير الآية (مجاز القرآن الورقة ٢٢١) : مجازها إن كان الرحمن ولد : إن في موضع (ما) في قول بعضهم : ما كان للرحمن ولد . والفاء : مجازها مجاز الواو . يريد : ما كان وأنا أول العابدين . وقال آخرون : مجازها : إن كان في قولكم للرحمن ولد ، فأنا أول العابدين : أي الكافرين بذلك ، والجاحدين لما قلتم . وهو من عبدت تعبد . اهـ . أي من باب علم يعلم . بمعنى أنف أو غضب أو كره الشيء . وتعبد في البيت : بمعنى تأنف أو تغضب ، وهو كعبد بمعنى أنف وغضب قال في (اللسان : عبد) : وتعبد : كعبد .

(٢) وهذا الشاهد أيضا لم أقف على قائله ، وهو بمعنى الشاهد الذي قبله ، استشهد به المؤلف على الآية نفسها ، يريد أن قول الشاعر : يعبد عليه هو مضارع عبد عليه كعلم : إذا غضب عليه . وفي (اللسان : عبد) والعبد (كعبب) طول الغضب . قال الفراء : عبد عليه ، وأحن عليه ، أي غضب . وقال الغنوي : العبد : الحزن والوجد . قال الفرزدق .

أُولَئِكَ قَوْمِي إِنْ هَجَوْنِي هَجَوْتُهُمْ ... وَأَعْبَدُ أَنْ أَهْجُو كُلَيْبًا بِدَارِمِ

أعبد أي آنف . اهـ .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال: معنى: (إنْ) الشرط الذى يقتضى الجزاء على ما ذكرناه عن السدىّ، وذلك أن «إن» لاتعدو فى هذا الموضع أحد معنيين: إما أن يكون الحرف الذى هو بمعنى الشرط الذى يطلب الجزاء، أو تكون بمعنى الجحد، وهب إذا وجهت إلى الجحد لم يكن للكلام كبير معنى، لأنه يصير بمعنى: قل ماكان لرحمن ولد، وإذا صار بذلك المعنى أوهم أهل الجهل من أهل الشرك بالله أنه إنما نفى بذلك عن الله عزّ وجلّ أن يكون له ولد قبل بعض الأوقات، ثم أحدث له الولد بعد أن لم يكن، مع أنه لو كان ذلك معناه لقدر الذين أمر الله نبيَّه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: ماكان للرحمن ولد، فأنا أوّل العابدين أن يقولوا له صدقت، وهو كما قلت، ونحن لم نزعم أنه لم يزل له ولد. وإنما قلنا: لم يكن له ولد، ثم خلق الجنّ فصاهرهم، فحدث له منهم ولد، كما أخبر الله عنهم أنهم كانوا يقولونه، ولم يكن الله تعالى ذكره ليحتجّ لنبيه صلى الله عليه وسلم وعلى مكذّبيه من الحجة بما يقدرون على الطعن فيه، وإذ كان فى توجيهنا «إن» إلى معنى الجحد ما ذكرنا، فالذى هو أشبه المعنيين بها الشرط. وإذ كان ذلك كذلك، فبينة صحة ما نقول من أن معنى الكلام: قل يامحمد لمشركى قومك الزاعمين أن الملائكة بنات الله: إن كان للرحمن ولد فأنا أوّل عابديه بذلك منكم، ولكنه لاولد له، فأنا أعبده بأنه لاولد له، ولا ينبغى أن يكون له.

وإذا وجه الكلام إلى ما قلنا من هذا الوجه لم يكن على وجه الشكّ، ولكن على وجه الإلطاف فى الكلام وحُسن الخطاب، كما قال جلّ ثناؤه (قُلِ اللهُ، وأنا أوْ إيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ). وقد علم أن الحقّ معه، وأن مخالفيه فى الضلال المبين.

وقوله (سُبْحانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ والأرْضِ) يقول تعالى ذكره تبرئة وتنزيها لمالك السموات والأرض ومالك العرش المحيط بذلك كله، وما فى ذلك من خلق مما يصفه به هؤلاء المشركون من الكذب، ويضيفون إليه من الولد وغير ذلك من الأشياء التى لاينبغى أن تضاف إليه.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ): أى يكذّبون.

القول في تأويل قوله تعالى:

فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾

⁂ يقول تعالى ذكره: فذر يامحمد هؤلاء المفترين على الله، الواصفيه بأن له ولدا يخوضوا فى باطلهم،

ويلعبوا فى دنياهم (حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) وذلك يوم يصليهم الله بفريتهم عليه جهنم ، وهو يوم القيامة .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) قال : يوم القيامة .

وقوله (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ ، وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ) يقول تعالى ذكره : والله الذى له الألوهة فى السماء معبود ، وفى الأرض معبود كما هو فى السماء معبود ، لا شىء سواه تصلح عبادته ؛ يقول تعالى ذكره : فأفردوا لمن هذه صفته العبادة ، ولا تشركوا به شيئا غيره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وفى الأرض إِلَهٌ) قال : يُعبد فى السماء ، ويُعبد فى الأرض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ) : أى يعبد فى السماء وفى الأرض .

وقوله (وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ) يقول : وهو الحكيم فى تدبير خلقه ، وتسخيرهم لما يشاء ، العليم بمصالحهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾

❁ يقول تعالى ذكره ، وتبارك الذى له سلطان السموات السبع والأرض ، وما بينهما من الأشياء كلها ، جار على جميع ذلك حكمه ، ماض فيهم قضاؤه . يقول : فكيف يكون له شريكا من كان فى سلطانه وحكمه فيه نافذ (وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) يقول : وعنده علم الساعة التى تقوم فيها القيامة ، ويُحشر فيها الخلق من قبورهم لموقف الحساب .

قوله (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : وإليه أيها الناس تردّون من بعد مماتكم ، فتصيرون إليه ، فيجازى المحسن بإحسانه ، والمسىء بإساءته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ولا يملك عيسى وعزير والملائكة الذين يعبدهم هؤلاء المشركون بالساعة ، الشفاعة عند الله لأحد ، إلا من شهد بالحق ، فوحد الله وأطاعه ، بتوحيد علم منه وصحة بما جاءت به رسله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ) قال : عيسى ، وعُزير ، والملائكة .

قوله (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ) قال : كلمة الإخلاص ، وهم يعلمون أن الله حقّ ، وعيسى وعُزير والملائكة يقول : لايشفع عيسى وعُزير والملائكة إلا من شهد بالحقّ ، وهو يعلم الحق .

وقال آخرون : عنى بذلك : ولا تملك الآلهة التي يدعوها المشركون ويعبدونها من دون الله الشفاعة إلا عيسى وعُزير وذووهما ، والملائكة الذين شهدوا بالحقّ ، فأقرّوا به وهم يعلمون حقيقة ماشهدوا به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) : الملائكة وعيسى وعُزير ، قد عُبِدوا من دون الله ولهم شفاعة عند الله ومنزلة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ) قال : الملائكة وعيسى بن مريم وعُزير ، فإن لهم عند الله شهادة .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لايملك الذين يعبدهم المشركون من دون الله الشفاعة عنده لأحد ، إلا من شهد بالحقّ ، وشهادته بالحقّ : هو إقراره بتوحيد الله ، يعني بذلك : إلا من آمن الله ، وهم يعلمون حقيقة توحيده ، ولم يخصص بأن الذى لايملك ملك الشفاعة منهم بعض من كان يعبد من دون الله ، فذلك على جميع من كان تعبد قريش من دون الله يوم نزلت هذه الآية وغيرهم ، وقد كان فيهم من يعبد من دون الله الآلهة ، وكان فيهم من يعبد من دونه الملائكة وغيرهم ، فجميع أولئك داخلون في قوله : ولا يملك الذين يدعو قريش وسائر العرب من دون الله الشفاعة عند الله . ثم استثنى جلّ ثناؤه بقوله : (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) وهم الذين يشهدون شهادة الحقّ فيوحدون الله ، ويخلصون له الوحدانية ، على علم منهم ويقين بذلك ، أنهم يملكون الشفاعة عنده بإذنه لهم بها ، كما قال جلّ ثناؤه (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) فأثبت جلّ ثناؤه للملائكة وعيسى وعُزير ملكهم من الشفاعة ما نفاه عن الآلهة والأوثان باستثنائه الذى استثناه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

❁ يقول تعالى ذكره : ولئن سألت يامحمد هؤلاء المشركين بالله من قومك: من خلقهم ؟ ليقولنّ :اللهُ خلقنا (فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) فأىّ وجه يصرفون عن عبادة الذى خلقهم ، ويحزمون إصابة الحقّ فى عبادته .

وقوله(وَقِيلِه : يارَبِّ إن هؤلاءِ قَوْمٌ لاَ يُؤْمِنُونَ) اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَقِيلِهِ) فقرأته عامة قرّاء المدينة ومكة والبصرة (وَقِيلَهُ) بالنصب . وإذا قرئ كذلك ذلك ، كان له وجهان فى التأويل : أحدهما العطف على قوله (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لانَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ) ، ونسمع قيله يارب . والثانى : أن يضمرله ناصب ، فيكون معناه حينئذ: وقال قوله(يارَبِّ إنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ) وشكا محمد شكواه إلى ربه . وقرأته عامة قرّاء الكوفة (وَقِيلِهِ) بالخفض على معنى : وعنده علم الساعة ، وعلم قيله .

❁ والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الأمصار صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . فتأويل الكلام إذن: وقال محمد قيله شاكيا إلى ربه تبارك وتعالى قومه الذين كذّبوه ، وما يلقى منهم : يارب إن هؤلاء الذين أمرتنى بإنذارهم وأرسلتنى إليهم لدعائهم إليك ، قوم لايؤمنون .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال: ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَقِيلِهِ يارَبِّ إنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لايُؤْمِنُونَ) قال : فأبرّ الله عزّ وجلّ قول محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقِيلِهِ يارَبِّ إنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لايُؤْمِنُونَ) قال : هذا قول نبيكم عليه الصلاة والسلام يشكو قومه إلى ربه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَقِيلِهِ يارَبِّ) قال: هو قول النبيّ صلى الله عليه وسلم (إنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لايُؤْمِنُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى:

فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمدصلى الله عليه وسلم ، جوابا له عن دعائه إياه إذ قال : « يارب إن هؤلاء قوم لايؤمنون» (فاصْفَحْ عَنْهُمْ) يامحمد ، وأعرض عن أذاهم (وَقُلْ) لهم (سَلامٌ) عليكم ورفع سلام بضمير عليكم أو لكم .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة(فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) بالتاء على وجه الخطاب ، بمعنى : أمر الله عزّ وجلّ نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول ذلك للمشركين ، مع قوله(سَلامٌ) ، وقرأته عامة قرّاء الكوفة وبعض قرّاء مكة (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) بالياء على وجه الخبر، وأنه وعيد من الله للمشركين ، فتأويله على هذه القراءة : (فاصْفَحْ عَنْهُمْ) يامحمد (وَقُلْ سَلامٌ) . ثم ابتدأ تعالى ذكره الوعيدَ لهم ، فقال (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) مايلقون من البلاء والنكال والعذاب على كفرهم ، ثم نسخ الله جلّ ثناؤه هذه الآية ، وأمر نبيّه صلى الله عليه وسلم بقتالهم .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ)قال : اصفح عنهم ، ثم أمره بقتالهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ،عن قتادة ، قال الله تبارك وتعالى يعزّى نبيه صلى الله عليه وسلم (فاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) .

آخر تفسير سورة الزخرف

(٤٤) سورة الدخان مكية
وآياتها تسع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ حمٓ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ ﴾

قد تقدم بياننا فى معنى قوله (حمٓ . والكِتابِ المُبِينِ) . وقوله (إنَّا أنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ) أقسم جلّ ثناؤه بهذا الكتاب ، أنه أنزله فى ليلة مباركة .

واختلف أهل التأويل فى تلك الليلة ، أىّ ليلة من ليالى السنة هى ؟ فقال بعضهم : هى ليلة القدر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّا أنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ) : ليلة القدر ، ونزلت صحف إبراهيم فى أوّل ليلة من رمضان ، ونزلت التوراة لستّ ليال مضت من رمضان ، ونزل الزّبور لستّ عشرة مضت من رمضان ، ونزل الإنجيل لثمان عشرة مضت من رمضان، ونزل الفُرقان لأربع وعشرين مضت من رمضان :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ) قال : هى ليلة القدر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله عزّ وجل (إنَّا أنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ) قال : تلك الليلة ليلة القدر ، أنزل الله هذا القرآن من أمّ الكتاب فى ليلة القدر ، ثم أنزله على الأنبياء [١] فى الليالى والأيام ، وفى غير ليلة القدر :

(١) فى فتح القدير للشوكانى (٤ : ٥٥٤) : « وقال قتادة : أنزل القرآن كله فى ليلة القدر من أم الكتاب ، وهو اللوح المحفوظ ، إلى بيت العزة فى سماء الدنيا ، ثم أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم . فى الليالى والأيام ، فى ثلاث وعشرين سنة » .

وقال آخرون : بل هي ليلة النصف من شعبان .

والصواب من القول فى ذلك قول من قال : عنى بها ليلة القدر ، لأن الله جل ثناؤه أخبر أن ذلك كذلك لقوله تعالى (إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ) خوّفنا بهذا الكتاب الذى أنزلناه فى الليلة المباركة عقوبتنا أن تحل بمن كفر منهم ، فلم ينب إلى توحيدنا ، وإفراد الألوهة لنا .

وقوله (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) اختلف أهل التأويل فى هذه الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم ، نحو اختلافهم فى الليلة المباركة ، وذلك أن الهاء التى فى قوله (فيها) عائدة على الليلة المباركة ، فقال بعضهم : هى ليلة القدر ، يقضى فيها أمر السنة كلها من يموت ، ومن يولد ، ومن يعز ، ومن يذل ، وسائر أمور السنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا ربيعة بن كلثوم ، قال : كنت عند الحسن ، فقال له رجل : يا أبا سعيد ، ليلة القدر فى كل رمضان ؟ قال : إى والله ، إنها لفى كل رمضان ، وإنها الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم ، فيها يقضى الله كل أجل وأمل ورزق إلى مثلها .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا ربيعة بن كلثوم ، قال : قال رجل للحسن وأنا أسمع : أرأيت ليلة القدر ، أفى كل رمضان هى ؟ قال : نعم والله الذى لا إله إلا هو ، إنها لفى كل رمضان ، وإنها الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم ، يقضى الله كل أجل وخلق ورزق إلى مثلها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال عبد الحميد بن سالم ، عن عمر مولى غفرة ، قال : يقال : ينسخ لملك الموت من يموت ليلة القدر إلى مثلها ، وذلك لأن الله عز وجل يقول : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ) وقال (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) قال : فتجد الرجل ينكح النساء ، ويغرس الغرس واسمه فى الأموات .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة ، عن أبى مالك ، فى قوله : (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) قال : أمر السنة إلى السنة ما كان من خلق أو رزق أو أجل أو مصيبة ، أو نحو هذا .

قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن هلال بن يساف ، قال : كان يقال : انتظروا القضاء فى شهر رمضان .

حدثنا الفضل بن الصباح ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن حصين ، عن سعيد بن عبيدة ، عن أبى عبد الرحمن فى قوله (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) قال : يدبر أمر السنة فى ليلة القدر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) قال : فى ليلة القدر كل أمر يكون فى السنة إلى السنة : الحياة والموت ، يقدر فيها المعايش والمصائب كلها .

حدثنا بشر ، قال ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ) ليلة القدر (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) كُنَّا نُحَدَّثُ أنه يُفْرق فيها أمر السنة إلى السنة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : هى ليلة القدر فيها يُقضى مايكون من السنة إلى السنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، قال : سألت مجاهدا ، فقلت : أرأيت دعاء أحدنا يقول : اللهمّ إن كان اسمى فى السعداء ، فأثبته فيهم ، وإن كان فى الأشقياء فامحه منهم ، واجعله بالسعداء ، فقال : حسن ، ثم لقيته بعد ذلك بحول أو أكثر من ذلك ، فسألته عن هذا الدعاء ، قال : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ، فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) قال : يقضى فى ليلة القدر ما يكون فى السنة من رزق أو مصيبة ، ثم يقدّم ما يشاء ، ويؤخر ما يشاء ، فأما كتاب السعادة والشقاء فهو ثابت لا يغير .

وقال آخرون : بل هى ليلة النصف من شعبان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الفضل بن الصباح ، والحسن بن عرفة ، قالا : ثنا الحسن بن إسماعيل البجلى ، عن محمد بن سوقة ، عن عكرمة فى قول الله تبارك وتعالى (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) قال : فى ليلة النصف من شعبان ، يبرم فيه أمر السنة ، وتنسخ الأحياء من الأموات ، ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم أحد ، ولا ينقص منهم أحد .

حدثنى عبيد بن آدم بن أبى إياس ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا الليث ، عن عقيل بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تُقْطَعُ الآجالُ مِنْ شَعْبانَ إلى شَعْبانَ حَتى إنَّ الرَّجُلَ لَيَنْكِحُ وَيُولَدُ لَهُ وَقَدْ خَرَجَ اسْمُهُ فى المَوْتَى » .

حدثنى محمد بن معمر ، قال : ثنا أبو هشام ، قال ثنا عبد الواحد ، قال : ثنا عثمان بن حكيم ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، قال : قال ابن عباس : إن الرجل ليمشى فى الناس وقد رُفع فى الأموات ، قال : ثم قرأ هذه الآية (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ، فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) قال : ثم قال : يفرق فيها أمر الدنيا من السنة إلى السنة .

وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : ذلك ليلة القدر لما قد تقدّم من بياننا عن أن المعنىّ بقوله (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ) ليلة القدر ، والهاء فى قوله (فِيهَا) من ذكر الليلة المباركة . وعنى بقوله (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) فى هذه الليلة المباركة يُقضى ويُفصل كلّ أمر أحكمه الله تعالى فى تلك السنة إلى مثلها من السنة الأخرى ، ووضع حكيم موضع محكم ، كما قال : (آلم ، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ) يعنى : المحكم .

وقوله (أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) يقول تعالى ذكره: في هذه الليلة المباركة يُفْرَق كلّ أمر حكيم ، أمرا من عندنا .

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله (أَمْرًا) فقال بعض نحويي الكوفة: نصب على[1] إنا أنزلناه أمرا ورحمة على الحال . وقال بعض نحويي البصرة : نصب على معنى يفرق كل أمر فرقا وأمرا . قال : وكذلك قوله (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) قال : ويجوز أن تنصب الرحمة بوقوع مرسلين عليها ، فجعل الرحمة للنبيّ صلى الله عليه وسلم .

وقوله (إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) يقول تعالى ذكره: إنا كنا مرسلي رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى عبادنا رحمة من ربك يامحمد (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) يقول: إن الله تبارك وتعالى هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون فيما أنزلنا من كتابنا ، وأرسلنا من رسلنا إليهم ، وغير ذلك من منطقهم ومنطق غيرهم، العليم بما تنطوي عليه ضمائرهم ، وغير ذلك من أمورهم وأمور غيرهم .

القول في تأويل قوله تعالى:

رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۞ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۞ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۞

اختلفت القرّاء في قراءة قوله (رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (رَبُّ السَّمَوَاتِ) بالرفع على إتباع إعراب الربّ إعراب السميع العليم . وقرأته عامة قرّاء الكوفة وبعض المكيين (رَبِّ السَّمَوَاتِ) خفضا ردّا على الرب في قوله جلّ جلاله (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) .

۞ والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

ويعني بقوله (رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) يقول تعالى ذكره الذي أنزل هذا الكتاب يامحمد عليك ، وأرسلك إلى هؤلاء المشركين رحمة من ربك، مالك السموات السبع والأرض وما بينهما من الأشياء كلها .

وقوله (إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ) يقول : إن كنتم توقنون بحقيقة ما أخبرتكم من أن ربكم ربّ السموات والأرض ، فإن الذي أخبرتكم أن الله هو الذي هذه الصفات صفاته ، وأن هذا القرآن تنزيله ، ومحمدا صلى الله عليه وسلم رسوله حق يقين ، فأيقنوا به كما أيقنتم بما توقنون من حقائق الأشياء غيره

وقوله(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) يقول : لامعبود لكم أيها الناس غير ربّ السموات والأرض ومابينهما ، فلا تعبدوا غيره ، فإنه لاتصلح العبادة لغيره ، ولا تنبغي لشيء سواه ، يحيي ويميت، يقول : هو الذي يحيي ما يشاء ، ويميت ما يشاء مما كان حيا .

وقوله (رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ) يقول: هو مالككم ومالك من مضى قبلكم من آبائكم الأوّلين ، يقول : فهذا الذي هذه صفته ، هو الربّ فاعبدوه دون آلهتكم التي لاتقدر على ضرّ ولا نفع .

(١) كذا في الأصل . ولعل لفظة « على » زيادة من الناسخ .

وقوله (بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ) يقول تعالى ذكره ما هم بموقنين بحقيقة ما يقال لهم ويخبرون من هذه الأخبار ، يعنى بذلك مشركى قريش ، ولكنهم فى شك منه ، فهم يلهون بشكهم فى الذى يخبرون به من ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝ ﴾

❊ يعنى تعالى ذكره بقوله (فارْتَقِبْ) فانتظر يامحمد بهؤلاء المشركين من قومك الذين هم فى شك يلعبون ، وإنما هو افتعل ، من رقبته : إذا انتظرته وحرسته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فارْتَقِبْ) : أى فانتظر .

وقوله (يَوْمَ تَأْتِى السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) اختلف أهل التأويل فى هذا الذى أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرتقبه ، وأخبره أن السماء تأتى فيه بدخان مبين : أى يوم هو ، ومتى هو؟ وفى معنى الدخان الذى ذُكر فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : ذلك حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش ربه تبارك وتعالى أن يأخذهم بسنين كسنى يوسف ، فأخذوا بالمجاعة ، قالوا : وعنى بالدخان ما كان يصيبهم حينئذ فى أبصارهم من شدة الجوع من الظلمة كهيئة الدخان .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : دخلنا المسجد ، فإذا رجل يقص على أصحابه . ويقول : (يَوْمَ تَأْتِى السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) تدرون ماذلك الدخان ؟ ذلك دخان يأتى يوم القيامة ، فيأخذ أسماع المنافقين وأبصارهم ، ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام ؟ قال : فأتينا ابن مسعود ، فذكرنا ذلك له وكان مضطجعا ، ففزع ، فقعد فقال : إن الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (قُلْ ما أسألُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجْرٍ وَما أنا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ) إن من العلم أن يقول الرجل لما لايعلم : الله أعلم ، سأحدثكم عن ذلك ، إن قريشا لما أبطأت عن الإسلام ، واستعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسنى يوسف ، فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة ، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان ، قال الله تبارك وتعالى (يَوْمَ تَأْتِى السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ ، هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) فقالوا (رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا العَذَابَ إنَّا مُؤْمِنُونَ) قال الله جل ثناؤه (إنَّا كاشِفُوا العَذَابِ قَلِيلاً إنَّكُمْ عائِدُونَ ، يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى إنَّا مُنْتَقِمُونَ) قال : فعادوا يوم بدر فانتقم الله منهم .

حدثني عبد الله بن محمد الزهريّ ، قال : ثنا مالك بن سُعَير ، قال : ثنا الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق قال : كان في المسجد رجل يذكر الناس ، فذكر نحو حديث عيسى ، عن يحيى بن عيسى ، إلا أنه قال : فانتقم يوم بدر ، فهي البطشة الكبرى .

حدثنا ابن حميد ، وعمرو بن عبد الحميد ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح ، عن مسروق ، قال : كنا عند عبد الله بن مسعود جلوسا وهو مضطجع بيننا ، فأتاه رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن : إن قاصا عند أبواب كندة يقص ويزعم أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار ، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام ، فقام عبد الله وجلس وهو غضبان ، فقال : يا أيها الناس اتقوا الله ، فمن علم شيئا فليقل بما يعلم ، ومن لا يعلم فليقل : الله أعلم . وقال عمرو : فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم ، وما على أحدكم أن يقول لما لا يعلم : لا أعلم ، فإن الله عزّ وجلّ يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم (قُلْ ما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَما أَنا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) إن النبيّ صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس إدبارا ، قال : اللهمّ سبعا كسبع يوسف ، فأخذتهم سنة حصّت كل شيء ، حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف ، ينظر أحدهم إلى السماء فيرى دخانا من الجوع ، فأتاه أبو سفيان بن حرب فقال : يا محمد إنك جئت تأمر بالطاعة وبصلة الرحم ، وإن قومك قد هلكوا ، فادع الله لهم ، قال الله عزّ وجلّ (فَارْتَقِبْ يَوْمَ يَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ) . . . إلى قوله (إِنَّكُمْ عائِدُونَ) قال : فكشف عنهم (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ) فالبطشة يوم بدر ، وقد مضت آية الروم وآية الدخان ، والبطشة واللزام .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق قال : قال عبد الله : خمس قد مضين : الدخان ، واللزام ، والبطشة ، والقمر ، والروم .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، قال : شهدت جنازة فيها زيد بن عليّ فأنشأ يحدّث يومئذ ، فقال : إن الدخان يجيء قبل يوم القيامة ، فيأخذ بأنف المؤمن الزكام ، ويأخذ بمسامع الكافر ، قال : قلت رحمك الله ، إن صاحبنا عبد الله قد قال غير هذا ، قال : إن الدخان قد مضى وقرأ هذه الآية (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ ، هذا عَذابٌ أَلِيمٌ) قال : أصاب الناس جهد حتى جعل الرجل يرى ما بينه وبين السماء دخانا ، فذلك قوله (فَارْتَقِبْ) وكلما قرأ عبد الله إلى قوله (مُؤْمِنُونَ) قال (إِنَّا كاشِفُوا الْعَذابِ قَلِيلًا) قلت لزيد فعادوا ، فأعاد الله عليهم بدرا ، فذلك قوله (وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنا) فذلك يوم بدر ، قال : فقبل والله ، قال عاصم ، فقال رجل يردّ عليه ، فقال زيد رحمة الله عليه : أما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال : « إِنَّكُمْ سَيَجِيئُكُمْ رُوَاةٌ ، فَمَا وَافَقَ الْقُرْآنَ فَخُذُوا بِهِ ، وَمَا كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَدَعُوهُ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن ابن مسعود أنه قال : البطشة الكبرى يوم بدر ، وقد مضى الدخان .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن عوف ، قال : سمعت أبا العالية يقول : إن الدخان قد مضى .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن عمرو، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: مضى الدخان لسنين أصابتهم ،

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أيوب ، عن محمد ، قال: نُبئت أن ابن مسعود كان يقول : قد مضى الدخان ، كان سنين كسنى يوسف .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال: ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد(يَوْمَ تَأْتِى السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) قال : الجدب وإمساك المطر عن كفار قريش ، إلى قوله (إنَّا مُؤْمِنُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ تَأْتِى السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) قال : كان ابن مسعود يقول : قد مضى الدخان ، وكان سنين كسنى يوسف (يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَوْمَ تَأْتِى السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) قد مضى شأن الدخان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) قال : يوم بدر .

وقال آخرون : الدخان آية من آيات الله ، مرسلة على عباده قبل مجىء الساعة ، فيدخل فى أسماع أهل الكفر به ، ويعترى أهل الإيمان به كهيئة الزكام ، قالوا : ولم يأت بعد ، وهو آت .

ذكر من قال ذلك

حدثنى واصل بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن الوليد بن جميع ، عن عبد الملك بن المُغيرة ، عن عبد الرحمن بن البيلمانى ، عن ابن عمر ، قال : يخرج الدخان ، فيأخذ المؤمن كهيئة الزكمة ، ويدخل فى مسامع الكافر والمنافق ، حتى يكون كالرأس الحنيذ .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن أبى مليكة ، قال : غدوت على ابن عباس ذات يوم ، فقال : ما نمت الليلة حتى أصبحت ، قلت : لِمَ ؟ قال : قالوا : طلع الكوكب ذو الذنب ، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق ، فما نمت حتى أصبحت .

حدثنا محمد بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، عن عوف ، قال : قال الحسن : إن الدخان قد بقى من الآيات ، فإذا جاء الدخان نفخ الكافر حتى يخرج من كلّ سمع من مسامعه ، ويأخذ المؤمن كزكمة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عثمان ، يعنى ابن الهيثم ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن بنحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن، عن أبى سعيد ، قال : يهيج الدخان بالناس . فأما المؤمن فيأخذه منه كهيئة الزكمة . وأما الكافر فيهيجه حتى يخرج من كلّ مسمع منه . قال : وكان بعض أهل العلم يقول : فما مثل الأرض يومئذ إلا كمثل بيت أوقد فيه ليس فيه خصاصة .

حدثني عصام بن روّاد بن الجراح ، قال : ثني أبي ، قال : ثنا سفيان بن سعيد الثوري ، قال : ثنا منصور بن المعتمر ، عن ربعيّ بن حراش ، قال : سمعت حذيفة بن اليمان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَوَّلُ الآيَاتِ الدَّجَّالُ ، وَنُزُولُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنِ أَبْيَنَ تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ تَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا ، والدُّخَان ، قال حذيفة : يا رسول الله وما الدخان ؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) يَمْلَأُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ يَمْكُثُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُصِيبُهُ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ . وأَمَّا الكافِرُ فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ السَّكْرَانِ يَخْرُجُ مِنْ مَنْخِرَيْهِ وأُذُنَيْهِ وَدُبُرِهِ » .

حدثني محمد بن عوف ، قال : ثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، قال : ثني أبي ، قال : ثني ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعريّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ رَبَّكُمْ أَنْذَرَكُمْ ثَلَاثًا : الدُّخَانَ يَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ كَالزَّكْمَةِ ، وَيَأْخُذُ الكَافِرَ فَيَنْتَفِخُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ كُلِّ مَسْمَعٍ مِنْهُ ، وَالثَّانِيَةَ الدَّابَّةُ ، وَالثَّالِثَةَ الدَّجَّالُ » .

وأولى القولين بالصواب في ذلك ما رُوي عن ابن مسعود من أن الدخان الذي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرتقبه ، هو ما أصاب قومه من الجهد بدعائه عليهم ، على ما وصفه ابن مسعود من ذلك إن لم يكن خبر حذيفة الذي ذكرناه عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحا ، وإن كان صحيحا ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما أنزل الله عليه ، وليس لأحد مع قوله الذي يصح عنه قول ، وإنما لم أشهد له بالصحة ، لأن محمد بن خلف العسقلانيّ حدثني أنه سأل روّادا عن هذا الحديث ، هل سمعه من سفيان ؟ فقال له : لا ، فقلت له ، فقرأته عليه ، فقال : لا ، فقلت له : فقرئ عليه وأنت حاضر فأقرّ به ، فقال : لا ، فقلت : فمن أين جئت به ؟ قال : جاءني به قوم فعرضوه عليّ وقالوا لي : اسمعه منا فقرءوه عليّ ، ثم ذهبوا ، فحدّثوا به عني ، أو كما قال ؛ فلما ذكرت من ذلك لم أشهد له بالصحة ، وإنما قلت : القول الذي قاله عبد الله بن مسعود هو أولى بتأويل الآية ، لأن الله جلّ ثناؤه توعّد بالدخان مشركي قريش وأن قوله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) في سياق خطاب الله كفار قريش وتقريعه إياهم بشركهم بقوله (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ، بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ) . ثم أتبع ذلك قوله لنبيه عليه الصلاة والسلام (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) أمرًا منه له بالصبر إلى أن يأتيهم بأسه وتهديدا للمشركين فهو بأن يكون إذ كان وعيدا لهم قد أحله بهم أشبه من أن يكون أخره عنهم لغيرهم ، وبعد ، فإنه غير منكر أن يكون أحلّ بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم ، ويكون مُحِلا فيما يستأنف بعد بآخرين دخانا على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا كذلك ، لأن الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تظاهرت

بأن ذلك كائن ، فإنه قد كان ما روَى عنه عبد الله بن مسعود ، فكلا الخبرين اللذين رُويا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح .

وإن كان تأويل الآية فى هذا الموضع ماقلنا ، فإذ كان الذى قلنا فى ذلك أولى التأويلين ، فبين أن معناه : فانتظر يامحمد لمشركى قومك يوم تأتيهم السماء من البلاء الذى يحل بهم على كفرهم بمثل الدخان المبين لمن تأمله أنه دخان. (يغشى الناس) : يقول : يغشى أبصارهم من الجهد الذى يصيبهم (هذا عذاب أليم) يعنى أنهم يقولون مما نالهم من ذلك الكرب والجهد : هذا عذاب أليم . وهو الموجع ، وترك من الكلام (يقولون) استغناء بمعرفة السامعين معناه من ذكرها .

وقوله (ربنا اكشف عنا العذاب) يعنى أن الكافرين الذين يصيبهم ذلك الجهد يضرعون إلى ربهم بمسئلتهم إياه كشف ذلك الجهد عنهم ، ويقولون : إنك إن كشفته آمنا بك وعبدناك من دون كل معبود سواك ، كما أخبر عنهم جل ثناؤه (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

❁ يقول تعالى ذكره : من أى وجه لهؤلاء المشركين التذكر من بعد نزول البلاء بهم ، وقد تولوا عن رسولنا حين جاءهم مدبرين عنه ، لايتذكرون بما يتلى عليهم من كتابنا ، ولا يتعظون بما يعظهم به من حججنا ، ويقولون : إنما هو مجنون علّم هذا (١) الكلام .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (أنى لهم الذكرى) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، فى قوله (أنى لهم الذكرى) يقول : كيف لهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أنى لهم الذكرى) بعد وقوع هذا البلاء .

وبنحو الذى قلنا أيضا فى قوله (ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) قال : تولوا عن محمد عليه الصلاة والسلام ، وقالوا : معلم مجنون .

(١) فى الأصل : « على » فى موضع « علم » . وهو تحريف من الناسخ .

وقوله (إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين أخبر عنهم أنهم يستغيثون به من الدخان النازل والعذاب الحالّ بهم من الجهد ، وأخبر عنهم أنهم يعاهدونه أنه إن (كشف العذاب عنهم آمنوا) إنا كاشفوا العذاب : يعنى الضرّ النازل بهم بالخصب الذى نحدثه لهم (قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) يقول : إنكم أيها المشركون إذا كَشَفْتُ عنكم مابكم من ضرّ لم تفوا بما تعدون وتعاهدون عليه ربكم من الإيمان ، ولكنكم تعودون فى ضلالتكم وغيكم ، وماكنتم قبل أن يكشف عنكم .

وكان قتادة يقول : معناه : إنكم عائدون فى عذاب الله .

حدثنا بذلك ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر عنه . وأما الذين قالوا : عنى بقوله : (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) الدخان نفسه ، فإنهم قالوا فى هذا الموضع : عنى بالعذاب الذى قال (إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ) : الدخان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا) يعنى الدخان

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا) قال : قد فعل ، كشف الدخان حين كان .

قوله (إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) قال : كُشِف عنهم فعادوا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) إلى عذاب الله.

القول فى تأويل قوله تعالى

يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره : إنكم أيها المشركون إن كشفت عنكم العذاب النازل بكم ، والضرّ الحالّ بكم ، ثم عدتم فى كفركم ، ونقضتم عهدكم الذى عاهدتم ربكم ، انتقمت منكم يوم أبطش بكم بطشتى الكبرى فى عاجل الدنيا ، فأهلككم ، وكشف الله عنهم ، فعادوا ، فبطش بهم جلّ ثناؤه بطشته الكبرى فى الدنيا ، فأهلكهم قتلا بالسيف .

وقد اختلف أهل التأويل فى البطشة الكبرى ، فقال بعضهم : هى بطشة الله بمشركى قريش يوم بدر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن ابن مسعود ، أنه قال : البطشة الكبرى : يوم بدر .

حدثنى عبد الله بن محمد الزهرى ، قال : ثنا مالك بن سعير ، قال : ثنا الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق قال : قال يوم بدر ، البطشة الكبرى .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أيوب ، عن محمد ، قال : نبئت أن ابن مسعود كان يقول : (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) يوم بدر .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن ليث ، عن مجاهد (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) قال : يوم بدر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) قال : يوم بدر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدىّ ، عن عوف ، قال : سمعت أبا العالية في هذه الآية (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) قال : يوم بدر .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ) قال : يعني يوم بدر .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عثام بن علىّ ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : قلت : ما البطشة الكبرى ؟ فقال : يوم القيامة ، فقلت : إن عبد الله كان يقول : يوم بدر ؛ قال : فبلغني أنه سُئل بعد ذلك فقال : يوم بدر .

حدثنا أبو كُرَيب وأبو السائب قالا : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، بنحوه

حدثنا بشر ، ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي الخليل ، عن مجاهد ، عن أُبىّ بن كعب ، قال : يوم بدر .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) يوم بدر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) قال : هذا يوم بدر .

وقال آخرون : بل هي بطشة الله بأعدائه يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا خالد الحذّاء ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس ، قال ابن مسعود : البطشة الكبرى : يوم بدر ، وأنا أقول : هي يوم القيامة .

حدثنا أبو كُرَيب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن دريس ، قال : ثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : مرّ بي عكرمة ، فسألته عن البطشة الكبرى فقال : يوم القيامة ؛ قال : قلت : إن عبد الله بن مسعود كان يقول : يوم بدر ، وأخبرني من سأله بعد ذلك فقال : يوم بدر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) قال قتادة عن الحسن : إنه يوم القيامة .

وقد بيَّنا الصواب في ذلك فيما مضى ، والعلة التي من أجلها اخترنا ما اخترنا من القول فيه .

وقوله (وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ) يعنى تعالى ذكره : ولقد أختبرنا وابتلينا يامحمد قبل مشركي قومك مثال هؤلاء قوم فرعون من القبط (وَجاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ) يقول: وجاءهم رسول من عندنا أرسلناه إليهم ، وهوموسى بن عمران صلوات الله عليه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ) يعنى موسى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (رَسُولٌ كَرِيمٌ) قال : موسى عليه السلام ، ووصفه جل ثناؤه بالكرم ، لأنه كان كريما عليه ، رفيعا عنده مكانه ، وقد يجوز أن يكون وصفه بذلك ، لأنه كان فى قومه شريفا وسيطا .

وقوله (أن أدّوا إلىَّ عِبادَ اللهِ) يقول تعالى ذكره: وجاء قوم فرعون رسول من الله كريم عليه بأن ادفعوا إلىّ ، ومعنى « أدوا » : ادفعوا إلىّ فأرسلوا معى واتبعون ، وهونحو قوله (أنْ أرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إسْرائيلَ) فأن فى قوله (أنْ أدُّوا إلىَّ) نصب ، وعباد الله نصب بقوله (أدُّوا) وقد تأوله قوم : أن أدّوا إلىّ يا عباد الله ، فعلى هذا التأويل عباد الله نصب على النداء .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل (أنْ أدُّوا إلىَّ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ. أنْ أدُّوا إلىَّ عِبادَ اللهِ إنّى لَكُمْ رَسُولٌ أمِينٌ) قال : يقول : اتبعونى إلى ما أدعوكم إليه من الحقّ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أنْ أدُّوا إلىَّ عِبادَ اللهِ) قال : أرسلوا معى بنى إسرائيل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أنْ أدُّوا إلىَّ عِبادَ اللهِ) قال : بنى إسرائيل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أنْ أدُّوا إلىَّ عِبادَ اللهِ) يعنى به بنى إسرائيل ، قال لفرعون : علام تحبس هؤلاء القوم ، قوما أحرارا اتخذتهم عبيدا ، خلّ سبيلهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (أنْ أدُّوا إلىَّ عِبادَ اللهِ) قال : يقول : أرسل عباد الله معى ، يعنى بنى إسرائيل، وقرأ (فَأرْسِلْ مَعَنا بَنِي إسْرائِيلَ وَلا تعذّبهم) قال : ذلك قوله (أنْ أدُّوا إلىَّ عِبادَ اللهِ) قال : ردّهم إلينا .

وقوله (إنّى لَكُمْ رَسُولٌ أمِينٌ) يقول: إنى لكم أيها القوم رسول من الله أرسلنى إليكم لأينذركم بأسه على كفركم به ، (أمين) : يقول : أمين على وحيه ورسالته التى أودعنيها إليكم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٩ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ۝٢٠ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ۝٢١ ﴾

يقول تعالى ذكره : وجاءهم رسول كريم ، أن أدّوا إلىّ عباد الله ، وبأن لاتعلوا على الله .

وعنى بقوله (أنْ لاتَعْلُوا على اللهِ) أن لاتطغوا وتبغوا على ربكم ، فتكفروا به وتعصوه ، فتخالفوا أمره (إنّى آتِيكُمْ بِسُلْطانٍ مُبِين) يقول : إنى آتيكم بحجة على حقيقة ما أدعوكم إليه ، وبرهان على صحته ، مبين لمن تأملها وتدبرها أنها حجة لى على صحة ما أقول لكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأنْ لاتَعْلُوا على اللهِ) : أى لاتبغوا على الله (إنّى آتِيكُمْ بِسُلْطانٍ مُبِين) : أى بعذر مبين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأنْ لاتَعْلُوا على اللهِ) يقول : لاتفتروا على الله .

وقوله (وَإنّى عُذْتُ بِرَبّى وَرَبِّكُمْ أنْ تَرْجُمُونَ) يقول : وإنى اعتصمت بربى وربكم واستجرت به منكم أن ترجمون .

واختلف أهل التأويل فى معنى الرجم الذى استعاذ موسى نبىّ الله عليه السلام بربه منه ، فقال بعضهم : هو الشتم باللسان .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وإنّى عُذْتُ بِرَبّى وَرَبِّكُمْ أنْ تَرْجُمُونَ) قال : يعنى رجم القول .

حدثنى ابن المثنى ، قال : ثنا عثمان بن عمر بن فارس ، قال : ثنا شعبة ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح ، فى قوله (وإنّى عُذْتُ بِرَبّى وَرَبِّكُمْ أنْ تَرْجُمُونَ) قال : الرجم : بالقول .

حدثنا أبو هشام الرفاعى ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح (وإنّى عُذْتُ بِرَبّى وَرَبِّكُمْ أنْ تَرْجُمُونِ) قال : أن تقولوا هو ساحر .

وقال آخرون : بل هو الرجم بالحجارة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ) : أى أن ترجمون بالحجارة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَنْ تَرْجُمُونَ) قال : أن ترجمون بالحجارة .

وقال آخرون : بل عنى بقوله (أَنْ تَرْجُمُونِ) : أن تقتلونى .

❁ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب مادلّ عليه ظاهر الكلام ، وهو أن موسى عليه السلام استعاذ بالله من أن يرجُمه فرعون وقومه ، والرجم قد يكون قولا باللسان ، وفعلا باليد . والصواب أن يقال : استعاذ موسى بربه من كل معانى رجمهم الذى يصل منه إلى المرجوم أذًى ومكروه ، شتما كان ذلك باللسان ، أو رجما بالحجارة باليد .

وقوله (وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِى فَاعْتَزِلُونِ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه موسى عليه السلام لفرعون وقومه : وإن أنتم أيها القوم لم تصدّقونى على ما جئتكم به من عند ربى ، فاعتزلون : يقول : فخلوا سبيلى غير مرجوم باللسان ولا باليد .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِى فَاعْتَزِلُونِ) : أى فخلُّوا سبيلى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾

❁ يقول تعالى ذكره : فدعا موسى ربه إذ كذّبوه ولم يؤمنوا به ، ولم يؤدّ إليه عباد الله ، وهموا بقتله بأن هؤلاء ، يعنى فرعون وقومه (قَوْمٌ مُجْرِمُونَ) يعنى : أنهم مشركون بالله كافرون .

وقوله (فَأَسْرِ بِعِبَادِى) وفى الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ذُكر عليه منه ، وهو : فأجابه ربّه بأن قال له : فأسر إذ كان الأمر كذلك بعبادى ، وهم بنو إسرائيل . وإنما معنى الكلام : فأسر بعبادى الذين صدّقوك وآمنوا بك ، واتبعوك دون الذين كذّبوك منهم ، وأبَوْا قبول ما جئتهم به من النصيحة منك ، وكان الذين كانوا بهذه الصفة يومئذ بنى إسرائيل . وقال : (فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا) لأن معنى ذلك : سر بهم بليل قبل الصباح .

وقوله (إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ) يقول : إن فرعون وقومه من القبط متبعوكم إذا شخصتم عن بلدهم وأرضهم فى آثاركم .

وقوله (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) يقول : وإذا قطعت البحر أنت وأصحابك، فاتركه سا كنا على حاله التى كان عليها حين دخلته . وقيل : إن الله تعالى ذكره قال لموسى هذا القول بعد ما قطع البحر ببنى إسرائيل فإذ كان ذلك كذلك ، فنى الكلام محذوف ، وهو : فسرى موسى بعبادى ليلا ، وقطع بهم البحر ، فقلنا له بعد ما قطعه ، وأراد ردّ البحر إلى هيئته التى كان عليها قبل انفلاقه : اتركه رَهْوًا .

ذكر من قال ما ذكرنا من أن الله عزّ وجلّ قال لموسى صلى الله عليه وسلم هذا القول بعد ما قطع البحر بقومه

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ) حتى بلغ (إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ) قال : لما خرج آخر بنى إسرائيل أراد نبىّ الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب البحر بعصاه ، حتى يعود كما كان مخافة آل فرعون أن يدركوهم ، فقيل له (اتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : لما قطع البحر ، عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم ، وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده ، فقيل له : (اتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) كما هو (إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ) .

واختلف أهل التأويل فى معنى الرهو ، فقال بعضهم : معناه : اتركه على هيئته وحاله التى كان عليها

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) يقول : سَمْتا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ) قال : الرهو : أن يترك كما كان ، فإنهم لن يخلُصوا من ورائه .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا حميد ، عن إسحاق ، عن عبد الله بن الحارث ، عن أبيه ، أن ابن عباس سأل كعبا عن قول الله (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) قال : طريقا .

وقال آخرون : بل معناه : اتركه سَهْلا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، قوله (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) قال : سهلا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) قال : يقال : الرهو : السهل .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا حرميّ بن عُمارة قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني عمارة ، عن الضحاك ابن مُزاحم ، في قول الله عزّ وجلّ (وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا) قال : دَمِثا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا) قال : سهلا دمثا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا) قال : هو السهل .

وقال آخرون : بل معناه : واتركه يبسا جددا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثني عبيد الله بن معاذ ، قال : ثني أبي ، عن شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة ، في قوله (وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا) قال : جددا .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثني عبيدالله بن معاذ ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة في قوله(وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا) قال : يابسا كهيئته بعد أن ضربه ، يقول : لاتأمره يرجع ، اتركه حتى يدخل آخرهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (رَهوًا) قال : طريقا يَبَسا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا) كما هو طريقا يابسا .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه : اتركه على هيئته كما هو على الحال التي كان عليها حين سلكته ، وذلك أن الرهو في كلام العرب : السكون ، كما قال الشاعر :

كأنَّما أهلُ حُجْرٍ ينظُرُونَ مَتَى يَرَوْنَنِي خارجا طَيْرٌ يَنادِيدُ
طَيْرٌ رأَتْ بازِيا نَضْحُ الدّماءِ بِهِ وأُمُّهُ خَرَجَتْ رَهْوًا إلى عِيدِ [1]

يعني على سكون ، وإذا كان ذلك معناه كان لاشكّ أنه متروك سهلا دَمِثا ، وطريقا يَبَسا لأن بني إسرائيل قطعوه حين قطعوه ، وهو كذلك ، فإذا ترك البحر رهوا كما كان حين قطعه موسى ساكنا لم يُهج كان لاشكّ أنه بالصفة التي وصفت .

وقوله (إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ) يقول : إن فرعون وقومه جند ، الله مغرقهم في البحر .

---

(١) هذان البيتان لم أقف على قائلهما . وأنشد في اللسان أولهما ولم ينسبه ، قال : وطير يناديد وأناديد : متفرقة قال : « كأنما أهل حجر . . . البيت . وضبط حجر : بضم الحاء . ونضح الدماء : رشها بما افترس من الحيوان . ورهوا : أي ساكنة . وإلى عيد : أي إلى معاودة . وفي البيتين إقواء .

وفي اللسان : رها الشيء رهوا : سكن . وفي معاني القرآن للفراء (الورقة ٢٩٧) : وقوله « واترك البحر رهوا » : يقول : ساكنا وأنشدني أبو ثروان : « كأنما أهل حجر . . . . البيتين » . اهـ .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾

يقول تعالى ذكره : كم ترك فرعون وقومه من القبط بعد مهلكهم وتغريق الله إياهم من بساتين وأشجار، وهى الجنات ، وعيون ، يعنى : ومنابع ماكان ينفجر فى جنانهم وزروع قائمة فى مزارعهم (ومَقام كَرِيم) يقول : وموضع كانوا يقومونه شريف كريم .

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى وصف الله ذلك المقام بالكرم ، فقال بعضهم : وصفه بذلك لشرفه ، وذلك أنه مَقام الملوك والأمراء ، قالوا : وإنما أريد به المنابر.

ذكر من قال ذلك

حدثنى جعفر بن ابنة إسحاق الأزرق ، قال : ثنا سعيد بن محمد الثقفى ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ابن مُهاجر ، عن أبيه ، عن مجاهد ، فى قوله (ومَقام كَرِيم) قال : المنابر .

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا عبد الله بن داود الواسطى ، قال : ثنا شريك ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جُبير ، فى قوله (ومَقام كَرِيم) قال : المنابر .

وقال آخرون : وصف ذلك المقام بالكرم لحسنه وبهجته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ومَقام كَرِيم) : أى حسن .

وقوله (وَنَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ) يقول تعالى ذكره : وأخرجوا من نعمة كانوا فيها فاكهين متفكهين ناعمين .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فاكِهِينَ) فقرأته عامة قرّاء الأمصار خلا أبى جعفر القارئ (فاكِهِينَ) على المعنى الذى وصفت . وقرأه أبو رجاء العُطاردى والحسن وأبوجعفر المدنىّ (فَكِهِينَ) بمعنى : أشِرين بَطِرين.

والصواب من القراءة عندى فى ذلك ، القراءة التى عليها قرّاء الأمصار ، وهى (فاكِهِينَ) بالألف بمعنى ناعمين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال ثنا سعيد،عن قتادة (وَنَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ) : ناعمين ، قال : إى والله ، أخرجه الله من جناته وعيونه وزروعه حتى ورّطه فى البحر .

وقوله (كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ) يقول تعالى ذكره : هكذا كما وصفت لكم أيها الناس فعلنا بهؤلاء الذين ذكرتُ لكم أمرهم ، الذين كذّبوا رسولنا موسى صلى الله عليه وسلم.

وقوله (وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ) يقول تعالى ذكره وأورثنا جنّاتهم وعيونهم وزروعهم ومقاماتهم وماكانوا فيه من النعمة عنهم قوما آخرين بعد مهلكهم ، وقيل : عُنِيَ بالقوم الآخرين بنو إسرائيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ) يعني بني إسرائيل .

القول في تأويل قوله تعالى

فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾

يقول تعالى ذكره : فما بكت على هؤلاء الذين غرّقهم الله في البحر ، وهم فرعون وقومه ، السماء والأرض ، وقيل : إن بكاء السماء حمرة أطرافها .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسيّ ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، عن الحكم بن ظهير ، عن السديّ قال : لما قتل الحسين بن عليّ رضوان الله عليهما بكت السماء عليه ، وبكاؤها حمرتها .

حدثني عليّ بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء في قوله (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) قال : بكاؤها حمرة أطرافها .

وقيل : إنما قيل : (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) لأن المؤمن إذا مات ، بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحا ، ولم تبكيا على فرعون وقومه ، لأنه لم يكن لهم عمل يتصعّد إلى الله صالح ، فتبكي عليهم السماء ، ولا مسجد في الأرض ، فتبكي عليهم الأرض .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا طلق بن غنام ، عن زائدة ، عن منصور ، عن المنهال ، عن سعيد بن جُبير ، قال : أتى ابن عباس رجل ، فقال : يا أبا عباس أرأيت قول الله تبارك وتعالى (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ) فهل تبكي السماء والأرض على أحد ؟ قال : نعم إنه ليس أحد من الخلائق إلا له باب في السماء منه ينزل رزقه ، وفيه يصعد عمله ، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله ، وينزل منه رزقه ، بكى عليه ؛ وإذا فقده مُصلّاه من الأرض التي كان

يصلى فيها ، ويذكر الله فيها بكت عليه ، وإن قوم فرعون لم يكن لهم فى الأرض آثار صالحة ، ولم يكن يصعد إلى السماء منهم خير ، قال : فلم تبك عليهم السماء والأرض .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ويحيى قالا : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كان يقال : تبكى الأرض على المؤمن أربعين صباحا .

حدثنا ابن بشار ، قال . ثنا عبدالرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى يحيى القَتّات ، عن مجاهد ، عن ابن عباس بمثله .

حدثنى يحيى بن طلحة ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : حُدثت أن المؤمن إذا مات بكت عليه الأرض أربعين صباحا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمى ، قال : ثنا بكير بن أبى السميط ، قال : ثنا قتادة ، عن سعيد بن جُبير أنه كان يقول : إن بقاع الأرض التى كان يصعد عمله منها إلى السماء تبكى عليه بعد موته ، يعنى المؤمن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن المنهال ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ) قال : إنه ليس أحد إلا له باب فى السماء ينزل فيه رزقه ويصعد فيه عمله ، فإذا فُقِد بكت عليه مواضعه التى كان يسجد عليها ، وإن قوم فرعون لم يكن لهم فى الأرض عمل صالح يقبل منهم ، فيصعد إلى الله عزّ وجلّ ، فقال مجاهد : تبكى الأرض على المؤمن أربعين صباحا .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد قال : كان يقال : إن المؤمن إذا مات بكت عليه الأرض أربعين صباحا .

حدثنا يحيى بن طلحة ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن صفوان بن عمرو ، عن شريح بن عبيد الحضرمى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ الإسْلامَ بَدَأ غَرِيبا وَسَيَعُودُ غَرِيبا ، ألا لاغُرْبَةَ على المُؤْمِن ، ما ماتَ مُؤْمِنٌ فى غُرْبَةٍ غابَتْ عَنْهُ فيها بَوَاكِيهِ إلاّ بَكَتْ عَلَيْهِ السَّماءُ والأرْضُ » ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ والأرْضُ) ، ثم قال : إنّهُما لايَبْكِيانِ على الكافِرِ » .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ والأرْضُ) . . . الآية ، قال : ذلك أنه ليس على الأرض مؤمن يموت إلا بكى عليه ما كان يصلى فيه من المساجد حين يفقده ، وإلا بكى عليه من السماء الموضعُ الذى كان يرفع منه كلامه ، فذلك قوله لأهل معصيته (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ والأرْضُ ، وَما كانُوا مُنْظَرِينَ) لأنهما يبكيان على أولياء الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) [1] .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) يقول : لا تبكى السماء والأرض على الكافر ، وتبكى على المؤمن الصالح معالمُه من الأرض ومقرُّ عمله من السماء .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) قال : بقاع المؤمن التى كان يصلى عليها من الأرض تبكى عليه إذا مات ، وبقاعه من السماء التى كان يرفع فيها عمله .

وحدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن المنهال ، عن سعيد بن جُبَير ، قال : سُئل ابن عباس : هل تبكى السماء والأرض على أحد ؟ فقال : نعم إنه ليس أحد ، من الخلق إلا له باب فى السماء يصعد فيه عمله ، وينزل منه رزقه ، فإذا مات بكى عليه مكانه من الأرض الذى كان يذكر الله فيه ويصلى فيه ، وبكى عليه بابه الذى كان يصعد فيه عمله ، وينزل منه رزقه . وأما قوم فرعون ، فلم يكن لهم آثار صالحة ، ولم يصعد إلى السماء منهم خير ، فلم تبك عليهم السماء والأرض .

وقوله (وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ) يقول : وما كانوا مؤخرين بالعقوبة التى حلَّت بهم ، ولكنهم عوجلوا بها إذ أسخطوا ربهم عزّ وجلّ عليهم (وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ) : يقول تعالى ذكره : ولقد نجَّينا بنى إسرائيل من العذاب الذى كان فرعون وقومه يعذّبونَهم به ، المهين يعنى المذلّ لهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ) بقتل أبنائهم ، واستحياء نسائهم .

وقوله (مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ) يقول تعالى ذكره : ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب من فرعون ، فقوله (مِنْ فِرْعَوْنَ) مكرّرة على قوله (مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ) مبدلة من الأولى ، ويعنى بقوله (إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ) إنه كان جبارا مستعليا مستكبرا على ربه ، (مِنَ الْمُسْرِفِينَ) يعنى : من المتجاوزين ما ليس لهم تجاوزه . وإنما يعنى جلّ ثناؤه أنه كان ذا اعتداء فى كفره ، واستكبار على ربه جلّ ثناؤه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾

(١) لم يذكر لهذا السند تفسير من قتادة ، والذى فى الدر المنثور عنه ، قال : هم كانوا أهون على الله من ذلك ، قال : وكنا نحدث أن المؤمن تبكى عليه بقاعه التى كان يصلى فيها من الأرض ، ومصعد عمله من السماء .

❊ يقول تعالى ذكره : ولقد اخترنا بنى إسرائيل على علم منا بهم على عالمى أهل زمانهم يومئذ ، وذلك زمان موسى صلوات الله وسلامه عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة(وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ على العَالَمِينَ) : أى اختيروا على أهل زمانهم ذلك ، ولكلّ زمان عالم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ على عِلْمٍ على العَالَمِينَ) قال : عالم ذلك الزمان .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ على عِلْمٍ على العَالَمِينَ) قال : على من هم بين ظَهْرانيه .

قوله (وآتَيْنَاهُمْ مِنَ الآياتِ ما فِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ) يقول تعالى ذكره : وأعطيناهم من العبر والعظات ما فيه اختبار يبين لمن تأمله أنه اختبار اختبرهم الله به .

واختلف أهل التأويل فى ذلك البلاء ، فقال بعضهم : ابتلاهم بنعمه عندهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وآتَيْنَاهُمْ مِنَ الآياتِ مافِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ) أنجاهم الله من عدوّهم ، ثم أقطعهم البحر ، وظلّل عليهم الغمام ، وأنزل عليهم المنّ والسلوى.

وقال آخرون : بل ابتلاهم بالرخاء والشدّة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وآتَيْنَاهُمْ مِنَ الآياتِ ما فِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ) ، وقرأ (وَنَبْلُوكُمْ بالشَّرِّ والخَيْرِ فِتْنَةً وَإلَيْنَا تُرْجَعُونَ) وقال : بلاء مبين لمن آمن بها وكفر بها ، بلوى نبتليهم بها ، نمحصهم بلوى اختبار ، نختبرهم با لخير والشرّ ، نختبرهم لننظر فيما أتاهم من الآيات من يؤمن بها ، وينتفع بها ويضيعها .

❊ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبر أنه آتى بنى إسرائيل من الآيات مافيه ابتلاؤهم واختبارهم ، وقد يكون الابتلاء والاختبار بالرخاء ، ويكون بالشدّة ، ولم يضع لنا دليلا من خبر ولا عقل ، أنه عنى بعض ذلك دون بعض ، وقد كان الله اختبرهم بالمعنيين كليهما جميعا . وجائز أن يكون عنى اختباره إياهم بهما ، فإذا كان الأمر على ما وصفنا ، فالصواب من القول فيه أن نقول كما قال جلّ ثناؤه إنه اختبرهم .

القول في تأويل قوله تعالى:

إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل مشركي قريش لنبيّ الله صلى الله عليه وسلم : إن هؤلاء المشركين من قومك يامحمد (لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الأُولى) التي نموتها ، وهي الموتة الأولى (وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ) بعد مماتنا ، ولا بمبعوثين تكذيبا منهم بالبعث والثواب والعقاب .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ هَؤُلاءِ لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الأُولى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ) قال : قد قال مشركو العرب (وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ) أى : بمبعوثين .

وقوله (فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) يقول تعالى ذكره: قالوا لمحمد عليه الصلاة والسلام : فأتوا بآبائنا الذين قد ماتوا إن كنتم صادقين ، أن الله باعثنا من بعد بلانا في قبورنا ، ومحيينا من بعد مماتنا ، وخوطب صلى الله عليه وسلم هو وحده خطاب الجميع ، كما قيل : (يا أيها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ) وكما قال (رَبِّ ارْجِعُونِ) وقد بيَّنت ذلك في غير موضع من كتابنا .

القول في تأويل قوله تعالى:

أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَاهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أهؤلاء المشركون يا محمد من قومك خير ، أم قوم تُبَّع ، يعني تُبَّعا الحميريّ .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عزّ وجلّ (أَهُمْ خَيْرٌ ، أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ؟) قال : الحميريّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ) ذُكر لنا أن تبعا كان رجلا من حمير ، سار بالجيوش حتى حير الحيرة ، ثم أتى سمرقند فهدمها . وذُكر لنا أنه كان إذا كَتَبَ كَتَبَ باسم الذي تسمّى وملك برًّا وبحرا وصحا وريحا . وذُكر لنا أن كعبا كان يقول : نُعِتَ نَعْتَ الرَّجُلِ الصَّالح ذمّ الله قومَه ولم يذمه . وكانت عائشة تقول : لاتسبوا تُبَّعا ، فإنه كان رجلا صالحا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قالت عائشة : كان تبّع رجلا صالحا . وقال كعب : ذمّ الله قومه ولم يذمه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن تميم بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن جبير ، أن تُبَّعا كسا البيت ، ونهى سعيد عن سبه .

وقوله (وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول تعالى ذكره : أهؤلاء المشركون من قريش خير أم قوم تبع والذين من قبلهم من الأمم الكافرة بربها ، يقول : فليس هؤلاء بخير من أولئك ، فنصفح عنهم ، ولا نهلكهم ، وهم بالله كافرون ، كما كان الذين أهلكناهم من الأمم قبلهم كفارا .

وقوله (إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) يقول : إن قوم تبّع والذين من قبلهم من الأمم الذين أهلكناهم إنما أهلكناهم لإجرامهم ، وكفرهم بربهم . وقيل : إنهم كانوا مجرمين ، فكُسرت ألف « إن » على وجه الابتداء ، وفيها معنى الشرط استغناء بدلالة الكلام على معناها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

يقول تعالى ذكره : (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ) السبع والأرضين وما بينهما من الخلق لعبا . وقوله (مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ) يقول : ماخلقنا السموات والأرض إلا بالحقّ الذى لايصلح التدبير إلا به . وإنما يعنى بذلك تعالى ذكره التنبيه على صحة البعث والمجازاة ، يقول تعالى ذكره : لم نخلق الخلق عبثا بأن نحدثهم فنحييهم ما أردنا ، ثم نفنيهم من غير الامتحان بالطاعة والأمر والنهى ، وغير مجازاة المطيع على طاعته ، والعاصى على المعصية ، ولكن خلقنا ذلك لنبتلى من أردنا امتحانه من خلقنا بما شئنا من امتحانه من الأمر والنهى (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) .

(وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : ولكن أكثر هؤلاء المشركين بالله لايعلمون أن الله خلق ذلك لهم ، فهم لا يخافون على ما يأتون من سخط الله عقوبة ، ولا يرجون على خير إن فعلوه ثوابا لتكذيبهم بالمعاد .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى ذكره : إن يوم فصل الله القضاء بين خلقه بما أسلفوا فى دنياهم من خير أو شرّ يجزى به المحسن بالإحسان ، والمسىء بالإساءة (ميقاتهم أجمعين) : يقول : ميقات اجتماعهم أجمعين .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ) يوم يُفْصَل فيه بين الناس بأعمالهم .

وقوله (يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا) يقول : لايدفع ابن عم عن ابن عم ، ولا صاحب عن صاحبه شيئا من عقوبة الله التي حلّت بهم من الله (وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) يقول: ولا ينصر بعضهم بعضا ، فيستعيذوا ممن نالهم بعقوبة كما كانوا يفعلونه في الدنيا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا) . . . الآية ، انقطعت الأسباب يومئذ يابن آدم ، وصار الناس إلى أعمالهم ، فمن أصاب يومئذ خيرا سعد به آخر ماعليه ، ومن أصاب يومئذ شرّا شقى به آخر ما عليه .

وقوله (إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ) اختلف أهل العربية في موضع « مَنْ » في قوله (إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ) فقال بعض نحويي البصرة : إلا من رحم الله ، فجعله بدلا من الاسم المضمر في ينصرون ، وإن شئت جعلته مبتدأ وأضمرت خبره ، يريد به : إلا من رحم الله فيغنى عنه . وقال بعض نحويي الكوفة قوله (إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ) قال : المؤمنون يشفع بعضهم في بعض ، فإن شئت فاجعل « مَنْ » في موضع رفع ، كأنك قلت : لايقوم أحد إلا فلان ، وإن شئت جعلته نصبا على الاستثناء والانقطاع عن أوّل الكلام ، يريد : اللهمّ إلا من رحم الله .

وقال آخرون منهم : معناه : لايغنى مولى عن مولى شيئا ، إلا من أذن الله له أن يشفع ؛ قال : لايكون بدلا مما في ينصرون ، لأن إلا محقق ، والأوّل منفيّ ، والبدل لايكون إلا بمعنى الأوّل . قال : وكذلك لايجوز أن يكون مستأنفا ، لأنه لايستأنف بالاستثناء .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يكون في موضع رفع بمعنى : يوم لايغنى مولى عن مولى شيئا إلا من رحم الله منهم ، فإنه يغنى عنه بأن يشفع له عند ربه .

وقوله (إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) يقول جلّ ثناؤه واصفا نفسه : إن الله هو العزيز في انتقامه من أعدائه ، الرحيم بأوليائه ، وأهل طاعته .

القول في تأويل قوله تعالى:

إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى ذكره : (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ) التي أخبر أنها تَنْبُتُ في أصل الجحيم ، التي جعلها طعاما لأهل الجحيم ، ثمرها في الجحيم طعام الآثم في الدنيا بربه ، والأثيم : ذو الإثم ، والإثم من أثم يأثم فهو أثيم . وعنى به في هذا الموضع : الذى إثمه الكفر بربه دون غيره من الآثام .

وقد حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن

همام بن الحارث ، أن أبا الدرداء كان يُقرئُ رجلا (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامَ الأَثِيمِ) فقال : طعام اليتيم ، فقال أبوالدرداء : قل إن شجرة الزقوم طعام الفاجر .

حدثنا أبوكُرَيب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : « لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت إلى الدنيا ، لأفسدت على الناس معايشهم » .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن همام ، قال : كان أبوالدرداء يُقرئ رجلا (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ) قال : فجعل الرجل يقول : إن شجرة الزقوم طعام اليتيم ؛ قال : فلما أكثر عليه أبوالدرداء ، فرآه لايفهم ، قال : إن شجرة الزقوم طعام الفاجر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ) قال أبو جهل .

وقوله (كَالمُهْلِ يَغْلِي فِي البُطُونِ) يقول تعالى ذكره : إن شجرة الزقوم التى جعل ثمرتها طعام الكافر فى جهنم ، كالرصاص أو الفضة ، أو ما يُذاب فى النار إذا أُذيب بها ، فتناهت حرارته ، وشدّت حميته فى شدّة السواد .

وقد بيّنا معنى المهل فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع من الشواهد ، وذكر اختلاف أهل التأويل فيه ، غير أنا نذكر من أقوال أهل العلم فى هذا الموضع ما لم نذكره هناك .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبوكدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، قال : سألت ابن عباس ، عن قول الله جلّ ثناؤه (كَالمُهْلِ) قال : كدرديّ الزيت .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (كَالمُهْلِ يَغْلِي فِي البُطُونِ) يقول : أسود كمهل الزيت .

حدثنا أبوكريب وأبوالسائب ويعقوب بن إبراهيم ، قالوا : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت مطرفا ، عن عطية بن سعد ، عن ابن عباس ، فى قوله (كَالمُهْلِ) ماء غليظ كدرديّ الزيت .

حدثنى يحيى بن طلحة ، قال : ثنا شريك ، عن مطرّف ، عن رجل ، عن ابن عباس فى قوله (كَالمُهْلِ) قال : كدرديّ الزيت .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبدالصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا خليد ، عن الحسن ، عن ابن عباس ، أنه رأى فضة قد أُذيبت ، فقال : هذا المهل .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبومعاوية ، قال : ثنا عمرو بن ميمون عن أبيه ، عن عبدالله ، فى قوله (كَالمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ) قال : دخل عبدالله بيت المال ، فأخرج بقايا كانت فيه ، فأوقد عليها النار حتى تلألأت ، قال : أين السائل عن المهل ، هذا المهل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ : وحدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا خالد بن الحارث ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : بلغنى أن ابن مسعود سُئل عن المهل الذى يقولون يوم القيامة شراب أهل النار ،

وهو على بيت المال ، قال : فدعا بذهب وفضة فأذابهما ، فقال : هذا أشبه شيء فى الدنيا بالمهل الذى هو لون السماء يوم القيامة ، وشراب أهل النار ، غير أن ذلك هو أشدّ حرّا من هذا ، لفظ الحديث لابن بشار وحديث ابن المثنى نحوه .

حدثنا أبو كُرَيب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا أشعث، عن الحسن ، قال : كان من كلامه أن عبد الله بن مسعود رجل أكرمه الله بصحبة محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن عمر رضى الله عنه استعمله على بيت المال ، قال : فعمد إلى فضة كثيرة مكسرة ، فخدّ لها أُخدودا ، ثم أمر بحطب جزل فأوقد عليها ، حتى إذا امّاعت وتزبدت وعادت ألوانا، قال : انظروا من بالباب ، فأُدخل القوم فقال لهم : هذا أشبه ما رأينا فى الدنيا بالمُهْل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ) . . . الآية ، ذُكر لنا أن ابن مسعود أُهديت له سقاية من ذهب وفضة ، فأمر بأخدود فخدّت فى الأرض ، ثم قُذِف فيها من جزل الحطب ، ثم قذفت فيها تلك السقاية ، حتى إذا أزبدت وانماعت قال لغلامه : ادع من بحضرتنا من أهل الكوفة ، فدعا رهطا ، فلما دخلوا قال : أترون هذا ؟ قالوا نعم ، قال : ما رأينا فى الدنيا شبيها للمهل أدنى من هذا الذهب والفضة حين أزبد وانماع .

حدثنا أبو هشام الرفاعى ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن سفيان الأسدىّ ، قال : أذاب عبد الله بن مسعود فضة ، ثم قال : من أراد أن ينظر إلى المهل فلينظر إلى هذا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالمُهْلِ) قال : كدُرْدىّ الزيت .

حدثنى يحيى بن طلحة قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد : (كالمهل) قال : كدردى الزيت .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يعمر بن بشر ، قال : ثنا ابن المبارك ، قال: ثنا أبو الصباح ، قال : سمعت يزيد بن أبى ' ية يقول : سمعت ابن عمر يقول : هل تدرون ما المهل ؟ المهل مهل الزيت ، يعنى آخره .

قال : ثنا إبراهيم أبو إسحاق الطالقانى ، قال : ثنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا أبو الصباح الأيلى ، عن يزيد بن أبى سمية ، عن ابن عمر بمثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا رشدين بن سعد ، عن عمرو بن الحارث ، عن درّاج أبى السمح ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم « فى قوله (بِماءٍ كَالمُهْلِ) كعكر الزيت ، فإذا قرّبه إلى وجهه ، سقطت فروة وجهه فيه » .

قال : ثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا يعمر بن بشر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا رشدين ابن سعد ، قال : ثنى عمرو بن الحارث ، عن أبى السمح ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد الخُدْرِىّ ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، مثله .

وقوله (فِى البُطُونِ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة والكوفة (تَغْلِى)

بالتاء ، بمعنى أن شجرة الزقوم تغلى فى بطونهم ، فأنثوا تغلى لتأنيث الشجرة. وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل الكوفة (يَغْلِى) بمعنى : طعام الأثيم يغلى ، أو المهل يغلى ، فذكّره بعضهم لتذكير الطعام، ووجه معناه إلى أن الطعام هو الذى يغلى فى بطونهم وبعضهم لتذكير المهل ، ووجهه إلى أنه صفة للمهل الذى يغلى .

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب (كَغَلْىِ الحَمِيمِ) يقول : يغلى ذلك فى بطون هؤلاء الأشقياء كغلى الماء المحموم ، وهو المسخن الذى قد أوقد عليه حتى تناهت شدّة حرّه ، وقيل : حميم وهو محموم ، لأنه مصروف من مفعول إلى فعيل ، كما يقال : قتيل من مقتول .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : (خُذُوهُ) يعنى هذا الأثيم بربه ، الذى أخبر جلّ ثناؤه أن له شجرة الزقوم طعام (فاعْتِلُوهُ) يقول تعالى ذكره : فادفعوه وسوقوه ، يقال منه : عتله يعتله عتلا : إذا ساقه بالدفع والجذب ؛ ومنه قول الفرزدق :

لَيْسَ الكِرَامُ بِناحِلِيكَ أبَاهُمُ حتّى تُرَدَّ إلى عَطِيَّةَ تُعْتَلُ[1]

أى تُساق دفعا وسحبا .

وقوله (إلى سَوَاءِ الجَحِيمِ) : إلى وسط الجحيم . ومعنى الكلام : يقال يوم القيامة : خذوا هذا الأثيم فسوقوه دفعا فى ظهره ، وسحبا إلى وسط النار .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (فاعْتِلُوهُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (خُذُوهُ فاعْتِلُوهُ إلى سَوَاءِ الجَحِيمِ) قال : خذوه فادفعوه .

وفى قوله (فاعْتِلُوهُ) لغتان : كسر التاء ، وهى قراءة بعض قرّاء أهل المدينة وبعض أهل مكة [2] .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا أنهما لغتان معروفتان فى العرب ، يقال منه : عتل يعتِل و يعتُل ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إلى سَوَاءِ الجَحِيمِ) : إلى وَسَط النار .

---

(١) البيت فى ديوان الفرزدق (طبعة الصاوى بالقاهرة ص ٧٢٢) وناحليك: معطيك . وموضع الشاهد فى البيت قوله « تعتل » . قال فى (اللسان : عتل) : وفى التنزيل : « خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم » قرأ عاصم وحمزة والكسائى وأبو عمرو « فاعتلوه » بكسر التاء ؛ وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب : فاعتلوه » بضم التاء . قال الأزهرى : وهما لغتان فصيحتان . ومعناه : خذوه فاقصفوه كما يقصف الحطب . والعتل : الدفع والإرهاق بالسوق العنيف . اهـ .

(٢) لم يذكر الثانية ، وهى ضم التاء ، وبها قرئ ، ولعله اكتفى عن ذلك ، بما ذكره فى السطر الذى بعده .

وقوله (ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ) يقول تعالى ذكره : ثم صبوا على رأس هذا الأثيم من عذاب الحميم ، يعني : من الماء المسخن الذى وصفنا صفته ، وهو الماء الذى قال الله (يُصْهَرُ بِهِ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ) ، وقد بيَّنت صفته هنالك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : يقال لهذا الأثيم الشقىّ : ذق هذا العذاب الذى تعذّب به اليوم (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ) فى قومك (الْكَرِيمُ) عليهم .

وذُكر أن هذه الآيات نزلت فى أبى جهل بن هشام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ) نزلت فى عدوّ الله أبى جهل لقى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأخذه فهزّه ، ثم قال : أولى لك يا أبا جهل فأولى ، ثم أولى لك فأولى ، ذق إنك أنت العزيز الكريم ، وذلك أنه قال : أيوعدنى محمد ، والله لأنا أعزّ من مشى بين جبليها . وفيه نزلت (وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) وفيه نزلت (كَلَّا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) وقال قتادة : نزلت فى أبى جهل وأصحابه الذين قتل الله تبارك وتعالى يوم بدر (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : نزلت فى أبى جهل (خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ) قال قتادة ؛ قال أبو جهل : ما بين جبليها رجل أعزّ ولا أكرم منى ، فقال الله عزّ وجلّ : (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ) قال : هذا لأبى جهل .

فإن قال قائل : وكيف قيل وهو يهان بالعذاب الذى ذكره الله ، ويذلّ بالعتل إلى سواء الجحيم : إنك أنت العزيز الكريم ؟ قيل : إن قوله (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) غير وصف من قائل ذلك له بالعزّة والكرم ، ولكنه تقريع منه له بما كان يصف به نفسه فى الدنيا ، وتوبيخ له بذلك على وجه الحكاية ، لأنه كان فى الدنيا يقول : إنك أنت العزيز الكريم ، فقيل له فى الآخرة ، إذ عذّب بما عُذّب به فى النار : ذُق هذا الهوان اليوم ، فإنك كنت تزعم أنك أنت العزيز الكريم ، وإنك أنت الذليل المهين ، فأين الذى كنت تقول وتدّعى من العزّ والكرم ، هلاّ تمتنع من العذاب بعزّتك :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا صفوان بن عيسى ؛ قال ثنا ابن عجلان عن سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة قال : قال كعب : لله ثلاثة أثواب : اتّزر بالعزّ ، وتَسَربل الرحمة ، وارتدى الكبرياء تعالى ذكره ، فمن

تعزّز بغير ما أعزّه الله فذاك الذى يقال : ذق إنك أنت العزيز الكريم ، ومن رحم الناس فذاك الذى سربل الله سرباله الذى ينبغى له ومن تكبر فذاك الذى نازع الله رداءه إن الله تعالى ذكره يقول : «لا ينبغى لمن نازعنى ردائى أن أدخله الجنة » جلّ وعزّ . وأجمعت قرّاء الأمصار جميعا على كسر الألف من قوله (ذُقْ إِنَّكَ) على وجه الابتداء . وحكاية قول هذا القائل : إنى أنا العزيز الكريم . وقرأ ذلك بعض المتأخرين (ذُقْ أَنَّكَ) بفتح الألف على إعمال قوله (ذُقْ) فى قوله (أَنَّكَ) كأن معنى الكلام عنده : ذق هذا القول الذى قلته فى الدنيا .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا كسر الألف من (إِنَّكَ) على المعنى الذى ذكرت لقارئه ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه ، وشذوذ ما خالفه [1] ، وكفى دليلا على خطأ قراءة خلافها ، ما مضت عليه الأئمة من المتقدمين والمتأخرين ، مع بُعدها من الصحة فى المعنى وفراقها تأويل أهل التأويل .

وقوله (إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ) يقول تعالى ذكره : يقال له : إن هذا العذاب الذى تعذّب به اليوم ، هو العذاب الذى كنتم فى الدنيا تشكّون ، فتختصمون فيه ، ولا توقنون به فقد لقيتموه ، فذوقوه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۝ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين اتقوا الله بأداء طاعته ، واجتناب معاصيه فى موضع إقامة ، آمنين فى ذلك الموضع مما كان يخاف منه فى مقامات الدنيا من الأوصاب والعلل والأنصاب والأحزان .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فِي مَقَامٍ أَمِينٍ) فقرأته عامة قرّاء المدينة (فِي مُقَامٍ أَمِينٍ) بضم الميم ، بمعنى : فى إقامة أمين من الظعن . وقرأته عامة قرّاء المصرين : الكوفة والبصرة (فِي مَقَامٍ) بفتح الميم على المعنى الذى وصفنا ، وتوجيها إلى أنهم فى مكان وموضع أمين .

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ) إى والله ، أمين من الشيطان والأنصاب والأحزان .

وقوله (فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) الجنات والعيون ترجمة عن المقام الأمين ، والمقام الأمين : هو الجنات والعيون ، والجنات : البساتين ، والعيون : عيون الماء المطرد فى أصول أشجار الجنات .

وقوله (يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ) يقول : يلبس هؤلاء المتقون فى هذه الجنات من سندس ، وهو ما رقّ من الديباج وإستبرق : وهو ما غلظ من الديباج .

---

(١) قوله وشذوذ ما خالفه ، هذا غير صحيح لأن الإمام الكسائى قرأ بفتح الهمز ، وهى قراءة سبعية متواترة مشهورة وليست شاذة .

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن عكرمة، فى قوله (مِنْ سُنْدُسٍ وإِسْتَبْرَقٍ) قال: الإستبرق: الديباج الغليظ.

وقيل: (يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ) ولم يقل لباسا، استغناء بدلالة الكلام على معناه.

وقوله (مُتَقَابِلِينَ) يعنى أنهم فى الجنة يقابل بعضهم بعضا بالوجوه، ولا ينظر بعضهم فى قفا بعض. وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى، فأغنى ذلك عن إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ۝ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝﴾

يقول تعالى ذكره: كما أعطينا هؤلاء المتقين في الآخرة من الكرامة بإدخالناهم الجنات، وإلباسناهم فيها السندس والإستبرق، كذلك أكرمناهم بأن زوّجناهم أيضا فيها حورا من النساء، وهن النقيات البياض، واحدتهن: حَوْراء.

وكان مجاهد يقول فى معنى الحور، ما حدثنى به محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله: (وزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ) قال: أنكحناهم حورا. قال: والحور: اللاتى يحار فيهن الطرف بادٍ مُخُّ سوقهن من وراء ثيابهن، ويرى الناظر وجهه فى كبد إحداهن كالمرآة من رقة الجلد، وصفاء اللون، وهذا الذى قاله مجاهد من أن الحور إنما معناها: أنه يحار فيها الطرف، قول لا معنى له فى كلام العرب، لأن الحور إنما هو جمع حوراء، كالحمر جمع حمراء، والسود: جمع سوداء، والحوراء إنما هى فعلاء من الحور وهو نقاء البياض، كما قيل للنقىّ البياض من الطعام الحُوَّارِيّ. وقد بيَّنا معنى ذلك بشواهده فيما مضى قبل.

وبنحو الذى قلنا فى معنى ذلك قال سائر أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (كَذَلِكَ وزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ) قال: بيضاء عيناء، قال: وفى قراءة ابن مسعود (بعِيسٍ عِينٍ).

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، فى قوله (بِحُورٍ عِينٍ) قال: ببيض عين، قال: وفى حرف ابن مسعود (بعِيسٍ عِينٍ). وقرأ ابن مسعود هذه، يعنى أن معنى الحور غير الذى ذهب إليه مجاهد، لأن العيس عند العرب جمع عيساء، وهى البيضاء من الإبل، كما قال الأعشى:

وَمَهْمَهٍ نازِحٍ تَعْوِي الذّئابُ بِهِ ... كَلَّفْتُ أَعْيَسَ تَحْتَ الرَّحْلِ نَعَّابا[1]

(١) البيت: لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ٣٦١) والرواية فيه: «قفر مساربه» فى موضع «تعوى الذئاب به» والمهمه: الصحراء، والنازح: بعيد. والقفر: خال من النبات والإنس. ومساربه مسالكه. والأعيس: جمل أبيض يخالطه شقرة أو ظلمة.

يعنى بالأعيس : جملا أبيض . فأما العين فإنها جمع عيناء ، وهى العظيمة العينين من النساء .

وقوله (يَدْعُونَ فيها) . . . الآية ، يقول : يدعو هؤلاء المتقون فى الجنة بكلّ نوع من فواكه الجنة اشتهوه ، آمنين فيها من انقطاع ذلك عنهم ونفاده وفنائه ، ومن غائلة أذاه ومكروهه ، يقول : ليست تلك الفاكهة هنالك كفاكهة الدنيا التى نأكلها ، وهم يخافون مكروه عاقبتها ، وغبّ أذاها مع نفادها من عندهم ، وعدمها فى بعض الأزمنة والأوقات .

وكان قتادة يوجه تأويل قوله (آمِنِينَ) إلى ما حدثنا به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فاكِهَةٍ آمِنِينَ) أمنوا من الموت والأوصاب والشيطان .

وقوله (لايَذُوقُونَ فِيها المَوْتَ إلاَّ المَوْتَةَ الأُولى) يقول تعالى ذكره : لايذوق هؤلاء المتقون فى الجنة الموت بعد الموتة الأولى التى ذاقوها فى الدنيا .

وكان بعض أهل العربية يوجه « إلاّ » فى هذا الموضع إلى أنها فى معنى سوى ، ويقول : معنى الكلام : لايذوقون فيها الموت سوى الموتة الأولى ، ويمثله بقوله تعالى ذكره : (وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إلاَّ ما قَدْ سَلَفَ) بمعنى : سوى ما قد فعل آباؤكم ، وليس للذى قال من ذلك عندى وجه مفهوم ، لأن الأغلب من قول القائل : لاأذوق اليوم الطعام إلا الطعام الذى ذقته قبل اليوم أنه يريد الخبر عن قائله أن عنده طعاما فى ذلك اليوم ذائقه وطاعمه دون سائر الأطعمة غيره . وإذا كان ذلك الأغلب من معناه وجب أن يكون قد أثبت بقوله (إلاَّ المَوْتَةَ الأُولى) موتة من نوع الأولى هم ذائقوها ، ومعلوم أن ذلك ليس كذلك ، لأن الله عزّ وجلّ قد آمن أهل الجنة فى الجنة إذا هم دخلوها من الموت ، ولكن ذلك كما وصفت من معناه . وإنما جاز أن توضع « إلا » فى موضع « بعد » لتقارب معنييهما فى هذا الموضع وذلك أن القائل إذا قال : لاأكلم اليوم رجلا إلا رجلا عند عمرو قد أوجب على نفسه أن لايكلم ذلك اليوم رجلا بعد كلام الرجل الذى عند عمرو . وكذلك إذا قال : لاأكلم اليوم رجلا بعد رجل عند عمرو ، قد أوجب على نفسه أن لايكلم ذلك اليوم رجلا إلا رجلا عند عمرو ، فبعد ، وإلا : متقاربتا المعنى فى هذا الموضع . ومن شأن العرب أن تضع الكلمة مكان غيرها إذا تقارب معنياهما ، وذلك كوضعهم الرجاء مكان الخوف لما فى معنى الرجاء من الخوف ، لأن الرجاء ليس بيقين ، وإنما هو طمع ، وقد يصدق ويكذب كما الخوف يصدق أحيانا ويكذب ، فقال فى ذلك أبو ذُؤَيْب :

إذا لَسَعَتْهُ الدَّبْرُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَها ... وَخالَفَها فِي بَيْتِ نُوبٍ عَوَامِلُ[1]

= والرحل : الخشب يشد على الجمل ، ليركب فوقه . ونعاب : من نعبت الإبل : إذا مدت أعناقها فى سيرها . وقيل هو أن يحرك البعير رأسه إذا أسرع (اللسان : نعب) . ومحل الشاهد فى البيت عند المؤلف أن العيس عند العرب جمع أعيس ، وعيساء ، وهى الناقة البيضاء ، كما جاء فى شعر الأعشى : الأعيس : الجمل الأبيض .

(١) البيت لأبى ذؤيب . وهو شاهد على أن لم يرج : أى لم يخف . وقد سبق الاستشهاد به فى هذا التفسير ، وتقدم الكلام عليه مفصلا (انظره فى ٥ : ٢٦٤ من هذه الطبعة) . وفى قافيته : « عواسل » فى موضع عوامل . وكلتاهما صحيحة .

فقال : لم يرج لسعها ، ومعناه فى ذلك : لم يخف لسعها ، وكوضعهم الظنّ موضع العلم الذى لم يدرك من قبل العيان ، وإنما أدرك استدلالا أو خبرا ، كما قال الشاعر :

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِأَلْفَىْ مُدَجَّجٍ سَرَاتُهُمُ فى الفَارِسِىِّ المُسَرَّدِ [١]

بمعنى : أيقنوا بألفى مدجَّج واعلموا ، فوضع الظنّ موضع اليقين ، إذ لم يكن المقول لهم ذلك قد عاينوا ألفى مدجج ، ولا رأوهم ، وإن ما أخبرهم به هذا المخبر ، فقال لهم ظنوا العلم بما لم يعاين من فعل القلب ، فوضع أحدهما موضع الآخر لتقارب معنييهما فى نظائر لما ذكرت يكثر إحصاؤها ، كما يتقارب معنى الكلمتين فى بعض المعانى ، وهما مختلفتا المعنى فى أشياء أخر ، فتضع العرب إحداهما مكان صاحبتها فى الموضع الذى يتقارب معنياهما فيه ، فكذلك قوله (لايَذُوقُونَ فِيهَا المَوْتَ إلاَّ المَوْتَةَ الأُولى) وضعت « إلا » فى موضع « بعد » لما نصف من تقارب معنى « إلا » ، و « بعد » فى هذا الموضع ، وكذلك (وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إلاَّ ما قَدْ سَلَفَ) إنما معناه : بعد الذى سلف منكم فى الجاهلية ، فأما إذا وجهت « إلا » فى هذا الموضع إلى معنى سوى ، فإنما هو ترجمة عن المكان ، وبيان عنها بما هو أشدّ التباسا على من أراد علم معناها منها .

وقوله (وَوَقاهُمْ عَذَابَ الجَحِيمِ فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ) يقول تعالى ذكره : ووقى هؤلاء المتقين ربهم يومئذ عذاب النار تفضلا يامحمد من ربك عليهم ، وإحسانا منه إليهم بذلك ، ولم يعاقبهم بجرم سلف منهم فى الدنيا ، ولولا تفضله عليهم بصفحه لهم عن العقوبة لهم على ما سلف منهم من ذلك ، لم يقهم عذاب الجحيم ، ولكن كان ينالهم ويصيبهم ألمه ومكروهه :

وقوله (ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ) يقول تعالى ذكره : هذا الذى أعطينا هؤلاء المتقين فى الآخرة من الكرامة التى وصفت فى هذه الآيات ، هو الفوز العظيم : يقول : هو الظفر العظيم بما كانوا يطلبون من إدراكه فى الدنيا بأعمالهم وطاعتهم لربهم ، واتقائهم إياه ، فيما امتحنهم به من الطاعات والفرائض ، واجتناب المحارم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فإنما سهّلنا قراءة هذا القرآن الذى أنزلناه إليك يامحمد بلسانك ، ليتذكر هؤلاء المشركون الذين أرسلناك إليهم بعبره وحججه ، ويتّعظوا بعظاته ، ويتفكّروا فى آياته إذا أنت تتلوه عليهم ، فينيبوا إلى طاعة ربهم ، ويذعنوا للحقّ عند تبينهموه .

---

(١) البيت لدريد بن الصمة الجشمى . (اللسان : ظنن) . قال : الجوهرى : الظن معروف . وقد يوضع موضع العلم . قال دريد ابن الصمة : « فقلت لهم ظنوا » . . . البيت » : أى استيقنوا ، وإنما يخوف عدوه باليقين لا بالشك . والشاهد فى البيت عند المؤلف أن العلم قد يوضع فى موضع الظن ، كما أن الرجاء قد يوضع موضع الخوف .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ) : أى هذا القرآن (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد ، فى قوله(فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ) قال : القرآن ، ويسَّرناه : أطلق به لسانه .

وقوله (فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فانتظر أنت يامحمد الفتح من ربك ، والنصر على هؤلاء المشركين بالله من قومك من قريش ، إنهم منتظرون عند أنفسهم قهرك وغلبتك بصدّهم عما أتيتهم به من الحقّ من أراد قبوله واتباعك عليه .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ) : أى فانتظر إنهم منتظرون .

آخر تفسير سورة الدخان

---

(٤٥) سُورَةُ الجَاثِيَةِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا سَبْعٌ وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

حم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

❁ قد تقدم بياننا فى معنى قوله (حم) . وأما قوله (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ) فإن معناه : هذا تنزيل القرآن من عند الله (الْعَزِيزِ) فى انتقامه من أعدائه (الْحَكِيمِ) فى تدبيره أمر خلقه .

وقوله (إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره : إن فى السموات السبع اللاتى منهنّ نزول الغيث ، والأرض التى منها خروج الخلق أيها الناس (لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول : لأدلة وحججا للمصدّقين بالحجج إذا تبيّنوها ورأوها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾

❁ يقول تعالى ذكره : وفى خلق الله إياكم أيها الناس ، وخلقه ما تفرّق فى الأرض من دابة تدبّ عليها من

غير جنسكم (آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) يعني: حججا وأدلة لقوم يوقنون بحقائق الأشياء، فيقرّون بها، ويعلمون صحتها.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) وفي التي بعد ذلك فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة (آياتٌ) رفعا على الابتداء، وترك ردّها على قوله (لَآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ)، وقرأته عامة قرّاء الكوفة (آياتٍ) خفضا بتأويل النصب ردّا على قوله (لَآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ). وزعم قارئو ذلك كذلك من المتأخرين أنهم اختاروا قراءته كذلك، لأنه في قراءة أُبيّ في الآيات الثلاث (لَآياتٍ) باللام فجعلوا دخول اللام في ذلك في قراءته دليلا لهم على صحة قراءة جميعه بالخفض، وليس الذي اعتمدوا عليه من الحجة في ذلك بحجة، لأنه لا رواية بذلك عن أُبيّ صحيحة، وأُبيّ لو صحّت به عنه رواية، ثم لم يُعلم كيف كانت قراءته بالخفض أو بالرفع لم يكن الحكم عليه بأنه كان يقرؤه خفضا، بأولى من الحكم عليه بأنه كان يقرؤه رفعا، إذ كانت العرب قد تدخل اللام في خبر المعطوف على جملة كلام تامّ قد عملت في ابتدائها «إن»، مع ابتدائهم إياه، كما قال حُمَيد بن ثَوْر الهِلاليّ:

إنَّ الخِلافَةَ بَعْدَهُمْ لَذَمِيمَةٌ ... وَخَلائِفٌ طُرُفٌ لَمِمَّا أحْقِرُ[1]

فأدخل اللام في خبر مبتدإ بعد جملة خبر قد عملت فيه «إن» إذ كان الكلام، وإن ابتدئ منويا فيه إن.

والصواب من القول في ذلك إن كان الأمر على ما وصفنا أن يقال: إن الخفض في هذه الأحرف والرفع قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار قد قرأ بهما علماء من القرّاء صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

يقول تبارك وتعالى (وفي اخْتِلافِ اللَّيْلِ والنَّهارِ) أيها الناس، وتعاقبهما عليكم، هذا بظلمته وسواده

(١) لم أجد البيت في ديوان حميد بن ثور الهلالي طبعة دار الكتب المصرية. والخلاف الطرف: هم الذين خلفوا بعد آبائهم القدماء. يقول: إن الخلافة بعد الخلفاء الأولين صارت ذميمة، والخلفاء المحدثون محتقرون فيها، لأنهم لا يسلكون مسلك آبائهم. والشاهد في البيت أن الشاعر استأنف بالواو بجملة من مبتدأ وخبر مرفوعين بعد الجملة الأولى التي مبتدؤها منصوب بأن، وذلك كما في الآية: «إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين. وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون». اهـ. وقال الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٩٩) قوله «وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات»: تقرأ الآيات بالخفض، على تأويل النصب، يرد على قوله «إن في السموات والأرض لآيات». ويقوي الخفض فيها أنها في قراءة عبد الله ابن مسعود: لآيات. وفي قراءة أبي لآيات. والرفع قراءة الناس على الاستئناف فيما بعد أن. والعرب تقول: إن لي عليك مالا، وعلى أخيك مال كثير، فينصبون الثاني ويرفعونه. وفي قراءة عبد الله: «وفي اختلاف الليل والنهار» فهذه تقوي خفض الاختلاف. ولو رفع رافع فقال: «واختلاف الليل والنهار آيات» أيضا، يجعل الاختلاف آيات، ولم نسمعه من أحد من القراء. قال: ولو رفع رافع الآيات وفيها اللام، كان صوابا. قال: أنشدني الكسائي «إن الخلافة.. البيت».

وهذا بنوره وضيائه (وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ) وهو الغيث الذى به تخرج الأرض أرزاق العباد وأقواتهم ، وإحيائه الأرض بعد موتها : يقول : فأنبت ما أنزل من السماء من الغيث ميت الأرض ، حتى اهتزّت بالنبات والزرع من بعد موتها ، يعنى : من بعد جدوبها وقحوطها ومصيرها دائرة لا نبت فيها ولا زرع .

وقوله (وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ) يقول : وفى تصريفه الرياح لكم شمالا مرّة ، وجنوبا أخرى ، وصبًا أحيانا ، ودبورا أخرى لمنافعكم .

وقد قيل : عنى بتصريفها بالرحمة مرّة ، وبالعذاب أخرى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ) قال : تصريفها إن شاء جعلها رحمة ، وإن شاء جعلها عذابا .

وقوله (آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يقول تعالى ذكره : فى ذلك أدلة وحجج لله على خلقه ، لقوم يعقلون عن الله حججه ، ويفهمون عنه ما وعظهم به من الآيات والعبر .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : هذه الآيات والحجج يامحمد من ربك على خلقه نتلوها عليك بالحقّ : يقول : نخبرك عنها بالحقّ لا بالباطل ، كما يخبر مشركو قومك عن آلهتهم بالباطل ، أنها تقرّبهم إلى الله زُلْفَى ، فبأيّ حديث بعد الله وآياته تؤمنون : يقول تعالى ذكره للمشركين به : فبأيّ حديث أيها القوم بعد حديث الله هذا الذى يتلوه عليكم ، وبعد حججه عليكم وأدلته التى دلكم بها على وحدانيته من أنه لا ربّ لكم سواه ، تصدّقون ، إن أنتم كذّبتم لحديثه وآياته . وهذا التأويل على مذهب قراءة من قرأ (تُؤْمِنُونَ) على وجه الخطاب من الله بهذا الكلام للمشركين ، وذلك قراءة عامة قرّاء الكوفيين . وأما على قراءة من قرأه (يُؤْمِنُونَ) بالياء ، فإن معناه : فبأيّ حديث يامحمد بعد حديث الله الذى يتلوه عليك وآياته هذه التى نبه هؤلاء المشركين عليها ، وذكرهم بها ، يؤمن هؤلاء المشركون ، وهى قراءة عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة ، ولكلتا القراءتين وجه صحيح ، وتأويل مفهوم ، فبأية القراءتين قرأ ذلك القارئ فمصيب عندنا ، وإن كنت أميل إلى قراءته بالياء إذ كانت فى سياق آيات قد مضين قبلها على وجه الخبر ، وذلك قوله (لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) و (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

❁ يقول تعالى ذكره : الوادى السائل من صديد أهل جهنم ، لكل كذّاب ذى إثم بربه ، مفتر عليه ، (يَسْمَعُ آياتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ) يقول : يسمع آيات كتاب الله تُقرأ عليه (ثُمَّ يُصِرُّ) على كفره وإثمه فيقيم عليه غير تائب منه ، ولا راجع عنه (مُسْتَكْبِرًا) على ربه أن يذعن لأمره ونهيه (كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا) يقول : كأن لم يسمع ما تلى عليه من آيات الله بإصراره على كفره (فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) يقول : فبشر يامحمد هذا الأفاك الأثيم الذى هذه صفته بعذاب من الله له . (أليم) : يعنى موجع فى نار جهنم يوم القيامة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾

❁ يقول تعالى ذكره : (وَإِذَا عَلِمَ) هذا الأفاك الأثيم (مِنْ) آيات الله (شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا) : يقول : اتخذ تلك الآيات التى علمها هزوا ، يسخر منها ، وذلك كفعل أبى جهل حين نزلت (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ) إذ دعا بتمر وزبد فقال : تزقموا من هذا ، ما يعدكم محمد إلا شهدا ، وما أشبه ذلك من أفعالهم .

وقوله (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين يفعلون هذا الفعل ، وهم الذين يسمعون آيات الله تُتلى عليهم ثم يصرّون على كفرهم استكبارا ، ويتخذون آيات الله التى علموها هزوا ، لهم يوم القيامة من الله عذاب مهين يهينهم ويذلهم فى نار جهنم ، بما كانوا فى الدنيا يستكبرون عن طاعة الله واتباع آياته ، وإنما قال تعالى ذكره (أُولَئِكَ) فجمع . وقد جرى الكلام قبل ذلك [١] ردًّا للكلام إلى معنى الكل فى قوله (وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾

❁ يقول تعالى ذكره : ومن وراء هؤلاء المستهزئين بآيات الله ، يعنى من بين أيديهم . وقد بيّنّا العلة التى من أجلها قيل لما أمامك ، هو وراءك ، فيما مضى بما أغنى عن إعادته ، يقول : من بين أيديهم نار جهنم هم واردوها ، ولا يغنيهم ما كسبوا شيئا : يقول : ولا يغنى عنهم من عذاب جهنم إذا هم عذّبوا به ما كسبوا فى الدنيا من مال وولد شيئا .

وقوله (وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ) يقول : ولا آلهتهم التى عبدوها من دون الله ، ورؤساؤهم ، وهم الذين أطاعوهم فى الكفر بالله ، واتخذوهم نُصراء فى الدنيا ، تغنى عنهم يومئذ من عذاب جهنم شيئا (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) يقول : ولهم من الله يومئذ عذاب فى جهنم عظيم .

(١) لعله : وقد جرى الكلام قبل ذلك على الإفراد ، ردا الخ . . .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾

يقول تعالى ذكره : هذا القرآن الذى أنزلناه على محمد هدى : يقول : بيان ودليل على الحق ، يهدى إلى صراط مستقيم ، من اتبعه وعمل بما فيه (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بآياتِ رَبِّهِم) يقول : والذين جحدوا ما فى القرآن من الآيات الدالات على الحق ، ولم يصدقوا بها ، ويعملوا بها ، لهم عذاب أليم يوم القيامة موجع .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : الله أيها القوم ، الذى لاتنبغى الألوهة إلا له ، الذى أنعم عليكم هذه النعم ، التى بينها لكم فى هذه الآيات ، وهو أنه (سَخَّرَ لَكُمُ البَحْرَ لِتَجْرِيَ) السفن (فيه بأمره) لمعايشكم وتصرفكم البلاد لطلب فضله فيها ، ولتشكروا ربكم على تسخيره ذلك لكم فتعبدوه وتطيعوه فيما يأمركم به ، وينهاكم عنه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : (وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فى السَّمَوَاتِ) من شمس وقمر ونجوم (وَما فِى الأرْضِ) من دابة وشجر وجبل وجماد وسفن لمنافعكم ومصالحكم (جَميعا منه) . يقول تعالى ذكره : جميع ما ذكرت لكم أيها الناس من هذه النعم ، نعم عليكم من الله أنعم بها عليكم ، وفضل منه تفضل به عليكم ، فإياه فاحمدوا لاغيره ، لأنه لم يشركه فى إنعام هذه النعم عليكم شريك ، بل تفرد بإنعامها عليكم وجميعها منه ، ومن نعمه فلا تجعلوا له فى شكركم له شريكا بل أفردوه بالشكر والعبادة ، وأخلصوا له الألوهة ، فإنه لاإله لكم سواه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَسَخَّرَ لَكُمْ مافى السَّمَوَاتِ وَما فِى الأرْضِ جَمِيعا مِنْهُ) يقول : كل شىء هو من الله ، وذلك الاسم فيه اسم من أسمائه ، فذلك جميعا منه ، ولا ينازعه فيه المنازعون ، واستيقن أنه كذلك .

وقوله (إنَّ فِى ذلكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) يقول تعالى ذكره : إن فى تسخير الله لكم ما أنبأكم أيها الناس أنه سخره لكم فى هاتين الآيتين (لآياتٍ) يقول : لعلامات ودلالات على أنه لاإله لكم غيره ،

الذى أنعم عليكم هذه النعم ، وسخر لكم هذه الأشياء التى لايقدر على تسخيرها غيره لقوم يتفكرون فى آيات الله وحججه وأدلته ، فيعتبرون بها ويتعظون إذا تدبروها ، وفكّروا فيها .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد للذين صدّقوا الله واتبعوك ، يغفروا للذين لايخافون بأس الله ووقائعه ونقمه إذا هم نالوهم بالأذى والمكروه (لِيَجْزِىَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) يقول : ليجزى الله هؤلاء الذين يؤذونهم من المشركين فى الآخرة ، فيصيبهم عذابه بما كانوا فى الدنيا يكسبون من الإثم ، ثم بأذاهم أهل الإيمان بالله .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) قال : كان نبىّ الله صلى الله عليه وسلم يعرض عن المشركين إذا آذوه ، وكانوا يستهزئون به ، ويكذّبونه ، فأمره الله عزّ وجلّ أن يقاتل المشركين كافّة ، فكان هذا من المنسوخ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ) قال : لايُبالون نِعم الله ، أو نِقم الله .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ) قال : لايُبالون نِعم الله ، وهذه الآية منسوخة بأمر الله بقتال المشركين . وإنما قُلنا : هى منسوخة لإجماع أهل التأويل على أن ذلك كذلك .

ذكر من قال ذلك

قد ذكرنا الرواية فى ذلك عن ابن بن عباس ، حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ) قال : نسخها ما فى الأنفال (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى الْحَرْبِ ، فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) وفى براءة (قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً) أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ) قال : نسخها (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله

(قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لايَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ) قال: هذا منسوخ ، أمر الله بقتالهم فى سورة براءة .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عنبسة عمن ذكره عن أبي صالح (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لايَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ) قال : نسختها التى فى الحج (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لايَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ) قال : هؤلاء المشركون ، قال : وقد نسخ هذا وفرض جهادهم والغلظة عليهم .

وجزم قوله (يَغْفِرُوا) تشبيها له بالجزاء والشرط وليس به ، ولكن لظهوره فى الكلام على مثاله ، فعرّب تعريبه ، وقد مضى البيان عنه قبل .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (لِيَجْزِيَ قَوْما) فقرأه بعض قرّاء المدينة والبصرة والكوفة : (لِيَجْزِيَ) بالياء على وجه الخبر عن الله أنه يجزيهم ويثيبهم وقرأ ذلك بعض عامة قرّاء الكوفيين (لِنَجْزِيَ) بالنون على وجه الخبر من الله عن نفسه . وذُكر عن أبي جعفر القارئ أنه كان يقرؤه (لِيُجْزَى قَوْماً) على مذهب ما لم يسمّ فاعله ، وهو على مذهب كلام العرب لحن[١] ، إلا أن يكون أراد : ليجزى الجزاء قوما ، بإضمار الجزاء ، وجعله مرفوعا (لِيُجْزَى) فيكون وجها من القراءة ، وإن كان بعيدا[٢] .

والصواب من القول فى ذلك عندنا أن قراءته بالياء والنون على ماذكرت من قراءة الأمصار جائزة بأىّ تينك القراءتين قرأ القارئ . فأما قراءته على ماذكرت عن أبي جعفر ، فغير[٣] جائزة عندى لمعنيين : أحدهما : أنه خلاف لما عليه الحجة من القرّاء ، وغير جائز عندى خلاف ماجاءت به مستفيضا فيهم . والثانى بعدها من الصحة فى العربية إلا على استكراه الكلام على غير المعروف من وجهه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ

يقول تعالى ذكره : من عمل من عباد الله بطاعته فانتهى إلى أمره ، وانزجر لنهيه ، فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل ، وطلب خلاصها من عذاب الله ، أطاع ربه لا لغير ذلك ، لأنه لاينفع ذلك غيره ، والله عن عمل كل عامل غنيّ (وَمَنْ أَساءَ فَعَلَيْهَا) يقول : ومن أساء عمله فى الدنيا بمعصيته فيها ربه ، وخلافه فيها أمره ونهيه ، فعلى نفسه جنى ، لأنه أوبقها بذلك ، وأكسبها به سخطه ، ولم يضرّ أحدا سوى نفسه (ثُمَّ إلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) يقول : ثم أنتم أيها الناس أجمعون إلى ربكم تصيرون من بعد مماتكم ، فيجازى المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، فمن ورد عليه منكم بعمل صالح ، جوزى من الثواب صالحا ، ومن ورد عليه منكم بعمل سيئ جوزى من الثواب سيئا .

(١) ليس كلام العرب حجة على القراءة ولكن القراءة حجة على كلامهم .
(٢) يجوز أن يكون الفاعل نائب الفاعل هو قوله تعالى (بما كانوا يكسبون) .
(٣) قوله فغير جائزة ، هذا خطأ لأن القراءة عشرية صحيحة متواترة فى قوة السبعة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾

❁ يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ آتَيْنا) يامحمد (بَنِي إسْرائيلَ الكِتابَ) يعني التوراة والإنجيل ، (والحُكْمَ) يعني الفهم بالكتاب ، والعلم بالسنن التي لم تنزل في الكتاب ، (وَالنُّبُوَّةَ) يقول : وجعلنا منهم أنبياء ورسلا إلى الخلق ، (وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ) يقول : وأطعمناهم من طيبات أرزاقنا ، وذلك ماأطعمهم من المنّ والسلوى (وَفَضَّلْناهُمْ على العالَمِينَ) يقول : وفضلناهم على عالمى أهل زمانهم فى أيام فرعون وعهده فى ناحيتهم بمصر والشأم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾

❁ يقول تعالى ذكره : وأعطينا بنى إسرائيل واضحات من أمرنا بتنزيلنا إليهم التوراة فيها تفصيل كل شيء (فَمَا اخْتَلَفُوا إلاَّ مِنْ بَعْدِ ماجاءَهُمُ العِلْمُ بَغْيا بَيْنَهُمْ) طلبا للرياسات ، وتركا منهم لبيان الله تبارك وتعالى فى تنزيله .

وقوله (إنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ فِيما كانُوا فيهِ يَخْتَلِفُونَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن ربك يامحمد يقضى بين المختلفين من بنى إسرائيل بغيا بينهم يوم القيامة ، فيما كانوا فيه فى الدنيا يختلفون بعد العلم الذى آتاهم ، والبيان الذى جاءهم منه ، فيفلج المحقّ حينئذ على المبطل بفصل الحكم بينهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ثم جعلناك يامحمد من بعد الذى آتينا بنى إسرائيل ، الذين وصفت لك صفتهم (عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأمْرِ) يقول : على طريقة وسنة ومنهاج من أمرنا الذى أمرنا به من قبلك من رسلنا (فاتَّبِعْها) يقول : فاتبع تلك الشريعة التى جعلناها لك (وَلا تَتَّبِعْ أهْوَاءَ الذينَ لايَعْلَمُونَ) يقول : ولا تتبع مادعاك إليه الجاهلون بالله ، الذين لايعرفون الحقّ من الباطل ، فتعمل به ، فتهلك إن عملت به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ على شَرِيعَةٍ مِنَ الأمْرِ فاتَّبِعْها) قال : يقول على هدى من الأمر وبيِّنة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ على شَرِيعَةٍ مِنَ الأمْرِ فاتَّبِعْها) والشريعة : الفرائض والحدود والأمر والنهى فاتبعها (وَلا تَتَّبِعْ أهْوَاءَ الَّذِينَ لايَعْلَمُونَ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ على شَرِيعَةٍ مِنَ الأمْرِ) قال : الشريعة : الدين . وقرأ (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِى أوْحَيْنا إلَيْكَ) قال : فنوح أولهم وأنت آخرهم .

وقوله (إنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا) يقول تعالى ذكره : إن هؤلاء الجاهلين بربهم ، الذين يدعونك يامحمد إلى اتباع أهوائهم ، لن يغنوا عنك إن أنت اتبعت أهواءهم ، وخالفت شريعة ربك التى شرعها لك من عقاب الله شيئا ، فيدفعوه عنك إن هو عاقبك ، وينقذوك منه .

وقوله (وَإنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أوْلِياءُ بَعْضٍ) يقول : وإن الظالمين بعضهم أنصار بعض ، وأعوانهم على الإيمان بالله وأهل طاعته (وَاللهُ وَلِىُّ المُتَّقِينَ) يقول تعالى ذكره : والله يلى من اتقاه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه بكفايته ، ودفاع من أراده بسوء ، يقول جلّ ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام فكن من المتقين ، يكفك الله مابغاك وكادك به هؤلاء المشركون ، فإنه ولىّ من اتقاه ، ولا يعظم عليك خلاف من خالف أمره وإن كثر عددهم ، لأنهم لن يضرّوك ما كان الله وليك وناصرك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾

﴿٢٠﴾ يقول تعالى ذكره (هَذَا) الكتاب الذى أنزلناه إليك يامحمد (بَصَائِرُ لِلنَّاسِ) يُبْصِرون به الحقّ من الباطل ، ويعرفون به سبيل الرشاد ، والبصائر : جمع بصيرة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن زيد يقول .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ) قال : القرآن . قال : هذا كله إنما هو فى القلب . قال : والسمع والبصر فى القلب . ، وقرأ (فإنَّها لاتَعْمَى الأبْصارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ) وليس ببصر الدنيا ولا بسمعها

وقوله (وَهُدًى) يقول: ورشاد (وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) بحقيقة صحة هذا القرآن، وأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم. وخصّ جلّ ثناؤه الموقنين بأنه لهم بصائر وهدى ورحمة، لأنهم الذين انتفعوا به دون من كذب به من أهل الكفر، فكان عليه عمى وله حزنا.

وقوله (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ) يقول تعالى ذكره: أم ظنّ الذين اجترحوا السيئات من الأعمال فى الدنيا، وكذّبوا رسل الله، وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره، أن نجعلهم فى الآخرة، كالذين آمنوا بالله وصدّقوا رسله وعملوا الصالحات، فأطاعوا الله، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الأنداد والآلهة، كلا ما كان الله ليفعل ذلك، لقد ميز بين الفريقين، فجعل حزب الإيمان فى الجنة، وحزب الكفر فى السعير.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ)... الآية، لعمرى لقد تفرّق القوم فى الدنيا، وتفرّقوا عند الموت، فتباينوا فى المصير.

وقوله (سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ) اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (سَوَاء)، فقرأت ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة (سَوَاءٌ) بالرفع، على أن الخبر متناه عندهم عند قوله (كَالَّذِينَ آمَنُوا) وجعلوا خبر قوله (أَنْ نَجْعَلَهُمْ) قوله (كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)، ثم ابتدءوا الخبر عن استواء حال محيا المؤمن ومماته، ومحيا الكافر ومماته، فرفعوا قوله (سَوَاءٌ) على وجه الابتداء بهذا المعنى، وإلى هذا المعنى وجه تأويل ذلك جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ) قال: المؤمن فى الدنيا والآخرة مؤمن، والكافر فى الدنيا والآخرة كافر.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا حسين، عن شيبان، عن ليث، فى قوله (سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ) قال: بعث المؤمن مؤمنا حيا وميتا، والكافر كافرا حيا وميتا.

وقد يحتمل الكلام إذا قرئ سواء رفعا وجها آخر غير هذا المعنى الذى ذكرناه عن مجاهد وليث، وهو أن يوجه إلى: أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم والمؤمنين سواء فى الحياة والموت، بمعنى: أنهم لا يستوون، ثم يرفع سواء على هذا المعنى، إذ كان لا ينصرف، كما يقال: مررت برجل خير منك أبوه، وحسبك أخوه، فرفع حسبك، وخير إذ كانا فى مذهب الأسماء، ولو وقع موقعهما فعل فى لفظ اسم لم يكن إلا نصبا، فكذلك قوله (سواءٌ). وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (سَوَاءً) نصبا، بمعنى: أحسبوا أن نجعلهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء.

والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان فى قراءة الأمصار قد قرأ بكل واحدة منهما أهل العلم بالقرآن صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

واختلف أهل العربية فى وجه نصب قوله (سَوَاء) ورفعه ، فقال بعض نحويّى البصرة (سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ) رفع . وقال بعضهم : إن المحيا والممات للكفار كله ، قال (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) ثم قال : سواء محيا الكفار ومماتهم : أى محياهم محيا سَوَاء ، ومماتهم ممات سَوَاء ، فرفع السواء على الابتداء . قال : ومن فسّر المحيا والممات للكفار والمؤمنين ، فقد يجوز فى هذا المعنى نصب السواء ورفعه ، لأن من جعل السواء مستويا ، فينبغى له فى القياس أن يُجريه على ما قبله ، لأنه صفة ، ومن جعله الاستواء ، فينبغى له أن يرفعه لأنه اسم ، إلا أن ينصب المحيا والمماب على البدل ، وينصب السواء على الاستواء ، وإن شاء رفع السواء إذا كان فى معنى مستو ، كما تقول : مررت برجل خير منك أبوه ، لأنه صفة لايصرف والرفع أجود . وقال بعض نحويّى الكوفة قوله (سَوَاءً مَحْيَاهُمْ) بنصب سواء وبرفعه ، والمحيا والممات فى موضع رفع بمنزلة ، قوله : رأيت القوم سواء صغارهم وكبارهم بنصب سواء لأنه يجعله فعلا لما عاد على الناس من ذكرهم ، قال : وربما جعلت العرب سواء فى مذهب اسم بمنزلة حسبك ، فيقولون : رأيت قومك سواء صغارهم وكبارهم . فيكون كقولك : مررت برجل حسبك أبوه ، قال : ولو جعلت مكان سواء مستو لم يرفع ، ولكن نجعله متبعا لما قبله ، مخالفا لسواء ، لأن مستوى من صفة القوم ، ولأن سواء كالمصدر ، والمصدر اسم . قال : ولو نصبت المحيا والممات كان وجها ، يريد أن نجعلهم سواء فى محياهم ومماتهم .

وقال آخرون منهم : المعنى : أنه لايساوى من اجترح السيئات المؤمن فى الحياة ، ولا الممات ، على أنه وقع موقع الخبر ، فكان خبرا لجعلنا ، قال : والنصب للأخبار كما تقول : جعلت إخوتك سواء ، صغيرهم وكبيرهم ، ويجوز أن يرفع ، لأن سواء لاينصرف . وقال : من قال : (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فجعل كالذين الخبر استأنف بسواء ورفع ما بعدها ، وإن نصب المحيا والممات نصب سواء لاغير ، وقد تقدّم بياننا الصواب من القول فى ذلك .

وقوله (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) يقول تعالى ذكره : بئس الحكم الذى حسبوا أنا نجعل الذين اجترحوا السيئات والذين آمنوا وعملوا الصالحات ، سواء محياهم ومماتهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره : (وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) للعدل والحقّ ، لا لما حَسِب هؤلاء الجاهلون بالله ، من أنه يجعل من اجترح السيئات ، فعصاه وخالف أمره ، كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فى المحيا والممات ، إذ كان ذلك من فعل غير أهل العدل والإنصاف ، يقول جلّ ثناؤه : فلم يخلق الله السموات والأرض للظلم والجور ، ولكنا خلقناهما للحقّ والعدل . ومن الحقّ أن نخالف بين حكم المسىء والمحسن ، فى العاجل والآجل .

وقوله (وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) يقول تعالى ذكره : وليثيب الله كلّ عامل بما عمل من عمل خلق السموات والأرض ، المحسن بالإحسان ، والمسيء بما هو أهله ، لا لنبخس المحسن ثواب إحسانه ، ونحمل عليه جرم غيره ، فنعاقبه ، أو نجعل للمسيء ثواب إحسان غيره فنكرمه ، ولكن لنجزي كلا بما كسبت يداه ، وهم لا يُظلمون جزاء أعمالهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ) فقال بعضهم : معنى ذلك : أفرأيت من اتخذ دينه بهواه ، فلا يهوى شيئا إلا ركبه ، لأنه لا يؤمن بالله ، ولا يحرّم ما حرّم ، ولا يحلل ما حلّل ، إنما دينه ما هويته نفسه يعمل به .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ) قال : ذلك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ) قال : لا يهوى شيئا إلا ركبه لا يخاف الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أفرأيت من اتخذ معبوده ما هويت عبادته نفسه من شيء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : كانت قريش تعبد العُزّى ، وهو حجر أبيض حينا من الدهر ، فإذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الأوّل وعبدوا الآخر ، فأنزل الله (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ) .

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : أفرأيت يا محمد من اتخذ معبوده هواه ، فيعبد ما هوى من شيء دون إله الحقّ الذي له الألوهة من كلّ شيء ، لأن ذلك هو الظاهر من معناه دون غيره .

وقوله (وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ) يقول تعالى ذكره : وخذله عن محجة الطريق ، وسبيل الرشاد في سابق علمه على علم منه بأنه لا يهتدي ، ولو جاءته كل آية .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وأَضَلَّهُ اللهُ على عِلْمٍ) يقول : أضله الله فى سابق علمه .

وقوله (وَخَتَمَ على سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ) يقول تعالى ذكره : وطَبَعَ على سمعه أن يسمع مواعظ الله وآى كتابه ، فيعتبر بها ويتدبرها ، ويتفكر فيها ، فيعقل ما فيها من النور والبيان والهُدى .

وقوله (وَقَلْبِهِ) يقول : وطبع أيضا على قلبه ، فلا يعقل به شيئا ، ولا يعى به حقا .

وقوله (وَجَعَلَ على بَصَرِهِ غِشَاوَةً) يقول : وجعل على بصره غشاوة أن يبصر به حجج الله ، فيستدلّ بها على وحدانيته ، ويعلم بها أن لا إله غيره .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَجَعَلَ على بَصَرِهِ غِشَاوَةً) فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة (غِشَاوَةً) بكسر الغين وإثبات الألف فيها على أنها اسم ، وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (غَشْوَةً) بمعنى : أنه غشاه شيئا فى دفعة واحدة ، ومرّة واحدة ، بفتح الغين بغير ألف ، وهما عندى قراءتان صحيحتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ) يقول تعالى ذكره : فمن يوفّقه لإصابة الحقّ ، وإبصار محجة الرشد بعد إضلال الله إياه (أفَلا تَذَكَّرُونَ) أيها الناس ، فتعلموا أن من فعل الله به ما وصفنا ، فلن يهتدى أبدا ، ولن يجد لنفسه وليا مرشدا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون الذين تقدّم خبره عنهم : ما حياة إلا حياتنا الدنيا التى نحن فيها لا حياة سواها تكذيبا منهم بالبعث بعد الممات .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا) : أى لعمرى هذا قول مشركى العرب .

وقوله (نَمُوتُ وَنَحْيَا) نموت نحن وتحيا أبناؤنا بعدنا ، فجعلوا حياة أبنائهم بعدهم حياة لهم ، لأنهم منهم وبعضهم ، فكأنهم بحياتهم أحياء ، وذلك نظير قول الناس : ما مات من خلف ابنا مثل فلان ، لأنه بحياة ذكره به ، كأنه حىّ غير ميت ، وقد يحتمل وجها آخر ، وهو أن يكون معناه : نحيا ونموت على وجه تقديم الحياة قبل الممات ، كما يقال : قمت وقعدت ، بمعنى : قعدت وقمت ؛ والعرب تفعل ذلك فى الواو خاصة إذا أرادوا الخبر عن شيئين أنهما كانا أو يكونان ، ولم تقصد الخبر عن كون أحدهما قبل الآخر ، تقدم المتأخر حدوثا على المتقدم حدوثه منهما أحيانا ، فهذا من ذلك ، لأنه لم يقصد فيه إلى الخبر عن كون

الحياة قبل الممات ، فقدّم ذكر الممات قبل ذكر الحياة ، إذ كان القصد إلى الخبر عن أنهم يكونون مرّة أحياء وأخرى أمواتا .

وقوله (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء المشركين أنهم قالوا : وما يهلكنا فيفنينا إلا مرّ الليالى والأيام وطول العمر ، إنكارا منهم أن يكون لهم ربّ يفنيهم ويهلكهم .

وقد ذُكر أنها فى قراءة عبد الله (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ دَهْرٌ يَمُرُّ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ) قال : الزمان :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ) قال ذلك مشركو قريش (ما يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ) : إلا العمر .

وذُكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن أهل الشرك كانوا يقولون : الذى يهلكنا ويفنينا الدهر والزمان ، ثم يسبون ما يفنيهم ويهلكهم ، وهم يرون أنهم يسبون بذلك الدهر والزمان ، فقال الله عزّ وجلّ لهم : أنا الذى أفنيكم وأهلككم ، لا الدهر والزمان ، ولا علم لكم بذلك .

ذكر الرواية بذلك عمن قاله

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن الزهرىّ ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « كَانَ أَهْلُ الجاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ : إِنَّمَا يُهْلِكُنَا اللَّيْلُ وَالنَّهارُ ، وَهُوَ الَّذِى يُهْلِكُنَا وَيُمِيتُنَا وَيُحْيِينا ، فقال الله فى كتابه : (وَقالُوا ماهِىَ إِلاَّ حَيَاتُنا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيا ، وَمَا يُهْلِكُنا إِلاَّ الدَّهْرُ ، قال : فَيَسُبُّونَ الدَّهْرَ ، فَقالَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى : يُؤْذِينِى ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وأنا الدَّهْرُ ، بِيَدِى الأَمْرُ ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ » .

حدثنا عمران بن بكار الكُلاعى ، قال : ثنا أبو روح ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن الزهرىّ ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة : عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن ، قال : قال أبو هريرة ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قالَ اللهُ تَعالى : يَسُبُّ ابْنُ آدَمَ الدَّهْرَ ، وأنا الدَّهْرُ ، بِيَدِى اللَّيْلُ وَالنَّهارُ » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « يَقُولُ اللهُ اسْتَقْرَضْتُ عَبْدِى فَلَمْ يُعْطِنِى ، وَسَبَّنِى عَبْدِى يَقُولُ : وَادَهْرَاهُ ، وأنا الدَّهْرُ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الزهرىّ ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم « إنَّ اللهَ قالَ : لا يقولَنَّ أحَدُكُمْ : يا خَيْبَةَ الدَّهْرِ ، فإنّى أنا الدَّهْرُ ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهارَهُ ، وَإذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُما » .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن هشام ، عن أبى هريرة قال : « لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ ، فإنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ » ﴿وَما لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إنْ هُمْ إلاَّ يَظُنُّونَ﴾ يقول تعالى ذكره : وما لهؤلاء المشركين القائلين : ماهى إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، ومايهلكنا إلا الدهر ، بما يقولون من ذلك من علم : يعنى من يقين علم ، لأنهم يقولون ذلك تخرّصا بغير خبر أتاهم من الله ، ولا برهان عندهم بحقيقته ﴿إنْ هُمْ إلاَّ يَظُنُّونَ﴾ يقول جلّ ثناؤه : ما هم إلا فى ظنّ من ذلك ، وشكّ يخبر عنهم أنهم فى حيرة من اعتقادهم حقيقة ما ينطقون من ذلك بألسنتهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾

❁ يقول تعالى ذكره : وإذا تُتلى على هؤلاء المشركين المكذّبين بالبعث آياتنا ، بأن الله باعث خلقه من بعد مماتهم ، فجامعهم يوم القيامة عنده للثواب والعقاب ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ يعنى : واضحات جليات ، تنفى الشكّ عن قلب أهل التصديق بالله فى ذلك ﴿ما كانَ حُجَّتَهُمْ إلاَّ أنْ قالُوا ائْتُوا بآبائِنا إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ يقول جلّ ثناؤه : لم يكن لهم حجة على رسولنا الذى يتلو ذلك عليهم إلا قولهم له : ائتنا بآبائنا الذين قد هلكوا أحياء ، وانشرهم لنا إن كنت صادقا فيما تتلو علينا وتخبرنا ، حتى نصدّق بحقيقة ما تقول بأن الله باعثنا من بعد مماتنا ، ومحيينا من بعد فنائنا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذّبين بالبعث ، القائلين لك ائتنا بآبائنا إن كنت صادقا : الله أيها المشركون يحييكم ماشاء أن يحييكم فى الدنيا ، ثم يميتكم فيها إذا شاء ، ثم يجمعكم إلى يوم القيامة ، يعنى أنه يجمعكم جميعا أوّلكم وآخركم ، وصغيركم وكبيركم ﴿إلى يومِ القيامة﴾ يقول : ليوم القيامة ، يعنى أنه يجمعكم جميعا أحياء ليوم القيامة ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾ يقول : لاشكّ فيه ، يقول : فلا تشكوا فى ذلك ، فإن الأمر كما وصفت لكم ﴿وَلَكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ يقول : ولكن أكثر الناس الذين هم أهل تكذيب بالبعث ، لا يعلمون حقيقة ذلك ، وأن الله محييهم من بعد مماتهم .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾

❁ يقول تعالى ذكره: ولله سلطان السموات السبع والأرض، دون ما تدعونه له شريكا، وتعبدونه من دونه، والذى تدعونه من دونه من الآلهة والأنداد فى مُلكه وسلطانه، جارٍ عليه حكمه، فكيف يكون ماكان كذلك له شريكا، أم كيف تعبدونه، وتتركون عبادة مالككم، ومالك ماتعبدونه من دونه (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ) يقول تعالى ذكره: ويوم تجىء الساعة التى يُنْشِر الله فيها الموتى من قبورهم، ويجمعهم لموقف العرض، (يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ): يقول: يغبن فيها الذين أبطلوا فى الدنيا فى أقوالهم ودعواهم لله شريكا، وعبادتهم آلهة دونه بأن يفوز بمنازلهم من الجنة المحقون، ويبدّلوا بها منازل من النار كانت للمحقين، فجعلت لهم بمنازلهم من الجنة، ذلك هو الخسران المبين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

❁ يقول تعالى ذكره: وترى يامحمد يوم تقوم الساعة أهل كل ملة ودين جاثية: يقول: مجتمعة مستوفزة على ركبها من هول ذلك اليوم.

كما حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم. قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا. عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قوله (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً) قال على الركب مستوفزين.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً) قال: هذا يوم القيامة جاثية على ركبهم.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، فى قوله (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً) يقول: على الركب عند الحساب.

وقوله (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) يقول: كل أهل ملة ودين تُدعى إلى كتابها الذى أملت على حفظتها.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) يعلمون أنه ستدعى أُمة قبل أُمة، وقوم قبل قوم، ورجل قبل رجل. ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «يُمَثَّلُ لِكُلِّ أُمَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ماكانَتْ تَعْبُدُ مِنْ حَجَرٍ، أَوْ وَثَنٍ أَوْ خَشَبَةٍ، أَوْ دَابَّةٍ، ثُمَّ يُقَالُ: مَنْ كانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَتَكُونُ، أَوْ تُجْعَلُ تِلْكَ الأَوْثَانُ قَادَةً إِلَى النَّارِ حَتَّى تَقْذِفَهُمْ فِيهَا، فَتَبْقَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وأهلُ الكتاب ، فيقولُ لليهود : ماكنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبدُ اللهَ وعزيرًا إلا قليلا منهم ، فيقالُ لها : أما عزيرٌ فليس منكم ولستم منه ، فيؤخذُ بهم ذاتَ الشمال ، فينطلقون ولا يستطيعون مكوثا ، ثم يُدعى بالنصارى ، فيقالُ لهم : ماكنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبدُ اللهَ والمسيحَ إلا قليلا منهم فيقالُ : أما عيسى فليس منكم ولستم منه ، فيؤخذُ بهم ذاتَ الشمال ، فينطلقون ولا يستطيعون مكوثا ، وتبقى أمةُ محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم ، فيقالُ لهم : ماكنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبدُ اللهَ وحده ، وإنما فارقنا هؤلاء في الدنيا مخافةَ يومنا هذا ، فيؤذنُ للمؤمنين في السجود ، فيسجدُ المؤمنون ، وبين كلِّ مؤمنٍ منافقٌ ، فيقسو ظهرُ المنافقِ عن السجود ، ويجعلُ اللهُ سجودَ المؤمنين عليه توبيخا وصغارا وحسرةً وندامةً . »

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الزهريّ ، عن عطاء بن يزيد الليثى ، عن أبى هريرة ، قال : « قال الناس : يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تضامون في الشمسِ ليس دونها سحابٌ ، قالوا : لا يا رسول الله ، قال : هل تضارون في القمرِ ليلةَ البدرِ ليس دونه سحابٌ ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : فإنكم ترونه يومَ القيامة كذلك . يجمعُ اللهُ الناسَ فيقولُ : من كان يعبدُ شيئا فليتبعه ، فيتبعُ من كان يعبدُ القمرَ القمرَ ، ومن كان يعبدُ الشمسَ الشمسَ ، ويتبع من كان يعبدُ الطواغيتَ الطواغيتَ ، وتبقى هذه الأمةُ فيها منافقوها ، فيأتيهم ربهم في صورة ، ويُضربُ جسرٌ على جهنم قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : فأكونُ أولَ من يجيزُ ، ودعوةُ الرسلِ يومئذ : اللهم سلّم ، اللهم سلّم وبها كلاليبُ كشوكِ السعدانِ هل رأيتم شوكَ السعدان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله قال : فإنها مثلُ شوكِ السعدانِ غيرَ أنه لا يعلمُ أحدٌ قدرَ عظمِها إلا اللهُ ويُخطفُ الناسُ بأعمالِهم ، فمنهمُ الموبقُ بعملِه ، ومنهمُ المخردلُ ثم ينجو ، ثم ذكر الحديث بطوله » .

وقوله (اليومَ تجزونَ ما كنتم تعملونَ) يقول تعالى ذكره : كلّ أمة تُدعى إلى كتابها ، يقال لها : اليوم تجزون : أى تثابون وتعطون أجور ما كنتم فى الدنيا من جزاء الأعمال تعملون بالإحسان الإحسانَ ، وبالإساءة جزاءها .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٢٩ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ۝٣٠ ﴾

يقول تعالى ذكره : لكلّ أمة دعيت فى القيامة إلى كتابها الذى أملت على حفظتها فى الدنيا (اليومَ

(تجزون ما كنتم تعملون) فلا تجزعوا من ثوابنا كم على ذلك ، فإنكم ينطق عليكم إن أنكرتموه بالحق فاقرءوه (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) يقول: إنا كنا نستكتب حفظتنا أعمالكم ، فتثبتها في الكتب وتكتبها :

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طلق بن غنام ، عن زائدة ، عن عطاء بن مقسم ، عن ابن عباس (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) قال : هو أم الكتاب فيه أعمال بني آدم (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) قال : نعم ، الملائكة يستنسخون أعمال بني آدم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمي ، قال : ثني أخي عيسى بن عبد الله بن ثابت الثمالي ، عن ابن عباس ، قال : « إن الله خلق النون وهي الدواة ، وخلق القلم ، فقال: اكتب ، قال : ما أكتب ، قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل معمول ، بر أو فجور ، أو رزق مقسوم ، حلال أو حرام ، ثم ألزم كل شيء من ذلك شأنه دخوله في الدنيا ، ومقامه فيها كم ، وخروجه منها كيف ، ثم جعل على العباد حفظة ، وعلى الكتاب خزانا ، فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم ، فإذا فني الرزق وانقطع الأثر ، وانقضى الأجل ، أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم ، فتقول لهم الخزنة : ما نجد لصاحبكم عندنا شيئا ، فترجع الحفظة ، فيجدونهم قد ماتوا ، قال : فقال ابن عباس : ألستم قوما عربا تسمعون الحفظة يقولون (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) وهل يكون الاستنساخ إلا من أصل » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) قال : الكتاب : الذكر (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) قال : نستنسخ الأعمال .

وقال آخرون في ذلك ما حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا النضر بن إسماعيل ، عن أبي سنان الشيباني ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : إن لله ملائكة ينزلون في كل يوم بشيء يكتبون فيه أعمال بني آدم .

وقوله (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فيدخلهم ربهم في رحمته) يقول تعالى ذكره : فأما الذين آمنوا بالله في الدنيا فوحدوه ، ولم يشركوا به شيئا ، وعملوا الصالحات : يقول : وعملوا بما أمرهم الله به ، وانتهوا عما نهاهم الله عنه (فيدخلهم في رحمته) يعني في جنته برحمته .

وقوله (ذلك هو الفوز المبين) يقول : دخولهم في رحمة الله يومئذ هو الظفر بما كانوا يطلبونه ، وإدراك ما كانوا يسعون في الدنيا له ، المبين غايتهم فيها ، أنه هو الفوز .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾

* يقول تعالى ذكره : وأما الذين جحدوا وحدانية الله ، وأبوا إفراده فى الدنيا بالألوهة ، فيقال لهم : ألم تكن آياتى فى الدنيا تُتلى عليكم .

* فإن قال قائل : أو ليست أمّا تجاب بالفاء ، فأين هى ؟ فإن الجواب أن يقال : هى الفاء التى فى قوله (أفلَمْ) . وإنما وجه الكلام فى العربية لو نطق به على بيانه ، وأصله أن يقال : وأما الذين كفروا ، فألم تكن آياتى تتلى عليكم ، لأن معنى الكلام : وأما الذين كفروا فيقال لهم ألم ، فموضع الفاء فى ابتداء المحذوف الذى هو مطلوب فى الكلام ، فلما حُذفت يقال : وجاءت ألف استفهام ، حكمها أن تكون مبتدأة بها ، ابتدئ بها ، وجعلت الفاء بعدها ، وقد تُسقط العرب الفاء التى هى جواب « أما » فى مثل هذا الموضع أحيانا إذا أسقطوا الفعل الذى هو فى محل جواب أمّا كما قال جلّ ثناؤه (فأمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أكَفَرْتُمْ بَعْدَ إيمانِكُمْ) فحذفت الفاء ، إذ كان الفعل الذى هو فى جواب أمّا محذوفا ، وهو فيقال ، وذلك أن معنى الكلام : فأما الذين اسودّت وجوههم فيقال لهم : أكفرتم ، فلما أسقطت ، يقال الذى به تتصل الفاء سقطت الفاء التى هى جواب أمّا .

وقوله (فاسْتَكْبَرْتُمْ) يقول : فاستكبرتم عن استماعها والإيمان بها (وكُنْتُمْ قَوْما مُجْرِمِينَ) يقول : وكنتم قوما تكسبون الآثام والكفر بالله ، لاتصدّقون بمعاد ، ولا تؤمنون بثواب ولا عقاب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾

* يقول تعالى ذكره : ويقال لهم حينئذ : (وَإذَا قِيلَ) لكم (إنَّ وَعْدَ اللهِ) الذى وعد عباده ، أنه محييهم من بعد مماتهم ، وباعثهم من قبورهم (حَقّ ، وَالسَّاعَةُ) التى أخبرهم أنه يقيمها لحشرهم ، وجمعهم للحساب والثواب على الطاعة ، والعقاب على المعصية ، آتية (لارَيْبَ فِيها) يقول : لاشكّ فيها ، يعنى فى الساعة ، والهاء فى قوله (فِيها) من ذكر الساعة . ومعنى الكلام : والساعة لاريب فى قيامها ، فاتقوا الله وآمنوا بالله ورسوله ، واعملوا لما ينجيكم من عقاب الله فيها (قُلْتُمْ ما نَدْرِى ما السَّاعَةُ) تكذيبا منكم بوعد الله جلّ ثناؤه ، وردّا لخبره ، وإنكارا لقدرته على إحيائكم من بعد مماتكم .

وقوله (إنْ نَظُنُّ إلاَّ ظَنًّا) يقول : وقلتم مانظنّ أن الساعة آتية إلا ظنا (وَما نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ) أنها جائية ، ولا أنها كائنة .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (والسَّاعَةُ لارَيْبَ فِيها) فقرأت ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة و(السَّاعَةُ) رفعا على الابتداء . وقرأته عامة قرّاء الكوفة (والسَّاعَةَ) نصبا عطفا بها على قوله (إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ) .

❁ والصواب من القول فى ذلك عندنا، أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار صحيحتا المخرج فى العربية متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب :

القول في تأويل قوله تعالى:

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾

❁ يقول تعالى ذكره : وبدا لهؤلاء الذين كانوا فى الدنيا يكفرون بآيات الله سيئات ما عملوا فى الدنيا من الأعمال، يقول : ظهر لهم هنالك قبائحها وشرارها لما قرءوا كتب أعمالهم التى كانت الحفظة تنسخها فى الدنيا (وَحاقَ بِهِمْ ماكانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) يقول : وحاق بهم من عذاب الله حينئذ ما كانوا به يستهزئون إذ قيل لهم : إن الله مُحلّه بمن كذب به على سيئات ما فى الدنيا عملوا من الأعمال :

القول في تأويل قوله تعالى:

وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾

❁ يقول تعالى ذكره : وقيل لهؤلاء الكفرة الذين وصف صفتهم : اليوم نتركم فى عذاب جهنم ، كما تركتم العمل للقاء ربكم يومكم هذا .

كما حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْساكُمْ) نترككم . وقوله (وَمَأْواكُمُ النَّارُ) يقول : ومأواكم التى تأوون إليها نار جهنم ، (وَما لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ) يقول : وما لكم من مستنقذ ينقذكم اليوم من عذاب الله ، ولا منتصر ينتصر لكم ممن يعذّبكم ، فيستنقذ لكم منه .

القول في تأويل قوله تعالى:

ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾

❁ يقول تعالى ذكره : يقال لهم : هذا الذى حلّ بكم من عذاب الله اليوم (بِأَنَّكُمْ) فى الدنيا (اتَّخَذْتُمْ آياتِ اللهِ هُزُواً) ،وهى حججه وأدلته وآى كتابه التى أنزلها على رسوله صلى الله عليه وسلم (هُزُواً) يعنى سخرية تسخرون منها (وَغَرَّتْكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا) يقول :وخدعتكم زينة الحياة الدنيا ، فآثرتموها على العمل لما ينجيكم اليوم من عذاب الله،يقول تعالى ذكره : (فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْها) من النار (وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) يقول: ولا هم يردّون إلى الدنيا ليتوبوا ويراجعوا الإنابة مما عوقبوا عليه :

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣٧﴾

يقول تعالى ذكره: (فَلِلَّهِ الحَمْدُ) على نعمه وأياديه عند خلقه، فإياه فاحمدوا أيها الناس، فإن كلّ ما بكم من نعمة فمنه دون ما تعبدون من دونه من آلهة ووثن، ودون ما تتخذونه من دونه ربا، وتشركون به معه (رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ) يقول: مالك السموات السبع، ومالك الأرضين السبع و (رَبِّ العالَمِينَ) يقول: مالك جميع مافيهنّ من أصناف الخلق، وله الكبرياء فى السموات والأرض يقول: وله العظمة والسلطان فى السموات والأرض دون ماسواه من الآلهة والأنداد (وَهُوَ العَزِيزُ) فى نقمته من أعدائه، القاهر كل مادونه، ولا يقهره شىء (الحَكِيمُ) فى تدبيره خلقه وتصريفه إياهم فيما شاء كيف شاء، والله أعلم.

آخر تفسير سورة الجاثية

تمّ الجزء الخامس والعشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبريّ

ويليه الجزء السادس والعشرون ،

وأوّله : تفسير سورة الأحقاف

جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

تأليف

[illegible]

تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري

الجزء السادس والعشرون

أوله تفسير سورة الأحقاف

جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء السادس والعشرون

دار الفكر

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م



بيروت
لبنان

المكاتب ، البناية المركزية - هاتف ، ٢٤٤٧٣٩ - ص . ب ، ١١ / ٧٠٦١
المطابع والمعمل ، حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف ، ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧
برقيا ، فكسي - تلكس ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

فهارس الجزء السادس والعشرون

من

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الفهرس الأول : للآيات المفسرة

الفهرس الثاني : مواضيع الآيات المفسرة

الفهرس الثالث : للقوافي

الفهرس الرابع : للأحاديث النبوية.

١ ـ فهرس الآيات

تفسير سورة الفتح

٢ – فهرس الموضوعات

٣ – فهرس القوافى

٤ ـ فهرس الأحاديث

بسم الله الرحمن الرحيم

(٤٦) سورة الأحقاف مكية
وآياتها خمس وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿حم ﴿١﴾ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴿٢﴾ ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون ﴿٣﴾﴾

قد تقدّم بياننا فى معنى قوله (حم. تنزيلُ الكتابِ) بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع.

وقوله (ما خلقْنا السّموَاتِ والأرضَ وَما بَينَهُما إلاّ بالحَقّ) يقول تعالى ذكره: ما أحدثنا السموات والأرض فأوجدناهما خلقا مصنوعا، وما بينهما من أصناف العالم إلا بالحقّ، يعنى: إلا لإقامة الحقّ والعدل فى الخلق.

وقوله (وأجَلٍ مُسمًّى) يقول: وإلاّ بأجل لكل ذلك معلوم عنده يفنيه إذا هو بلغه، ويعدمه بعد أن كان موجودا بإيجاده إياه.

وقوله (وَالّذينَ كفَرُوا عمّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ) يقول تعالى ذكره: والذين جحدوا وحدانية الله عن إنذار الله إياهم معرضون، لايتعظون به، ولايتفكرون فيعتبرون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين ﴿٤﴾﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : قل يامحمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك : أرأيتم أيها القوم الآلهة والأوثان التى تعبدون من دون الله ، أرونى أىّ شىء خلقوا من الأرض ، فإن ربى خلق الأرض كلها ، فدعوتموها من أجل خلقها ما خلقت من ذلك آلهة وأربابا ، فيكون لكم بذلك فى عبادتكم إياها حجة ، فإن من حجتى على عبادتى إلهى ، وإفرادى له الألوهة ، أنه خلق الأرض فابتدعها من غير أصل .

وقوله (أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ) يقول تعالى ذكره : أم لآلهتكم التى تعبدونها أيها الناس شرك مع الله فى السموات السبع ، فيكون لكم أيضا بذلك حجة فى عبادتكموها ، فإن من حجتى على إفرادى العبادة لربى ، أنه لاشريك له فى خلقها ، وأنه المنفرد بخلقها دون كلّ ما سواه .

وقوله (ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا) يقول تعالى ذكره : بكتاب جاء من عند الله من قبل هذا القرآن الذى أُنزل علىّ ، بأن ما تعبدون من الآلهة والأوثان خلقوا من الأرض شيئا ، أو أن لهم مع الله شركا فى السموات ، فيكون ذلك حجة لكم على عبادتكم إياها ، لأنها إذا صحّ لها ذلك صحت لها الشركة فى النعم التى أنتم فيها ، ووجب لها عليكم الشكر ، واستحقت منكم الخدمة ، لأن ذلك لايقدر أن يخلقه إلا الله .

وقوله (أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق (أَوْ أَثَارَةٍ من علم) بالألف ، بمعنى : أو ائتونى ببقية من علم . ورُوى عن أبى عبدالرحمن السلمىّ أنه كان يقرؤه (أَوْ أَثَرَةٍ من علم) ، بمعنى : أو خاصة من علم أوتيتموه ، وأوثرتم به على غيركم ، والقراءة التى لاأستجيز غيرها (أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ) بالألف ، لإجماع قرّاء الأمصار عليها .

واختلف أهل التأويل فى تأويلها ، فقال بعضهم : معناه : أو ائتونى بعلم بأن آلهتكم خلقت من الأرض شيئا ، وأن لها شركا فى السموات من قبل الخطّ الذى تخطونه فى الأرض ، فإنكم معشر العرب أهل عيافة وزجر وكهانة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن آدم ، قال : ثنا أبوعاصم ، عن سفيان ، عن صفوان بن سليم ، عن أبى سلمة ، عن ابن عباس (أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ) قال : خط كان يخطه العرب فى الأرض .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : قال أبو بكر : يعنى ابن عياش : الخط : هو العيافة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أو خاصة من علم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ) قال : أو خاصة من علم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ) قال : أى خاصة من علم .

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنى أبى ، عن الحسين ، عن قتادة (أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ) قال : خاصة من علم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أو علم تُثيرونه فتستخرجونه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، فى قوله (أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ) قال : أثارة شىء يستخرجونه فيطرّه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أو تأثرون ذلك علما عن أحد ممن قبلكم ؟

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ) قال : أحد يأثر علما .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أو بينة من الأمر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ) يقول : ببينة من الأمر .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ببقية من علم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُريب ، قال : سُئل أبو بكر ، يعنى ابن عياش عن (أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ) قال : بقية من علم .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : الأثارة : البقية من علم ، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب ، وهى مصدر من قول القائل : أثر الشىء أثارة ، مثل سمج سماجة ، وقبح قباحة ، كما قال راعى الإبل :

وذاتِ أثارةٍ أكَلَتْ عليها ! [نَباتاً فى أكِمَّتِهِ قَفَاراً][1]

يعنى : وذات بقية من شحم ، فأما من قرأه (أَوْ أَثَرَةٍ) فإنه جعله أثرة من الأثر ، كما قيل : قترة وغبرة .

---

(١) هذا بيت من قصيدة للراعى ، مدح بها سعد بن عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ، عدتها سبعة وخمسون بيتا . وقوله « ذات أثارة » أى رب ناقة ذات سمن . والأثارة ، بفتح الهمزة : شحم متصل بشحم آخر ، ويقال هى بقية من الشحم العتيق ، يقال : سمنت الناقة على أثارة ، أى على بقية شحم . وأكته : غلفه ، جمع كام ، وهو جمع كم بكسر الكاف ، وهو غطاء النور وغلافه . وقفارا وقفارة : وصف للنبات : أى رعته خاليا لها من مزاحمة غيرها فى رعيه . وأصله من قولهم طعام قفار : أى أكل بلا إدام . (انظر خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ٤ : ٢٥١) واستشهد بالبيت أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٢٢) عند قوله تعالى : « أو أثارة من علم » أى بقية من شحم أكلت عليه . ومن قال « أثرة » فهو مصدر أثره يأثره : يذكره . وفى (اللسان : أثر) : وأثرة العلم وأثرته وأثارته ، بقية منه تؤثر فتذكر . وقال الزجاج أثاره : فى معنى علامة . ويجوز أن يكون على معنى بقية من علم ونسب البيت للشماخ .

وقد ذُكر عن بعضهم أنه قرأه (أَوْ أَثْرَةٍ) بسكون الثاء ، مثل الرجفة والخطفة ، وإذا وجه ذلك إلى ماقلنا فيه من أنه بقية من علم ، جاز أن تكون تلك البقية من علم الخط ، ومن علم استثير من كُتب الأوّلين ، ومن خاصة علم كانوا أوثروا به . وقد رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك خبر بأنه تأوّله أنه بمعنى الخط ، سنذكره إن شاء الله تعالى ، فتأويل الكلام إذن : ائتونى أيها القوم بكتاب من قبل هذا الكتاب ، بتحقيق ماسألتكم تحقيقه من الحجة على دعواكم ماتدّعون لآلهتكم ، أو ببقية من علم يوصل بها إلى علم صحة ما تقولون من ذلك (إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) فى دعواكم لها ماتدّعون ، فإن الدعوى إذا لم يكن معها حجة لم تُغن عن المدّعى شيئا .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾

✽ يقول تعالى ذكره : وأىّ عبد أضلّ من عبد يدعو من دون الله آلهة لايستجيب له إلى يوم القيامة : يقول : لا يُجيب دعاءه أبدا ، لأنها حجر أو خشب أو نحو ذلك .

وقوله (وَهُمْ عَنْ دُعائِهِمْ غافِلُونَ) يقول تعالى ذكره : وآلهتهم التى يدعونهم عن دعائهم إياهم فى غفلة ، لأنها لاتسمع ولا تنطق ، ولا تعقل . وإنما عنى بوصفها بالغفلة ، تمثيلها بالإنسان الساهى عما يقال له ، إذ كانت لاتفهم مما يقال لها شيئا ، كما لايفهم الغافل عن الشيء ماغفل عنه . وإنما هذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم ، وقُبح اختيارهم فى عبادتهم ، من لايعقل شيئا ولا يفهم ، وتركهم عبادة من جميع ما بهم من نعمته ، ومن به استغاثتهم عند ما ينزل بهم من الحوائج والمصائب . وقيل : من لا يستجيب له ، فأخرج ذكر الآلهة وهى جماد مخرج ذكر بنى آدم ، ومن له الاختيار والتمييز ، إذ كانت قد مثلتها عبدتها بالملوك والأمراء التى تخدم فى خدمتهم إياها ، فأجرى الكلام فى ذلك على نحو ما كان جاريا فيه عندهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾

✽ يقول تعالى ذكره : وإذا جُمع الناس يوم القيامة لموقف الحساب ، كانت هذه الآلهة التى يدعونها فى الدنيا لهم أعداء ، لأنهم يتبرّءون منهم (وَكانُوا بِعِبادَتِهِمْ كافِرِينَ) يقول تعالى ذكره : وكانت آلهتهم التى يعبدونها فى الدنيا بعبادتهم جاحدين ، لأنهم يقولون يوم القيامة : ما أمرناهم بعبادتنا ، ولاشعرنا بعبادتهم إيانا ، تبرأنا إليك منهم يا ربنا .

وقوله (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ) يقول تعالى ذكره : وإذا يقرأ على هؤلاء المشركين بالله من قومك آياتنا ، يعنى حججنا التى احتججناها عليهم ، فيما أنزلناه من كتابنا على محمد صلى الله عليه وسلم (بيِّنات) يعنى واضحات نيرات (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ) يقول تعالى ذكره : قال الذين جحدوا وحدانية الله ، وكذّبوا رسوله للحقّ لما جاءهم من عند الله ، فأنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم (هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) يعنون هذا القرآن خداع يخدعنا ، ويأخذ بقلوب من سمعه فعل السحر مبين : يقول : يُبين لمن تأمله ممن سمعه أنه سحر مبين .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾

❁ يقول تعالى ذكره : أم يقولون هؤلاء المشركون بالله من قريش ، افترى محمد هذا القرآن ، فاختلقه وتخرّصه كذبا ، قل لهم يامحمد إن افتريته وتخرّصته على الله كذبا (فَلَا تَمْلِكُونَ لِي) يقول : فلا تغنون عنى من الله إن عاقبنى على افترائى إياه ، وتخرّصى عليه شيئا ، ولاتقدرون أن تدفعوا عنى سوءا إن أصابنى به

وقوله (هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ) يقول : ربى أعلم من كلّ شىء سواه بما تقولون بينكم فى هذا القرآن والهاء من قوله (تُفِيضُونَ فِيهِ) من ذكر القرآن .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (تُفِيضُونَ فِيهِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (إذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) قال : تقولون .

وقوله (كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) يقول : كفى بالله شاهدا على وعليكم بما تقولون من تكذيبكم لى فيما جئتكم به من عند الله الغفور الرحيم لهم ، بأن لايعذبهم عليها بعد توبتهم منها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٩﴾

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لمشركى قومك من قريش (مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ) يعنى : ماكنت أوّل رسل الله التى أرسلها إلى خلقه ، قد كان من قبلى له رسل كثيرة أُرسلت إلى أمم قبلكم ؛ يقال منه : هو بدع فى هذا الأمر ، وبديع فيه ، إذا كان فيه أوّل . ومن البدع قول عدىّ بن زيد .

فَلا أنا بِدْعٌ مِنْ حَوادِثَ تَعْتَرِي رِجالاً أَعرتْ مِنْ بَعْدِ بُؤْسَى وأَسْعُدِ [1]

ومن البديع قول الأحوص :

فَخَرَتْ فانْتَمَتْ فقُلْتُ انْظُرِيني لَيْسَ جَهْلٌ أتَيْتُهِ بِبَدِيعِ [2]

يعنى بأوّل ، يقال : هو بدع من قوم أبداع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ماكُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ) يقول : لست بأوّل الرسل .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَما كُنْتُ بِدْعا مِنَ الرُّسُلِ) قال : يقول : ماكنت أوّل رسول أُرسل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ماكُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ) قال : ماكنت أوّلهم .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن معاوية ، عن أبى هبيرة ، قال : سألت قتادة (قُلْ ماكُنْتُ بَدْعا مِنَ الرُّسُلِ) قال : أى قد كانت قبلى رسل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ ماكُنْتُ بِدْعا مِنَ الرُّسُلِ) يقول : أى إن الرسل قد كانت قبلى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ) قال : قد كانت قبله رسل .

وقوله (وَما أدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : عنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل له : قل للمؤمنين بك ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم يوم القيامة ، وإلام نصير هنالك ، قالوا ثم بين الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به حالهم فى الآخرة ، فقيل له (إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا . لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأخَّرَ) وقال :

---

(1) البيت لعدى بن زيد (شعراء النصرانية ٤٦٥) وروايته فيه :

فلست بمن يخشى حوادث تعترى رجالا فبادوا بعد بؤس وأسعد

وليس فيه شاهد على هذه الرواية ؛ وقد استشهد به المؤلف على أنه يقال : هو بدع فى هذا الأمر ، على معنى ماكنت أول الناس فيه وقول الله تعالى : «قل ماكنت بدعا من الرسل » : معناه ماكنت أول من أرسل ، قد أرسل قبل رسل كثير .

(2) يقول الأحوص : فخرت على وانتسبت إلى آبائها . فقلت : كفى ، وليس جهلك على ببديع ولا غريب ، فقد عهدت مثله من أمثالك فى النساء . والبيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٢٢ - ١) استشهد به على أن البديع بمعنى البدع ، وذلك عند تفسير قوله تعالى : « قل ما كنت بدعا من الرسل » .

(لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ) فأنزل الله بعد هذا (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصرى قالا : قال فى حم الأحقاف (وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ، إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ، وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) فنسختها الآية التى فى سورة الفتح (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ) . . . الآية ، فخرج نبىّ الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية ، فبشرهم بأنه غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر ، فقال له رجال من المؤمنين : هنيئا لك يا نبىّ الله ، قد علمنا ما يفعل بك ، فماذا يُفعل بنا ؟ فأنزل الله عزّ وجلّ فى سورة الأحزاب ، فقال (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا) وقال (لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ، وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ) . . . الآية ، فبين الله ما يفعل به وبهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ) ثم درى أو علم من الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ما يفعل به ، يقول (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ) قال : قد بين له أنه قد غفر من ذنبه ما تقدّم وما تأخر .

وقال آخرون : بل ذلك أمر من الله جلّ ثناؤه نبيه عليه الصلاة والسلام أن يقوله للمشركين من قومه ويعلم أنه لايدرى إلام يصير أمره وأمرهم فى الدنيا ، أيصير أمره معهم أن يقتلوه أو يخرجوه من بينهم ، أو يؤمنوا به فيتبعوه ، وأمرهم إلى الهلاك ، كما أهلكت الأمم المكذّبة رسلها من قبلهم أو إلى التصديق له فيما جاءهم به من عند الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو بكر الهذلىّ ، عن الحسن ، فى قوله (وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ) فقال : أما فى الآخرة فمعاذ الله ، قد علم أنه فى الجنة حين أخذ ميثاقه فى الرسل ، ولكن قال : وما أدرى مايفعل بى ولا بكم فى الدنيا ، أخرج كما أخرجت الأنبياء قبلى أو أُقتل كما

قُتلت الأنبياء من قبلى ، ولا أدرى ما يُفعل بى ولا بكم ، أمتى المكذّبة ، أم أمتى المصدّقة ، أم أمتى المرمية بالحجارة من السماء قذفا ، أم مخسوف بها خسفا ، ثم أوحى إليه : (وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ) يقول : أحطت لك بالعرب أن لايقتلوك ، فعرف أنه لايُقتل ، ثم أنزل الله عزّ وجلّ : (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) يقول : أشهد لك على نفسه أنه سيُظهر دينك على الأديان ، ثم قال له فى أمته : (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) فأخبره الله ما يصنع به ، ومايصنع بأمته.

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما أدرى ما يفترض علىّ وعليكم ، أو ينزل من حكم ، وليس يعنى ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم غدا فى المعاد من ثواب الله من أطاعه ، وعقابه من كذّبه .

وقال آخرون : إنما أمر أن يقول هذا فى أمر كان ينتظره من قبَل الله عزّ وجلّ فى غير الثواب والعقاب.

وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة وأشبهها بما دلّ عليه التنزيل ، القول الذى قاله الحسن البصرى ، الذى رواه عنه أبو بكر الهُذَلىّ .

وإنما قلنا ذلك أولاها بالصواب لأن الخطاب من مبتدإ هذه السورة إلى هذه الآية ، والخبر خرج من الله عزّ وجلّ خطابا للمشركين وخبرا عنهم ، وتوبيخا لهم ، واحتجاجا من الله تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عليهم . فإذا كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن هذه الآية أيضا سبيلها سبيل ماقبلها وما بعدها فى أنها احتجاج عليهم ، وتوبيخ لهم ، أو خبر عنهم . وإذا كان ذلك كذلك ، فمحال أن يقال للنبىّ صلى الله عليه وسلم : قل للمشركين ما أدرى ما يُفعل بى ولا بكم فى الآخرة ، وآيات كتاب الله عزّ وجلّ فى تنزيله ووحيه إليه متتابعة بأن المشركين فى النار مخلدون ، والمؤمنون به فى الجنان منعمون ، وبذلك يرهبهم مرّة ، ويرغبهم أخرى ، ولو قال لهم ذلك ، لقالوا له : فعلام نتبعك إذن وأنت لاتدرى إلى أىّ حال تصير غدا فى القيامة ، إلى خفض ودعة ، أم إلى شدّة وعذاب ؛ وإنما اتباعنا إياك إن اتبعناك ، وتصديقنا بما تدعونا إليه ، رغبة فى نعمة وكرامة نصيبها ، أو رهبة من عقوبة ، وعذاب نهرب منه ، ولكن ذلك كما قال الحسن ، ثم بين الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ما هو فاعل به ، وبمن كذّب بما جاء به من قومه وغيرهم .

وقوله (إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ) يقول تعالى ذكره : قل لهم ما أتبع فيما آمركم به ، وفيما أفعله من فعل إلا وحى الله الذى يوحيه إلىّ ، (وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) يقول : وما أنا لكم إلا نذير ، أنذركم عقاب الله على كفركم به مبين : يقول : قد أبان لكم إنذاره ، وأظهر لكم دعاءه إلى مافيه نصيحتكم ، يقول : فكذلك أنا .

القول فى تأويل قوله تعالى:

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾)

يقول تعالى ذكره : قل يامحمد لهؤلاء المشركين القائلين لهذا القرآن لما جاءهم هذا سحر مبين (أرأيتُمْ) أيها القوم (إنْ كانَ) هذا القرآن (مِنْ عِنْدِ اللهِ) أنزله علىّ (وكَفَرْتُمْ) أنتم (بِهِ) يقول : وكذّبتم أنتم به .

وقوله (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِى إسْرائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : وشهد شاهد من بنى إسرائيل ، وهو موسى بن عمران عليه السلام على مثله ، يعنى على مثل القرآن ، قالوا : ومثل القرآن الذى شهد عليه موسى بالتصديق التوراة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن مسروق فى هذه الآية : (وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِى إسْرائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ) فخاصم به الذين كفروا من أهل مكة ، التوراة مثل القرآن ، وموسى مثل محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : سئل داود ، عن قوله (قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وكَفَرْتُمْ بِهِ) . . . الآية ، قال داود ، قال عامر ، قال مسروق : والله مانزلت فى عبدالله ابن سلام ، مانزلت إلا بمكة ، وما أسلم عبد الله إلا بالمدينة ، ولكنها خصومة خاصم محمد صلى الله عليه وسلم بها قومه ، قال : فنزلت (قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وكَفَرْتُمْ بِهِ ، وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِى إسْرائِيلَ على مِثْلِهِ فآمَنَ واسْتَكْبَرْتُمْ) قال : فالتوراة مثل القرآن ، وموسى مثل محمد صلى الله عليه وسلم ، فآمنوا بالتوراة وبرسولهم ، وكفرتم .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت داود بن أبى هند ، عن الشعبىّ ، قال : أناس يزعمون أن شاهدا من بنى إسرائيل على مثله عبد الله بن سلام ، وإنما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة ؛ وقد أخبرنى مسروق أن آل حم ، إنما نزلت بمكة ، وإنما كانت محاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ، فقال : (أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ) يعنى القرآن (وكَفَرْتُمْ بِهِ ، وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِى إسْرائِيل عَلَى مِثْلِهِ فآمَنَ) موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام على الفرقان .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن داود ، عن الشعبىّ ، قال : إن ناسا يزعمون أن الشاهد على مثله : عبد الله بن سلام ، وأنا أعلم بذلك ، وإنما أسلم عبد الله بالمدينة ، وقد أخبرنى مسروق أن آل حم إنما نزلت بمكة ، وإنما كانت محاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه ، فقال : (قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ) يعنى الفرقان (وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِى إسْرائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ) فمثل التوراة الفرقان ، التوراة شهد عليها موسى ، ومحمد على الفرقان صلى الله عليهما وسلم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا داود ، عن الشعبىّ ، عن مسروق ، فى قوله (قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كان مِنْ عِنْدِ اللهِ) الآية ، قال : كان إسلام ابن سلام بالمدينة ونزلت هذه السورة بمكة إنما كانت خصومة بين محمد عليه الصلاة والسلام وبين قومه ، فقال : (قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كان مِنْ عِنْدِ

الله وكفرتم به ، وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله) قال : التوراة مثل الفرقان ، وموسى مثل محمد ، فآمن به واستكبرتم ، ثم قال : آمن هذا الذي من بني إسرائيل بنبيه وكتابه ، واستكبرتم أنتم ، فكذبتم أنتم نبيكم وكتابكم ، (إن لا يهدي) . . . إلى قوله (هذا إفك قديم) .

وقال آخرون: عنى بقوله (وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله)عبدالله بن سلام ،قالوا : ومعنى الكلام وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثل هذا القرآن بالتصديق . قالوا : ومثل القرآن التوراة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : ثنا عبد الله بن يوسف التنيسي ، قال : سمعت مالك بن أنس يحدث عن أبي النضر ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه ، قال : ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام ؛ قال : وفيه نزلت (وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله) .

حدثنا الحسين بن علي الصدائي ، قال : ثنا أبوداود الطيالسي ، قال: ثنا شعيب بن صفوان ، قال : ثنا عبد الملك بن عمير ، أن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام ، قال، : قال عبد الله : أنزل في (قل أرأيتم إن كان من عند الله) . . . إلى قوله(فآمن واستكبرتم) .

حدثني علي بن سعد بن مسروق الكندي ، قال : ثنا أبومحمد يحيى بن يعلى ، عن عبد الملك بن عمير ، عن ابن أخي عبد الله بن سلام ، قال: قال عبد الله بن سلام : نزلت في (وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله ، فآمن واستكبرتم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قل أرأيتم إن كان من عند الله) . . . الآية ، قال : كان رجل من أهل الكتاب آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنا نجده في التوراة ، وكان أفضل رجل منهم ، وأعلمهم بالكتاب ، فخاصمت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أترضون أن يحكم بيني وبينكم عبد الله بن سلام ؟ أتؤمنون ؟ قالوا : نعم ، فأرسل إلى عبد الله بن سلام ، فقال : أتشهد أني رسول الله مكتوبا في التوراة والإنجيل ، قال : نعم ، فأعرضت اليهود ، وأسلم عبد الله بن سلام ، فهو الذي قال الله جل ثناؤه (وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم) يقول : فآمن عبد الله ابن سلام .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد، في قوله (وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله) قال : عبد الله بن سلام .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قل أرأيتم إن كان من عند الله) . . الآية ، كنا نحدث أنه عبد الله بن سلام آمن بكتاب الله وبرسوله وبالإسلام ، وكان من أحبار اليهود .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ) ؟ قال : هو عبد الله بن سلام .

حُدثت عن الحسين قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ) الشاهد : عبد الله بن سلام ، وكان من الأحبار من علماء بنى إسرائيل ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهود ، فأتوه ، فسألهم فقال : أَتَعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ اللهِ تَجِدُونَنِى مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فى التَّوْرَاةِ ؟ قالوا : لا نعلم ما تقول ، وإنا بما جئت به كافرون ، فقال : أَىُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ عِنْدَكُمْ ؟ قالوا : عالمنا وخيرنا ، قال : أَتَرْضَوْنَ بِهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ؟ قالوا : نعم ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن سلام ، فجاءه فقال : ما شَهَادَتُكَ يا ابْنَ سَلَامٍ ؟ قال : أشهد أنك رسول الله ، وأن كتابك جاء من عند الله ، فآمن وكفروا ، يقول الله تبارك وتعالى (فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ) .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، قال : بلغنى أنه لما أراد عبد الله بن سلام أن يسلم قال : يا رسول الله ، قد علمت اليهود أنى من علمائهم ، وأن أبى كان من علمائهم ، وإنى أشهد أنك رسول الله ، وأنهم يجدونك مكتوبا عندهم فى التوراة ، فأرسل إلى فلان وفلان ، ومن سماه من اليهود ، وأخبئنى فى بيتك ، وسلهم عنى ، وعن أبى ، فإنهم سيحدثونك أنى أعلمهم ، وأن أبى من أعلمهم ، وإنى سأخرج إليهم ، فأشهد أنك رسول الله ، وأنهم يجدونك مكتوبا عندهم فى التوراة ، وأنك بُعثت بالهدى ودين الحق ، قال : ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخبأه فى بيته وأرسل إلى اليهود ، فدخلوا عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماعبد الله بن سلام فيكم ؟ قالوا أعلمنا نفسا . وأعلمنا أبا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ تُسْلِمُونَ ؟ قالوا : لا يسلم ، ثلاث مرار ، فدعاه فخرج ، ثم قال : أشهد أنك رسول الله ، وأنهم يجدونك مكتوبا عندهم فى التوراة ، وأنك بُعثت بالهدى ودين الحق ، فقالت اليهود : ماكنا نخشاك على هذا يا عبد الله بن سلام ، قال : فخرجوا كفارا ، فأنزل الله عز وجل فى ذلك (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ ، فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ) قال : هذا عبد الله بن سلام ، شهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابه حق ، وهو فى التوراة حق ، فآمن واستكبرتم .

حدثنى أبو شرحبيل الحمصى ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جُبير بن نفير ، عن أبيه ، عن عوف بن مالك الأشجعى ، قال : انطلق النبىّ صلى الله عليه وسلم وأنا معه ، حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم ، فكرهوا دخولنا عليهم ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا مَعْشَرَ الْيَهُودِ أَرُونِى اثْنَىْ عَشَرَ رَجُلًا يَشْهَدُونَ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ

الله ، يُحبِطُ اللهُ عن كُلِّ يهُودِيّ تحتَ أديم السَّماء الغَضَبَ الَّذِي غَضِبَ عليه ، قال : فأسكتوا فما أجابه منهم أحد ، ثم ثلّث فلم يجبه أحد ، فانصرف وأنا معه ، حتى إذا كدنا أن نخرج نادى رجل من خلفنا : كما أنت يامحمد ، قال : فأقبل ، فقال ذلك الرجل : أىّ رجل تعلمونى فيكم يامعشر اليهود ، قالوا : والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله ، ولا أفقه منك ، ولا من أبيك ، ولا من جدّك قبل أبيك ، قال : فإنى أشهد بالله أنه النبىّ صلى الله عليه وسلم الذى تجدونه فى التوراة والإنجيل ، قالوا كذبت ، ثم ردّوا عليه قوله وقالوا له شرّا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : كَذَبْتُم لَنْ نَقْبَلَ قَوْلَكُمْ ، أما آنفا فَتُثْنُونَ عَلَيْهِ مِنَ الخَيْرِ ماأَثْنَيْتُم ، وأمّا إذْ آمَنَ كَذَّبْتُمُوهُ وَقُلْتُمْ ما قُلْتُم ، فَلَنْ نَقْبَلَ قَوْلَكُم ، قال : فخرجنا ونحن ثلاثة : رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا ، وعبد الله بن سلام ، فأنزل الله فيه : (قُلْ أرأَيْتُم إنْ كانَ مِنْ عِنْدِ الله) . . . الآية .

☼ والصواب من القول فى ذلك عندنا أن الذى قاله مسروق فى تأويل ذلك أشبه بظاهر التنزيل ، لأن قوله (قُلْ أرأيْتُم إنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إسْرائيلَ عَلى مِثْلِهِ) فى سياق توبيخ الله تعالى ذكره مشركى قريش ، واحتجاجا عليهم لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وهذه الآية نظيرة سائر الآيات قبلها ، ولم يجر لأهل الكتاب ولا لليهود قبل ذلك ذكر ، فتوجه هذه الآية إلى أنها فيهم نزلت ، ولا دلّ على انصراف الكلام عن قصص الذين تقدّم الخبر عنهم معنى ، غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ذلك عنى به عبد الله بن سلام وعليه أكثر أهل التأويل ، وهم كانوا أعلم بمعانى القرآن ، والسبب الذى فيه نزل ، وما أريد به ، فتأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك ، وشهد عبد الله بن سلام ، وهو الشاهد من بنى إسرائيل على مثله ، يعنى على مثل القرآن ، وهو التوراة ، وذلك شهادته أن محمدا مكتوب فى التوراة أنه نبىّ تجده اليهود مكتوبا عندهم فى التوراة ، كما هو مكتوب فى القرآن أنه نبىّ .

وقوله (فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ) يقول : فآمن عبدالله بن سلام ، وصدّق بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به من عند الله ، واستكبرتم أنتم على الإيمان بما آمن به عبد الله بن سلام معشر اليهود (إنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ) يقول : إن الله لايوفّق لإصابة الحقّ ، وهدى الطريق المستقيم ، القوم الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بإيجابهم لها سخط الله بكفرهم به .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ (١١)

☼ يقول تعالى ذكره : وقال الذين جحدوا نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم من يهود بنى إسرائيل للذين آمنوا به ، لو كان تصديقكم محمدا على ماجاءكم به خيرا ، ماسبقتمونا إلى التصديق به ، وهذا التأويل على مذهب

من تأوّل قوله (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ) أنه معنىٌّ به عبد الله بن سلام ، فأما على تأويل من تأوّل أنه عنى به مشركو قريش ، فإنه ينبغى أن يوجه تأويل قوله (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ) أنه عُنِى به مشركو قريش وكذلك كان يتأوّله قتادة ، وفى تأويله إياه كذلك ترك منه تأويله ، قوله (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ) أنه معنىٌّ به عبد الله بن سلام .

ذكر الرواية عنه بذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ) قال : قال ذلك أناس من المشركين : نحن أعزّ ، ونحن ، ونحن ، فلو كان خيرا ماسبقنا إليه فلان وفلان ، فإن الله يختصّ برحمته من يشاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ) قال : قد قال ذلك قائلون من الناس ، كانوا أعزّ منهم فى الجاهلية ، قالوا : والله لو كان هذا خيرا ما سبقنا إليه بنو فلان وبنو فلان ، يختصّ الله برحمته من يشاء ، ويكرم الله برحمته من يشاء ، تبارك وتعالى .

وقوله (وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ) يقول تعالى ذكره : وإذ لم يبصروا بمحمد وبما جاء به من عند الله من الهدى ، فيرشدوا به الطريق المستقيم (فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ) يقول : فسيقولون هذا القرآن الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أكاذيب من أخبار الأوّلين قديمة ، كما قال جل ثناؤه مخبرًا عنهم ، (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾

❊ يقول تعالى ذكره : ومن قبل هذا الكتاب ، كتاب موسى ، وهو التوراة ، إماما لبنى إسرائيل يأتمون به ، ورحمة لهم أنزلناه عليهم . وخرج الكلام مخرج الخبر عن الكتاب بغير ذكر تمام الخبر اكتفاء بدلالة الكلام على تمامه ؛ وتمامه : ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أنزلناه عليه ، وهذا كتاب أنزلناه لسانا عربيا .

اختلف فى تأويل ذلك ، وفى المعنى الناصب (لِسَانًا عَرَبِيًّا) أهل العربية ، فقال بعض نحويى البصرة : نصب اللسان والعربى ، لأنه من صفة الكتاب ، فانتصب على الحال ، أو على فعل مضمر ، كأنه قال : أعنى لسانا عربيا . قال : وقال بعضهم على مصدق جعل الكتاب مصدق اللسان ، فعلى قول من جعل اللسان نصبا على الحال ، وجعله من صفة الكتاب ، ينبغى أن يكون تأويل الكلام ، وهذا كتاب بلسان عربىّ

مصدّق التوراة كتاب موسى ، بأن محمدا لله رسول ، وأن ما جاء به من عند الله حقّ . وأما القول الثانى الذى حكيناه عن بعضهم ، أنه جعل الناصب للسان مصدّق ، فقول لامعنى له ، لأن ذلك يصير إذا يؤوّل كذلك إلى أن الذى يصدق القرآن نفسه ، ولا معنى لأن يقال : وهذا كتاب يصدّق نفسه ، لأن اللسان العربىّ هو هذا الكتاب ، إلا أن يجعل اللسان العربىّ محمدا عليه الصلاة والسلام ، ويوجه تأويله إلى : وهذا كتاب وهو القرآن يصدّق محمدا ، وهو اللسان العربىّ ، فيكون ذلك وجها من التأويل .

وقال بعض نحويى الكوفة : قوله (لِسانا عَرَبِيًّا) من نعت الكتاب ، وإنما نُصب لأنه أريد به : وهذا كتاب يصدّق التوراة والإنجيل لسانا عربيا ، فخرج لسانا عربيا من يصدّق ، لأنه فعل ، كما تقول : مررت برجل يقوم محسنا ، ومررت برجل قائم محسنا ، قال : ولو رفع لسان عربىّ جاز على النعت للكتاب .

وقد ذُكر أن ذلك فى قراءة ابن مسعود ، وهذا كتاب مصدّق لما بين يديه لسانا عربيا ، فعلى هذه القراءة يتوجه النصب فى قوله (لِسانا عَرَبِيًّا)من وجهين : أحدهما على مابيَّنت من أن يكون اللسان خارجا من قوله (مُصَدّق) والآخر : أن يكون قطعا من الهاء التى فى بين يديه .

والصواب من القول فى ذلك عندى أن يكون منصوبا على أنه حال مما فى مصدّق من ذكر الكتاب ، لأن قوله (مُصدّق) فعل ، فتأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك : وهذا القرآن يصدق كتاب موسى بأن محمدا نبى مرسل لسانا عربيا .

وقوله (لِيُنْذِرَ الَّذِين ظَلَمُوا) يقول : لينذر هذا الكتاب الذى أنزلناه إلى محمد عليه الصلاة والسلام الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله بعبادتهم غيره .

وقوله (وبُشْرى لِلْمُحْسِنِين) يقول : وهو بشرى للذين أطاعوا الله فأحسنوا فى إيمانهم وطاعتهم إياه فى الدنيا ، فحسن الجزاء من الله لهم فى الآخرة على طاعتهم إياه . وفى قوله (وبُشْرى) وجهان من الإعراب : الرفع على العطف على الكتاب بمعنى : وهذا كتاب مصدّق وبشرى للمحسنين . والنصب على معنى : لينذر الذين ظلموا ويبشر ، فإذا جعل مكان يبشر وبُشرى أو وبشارة ، نصبت كما تقول أتيتك لأزورك وكرامة لك ، وقضاء لحقك ، بمعنى لأزورك وأكرمك ، وأقضى حقك، فتنصب الكرامة والقضاء بمعنى مضمر .

واختلفت القرّاء فى قراءة (لِيُنْذِرَ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز (لِتُنْذِرَ) بالتاء بمعنى : لتنذر أنت يامحمد ، وقرأته عامة قرّاء العراق بالياء بمعنى : لينذر الكتاب ، وبأىّ القراءتين قرأ ذلك القارئ فمصيب .

القول في تأويل قوله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : (إنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنا اللهُ) الذى لا إله غيره (ثُمَّ اسْتَقامُوا) على تصديقهم

بذلك فلم يخلطوه بشرك ، ولم يخالفوا الله فى أمره ونهيه (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) من فزع يوم القيامة وأهواله (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) على ما خلفوا وراءهم بعد مماتهم .

وقوله (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين قالوا هذا القول ، واستقاموا أهل الجنة وسكانها (خَالِدِينَ فِيهَا) يقول : ماكثين فيها أبدا (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : ثوابا منا لهم آتيناهم ذلك على أعمالهم الصالحة التى كانوا فى الدنيا يعملونها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾

❊ يقول تعالى ذكره : ووصينا ابن آدم بوالديه الحسن فى صحبته إياهما أيام حياتهما ، والبرّ بهما فى حياتهما وبعد مماتهما .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (حُسْنًا) فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (حُسْنًا) بضمّ الحاء على التأويل الذى وصفت . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (إحْسانا) بالألف ، بمعنى : ووصيناه بالإحسان إليهما ، وبأىّ ذلك قرأ القارئ فصيب ، لتقارب معانى ذلك ، واستفاضة القراءة بكل واحدة منهما فى القرّاء .

وقوله (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا) يقول تعالى ذكره : ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا برّا بهما ، لما كان منهما إليه حملا ووليدا وناشئا ، ثم وصف جلّ ثناؤه ماله من نعمة أمه ، وما لاقت منه فى حال حمله ووضعه ، ونبهه على الواجب لها عليه من البرّ ، واستحقاقها عليه من الكرامة وجميل الصحبة ، فقال : (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ) يعنى فى بطنها كرها ، يعنى مشقة ، (وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا) يقول : وولدته كرها يعنى مشقة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا) يقول : حملته مشقة ، ووضعته مشقة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والحسن ، فى قوله (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا) قالا : حملته فى مشقة ، ووضعته فى مشقة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا) قال : مشقة عليها .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (كُرْهًا) فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة (كَرْهًا) بفتح الكاف . وقرأته

عامة قرّاء الكوفة (كُرْها) بضمها ، وقد بيَّنت اختلاف المختلفين فى ذلك قبل إذا فتح وإذا ضم ّ فى سورة البقرة بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

﴿ والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان ، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله (وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا) يقول تعالى ذكره : وحمل أمه إياه جنينا فى بطنها ، وفصالها إياه من الرضاع ، وفطمها إياه ، شرب اللبن ثلاثون شهرا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَفِصَالُهُ) ، فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار غير الحسن البصرى : (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ) بمعنى : فاصلته أمه فصالا ومفاصلة . وذُكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرؤه : (وَحَمْلُهُ وَفَصْلُهُ) بفتح الفاء بغير ألف ، بمعنى : وفصل أمه إياه .

﴿ والصواب من القول فى ذلك عندنا ، ما عليه قرّاء الأمصار ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه ، وشذوذ ما خالفه .

وقوله (حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ) اختلف أهل التأويل فى مبلغ حدّ ذلك من السنين ، فقال بعضهم : هو ثلاث وثلاثون سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : أشدّه : ثلاث وثلاثون سنة ، واستواؤه أربعون سنة ، والعذر الذى أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ) قال : ثلاثا وثلاثين .

وقال آخرون : هو بلوغ الحلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مجالد ، عن الشعبىّ ، قال : الأشدّ : الحلم إذا كتبت له الحسنات ، وكتبت عليه السيئات .

وقد بيَّنا فيما مضى الأشدّ جمع شدّ ، وأنه تناهى قوّته واستوائه . وإذا كان ذلك كذلك ، كان الثلاث والثلاثون به أشبه من الحلم ، لأن المرء لا يبلغ فى حال حُلمه كمال قواه ، ونهاية شدّته ، فإن العرب إذا ذكرت مثل هذا من الكلام ، فعطفت ببعض على بعض جعلت كلا الوقتين قريبا أحدهما من صاحبه ، كما قال جلّ ثناؤه : (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ) ولا تكاد تقول أنا أعلم أنك تقوم قريبا من ساعة من الليل وكله ، ولا أخذت قليلا من مال أو كله ، ولكن تقول : أخذت عامة مالى أو كله ، فكذلك ذلك فى قوله (حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً) لا شك أن نسق

الأربعين على الثلاث والثلاثين أحسن وأشبه ، إذ كان يُراد بذلك تقريب أحدهما من الآخر من النسق على الخمس عشرة أو الثمان عشرة .

وقوله (وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً) ذلك حين تكاملت حجة الله عليه ، وسير عنه جهالة شبابه وعرف الواجب لله من الحقّ فى برّ والديه .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة(وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً)وقد مضى من سيئ عمله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي) حتى بلغ (مِنَ الْمُسْلِمِينَ) وقد مضى من سيئ عمله ما مضى .

وقوله(قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ) يقول تعالى ذكره : قال هذا الإنسان الذى هداه الله لرشده ، وعرف حقّ الله عليه فيما ألزمه من برّ والديه (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ) يقول : أغرنى بشكر نعمتك التى أنعمت علىّ فى تعريفك إياى توحيدك وهدايتك لى للإقرار بذلك ، والعمل بطاعتك(وَعَلَى وَالِدَيَّ) من قبلى ، وغير ذلك من نعمك علينا ، وألهمنى ذلك . وأصله من وزعت الرجل على كذا : إذا دفعته عليه .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ، ماحدثنى به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ) قال : اجعلنى أشكر نعمتك ، وهذا الذى قاله ابن زيد فى قوله (ربِّ أَوْزِعْنِي) وإن كان يئول إليه معنى الكلمة ، فليس بمعنى الإيزاع على الصحة .

وقوله (وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ) يقول تعالى ذكره : أوزعنى أن أعمل صالحا من الأعمال التى ترضاها ، وذلك العمل بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقوله (وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي) يقول: وأصلح لى أمورى فى ذرّيتى الذين وهبتهم ، بأن تجعلهم هداة للإيمان بك ، واتباع مرضاتك ، والعمل بطاعتك ، فوصفه[1] جلّ ثناؤه بالبرّ بالآباء والأمهات والبنين والبنات . وذُكر أن هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه .

وقوله (إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا الإنسان : (إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ) يقول: تبت من ذنوبى التى سلفت منى فى سالف أيامى إليك(وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) يقول : وإنى من الخاضعين لك بالطاعة ، المستسلمين لأمرك ونهيك ، المنقادين لحكمك .

القول في تأويل قوله تعالى:

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾

(١) لعله فوصاه .

ﷻ يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين هذه الصفة صفتهم ، هم الذين يُتقبل عنهم أحسن ماعملوا فى الدنيا من صالحات الأعمال ، فيجازيهم به ، ويثيبهم عليه (وَيَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئاتِهِم) يقول : ويصفح لهم عن سيئات أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ، فلا يعاقبهم عليها (فى أصحابِ الجَنَّةِ) يقول : نفعل ذلك بهم فعلنا مثل ذلك فى أصحاب الجنة وأهلها الذين هم أهلها .

كما حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن الحكم بن أبان ، عن الغطريف ، عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم عن الروح الأمين ، قال : « يُؤْتَى بِحَسَنَاتِ العَبْدِ وَسَيِّئاتِهِ ، فَيُقْتَصُّ بَعْضُها بِبَعْضٍ ، فإنْ بَقِيَتْ حَسَنَةٌ وَسَّعَ اللهُ لَهُ فِى الجَنَّةِ - قال : فدخلتُ على يزداد ، فحدّث بمثل هذا الحديث ، قال : قلت : فإن ذهبت الحسنة ؟ قال : (أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا ، وَنَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئاتِهِمْ) . . . الآية » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : دعا أبو بكر عمر رضى الله عنهما ، فقال له : إنى أوصيك بوصية أن تحفظها : إن لله فى الليل حقا لايقبله بالنهار ، وبالنهار حقا لايقبله بالليل ، إنه ليس لأحد نافلة حتى يؤدّى الفريضة ، إنه إنما ثقُلت موازين من ثقُلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحقّ فى الدنيا ، وثقُل ذلك عليهم ، وحقّ لميزان لايوضع فيه إلا الحقّ أن يثقل ، وخفّت موازين من خفّت موازينه يوم القيامة ، لاتباعهم الباطل فى الدنيا ، وخفته عليهم ، وحقّ لميزان لايوضع فيه إلا الباطل أن يخف ، ألم تر أن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم ، فيقول قائل : أين يبلغ عملى من عمل هؤلاء ، وذلك أن الله عزّ وجلّ تجاوز عن أسوإ أعمالهم فلم يبده ، ألم تر أن الله ذكر أهل النار بأسوإ أعمالهم حتى يقول قائل : أنا خير عملا من هؤلاء ، وذلك بأن الله ردّ عليهم أحسن أعمالهم ، ألم تر أن الله عزّ وجلّ أنزل آية الشدّة عند آية الرخاء ، وآية الرخاء عند آية الشدّة ، ليكون المؤمن راغبا راهبا ، لئلا يُلقى بيده إلى التهلكة ، ولايتمنى على الله أمنية يتمنى على الله فيها غير الحقّ .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا ، وَنَتَجاوَزُ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة (يُتَقَبَّلُ ، وَيُتَجاوَزُ) بضم الياء منهما ، على ما لم يسمّ فاعله ، ورفع (أَحْسَنُ) . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (نَتَقَبَّلُ ، ونَتَجاوَزُ) بالنون وفتحها ، ونصب (أحسنَ) على معنى إخبار الله جلّ ثناؤه عن نفسه أنه يفعل ذلك بهم ، وردّا للكلام على قوله (وَوَصَّيْنا الإنْسانَ) ونحن نتقبل منهم أحسن ما عملوا ونتجاوز ، وهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِى كانُوا يُوعَدُونَ) يقول : وعدهم الله هذا الوعد ، وعد الحقّ لاشك فيه أنه موفٍّ لهم به ، الذى كانوا إياه فى الدنيا يعدهم الله تعالى ، ونصب قوله (وَعْدَ الصِّدْقِ) لأنه مصدر خارج من قوله (يَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا ، وَيَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئاتِهِم) ، وإنما أخرج

من هذا الكلام مصدر وعد وعدا ، لأن قوله(يَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ - وَيَتَجاوَزُ) وعد من الله لهم ، فقال: وعد الصدق ، على ذلك المعنى .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾

* وهذا نعت من الله تعالى ذكره نعت ضالّ به كافر ، وبوالديه عاقّ ، وهما مجتهدان فى نصيحته ودعائه إلى الله ، فلا يزيده دعاؤهما إياه إلى الحقّ ، ونصيحتهما له إلا عتوّا وتمرّدا على الله ، وتماديا فى جهله ، يقول الله جلّ ثناؤه (وَالَّذِي قالَ لِوالِدَيْهِ) أن دعواه إلى الإيمان بالله ، والإقرار ببعث الله خلقه من قبورهم ، ومجازاته إياهم بأعمالهم (أُفٍّ لَكُما) يقول : قذرا لكما ونتنا (أَتَعِدانِنِي أَنْ أُخْرَجَ) يقول أتعداننى أن أخرج من قبرى من بعد فنائى وبلائى فيه حيا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَتَعِدانِنِي أَنْ أُخْرَجَ) أن أُبعث بعد الموت .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أَتَعِدانِنِي أَنْ أُخْرَجَ) قال : يعنى البعث بعد الموت .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِي قالَ لِوالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُما أَتَعِدانِنِي) . . . إلى آخر الآية ؛ قال : الذى قال هذا ابن لأبى بكر رضى الله عنه ، قال : (أَتَعِدانِنِي أَنْ أُخْرَجَ) : أتعداننى أن أُبعث بعد الموت .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (وَالَّذِي قالَ لِوالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُما أَتَعِدانِنِي أَنْ أُخْرَجَ) قال : هو الكافر الفاجر العاقّ لوالديه ، المكذب بالبعث .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ثم نعت عبد سوء عاقا لوالديه فاجرا فقال : (والذى قالَ لِوالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُما) . . . إلى قوله (أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ) .

وقوله (وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي) يقول : أتعداننى أن أبعث ، وقد مضت قرون من الأمم قبلى ، فهلكوا ، فلم يبعث منهم أحدا ، ولو كنت مبعوثا بعد وفاتى كما تقولان ، لكان قد بُعث من هلك قبلى من القرون (وَهُما يَسْتَغِيثانِ اللهَ) يقول تعالى ذكره ووالداه يستصرخان الله عليه ، ويستغيثانه عليه أن يؤمن بالله ، ويقرّ بالبعث ويقولان له : (وَيْلَكَ آمِنْ) ، أى صدّق بوعد الله ، وأقرّ أنك مبعوث من بعد وفاتك ، إن وعد الله الذى وعد خلقه أنه باعثهم من قبورهم ، ومخرجهم منها إلى موقف الحساب لمجازاتهم بأعمالهم حقّ لاشكّ فيه ، فيقول عدوّ الله مجيبا لوالديه ، وردّا عليهما نصيحتهما ، وتكذيبا بوعد

الله : ما هذا الذى تقولان لى وتدعوانى إليه من التصديق بأنى مبعوث من بعد وفاتى من قبرى ، إلا ماسطره الأوّلون من الناس من الأباطيل ، فكتبوه ، فأصبتماه أنتما فصدّقتما .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾

☆ يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين هذه الصفة صفتهم ، الذين وجب عليهم عذاب الله ، وحلّت بهم عقوبته وسخطه ، فيمن حلّ به عذاب الله على مثل الذى حلّ بهؤلاء من الأمم الذين مضوا قبلهم من الجنّ والإنس ، الذين كذّبوا رسل الله ، وعتوا عن أمر ربهم .

وقوله (إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ) يقول تعالى ذكره : إنهم كانوا المغبونين ببيعهم الهدى بالضلال والنعيم بالعقاب .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنا أبى ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : الجنّ لايموتون ، قال قتادة : فقلت (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ) . . . الآية .

وقوله (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا) يقول تعالى ذكره : ولكلّ هؤلاء الفريقين : فريق الإيمان بالله واليوم الآخر ، والبرّ بالوالدين ، وفريق الكفر بالله واليوم الآخر ، وعقوق الوالدين اللذين وصف صفتهم ربنا عزّ وجلّ فى هذه الآيات منازل ومراتب عند الله يوم القيامة ، مما عملوا ، يعنى من عملهم الذى عملوه فى الدنيا من صالح وحسن وسيّئ يجازيهم الله به .

وقد حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا) قال : درج أهل النار يذهب سفالا ، ودرج أهل الجنة يذهب علوّا (وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ) يقول جلّ ثناؤه : وليعطى جميعهم أجور أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ، المحسن منهم بإحسانه ماوعد الله من الكرامة ، والمسىء منهم بإساءته ماأعدّه من الجزاء (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) يقول : وجميعهم لايظلمون : لايجازى المسىء منهم إلا عقوبة على ذنبه ، لاعلى مالم يعمل ، ولا يحمل عليه ذنب غيره ، ولا يبخس المحسن منهم ثواب إحسانه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله (عَلَى النَّارِ) يقال لهم : (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ، وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا) فيها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا على النَّارِ) قرأ يزيد حتى بلغ (وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ) تعلمون . والله إن أقواما يسترطون حسناتهم . استبقى رجل طيباته إن استطاع ، ولا قوة إلا بالله . ذُكر أن عمر بن الخطاب كان يقول : لوشئت كنت أطيبكم طعاما ، وألينكم لباسا ، ولكنى أستبقى طيباتى . وذُكر لنا أنه لما قدم الشأم ، صُنِع له طعام لم ير قبله مثله ، قال : هذا لنا ، فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لايشبعون من خبز الشعير ؟ قال خالد بن الوليد : لهم الجنة ، فاغرورقت عينا عمر ، وقال : لئن كان حظنا فى الحطام ، وذهبوا ـ قال أبو جعفر : فيما أرى أنا ـ بالجنة ، لقد باينونا بونا بعيدا .

وذُكر لنا « أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم دخل على أهل الصُّفّة مكانا يجتمع فيه فقراء المسلمين ، وهم يرقعون ثيابهم بالأَدَم ، ما يجدون لها رقاعا ، قال : أنتم اليوم خير ، أو يوم يغدو أحدكم فى حلة ، ويروح فى أخرى ، ويغدى عليه بجفنة ، ويُراح عليه بأخرى ، ويستر بيته كما تستر الكعبة ، قالوا : نحن يومئذ خير ، قال : بل أنتم اليوم خير » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : حدثنا صاحب لنا عن أبى هريرة ، قال : « إنما كان طعامنا مع النبىّ صلى الله عليه وسلم الأسودين : الماء ، والتمر ، والله ما كنا نرى سمراءكم هذه ، ولا ندرى ما هى » .

قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبى بردة بن عبد الله بن قيس الأشعرىّ ، عن أبيه ، قال : أى بنىّ لوشهدتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مع نبينا إذا أصابتنا السماء ، حسبت أن ريحنا ريح الضأن ، إنما كان لباسنا الصوف .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله عزّ وجلّ (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا) . . . إلى آخر الآية ، ثم قرأ (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ، وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ) ، وقرأ (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا) ، وقرأ (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ) . . . إلى آخر الآية ، وقال : هؤلاء الذين أذهبوا طيباتهم فى حياتهم الدنيا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ) ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (أَذْهَبْتُمْ) بغير استفهام ، سوى أبى جعفر القارئ ، فإنه قرأه بالاستفهام ، والعرب تستفهم بالتوبيخ ، وتترك الاستفهام فيه ، فتقول : أذهبت ففعلت كذا وكذا ، وذهبت ففعلت وفعلت . وأعجب القراءتين إلىّ ترك الاستفهام فيه ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه ، ولأنه أفصح اللغتين .

وقوله (فالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ) يقول تعالى ذكره : يقال لهم : فاليوم أيها الكافرون الذين أذهبوا طيباتهم فى حياتهم الدنيا تجزون : أى تثابون عذاب الهون ، يعنى عذاب الهوان ، وذلك عذاب النار الذى يهينهم .

كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (عَذَابَ الهُونِ) قال : الهوان (بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ) يقول : بما كنتم تتكبرون فى الدنيا على ظهر الأرض على ربكم ، فتأبون أن تخلصوا له العبادة ، وأن تذعنوا لأمره ونهيه بغير الحقّ ، أى بغير ما أباح لكم ربكم ، وأذن لكم به (وبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ) يقول : بما كنتم فيها تخالفون طاعته فتعصونه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد لقومك الرادّين عليك ما جئتهم به من الحقّ هود أخا عاد ، فإن الله بعثك إليهم كالذى بعثه إلى عاد ، فخوّفهم أن يحلّ بهم من نقمة الله على كفرهم ما حلّ بهم إذ كذّبوا رسولنا هودا إليهم ، إذ أنذر قومه عادا بالأحقاف . والأحقاف : جمع حقف وهو من الرمل ما استطال ، ولم يبلغ أن يكون جبلا ، وإياه عنى الأعشى :

فَبَاتَ إلى أرْطَاةِ حِقْفٍ تَلُفُّهُ خَرِيقُ شَمَالٍ يَتْرُكُ الوَجْهَ أقْتَمَا[1]

واختلف أهل التأويل فى الموضع الذى به هذه الأحقاف ، فقال بعضهم : هى جبل بالشام .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (واذْكُرْ أخا عادٍ إذْ أنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقافِ) قال : الأحقاف : جبل بالشام .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إذْ أنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقافِ) جبل يسمى الأحقاف .

وقال آخرون : بل هى واد بين عُمان ومَهْرة .

---

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة ٢٩٥) وفى روايته : « يلوذ » فى موضع « فبات » : من قصيدة يمدح بها إياس بن قبيصة الطائى ، أو قيس بن معد يكرب ، والضمير فى فبات راجع إلى الثور الوحشى الذى شبه به ناقته ، فى أبيات سابقة . والأرطى : شجر ضخم ينبت فى الرمل . واحدته : أرطاة . والحقف من الرمل : ما اعوج وانعطف ، وجمعه : أحقاف . وهو موضع الشاهد فى البيت . والخريق : الريح الشديدة الهبوب . والشمال : ريح باردة تهب من ناحية الشام . يقول : يلجأ هذا الثور إلى أرطاة فى منعرج رمل ، تعصف من حوله ريح شمال هوجاء ، فتترك وجهه أغبر قاتما .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد قال: ثنى أبى ، قال: ثنى عمى ، قال: ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس(وَاذْكُرْ أخا عادٍ إذْ أنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقافِ) قال: فقال: الأحقاف الذى أنذر هود قومه واد بين عمان ومهرة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كانت منازل عاد وجماعتهم ، حيث بعث الله إليهم هودا الأحقاف : الرمل فيما بين عُمان إلى حَضْرَمَوْت ، فاليمن كله ، وكانوا مع ذلك قد فَشَوْا فى الأرض كلها ، قهروا أهلها بفضل قوّتهم التى آتاهم الله .

وقال آخرون : هى أرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : الأحقاف : الأرض .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقاف) قال : حشاف أو كلمة تشبهها ، قال أبوموسى : يقولون مستحشف .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقافِ) حِشاف من حِسْمَى .

وقال آخرون : هى رمال مُشْرفة على البحر بالشِّحْر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاذْكُرْ أخا عادٍ إذْ أنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقافِ) ذُكر لنا أن عادا كانوا حيا باليمن أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشِّحْر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَاذْكُرْ أخا عادٍ إذْ أنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقافِ) قال: بلَغَنا أنهم كانوا على أرض يقال لها الشحر ، مشرفين على البحر ، وكانوا أهل رمل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن عمرو بن عبد الله ، عن قتادة ، أنه قال : كان مساكن عاد بالشِّحْر .

☆ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تبارك وتعالى أخبر أن عادا أنذرهم أخوهم هود بالأحقاف ، والأحقاف ما وصفت من الرمال المستطيلة المشرفة ، كما قال العَجّاج :

* بات إلى أرْطاةِ حِقْفٍ أحْقَفا [1] *

(١) لم أجد البيت فى ديوان العجاج المطبوع . والذى فى (اللسان : حقف) : واحقوقف الرمل : إذا طال واعوج . واحقوقف الهلال : اعوج . وكل ما طال واعوج فقد احقوقف ، كظهر البعير ، وشخص القمر ، قال العجاج :

ناج طواه الأين مما وجفا طي الليالى زلفا فزلفا

وكما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاذْكُرْ أخا عادٍ إذْ أنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأحْقافِ) قال : الأحقاف : الرمل الذى يكون كهيئة الجبل تدعوه العرب الحقف ، ولا يكون أحقافا إلا من الرمل ، قال : وأخوعاد هود . وجائز أن يكون ذلك جبلا بالشأم . وجائز أن يكون واديا بين عمان وحضرموت . وجائز أن يكون الشحر وليس فى العلم به أداء فرض ، ولا فى الجهل به تضييع واجب ، وأين كان فصفته ما وصفنا من أنهم كانوا قوما منازلهم الرمال المستعلية المستطيلة .

وقوله (وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ اللهَ) يقول تعالى ذكره : وقد مضت الرسل بإنذار أممها (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) يعنى : من قبل هود ومن خلفه ، يعنى : ومن بعد هود . وقد ذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ بَعْدِهِ) ، (ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ اللهَ) يقول : لاتشركوا مع الله شيئا فى عبادتكم إياه ، ولكن أخلصوا له العبادة ، وأفردوا له الألوهة ، إنه لاإله غيره ، وكانوا فيما ذُكر أهل أوثان يعبدونها من دون الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ يقول : أخبرناعبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ اللهَ) قال : ان يبعث الله رسولا إلا بأن يعبد الله .

وقوله (إنّى أخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه : إنى أخاف عليكم أيها القوم بعبادتكم غير الله عذاب الله فى يوم عظيم وذلك يوم يعظم هوله ، وهو يوم القيامة .

القول في تأويل قوله تعالى:

قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره : قالت عاد لهود ، إذ قال لهم لاتعبدوا إلا الله : إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ، أجئتنا ياهود لتصرفنا عن عبادة آلهتنا إلى عبادة ماتدعونا إليه ، وإلى اتباعك على قولك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أجِئْتَنا لِتَأْفِكَنا عَنْ

• سماوة الهلال حتى احقوقفا •

والمؤلف ساق هذا البيت شاهدا على أن الأحقاف : الرمال المستطيلة المشرفة ، كما قال العجاج : « بات . . . الخ » . وأصله من شواهد أبي عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٢٢) . قال «..إذ أنذر قومه بالأحقاف» : أحقاف الرمال .. قال العجاج . . . البيت . أقول : ولست على يقين من صحة هذا الشاهد ، فإن أكثر الألفاظ من الفظ الشاهد الذى قرأه ، فلعله اضطرب فى أفواه الرواة وتداخل مع سابقه .

آلِهَتِنا) قال : لتزيلنا ، وقرأ (إِنْ كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا لَوْلا أن صَبَرْنا عَلَيْها) قال : تضلنا وتزيلنا وتأفكنا (فَأْتِنا بِمَا تَعِدُنا) من العذاب على عبادتنا ما نعبد من الآلهة (إِنْ كُنْتَ) من أهل الصدق فى قوله وعداته .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ ٢٣

يقول تعالى ذكره : قال هود لقومه عاد : (إِنَّمَا العِلْمُ) بوقت مجىء ما أعِدُكم به من عذاب الله على كفركم به عند الله ، لاأعلم من ذلك إلا ما علمنى (وأُبَلِّغُكُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ) يقول : وإنما أنا رسول إليكم من الله ، مبلغ أبلغكم عنه ما أرسلنى به من الرسالة (وَلَكِنِّى أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) مواضع حظوظ أنفسكم ، فلا تعرفون ماعليها من المضرّة بعبادتكم غير الله ، وفى استعجال عذابه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ٢٤

يقول تعالى ذكره : فلما جاءهم عذاب الله الذى استعجلوه ، فرأوه سحابا عارضا فى ناحية من نواحى السماء (مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ) والعرب تسمى السحاب الذى يُرَى فى بعض أقطار السماء عشيا ، ثم يصبح من الغد قد استوى ، وحبا بعضه إلى بعض عارضا ، وذلك لعرضه فى بعض أرجاء السماء حين نشأ ، كما قال الأعشى :

يا مَنْ يَرَى عارِضا قَدْ بِتُّ أَرْمُقُهُ　　كأنَّمَا البَرْقُ فى حافاتِهِ الشُّعَلُ[1]

(قالُوا هَذَا عارِضٌ مُمْطِرُنا) ظنا منهم برؤيتهم إياه أن غيثا قد أتاهم يحيون به ، فقالوا : هذا الذى كان هودٌ يعدنا ، وهو الغيث .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا رَأَوْهُ عارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ) . . . الآية ، وذُكر لنا أنهم حبس عنهم المطر زمانا ، فلما رأوا العذاب مقبلا ، (قالُوا هَذَا عارِضٌ مُمْطِرُنا) . وذُكر لنا أنهم قالوا : كذب هود كذب هود ؛ فلما خرج نبىّ الله صلى الله عليه وسلم فشامه ، قال : (بَلْ هُوَ ما اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيها عَذابٌ أَلِيمٌ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ساق الله السحابة السوداء التى اختار قَيْلُ

---

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة ٥٧) وفى روايته : « أرقبه » فى موضع « أرمقه » ، وهما بمعنى أنظر إليه . والبيت الشاهد على أن معنى العارض السحاب المعترض فى السماء . قال فى (اللسان : عرض) والعارض : السحاب الذى يعترض فى أفق السماء . وفى التنزيل فى قصة قوم عاد : « فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا » أى قالوا : هذا الذى وعدنا به سحاب فيه الغيث . اهـ . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن : (الورقة ٢٢٢) والعارض من السحاب : الذى يرى فى قطر من أقطار السماء من العشى ، ثم يصبح وقد حبا حتى استوى .

ابن عنز بما فيها من النقمة إلى عاد ، حتى تخرج عليهم من واد لهم يقال له المغيث ، فلما رأوها استبشروا ، (وقَالُوا هَذَا عارِضٌ مُمْطِرُنَا) : يقول الله عزّ وجلّ : (بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

وقوله (بَلْ هُوَ ما اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه صلى الله عليه وسلم هود لقومه لما قالوا له عند رؤيتهم عارض العذاب ، قد عرض لهم في السماء هذا عارض ممطرنا نحيا به ، ما هو بعارض غيث ، ولكنه عارض عذاب لكم ، بل هو ما استعجلتم به : أي هو العذاب الذي استعجلتم به ؛ فقلتم : (ائْتِنا بِمَا تَعِدُنا إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) (رِيحٌ فِيها عَذَابٌ أَلِيمٌ).والريح مكرّرة على ما في قوله (هُوَ ما اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ) كأنه قيل : بل هو ريح فيها عذاب أليم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : كان هود جلدا في قومه ، وإنه كان قاعدا في قومه ، فجاء سحاب مكفهرّ ، فـ(قالوا هذا عارض ممطرنا) فقال : (بَلْ هُوَ ما اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيها عَذَابٌ أَلِيمٌ) قال : فجاءت ريح فجعلت تلقى الفسطاط ، وتجيء بالرجل الغائب فتلقيه .

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعوديّ ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : قال سليمان ، ثنا أبو إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : لقد كانت الريح تحمل الظعينة فترفعها حتى تُرى كأنها جرادة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَمَّا رَأَوْهُ عارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ) . . . إلى آخر الآية ، قال : هي الريح إذا أثارت سحابا ، (قَالُوا : هَذَا عارِضٌ مُمْطِرُنَا) ، فقال نبيهم : بل ريح فيها عذاب أليم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

وقوله (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا) : يقول تعالى ذكره : تخرّب كلّ شيء ، وترمي بعضه على بعض فتهلكه ، كما قال جرير[1] :

وكانَ لَكُمْ كَبَكْرِ ثَمُودَ لَمَّا رَغَا ظُهْرًا فَدَمَّرَهُمْ دَمارًا[1]

(١) البيت ليس لجرير كما ورد في الأصل ، وإنما هو للفرزدق ، من قصيدة في ديوانه يرد بها على جرير ويناقضه وهي في ديوانه (طبعة الصاوي ٤٤٢) ، وأول القصيدة :

جَرَّ المُخْزِياتِ عَلَى كُلَيْبٍ جَرِيرٌ ثُمَّ ما مَنَعَ الذِّمارَا
وكانَ لَهُمْ كَبَكْرِ ثَمُودَ لَمَّا رَغَا ظُهْرًا فَدَمَّرَهُمْ دَمارًا

أي جلب على قومه الدمار والخراب .

يعنى بقوله : دمرهم : ألقى بعضهم على بعض صَرْعى هَلْكَى .

وإنما عنى بقوله (تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّها) مما أرسلت بهلاكه ، لأنها لم تدمر هودا ومن كان آمن به .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا طلق ، عن زائدة ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : ما أرسل الله على عادٍ من الريح إلا قدر خاتمى هذا ، فنزع خاتمه .

وقوله (فَأَصْبَحُوا لايُرَى إلاَّ مَساكِنُهُمْ) يقول : فأصبح قوم هود وقد هلكوا وفنوا ، فلا يُرى فى بلادهم شىء إلا مساكنهم التى كانوا يسكنونها .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فأَصْبَحُوا لايُرَى إلاَّ مَساكِنُهُمْ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة (لاتُرَى إلاَّ مَساكِنَهُمْ) بالتاء نصبا ، بمعنى : فأصبحوا لاترى أنت يامحمد إلا مساكنهم وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (لايُرَى إلاَّ مَساكِنُهُمْ) بالياء فى « يُرى » ، ورفع المساكن ، بمعنى : ما وصفت قبل أنه لايرى فى بلادهم شىء إلا مساكنهم . وروى الحسن البصرى (لاتُرَى) بالتاء ، وبأىّ القراءتين اللتين ذكرت من قراءة أهل المدينة والكوفة قرأ ذلك القارئُ فمصيب وهو القراءة برفع المساكن إذا قُرِئَ قوله (يُرَى) بالياء وضمها وبنصب المساكن إذا قُرِئَ قوله (تَرَى) بالتاء وفتحها . وأما التى حُكيت عن الحسن ، فهى قبيحة فى العربية وإن كانت جائزة ، وإنما قبحت لأن العرب تذكِّر الأفعال التى قبل إلا ، وإن كانت الأسماء التى بعدها أسماء إناث ، فتقول : ما قام إلا أختك ، ما جاءنى إلا جاريتك ، ولا يكادون يقولون : ماجاءتنى إلا جاريتك ، وذلك أن المحذوف قبل إلا أحد ، أو شىء واحد ، وشىء يذكر فعلهما العرب ، وإن عنى بهما المؤنث ، فتقول : إن جاءك منهنّ أحد فأكرمه ، ولا يقولون : إن جاءتك ، وكان الفرّاء يجيزها على الاستكراه ، ويذكر أن المفضل أنشده :

وَنارُنا لَمْ تُرَ نارًا مِثْلُها قَدْ عَلِمَتْ ذاكَ مَعَدٌّ أكْرَما[1]

فأنث فعل مثل لأنه للنار ، قال : وأجود الكلام أن تقول : ما رؤى مثلها .

وقوله (وكَذَلِكَ نَجْزِى القَوْمَ المجرمينَ) يقول تعالى ذكره : كما جزينا عادا بكفرهم بالله من العقاب فى عاجل الدنيا ، فأهلكناهم بعذابنا ، كذلك نجزى القوم الكافرين بالله من خلقنا ، إذ تمادوا فى غيهم وطَغَوا على ربهم .

---

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٠٢) استشهد به عند قوله تعالى « فأصبحوا لاترى إلا مساكنهم » فقال إنها قرئت بالتاء أو بالياء مضمومة (مع بناء الفعل للمجهول) . ووصف القراءة بالتاء المضمومة بأن فيها قبحا ؛ قال : لأن العرب إذا جعلت فعل المؤنث قبل إلا ذكروه ، فقالوا : لم يقم إلا جاريتك ، وما قام إلا جاريتك ، ولا يكادون يقولون : ما قامت إلا جاريتك ، وذلك أن المتروك (المستثنى منه) أحد أو شىء ، فأحد إذا كانت لمؤنث أو مذكر فعلها مذكر ؛ ألا ترى أنك تقول : إن قام أحد منهن فاضربه ، ولا تقول : إن قامت إلا مستكرها ، وهو على ذلك جائز ؛ قال : أنشدنى المفضل : « ونارنا . . . البيت » . فأنث فعل مثل ، لأنه للنار ؛ وأجود الكلام أن تقول : ما رؤى مثلها . قلت : وقوله « أكرما » نعت لنارا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾

☆ يقول تعالى ذكره لكفار قريش : ولقد مكّنّا أيها القوم عادا الذين أهلكناهم بكفرهم فيما لم نمكنكم فيه من الدنيا ، وأعطيناهم منها الذى لم نعطكم منهم من كثرة الأموال ، وبسطة الأجسام ، وشدّة الأبدان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنى أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيما إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ) يقول : لم نمكنكم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيما إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ) : أنبأكم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم .

وقوله (وَجَعَلْنا لَهُمْ سَمْعا) يسمعون به مواعظ ربهم ، وأبصارا يبصرون بها حجج الله ، وأفئدة يعقلون بها مايضرّهم وينفعهم (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلاأَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ) يقول : فلم ينفعهم ما أعطاهم من السمع والبصر والفؤاد إذ لم يستعملوها فيما أعطوها له ، ولم يعملوها فيما ينجيهم من عقاب الله ، ولكنهم استعملوها فيما يقرّبهم من سخطه (إِذْ كانُوا يَجْحَدُونَ بِآياتِ اللهِ) يقول : إذ كانوا يكذّبون بحجج الله وهم رُسله ، وينكرون نبوّتهم (وَحاقَ بِهِمْ ماكانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) يقول : وعاد عليهم ما استهزءوا به ، ونزل بهم ماسخروا به ، فاستعجلوا به من العذاب ، وهذا وعيد من الله جلّ ثناؤه لقريش ، يقول لهم : فاحذروا أن يحلّ بكم من العذاب على كفركم بالله وتكذيبكم رسله ، ما حلّ بعاد ، وبادروا بالتوبة قبل النقمة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

☆ يقول تعالى ذكره لكفار قريش محذّرهم بأسه وسطوته ، أن يحلّ بهم على كفرهم (وَلَقَدْ أَهْلَكْنا)

أيها القوم من القُرَى ماحول قريتكم ، كحجر ثمود وأرض سذوم ومأرب ونحوها ، فأنذرنا أهلها بالمَثُلات ، وخرّبنا ديارها ، فجعلناها خاوية على عروشها .

وقوله (وَصَرَّفْنَا الآياتِ) يقول : ووعظناهم بأنواع العظات ، وذكرناهم بضروب من الذِّكْر والحجج ، وبيّنّا لهم ذلك .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، فى قوله (وَصَرَّفْنَا الآياتِ) قال بيّناها (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يقول ليرجعوا عما كانوا عليه مقيمين من الكفر بالله وآياته . وفى الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام عليه ، وهو: فأبوا إلا الإقامة على كفرهم ، والتمادى فى غيهم ، فأهلكناهم ، فلن ينصرهم منا ناصر ؛ يقول جلّ ثناؤه : فلولا نصر هؤلاء الذين أهلكناهم من الأمم الخالية قبلهم أوثانهم وآلهتهم التى اتخذوا عبادتها قربانا يتقرّبون بها فيما زعموا إلى ربهم منا إذ جاءهم بأسنا ، فتنقذهم من عذابنا إن كانت تشفع لهم عند ربهم كما يزعمون ، وهذا احتجاج من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على مُشركى قومه ، يقول لهم : لوكانت آلهتكم التى تعبدون من دون الله تغنى عنكم شيئا ، أو تنفعكم عند الله كما تزعمون أنكم إنما تعبدونها ، لتقرّبكم إلى الله زلفى ، لأغنت عمن كان قبلكم من الأمم التى أهلكتها بعبادتهم إياها ، فدفعت عنها العذاب إذا نزل ، أو لشفعت لهم عند ربهم ، فقد كانوا من عبادتها على مثل الذى عليه أنتم ، ولكنها ضرّتهم ولم تنفعهم : يقول تعالى ذكره : بل ضلوا عنهم : يقول : بل تركتهم آلهتهم التى كانوا يعبدونها ، فأخذت غير طريقهم ، لأن عبدتها هلكت ، وكانت هى حجارة أو نحاسا ، فلم يصبها ما أصابهم ودعوها ، فلم تجبهم ، ولم تغثهم ، وذلك ضلالها عنهم ، وذلك إفكهم ، يقول عزّ وجلّ هذه الآلهة التى ضلّت عن هؤلاء الذين كانوا يعبدونها من دون الله عند نزول بأس الله بهم ، وفى حال طمعهم فيها أن تغيثهم ، فخذلتهم ، هو إفكهم : يقول : هو كذبهم الذى كانوا يكذّبون ، ويقولون هؤلاء آلهتنا وما كانوا يفترون ، يقول : وهو الذى كانوا يفترون ، فيقولون : هى تقرّبنا إلى الله زُلْفَى ، وهى شفعاؤنا عند الله . وأخرج الكلام مخرج الفعل ، والمعنىّ المفعول به ، فقيل : وذلك إفكهم ، والمعنىّ فيه : المأفوك به لأن الإفك إنما هو فعل الآفك ، والآلهة مأفوك بها . وقد مضى البيان عن نظائر ذلك قبل ، قال : وكذلك قوله (وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ) فقرأته عامة قرّاء الأمصار ، وذلك إفكهم بكسر الألف وسكون الفاء وضم الكاف بالمعنى الذى بيّنّا .

ورُوى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى ذلك ماحدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن عوف ، عمن حدثه ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرؤها (وَذَلِكَ أَفَكَهُمْ) يعنى بفتح الألف والكاف وقال : أضلهم . فمن قرأ القراءة الأولى التى عليها قرّاء الأمصار ، فالهاء والميم فى موضع خفض . ومن قرأ هذه القراءة التى ذكرناها عن ابن عباس فالهاء والميم فى موضع نصب ، وذلك أن معنى الكلام على ذلك ، وذلك صرفهم عن الإيمان بالله .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ، القراءة التى عليها قرأة الأمصار لإجماع الحجة عليها .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

يقول تعالى ذكره مقرّعا كفار قريش بكفرهم بما آمنت به الجنّ (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ) يا محمد (نَفَرًا مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ) ذكر أنهم صرفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحادث الذى حدث من رجمهم بالشهب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن زياد ، عن سعيد بن جُبير ، قال : «كانت الجنّ تستمع ، فلما رُجموا قالوا : إن هذا الذى حدث فى السماء لشىء حدث فى الأرض، فذهبوا يطلبون حتى رأوا النبيّ صلى الله عليه وسلم خارجا من سوق عكاظ يصلى بأصحابه الفجر ، فذهبوا إلى قومهم » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال: ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن جُبير ، قال : « لما بعث النبيّ صلى الله عليه وسلم حُرِست السماء، فقال الشيطان: ما حُرِست إلا لأمر قد حدث فى الأرض فبعث سراياه فى الأرض، فوجدوا النبيّ صلى الله عليه وسلم قائما يصلى صلاة الفجر بأصحابه بنخْلة ، وهو يقرأ ، فاستمعوا حتى إذا فرغ (وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ) . . . إلى قوله (مُسْتَقِيمٍ) » .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ) . . . إلى آخر الآية ، قال : لم تكن السماء تحرس فى الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يقعدون مقاعد للسمع ؛ فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حرست السماء حرسا شديدا ، ورُجمت الشياطين ، فأنكروا ذلك ، وقالوا : (لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) فقال إبليس : لقد حدث فى الأرض حدث ، واجتمعت إليه الجنّ ، فقال : تفرّقوا فى الأرض ، فأخبرونى ما هذا الخبر الذى حدث فى السماء ، وكان أوّل بعث ركب من أهل نصيبين ، وهى أشراف الجنّ وسادانهم ، فبعثهم إلى تِهامة ، فاندفعوا حتى بلغوا الوادى ، وادى نخلة ، فوجدوا نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة الغداة ببطن نخلة ، فاستمعوا ؛ فلما سمعوه يتلو القرآن ، قالوا : أنصتوا ، ولم يكن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم علم أنهم استمعوا إليه وهو يقرأ القرآن ، فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين .

واختلف أهل التأويل فى مبلغ عدد النفر الذين قال الله (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ) فقال بعضهم : كانوا سبعة نفر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عبد الحميد ، قال : ثنا النضر بن عربيّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس

(وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ) . . . الآية ، قال : كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين ، فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا إلى قومهم .

وقال آخرون : بل كانوا تسعة نفر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ) قال : كانوا تسعة نفر فيهم زَوْبعة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ بن حبيش ، قال : « أنزل على النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو ببطن نخلة ، (فَلَمَّا حَضَرُوهُ) قال : كانوا تسعة أحدهم زَوْبَعَة » .

وقوله (فَلَمَّا حَضَرُوهُ) يقول : فلما حضر هؤلاء النفر من الجنّ الذين صرفهم الله إلى رسوله نبيّ الله صلى الله عليه وسلم .

واختلف أهل العلم فى صفة حضورهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتعرّفون الأمر الذى حدث من قبله ما حدث فى السماء ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشعر بمكانهم ، كما قد ذكرنا عن ابن عباس قبل .

وكما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ) قال : ما شعر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءوا ، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه فيهم ، وأخبر عنهم .

وقال آخرون : بل أمر نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أن يقرأ عليهم القرآن ، وأنهم جمعوا له بعد أن تقدّم الله إليه بإنذارهم ، وأمره بقراءة القرآن عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ) قال : « ذكر لنا أنهم صرفوا إليه من نِينَوَى ، قال : فإن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إنى أمرت أن أقرأ القرآن على الجنّ ، فأيكم يتبعنى ؟ فأطرقوا ، ثم استتبعهم فأطرقوا ، ثم استتبعهم الثالثة فأطرقوا ، فقال رجل : يا رسول الله إنك لذو بدبه [1] ، فاتبعه عبد الله بن مسعود ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون . قال : وخطّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله خطا ليثبته به ، قال : فجعلت تهوى بى وأرى أمثال النسور تمشى فى دفوفها ، وسمعت لغطا شديدا ، حتى خفت على نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تلا القرآن ، فلما رجع نبيّ الله قلت : يا نبيّ الله ما اللغط الذى سمعت ؟ قال : اجتمعوا إلىّ فى قتيل كان بينهم ، فقضى بينهم بالحقّ . وذُكر لنا أن ابن مسعود لما قَدِم الكوفة رأى شيوخا شُمطا من الزُّط ، فراعوه ، قال : من هؤلاء ؟ قالوا : هؤلاء نفر من الأعاجم ، قال : ما رأيت للذين قرأ عليهم النبيّ صلى الله عليه وسلم الإسلام من الجنّ شبها أدنى من هؤلاء .

(١) فى ابن كثير « للوندبة » ، وكأن الرجل يتعجب من نشاط رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسراعه لما ندب أصحابه إليه فأحجموا . ولعله مأخوذ من قولهم « رجل ندب » أى خفيف سريع فى الحاجة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ذهب وابن مسعود ليلة دعا الجنّ ، فخطّ النبيّ صلى الله عليه وسلم على ابن مسعود خطا ، ثم قال له : لاتخرج منه ، ثم ذهب النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى الجنّ ، فقرأ عليهم القرآن ، ثم رجع إلى ابن مسعود فقال : هل رأيت شيئا ؟ قال : سمعت لغطا شديدا ، قال : إن الجنّ تدارأت فى قتيل قُتل بينها ، فقُضِي بينهم بالحقّ ، وسألوه الزاد ، فقال : كل عظم لكم عرق ، وكلّ روث لكم خُضْرة ، قالوا : يا رسول الله تقذّرها الناس علينا ، فنهى النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يستنجى بأحدهما ؛ فلما قدم ابن مسعود الكوفة رأى الزُّطّ ، وهم قوم طوال سود ، فأفزعوه ، فقال : أظَهَرُوا ؟ فقيل له : إن هؤلاء قوم من الزُّطّ ، فقال ما أشبههم بالنفر الذين صُرِفوا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم .

قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن عبدالله بن عمرو بن غَيلان الثقفيّ أنه قال لابن مسعود : «حُدثت أنك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجنّ ، قال : أجَل ، قال : فكيف كان ؟ فذكر الحديث كله . وذُكِر أن النبيّ صلى الله عليه وسلم خطّ عليه خطا وقال : لاتبرح منها ، فذكر أن مثل العجاجة السوداء غشيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذُعِر ثلاث مرّات ، حتى إذا كان قريبا من الصبح ، أتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أنِمْتَ ؟ قلت : لا والله ، ولقد هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول : اجلسوا ، قال : لوخرجتَ لم آمن أن يختطفك بعضهم ، ثم قال : هل رأيت شيئا ؟ قال : نعم رأيت رجالا سودا مستشعرى ثياب بيض ، قال : أولئك جنّ نصيبين ، سألونى المتاع ، والمتاع الزاد ، فمتعتهم بكلّ عظم حائل أوبعرة أو روثة ، فقلت : يارسول الله ، وما يغنى ذلك عنهم ؟ قال : إنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَظْما إلاَّ وَجَدُوا عَلَيْهِ لَحْمَهُ يَوْمَ أُكِلَ ، وَلا رَوْثَةً إلاَّ وَجَدُوا فِيها حَبَّها يَوْمَ أُكِلَتْ ، فَلا يَسْتَنْقِيَنَّ أحَدٌ مِنْكُمْ إذَا خَرَجَ مِنَ الخَلاءِ بِعَظْمٍ وَلا بَعْرَةٍ وَلا رَوْثَةٍ » .

حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : أخبرنا أبو زُرْعة وهب بن راشد ، قال : قال يونس ، قال ابن شهاب : أخبرنى أبوعثمان بن شبة الخزاعى ، وكان من أهل الشام « أن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهو بمكة : « مَنْ أحَبَّ مِنْكُمْ أنْ يَحْضُرَ أمْرَ الجنّ اللَّيْلَةَ فَلْيَفْعَلْ » ، فلم يحضر منهم أحد غيرى ، قال : فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة ، خطّ لى برجله خطا ، ثم أمرنى أن أجلس فيه ، ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن ، فغشيته أسودة كبيرة حالت بينى وبينه حتى ما أسمع صوته ، ثم طفقوا يتقطعون مثل قِطع السحاب ذاهبين ، حتى بقى منهم رهط ، ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الفجر ، فانطلق متبرّزا ، ثم أتانى فقال : ما فَعَلَ الرَّهْطُ ؟ قلت : هم أولئك يارسول الله ، فأخذ عظما أو روثا أو جمجمة فأعطاهم إياه زادا ، ثم نهى أن يستطيب أحد بعظم أو روث » .

حدثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنا عمى عبد الله بن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، عن أبى عثمان بن شبة الخزاعى ، وكان من أهل الشأم ، أن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر مثله سواء ، إلا أنه قال : فأعطاهم روثا أو عظما زادا ، ولم يذكر الجمجمة ؛

حدثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنى عمى ، قال : أخبرنى يونس ، عن الزهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، أن ابن مسعود ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بِتُّ اللَّيْلَةَ أقْرَأُ عَلى الجِنِّ رُبُعًا بِالحَجُونِ » :

واختلفوا فى الموضع الذى تلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه القرآن ، فقال عبد الله بن مسعود قرأ عليهم بالحَجون ، وقد ذكرنا الرواية عنه بذلك .

وقال آخرون : قرأ عليهم بنخلة ، وقد ذكرنا بعض من قال ذلك ، ونذكر من لم نذكره .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا خلاد ، عن زهير بن معاوية ، عن جابر الجعفى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس « أن النفر الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من جنّ نصيبين أتوه وهو بنخلة » .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ) قال : لقيهم بنخلة ليلتئذ .

وقوله (فَلَمَّا حَضَرُوهُ قالُوا أَنْصِتُوا) يقول تعالى ذكره : فلما حضروا القرآن ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ ، قال بعضهم لبعض : أنصتوا لنستمع القرآن .

كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زِرّ (فَلَمَّا حَضَرُوهُ قالُوا أَنْصِتُوا) قالوا : صَهْ .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زِرّ بن حُبَيْش ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (فَلَمَّا حَضَرُوهُ قالُوا أَنْصِتُوا) قد علم القوم أنهم لن يعقلوا حتى ينصتوا :

وقوله (فَلَمَّا قُضِيَ) يقول : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من القراءة وتلاوة القرآن ؛ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (فَلَمَّا قُضِيَ) يقول : فلما فرغ من الصلاة (وَلَّوْا إِلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ) . وقوله (وَلَّوْا إِلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ) يقول : انصرفوا منذرين عذاب الله على الكفر به :

وذُكر عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلهم رسلا إلى قومهم .

حدثنا بذلك أبو كُرَيب ، قال : ثنا عبد الحميد الحِمّانىّ ، قال : ثنا النضر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . وهذا القول خلاف القول الذى رُوى عنه أنه قال : لم يكن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم علم أنهم استمعوا إليه وهو يقرأ القرآن ، لأنه محال أن يرسلهم إلى آخرين إلا بعد علمه بمكانهم ، إلا أن يقال : لم يعلم

بمكانهم فى حال استماعهم للقرآن ، ثم علم بعد قبل انصرافهم إلى قومهم ، فأرسلهم رسلا حينئذ إلى قومهم ، وليس ذلك فى الخبر الذى روى .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾

❁ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الذين صُرفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجن لقومهم لما انصرفوا إليهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ياقَوْمَنا) من الجن (إنَّا سَمِعْنا كِتابا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ) كتاب (مُوسَى مُصَدّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) يقول : يصدّق ما قبله من كتب الله التى أنزلها على رسُله [1] .

وقوله (يَهْدِى إلى الحَقّ) يقول : يرشد إلى الصواب ، ويدلّ على ما فيه لله رضا (وَإلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول : وإلى طريق لا اعوجاج فيه ، وهو الإسلام .

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا سعيد عن قتادة أنه قرأ (قالُوا يا قَوْمَنا إنَّا سَمِعْنا كِتابا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدّقا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِى إلى الحَقّ وَإلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) فقال : ما أسرع ما عقل القوم ، ذُكر لنا أنهم صُرفوا إليه من نينوى .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾

❁ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء النفر من الجنّ (يا قَوْمَنا) من الجنّ (أجِيبُوا دَاعِىَ اللهِ) قالوا : أجيبوا رسول الله محمدا إلى ما يدعوكم إليه من طاعة الله (وآمِنُوا بِهِ) يقول : وصدّقوه فيما جاءكم به وقومه من أمر الله ونهيه ، وغير ذلك مما دعاكم إلى التصديق به (يَغْفِرْ لَكُمْ) يقول : يتغمد لكم ربكم من ذنوبكم فيسترها لكم ولا يفضحكم بها فى الآخرة بعقوبته إياكم عليها (وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ ألِيمٍ) يقول : وينقذكم من عذاب موجع إذا أنتم تبتم من ذنوبكم ، وأنبتم من كفركم إلى الإيمان بالله وبداعيه .

وقوله (وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِىَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى الأرْضِ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء النفر لقومهم : ومن لا يجب أيها القوم رسول الله صلى الله عليه وسلم محمدا ، وداعيه إلى مابعثه بالدعاء

(١) فى الأصل : رسوله ، ولعله تحريف من الناسخ .

إليه من توحيده ، والعمل بطاعته (فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى الأَرْضِ) يقول : فليس بمعجز ربه بهربه ، إذا أراد عقوبته على تكذيبه داعيه ، وتركه تصديقه وإن ذهب فى الأرض هاربا ، لأنه حيث كان فهو فى سلطانه وقبضته (وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ) يقول : وليس لمن لم يجب داعى الله من دون ربه نُصراء ينصرونه من الله إذا عاقبه ربه على كفره به وتكذيبه داعيَه .

وقوله (أُولَئِكَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ) يقول : هؤلاء الذين لم يجيبوا داعى الله فيصدّقوا به ، وبما دعاهم إليه من توحيد الله ، والعمل بطاعته فى جور عن قصد السبيل ، وأخذ على غير استقامة ،(مبين) : يقول : يبين لمن تأمله أنه ضلال ، وأخذ على غير قصد .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِىَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾

يقول تعالى ذكره : أو لم ينظر هؤلاء المنكرون إحياء الله خلقه من بعد وفاتهم ، وبعثه إياهم من قبورهم بعد بلائهم ، القائلون لآبائهم وأمهاتهم (أفّ لكما أتعداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى) فلم يبعثوا بأبصار قلوبهم ، فيروا ويعلموا أن الله الذى خلق السموات السبع والأرض ، فابتدعهنّ من غير شىء ، ولم يعى بإنشائهنّ ، فيعجز عن اختراعهنّ وإحداثهنّ (بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِىَ الْمَوْتَى) فيخرجهم من بعد بلائهم فى قبورهم أحياء كهيئتهم قبل وفاتهم .

واختلف أهل العربية فى وجه دخول الباء فى قوله (بِقَادِرٍ) فقال بعض نحويى البصرة : هذه الباء كالباء فى قوله (كَفَى بِاللهِ) وهو مثل (تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ) وقال بعض نحويى الكوفة : دخلت هذه الباء للمّ ؛ قال : والعرب تدخلها مع الجحود إذا كانت رافعة لما قبلها ، وتدخلها إذا وقع عليها فعل يحتاج إلى اسمين مثل قولك : ما أظنك بقائم ، وما أظنّ أنك بقائم ، وما كنت بقائم ، فإذا خلعت الباء نصبت الذى كانت تعمل فيه ، بما تعمل فيه من الفعل ، قال : ولو ألقيت الباء من قادر فى هذا الموضع رفع ، لأنه خبر لأن ، قال : وأنشدنى بعضهم :

فَمَا رَجَعَتْ بِخَائِبَةٍ رِكَابٌ	حَكِيمُ بْنُ الْمُسَيَّبِ مُنْتَهَاهَا[1]

فأدخل الباء فى فعل لو ألقيت منه نصب بالفعل لا بالباء ، يقاس على هذا ما أشبهه .

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٠٣) قال : وقوله تعالى : « أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض بقادر » : دخلت الباء للم . والعرب تدخلها مع الجحود إذا كانت رافعة لما قبلها ، أو يدخلونها إذا وقع عليها فعل محتاج إلى اسمين مثل قولك : ما أظنك بقائم ، وما أظن أنك بقائم ، وما كنت بقائم ، فإذا خلعت الباء ، نصبت الذى كانت تعمل فيه بما تعمل فيه من الفعل . ولو ألقيت الباء من « قادر » فى هذا الموضع رفع ، لأنه خبر لأن ، وأنشدنى بعضهم : « فما رجعت بخائبة . . . البيت » . فأدخل الباء فى فعل لو ألقيت منه ، نصب بالفعل لا بالباء . يقاس على هذا ما أشبهه ؛ وقد ذكر عن بعض القراء أنه قرأ « يقدر » مكان « بقادر » ، كما قرأ حمزة : « وما أنت بهادى العمى » ، وقراءة العوام ـ « بهاد العمى » . اهـ .

وقال بعض من أنكر قول البصريّ الذى ذكرنا قوله : هذه الباء دخلت للجحد ، لأن المجحود فى المعنى وإن كان قد حال بينهما بأنّ (أوَلَمْ يَرَوْا أنّ اللهَ قادِرٌ على أنْ يُحْيِيَ المَوْتَى) قال: فأنّ اسم يَرَوْا وما بعدها فى صلتها ، ولا تدخل فيه الباء ، ولكن معناه جحد ، فدخلت للمعنى .

وحُكى عن البصريّ أنه كان يأبى إدخال إلاّ ، وأن النحويين من أهل الكوفة يجيزونه ، ويقولون: ما ظننت أن زيدا إلا قائما ، وما ظننت أن زيدا بعالم : وينشد :

وَلَسْتُ بِحَالِفٍ لِوَلَدْتُ مِنْهُمْ عَلَى عَمِّيَّةٍ إلاَّ زِيَادَا[1]

قال: فأدخل إلا بعد جواب اليمين ، قال : فأما « كَفَى بِاللهِ » ، فهذه لم تدخل إلا لمعنى صحيح ، وهى للتعجب ، كما تقول لظَرُفَ بزيد . قال : وأما « تَنْبُتُ بالدهن » فأجمعوا على أنها صلة . وأشبه الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : دخلت الباء فى قوله (بِقادِرٍ) للجَحْد ، لما ذكرنا لقائلى ذلك من العِلَل .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (بِقادِرٍ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار ، عن أبى إسحاق والجَحْدَرِىّ والأعرج (بِقادِرٍ) وهى الصحيحة عندنا لإجماع قرّاء الأمصار عليها . وأما الآخرون الذين ذكرتهم فإنهم فيما ذُكر عنهم كانوا يقرءون ذلك « يقدر » بالياء.وقد ذُكر أنه فى قراءة عبد الله بن مسعود « أنّ اللهَ الّذِى خَلَقَ السَّمَوات وَالأَرْضَ قَادِرٌ » بغير باء ، ففى ذلك حجة لمن قرأه « بقادِرٍ » بالياء والألف . وقوله (بَلَى إنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول تعالى ذكره : بلى ، يقدر الذى خلق السموات والأرض على إحياء الموتى : أى الذى خلق ذلك على كلّ شيء شاء خلقه ، وأراد فعله ، ذو قدرة لا يعجزه شيء أراده ، ولا يُعْيِيه شيء أراد فعله ، فيعييه إنشاء الخلق بعد الفناء ، لأن من عجز عن ذلك فضعيف ، فلا ينبغى أن يكون إلها من كان عما أراد ضعيفا .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾

يقول تعالى ذكره : ويوم يعرض هؤلاء المكذّبون بالبعث ، وثواب الله عباده على أعمالهم الصالحة ، وعقابه إياهم على أعمالهم السيئة ، على النار ، نار جهنم ، يقال لهم حينئذ : أليس هذا العذاب الذى تعذّبونه اليوم ، وقد كنتم تكذّبون به فى الدنيا بالحقّ ، توبيخا من الله لهم على تكذيبهم به ، كان فى الدنيا (قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا) يقول : فيجيب هؤلاء الكفرة من فورهم بذلك ، بأن يقولوا بلى هو الحقّ والله ، قال : (فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) يقول : فقال لهم المقرّر بذلك : فذوقوا عذاب النار الآن بما كنتم تجحدونه فى الدنيا ، وتنكرونه ، وتأبَوْن الإقرار إذا دُعيتم إلى التصديق به .

(١) هذا بيت لم ينسبه المؤلف ، ونقله عن بعض النحويين . وليس فى معانى القرآن للفراء . وهو موضع خلاف بين البصريين والكوفيين، فالبصريون يأبون دخول (إلا) بعد جواب اليمين ، والكوفيون يجيزونه ويستشهدون بالبيت على ذلك ، كما قال المؤلف .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ٣٥

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، مثبته على المضىّ لما قلّده من عبْء الرسالة ، وثقل أحمال النبوّة صلى الله عليه وسلم ، وآمره بالائتساء فى العزم على النفوذ لذلك بأولى العزم من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لقُوا فيه من قومهم من المكاره ، ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد (فاصْبِرْ) يا محمد على ما أصابك فى الله من أذى مكذّبيك من قومك الذين أرسلناك إليهم بالإنذار (كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ) على القيام بأمر الله ، والانتهاء إلى طاعته من رسله الذين لم ينههم عن النفوذ لأمره ، ما نالهم فيه من شدّة : وقيل : إن أولى العزم منهم ، كانوا الذين امتُحِنوا فى ذات الله فى الدنيا بالمِحَن ، فلم تزدهم المحن إلا جدّا فى أمر الله ، كنوح وإبراهيم وموسى ومن أشبههم :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى ثوابة بن مسعود ، عن عطاء الخُراسانىّ ، أنه قال (فاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) كنا نحدّث أن إبراهيم كان منهم .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) قال : كلّ الرسل كانوا أولى عزم لم يتخذ الله رسولا إلا كان ذا عزم ، فاصبر كما صبروا .

حدثنا ابن سنان القزّاز ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سالم ، عن سعيد بن جُبير ، فى قوله (فاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) قال : سماه الله من شدّته العزم .

وقوله (وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ) يقول : ولا تستعجل عليهم بالعذاب ، يقول : لا تعجل بمسألتك ربك ذلك لهم فإن ذلك نازل بهم لا محالة (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهارٍ) يقول : كأنهم يوم يرون عذاب الله الذى يعدهم أنه منزله بهم ، لم يلبثوا فى الدنيا إلا ساعة من نهار ، لأنه ينسيهم شدّة ما ينزل بهم من عذابه ، قدر ما كانوا فى الدنيا لبثوا ، ومبلغ ما فيها مكثوا من السنين والشهور ، كما قال جلّ ثناؤه (قالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ؟ قالُوا لَبِثْنا يَوْما أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، فاسْأَلِ العادّينَ) .

وقوله (بَلاغٌ فِيهِ) وجهان : أحدهما أن يكون معناه : لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ذلك لبث بلاغ ، بمعنى : ذلك بلاغ لهم فى الدنيا إلى أجلهم ، ثم حذفت ذلك لبث ، وهى مرادة فى الكلام اكتفاء بدلالة ماذكر من الكلام عليها . والآخر : أن يكون معناه : هذا القرآن والتذكير بلاغ لهم وكفاية ، إن فكّروا واعتبروا فتذكروا .

وقوله (فَهَلْ يُهْلَكُ إلاَّ القَوْمُ الفاسِقُونَ) يقول تعالى ذكره : فهل يهلك الله بعذابه إذا أنزله إلا القوم الذين خالفوا أمره ، وخرجوا عن طاعته وكفروا به . ومعنى الكلام : وما يهلك الله إلا القوم الفاسقين وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (فَهَلْ يُهْلَكُ إلاَّ القَوْمُ الفاسِقُونَ) تعلّموا مايهلك على الله إلا هالك ولى الإسلام ظهره أو منافق صدّق بلسانه وخالف بعمله . ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « أيُّمَا عَبْدٍ مِنْ أُمَّتِى هَمَّ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ لَهُ وَاحِدَةٌ ، وَإنْ عَمِلَها كُتِبَتْ لَهُ عَشْرَ أمْثالِهَا . وأيُّما عَبْدٍ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ ، فإنْ عَمِلَها كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً ، ثُمَّ كانَ يَتْبَعُها ، وَيَمْحُوها اللهُ وَلا يَهْلِكُ إلاَّ هالِكٌ » .

آخر تفسير سورة الأحقاف

(٤٧) سورة محمد مدنية
وآياتها ثمان وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : الذين جحدوا توحيد الله وعبدوا غيره وصدّوا من أراد عبادته والإقرار بوحدانيته ، وتصديق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن الذى أراد من الإسلام والإقرار والتصديق (أضَلَّ أعْمالَهُمْ) يقول : جعل الله أعمالهم ضلالا على غير هدى وغير رشاد ، لأنها عملت فى سبيل الشيطان وهى على غير استقامة (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) يقول تعالى ذكره : والذين صدّقوا الله وعملوا بطاعته ، واتبعوا أمره ونهيه (وآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلى مُحَمَّدٍ) يقول : وصدّقوا بالكتاب الذى

أنزل الله على محمد (وَهُوَ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) يقول: محا الله عنهم بفعلهم ذلك سيئ ما عملوا من الأعمال، فلم يؤاخذهم به، ولم يعاقبهم عليه (وأَصْلَحَ بالَهُمْ) يقول: وأصلح شأنهم وحالهم فى الدنيا عند أوليائه، وفى الآخرة بأن أورثهم نعيم الأبد والخلود الدائم فى جنانه.

وذُكر أنه عنى بقوله (الَّذِينَ كَفَرُوا) . . . الآية أهل مكة، (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) . . . الآية، أهل المدينة.

ذكر من قال ذلك

حدثنى إسحاق بن وهب الواسطى، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبى يحيى القتات، عن مجاهد، عن عبد الله بن عباس، فى قوله (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ) قال: نزلت فى أهل مكة (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) قال: الأنصار.

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (وأَصْلَحَ بالَهُمْ) قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى إسحاق بن وهب الواسطى، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: ثنا إسرائيل، عن أبى يحيى القتات، عن مجاهد، عن عبد الله بن عباس (وأَصْلَحَ بالَهُمْ) قال: أمرهم.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن؛ قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (وأَصْلَحَ بالَهُمْ) قال: شأنهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وأَصْلَحَ بالَهُمْ) قال: أصلح حالهم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (وأَصْلَحَ بالَهُمْ) قال: حالهم.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (وأَصْلَحَ بالَهُمْ) قال حالهم. والبال: كالمصدر مثل الشأن لا يعرف منه فعل، ولا تكاد العرب تجمعه إلا فى ضرورة شعر، فإذا جمعوه قالوا بالات.

القول في تأويل قوله تعالى:

ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾

يقول تعالى ذكره: هذا الذى فعلنا بهذين الفريقين من إضلالنا أعمال الكافرين، وتكفيرنا عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، جزاء منا لكل فريق منهم على فعله. أما الكافرون فأضللنا أعمالهم، وجعلناها على غير استقامة وهدى؛ بأنهم اتبعوا الشيطان فأطاعوه، وهو الباطل.

كما حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، وعباس بن محمد ، قالا : ثنا حجاج بن محمد ، قال : قال ابن جُرَيج : أخبرني خالد أنه سمع مجاهدا يقول (ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ) قال : الباطل : الشيطان . وأما المؤمنون فكفَّرنا عنهم سيئاتهم ، وأصلحنا لهم حالهم بأنهم اتبعوا الحقّ الذي جاءهم من ربهم ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، وما جاءهم به من عند ربه من النور والبرهان (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ) يقول عزّ وجلّ : كما بينت لكم أيها الناس فعلى بفريق الكفر والإيمان ، كذلك نمثل للناس الأمثال ، ونشبه لهم الأشباه ، فنلحق بكلّ قوم من الأمثال أشكالا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝ ﴾

❊ يقول تعالى ذكره لفريق الإيمان به وبرسوله : (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله ورسوله من أهل الحرب ، فاضربوا رقابهم .

وقوله (حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ) يقول : حتى إذا غلبتموهم وقهرتم من لم تضربوا رقبته منهم ، فصاروا في أيديكم أسرى (فَشُدُّوا الْوَثَاقَ) يقول : فشدّوهم في الوثاق كيلا يقتلوكم ، فيهربوا منكم .

وقوله (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً) يقول : فإذا أسرتموهم بعد الإثخان ، فإما أن تمنوا عليهم بعد ذلك بإطلاقكم إياهم من الأسر ، وتحرروهم بغير عوض ولا فدية ، وإما أن يفادوكم فداء بأن يعطوكم من أنفسهم عوضا حتى تطلقوهم ، وتخلوا لهم السبيل .

واختلف أهل العلم في قوله (حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ ، فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً) فقال بعضهم : هو منسوخ نسخه قوله (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) وقوله (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ) :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد وابن عيسى الدامغاني ، قالا : ثنا ابن المبارك ، عن ابن جُرَيج أنه كان يقول ، في قوله (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً) نسخها قوله (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السديّ (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً) قال : نسخها (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً) نسخها قوله : (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ) .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فإذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) إلى قوله (وَإمَّا فِدَاءً) كان المسلمون إذا لقوا المشركين قاتلوهم، فإذا أسروا منهم أسيرا، فليس لهم إلا أن يُفادوه، أو يمنوا عليه، ثم يرسلوه، فنسخ ذلك بعد قوله (فإمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ) : أي عظ بهم من سواهم من الناس لعلهم يذّكرون .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال : ثنا ابن ثور، عن معمر، عن عبد الكريم الجزرى، قال : كتب إلى أبي بكر رضي الله عنه فى أسير أُسر، فذكر أنهم التمسوه بفداء كذا وكذا، فقال أبو بكر : اقتلوه، لقتلُ رجل من المشركين، أحبّ إلىّ من كذا وكذا .

حدثني محمد بن سعد، قال : ثنى أبي، قال : ثنى عمى، قال : ثنى أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (فإذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ) . . . إلى آخر الآية، قال : الفداء منسوخ، نسختها : (فإذَا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ) . . . إلى (كُلَّ مَرْصَدٍ) قال : فلم يبق لأحد من المشركين عهد ولا حرمة بعد براءة، وانسلاخ الأشهر الحُرم .

حُدثت عن الحسين، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فإمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإمَّا فِداءً) هذا منسوخ، نسخه قوله : (فإذَا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) فلم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة بعد براءة .

وقال آخرون : هى محكمة وليست بمنسوخة، وقالوا : لا يجوز قتل الأسير، وإنما يجوز المنّ عليه والفداء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى، قال : ثنا أبو عتاب سهل بن حماد، قال : ثنا خالد بن جعفر، عن الحسن، قال : أتى الحجاج بأسارى، فدفع إلى ابن عمر رجلا يقتله، فقال ابن عمر : ليس بهذا أُمرنا، قال الله عزّ وجلّ (حَتَّى إذَا أثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثاقَ، فإمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإمَّا فِداءً) قال : (١) البكاء بين يديه فقال الحسن : لو كان هذا وأصحابه لابتدروا إليهم .

حدثنا ابن حميد وابن عيسى الدامغانىّ، قالا : ثنا ابن المبارك، عن ابن جُرَيج، عن عطاء أنه كان يكره قتل المشرك صبرا، قال : ويتلو هذه الآية (فإمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإمَّا فِداءً) .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال : ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، قال : لا تقتل الأُسارى إلا فى الحرب يهيب بهم العدوّ .

قال : ثنا ابن ثور، عن معمر، قال : كان عمر بن عبد العزيز يفديهم الرجل بالرجل، وكان الحسن يكره أن يفادى بالمال .

قال : ثنا ابن ثور، عن معمر، عن رجل من أهل الشأم ممن كان يحرس عمر بن عبد العزيز، وهو من بنى أسد، قال : ما رأيت عمر رحمه الله قتل أسيرا إلا واحدا من الترك كان جيء بأسارى من الترك، فأمر

(١) لعله سقط من الأصل هنا كلمة أو نحوها، مثل اشتد أو علا، أو ارتفع أى ارتفع : بكاء الأسرى بين يدى الحجاج .

بهم أن يُسترقوا ، فقال رجل ممن جاء بهم : يا أمير المؤمنين ، لو كنت رأيت هذا لأحدهم وهو يقتل المسلمين لكثر بكاؤك عليهم ، فقال عمر : فدونك فاقتله ، فقام إليه فقتله .

والصواب من القول عندنا فى ذلك أن هذه الآية محكمة غير منسوخة ، وذلك أن صفة الناسخ والمنسوخ ما قد بينّا فى غير موضع فى كتابنا إنه ما لم يجز اجتماع حكميهما فى حال واحدة ، أو ما قامت الحجة بأن أحدهما ناسخ الآخر ، وغير مستنكر أن يكون جعل الخيار فى المنّ والفداء والقتل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإلى القائمين بعده بأمر الأمة ، وإن لم يكن القتل مذكورا فى هذه الآية ، لأنه قد أذن بقتلهم فى آية أخرى ، وذلك قوله (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) . . . الآية ، بل ذلك كذلك ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك كان يفعل فيمن صار أسيرا فى يده من أهل الحرب ، فيقتل بعضا ، ويفادى ببعض ، ويمنّ على بعض ، مثل يوم بدر قتل عقبة بن أبى مُعَيْط وقد أُتى به أسيرا ، وقتل بنى قُرَيْظة ، وقد نزلوا على حكم سعد ، وصاروا فى يده سلما ، وهو على فدائهم ، والمنّ عليهم قادر ، وفادى بجماعة أسارى المشركين الذين أُسروا ببدر ، ومنّ على ثمامة بن أثال الحنفىّ ، وهو أسير فى يده ، ولم يزل ذلك ثابتا من سيره فى أهل الحرب من لدن أذن الله له بحربهم ، إلى أن قبضه إليه صلى الله عليه وسلم دائما ذلك فيهم ، وإنما ذكر جلّ ثناؤه فى هذه الآية المنّ والفداء فى الأسارى ، فخصّ ذكرهما فيها ، لأن الأمر بقتلهما والإذن منه بذلك قد كان تقدم فى سائر آى تنزيله مكرّرا ، فأعلم نبيه صلى الله عليه وسلم بما ذكر فى هذه الآية من المنّ والفداء ماله فيهم مع القتل .

وقوله (حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) يقول تعالى ذكره : فإذا لقيتم الذين كفروا فاضربوا رقابهم ، وافعلوا بأسراهم ما بيّنت لكم ، حتى تضع الحرب آثامها وأثقال أهلها ، المشركين بالله بأن يتوبوا إلى الله من شركهم ، فيؤمنوا به وبرسوله ، ويطيعوه فى أمره ونهيه ، فذلك وضع الحرب أوزارها ، وقيل : (حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) والمعنى : حتى تلقى الحرب أوزار أهلها . وقيل : معنى ذلك : حتى يضع المحارب أوزاره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) قال : حتى يخرج عيسى بن مريم ، فيسلم كلّ يهودىّ ونصرانىّ وصاحب ملة ، وتأمن الشاة من الذئب ، ولا تقرض فأرة جرابا ، وتذهب العداوة من الأشياء كلها ، ذلك ظهور الإسلام على الدين كله ، وينعم الرجل المسلم حتى تقطر رجله دما إذا وضعها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) حتى لا يكون شرك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) قال : حتى لايكون شرك .

ذكر من قال : عُنِى بالحرب فى هذا الموضع : المحاربون

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور عن معمر ، عن قتادة (حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) قال الحرب : من كان يقاتلهم سماهم حربا .

وقوله (ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ) يقول تعالى ذكره : هذا الذى أمرتكم به أيها المؤمنون من قتل المشركين إذا لقيتموهم فى حرب ، وشدّهم وثاقا بعد قهرهم ، وأسرهم ، والمنّ والفداء (حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) هو الحقّ الذى ألزمكم ربكم ولو يشاء ربكم ، ويريد لانتصر من هؤلاء المشركين الذين بين هذا الحكم فيهم بعقوبة منه لهم عاجلة ، وكفاكم ذلك كله ، ولكنه تعالى ذكره كره الانتصار منهم ، وعقوبتهم عاجلا إلا بأيديكم أيها المؤمنون (لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ) يقول : ليختبركم بهم ، فيعلم المجاهدين منكم والصابرين ، ويبلوهم بكم ، فيعاقب بأيديكم من شاء منهم ، ويتعظ من شاء منهم بمن أهلك بأيديكم من شاء منهم حتى ينيب إلى الحقّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ) إى والله بجنوده الكثيرة كلّ خلقه له جند ، ولو سلط أضعف خلقه لكان جندا .

وقوله (وَالَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والكوفة (وَالَّذِينَ قَاتَلُوا) بمعنى : حاربوا المشركين ، وجاهدوهم ، بالألف ؛ وكان الحسن البصرى فيما ذُكر عنه يقرؤه (قُتِّلُوا) بضم القاف وتشديد التاء ، بمعنى : أنه قتلهم المشركون بعضهم بعد بعض ، غير أنه لم يسمّ الفاعلون : وذُكر عن الجحدرىّ عاصم أنه كان يقرؤه (الَّذِينَ قَتَلُوا) بفتح القاف وتخفيف التاء ، بمعنى : والذين قتلوا المشركين بالله . وكان أبو عمرو يقرؤه (قُتِلُوا) بضم القاف وتخفيف التاء بمعنى : والذين قتلهم المشركون ، ثم أسقط الفاعلين ، فجعلهم لم يسمّ فاعل ذلك بهم :

وأولى القراءات بالصواب قراءة من قرأه (وَالَّذِينَ قَاتَلُوا) لاتفاق الحجة من القرّاء ، وإن كان لجميعها وجوه مفهومة .

وإذ كان ذلك أولى القراءات عندنا بالصواب ، فتأويل الكلام : والذين قاتلوا منكم أيها المؤمنون أعداء الله من الكفار فى دين الله ، وفى نصرة ما بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من الهدى ، فجاهدوهم فى ذلك (فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ) فلن يجعل الله أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ضلالا عليهم كما أضلّ أعمال الكافرين .

وذُكر أن هذه الآية عُنِى بها أهل أُحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ) ذُكر لنا أن هذه الآية أُنزلت يوم أُحد ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشِّعْب ، وقد فَشَتْ فيهم الجراحات والقتل ، وقد نادى المشركون يومئذ : أُعْلُ هُبَلْ ، فنادى المسلمون : الله أعلى وأجلّ ، فنادى المشركون : يوم بيوم ، إن الحرب سجال ، إن لنا عُزَّى ، ولا عُزَّى لكم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهُ مَوْلانا وَلا مَوْلَى لَكُمْ . إنَّ القَتْلَى مُخْتَلِفَةٌ ، أمَّا قَتْلانا فأَحْياءٌ يُرْزَقُونَ ، وأمَّا قَتْلاكُمْ فَفِي النَّارِ يُعَذَّبُونَ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ) قال : الذين قُتلوا يوم أُحد .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝ ﴾

* يقول تعالى ذكره : سيوفق الله تعالى ذكره للعمل بما يرضى ويحبّ ، هؤلاء الذين قاتلوا فى سبيله ، (وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ) : ويصلح أمرهم وحالهم فى الدنيا والآخرة (وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) يقول : ويُدخلهم الله جنته عرّفها ، يقول : عرّفها وبيّنها لهم ، حتى إن الرجل ليأتى منزله منها إذا دخلها كما كان يأتى منزله فى الدنيا ، لايشكل عليه ذلك .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أبى سعيد الخُدْرىّ ، قال : « إذا نجّى الله المؤمنين من النار حُبسوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فاقتصّ بعضهم من بعض مظالم كثيرة كانت بينهم فى الدنيا ، ثم يُؤذن لهم بالدخول فى الجنة ، قال : فما كان المؤمن بأدلّ بمنزله فى الدنيا منه بمنزله فى الجنة حين يدخلها » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) قال : أى منازلهم فيها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) قال : يهتدى أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم ، وحيث قسم الله لهم لايخطئون ، كأنهم سكانها منذ خلقوا لايستدلون عليها أحدا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ

عرَّفها لهُمْ) قال : بلغنا عن غير واحد قال : يدخل أهل الجنة الجنة ، ولهم أعرف بمنازلهم فيها من منازلهم في الدنيا التي يختلفون إليها في عمر الدنيا ؛ قال : فتلك قول الله جلّ ثناؤه (وَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) .

وقوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ) يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، إن تنصروا الله ينصركم بنصركم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم على أعدائه من أهل الكفر به وجهادكم إياهم معه لتكون كلمته العُليا ينصركم عليهم ، ويظفركم بهم ، فإنه ناصر دينه وأولياءه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ) لأنه حقّ على الله أن يعطي من سأله ، وينصر من نصره .

وقوله (وَيُثَبِّتْ أقْدَامَكُمْ) يقول : ويقوّكم عليهم ، ويجرّئكم ، حتى لا تولوا عنهم ، وإن كثر عددهم ، وقلّ عددكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۞ ﴾

※ يقول تعالى ذكره : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) بالله ، فجحدوا توحيده (فَتَعْسًا لَهُمْ) يقول : فخزيا لهم وشقاء وبلاء .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ) قال : شقاء لهم .

وقوله (وأضَلَّ أعمالَهُمْ) يقول وجعل أعمالهم معمولة على غير هدى ولا استقامة ، لأنها عملت في طاعة الشيطان ، لا في طاعة الرحمن :

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وأضَلَّ أعمالَهُمْ) قال : الضلالة التي أضلهم الله لم يهدهم كما هَدَى الآخرين ، فإن الضلالة التي أخبرك الله : يضلّ من يشاء ، ويهدى من يشاء ؛ قال : وهؤلاء ممن جعل عمله ضلالا ، وردّ قوله (وأضَلَّ أعمالَهُمْ) على قوله (فَتَعْسًا لَهُمْ) وهو فعل ماض ، والتعس اسم ، لأن التعس وإن كان اسما في معنى الفعل لما فيه من معنى الدعاء ، فهو بمعنى : أتعسهم الله ، فلذلك صلح ردّ أضلّ عليه ، لأن الدعاء يجرى مجرى الأمر والنهى ، وكذلك قوله (حتى إذَا أثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ) مردودة على أمر مضمر ناصب لضرب .

وقوله (ذلكَ بأنّهُم كَرِهُوا ما أنزَلَ اللهُ) يقول تعالى ذكره: هذا الذى فعلنا بهم من الإتعاس وإضلال الأعمال من أجل أنهم كرهوا كتابنا الذى أنزلناه إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وسخطوه، فكذّبوا به، وقالوا : هو سحر مبين .

وقوله(فأحبَطَ أعمالَهُمْ) يقول : فأبطل أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ، وذلك عبادتهم الآلهة ، لم ينفعهم الله بها فى الدنيا ولا فى الآخرة ، بل أوبقهم بها ، فأصلاهم سعيرا ، وهذا حكم الله جلّ جلاله فى جميع من كفر به من أجناس الأمم ، كما قال قتادة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة فى قوله(فتَعْسا لَهُمْ) قال : هى عامة للكفار .

القول في تأويل قوله تعالى:

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : أفلم يَسيروا هؤلاء المكذّبون محمدا صلى الله عليه وسلم ، المنكرو ما أنزلنا عليه من الكتاب فى الأرض سفرا ، وإنما هذا توبيخ من الله لهم ، لأنهم قد كانوا يسافرون إلى الشام، فيرون نقمة الله التى أحلّها بأهل حجر ثمود ، ويرون فى سفرهم إلى اليمن ما أحلّ الله بسبَأ، فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين به : أفلم يسير هؤلاء المشركون سفرا فى البلاد فينظروا كيف كان عاقبة تكذيب الذين من قبلهم من الأمم المكذّبة رسلها الرّادّة نصائحها ألم نهلكها فندمّر عليها منازلها ونخرّبها ، فيتعظوا بذلك ، ويحذروا أن يفعل الله ذلك بهم فى تكذيبهم إياه ، فينيبوا إلى طاعة الله فى تصديقك ، ثم توعّدهم جلّ ثناؤه ، وأخبرهم إن هم أقاموا على تكذيبهم رسوله ، أنه مُحِل بهم من العذاب ما أحلّ بالذين كانوا من قبلهم من الأمم ، فقال : (وللكافِرِينَ أمثالُها) يقول : وللكافرين من قريش المكذبى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب العاجل ، أمثال عاقبة تكذيب الأمم الذين كانوا من قبلهم رسلهم على تكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وللكافرين أمثالُها) قال : مثل ما دُمّرت به القرون الأولى وعيد من الله لهم .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۝ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۝﴾

* يقول تعالى ذكره: هذا الفعل الذى فعلنا بهذين الفريقين: فريق الإيمان، وفريق الكفر، من نُصرتنا فريق الإيمان بالله، وتثبيتنا أقدامهم، وتدميرنا على فريق الكفر (بأنَّ الله مَوْلى الَّذين آمَنُوا) يقول: من أجل أن الله ولىّ من آمن به، وأطاع رسوله:

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، فى قوله (ذلك بأنَّ الله مَوْلى الَّذين آمَنُوا) قال: وليهم.

وقد ذُكر لنا أن ذلك فى قراءة عبد الله (ذلك بأنَّ الله ولىُّ الَّذين آمَنُوا) و «أن» التى فى المائدة التى هى فى مصاحفنا (إنَّما وليُّكُمُ اللهُ ورسُولُهُ): (إنَّما مَوْلاكُمُ اللهُ) فى قراءته.

وقوله (وأنَّ الكافرين لامَوْلى لهُمْ) يقول: وبأن الكافرين بالله لاولىّ لهم، ولا ناصر.

وقوله (إنَّ الله يُدْخِلُ الَّذين آمَنُوا و عمِلُوا الصَّالِحات جنَّاتٍ تجْرى مِنْ تحْتِها الأنهارُ) يقول تعالى ذكره: إن الله له الألوهة التى لاتنبغى لغيره، يُدخل الذين آمنوا بالله وبرسوله بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار، يفعل ذلك بهم تكرمة على إيمانهم به وبرسوله.

وقوله (والَّذين كفرُوا يتَمتَّعُونَ ويأْكُلُونَ كمَا تأْكُلُ الأنْعامُ) يقول جل ثناؤه: والذين جحدوا توحيدالله، وكذّبوا رسوله صلى الله عليه وسلم يتمتعون فى هذه الدنيا بحطامها ورياشها وزينتها الفانية الدارسة، ويأكلون فيها غير مفكّرين فى المعاد، ولا معتبرين بما وضع الله لخلقه من الحجج المؤدّية لهم إلى علم توحيد الله ومعرفة صدق رسله، فمثلهم فى أكلهم ما يأكلون فيها من غير علم منهم بذلك، وغير معرفة، مثل الأنعام من البهائم المسخرة التى لاهمة لها إلا فى الاعتلاف دون غيره (والنَّارُ مَثْوًى لهُمْ) يقول جلّ ثناؤه: والنار نار جهنم مسكن لهم، ومأوى، إليها يصيرون من بعد مماتهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۝﴾

* يقول تعالى ذكره: وكم يامحمد من قرية هى أشدّ قوّة من قريتك، يقول أهلها أشدّ بأسا، وأكثر جمعا، وأعدّ عديدا من أهل قريتك، وهى مكة، وأخرج الخبر عن القرية، والمراد به أهلها.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل:

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ) قال : هى مكة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة فى قوله (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ) قال : قريته مكة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن حبيش ، عن عكرمة ، عن ابن عباس « أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، لما خرج من مكة إلى الغار ، أراه قال : التفت إلى مكة ، فقال : أنْتِ أحَبُّ بِلادِ اللهِ إلى اللهِ ، وأنْتِ أحَبُّ بِلادِ اللهِ إليَّ ، فَلَوْ أنَّ المُشْرِكِينَ لَمْ يُخْرِجُونِى لَمْ أخْرُجْ مِنْكِ ، فأعْتَى الأعْداءِ مَنْ عَتا على اللهِ فى حَرَمِهِ ، أوْ قَتَلَ غيرَ قاتِلِهِ ، أوْ قَتَلَ بذُحُولِ الجاهِلِيَّةِ ، فأنزل الله تبارك وتعالى: (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ) »وقال جلّ ثناؤه : أخرجتك ، فأخرج الخبرعن القرية ، فلذلك أُنِّث ، ثم قال : أهلكناهم ، لأن المعنى فى قوله أخرجتك ، ماوصفت من أنه أريد به أهل القرية ، فأخرج الخبر مرّة على اللفظ ، ومرّة على المعنى .

وقوله (فَلا نَاصِرَ لَهُمْ) فيه وجهان من التأويل : أحدهما أن يكون معناه ، وإن كان قدنصب الناصر بالتبرئة ، فلم يكن لهم ناصر ، وذلك أن العرب قد تضمر كان أحيانا فى مثل هذا . والآخر أن يكون معناه : فلا ناصر لهم الآن من عذاب الله ينصرهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره :(أَفَمَنْ كَانَ) على برهان وحجة وبيان (مِنْ) أمر (رَبِّهِ) والعلم بوحدانيته ، فهو يعبده على بصيرة منه ، بأن له ربًّا يجازيه على طاعته إياه الجنة ، وعلى إساءته ومعصيته إياه النار ، (كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) يقول : كمن حسّن له الشيطان قبيح عمله وسيئه ، فأراه جميلا ، فهو على العمل به مقيم ، (وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) يقول : واتبعوا مادعتهم إليه أنفسهم من معصية الله ، وعبادة الأوثان من غير أن يكون عندهم بما يعملون من ذلك برهان وحجة . وقيل : إن الذى عنى بقوله : (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) نبينا عليه الصلاة والسلام ، وإن الذى عُنِى بقوله : (كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) هم المشركون .

القول فى تأويل قوله تعالى :

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ

خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾

❁ يقول تعالى ذكره : صفة الجنة التى وعدها المتقون ، وهم الذين اتقوا فى الدنيا عقابه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه (فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) يقول تعالى ذكره فى هذه الجنة التى : ذكرها أنهار من ماء غير متغير الريح ، يقال منه : قد أَسِنَ ماء هذه البئر : إذا تغيرت ريح مائها فأنتنت ، فهو يأسَن أَسَنا ، وكذلك يقال للرجل إذا أصابته ريح منتنة : قد أَسِن فهو يأسَن . وأما إذا أَجَنَ الماء وتغير ، فإنه يقال له : أسِن فهو يأسَن ، ويأسِن أسونا ، وماء آسن .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (فِيها أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غيرِ آسِنٍ) يقول : غير متغير .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ) قال : من ماء غير مُنْتن .

حدثنى عيسى بن عمرو ، قال : أخبرنا إبراهيم بن محمد ، قال : ثنا مصعب بن سلام ، عن سعد بن طريف ، قال : سألت أبا إسحاق عن (ماءٍ غيرِ آسِنٍ) قال : سألت عنها الحارث ، فحدثنى أن الماء الذى غير آسن تسنيم ، قال : بلغنى أنه لاتمسه يد ، وأنه يجىء الماء هكذا حتى يدخل فى فيه .

وقوله (وأَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ) يقول تعالى ذكره : وفيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه لأنه لم يحلب من حيوان فيتغير طعمه بالخروج من الضروع ، ولكنه خلقه الله ابتداء فى الأنهار ، فهو بهيئته لم يتغير عما خلقه عليه .

وقوله (وأَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ) يقول : وفيها أنهار من خمر لذة للشاربين يلتذّون بشربها .

كما حدثنى عيسى ، قال : ثنا إبراهيم بن محمد ، قال : ثنا مصعب ، عن سعد بن طريف ، قال : سألت عنها الحارث ، فقال : لم تدسه المجوس ، ولم ينفخ فيه الشيطان ، ولم تؤذها شمس ، ولكنها فَوْحَاء[1] ، قال : قلت لعكرمة : ما الفوحاء : قال : الصفراء .

وكما حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، فى قوله (مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ) قال : لم يحلب ، وخُفِضت اللذّة على النعت للخمر ، ولو جاءت رفعا على النعت للأنهار جاز ، أو نصبا على يتلذّذ بها لذّة ، كما يقال : هذا لك هبة . كان جائزا ؛ فأما القراءة فلا أستجيزها فيها إلا خفضا لإجماع الحجة من القرّاء عليها .

وقوله (وأَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى) يقول : وفيها أنهار من عسل قد صُفِّى من القذى ، وما يكون

(١) فى اللسان : الفوح : وجدانك الريح الطيبة . فاحت ريح المسك تفوح وتفيح ، فوحا وفيحا ، وفوحانا وفيحانا : انتشرت رائحته .

فى عسل أهل الدنيا قبل التصفية ، وإنما أعلم تعالى ذكره عباده بوصفه ذلك العسل بأنه مصفى أنه خلق فى الأنهار ابتداء سائلا جاريا سيل الماء واللبن المخلوقين فيها ، فهو من أجل ذلك مصفّى ، قد صفاه الله من الأقذاء التى تكون فى عسل أهل الدنيا الذى لايصفو من الأقذاء إلا بعد التصفية ، لأنه كان فى شمع فصُفّى منه .

وقوله (وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ) يقول تعالى ذكره : ولهؤلاء المتقين فى هذه الجنة من هذه الأنهار التى ذكرنا من جميع الثمرات التى تكون على الأشجار (وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ) يقول : وعفو من الله لهم عن ذنوبهم التى أذنبوها فى الدنيا ، ثم تابوا منها ، وصَفْحٌ منه لهم عن العقوبة عليها .

وقوله (كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِى النَّارِ) يقول تعالى ذكره : أمَّن هو فى هذه الجنة التى صفتها ما وصفنا ، كمن هو خالد فى النار . وابتُدئ الكلام بصفة الجنة ، فقيل : مثل الجنة التى وُعد المتقون ، ولم يقل : أمَّن هو فى الجنة . ثم قيل بعد انقضاء الخبر عن الجنة وصفتها (كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِى النَّارِ) . وإنما قيل ذلك كذلك ، استغناء بمعرفة السامع معنى الكلام ، ولدلالة قوله (كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِى النَّارِ) على معنى قوله (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ) .

وقوله (وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا) يقول تعالى ذكره : وسُقى هؤلاء الذين هم خلود فى النار ماء قد انتهى حرّه فقطع ذلك الماء من شدّة حرّه أمعاءهم .

كما حدثنى محمد بن خلف العَسْقلانىّ ، قال : ثنا حَيْوة بن شُرَيح الحِمصىّ ، قال : ثنا بقية ، عن صفوان ابن عمرو ، قال : ثنى عبيد الله بن بشر ، عن أبى أُمامة الباهلى ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « فى قوله (وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ) قال : يُقَرَّبُ إلَيْهِ فَيَتَكَرَّهُهُ ، فإذَا أُدْنِىَ مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ ، وَوَقَعَتْ فَرْوَةُ رَأْسِهِ ، فإذَا شَرِبَ قَطَّعَ أمْعاءَهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ . قال : يقول الله (وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا ، فَقَطَّعَ أمْعاءَهُمْ) يقول الله عزّ وجلّ (يَشْوِى الْوُجُوهَ ، بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ») .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾

ﷺ يقول تعالى ذكره : ومن هؤلاء الكفار يامحمد (مَنْ يَسْتَمِعُ إلَيْكَ) وهو المنافق ، فيستمع ما تقول فلا يعيه ولايفهمه ، تهاونا منه بما تتلو عليه من كتاب ربك ، وتغافلا عما تقوله ، وتدعو إليه من الإيمان ، (حَتَّى إذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ) قالوا إعلاما منهم لمن حضر معهم مجلسك من أهل العلم بكتاب الله ، وتلاوتك عليهم ماتلوت ، وقيلك لهم ماقلت إنهم لن يُصغوا أسماعهم لقولك وتلاوتك (مَاذَا قَالَ) لنا محمد (آنِفاً) ؟ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ) هؤلاء المنافقون، دخل رجلان : رجل ممن عقل عن الله وانتفع بما سمع ورجل لم يعقل عن الله، فلم ينتفع بما سمع، كان يقال: الناس ثلاثة: فسامع عامل، وسامع غافل، وسامع تارك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال: ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) قال : هم المنافقون . وكان يقال : الناس ثلاثة : سامع فعامل ، وسامع فغافل ، وسامع فتارك .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، قال : ثنا شريك ، عن عثمان أبي اليقظان ، عن يحيى بن الجزّار ، أو سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، فى قوله (حتى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ ماذَا قالَ آنِفاً) قال ابن عباس : أنا منهم ، وقد سُئِلت فيمن سُئِل .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حتى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ) . . . إلى آخر الآية ، قال: هؤلاء المنافقون ، والذين أُوتُوا العلم : الصحابة رضى الله عنهم .

وقوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ على قُلُوبِهِمْ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين هذه صفتهم هم القوم الذين ختم الله على قلوبهم ، فهم لا يهتدون للحقّ الذى بعث الله به رسوله عليه الصلاة والسلام ، (واتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) يقول : ورفضوا أمر الله ، واتبعوا مادعتهم إليه أنفسهم ، فهم لا يرجعون مما هم عليه إلى حقيقة ولا برهان ، وسوّى جلّ ثناؤه بين صفة هؤلاء المنافقين وبين المشركين ، فى أن جميعهم إنما يتبعون فيما هم عليه من فراقهم دين الله ، الذى ابتعث به محمدا صلى الله عليه وسلم أهواءهم ، فقال فى هؤلاء المنافقين : (أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ على قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) وقال فى أهل الكفر به من أهل الشرك ، (كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ، واتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره : وأما الذين وفّقهم الله لاتباع الحقّ ، وشرح صدورهم للإيمان به وبرسوله من الذين استمعوا إليك يا محمد ، فإن ما تلوته عليهم ، وسمعوه منك (زَادَهُمْ هُدًى) يقول : زادهم الله بذلك إيمانا إلى إيمانهم ، وبيانا لحقيقة ما جئتهم به من عند الله إلى البيان الذى كان عندهم . وقد ذُكر أن الذى تلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن ، فقال أهل النفاق منهم لأهل الإيمان ، ماذا قال آنفا ، وزاد الله أهل الهدى منهم هدى ، كان بعض ما أنزل الله من القرآن ينسخ بعض ما قد كان الحكم مضى به قبل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) قال : لما أنزل الله القرآن آمنوا به ، فكان هدى ، فلما تبين الناسخ والمنسوخ زادهم هدى .

وقوله (وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) يقول تعالى ذكره : وأعطى الله هؤلاء المهتدين تقواهم ، وذلك استعماله إياهم تقواهم إياه .

وقوله (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) يقول تعالى ذكره : فهل ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله من أهل الكفر والنفاق إلا الساعة التي وعد الله خلقه بعثهم فيها من قبورهم أحياء ، أن تجيئهم فجأة لا يشعرون بمجيئها . والمعنى : هل ينظرون إلا الساعة ، هل ينظرون إلا أن تأتيهم بغتة . و « أَنْ » من قوله (إِلاَّ أَنْ) في موضع نصب بالردّ على الساعة ، وعلى فتح الألف من (أَنْ تَأْتِيَهُمْ) ونصب « تأتيهم » بها قراءة أهل الكوفة .

وقد حُدثت عن الفرّاء ، قال : حدثني أبو جعفر الرُّؤاسيّ ، قال : قلت لأبي عمرو بن العلاء : ما هذه الفاء التي في قوله (فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) قال : جواب الجزاء ، قال : قلت : إنها إن تأتيهم ، قال : فقال : معاذ الله ، إنما هي (إِنْ تَأْتِهِمْ) ؛ قال الفرّاء : فظننت أنه أخذها عن أهل مكة ، لأنه قرأ : قال الفرّاء : وهي أيضا في بعض مصاحف الكوفيين بسنة واحدة (تَأْتِهِمْ) ولم يقرأ بها أحد منهم .

وتأويل الكلام على قراءة من قرأ ذلك بكسر ألف « إن » وجزم « تأتهم » فهل ينظرون إلا الساعة ؟ فيجعل الخبر عن انتظار هؤلاء الكفار الساعة متناهيا عند قوله (إِلاَّ السَّاعَةَ) ، ثم يُبْتدأ الكلام فيقال : إن تأتهم الساعة بغتة فقد جاء أشراطها ، فتكون الفاء من قوله (فَقَدْ جَاءَ) بجواب الجزاء .

وقوله (فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) يقول : فقد جاء هؤلاء الكافرين بالله الساعة وأدلتها ومقدّماتها ، وواحد الأشراط : شَرَط ، كما قال جرير :

تَرَى شَرَطَ المِعْزَى مُهُورَ نِسائِهِمْ وفي شُرَطِ المِعْزَى لَهُنَّ مُهُورُ[1]

ويُرْوَى : « ترى قَزَمَ المِعْزَى » ، يقال منه : أشرط فلان نفسَه : إذا علمها بعلامة ، كما قال أوس ابن حجر :

فَأَشْرَطَ فيها نَفْسَهُ وَهْوَ مُعْصِمٌ وأَلْقَى بِأَسْبابٍ لَهُ وَتَوَكَّلا[2]

(١) البيت لجرير بن الخطفى الشاعر الإسلامي (ديوانه ٢٦٦) وفي روايته : « وفي قزم المعزى لهن مهور » . وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ٢٢٣) قال عند قوله تعالى « فقد جاء أشراطها » : أعلامها . وإنما سمي الشرط فيما نرى ، أنهم أعلموا أنفسهم . وأشراط المال صغار الغنم وشراره . وقال جرير : « ترى شرط ... البيت » . وفي (اللسان : شرط) : والشرط (بالتحريك) : رذال الواحد والجمع والمذكر والمؤنث في ذلك سواء . قال جرير :

تساق من المعزى مهور نسائهم ومن شرط المعزى لهن مهور

(٢) البيت لأوس بن حجر (اللسان : شرط) قال : والأصمعي : أشراط الساعة علاماتها . قال : ومنه الاشتراط الذي يشترط الناس
وشرط الناس : خشارتهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (فَقَدْ جاءَ أَشْراطُها) يعنى : أشراط الساعة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ السّاعَةَ أنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً) قد دنت الساعة ودنا من الله فراغ العباد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَقَدْ جاءَ أَشْراطُها) قال : أشراطها : آياتها .

وقوله (فأنى لَهُمْ إذَا جاءَتْهُمْ ذِكْراهُمْ) يقول تعالى ذكره : فمن أىّ وجه لهؤلاء المكذّبين بآيات الله ذكرى ما قد ضيّعوا وفرّطوا فيه من طاعة الله إذا جاءتهم الساعة ، يقول : ليس ذلك بوقت ينفعهم التذكر والندم ، لأنه وقت مجازاة لا وقت استعتاب ولا استعمال .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فأَنَّى لَهُمْ إذَا جاءَتْهُمْ ذِكْراهُمْ) يقول : إذا جاءتهم الساعة أنى لهم أن يتذكروا ويعرفوا ويعقلوا ؟

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فأنى لَهُمْ إذَا جاءَتْهُمْ ذِكْراهُمْ) قال : أنى لهم أن يتذكروا أو يتوبوا إذا جاءتهم الساعة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فأَنَّى لَهُمْ إذَا جاءَتْهُمْ ذِكْراهُمْ) قال : الساعة ، لا ينفعهم عند الساعة ذكراهم ، والذكرى فى موضع رفع بقوله (فأَنَّى لَهُمْ) لأن تأويل الكلام : فأنى لهم ذكراهم إذا جاءتهم الساعة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾

☼ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغى أو تصلح له الألوهة ، ويجوز لك وللخلق عبادته ، إلا الله الذى هو خالق الخلق ، ومالك كلّ شيء ، يدين له بالربوبية كلّ

= بعضهم على بعض ، أى هى علامات يجعلونها بينهم . ولهذا سميت الشرط ، لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها . وحكى الخطابى عن بعض أهل اللغة أنه أنكر هذا التفسير وقال : أشراط الساعة : ما تنكره الناس من صغار أمورها ، قبل أن تقوم الساعة . وشرط السلطان : نخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من جنده . وقول أوس بن حجر « فأشرط فيها . . . البيت » أى جعل نفسه علما لهذا الأمر .

مادونه (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) وسل ربك غفران سالف ذنوبك وحادثها، وذنوب أهل الإيمان بك من الرجال والنساء (وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ) يقول: فإن الله يعلم متصرّفكم فيما تتصرّفون فيه في يقظتكم من الأعمال، ومثواكم إذا ثويتم في مضاجعكم للنوم ليلا، لايخفى عليه شيء من ذلك، وهو مجازيكم على جميع ذلك.

وقد حدثنا أبو كُريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، قال: ثنا إبراهيم بن سليمان، عن عاصم الأحول، عن عبد الله بن سرجس، قال: «أكلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: غفر الله لك يا رسول الله، فقال رجل من القوم: أستغفر لك يارسول الله، قال: نَعَمْ وَلَكَ، ثم قرأ (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ)».

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ ۝٢٠ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۝٢١﴾

❊ يقول تعالى ذكره: ويقول الذين صدّقوا الله ورسوله: هلا نزلت سورة من الله تأمرنا بجهاد أعداء الله من الكفار (فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ) يعني: أنها محكمة بالبيان والفرائض. وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله (فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْدَثَةٌ).

وقوله (وَذُكِرَ فِيهَا القِتَالُ) يقول: وذُكر فيها الأمر بقتال المشركين.

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا القِتَالُ) قال: كلّ سورة ذُكر فيها الجهاد فهي محكمة، وهي أشدّ القرآن على المنافقين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَذُكِرَ فِيهَا القِتَالُ) قال: كل سورة ذُكر فيها القتال فهي محكمة.

وقوله (رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) يقول: رأيت الذين في قلوبهم شك في دين الله وضعف (يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ) يامحمد، (نَظَرَ المَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ)، خوفا أن تغزيهم وتأمرهم بالجهاد مع المسلمين، فهم خوفا من ذلك وتجبنا عن لقاء العدوّ ينظرون إليك نظر المغشيّ عليه الذي قد صرع. وإنما عنى بقوله (مِنَ المَوْتِ) من خوف الموت، وكان هذا فعل أهل النفاق.

كالذي حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ

نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ)قال : هؤلاء المنافقون طبع الله على قلوبهم ، فلا يفقهون ما يقول النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وقوله (فَأَوْلَى لَهُمْ) يقول تعالى ذكره : فأولى لهؤلاء الذين فى قلوبهم مرض .

وقوله (فأَوْلَى لَهُمْ) وعيد توعّد الله به هؤلاء المنافقين .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَأَوْلَى لَهُمْ) قال : هذه وعيد ، فأولى لهم ، ثم انقطع الكلام فقال : (طَاعَةٌ وقَوْلٌ مَعْرُوفٌ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَأَوْلَى لَهُمْ) قال : وعيد كما تسمعون .

وقوله (طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ) وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل هؤلاء المنافقين من قبل أن تنزل سورة محكمة ، ويذكر فيها القتال ، وأنهم إذا قيل لهم : إن الله مفترض عليكم الجهاد ، قالوا : سمع وطاعة ، فقال الله عزّ وجلّ لهم (إِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ) وفُرض القتال فيها عليهم ، فشقّ ذلك عليهم ، وكرهوه (طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ) قبل وجوب الفرض عليكم ، فإذا عزم الأمر كرهتموه وشقّ عليكم .

وقوله (طاعَةٌ وقَوْلٌ مَعْرُوفٌ) مرفوع بمضمر ، وهوقولكم قبل نزول فرض القتال (طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ) .

ورُوِى عن ابن عباس باسناد غيرِ مرتضى أنه قال : قال الله تعالى (فَأَوْلَى لَهُمْ) ثم قال للذين آمنوا منهم (طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ) فعلى هذا القول تمام الوعيد فأولى ، ثم يستأنف بعد ، فيقال لهم(طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ) فتكون الطاعة مرفوعة بقوله « لهم » .

وكان مجاهد يقول فى ذلك كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ) قال : أمر الله بذلك المنافقين .

وقوله (فإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ) يقول : فإذا وجب القتال وجاء أمر الله بفرض ذلك كرهتموه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ) قال : إذا جدّ الأمر ، هكذا قال محمد بن عمرو فى حديثه ، عن أبى عاصم ، وقال الحارث فى حديثه ، عن الحسن يقول : جدّ الأمر .

وقوله (فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكانَ خَيْرًا لَهُمْ) يقول تعالى ذكره : فلو صدقوا الله ما وعدوه قبل نزول السورة بالقتال بقولهم : إذ قيل لهم : إن الله سيأمركم بالقتال طاعة ، فوَفّوا له بذلك ، لكان خيرا لهم فى عاجل دنياهم ، وآجل معادهم .

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ) يقول: طواعية الله ورسوله، وقول معروف عند حقائق الأمور خير لهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة يقول: طاعة الله وقول بالمعروف عند حقائق الأمور خير لهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين وصف أنهم إذا نزلت سورة محكمة، وذُكر فيها القتال نظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر المغشيّ عليه (فَهَلْ عَسَيْتُمْ) أيها القوم، يقول: فلعلكم إن توليتم عن تنزيل الله جلّ ثناؤه، وفارقتم أحكام كتابه، وأدبرتم عن محمد صلى الله عليه وسلم وعما جاءكم به (أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ) يقول: أن تعصوا الله في الأرض، فتكفروا به، وتسفكوا فيها الدماء (وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) وتعودوا لما كنتم عليه في جاهليتكم من التشتت والتفرّق بعد ما قد جمعكم الله بالإسلام، وألّف به بين قلوبكم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ) ... الآية. يقول: فهل عسيتم كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله، ألم يسفكوا الدم الحرام، وقطّعوا الأرحام، وعَصَوا الرحمن.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) قال: فعلوا.

حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا محمد بن جعفر وسليمان بن بلال، قالا: ثنا معاوية بن أبي المزرّد المديني، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُمْ تَعَلَّقَتِ الرَّحِمُ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ مَهْ: فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: أَفَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، وأَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: فَذَلِكِ لَكِ».

قال سليمان في حديثه: قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) وقد تأوّله بعضهم: فهل عسيتم إن توليتم أمور الناس أن تفسدوا في الأرض بمعنى الولاية، وأجمعت القرّاء غير نافع على فتح السين من عَسَيْتم، وكان نافع يكسرها عَسِيتم.

والصواب عندنا قراءة ذلك بفتح السين لإجماع الحجة من القرّاء عليها ، وأنه لم يسمع فى الكلام : عَسِىَ أخوك يقوم ، بكسر السين وفتح الياء ؛ ولو كان صوابا كسرها إذا اتصل بها مكنىّ ، جاءت بالكسر مع غير المكنىّ ، وفى إجماعهم على فتحها مع الاسم الظاهر ، الدليل الواضح على أنها كذلك مع المكنىّ ، وإن التى تلى عسيتم مكسورة ، وهى حرف جزاء ، و « أن » التى مع تفسدوا فى موضع نصب بعسيتم :

وقوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين يفعلون هذا ، يعنى الذين يفسدون ويقطعون الأرحام الذين لعنهم الله ، فأبعدهم من رحمته فأصمهم ، يقول : فسلبهم فهمَهم مايسمعون بآذانهم من مواعظ الله فى تنزيله (وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ) يقول : وسلبهم عقولهم ، فلا يتبيّنون حُجج الله ، ولا يتذكّرون مايرون من عبره وأدلته .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ۝ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ۝

يقول تعالى ذكره : أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التى يعظهم بها فى آى القرآن الذى أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام ، ويتفكّرون فى حُججه التى بيّنها لهم فى تنزيله فيعلموا بها خطأ ماهم عليه مقيمون (أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) يقول : أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله فى كتابه من المواعظ والعِبَر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) إذا والله يجدون فى القرآن زاجرا عن معصية الله ، لو تدبره القوم فعقلوه ، ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا عند ذلك :

حدثنا إسماعيل بن حفص الأيلى ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، قال : ما من آدمىّ إلا وله أربع أعين : عينان فى رأسه لدنياه ، وما يصلحه من معيشته ، وعينان فى قلبه لدينه ، وما وعد الله من الغيب ، فإذا أراد الله بعبد خيرا أبصرت عيناه اللتان فى قلبه ، وإذا أراد الله به غير ذلك طمَس عليهما ، فذلك قوله (أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا ثور بن يزيد ، قال : ثنا خالد بن معدان ، قال : ما من الناس أحد إلا وله أربع أعين ، عينان فى وجهه لمعيشته ، وعينان فى قلبه ، وما من أحد إلا وله شيطان متبطن فقار ظهره ، عاطف عنقه على عنقه ، فاغر فاه إلى ثمرة قلبه ، فإذا أراد الله بعبد خيرا أبصرت عيناه اللتان فى قلبه ما وعد الله من الغيب ، فعمل به ، وهما غيب ، فعمل بالغيب ، وإذا أراد الله بعبد شرّا تركه ، ثم قرأ (أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنا عمرو ، عن ثور ، عن خالد بن مَعدان بنحوه ، إلا أنه قال : ترك القلب على ما فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، قال : ثنا حماد بن زيد ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن أبيه قال : «تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُها) فقال شاب من أهل اليمن : بل عليها أقفالها ، حتى يكون الله عزّ وجلّ يفتحها أو يفرجها ، فما زال الشاب فى نفس عمر رضى الله عنه حتى ولى فاستعان به » .

وقوله (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى) يقول الله عزّ وجلّ إن الذين رجعوا القهقرى على أعقابهم كفارا بالله من بعد ما تبين لهم الحقّ وقصد السبيل ، فعرفوا واضح الحجة ، ثم آثروا الضلال على الهدى عنادا لأمر الله تعالى ذكره من بعد العلم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى) هم أعداء الله أهل الكتاب ، يعرفون بعث محمد نبيّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عندهم ، ثم يكفرون به .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى) إنهم يجدونه مكتوبا عندهم :

وقال آخرون : عنى بذلك أهل النفاق .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ) . . . إلى قوله (فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ) هم أهل النفاق .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ) . . . إلى (إِسْرَارَهُمْ) هم أهل النفاق . وهذه الصفة بصفة أهل النفاق عندنا ، أشبه منها بصفة أهل الكتاب ، وذلك أن الله عزّ وجلّ أخبر أن ردّتهم كانت بقيلهم (لِلَّذِينَ كَرِهُوا ما نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ الْأَمْرِ) ولو كانت من صفة أهل الكتاب ، لكان فى وصفهم بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم الكفاية من الخبر عنهم بأنهم إنما ارتدّوا من أجل قيلهم ماقالوا .

وقوله (الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ) يقول تعالى ذكره : الشيطان زين لهم ارتدادهم على أدبارهم ، من بعد ما تبين لهم الهدى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ) يقول : زين لهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سَوَّلَ لَهُمْ) يقول : زين لهم :

وقوله (وأَمْلَى لَهُمْ) يقول : ومدّ الله لهم فى آجالهم مُلاوة من الدهر ، ومعنى الكلام : الشيطان سوّل لهم ، والله أملى لهم .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والكوفة (وأَمْلَى لَهُمْ) بفتح الألف منها بمعنى : وأملى الله لهم . وقرأ ذلك بعض أهل المدينة والبصرة (وأُمْلِىَ لَهُمْ) على وجه ما لم يسمّ فاعله : وقرأ مجاهد فيما ذُكر عنه (وأُمْلِى) بضم الألف وإرسال الياء على وجه الخبر من الله جلّ ثناؤه عن نفسه أنه يفعل ذلك بهم .

☼ وأولى هذه القراءات بالصواب ، التى عليها عامة قرّاء الحجاز والكوفة من فتح الألف فى ذلك ، لأنها القراءة المستفيضة فى قَرَأَة الأمصار ، وإن كان يجمعها مذهب تتقارب معانيها فيه :

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾

☼ يقول تعالى ذكره : أملى الله لهؤلاء المنافقين وتركهم ، والشيطان سول لهم ، فلم يوفقهم للهدى من أجل أنهم (قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ) من الأمر بقتال أهل الشرك به من المنافقين : (سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ الأَمْرِ) الذى هو خلاف لأمر الله تبارك وتعالى ، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ الأَمْرِ) فهؤلاء المنافقون (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ) يقول تعالى ذكره : والله يعلم إسرار هذين الحزبين المتظاهرين من أهل النفاق ، على خلاف أمر الله وأمر رسوله ، إذ يتسارّون فيما بينهم بالكفر بالله ومعصية الرسول ، ولا يخفى عليه ذلك ولا غيره من الأمور كلها .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة (أَسْرَارَهُمْ) بفتح الألف من أسرارهم على وجه جماع سرّ . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (إِسْرَارَهُمْ) بكسر الألف على أنه مصدر من أسررت إسرارا .

☼ والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب :

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : والله يعلم إسرار هؤلاء المنافقين ، فكيف لايعلم حالهم إذا توفتهم الملائكة ، وهم يضربون وجوههم وأدبارهم ، يقول : فحالهم أيضا لايخفى عليه فى ذلك الوقت ويعنى بالأدبار : الأعجاز ، وقد ذكرنا الرواية فى ذلك فيما مضى قبل .

وقوله (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ) يقول تعالى ذكره : تفعل الملائكة هذا الذى وصفت بهؤلاء المنافقين من أجل أنهم اتبعوا ما أسخط الله ، فأغضبه عليهم من طاعة الشيطان (وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ) يقول : وكرهوا ما يرضيه عنهم من قتال الكفار به ، بعد ما افترضه عليهم .

وقوله (فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) يقول : فأبطل الله ثواب أعمالهم وأذهبه ، لأنها عملت فى غير رضاه ولا محبته ، فبطلت ، ولم تنفع عاملها .

القول في تأويل قوله تعالى:

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾

يقول تعالى ذكره : أحسب هؤلاء المنافقون الذين فى قلوبهم شك فى دينهم ، وضعف فى يقينهم ، فهم حيارى فى معرفة الحق أن لن يُخرج الله ما فى قلوبهم من الأضغان على المؤمنين ، فيبديه لهم ويظهره ، حتى يعرفوا نفاقهم ، وحيرتهم فى دينهم (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ) يقول تعالى ذكره : ولو نشاء يا محمد لعرّفناك هؤلاء المنافقين حتى تعرفهم من قول القائل : سأريك ما أصنع ، بمعنى سأعلمك .

وقوله (فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ) يقول : فلتعرفنهم بعلامات النفاق الظاهرة منهم فى فحوى كلامهم ، وظاهر أفعالهم ، ثم إن الله تعالى ذكره عرّفه إياهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ) . . . إلى آخر الآية ، قال : هم أهل النفاق ، وقد عرّفه إياهم فى براءة ، فقال : (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ، وَلَا تَقُمْ على قَبْرِهِ) ، وقال : (قُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِىَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِىَ عَدُوًّا) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) . . . الآية ، هم أهل النفاق (فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ، وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) فعرّفه الله إياهم فى سورة براءة ، فقال : (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا) ، و قال (قُلْ لَهُمْ لَنْ تَنْفِرُوا(١) مَعِىَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِىَ عَدُوًّا) .

(١) التلاوة « لن تخرجوا » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ) قال : هؤلاء المنافقون ، قال : والذي أسروا من النفاق هو الكفر .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله(وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ) قال : هؤلاء المنافقون ، قال : وقد أراه الله إياهم ، وأمر بهم أن يخرجوا من المسجد ، قال : فأبَوا إلا أن تَمَسَّكُوا بلاإله إلا الله؛ فلما أبوا إلاأن تمسكوا بلا إله إلا الله حُقِنت دماؤهم، ونكحوا ونوكحوا بها .

وقوله (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ القَوْلِ) يقول : ولتعرفنّ هؤلاء المنافقين فى معنى قولهم نحوه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فِي لَحْنِ القَوْلِ) قال قولهم (واللهُ يَعْلَمُ أعمالَكُمْ) لايخفى عليه العامل منكم بطاعته، والمخالف ذلك ، وهو مجازى جميعكم عليها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾

❁ يقول تعالى ذكره لأهل الإيمان به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ) أيها المؤمنون بالقتل ، وجهاد أعداء الله(حتى نَعْلَمَ المُجاهِدِينَ مِنْكُمْ) يقول : حتى يعلم حزبى وأوليائى أهل الجهاد فى الله منكم ، وأهل الصبر على قتال أعدائه ، فيظهر ذلك لهم ، ويعرف ذووالبصائر منكم فى دينه من ذوى الشكّ والحيرة فيه وأهل الإيمان من أهل النفاق ونبلو أخباركم ، فنعرف الصادق منكم من الكاذب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (حتى نَعْلَمَ المُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ) ، وقوله (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ والجُوعِ) ونحو هذا قال : أخبر الله سبحانه المؤمنين أن الدنيا دار بلاء ، وأنه مبتليهم فيها ، وأمرهم بالصبر ، وبشّرهم فقال : (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) ، ثم أخبرهم أنه هكذا فعل بأنبيائه وصفوته لتطيب أنفسهم ، فقال : (مَسَّتْهُمُ البَأْساءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا) ، فالبأساء : الفقر ، والضراء : السقم ، وزُلزلوا بالفتن وأذى الناس إياهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حتى نَعْلَمَ

المُجاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ) قال : نختبركم البلوى : الاختبار . وقرأ (الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لايُفْتَنُونَ) قال : لايختبرون (وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) ... الآية .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ المُجاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبارَكُمْ) ، فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار بالنون « نبلو » و « نعلم » ، ونبلو على وجه الخبر من الله جلّ جلاله عن نفسه ، سوى عاصم فإنه قرأ جميع ذلك بالياء والنون هى القراءة عندنا لإجماع الحجة من القرّاء عليها ، وإن كان للأخرى وجه صحيح .

وقوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ) يقول تعالى ذكره : إن الذين جحدوا توحيد الله ، وصدّوا الناس عن دينه الذى ابتعث به رسله (وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى) يقول : وخالفوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، فحاربوه وآذوه من بعد ماعلموا أنه نبىّ مبعوث ، ورسول مرسل ، وعرفوا الطريق الواضح بمعرفته ، وأنه لله رسول .

وقوله (لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً) لأن الله بالغ أمره ، وناصر رسوله ، ومُظهره على من عاداه وخالفه (وَسَيُحْبِطُ أَعْمالَهُمْ) يقول : وسيذهب أعمالهم التى عملوها فى الدنيا فلا ينفعهم بها فى الدنيا ولا الآخرة ، ويبطلها إلا مما يضرّهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾

يقول تعالى ذكره : (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا) بالله ورسوله (أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) فى أمرهما ونهيهما (وَلا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ) يقول : ولا تبطلوا بمعصيتكم إياهما ، وكفركم بربكم ثواب أعمالكم فإن الكفر بالله يحبط السالف من العمل الصالح .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ) ... الآية ، من استطاع منكم أن لايبطل عملا صالحا عمله بعمل سيىء فليفعل ، ولاقوّة إلا بالله ، فإن الخير ينسخ الشرّ ، وإن الشرّ ينسخ الخير ، وإن ملاك الأعمال خواتيمها .

وقوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ ماتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ) يقول تعالى ذكره :

إن الذين أنكروا توحيد الله ، وصدّوا من أراد الإيمان بالله وبرسوله عن ذلك ، ففتنوهم عنه ، وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من ذلك ، ثم ماتوا وهم كفار : يقول : ثم ماتوا وهم على ذلك من كفرهم (فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) يقول : فلن يعفو الله عما صنع من ذلك ، ولكنه يعاقبه عليه ، ويفضحه به على رءوس الأشهاد .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾

* يقول تعالى ذكره : فلا تضعفوا أيها المؤمنون بالله عن جهاد المشركين وتجبُنوا عن قتالهم .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَلَا تَهِنُوا) قال : لاتضعفوا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَلَا تَهِنُوا) لاتضعف أنت وقوله (وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ) يقول : لاتضعفوا عنهم وتدعوهم إلى الصلح والمسالمة ، وأنتم القاهرون لهم والعالون عليهم (وَاللهُ مَعَكُمْ) يقول : والله معكم بالنصر لكم عليهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، غير أنهم اختلفوا فى معنى قوله (وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ) فقال بعضهم : معناه : وأنتم أولى بالله منهم . وقال بعضهم : مثل الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك ، وقال معنى قوله (وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ) أنتم أولى بالله منهم .

حدثني أحمد بن المقدام ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت أبي يحدّث ، عن قتادة ، فى قوله (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ) قال : أى لاتكونوا أولى الطائفتين تصرع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ) قال : لاتكونوا أولى الطائفتين صرعت لصاحبتها ، ودعتها إلى الموادعة ، وأنتم أولى بالله منهم والله معكم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ) قال : لاتكونوا أولى الطائفتين صرعت إلى صاحبتها (وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ) قال : يقول : وأنتم أولى بالله منهم

ذكر من قال معنى قوله (وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ) : أنتم الغالبون الأعزّ منهم

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ) قال : الغالبون مثل يوم أُحد ، تكون عليهم الدائرة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ) قال : هذا منسوخ ، قال : نسخه القتال والجهاد ، يقول : لاتضعف أنت وتدعوهم أنت إلى السلم وأنت الأعلى ، قال : وهذا حين كانت العهود والهدنة فيما بينه وبين المشركين قبل

أن يكول القتال ، يقول : لا تهن فتضعف ، فيرى أنك تدعوه إلى السلم وأنت فوقه ، وأعزّ منه (وأنتُمُ الأَعْلَوْنَ) أنتم أعزّ منهم ، ثم جاء القتال بعد فنسخ هذا أجمع ، فأمره بجهادهم والغلظة عليهم . وقد قيل : عنى بقوله (وأنتُمُ الأَعْلَوْنَ) وأنتم الغالبون آخر الأمر ، وإن غلبوكم فى بعض الأوقات ، وقهروكم فى بعض الحروب .

وقوله (فَلا تَهِنُوا) جزم بالنهى ، وفى قوله (وَتَدْعُوا) وجهان : أحدهما الجزم على العطف على تهنوا ، فيكون معنى الكلام : فلا تهنوا ولا تدعوا إلى السلم ، والآخر النصب على الصرف .

وقوله (وَلَنْ يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ) يقول : ولن يظلمكم أجور أعمالكم فينقصكم ثوابها ، من قولهم : وترت الرجل إذا قتلت له قتيلا ، فأخذت له مالا غصبا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله قوله يقول (وَلَنْ يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ) يقول : لن يظلمكم أجور أعمالكم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلَنْ يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ) قال : لن ينقصكم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَنْ يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ) : أى لن يظلمكم أعمالكم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَلَنْ يَتِرَكُم أعمالَكُمْ) قال : لن يظلمكم ، أعمالكم ذلك يتركم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلَنْ يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ) قال : لن يظلمكم أعمالكم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : حاضا عباده المؤمنين على جهاد أعدائه ، والنفقة فى سبيله ، وبذل مهجتهم فى قتال أهل الكفر به : قاتلوا أيها المؤمنون أعداء الله وأعداءكم من أهل الكفر ، ولا تدعكم الرغبة فى الحياة إلى ترك قتالهم ، فإنما الحياة الدنيا لعب ولهو ، إلا ما كان منها لله من عمل فى سبيله ، وطلب رضاه . فأما ما عدا ذلك فإنما هو لعب ولهو ، يضمحل فيذهب ويندرس فيمرّ ، أو إثم يبقى على صاحبه عاره وخزيه (وَإِنْ تُؤْمِنُوا

وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ) يقول : وإن تعملوا فى هذه الدنيا التى ماكان فيها مما هو لها ، فلعب ولهو ، فتؤمنوا به وتتقوه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، وهو الذى يبقى لكم منها ، ولا يبطل بطول اللهو واللعب ، ثم يؤتكم ربكم عليه أجوركم ، فيعوّضكم منه ماهو خير لكم منه يوم فقركم ، وحاجتكم إلى أعمالكم (ولا يَسأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ) يقول : ولا يسألكم ربكم أموالكم ، ولكنه يكلفكم توحيده ، وخلع ما سواه من الأنداد ، وإفراد الألوهة والطاعة له (إن يسألكموها) : يقول جلّ ثناوه : إن يسألكم ربكم أموالكم (فيحفكم) يقول : فيجهدكم بالمسألة ، ويلحّ عليكم بطلبها منكم فيلحف ، تبخلوا : يقول : تبخلوا بها وتمنعوها إياه ، ضنا منكم بها ، ولكنه علم ذلك منكم ، ومن ضيق أنفسكم فلم يسألكموها .

وقوله (ويُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ) يقول : ويخرج جلّ ثناؤه لوسألكم أموالكم بمسألته ذلك منكم أضغانكم قال : قد علم الله أن فى مسألته المال خروج الأضغان .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا) قال : الإحفاء : أن تأخذ كلّ شىء بيديك [1] .

القول فى تأويل قوله تعالى :

هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين (ها أَنْتُمْ) أيها الناس (هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِى سَبِيلِ اللهِ) يقول : تدعون إلى النفقة فى جهاد أعداء الله ونُصرة دينه (فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ) بالنفقة فيه ، وأدخلت « ها » فى موضعين ، لأن العرب إذا أرادت التقريب جعلت المكنىّ بين « ها » و بين « ذا » ، فقالت : ها أنت ذا قائما ، لأن التقريب جواب الكلام ، فربما أعادت « ها » مع « ذا » ، وربما اجتزأت بالأولى ، وقد حُذفت الثانية ، ولا يقدّمون أنتم قبل « ها » ، لأن ها جواب فلا تقرب بها بعد الكلمة .

وقال بعض نحويى البصرة : جعل التنبيه فى موضعين للتوكيد .

وقوله (وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ) يقول تعالى ذكره : ومن يبخل بالنفقة فى سبيل الله ، فإنما يبخل عن بخل نفسه ، لأن نفسه لو كانت جوادا لم تبخل بالنفقة فى سبيل الله ، ولكن كانت تجود بها (وَاللهُ الغَنِىّ وأَنْتُمُ الفُقَرَاءُ) يقول تعالى ذكره : ولا حاجة لله أيها الناس إلى أموالكم ولا نفقاتكم ، لأنه الغنىّ عن خلقه والخلق الفقراء إليه ، وأنتم من خلقه ، فأنتم الفقراء إليه ، وإنما حضكم على النفقة فى سبيله ، ليُكسبكم بذلك الجزيل من ثوابه .

(١) فى (اللسان : حفا) : أحفى فلان فلانا : إذا برح به فى الإلحاف عليه ، أو سأله فأكثر عليه فى الطلب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ها أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ، فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ ، وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَاللهُ الغَنِيُّ وأَنْتُمُ الفُقَرَاءُ) قال : ليس بالله تعالى ذكره إليكم حاجة وأنتم أحوج إليه .

وقوله تعالى ذكره : (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ) يقول تعالى ذكره : وإن تتولوا أيها الناس عن هذا الدين الذى جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم ، فترتدّوا راجعين عنه (يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ) يقول : يهلككم ثم يجىء بقوم آخرين غيركم بدلا منكم يصدّقون به ، ويعملون بشرائعه (ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثالَكُمْ) يقول : ثم لا يبخلوا بما أُمروا به من النفقة فى سبيل الله ، ولا يضيعون شيئا من حدود دينهم ، ولكنهم يقومون بذلك كله على ما يُؤمرون به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ) يقول : إن توليتم عن كتابى وطاعتى أستبدل قوما غيركم . قادر والله ربنا على ذلك على أن يهلكهم ، ويأتى من بعدهم من هو خير منهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ) قال : إن تولوا عن طاعة الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ) [1] .

وذُكر أنه عنى بقوله (يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ) : العجم من عجم فارس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بزيع البغدادى أبو سعيد ، قال : ثنا إسحاق بن منصور ، عن مسلم بن خالد ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، قال : «لما نزلت (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثالَكُمْ) كان سَلْمان إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله من هؤلاء القوم الذين إن تولينا استبدلوا بنا ، قال : فضرب النبىّ صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ، فقال مِنْ هَذَا وَقَوْمِهِ ، وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ الدِّينَ تَعَلَّقَ بِالثُّرَيَّا لَنَالَتْهُ رِجالٌ مِنْ أَهْلِ فارِسَ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى مسلم بن خالد ، عن العلاء بن عبد الرحمن ،

(١) لم يأت بالتأويل هنا ، اكتفاء بدلالة ماقبله عليه ، لأن الرواية فى الحديثين عن يونس بن عبد الأعلى .

عن أبيه ، عن أبي هريرة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) قالوا : يارسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا بنا ، ثم لايكونوا أمثالنا ، فضرب على فخذ سلمان قال : هَذَا وَقَوْمُهُ ، وَلَوْ كَانَ الدِّينُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنَ الْفُرْسِ » .

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذيّ ، قال : ثنا عبد الله بن الوليد العدنى ، قال : ثنا مسلم بن خالد ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : « نزلت هذه الآية وسلمان الفارسيّ إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحكّ ركبته ركبته (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) قالوا : يا رسول الله ومن الذين إن تولينا استبدلوا بنا ثم لايكونوا أمثالنا ، قال : فضرب فخذ سلمان ثم قال : هَذَا وَقَوْمُهُ » .

وقال مجاهد فى ذلك ماحدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) من شاء .

وقال آخرون : هم أهل اليمن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عوف الطائىّ ، قال : ثنا أبوالمغيرة ، قال : ثنا صفوان بن عمرو ، قال : ثنا راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جُبير وشريح بن عبيد ، فى قوله (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) قال : أهل اليمن .

آخر تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم

---

(٤٨) سُورَةُ الفَتْحِ مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾

يعنى بقوله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) يقول : إنا حكمنا لك يامحمد حكما لمن سمعه أو بلغه على من خالفك وناصبك من كفار قومك ، وقضينا لك عليهم

بالنصر والظفر ، لتشكر ربك ، وتحمده على نعمته بقضائه لك عليهم ، وفتحه مافتح لك ، ولتسبحه وتستغفره ، فيغفر لك بفعالك ذلك ربك ، ما تقدّم من ذنبك قبل فتحه لك ما فتح ؛ وما تأخَّر بعد فتحه لك ذلك ماشكرته واستغفرته .

وإنما اخترنا هذا القول فى تأويل هذه الآية لدلالة قولُ الله عزّ وجلّ (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ ، ورأيْتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أفْوَاجا ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إنَّهُ كانَ تَوّابا) على صحته ، إذ أمره تعالى ذكره أن يسبح بحمد ربه إذا جاءه نصر الله وفتح مكة ، وأن يستغفروه ، وأعلمه أنه توّاب على من فعل ذلك ، ففى ذلك بيان واضح أن قوله تعالى ذكره (لِيَغْفِرَ لَكَ اللهما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ) إنما هوخبر من الله جلّ ثناؤه نبيه عليه الصلاة والسلام عن جزائه له على شكره له ، على النعمة التى أنعم بها عليه من إظهاره له ما فتح ، لأن جزاء الله تعالى عباده على أعمالهم دون غيرها .

وبعد ففى صحة الخبر عنه صلى الله عليه وسلم « أنه كان يقوم حتى ترم قدماه ، فقيل له : يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : أفَلا أكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ؟ » ، الدلالة الواضحة على أن الذى قلنا من ذلك هو الصحيح من القول ، وأن الله تبارك وتعالى ، إنما وعد نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم غفران ذنوبه المتقدمة ، فتح ما فتح عليه ، وبعده على شكره له ، على نعمه التى أنعمها عليه . وكذلك كان يقول صلى الله عليه وسلم : « إنّى لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وأتُوبُ إلَيْهِ فِي كُلّ يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ » ولو كان القول فى ذلك أنه من خبر الله تعالى نبيه أنه قد غفر له ماتقدّم من ذنبه وما تأخر على غير الوجه الذى ذكرنا ، لم يكن لأمره إياه بالاستغفار بعد هذه الآية ، ولا لاستغفار نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ربه جلّ جلاله من ذنوبه بعدها معنى يعقل ، إذ الاستغفار معناه : طلب العبد من ربه عزّ وجلّ غفران ذنوبه ، فإذا لم يكن ذنوب تغفر لم يكن لمسألته إياه غفرانها معنى ، لأنه من المحال أن يقال : اللهمّ اغفر لى ذنبا لم أعمله . وقد تأوّل ذلك بعضهم بمعنى : ليغفر لك ما تقدّم من ذنبك قبل الرسالة ، وما تأخر إلى الوقت الذى قال : (إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأخَّرَ) . وأما الفتح الذى وعد الله جلّ ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم هذه العدة على شكره إياه عليه ، فإنه فيما ذُكر الهدنة التى جرت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين مشركى قريش بالحديبية .

وذُكر أن هذه السورة أُنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفة عن الحديبية بعد الهدنة التى جرت بينه وبين قومه .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا) قال : قضينا لك قضاء مبينا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا) والفتح : القضاء .

ذكر الرواية عمن قال : هذه السورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الوقت الذى ذكرت

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عامر (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) قال : الحديبية .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) قال : نحره بالحديبية وحَلْقُه .

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا أبو بحر ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا جامع بن شدّاد ، عن عبد الرحمن بن أبي علقمة ، قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : « لما أقبلنا من الحُديبية أعرسنا فنمنا ، فلم نستيقظ إلا بالشمس قد طلعت ، فاستيقظنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نائمٌ ، قال : فقلنا أيقظوه ، فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه فقال : افْعَلُوا كَمَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ ، فكذلك من نام أو نسي قال : وفقدنا ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدناها قد تعلّق خطامها بشجرة ، فأتيته بها ، فركب فبينا نحن نسير ، إذ أتاه الوحي ، قال : وكان إذا أتاه اشتدّ عليه ؛ فلما سرى عنه أخبرنا أنه أُنزل عليه : (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) » .

حدثنا أحمد بن المقدام ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت أبي يحدّث عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : « لما رجعنا من غزوة الحديبية ، وقد حيل بيننا وبين نسكنا ، قال : فنحن بين الحزن والكآبة ، قال : فأنزل الله عزّ وجلّ : (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ، وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) ، أو كما شاء الله ، فقال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم : لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، في قوله (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) قال : « نزلت على النبيّ صلى الله عليه وسلم مرجعه من الحديبية ، وقد حيل بينهم وبين نسكهم ، فنحر الهدى بالحديبية ، وأصحابه مخالطو الكآبة والحزن ، فقال : لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا ، فقرأ (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) . . . إلى قوله (عَزِيزًا) فقال أصحابه : هنيئا لك يا رسول الله قد بين الله لنا ماذا يفعل بك ، فماذا يفعل بنا ، فأنزل الله هذه الآية بعدها (لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيهَا) . . . إلى قوله (وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ فَوْزًا عَظِيمًا) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا همام ، قال : ثنا قتادة ، عن أنس ، قال : أُنزلت هذه الآية ، فذكر نحوه :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بنحوه ، غير أنه قال في حديثه :

« فقال رجل من القوم : هنيئا لك مريئا يا رسول الله ، وقال أيضا : فبين الله ماذا يفعل بنبيه عليه الصلاة والسلام ، وماذا يفعل بهم » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : « نزلت على النبيّ صلى الله عليه وسلم (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) مرجعه من الحديبية ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عَلَى الأَرْضِ ، ثم قرأها عليهم ، فقالوا : هنيئا مريئا يا نبيّ الله ، قد بين الله تعالى ذكره لك ماذا يفعل بك ، فماذا يفعل بنا ؟ فنزلت عليه : (لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ) . . . إلى قوله (فَوْزًا عَظِيما) » .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن عكرمة ، قال : لما نزلت هذه الآية (إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ، وَيَهْدِيَكَ صِراطا مُسْتَقِيما) قالوا : هنيئا مريئا لك يا رسول الله ، فماذا لنا ؟ فنزلت (لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها ، وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) » .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت قتادة يحدّث عن أنس في هذه الآية (إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا) قال : الحديبية .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال : ثنا أبوعوانة ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر قال : ماكنا نعدّ فتح مكة إلا يوم الحديبية .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، عن عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي وائل ، قال : « تكلم سهل بن حنيف يوم صفّين ، فقال : يا أيها الناس اتهموا أنفسكم ، لقد رأيتنا يوم الحديبية ، يعني الصلح الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين ، ولو نرى قتالا لقاتلنا ، فجاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ألسنا على حقّ وهم على باطل ؟ أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال : بَلَى ، قال : ففيم نعطى الدنية في ديننا ، ونرجع ولمّا يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقال : يا بْنَ الخَطَّابِ ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي أَبَدًا ، قال : فرجع وهو متغيظ ، فلم يصبر حتى أتى أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ألسنا على حقّ وهم على باطل ؟ أليس قتلانا في الجنة ، وقتلاهم في النار ؟ قال : بلى ، قال : ففيم نعطَى الدنية في ديننا ، ونرجع ولمّا يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقال : يا بن الخطاب إنه رسول الله ، لن يضيعه الله أبدا ، قال : فنزلت سورة الفتح ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمر ، فأقرأه إياها ، فقال : يا رسول الله ، أوَ فتْح هو ؟ قال : نَعَمْ » .

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعوديّ ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان عن جابر ، قال : ماكنا نعد الفتح إلا يوم الحديبية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن البراء ، قال : تعدّون أنتم الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحا ، ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية ، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة مئة ، والحديبية : بئر .

حدثنى موسى بن سهل الرملى ، ثنا محمد بن عيسى ، قال : ثنا مُجمع بن يعقوب الأنصارىّ ، قال : سمعت أبى يحدّث عن عمه عبد الرحمن بن يزيد ، عن عمه مجمِّع بن جارية الأنصارىّ ، وكان أحد القرّاء الذين قرءوا القرآن ، قال : « شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فلما انصرفنا عنها، إذا الناس يهزّون الأباعر ، فقال بعض الناس لبعض : ما للناس ، قالوا: أُوحِىَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ، لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ) فقال رجل: أوَ فتحٌ هو يا رسول الله ؟ قال: نَعَمْ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَفَتْحٌ ، قال: فقُسِّمَت خيبر على أهل الحديبية ،لم يدخل معهم فيها أحد إلا من شهد الحديبية ، وكان الجيش ألفا وخمسمئة ، فيهم ثلاث مئة فارس ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثمانية عشر سهما ، فأعطى الفارس سهمين ، وأعطى الراجل سهما » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبىّ ،قال : « نزلت (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) بالحديبية ، وأصاب فى تلك الغزوة ما لم يصبه فى غزوة ، أصاب أن بُويع بيعة الرضوان ، وغُفِر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر ، وظهرت الروم على فارس ، وبلغ الهَدْىُ محِله ، وأُطعموا نخل خيبر ، وفرح المؤمنون بتصديق النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وبظهور الروم على فارس » .

وقوله تعالى (وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ) بإظهاره إياك على عدوّك ، ورفعه ذكرك فى الدنيا ، وغفرانه ذنوبك فى الآخرة (وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) يقول : ويرشدك طريقا من الدين لا اعوجاج فيه ، يستقيم بك إلى رضا ربك (وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا) يقول : وينصرك على سائر أعدائك ، ومن ناوأك نصرا ، لا يغلبه غالب ، ولا يدفعه دافع ، للبأس الذى يؤيدك الله به ، وبالظفر الذى يمدّك به .

القول في تأويل قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾

❁ يعنى جلّ ذكره بقوله (هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ) الله أنزل السكون والطمأنينة فى قلوب المؤمنين بالله ورسوله إلى الإيمان ، والحقّ الذى بعثك الله به يا محمد . وقد مضى ذكر اختلاف أهل التأويل فى معنى السكينة قبل ، والصحيح من القول فى ذلك بالشواهد المغنية ، عن إعادتها فى هذا الموضع .

(لِيَزْدَادُوا إيمانا مَعَ إيمانِهِم)يقول : ليزدادوا بتصديقهم بما جدّد الله من الفرائض التى ألزمهموها ، التى لم تكن لهم لازمة (إيمانا مع إيمانهم) ، يقول : ليزدادوا إلى إيمانهم بالفرائض التى كانت لهم لازمة قبل ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (هُوَ الَّذِى أنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ) قال : السكينة : الرحمة (لِيَزْدَادُوا إيمَانا مَعَ إيمَانِهِمْ) قال : إن الله جلّ ثناؤه بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بشهادة أن لا إله إلا الله ، فلما صدّقوا بها زادهم الصلاة ، فلما صدّقوا بها زادهم الصيام ، فلما صدّقوا به زادهم الزكاة ، فلما صدّقوا بها زادهم الحجّ ، ثم أكمل لهم دينهم ، فقال (اليَوْمَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى) قال ابن عباس : فأوثق إيمان أهل الأرض وأهل السموات وأصدقه وأكمله شهادة أن لا إله إلا الله .

وقوله (وِللهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ) يقول تعالى ذكره : ولله جنود السموات والأرض أنصار ينتقم بهم ممن يشاء من أعدائه (وكانَ اللهُ عَلِيما حَكِيما) يقول تعالى ذكره : ولم يزل الله ذا علم بما هو كائن قبل كونه ، وما خلقه عاملوه ، حكيما فى تدبيره .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٥)

❊ يقول تعالى ذكره : إنا فتحنا لك فتحا مبينا ، لتشكر ربك ، وتحمده على ذلك ، فيغفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر ، وليحمد ربهم المؤمنون بالله ، ويشكروه على إنعامه عليهم بما أنعم به عليهم من الفتح الذى فتحه ، وقضاه بينهم وبين أعدائهم من المشركين ، بإظهاره إياهم عليهم ، فيدخلهم بذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ماكثين فيها إلى غير نهاية ، وليكفر عنهم سيّئ أعمالهم بالحسنات التى يعملونها شكرا منهم لربهم على ما قضى لهم ، وأنعم عليهم به (وكانَ ذلكَ عِنْدَ اللهِ فَوْزًا عَظِيما) يقول تعالى ذكره : وكان ما وعدهم الله به من هذه العدّة ، وذلك إدخالهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، وتكفيره سيئاتهم بحسنات أعمالهم التى يعملونها عند الله لهم (فَوْزًا عَظِيما) يقول : ظفرا منهم بما كانوا تأمّلوه ويسعون له ، ونجاة مما كانوا يحذرونه من عذاب الله عظيما . وقد تقدّم ذكر الرواية أن هذه الآية نزلت لما قال المؤمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو تلا عليهم قول الله عزّ وجلّ (إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا . لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ماتَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تأخَّرَ) هذا لك يا رسول الله ، فماذا لنا ؟ تبيينا من الله لهم ماهو فاعل بهم .

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأنهارُ) . . . إلى قوله (وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ) فأعلم الله سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام .

قوله (لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ) على اللام من قوله (لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ) بتأويل تكرير الكلام (إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ) ، إنا فتحنا لك ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ولذلك لم تدخل الواو التى تدخل فى الكلام للعطف ، فلم يقل : وليدخل المؤمنين .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ، وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار ، وليعذّب المنافقين والمنافقات ، بفتح الله لك يامحمد ، مافتح لك من نصرك على مشركى قريش ، فيكبتوا لذلك ويحزنوا ، ويخيب رجاؤهم الذى كانوا يرجون من رؤيتهم فى أهل الإيمان بك من الضعف والوهن والتولى عنك فى عاجل الدنيا ، وصلىّ النار والخلود فيها فى آجل الآخرة (وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكاتِ) يقول : وليعذّب كذلك أيضا المشركين والمشركات (الظَّانِّينَ بِاللهِ) أنه لن ينصرك ، وأهل الإيمان بك على أعدائك ، ولن يظهر كلمته فيجعلها العليا على كلمة الكافرين به ، وذلك كان السوء من ظنونهم التى ذكرها الله فى هذا الموضع ، يقول تعالى ذكره : على المنافقين والمنافقات ، والمشركين والمشركات الذين ظنوا هذا الظنّ دائرة السوء ، يعنى دائرة العذاب تدور عليهم به .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الكوفة (دائِرَةُ السَّوْءِ) بفتح السين . وقرأ بعض قرّاء البصرة (دائِرَةُ السُّوءِ) بضم السين . وكان الفرّاء يقول : الفتح أفشى فى السين ؛ قال : وقلما تقول العرب دائرة السُّوء بضم السين ، والفتح فى السين أعجب إلىّ من الضم ، لأن العرب تقول : هو رجل سَوْء ، بفتح السين ؛ ولا تقول : هو رجل سُوء .

وقوله (وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ) يقول : ونالهم الله بغضب منه ، ولعنهم : يقول : وأبعدهم فأقصاهم من رحمته (وأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ) يقول : وأعدّ لهم جهنم يصلونها يوم القيامة (وَساءَتْ مَصِيرًا) يقول : وساءت جهنم منزلا يصير إليه هؤلاء المنافقون والمنافقات ، والمشركون والمشركات .

وقوله (وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ) يقول جلّ ثناؤه : ولله جنود السموات والأرض أنصارا على أعدائه ، إن أمرهم بإهلاكهم أهلكوهم ، وسارعوا إلى ذلك بالطاعة منهم له (وكانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) يقول تعالى ذكره : ولم يزل الله ذا عزّة ، لا يغلبه غالب ، ولا يمتنع عليه مما أراده به ممتنع ، لعظم سلطانه وقدرته ، حكيم فى تدبيره خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى:

إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ) يامحمد (شَاهِدًا) على أمتك بما أجابوك فيما دعوتهم إليه، مما أرسلتك به إليهم من الرسالة، (ومُبَشِّرًا) لهم بالجنة إن أجابوك إلى مادعوتهم إليه من الدين القيم، ونذيرا لهم عذاب الله إن هم تولَّوْا عما جئتهم به من عند ربك.

ثم اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ) فقرأ جميع ذلك عامة قرّاء الأمصار خلا أبي جعفر المدنى وأبي عمرو بن العلاء، بالتاء (لِتُؤْمِنُوا، وتُعَزِّرُوهُ، وَتُوَقِّرُوهُ، وَتُسَبِّحُوهُ) بمعنى: لتؤمنوا بالله ورسوله أنتم أيها الناس. وقرأ ذلك أبو جعفر وأبوعمرو كله بالياء (لِيُؤْمِنُوا، ويُعَزِّرُوهُ، ويُوَقِّرُوهُ، ويُسَبِّحُوهُ) بمعنى: إنا أرسلناك شاهدا إلى الخلق ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزّروه.

والصواب من القول فى ذلك: أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) يقول: شاهدا على أمته على أنه قد بلغهم ومبشرا بالجنة لمن أطاع الله، ونذيرا من النار.

وقوله (وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ) اختلف أهل التأويل فى تأويله، فقال بعضهم: تجلّوه، وتعظموه.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس (وَيُعَزِّرُوهُ) يعنى: الإجلال (وَيُوَقِّرُوهُ) يعنى: التعظيم.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَيُعَزِّرُوهُ وَيُوَقِّرُوهُ) كل هذا تعظيم وإجلال.

وقال آخرون: معنى قوله (وَيُعَزِّرُوهُ): وينصروه، ومعنى (وَيُوَقِّرُوهُ) ويفخموه.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَيُعَزِّرُوهُ): ينصروه (وَيُوَقِّرُوهُ) أمر الله بتسويده وتفخيمه.

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَيُعَزِّرُوهُ) قال : ينصروه ، ويوقروه : أى ليعظموه .

حدثنى أبو هريرة الضُّبَعِىّ : قال : ثنا حَرَمِىّ ، عن شعبة ، عن أبى بشر ، جعفر بن أبى وحشية ، عن عكرمة (وَيُعَزِّرُوهُ) قال : يقاتلون معه بالسيف .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنى هشيم ، عن أبى بشر ، عن عكرمة ، مثله .

حدثنى أحمد بن الوليد ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، عن سعيد ، عن أبى بشر ، عن عكرمة ، بنحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ومحمد بن جعفر ، قالا : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن عكرمة ، مثله .

وقال آخرون : معنى ذلك : ويعظموه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَيُعَزِّرُوهُ وَيُوَقِّرُوهُ) قال : الطاعة لله .

وهذه الأقوال متقاربات المعنى ، وإن اختلفت ألفاظ أهلها بها . ومعنى التعزير فى هذا الموضع : التقوية بالنُّصرة والمعونة ، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال .

وقد بيَّنا معنى ذلك بشواهده فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

فأما التوقير : فهو التعظيم والإجلال والتفخيم .

وقوله (وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأصيلاً) يقول : وتصلوا له يعنى لله بالغدوات والعشيات : والهاء فى قوله (وَتُسَبِّحُوهُ) من ذكر الله وحده دون الرسول . وقد ذُكر أن ذلك فى بعض القراءات : (وَيُسَبِّحُوا اللهَ بُكْرَةً وأصيلاً) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأصيلاً) فى بعض القراءة « ويسبِّحوا الله بكرة وأصيلا » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة فى بعض الحروف (وَيُسَبِّحُوا اللهَ بُكْرَةً وأصيلاً) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَيُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأصيلاً) يقول : يسبحون الله رجع إلى نفسه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

﴿ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ) بالحديبية من أصحابك على أن لايفرّوا عند لقاء العدوّ ، ولا يولّوهم الأدبار (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ) يقول : إنما يبايعون ببيعتهم إياك الله ، لأن الله ضمن لهم الجنة بوفائهم له بذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ) قال : يوم الحديبية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) وهم الذين بايعوا يوم الحديبية .

وفى قوله (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) وجهان من التأويل : أحدهما : يد الله فوق أيديهم عند البيعة ، لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ والآخر : قوّة الله فوق قوّتهم فى نُصرة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم إنما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نُصرته على العدوّ .

وقوله (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ على نَفْسِهِ) يقول تعالى ذكره : فمن نكث بيعته إياك يا محمد ، ونقضها فلم ينصرك على أعدائك ، وخالف ماوعد ربه (فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) يقول : فإنما ينقض بيعته ، لأنه بفعله ذلك يخرج ممن وعده الله الجنة بوفائه بالبيعة ، فلم يضرّ بنكثه غير نفسه ، ولم ينكث إلا عليها ، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الله تبارك وتعالى ناصره على أعدائه ، نكث الناكث منهم ، أو وفى ببيعته .

وقوله (وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ) . . . الآية ، يقول تعالى ذكره : ومن أوفى بما عاهد الله عليه من الصبر عند لقاء العدوّ فى سبيل الله ونُصرة نبيه صلى الله عليه وسلم على أعدائه (فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) يقول : فسيعطيه الله ثوابا عظيما ، وذلك أن يُدخله الجنة جزاء له على وفائه بما عاهد عليه الله ، ووثق لرسوله على الصبر معه عند البأس بالمؤكدة من الأيمان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) وهى الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى :

سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾

﴿ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : سيقول لك يامحمد الذين خلفهم الله فى أهليهم عن صحبتك ، والخروج معك فى سفرك الذى سافرت ، ومسيرك الذى سرت إلى مكة معتمرا ، زائرا بيت الله الحرام إذا انصرفت إليهم ، فعاتبتهم على التخلف عنك ، شغلتنا عن الخروج معك معالجة أموالنا ، وإصلاح معايشنا وأهلونا ، فاستغفر لنا ربنا لتخلفنا عنك ، قال الله جل ثناؤه مكذبهم فى قيلهم ذلك : يقول هؤلاء الأعراب المخلفون عنك بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، وذلك مسئلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستغفار لهم ، يقول : يسألونه بغير توبة منهم ولا ندم على ماسلف منهم من معصية الله فى تخلفهم عن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسير معه (قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا) يقول تعالى ذكره لنبيه : قل لهؤلاء الأعراب الذين يسألونك أن تستغفر لهم لتخلفهم عنك : إن أنا استغفرت لكم أيها القوم ، ثم أراد الله هلاككم أو هلاك أموالكم وأهليكم ، أو أراد بكم نفعا بتثميره أموالكم وإصلاحه لكم أهليكم ، فمن ذا الذى يقدر على دفع ما أراد الله بكم من خير أو شر ، والله لايعازه أحد ، ولا يغالبه غالب .

وقوله (بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) يقول تعالى ذكره : ما الأمر كما يظن هؤلاء المنافقون من الأعراب أن الله لايعلم ما هم عليها منطوون من النفاق ، بل لم يزل الله بما يعملون من خير وشر خبيرا ، لايخفى عليه شىء من أعمال خلقه ، سرها وعلانيتها ، وهو محصيها عليهم حتى يجازيهم بها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر عنه حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر العرب ومن حول مدينته من أهل البوادى والأعراب ليخرجوا معه حذرا من قومه قريش أن يعرضوا له الحرب ، أو يصدوه عن البيت ، وأحرم هو صلى الله عليه وسلم بالعمرة ، وساق معه الهدى ، ليعلم الناس أنه لايريد حربا ، فتثاقل عنه كثير من الأعراب ، وتخلفوا خلافه فهم الذين عنى الله تبارك وتعالى بقوله (سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا) . . . الآية .

وكالذى قلنا فى ذلك قال أهل العلم بسير رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازيه ، منهم ابن إسحاق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق بذلك . حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا) قال : أعراب المدينة : جهينة ومزينة ، استتبعهم لخروجه إلى مكة ، قالوا : نذهب معه إلى قوم قد جاءوه ، فقتلوا أصحابه فنقاتلهم فاعتلوا بالشغل .

واختلفت القراء فى قراءة قوله (إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا) فقرأته قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة (ضَرًّا) بفتح الضاد ، بمعنى : الضر الذى هو خلاف النفع . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (ضُرًّا) بضم الضاد ، بمعنى البؤس والسقم .

وأعجب القراءتين إلى الفتح فى الضاد فى هذا الموضع بقوله (أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا) ، فمعلوم أن خلاف النفع الضر ، وإن كانت الأخرى صحيحا معناها .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾﴾

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الأعراب المعتذرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند منصرَفه من سفره إليهم بقولهم (شَغَلَتْنا أَمْوالُنا وأَهْلُونا) ما تخلفتم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين شخص عنكم، وقعدتم عن صحبته من أجل شغلكم بأموالكم وأهليكم، بل تخلفتم بعده فى منازلكم، ظنا منكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه سيهلكون، فلا يرجعون إليكم أبدا باستئصال العدوّ إياهم وزيِّن ذلك فى قلوبكم، وحسَّن الشيطان ذلك فى قلوبكم، وصححه عندكم حتى حسُن عندكم التخلف عنه، فقعدتم عن صحبته (وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ) يقول: وظننتم أن الله لن ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين على أعدائهم، وأن العدوّ سيقهرونهم ويغلبونهم فيقتلونهم.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرابِ) . . . إلى قوله (وكُنْتُمْ قَوْما بُورًا) قال: ظنوا بنبىّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم لن يرجعوا من وجههم ذلك، وأنهم سيهلكون، فذلك الذى خلفهم عن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم.

وقوله (وكُنْتُمْ قَوْما بُورًا) يقول: وكنتم قوما هَلْكى لايصلحون لشىء من الخير. وقيل: إن البور فى لغة أذرعات: الفاسد؛ فأما عند العرب فإنه لاشىء. ومنه قول أبى الدرداء: فأصبح ما جمعوا بُورًا أى ذاهبا قد صار باطلا لاشىء منه؛ ومنه قول حسَّان بن ثابت:

لايَنْفَعُ الطُّولُ مِنْ نُوكِ القُلُوبِ وقَدْ ... يَهْدِي الإلَهُ سَبِيلَ المَعْشَرِ البُورِ[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وكُنْتُمْ قَوْما بُورًا) قال: فاسدين

(١) البيت لحسان بن ثابت يهجو قوما بأن طول أجسامهم لا خير فيه مادام وا ذوى نوك أى حمق. والبور: الهلكى. قال فى (اللسان: بور) ورجل بور وكذلك الاثنان والجمع والمؤنث. وفى التنزيل: «وكنتم قوما بورا» قال: وقد يكون بور هنا جمع بائر، مثل حول وحائل. وحكى الأخفش عن بعضهم أنه لغة وليس بجمع لبائر، كما يقال: أنت بشر، وأنتم بشر. قال: وقال الفراء فى قوله «وكنتم قوما بورا»: البور: مصدر يكون واحدا وجمعا. وفى معانى القرآن (الورقة ٣٠٥) عن ابن عباس قال: البور فى لغة أزدعمان: الفاسد، «وكنتم قوما بورا»: قوما فاسدين. والبور فى كلام العرب: «لاشىء». يقال أصبحت أعمالهم بورا، ومساكنهم قبورا.

وحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا) قال : البور الذى ليس فيه من الخير شىء .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا) قال : هالكين .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المنافقين من الأعراب ، ومن لم يؤمن أيها الأعراب بالله ورسوله منكم ومن غيركم ، فيصدّقه على ما أخبر به ، ويقرّ بما جاء به من الحقّ من عند ربه ، فإنا أعددنا لهم جميعا سعيرا من النار تستعرعليهم فى جهنم إذا وردوها يوم القيامة ؛ يقال من ذلك : سعرت النار : إذا أوقدتها ، فأنا أسعرها سعرا ؛ ويقال : سعرتها أيضا إذا حرّكتها . وإنما قيل للمِسْعَر مِسْعَر ، لأنه يحرّك به النار ،ومنه قولهم : إنه لمِسْعَر حرب : يراد به موقدها ومهيجها .

وقوله (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) يقول تعالى ذكره : ولله سلطان السموات والأرض ، فلا أحد يقدر أيها المنافقون على دفعه عما أراد بكم من تعذيب على نفاقكم إن أصررتم عليه أو منعه من عفوه عنكم إن عفا ، إن أنتم تبتم من نفاقكم وكفركم ، وهذا من الله جلّ ثناؤه حثّ لهؤلاء الأعراب المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على التوبة والمراجعة إلى أمر الله فى طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، يقول لهم : بادروا بالتوبة من تخلفكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الله يغفر للتائبين (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيما) يقول : ولم يزل الله ذا عفو عن عقوبة التائبين إليه من ذنوبهم ومعاصيهم من عباده ، وذا رحمة بهم أن يعاقبهم على ذنوبهم بعد توبتهم منها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : سيقول يامحمد المخلفون فى أهليهم عن صحبتك إذا سرت معتمرا تريد بيت الله الحرام ، إذا انطلقت أنت ومن صحبك فى سفرك ذلك إلى ما أفاء الله عليك وعليهم من الغنيمة (لِتَأْخُذُوها) وذلك ما كان الله وعد أهل الحديبية من غنائم خيبر (ذَرُونَا نَتَّبِعْكُم)

إلى خيبر ، فنشهد معكم قتال أهلها (يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ) يقول : يريدون أن يغيروا وعد الله الذى وعد أهل الحديبية ، وذلك أن الله جعل غنائم خيبر لهم ، ووعدهم ذلك عوضا من غنائم أهل مكة إذا انصرفوا عنهم على صلح ، ولم يصيبوا منهم شيئا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : رجع ، يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة ، فوعده الله مغانم كثيرة ، فعجلت له خيبر ، فقال المخلَّفون (ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ، يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ) وهى المغانم ليأخذوها ، التى قال الله جلّ ثناؤه : (إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا) وعرض عليهم قتال قوم أولى بأس شديد .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن رجل من أصحابه ، عن مقسم قال : لما وعدهم الله أن يفتح عليهم خيبر ، وكان الله قد وعدها من شهد الحديبية لم يعط أحدا غيرهم منها شيئا ، فلما علم المنافقون أنها الغنيمة قالوا (ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ) يقول : ماوعدهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ) . . . الآية ، وهم الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية ، ذُكر لنا أن المشركين لما صدّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية عن المسجد الحرام والهدى ، قال المقداد : يا نبىّ الله ، إنا والله لانقول كالملأ من بنى إسرائيل إذ قالوا لنبيهم : (اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) ولكن نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ؛ فلما سمع ذلك أصحاب نبىّ الله صلى الله عليه وسلم تبايعوا على ما قال ؛ فلما رأى ذلك نبىّ الله صلى الله عليه وسلم صالح قريشا ، ورجع من عامه ذلك » :

وقال آخرون : بل عنى بقوله (يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ) إرادتهم الخروج مع نبىّ الله صلى الله عليه وسلم فى غزوه ، وقد قال الله تبارك وتعالى (فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا ، وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا) .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ) . . . الآية ، قال الله له عزّ وجلّ حين رجع من غزوه ، (فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا ، وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا) . . . الآية

يريدون أن يبدّلوا كلام الله : أرادوا أن يغيروا كلام الله الذى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ويخرجوا معه، وأبى الله ذلك عليهم ونبيه صلى الله عليه وسلم .

وهذا الذى قاله ابن زيد قول لاوجه له ، لأن قول الله عزّ وجلّ (فاسْتأْذَنُوكَ للْخُرُوجِ ، فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا ، ولَنْ تُقَاتِلُوا مَعِي عَدُوًّا) إنما نزّل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنْصَرَفَه من تبوك ، وعُنِي به الذين تخلّفوا عنه حين توجه إلى تبوك لغزو الروم ، ولا اختلاف بين أهل العلم بمغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تبوك كانت بعد فتح خيبر وبعد فتح مكة أيضا ، فكيف يجوز أن يكون الأمر على ما وصفنا معنيا بقول الله : (يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ) وهو خبر عن المتخلفين عن المسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ شخص معتمرا يريد البيت ، فصدّه المشركون عن البيت ، الذين تخلّفوا عنه فى غزوة تبوك ، وغزوة تبوك لم تكن كانت يوم نزلت هذه الآية ، ولا كان أُوحِيَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله (فاسْتأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ ، فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا ، وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا) .

فإذ كان ذلك كذلك ، فالصواب من القول فى ذلك : ما قاله مجاهد وقتادة على ما قد بيّنّا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة ، وبعض قرّاء الكوفة (كَلامَ اللهِ) على وجه المصدر ، بإثبات الألف . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (كَلِمَ اللهِ) بغير ألف ، بمعنى جمع كلمة ، وهما عندنا قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب ، وإن كنتُ إلى قراءته بالألف أَمْيل .

وقوله (قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونا ، كَذَلِكُمْ قالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المخلفين عن المسير معك يا محمد : لن تتبعونا إلى خيبر إذا أردنا السير إليهم لقتالهم (كَذَلِكُمْ قالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ) يقول : هكذا قال الله لنا من قبل مَرْجِعنا إليكم ، إن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية معنا ، ولستم ممن شهدها ، فليس لكم أن تتّبعونا إلى خيبر ، لأن غنيمتها لغيركم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَذَلِكُمْ قالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ) أى إنما جعلت الغنيمة لأهل الجهاد ، وإنما كانت غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب .

وقوله (فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنا) أن نصيب معكم مغنما إن نحن شهدنا معكم ، فلذلك تمنعوننا من الخروج معكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا) أن نصيب معكم غنائم .

وقوله (بَلْ كانُوا لايَفْقَهُونَ إلاّ قَلِيلاً) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه : ما الأمر كما يقول هؤلاء المنافقون من الأعراب من أنكم إنما تمنعونهم من اتباعكم حسدا منكم لهم على أن يصيبوا معكم من العدوّ مغنما ، بل كانوا لايفقهون عن الله مالهم وعليهم من أمر الدين إلا قليلا يسيرا ، ولو عقلوا ذلك ما قالوا لرسول الله والمؤمنين به ، وقد أخبروهم عن الله تعالى ذكره أنه حرمهم غنائم خيبر ، إنما تمنعوننا من صحبتكم إليها لأنكم تحسدوننا .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قُلْ) يامحمد (لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأعْرَابِ) عن المسير معك ، (سَتُدْعَوْنَ إلى) قتال (قَوْمٍ أُولِى بَأْسٍ) فى القتال (شَدِيدٍ) .

❁ واختلف أهل التأويل فى هؤلاء الذين أخبر الله عزّ وجلّ عنهم أن هؤلاء المخلفين من الأعراب يُدْعَوْن إلى قتالهم ، فقال بعضهم : هم أهل فارس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن ابن عباس (أُولِى بأْسٍ شَدِيدٍ) أهل فارس .

حدثنا إسماعيل بن موسى الفزارىّ ، قال : أخبرنا داود بن الزبرقان ، عن ثابت البُنَانىّ ، عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى ، فى قوله (سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ) قال : فارس والروم .

قال : أخبرنا داود ، عن سعيد ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال الحسن ، فى قوله (سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ) قال : هم فارس والروم .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ) قال : هم فارس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ) قال : قال الحسن : دُعُوا إلى فارس والروم ؟

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُولى بَأْسٍ شَدِيدٍ) قال : فارس والروم .

وقال آخرون : هم هَوازن بحُنين .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير وعكرمة ، فى قوله (سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُولى بَأْسٍ شَدِيدٍ) قال : هوازن .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبَير وعكرمة فى هذه الآية (سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُولى بَأْسٍ شَدِيدٍ) قال : هوازن وثقيف .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أُولى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقاتِلُونَهُمْ أوْ يُسْلِمُونَ) قال : هى هَوازن وغَطَفان يوم حُنين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأعْرابِ سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُولى بَأْسٍ شَدِيدٍ) فدعوا يوم حُنين إلى هوازن وثقيف فمنهم من أحسن الإجابة ورغب فى الجهاد .

وقال آخرون : بل هم بنوحنيفة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرى (أُولى بَأْسٍ شَدِيدٍ) قال بنوحنيفة مع مُسَيلمة الكذّاب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن هشيم ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبير وعكرمة أنهما كانا يزيدان فيه هوازن وبنى حنيفة .

وقال آخرون : لم تأت هذه الآية بعد :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن أبى هريرة (سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُولى بَأْسٍ شَدِيدٍ) لم تأت هذه الآية .

وقال آخرون : هم الروم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عوف ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا صفوان بن عمرو ، قال : ثنا الفرج بن محمد الكلاعى ، عن كعب ، قال (أُولى بَأْسٍ شَدِيدٍ) قال : الروم .

❊ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المخلّفين من الأعراب أنهم سيدعون إلى قتال قوم أولى بأس فى القتال ، ونجدة فى الحروب ، ولم يوضع لنا الدليل من خبر ولا عقل

على أن المعنىّ بذلك هوازن ، ولا بنوحنيفة ولا فارس ولا الروم ، ولا أعيان بأعيانهم ، وجائز أن يكون عنى بذلك بعض هذه الأجناس ، وجائز أن يكون عُنِى بهم غيرهم ،ولا قول فيه أصحّ من أن يُقال كما قال الله جلّ ثناؤه : إنهم سيدعون إلى قوم أولى بأس شديد .

وقوله (تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ) يقول تعالى ذكره للمخلَّفين من الأعراب : تقاتلون هؤلاء الذين تُدعون إلى قتالهم ، أو يسلمون من غير حرب ولا قتال .

وقد ذُكر أن ذلك فى بعض القراءات (تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُوا) ، وعلى هذه القراءة وإن كانت على خلاف مصاحف أهل الأمصار ، وخلافا لما عليه الحجة من القرّاء ، وغير جائز عندى القراءة بها لذلك تأ يل ذلك : تقاتلونهم أبدا إلا أن يسلموا ، أو حتى يسلموا .

وقوله (فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْرًا حَسَنًا) يقول تعالى ذكره فإن تطيعوا الله فى إجابتكم إياه إذا دعاكم إلى قتال هؤلاء القوم الأولى البأس الشديد ، فتجيبوا إلى قتالهم والجهاد مع المؤمنين (يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْرًا حَسَنًا) يقول: يعطكم الله على إجابتكم إياه إلى حربهم الجنة ، وهى الأجر الحسن (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ) يقول : وإن تعصوا ربكم فتدبروا عن طاعته وتخالفوا أمره ،فتتركوا قتال الأولى البأس الشديد إذا دُعيتم إلى قتالهم (كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ) يقول: كما عصيتموه فى أمره إياكم بالمسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، من قبل أن تُدعَوا إلى قتال أولى البأس الشديد (يُعَذِّبْكُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا) يعنى : وجيعا ، وذلك عذاب النار على عصيانكم إياه ، وترككم جهادهم وقتالهم مع المؤمنين .

القول في تأويل قوله تعالى:

لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : ليس على الأعمى منكم أيها الناس ضيق ، ولا على الأعرج ضيق ، ولا على المريض ضيق أن يتخلفوا عن الجهاد مع المؤمنين ، وشهود الحرب معهم إذا هم لقوا عدوّهم، للعلل التى بهم ، والأسباب التى تمنعهم من شهودها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ) قال : هذا كله فى الجهاد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ثُمَّ عذر الله أهل العذر من الناس ، فقال : (لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَيْسَ على الأعْمَى حَرَجٌ وَلا على الأعْرَجِ حَرَجٌ ، وَلا على المَرِيض حَرَجٌ) قال : فى الجهاد فى سبيل الله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (لَيْسَ على الأعْمَى حَرَجٌ) . . . الآية ، يعنى فى القتال .

وقوله (وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ) يقول تعالى ذكره : ومن يُطع الله ورسوله فيجيب إلى حرب أعداء الله من أهل الشرك ، وإلى القتال مع المؤمنين ابتغاء وجه الله إذا دعى إلى ذلك ، يُدخله الله يوم القيامة جنَّات تجرى من تحتها الأنهار (وَمَنْ يَتَوَلَّ) يقول : ومن يعص الله ورسوله ، فيتخلَّف عن قتال أهل الشرك بالله إذا دعى إليه ، ولم يستجب لدعاء الله ورسوله يعذّبه عذابا موجعا ، وذلك عذاب جهنم يوم القيامة .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : لقد رضى الله يامحمد عن المؤمنين (إذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) يعنى بيعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله بالحديبية حين بايعوه على مناجزة قريش الحرب ، وعلى أن لايفرّوا ، ولا يولوهم الدبر تحت الشجرة ، وكانت بيعتهم إياه هنالك فيما ذكر تحت شجرة .

وكان سبب هذه البيعة ما قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أرسل عثمان بن عفان رضى الله عنه برسالته إلى الملإ من قريش ، فأبطأ عثمان عليه بعض الإبطاء ، فظنّ أنه قد قتل ، فدعا أصحابه إلى تجديد البيعة على حربهم على ما وصفت ، فبايعوه على ذلك ، وهذه البيعة التى تسمى بيعة الرضوان ، وكان الذين بايعوه هذه البيعة فيما ذُكر فى قول بعضهم : ألفا وأربع مئة ، وفى قول بعضهم : ألفا وخمس مئة ، وفى قول بعضهم : ألفا وثلاث مئة .

ذكر الرواية بما وصفنا من سبب هذه البيعة

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعى ، فبعثه إلى قريش بمكة ، وحمله على جمل له يقال له الثعلب ، ليبلغ أشرافهم عنه ماجاء له ، وذلك حين نزل الحديبية ، فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرادوا قتله ، فمنعه الأحابيش فخلوا سبيله ، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فحدثنى من لاأتهم ، عن عكرمة مولى ابن عباس : « أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة ، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله إنى أخاف قريشا على نفسى ، وليس بمكة من بنى عدىّ بن كعب أحد يمنعنى ، وقد عرفت قريش عداوتى إياها ، وغلظتى عليهم ، ولكنى أدلك على رجل هو أعزّ بها منى عثمان بن عفان ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان ، فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائرا لهذا البيت ، معظما لحرمته ، فخرج عثمان إلى مكة ، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها ، فنزل عن دابته ، فحمله بين يديه ، ثم ردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به ، قال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قُتل» .

قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن عثمان قد قتل ، قال : لا نَبْرَحُ حتى نُناجِزَ القَوْمَ ، ودعا الناس إلى البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت فكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ، ولكنه بايعنا على أن لا نفر ، فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بنى سلمة ، كان جابر بن عبد الله يقول : لكأنى أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته ، قد اختبأ إليها ، يستتر بها من الناس ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذى ذُكر من أمر عثمان باطل » .

حدثنا محمد بن عمارة الأسدىّ ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا موسى بن عبيدة ، عن إياس بن سلمة ، قال : قال سلمة : « بينما نحن قائلون زمن الحديبية ، نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها الناس البيعة البيعة ، نزل روح القدس صلوات الله عليه ، قال : فثرنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو تحت شجرة سمرة ، قال : فبايعناه ، وذلك قول الله (لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) .

حدثنا عبد الحميد بن بيان اليشكرى ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل ، عن عامر ، قال : كان أوّل من بايع بيعة الرضوان رجل من بنى أسد يقال له أبو سنان بن وهب .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال : ثنا همام ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : كان جدّى يقال له حَزْن ، وكان ممن بايع تحت الشجرة ، فأتيناها من قابل ، فعُمِّيت علينا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال : ثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن بُكَير بن الأشج « أنه بلغه أن الناس بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عَلَى ما استَطَعْتُم . والشجرة التى بُويع تحتها بفج

نحو مكة ، وزعموا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرّ بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة ، فقال : أين كانت ، فجعل بعضهم يقول هنا ، وبعضهم يقول : هاهنا ، فلما كثر اختلافهم قال : سيروا هذا التكلف فذهبت الشجرة وكانت سمراء إما ذهب بها سيل ، وإما شىء سوى ذلك » .

ذكر عدد الذين بايعوا هذه البيعة

وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فى عددهم ، ونذكر الروايات عن قائلى المقالات التى ذكرناها إن شاء الله تعالى .

ذكر من قال : عددهم ألف وأربع مئة

حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودى ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن أبى سفيان عن جابر ، قال : « كنا يوم الحُديبية ألفا وأربع مئة ، فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا نفرّ ، ولم نبايعه على الموت ، قال : فبايعناه كلنا إلا الجدّ بن قيس اختبأ تحت إبط ناقته » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، أخبرنى القاسم بن عبدالله بن عمرو ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله « أنهم كانوا يوم الحُديبية أربع عشرة مئة ، فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر آخذ بيده تحت الشجرة ، وهى سمرة ، فبايعنا غير الجدّ بن قيس الأنصارىّ ، اختبأ تحت إبط بعيره ، قال جابر : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا نفرّ ولم نبايعه على الموت » .

حدثنا يوسف بن موسى القطان ، قال : ثنا هشام بن عبدالملك وسعيد بن شرحبيل المصرى ، قالا : ثنا ليث بن سعد المصرى ، قال : ثنا أبو الزبير ، عن جابر ، قال : « كنا يوم الحديبية ألفا وأربع مئة ، فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهى سمرة ، فبايعناه على أن لا نفرّ ، ولم نبايعه على الموت ، يعنى النبىّ صلى الله عليه وسلم » .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب أنه قيل له : « إن جابر بن عبد الله يقول : إن أصحاب الشجرة كانوا ألفا وخمس مئة ، قال سعيد : نسى جابر هو قال لى كانوا ألفا وأربع مئة » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن جابر قال : كنا أصحاب الحُديبية أربع عشرة مئة .

ذكر من قال : كان عدتهم ألفا وخمس مئة وخمسة وعشرين

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) قال : كان أهل البيعة تحت الشجرة ألفا وخمس مئة وخمسة وعشرين .

حدثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال « الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ، فجعلت لهم مغانم خيبر كانوا يومئذ خمس عشرة مئة ، وبايعوا على أن لا يفرّوا عنه » .

ذكر من قال : كانوا ألفا وثلاث مئة

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبوداود ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرّة ، قال : سمعت عبد الله بن أبي أوفى يقول : «كانوا يوم الشجرة ألفا وثلاث مئة ، وكانت أسلم يومئذ من المهاجرين» .

وقوله (فَعَلِمَ ما فى قُلُوبِهِم) يقول تعالى ذكره : فعلم ربك يامحمد ما فى قلوب المؤمنين من أصحابك إذ يبايعونك تحت الشجرة ، من صدق النية ، والوفاء بما يبايعونك عليه ، والصبر معك (فأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ) يقول : فأنزل الطمأنينة ، والثبات على ماهم عليه من دينهم وحُسن بصيرتهم بالحقّ الذى هداهم الله له .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَعَلِمَ ما فى قُلُوبِهِم ، فأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ) : أى الصبر والوقار .

وقوله (وأثابَهُمْ فَتْحا قَرِيبا) يقول : وعوّضهم فى العاجل مما رجوا الظفر به من غنائم أهل مكة بقتالهم أهلها فتحا قريبا ، وذلك فيما قيل : فتح خيبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن ابن أبي ليلى (وأثابَهُمْ فَتْحا قَرِيبا) قال : خيبر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأثابَهُمْ فَتْحا قَرِيبا) وهى خيبر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وأثابَهُمْ فَتْحا قَرِيبا) قال : بلغنى أنها خيبر .

وقوله (وَمَغانِمَ كَثِيرَةً يأْخُذُونَها) يقول تعالى ذكره : وأثاب الله هؤلاء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ، مع ما أكرمهم به من رضاه عنهم ، وإنزاله السكينة عليهم ، وإثابته إياهم فتحا قريبا ، معه مغانم كثيرة يأخذونها من أموال يهود خيبر ، فإن الله جعل ذلك خاصة لأهل بيعة الرضوان دون غيرهم .

وقوله (وكانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيما) يقول : وكان الله ذا عزّة فى انتقامه ممن انتقم من أعدائه ، حكيما فى تدبيره خلقه وتصريفه إياهم فيما شاء من قضائه .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً

لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾

❁ يقول تعالى ذكره لأهل بيعة الرضوان : (وَعَدَكُمُ اللهُ) أيها القوم (مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا)

❁ اختلف أهل التأويل فى هذه المغانم التى ذكر الله أنه وعدها هؤلاء القوم أىّ المغانم هى ، فقال بعضهم : هى كل مغنم غنمها الله المؤمنين به من أموال أهل الشرك من لدن أنزل هذه الآية على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا) قال : المغانم الكثيرة التى وعدوا : ما يأخذونها إلى اليوم .

وعلى هذا التأويل يحتمل الكلام أن يكون مرادا بالمغانم الثانية المغانمَ الأولى ، ويكون معناه عند ذلك : فأثابهم فتحا قريبا ، ومغانم كثيرة يأخذونها ، وعدكم الله أيها القوم هذه المغانم التى تأخذونها ، وأنتم إليها واصلون عدة ، فجعل لكم الفتح القريب من فتح خيبر . ويُحتمل أن تكون الثانية غير الأولى ، وتكون الأولى من غنائم خيبر ، والغنائم الثانية التى وعدهموها من غنائم سائر أهل الشرك سواهم .

وقال آخرون : هذه المغانم التى وعد الله هؤلاء القوم هى مغانم خيبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا) قال : يوم خيبر ، قال : كان أبى يقول ذلك .

وقوله (فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ) اختلف أهل التأويل فى التى عجلت لهم ، فقال جماعة : غنائم خيبر والمؤخرة سائر فتوح المسلمين بعد ذلك الوقت إلى قيام الساعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ) قال : عجل لكم خيبر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ) وهى خيبر

وقال آخرون : بل عنى بذلك الصلح الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ) قال : الصلح .

❊ وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب ماقاله مجاهد ، وهو أن الذى أثابهم الله من مسيرهم ذلك مع الفتح القريب المغانم الكثيرة من مغانم خيبر ، وذلك أن المسلمين لم يغنموا بعد الحديبية غنيمة ، ولم يفتحوا فتحا أقرب من بيعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية إليها من فتح خيبر وغنائمها .

وأما قوله (وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً) فهى سائر المغانم التى غنمهموها الله بعد خيبر ، كغنائم هوازن ، وغطفان ، وفارس ، والروم .

وإنما قلنا ذلك كذلك دون غنائم خيبر ، لأن الله أخبر أنه عجّل لهم هذه التى أثابهم من مسيرهم الذى ساروه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة . ولما علم من صحة نيتهم فى قتال أهلها . إذ بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على أن لايفرّوا عنه . ولا شكّ أن التى عجّلت لهم غير التى لم تُعجّل لهم .

وقوله (وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ) يقول تعالى ذكره لأهل بيعة الرضوان : وكفّ الله أيدى المشركين عنكم .

ثم اختلف أهل التأويل فى الذين كفّت أيديهم عنهم من هم ؟ فقال بعضهم : هم اليهود كفّ الله أيديهم عن عيال الذين ساروا من المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ) : عن بيوتهم ، وعن عيالهم بالمدينة حين ساروا إلى الحديبية وإلى خيبر ، وكانت خيبر فى ذلك الوجه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ) قال : كفّ أيدى الناس عن عيالهم بالمدينة .

وقال آخرون : بل عنى بذلك أيدى قريش إذ حبسهم الله عنهم ، فلم يقدروا له على مكروه .

والذى قاله قتادة فى ذلك عندى أشبه بتأويل الآية ، وذلك أن كفّ الله أيدى المشركين من أهل مكة عن أهل الحُديبية قد ذكره الله بعد هذه الآية فى قوله (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ) فعلم بذلك أن الكفّ الذى ذكره الله تعالى فى قوله (وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ) غير الكفّ الذى ذكر الله بعد هذه الآية فى قوله (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ، وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ) :

وقوله (وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول : وليكون كفه تعالى ذكره أيديهم عن عيالهم آية وعبرة للمؤمنين به فيعلموا أن الله هو المتولى حياطتهم وكلاءتهم فى مشهدهم ومغيبهم ، ويتقوا الله فى أنفسهم وأموالهم وأهليهم بالحفظ وحُسن الولاية ماكانوا مقيمين على طاعته ، منتهين إلى أمره ونهيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ)

يحيى بن سعيد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، أن أباهريرة أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتى يَقُولُوا لاإلَهَ إلاَّ اللهُ ، فَمَنْ قال لا إلَه إلاَّ اللهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّى مالَهُ وَنَفْسَهُ إلاَّ بِحَقِّهِ وَحِسابُهُ على الله » . وأنزل الله فى كتابه ، فذكر قوما استكبروا فقال : (إنَّهُمْ كانُوا إذا قِيلَ لَهُمْ لاإلَهَ إلاَّ اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ) وقال الله : (إذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فى قُلُوبِهِم الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجاهِلِيَّةِ ، فأنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَعَلى المُؤْمِنِينَ وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ، وكانُوا أحَقَّ بِها وأهْلَها) وهى لاإله إلا الله محمد رسول الله ، استكبر عنها المشركون يوم الحُدَيْبية ، يوم كاتبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قضية المدّة .

و « إذ » من قوله (إذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا) من صلة قوله : لعذّبنا . وتأويل الكلام : لعذّبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما ، حين جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية ، والحمية فعيلة من قول القائل : حمى فلان أنفه حمية ومحمية ؛ ومنه قول المتلمس :

ألا إنَّنِي مِنْهُمْ وَعِرْضِي عِرْضُهُمْ كَذا الرأس يَحْمِى أنْفَهُ أنْ يُكَشَّما[1]

يعنى بقوله : « يحمى » : يمنع . وقال (حَمِيَّةَ الجاهِلِيَّةِ) لأن الذى فعلوا من ذلك كان جميعه من أخلاق أهل الكفر ، ولم يكن شىء منه مما أذن الله لهم به ، ولا أحد من رسله .

وقوله (فأنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَعَلى المُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره فأنزل الله الصبر والطمأنينة والوقار على رسوله وعلى المؤمنين ، إذ حمى الذين كفروا حمية الجاهلية ، ومنعوهم من الطواف بالبيت ، وأبوا أن يكتبوا فى الكتاب بينه وبينهم بسم الله الرحمن الرحيم ، ومحمد رسول الله (وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) يقال : ألزمهم قول لاإله إلا الله التى يتقون بها النار ، وأليم العذاب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف فى ذلك منهم ، ورُوِى به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر قائلى ذلك بما قلنا فيه ، والخبر الذى ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

حدثنا الحسن بن قزعة الباهلى ، قال : ثنا سفيان بن حبيب ، قال : ثنا شعبة ، عن ثور بن أبى فاختة ، عن أبيه ، عن الطفيل ، عن أبيه ، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « (وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال : لاإلَهَ إلاَّ اللهُ » :

حدثنى محمد بن خالد بن خداش العَتَكِىّ ، قال : سمعت سالما ، سمع شعبة ، سمع سَلَمة بن كُهَيل ، سمع عباية ، سمع عليا رضى الله عنه فى قوله (وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال : لاإله إلا الله .

حدثنى ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن سلمة ، عن عباية بن ربعى ، عن علىّ رضى الله عنه ، فى قوله (وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال : لاإله إلاّ الله ، والله أكبر .

---

(١) البيت للمتلمس جرير بن عبد المسيح (شعراء النصرانية ٣٣٨) وكشم أنفه يكشمه (كيضربه) كشما : قطعه مستأصلا له . ويقال : حمى فلان أنفه يحميه حمية ومحمية . وفلان ذو حمية منكرة : إذا كان ذا غضب وأنفة . وقد استشهد به المؤلف عند قوله تعالى « إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية » وهى مصدر على فعيلة ، بمعنى الأنفة .

يقول : وذلك آية للمؤمنين ، كفّ أيدى الناس عن عيالهم ((وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) يقول: ويسدّدكم أيها المؤمنون طريقا واضحا لا اعوجاج فيه ، فيبينه لكم ، وهو أن تثقوا فى أموركم كلها بربكم ، فتتوكلوا عليه فى جميعها ، ليحوطكم حياطته إياكم فى مسيركم إلى مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أنفسكم وأهليكم وأموالكم ، فقد رأيتم أثر فعل الله بكم ، إذ وثقتم فى مسيركم هذا .

وقوله (وأُخْرَى لم تَقْدِروا عليها قَدْ أحاطَ اللهُ بِهَا) يقول تعالى ذكره ووعدكم أيها القوم ربكم فتح بلدة أخرى لم تقدروا على فتحها ، قد أحاط الله بها لكم حتى يفتحها لكم .

واختلف أهل التأويل فى هذه البلدة الأخرى ، والقرية الأخرى التى وعدهم فتحها ، التى أخبرهم أنه محيط بها ، فقال بعضهم : هى أرض فارس والروم ، وما يفتحه المسلمون من البلاد إلى قيام الساعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدىّ ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك الحنفىّ ، قال : سمعت ابن عباس يقول : (وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) فارس والروم .

قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن ابن أبى ليلى أنه قال فى هذه الآية : (وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) قال : فارس والروم .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال : ثنا زيد بن حباب ، قال : ثنا شعبة بن الحجّاج ، عن الحكم ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى مثله .

حدثنا بشر ، قال ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أحاطَ اللهُ بِها) قال : حدّث عن الحسن ، قال : هى فارس والروم

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) ما فتحوا حتى اليوم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، فى قوله (وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) قال : فارس والروم .

وقال آخرون : بل هى خيبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) . . . الآية ، قال : هى خيبر .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ ، يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ، يقول فى قوله (وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أحاطَ اللهُ بِها) يعنى خيبر ، بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، فقال : لاتُمَثِّلُوا وَلا تَغُلُّوا ، وَلا تَقْتُلُوا وَلِيدًا .

حدثني محمد بن عيسى الدامغاني ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سفيان وشعبة ، عن سلمة بن كهيل ، عن رجل ، عن عليّ رضي الله عنه قال : لاإله إلا الله ، والله أكبر .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، عن شعبة ، عن سلمة ، عن عبايه ، عن رجل من بنى تميم عن عليّ رضي الله عنه (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال : لاإله إلا الله .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) يقول : شهادة أن لاإله إلا الله ، فهى كلمة التقوى ، يقول : فهى رأس التقوى .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت أبا إسحاق يحدّث عن عمرو ابن ميمون أنه كان يقول فى هذه الآية (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال : لاإله إلا الله .

حدثني محمد بن عيسى ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قال : أخبرنى سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو ابن ميمون ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال : لاإله إلا الله .

قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال : لاإله إلا الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) وهى : شهادة أن لاإله إلا الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال : هى لاإله إلا الله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) هى لاإله إلا الله .

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، فى قوله (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال : شهادة أن لاإله إلا الله .

حدثني ابن البرقىّ ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن عطاء الخراسانىّ (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال : لاإله إلا الله محمد رسول الله .

حدثني الصوارىّ محمد بن إسماعيل ، قال : ثنا محمد بن سوار ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن يزيد ابن أبى خالد المكى ، عن عليّ الأزدىّ ، قال : كنت مع ابن عمر بين مكة ومنى بالمأزمين ، فسمع الناس يقولون : لاإله إلا الله ، والله أكبر ، فقال : هى هى ، فقلت : ما هى ؟ قال (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) الإخلاص (وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا) .

وقال آخرون : بل : هى كلمة التقوى ، للإخلاص :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، في قوله (وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا) قال : خيبر ، قال : لم يكونوا يذكرونها ولا يرجونها حتى أخبرهم الله بها

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) يعني أهل خيبر ،

وقال آخرون : بل هي مكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا) كنا نحدّث أنها مكة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) قال : بلغنا أنها مكة .

وهذا القول الذي قاله قتادة أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل ؛ وذلك أن الله أخبر هؤلاء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ، أنه محيط بقرية لم يقدروا عليها ؛ ومعقولٌ أنه لا يقال لقوم لم يقدروا على هذه المدينة ، إلا أن يكونوا قد راموها فتعذّرت عليهم ؛ فأما وهم لم يروموها فتتعذّر عليهم فلا يقال : إنهم لم يقدروا عليها .

فإذ كان ذلك كذلك ، وكان معلوما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقصد قبل نزول هذه الآية عليه خيبر لحرب ، ولا وجه إليها لقتال أهلها جيشا ولا سرية ، علم أن المعنيّ بقوله (وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) غيرها ، وأنها هي التي قد عالجها ورامها ، فتعذّرت فكانت مكة وأهلها كذلك ، وأخبر الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه أحاط بها وبأهلها ، وأنه فاتحها عليهم ، وكان الله على كلّ ما يشاء من الأشياء ذا قُدرة ، لا يتعذّر عليه شيء شاءه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۞

۞ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أهل بيعة الرضوان : (وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله أيها المؤمنون بمكة (لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ) يقول : لانهزموا عنكم ، فولوكم أعجازهم ، وكذلك يفعل المنهزم من قرنه في الحرب (ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) يقول : ثم لا يجد هؤلاء الكفار المنهزمون عنكم ، المولوكم الأدبار ، وليا يواليهم على حربكم ، ولا نصيرا ينصرهم عليكم ، لأن الله تعالى ذكره معكم ، ولن يغلب حزب الله ناصره .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ بن الحسين الأزديّ ، قال : ثنا يحيي بن يمان ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (وأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال : الإخلاص .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (كَلِمَةَ التَّقْوَى) كلمة الإخلاص .

وقال آخرون : هي قوله : بسم الله الرحمن الرحيم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عيسى ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهريّ ، في قوله (وأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال : بسم الله الرحمن الرحيم .

وقال آخرون : هي قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : أخبرنا ابن جُرَيج ، عن مجاهد وعطاء « وأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال : أحدهما الإخلاص ، وقال الآخر : كلمة التقوى : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له المُلك وله الحمد ، وهو على كلّ شيء قدير » .

وقوله (وكانُوا أَحَقَّ بِها وأَهْلَها) يقول تعالى ذكره : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم : والمؤمنون أحقّ بكلمة التقوى من المشركين وأهلها : يقول : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أهل كلمة التقوى دون المشركين .

وذُكر أنها في قراءة عبد الله (وكانُوا أَهْلَها وأَحَقَّ بِها) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وكانُوا أَحَقَّ بِها وأَهْلَها) وكان المسلمون أحقّ بها ، وكانوا أهلها : أي التوحيد ، وشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله .

وقوله (وكانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) يقول تعالى ذكره : ولم يزل الله بكل شيء ذا علم ، لا يخفى عليه شيء هو كائن ، ولعلمه أيها الناس بما يحدث من دخولكم مكة وبها رجال مؤمنون ، ونساء مؤمنات لم تعلموهم ، لم يأذن لكم بدخولكم مكة في سفرتكم هذه .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ) يعنى كفار قريش ، قال الله : « ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا » ينصرهم من الله .

وقوله (سُنَّةَ اللهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ) يقول تعالى ذكره : لو قاتلكم هؤلاء الكفار من قريش ، لخذلهم الله حتى يهزمهم عنكم خذلانه أمثالهم من أهل الكفر به ، الذين قاتلوا أولياءه من الأمم الذين مضوا قبلهم . وأخرج قوله (سُنَّةَ اللهِ) نصبا من غير لفظه ، وذلك أن فى قوله (لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا) معنى سننت فيهم الهزيمة والخذلان ، فلذلك قيل : (سُنَّةَ اللهِ) مصدرا من معنى الكلام لا من لفظه ، وقد يجوز أن تكون تفسيرا لما قبلها من الكلام .

وقوله (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلا) يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولن تجد يا محمد لسنة الله التى سنها فى خلقه تغييرا ، بل ذلك دائم للإحسان جزاءه من الإحسان ، وللإساءة والكفر العقاب والنكال

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره لرسوله صلى الله عليه وسلم : والذين بايعوا بيعة الرضوان ، (وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ) يعنى أن الله كفّ أيدى المشركين الذين كانوا خرجوا على عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالحديبية يلتمسون غِرَّتَهُمْ ليصيبوا منهم ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى بهم أسرى ، فخلى عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنّ عليهم ولم يقتلهم فقال الله للمؤمنين : وهو الذى كفّ أيدى هؤلاء المشركين عنكم ، وأيديكم عنهم ببطن مكة ، من بعد أن أظفركم عليهم ، وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاءت الآثار .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا محمد بن علىّ بن الحسن بن شقيق ، قال : سمعت أبى يقول : أخبرنا الحسين بن واقد ، قال : ثنى ثابت البنانى ، عن عبد الله بن مغفل ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا فى أصل شجرة بالحُدَيبية ، وعلى ظهره غصن من أغصان الشجرة فرفعها عن ظهره ، وعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بين يديه وسهيل بن عمرو ، وهو صاحب المشركين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلىّ : اكْتُبْ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، فأمسك سُهَيل بيده ، فقال : ما نعرف الرحمن ، اكتب فى قضيتنا ما نعرف ،

يقول تعالى ذكره : لقد صدق الله رسوله محمدا رؤياه التي أراها إياه أنه يدخل هو وأصحابه بيت الله الحرام آمنين ، لايخافون أهل الشرك ، مقصِّرا بعضهم رأسه ، ومحلِّقا بعضهم .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بالحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إنْ شاءَ اللهِ آمِنِينَ) قال هو دخول محمد صلى الله عليه وسلم البيت والمؤمنون ، محلقين رءوسهم ومقصرين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (الرُّؤْيا بالحَقِّ) قال : أُرِيَ بالحُديبية أنه يدخل مكة وأصحابه محلقين ، فقال أصحابه حين نحر بالحُديبية : أين رؤيا محمد صلى الله عليه وسلم ؟

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بالحَقِّ) قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يطوف بالبيت وأصحابه ، فصدّق الله رؤياه ، فقال : (لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ) . . . حتى بلغ (لا تَخافُونَ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بالحَقِّ) قال : أُرِيَ في المنام أنهم يدخلون المسجد الحرام ، وأنهم آمنون محلِّقين رءوسهم ومقصِّرين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بالحَقِّ) . . إلى آخر الآية . قال : قال لهم النبيّ صلى الله عليه وسلم : « إنّي قَدْ رَأَيْتُ أنَّكُمْ سَتَدْخُلُونَ المَسْجِدَ الحَرَامَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ فلما نزل بالحُديبية ولم يدخل ذلك العام طعن المنافقون في ذلك ، فقالوا : أين رؤياه ؟ فقال الله (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بالحَقِّ) فقرأ حتى بلغ (وَمُقَصِّرِينَ لا تَخافُونَ) إني لم أره يدخلها هذا العام ، وليكونَنَّ ذلك » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بالحَقِّ) . . . إلى قوله (إنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ) لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أريها أنه سيدخل مكة آمنا لايخاف ، يقول : محلقين ومقصرين لاتخافون .

وقوله (فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا) يقول تعالى ذكره : فعلم الله جلّ ثناؤه مالم تعلموا ، وذلك علمه تعالى ذكره بما بمكة من الرجال والنساء المؤمنين ، الذين لم يعلمهم المؤمنون ، ولو دخلوها في ذلك العام لوطئوهم بالخيل والرَّجل ، فأصابتهم منهم معرّة بغير علم ، فردّهم الله عن مكة من أجل ذلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكْتُبْ باسْمِكَ اللّهُم ، فكتب ، فقال : هذا ما صالح محمد رسول الله أهل مكة ، فأمسك سهيل بيده ، فقال : لقد ظلمناك إن كنت رسولا ، اكتب فى قضيتنا ما نعرف قال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وأنا رسول الله ، فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح ، فثاروا فى وجوهنا ، فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ الله بأبصارهم ، فقمنا إليهم فأخذناهم ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : هَلْ خَرَجْتُمْ فى أمان أحَد . قال : فخلى عنهم ، قال : فأنزل الله (وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أيْدِيَهُم عَنْكُمْ وأيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أنْ أظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ).

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن ثابت ، عن عبد الله بن مغفل ، قال : كنا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم بالحُديبية فى أصل الشجرة التى قال الله فى القرآن ، وكان غصن من أغصان تلك الشجرة على ظهر النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فرفعته عن ظهره ، ثم ذكر نحو حديث محمد بن علىّ ، عن أبيه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق قال : ثنى من لا أتهم ، عن عكرمة ، مولى ابن عباس ، أن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين ، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليصيبوا من أصحابه أحدا ، فأخذوا أخذا . فأُتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعفا عنهم ، وخلىّ سبيلهم ، وقد كانوا رموا فى عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل . قال ابن حميد ، قال سلمة ، قال ابن إسحاق : ففى ذلك قال : (وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ) . . . الآية .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : أقبل معتمرا نبى الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ أصحابه ناسا من أهل الحرم غافلين ، فأرسلهم النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فذلك الإظفار ببطن مكة .

حدثنا محمد بن سنان القزّاز ، قال : ثنا عبيد الله ابن عائشة ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك أن ثمانين رجلا من أهل مكة ، هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الفجر ليقتلوهم ، فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقهم ، فأنزل الله (وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ) . . . إلى آخر الآية .

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : (وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ) . . . الآية ، قال : بطن مكة الحديبية [1] يقال له زهم : اطلع الثنية من الحديبية ، فرماه المشركون بسهم فقتلوه ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا ، فأتوه باثنى عشر فارسا من الكفار ، فقال لهم نبىّ الله صلى الله عليه وسلم : هل لكم علىّ عهد ؟ هل

(١) لعل فيه سقطا . وفى ابن كثير عن قتادة : « ذكر لنا أن رجلا يقال له ابن زنيم اطلع على الثنية الخ » .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا) قال : ردّه لمكان من بين أظهرهم من المؤمنين والمؤمنات ، وأخره ليدخل الله فى رحمته من يشاء من يريد أن يهديه :

وقوله (فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلكَ فَتْحا قَرِيبا) اختلف أهل التأويل فى الفتح القريب ، الذى جعله الله للمؤمنين دون دخولهم المسجد الحرام محلِّقين رءوسهم ومقصِّرين ، فقال بعضهم : هو الصلح الذى جرى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين مشركى قريش .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ دُونِ ذلكَ فَتْحا قَرِيبا) قال : النحر بالحُديبية ، ورجعوا فافتتحوا خَيبر ، ثم اعتمر بعد ذلك ، فكان تصديق رؤياه فى السنة القابلة .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرىّ ، قوله (فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلكَ فَتْحا قَرِيبا) يعنى : صلح الحُديبية ، وما فتح فى الإسلام فتح كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ؛ فلما كانت الهدنة وضعت الحرب ، وأمن الناس كلهم بعضهم بعضا ، فالتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه ، فلقد دخل فى تينك السنتين فى الإسلام مثل من كان فى الإسلام قبل ذلك وأكثر .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلكَ فَتْحا قَرِيبا) قال : صلح الحُديبية .

وقال آخرون : عنى بالفتح القريب فى هذا الموضع : فتح خيبر .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلكَ فَتْحا قَرِيبا) قال : خيبر حين رجعوا من الحُديبية ، فتحها الله عليهم ، فقسمها على أهل الحديبية كلهم إلا رجلا واحدا من الأنصار ، يقال له : أبو دجانة سماك بن خرشة ، كان قد شهد الحديبية وغاب عن خَيبر .

۞ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبر أنه جعل لرسوله والذين كانوا معه من أهل بيعة الرضوان فتحا قريبا من دون دخولهم المسجد الحرام ، ودون تصديقه رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلح الحُديبية وفتح خيبر دون ذلك ، ولم يخصص الله تعالى ذكره خبره ذلك عن فتح من ذلك دون فتح ؛ بل عمّ ذلك ، وذلك كله فتح جعله الله من دون ذلك .

۞ والصواب أن يعمه كما عمه ، فيقال : جعل الله من دون تصديقه رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدخوله وأصحابه المسجد الحرام محلِّقين رءوسهم ومقصِّرين ، لا يخافون المشركين صلح الحُديبية وفتح خيبر

لكم علىّ ذمة ، قالوا : لا ، فأرسلهم ، فأنزل الله فى ذلك القرآن (وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ) . . . إلى قوله (بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) .

وقال آخرون فى ذلك : ماحدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُمّىّ ، عن جعفر ، عن ابن أبزى ، قال : لما خرج النبىّ صلى الله عليه وسلم بالهدى ، وانتهى إلى ذى الحليفة ، قال له عمر : يانبىّ الله ، تدخل على قوم لك حرب بغير سلاح ولا كراع ، قال : فبعث إلى المدينة فلم يدع بها كراعا ولا سلاحا إلا حمله ؛ فلما دنا من مكة منعوه أن يدخل ، فسار حتى أتى منى ، فنزل بمنى ، فأتاه عينه أن عكرمة بن أبى جهل قد خرج علينا فى خمس مئة ، فقال لخالد بن الوليد : ياخالد هذا ابن عمك قد أتاك فى الخيل ، فقال خالد : أنا سيف الله وسيف رسوله ، فيومئذ سمى سيف الله يارسول الله ، ارم بى حيث شئت ، فبعثه على خيل ، فلقى عكرمة فى الشعب فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ، ثم عاد فى الثانية فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ، ثم عاد فى الثالثة حتى أدخله حيطان مكة ، فأنزل الله (وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ) . . . إلى قوله (عَذَابًا أَلِيمًا) قال : فكفّ الله النبىّ عنهم من بعد أن أظفره عليهم لبقايا من المسلمين كانوا بقوا فيها من بعد أن أظفره عليهم كراهية أن تطأهم الخيل بغير علم .

وقوله (وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) يقول تعالى ذكره : وكان الله بأعمالكم وأعمالهم بصيرا لايخفى عليه منها شىء .

القول فى تأويل قوله تعالى :

هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره : هؤلاء المشركون من قريش هم الذين جحدوا توحيد الله ، وصدّوكم أيها المؤمنون بالله عن دخول المسجد الحرام ، وصدّوا الهدى معكوفا : يقول : محبوسا عن أن يبلغ محله . فوضع « أن » نصب لتعلقه إن شئت بمعكوف ، وإن شئت بصدّوا . وكان بعض نحويى البصرة يقول فى ذلك : وصدّوا الهدى معكوفا كراهية أن يبلغ محله .

وعنى بقوله تعالى ذكره : (أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ) أن يبلغ محلّ نحره ، وذلك دخول الحرم ، والموضع الذى إذا صار إليه حلّ نحره ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ساق معه حين خرج إلى مكة فى سفرته تلك سبعين بدنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن محمد بن مسلم الزهرى ، عن عروة ابن الزبير ، عن المِسْوَر بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدّثاه ، قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾

❊ يعني تعالى ذكره بقوله (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ) الذى أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالبيان الواضح ، وَدِين الحق ، وهو الإسلام ؛ الذى أرسله داعيا خلقه إليه (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) يقول : ليبطل به الملل كلها ، حتى لايكون دين سواه ، وذلك كان كذلك حتى ينزل عيسى بن مريم ، فيقتل الدجال ، فحينئذ تبطل الأديان كلها ، غير دين الله الذى بعث به محمدا صلى الله عليه وسلم ، ويظهر الإسلام على الأديان كلها .

وقوله (وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا) يقول جلّ ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم : أشهدك يامحمد ربك على نفسه ، أنه سيظهر الدين الذى بعثك به (وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا) يقول : وحسبك به شاهدا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو بكر الهُذَلىّ ، عن الحسن (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا) يقول : أشهد لك على نفسه أنه سيظهر دينك على الدين كله ، وهذا إعلام من الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ، والذين كرهوا الصلح يوم الحديبية من أصحابه ، أن الله فاتح عليهم مكة وغيرها من البلدان ، مسليهم بذلك عما نالهم من الكآبة والحزن ، بانصرافهم عن مكة قبل دخولهموها ، و قبل طوافهم بالبيت .

وقوله (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) يقول تعالى ذكره : محمد رسول الله وأتباعه من أصحابه الذين هم معه على دينه ، أشدّاء على الكفار ، غليظة عليهم قلوبهم ، قليلة بهم رحمتهم (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) يقول : رقيقة قلوب بعضهم لبعض ، لينة أنفسهم لهم ، هينة عليهم لهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) ألقى الله فى قلوبهم الرحمة ، بعضهم لبعض (تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّدًا) يقول : تراهم ركعا أحيانا لله فى صلاتهم سجدا أحيانا (يبتغون فضلا من الله) يقول : يلتمسون بركوعهم وسجودهم وشدتهم على الكفار ورحمة بعضهم بعضا ، فضلا من الله ، وذلك رحمته إياهم ، بأن يتفضل عليهم ، فيدخلهم جنته (وَرِضْوَانًا) يقول : وأن يرضى عنهم ربهم .

وقوله (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) يقول : علامتهم فى وجوههم من أثر السجود فى صلاتهم .

ثم اختلف أهل التأويل فى السيما الذى عناه الله فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : ذلك علامة يجعلها الله فى وجوه المؤمنين يوم القيامة ، يعرفون بها لما كان من سجودهم له فى الدنيا

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : صلاتهم تبدو فى وجوههم يوم القيامة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيدالله العتكى ، عن خالد الحنفى ، قوله (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : يعرف ذلك يوم القيامة فى وجوههم من أثر سجودهم فى الدنيا ، وهو كقوله (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ) .

حدثنى عبيد بن أسباط بن محمد ، قال : ثنا أبى ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، فى قوله : (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : مواضع السجود من وجوههم يوم القيامة أشد وجوههم بياضا .

حدثنا محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا ابن فضيل ، عن فضيل ، عن عطية ، بنحوه .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن فضيل ، عن عطية ، بنحوه .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا فضيل ، عن عطية ، مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت شبيبا يقول عن مقاتل بن حيان ، قال : (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : النور يوم القيامة .

حدثنا ابن سنان القزاز ، قال : ثنا هارون بن إسماعيل ، قال : قال علىّ بن المبارك : سمعت غير واحد عن الحسن ، فى قوله (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : بياضا فى وجوههم يوم القيامة .

وقال آخرون : بل ذلك سيما الإسلام وسمته وخشوعه ، وعنى بذلك أنه يرى من ذلك عليهم فى الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم) قال : السَّمْتُ الحَسَنُ .

قال : ثنا مجاهد ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا الحسن بن عُمارة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله (سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : أما إنه ليس بالذى تَرَوْن ، ولكنه سيما الإسلام وسَحْنته وسَمْته وخشوعه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد (سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : الخشوع والتواضع .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : الخشوع .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، فى هذه الآية (سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : السَّحْنة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : هو الخشوع ، فقلت : هو أثر السجود ، فقال : إنه يكون بين عينيه مثل ركبة العَنْز ، وهو كما شاء الله .

وقال آخرون : ذلك أثر يكون فى وجوه المصلين ، مثل أثر السَّهَر ، الذى يظهر فى الوجه مثل الكَلَف والتَّهيج والصفرة ، وما أشبه ذلك مما يظهره السهر والتعب فى الوجه ، ووجهوا التأويل فى ذلك إلى أنه سيما فى الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الحسن (سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : الصفرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : زعم الشيخ الذى كان يقصّ فى عُسر ، وقرأ (سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) فزعم أنه السَّهَر يُرى فى وجوههم .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب القُمِّىّ ، عن حفص ، عن شَمِر بن عَطية ، فى قوله (سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ) قال : تهيُّج فى الوجه من سهر الليل .

وقال آخرون : ذلك آثار ترى فى الوجه من ثَرَى الأرض ، أو نَدَى الطَّهُور .

ذكر من قال ذلك

حدثنا حَوْثرة بن محمد المِنقرى ، قال : ثنا حماد بن مسعدة ؛ وحدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير جميعا عن ثعلبة بن سهيل ، عن جعفر بن أبى المُغيرة ، عن سعيد بن جُبير ، فى قوله (سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : ثَرَى الأرض ، ونَدَى الطَّهُور .

وسلم عام الحُديبية يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالا ، وساق الهَدى معه سبعين بدنة وكان الناس سبعَ مئة رجل ، فكانت كلّ بدنة عن عشرة .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَالْهَدْىَ مَعْكُوفا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله(هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْىَ مَعْكُوفا) : أى محبوسا (أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ) وأقبل نبىّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه معتمرين فى ذى القعدة ، ومعهم الهدى ، حتى إذا كانوا بالحُديبية ، صدّهم المشركون ، فصالحهم نبىّ الله صلى الله عليه وسلم على أن يرجع من عامه ذلك ، ثم يرجع من العام المقبل ، فيكون بمكة ثلاث ليال ، ولا يدخلها إلا بسلاح الراكب ، ولا يخرج بأحد من أهلها ، فنحروا الهدى ، وحلقوا ، وقصّروا ، حتى إذا كان من العام المقبل ، أقبل نبىّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى دخلوا مكة معتمرين فى ذى القعدة ، فأقام بها ثلاث ليال ، وكان المشركون قد فجروا عليه حين ردّوه ، فأقصه الله منهم فأدخله مكة فى ذلك الشهر الذى كانوا ردّوه فيه ، فأنزل الله (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ) .

حدثنى محمد بن عمارة الأسدىّ وأحمد بن منصور الرمادى . واللفظ لابن عمارة ، قالا : حدثنا عبيدالله ابن موسى ، قال : أخبرنا موسى بن عبيدة ، عن إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، قال : بعثت قريش سُهَيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العُزّى ، وحفص بن فلان إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ليصالحوه فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم سُهَيل بن عمرو ، قال : قد سهّل الله لكم من أمركم ، القوم ماتُّون إليكم بأرحامهم وسائلوكم الصلح ، فابعثوا الهَدى ، وأظهروا التلبية ، لعلّ ذلك يلين قلوبهم ، فلبوا من نواحي العسكر حتى ارتجّت أصواتهم بالتَّلبية ، فجاءوا فسألوه الصلح ؛ قال : فبينما الناس قد توادعوا وفى المسلمين ناس من المشركين ، قال : فقيل به أبو سفيان ؛ قال : وإذا الوادى يسيل بالرجال ؛ قال : قال إياس ، قال سلمة : فجئت بستة من المشركين متسلحين أسوقهم ، لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرّا ، فأتيت بهم النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فلم يسلب ولم يقتل وعفا ؛ قال : فشددنا على من فى أيدى المشركين منا ، فما تركنا فى أيديهم منا رجلا إلا استنقذناه ؛ قال : وغلبنا على من فى أيدينا منهم ؛ ثم إن قريشا بعثوا سُهَيل بن عمرو ، وحويطبا ، فولوا صلحهم ، وبعث النبىّ صلى الله عليه وسلم عليا فى صلحه ؛ فكتب علىّ بينهم : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ، صالحهم على أنه لا إهلال ولا امتلال ، وعلى أنه من قدِم مكة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حاجا أو معتمرا ، أو يبتغى من فضل الله ، فهو آمن على دمه وماله ؛ ومن قدِم المدينة من قريش مجتازا إلى مصر أو إلى الشام يبتغى من فضل الله ، فهو آمن على دمه وماله ؛ وعلى أنه من جاء محمدا صلى الله عليه وسلم من قريش فهو

حدثنا ابن سنان القزّاز ، قال : ثنا هارون بن إسماعيل ، قال : ثنا علىّ بن المبارك ، قال : ثنا مالك ابن دينار ، قال : سمعت عكرمة يقول (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : هو أثر التراب

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم فى وجوههم من أثر السجود ، ولم يخصّ ذلك على وقت دون وقت . وإذ كان ذلك كذلك ، فذلك على كلّ الأوقات ، فكان سيماهم الذى كانوا يعرفون به فى الدنيا أثر الإسلام ، وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته ، وآثار أداء فرائضه وتطوّعه ، وفى الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به ، وذلك الغرّة فى الوجه والتحجيل فى الأيدى والأرجل من أثر الوضوء ، وبياض الوجوه من أثر السجود .

وبنحو الذى قلنا فى معنى السيما قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) يقول : علامتهم أو أعلمتهم الصلاة .

وقوله (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ) يقول : هذه الصفة التى وصفت لكم من صفة أتباع محمد صلى الله عليه وسلم الذين معه صفتهم فى التوراة .

وقوله (وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) يقول : وصفتهم فى إنجيل عيسى صفة زرع أخرج شطأه ، وهو فراخه ، يقال منه : قد أشطأ الزرع : إذا فرّخ فهو يشطئ إشطاء ، وإنما مثلهم بالزرع المشطئ ، لأنهم ابتدءوا فى الدخول فى الإسلام ، وهم عدد قليلون ، ثم جعلوا يتزايدون ، ويدخل فيه الجماعة بعدهم ، ثم الجماعة بعد الجماعة ، حتى كثر عددهم ، كما يحدث فى أصل الزرع الفرخ منه ، ثم الفرخ بعده حتى يكثر وينمى .

وبنحو الذى قلنا ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ) أصحابه مثلهم ، يعنى نعتهم مكتوبا فى التوراة والإنجيل قبل أن يخلق السموات والأرض .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، عن الضحاك (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ) . . . إلى قوله (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ) ثم قال (وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) . . . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ذلك (مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ) : أى هذا المثل فى التوراة (وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) فهذا مثل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الإنجيل .

إليهم رُدَّ ، ومن جاءهم من أصحاب محمد فهو لهم . فاشتدّ ذلك على المسلمين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ جاءَهُمْ مِنَّا فأبْعَدَهُ اللهُ ، وَمَنْ جاءَنا مِنْهُمْ فَرَدَدْناه إلَيْهِمْ فَعَلِمَ اللهُ الإسْلامَ مِنْ نَفْسِهِ ، جَعَلَ لَهُ مَخْرَجا . فصالحوه على أنه يعتمر فى عام قابل فى هذا الشهر ، لا يدخل علينا بخيل ولا سلاح ، إلا ما يحمل المسافر فى قرابه ، يثوى فينا ثلاث ليال ، وعلى أن هذا الهَدْى حيثما حبسناه محلّه لا يقدمه علينا . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : نَحْنُ نَسُوقُهُ وأنْتُمْ تَرُدُونَ وُجُوهَهُ ، فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الهدى وسار الناس » .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا موسى ، قال : أخبرنى أبو مُرّة مولى أمّ هانئ ، عن ابن عمر ، قال : « كان الهدى دون الجبال التى تطلع على وادى الثنية عرض له المشركون ، فردّوا وجوهه ؛ قال : فنحر النبىّ صلى الله عليه وسلم الهدى حين حبسوه ، وهى الحُديبية ، وحلق ، وتأسّى به أُناس حين رأوه حلق ، وتربّص آخرون ، فقالوا : لعلنا نطوف بالبيت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رَحِمَ اللهُ المُحَلِّقِينَ ، قيل : والمقصرين ، قال : رَحِمَ اللهُ المُحَلِّقِينَ ، قيل : والمقصرين ، قال : والمُقَصِّرينَ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمر بن ذَرّ الهمدانى ، عن مجاهد « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم اعتمر ثلاث عمر ، كلها فى ذى القعدة ، يرجع فى كلها إلى المدينة ، منها العمرة التى صدّ فيها الهدى ، فنحره فى محله ، عند الشجرة ، وشارطوه أن يأتى فى العام المقبل معتمرا ، فيدخل مكة ، فيطوف بالبيت ثلاثة أيام ، ثم يخرج ، ولا يحبسون عنه أحدا قدم معه ، ولا يخرج من مكة بأحد كان فيها قبل قدومه من المسلمين ؛ فلما كان من العام المقبل دخل مكة ، فأقام بها ثلاثا يطوف بالبيت ؛ فلما كان اليوم الثالث قريبا من الظهر ، أرسلوا إليه : إن قومك قد آذاهم مقامك ، فنُودى فى الناس : لا تغرب الشمس وفيها أحد من المسلمين قَدِم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور ابن مخرمة ، قال : خرج النبىّ صلى الله عليه وسلم زمن الحُديبية فى بضع عشرة مئة من أصحابه ، حتى إذا كانوا بذى الحليفة قلّد الهدى وأشعره ، وأحرم بالعمرة ، وبعث بين يديه عينا له من خُزاعة يخبره عن قريش ، وسار النبىّ صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بغدير الأشطاط قريبا من قُعَيْقعان ، أتاه عينه الخزاعىّ ، فقال : إنى تركت كعب بن لؤىّ وعامر بن لؤىّ قد جمعوا لك الأحابيش ، وجمعوا لك جموعا ، وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشِيرُوا عَلَىَّ ، أتَرَوْنَ أنْ نَمِيلَ على ذَرَارِى هَؤُلاءِ الَّذِينَ أعانُوهُمْ فَنُصِيبَهُمْ ، فإنْ قَعَدُوا قَعَدُوا مَوْتُورِينَ مَحْزُونِينَ وإنْ لَحُوا تَكُنْ عُنُقا قَطَعَها اللهُ ؟ أمْ تَرَوْنَ أنَّا نَؤُمُّ البَيْتَ ، فَمَنْ صَدَّنا عَنْهُ قاتَلْناهُ ؟ فقام أبو بكر رضى الله عنه فقال : يا رسول الله : إنا لم نأت لقتال أحد ، ولكن من حالَ بيننا وبين البيت قاتلناه ؛ فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : فَرَوِّحُوا إذًا ؛ وكان أبو هريرة يقول : ما رأيت أحدا قط كان أكثر

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ)

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ) يعنى السيما فى الوجوه مثلهم فى التوراة ، وليس بمثلهم فى الإنجيل ، ثم قال عزّ وجلّ : (وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) . . . الآية ، هذا مثلهم فى الإنجيل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك فى قول الله : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ) . . . الآية ، قال : هذا مثلهم فى التوراة ، ومثل آخر فى الإنجيل (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ) الآية .

وقال آخرون : هذان المثلان فى التوراة والإنجيل مثلهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ) والإنجيل واحد .

وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : مثلهم فى التوراة ، غير مثلهم فى الإنجيل ، وإن الخبر عن مثلهم فى التوراة متناه عند قوله (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ) وذلك أن القول لو كان كما قال مجاهد من أن مثلهم فى التوراة والإنجيل واحد ، لكان التنزيل : ومثلهم فى الإنجيل ، وكزرع أخرج شطأه ، فكان تمثيلهم بالزرع معطوفا على قوله (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) حتى يكون ذلك خبرا عن أن ذلك مثلهم فى التوراة والإنجيل ، وفى مجىء الكلام بغير واو فى قوله (كَزَرْعٍ) دليل بيِّن على صحة ما قلنا ، وأن قولهم (وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ) خبر مبتدأ عن صفتهم التى هى فى الإنجيل دون ما فى التوراة منها .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (أَخْرَجَ شَطْأَهُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعوديّ ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن خيثمة ، قال : بينا عبد الله يقرئ رجلا عند غروب الشمس ، إذ مرّ بهذه الآية (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) قال : أنتم الزرع ، وقد دنا حصادكم .

قال : ثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن حُميد الطويل ، قال : قرأ أنس بن مالك : (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ) قال : تدرون ما شطأه ؟ قال : نباته .

مُشاورة لأصحابه من النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : إنَّ خالِدَ بنَ الوَلِيدِ بالغَمِيمِ فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةً ، فخُذُوا ذاتَ اليَمِينِ ، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هو بقَتَرة الجيش ، فانطلق يركض نذيرا لقريش ، وسار النبيّ صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بالثنية التى يُهْبَط عليهم منها ، بركت به راحلته ؛ فقال الناس: حَلْ حَلْ[1] ، فقال: حَلْ ؟ فقالوا: خَلأَتِ القَصْواء[2] ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: ماخَلأَتْ وَما ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ ، ولَكِنَّها حَبَسَها حابِسُ الفِيلِ ، ثم قال : والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَسألُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ بِها حُرُماتِ اللهِ إلاَّ أعْطَيْتُهُمْ إيَّاها ، ثم زُجِرت فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحُديبية على ثمد قليل الماء ، إنما يتبرّضه الناس تبرّضا ، فلم يلبث الناس أن نزجوه ، فشُكِي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش ، فنزع سهما من كنانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش لهم بالرِّيّ حتى صدروا عنه ، فبينما هم كذلك جاء بُدَيل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من خُزاعة ، وكانوا عَيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة ، فقال : إنى تركت كعب بن لُؤَيّ ، وعامر بن لُؤَيّ ، قد نزلوا أعداد مياه الحُديبية معهم العوذ المطافيل ، وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « إنَّا لَمْ نأْتِ لِقِتالِ أحَدٍ ، ولَكِنَّا جِئْنا مُعْتَمِرِينَ ، وإنَّ قُرَيْشا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الحَرْبُ ، وأضَرَّتْ بِهِمْ ، فإنْ شاءُوا مادَدْناهُمْ مُدَّةً ، ويُخَلُّوا بَيْنِي وبَيْنَ النَّاسِ ، فإنْ أظْهَرْ فإنْ شاءُوا أنْ يَدْخُلُوا فِيما دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا ، وإلاَّ فَقَدْ جَمُّوا ، وإنْ هُمْ أبَوْا فَوَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ لأُقاتِلَنَّهُمْ عَلَى أمْرِي هَذَا حتى تَنْفَرِدَ سالِفَتِي ، أوْ لَيُنْفِذَنَّ اللهُ أمْرَهُ ، فقال بديل: سنبلغهم ما تقول ، فانطلق حتى أتى قريشا ، فقال : إنا جئناكم من عند هذا الرجل ، وسمعناه يقول قولا ، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا ؛ قال سفهاؤهم : لا حاجة لنا فى أن تحدّثنا عنه بشىء ، وقال ذوو الرأى منهم: هات ما سمعته ؛ يقول : قال سمعته يقول كذا وكذا ، فحدثهم بما قال النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقام عُروة بن مسعود الثقفى ؛ فقال : أيْ قوم ، ألستم بالولد ؟ قالوا : بلى ؛ قال : أو لست بالوالد ؟ قالوا : بلى ؛ قال : فهل أنتم تتهمونى ؟ قالوا : لا ؛ قال : ألستم تعلمون أنى استنفرت أهل عكاظ ، فلما بلّحوا علىّ جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى ؟ قالوا : بلى ؛ قال : فإن هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ، ودعونى آته ؛ فقالوا : ائته ، فأتاه ، فجعل يكلم النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم نحوا من مقالته لبُديل ؛ فقال عروة عند ذلك : أى محمد ، أرأيت إن استأصلت قومك ، فهل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك ؟ وإن تكن الأخرى فوالله إنى لأرى وجوها وأوباشا من الناس خليقا أن يفرّوا ويدعوك ، فقال أبو بكر : امصَصْ بظر اللات ، واللاتُ : طاغية ثقيف الذى كانوا يعبدون ، أنحن نفرّ وندعه ؟ فقال : من هذا ؟ فقالوا : أبو بكر ، فقال : أما والذى نفسى بيده لولا يد

(١) حل حل : زجر للإبل وحث لها للسير .

(٢) خلأت الناقة خلأ (كفتح) : وقفت من السير . والخلاء فى الإبل : كالحران فى الخيل (اللسان : خلأ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ذلكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) قال : سنبله حين يتسلع نباته عن حباته :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) قال : هذا مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الإنجيل ، قيل لهم : إنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع ، منهم قوم يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والزهري (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) قالا : أخرج نباته .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) يعني : أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، يكونون قليلا ، ثم يزدادون ويكثرون ويستغلظون :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) أولاده ، ثم كثرت أولاده .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) قال : ما يخرج بجنب الحقلة فيتم وينمى .

وقوله (فَآزَرَهُ) يقول : فقواه : أي قوى الزرع شطأه وأعانه ، وهو من المؤازرة التي بمعنى المعاونة (فَاسْتَغْلَظَ) يقول : فغلظ الزرع (فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ) والسوق : جمع ساق ، وساق الزرع والشجر : حاملته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَآزَرَهُ) يقول : نباته مع التفافه حين يسنبل (ذلكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ) فهو مثل ضربه لأهل الكتاب إذا خرج قوم ينبتون كما ينبت الزرع فيبلغ فيهم رجال يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ثم يغلظون ، فهم أولئك الذين كانوا معهم . وهو مثل ضربه الله لمحمد صلى الله عليه وسلم يقول : بعث الله النبيّ صلى الله عليه وسلم وحده ، ثم اجتمع إليه ناس قليل يؤمنون به ، ثم يكون القليل كثيرا ، ويستغلظون ، ويغيظ الله بهم الكفار .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فَآزَرَهُ) قال : فشده وأعانه .

كانت لك عندى لم أجزك بها لأجبتك ؛ وجعل يكلم النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فكلما كلمه أخذ بلحيته ، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبيّ صلى الله عليه وسلم ومعه السيف ، وعليه المغفر ؛ فكلما أهوى عروة إلى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ضرب يده بنصل السيف ، وقال : أخِّر يدك عن لحيته . فرفع رأسه فقال : من هذا ؟ قالوا : المغيرة بن شعبة ، قال : أى غُدَرُ أو لست أسعى فى غدرتك . وكان المُغيرة ابن شعبة صحب قوما فى الجاهلية ، فقتلهم وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : أَمَّا الإسْلامُ فَقَدْ قَبِلْنَاهُ ، وأَمَّا المَالُ فإِنَّه مالُ غَدْرٍ لاحاجَةَ لَنا فيهِ . وإن عُروة جعل يرمق أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم بعينه ، فوالله إن تنخم النبيّ صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت فى كفّ رجل منهم ، فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه ؛ وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدّون النظر إليه تعظيما له ، فرجع عروة إلى أصحابه ، فقال : أى قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشيّ ، والله ما رأيت مَلِكا قطّ يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا ؛ والله إن تنخم نخامة إلا وقعت فى كفّ رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه ، وإذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم ، وما يحدّون النظر إليه تعظيما له ، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها .

فقال رجل من كنانة : دعونى آته ، فقالوا : ائته ؛ فلما أشرف على النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : هَذَا فُلانٌ ، وهو من قوم يعظمون البدن ، فابعثوها له ، فبعثت له ، واستقبله قوم يلبون ؛ فلما رأى ذلك قال سبحان الله ، ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت ؛ فقام رجل منهم يقال له مِكْرز بن حفص ، فقال : دعونى آته ، فقالوا ائته ، فلما أشرف على النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : هَذَا مِكْرِز بْنُ حَفْصٍ ، وَهُوَ رَجُلٌ فاجِرٌ ؛ فجاء فجعل يكلم النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فبينما هو يكلمه ، إذ جاء سُهَيل بن عمرو ، قال أيوب ، قال عكرمة : إنه لما جاء سُهَيل ، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : قد سهل لكم من أمركم . قال الزهرى : فجاء سهيل بن عمرو ، فقال : هات نكتب بيننا وبينك كتابا ؛ فدعا الكاتب فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : اكْتُبْ : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، فقال : ما الرحمن ؟ فوالله ما أدرى ماهو ، ولكن اكتب : باسمك اللهم كما كنت تكتب ، فقال المسلمون : والله لانكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : اكْتُبْ : باسْمِكَ اللَّهُمَّ ، ثم قال : اكْتُبْ : هَذَا ما قاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ، فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ، ولا قاتلناك ، ولكن اكتب : محمد بن عبد الله ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : وَاللهِ إنّى لَرَسُولُ اللهِ وَإنْ كَذَّبْتُمُونى ، ولَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ؛ قال الزهرى : وذلك لقوله : وَاللهِ لايَسْألُونى خُطَّةً يُعَظِّمُونَ بِها حُرُماتِ اللهِ إلاَّ أعْطَيْتُهُمْ إيَّاها ؛ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : عَلَى أنْ تُخَلُّوا بَيْنَنا وَبَيْنَ البَيْتِ ، فَنَطُوفُ بِهِ ؛ قال سُهيل : والله لاتتحدّث العرب أنا أُخِذنا ضغطة : ولكن لك من العام المقبل ، فكتب فقال سهيل ، وعلى أنه لايأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ، فقال المسلمون : سبحان الله ،

وقوله (عَلَى سُوقِهِ) قال : أصوله .

حدثني ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والزهرى (فَآزَرَهُ فاسْتَغْلَظَ فاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ) يقول : فتلاحق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَآزَرَهُ) اجتمع ذلك فالتفّ ؛ قال : وكذلك المؤمنون خرجوا وهم قليل ضعفاء ، فلم يزل الله يزيد فيهم ، ويؤيدهم بالإسلام ؛ كما أيّد هذا الزرع بأولاده ، فآزره ، فكان مثلا للمؤمنين .

حدثني عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فاسْتَغْلَظَ فاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ) يقول : حبّ برّ نثر متفرّقا ، فتنبت كلّ حبة واحدة ، ثم أنبتت كلّ واحدة منها ، حتى استغلظ فاستوى على سوقه ؛ قال : يقول : كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قليلا ، ثم كثروا ، ثم استغلظوا (لِيَغِيظَ) الله (بِهِمُ الكُفَّارَ) .

وقوله (يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ) يقول تعالى ذكره : يعجب هذا الزرعُ الذى استغلظ فاستوى على سوقه فى تمامه وحُسن نباته ، وبلوغه وانتهائه الذين زرعوهْ (لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ) يقول : فكذلك مَثل محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، واجتماع عددهم حتى كثروا ونموا ، وغلظ أمرهم كهذا الزرع الذى وصف جلّ ثناؤه صفته ، ثم قال : (لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ) فدلّ ذلك على متروك من الكلام ، وهو أن الله تعالى فعل ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليغيظ بهم الكفار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ) يقول الله : مثلهم كمثل زرع أخرج شطأه فآزره ، فاستغلظ ، فاستوى على سوقه ، حتى بلغ أحسن النبات ، يُعْجِب الزرّاع من كثرته ، وحُسن نباته .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يُعْجِبُ الزرّاعَ) قال : يعجب الزرّاع حُسنه (لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ) بالمؤمنين ، لكثرتهم ، فهذا مثلهم فى الإنجيل .

وقوله (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) يقول تعالى ذكره : وعد الله الذين صدّقوا الله ورسوله (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول : وعملوا بما أمرهم الله به من فرائضه التى أوجبها عليهم .

وقوله (مِنْهُمْ) يعنى : من الشطء الذى أخرجه الزرع ، وهم الداخلون فى الإسلام بعد الزرع الذى وصف ربنا تبارك وتعالى صفته . والهاء والميم فى قوله (مِنْهُمْ) عائدة على معنى الشطء ، لا على لفظه ، ولذلك جمع فقيل « منهم » ، ولم يقل « منه » . وإنما جمع الشطء لأنه أريد به من يدخل فى دين محمد صلى الله

وكيف يُرَدّ إلى المشركين وقد جاء مسلما ؟ فبينما هم كذلك ، إذا جاء أبوجندل بن سهيل بن عمرو يرسُف في قيوده ، قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل : هذا يامحمد أول من أقاضيك عليه أن تردّه إلينا ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : فأجِرْهُ لى ، فقال : ما أنا بمجيره لك ، قال : بلى فافعل ، قال : ما أنا بفاعل ؛ قال صاحبه مِكْرز وسهيل إلى جنبه : قد أجرناه لك ؛ فقال أبوجندل أى معاشر المسلمين ، أأُرَدّ إلى المشركين وقد جئتُ مسلما ؟ ألا ترون ما قد لقيت ؟ كان قد عُذّب عذابا شديدا فى الله .

قال عمر بن الخطاب : والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ ، فأتيت النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقلت : ألسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل ؟ قال : بلى ، قلت : فلِم نعطى الدنية فى ديننا إذن ؟ قال : إنّى رَسُولُ الله ، وَلَسْتُ أعْصِيه وَهُوَ ناصِرِى ، قلت : ألست تحدّثنا أنا سنأتى البيت ، فنطوف به ؟ قال : بَلى ، قال : فأخبرتك أنك تأتيه العام ؟ قلت : لا قال : فإنَّكَ آتِيهِ وَمُتَطَوِّفٌ بِهِ ؛ قال : ثم أتيت أبا بكر ، فقلت : أليس هذا نبيّ الله حقا ؟ قال : بلى ، قلت : ألسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل ؟ قال : بلى ، قلت : فلِم نعطى الدنية فى ديننا إذاً ؟ قال أيها الرجل إنه رسول الله ، وليس يعصِى ربه ، فاستمسك بغرزه حتى تموت ، فوالله إنه لعلى الحقّ ؛ قلت : أوليس كان يحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرك أنك تأتيه العام ؟ قال : لا ، قال : فإنك آتيه ومتطوّف به . قال الزُّهرى : قال عمر : فعملت لذلك أعمالا ؛ فلما فرغ من قصته ، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم لأصحابه : قُومُوا فانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا ، قال : فوالله ما قام منا رجل حتى قال ذلك ثلاث مرّات ؛ فلما لم يقم منهم أحد ، قام فدخل على أمّ سلمة ، فذكر لها ما لقِى من الناس ، فقالت أمّ سلمة : يا رسول الله أتحبّ ذلك ؟ اخرج ، ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك ، وتدعو حالقك فيحلقك ، فقام فخرج فلم يكلم أحدا منهم كلمة ، حتى نحر بدنه ، ودعا حالقه فحلقه ؛ فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما ؛ ثم جاءه نسوة مؤمنات ، فأنزل الله عزّ وجلّ عليه : (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ) حتى بلغ (بِعِصَمِ الكَوَافِرِ) قال : فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له فى الشرك ؛ قال : فنهاهم أن يردوهنّ ، وأمرهم أن يردّوا الصداق حينئذ ؛ قال رجل للزهريّ : أمن أجل الفروج ؟ قال : نعم ، فتزوّج إحداهما معاوية بن أبى سفيان ، والأخرى صفوان بن أمية ، ثم رجع النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فجاءه أبوبصير ، رجل من قريش ، وهو مسلم ، فأرسل فى طلبه رجلان ، فقالا : العهد الذى جعلت لنا ، فدفعه إلى الرجلين ، فخرجا به ، حتى إذا بلغا ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إنى لأرى سيفك هذا يافلان جيدا ، فاستله الآخر فقال : والله إنه لجيد ، لقد جربت به وجربت ؛ فقال أبو بصير : أرنى أنظر إليه فأمكنه منه ، فضربه به حتى برد وفرّ الآخر حتى أتى المدينة ، فدخل المسجد يعدو ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : رأى هَذَا ذُعْرًا ، فقال : والله قتل صاحبى ، وإنى والله لمقتول ، فجاء أبو بصير فقال : قد والله أوفى الله ذمتك ورددتنى

عليه وسلم إلى يوم القيامة بعد الجماعة الذين وصف الله صفتهم بقوله (وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا).

وقوله (وَمَغْفِرَةً) يعني: عفوا عما مضى من ذنوبهم، وسيئ أعمالهم بحسنها. وقوله (وأجْرًا عَظِيمًا) يعني: وثوابا جزيلا، وذلك الجنة:

آخر تفسير سورة الفتح

(٤٩) سورة الحجرات مدنية
وآياتها ثماني عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)

يعني تعالى ذكره بقوله: (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا): يا أيها الذين أقرّوا بوحدانية الله، وبنبوّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهَ وَرَسُولِهِ) يقول: لاتعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم، قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله، فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله، محكيّ عن العرب فلان يقدّم بين يدي إمامه، بمعنى يعجل بالأمر والنهي دونه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظهم بالبيان عن معناه.

ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ، قال: ثنا أبوصالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (لا تُقَدِّمُوا بينَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ) يقول: لاتقولوا خلاف الكتاب والسنة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ)... الآية قال: نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبوعاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ) قال: لاتفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضيه الله على لسانه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ لا تُقَدِّمُوا

إليهم ، ثم أغاثنى الله منهم ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « وَيْلُ امِّهِ مِسْعَرُ حَرْبٍ لَوْ كانَ لَهُ أحَدٌ » ؛ فلما سمع عرف أنه سيردّه إليهم ؛ قال : فخرج حتى أتى سيف البحر ، وتفلّت أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، فلحق بأبى بصير ، فجعل لايخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبى بصير ، حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشأم إلا اعترضوا لهم فقتلوهم ، وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم يناشدونه الله والرحم لما أرسل إليهم ، فمن أتاه فهو آمن فأنزل الله (وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ)حتى بلغ حَمِيَّةَ الجاهِلِيَّةِ وكانت حميتهم أنهم لم يقرّوا أنه نبىّ ، ولم يقرّوا ببسم الله الرحمن الرحيم ، وحالوا بينهم وبين البيت » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهرىّ ، عن عروة ، عن المسور بن مخرمة ، ومروان بن الحكم ، قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحُديبية فى بضع عشرة مئة ، ثم ذكر نحوه ، إلا أنه قال فى حديثه ، قال الزهرىّ ، فحدثنى القاسم بن محمد ، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : فأتيت النبىّ صلى الله عليه وسلم . فقلت : ألست برسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : بَلَى ، قال أيضا : وخرج أبو بصير والذين أسلموا من الذين ردّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى لحقوا بالساحل على طريق عير قريش ، فقتلوا من فيها من الكفار ، وتغنّموها ؛ فلما رأى ذلك كفار قريش ، ركب نفر منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا له : إنها لاتغنى مدتك شيئا ، ونحن نقتل وتُنهب أموالنا ؛ وإنا نسألك أن تدخل هؤلاء فى الذين أسلموا منا فى صلحك وتمنعهم ، وتحجز عنا قتالهم ، ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : (وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ) ، ثم ساق الحديث إلى آخره » ؛ نحو حديث ابن عبد الأعلى :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهرىّ ، عن عروة ابن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ، ومروان بن الحكم أنهما حدّثاه ، قالا : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحُديبية ، يريد زيارة البيت ، لايريد قتالا ، وساق معه هديه سبعين بدنة ، حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبىّ ، فقال له : يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك ، فخرجوا معهم العوذُ المطافيلُ قد لبسوا جلود النمور ، ونزلوا بذى طوى يعاهدون الله ، لاتدخلها عليهم أبدا . وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم ، قد قدموها إلى كراع الغميم ؛ قال : فقال صلى الله عليه وسلم : يا وَيْحَ قُرَيْشٍ لَقَدْ أهْلَكَتْهُمُ الحَرْبُ ، ماذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلَّوْا بَيْنِى وَبَيْنَ سائِرِ العَرَبِ فإنْ هُمْ أصابُونِى كانَ ذلكَ الَّذِى أرَادُوا ، وَإنْ أظْهَرَنِى اللهُ عَلَيْهِمْ دَخَلُوا فِى الإسْلامِ داخِرِينَ » ثم ذكر نحو حديث معمر بزيادات فيه كثيرة ، على حديث معمر تركت ذكرها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (والهَدْىَ مَعْكُوفا أنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ) قال : كان الهدى بذى طوى ، والحُديبية خارجة من الحرم ، نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غوّرت قريش عليه الماء .

بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ) ذُكر لنا أن ناسا كانوا يقولون : لو أنزل فى كذا لوضع كذا وكذا ، قال : فكره الله عزّ وجلّ ذلك ، وقدم فيه :

وقال الحسن : أناس من المسلمين ذبحوا قبل صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر ، فأمرهم نبىّ الله صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا ذبحا آخر :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ) قال : إن أُناسا كانوا يقولون : لو أنزل فى كذا ، لو أنزل فى كذا ؛ وقال الحسن : هم قوم نحروا قبل أن يصلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأمرهم النبىّ صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا الذبح .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ) يعنى بذلك فى القتال ، وكان [١] من أمورهم لايصلح أن يقضى إلا بأمره ماكان من شرائع دينهم :

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله جلّ ثناؤه : (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ) قال : لاتقطعوا الأمر دون الله ورسوله .

وحدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ) قال : لاتقضوا أمرا دون رسول الله ، وبضم التاء من قوله (لاتُقَدِّمُوا) قرأ قرّاء الأمصار ، وهى القراءة التى لا أستجيز القراءة بخلافها ، لإجماع الحجة من القرّاء عليها ، وقد حكى عن العرب قدّمت فى كذا ، وتقدّمت فى كذا ، فعلى هذه اللغة لو كان قيل : (لاتَقَدَّمُوا) بفتح التاء [٢] كان جائزا .

وقوله (وَاتَّقُوا اللهَ إنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) يقول : وخافوا الله أيها الذين آمنوا فى قولكم ، أن تقولوا مالم يأذن لكم به الله ولا رسوله ، وفى غير ذلك من أموركم ، وراقبوه ، إن الله سميع لما تقولون ، عليم بما تريدون بقولكم إذا قلتم ، لايخفى عليه شىء من ضمائر صدوركم ، وغير ذلك من أموركم وأمور غيركم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، لاترفعوا أصواتكم فوق صوت رسول الله تجهموه بالكلام ، وتغلظون له فى الخطاب (وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بالقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ) يقول : ولاتنادوه كما ينادى بعضكم بعضا : يامحمد ، يامحمد ، يا نبىّ الله ، يا نبىّ الله ، يا رسول الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

(١) كذا فى الأصل ، ولعل الصواب : وكل ماكان . . . الخ . (٢) والدال مشددة وهى قراءة مشهورة ليعقوب الحضرمى

وقوله (وَلَوْلا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ ، فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ) يقول تعالى ذكره : ولولا رجال من أهل الإيمان ونساء منهم أيها المؤمنون بالله أن تطئوهم بخيلكم ورجلكم لم تعلموهم بمكة ، وقد حبسهم المشركون بها عنكم ، فلا يستطيعون من أجل ذلك الخروج إليكم فتقتلوهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْلا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِناتٌ) . . . حتى بلغ (بِغَيْرِ عِلْمٍ) هذا حين ردّ محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن يدخلوا مكة ؛ فكان بها رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ، فكره الله أن يؤذوا أو يوطئوا بغير علم ، فتصيبكم منهم معرّة بغير علم .

واختلف أهل التأويل فى المعرّة التى عناها الله فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى بها الإثم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَوْلا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ ، فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ) قال : إثم بغير علم .

وقال آخرون : عنى بها غرم الدية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ) فتخرجوا ديته ، فأما إثم فلم يحسبه عليهم . والمعرّة : هى المفعلة من العرّ ، وهو الجرب . وإنما المعنى : فتصيبكم من قبلهم معرّة تعرّون بها ، يلزمكم من أجلها كفّارة قتل الخطأ ، وذلك عتق رقبة مؤمنة ، من أطاق ذلك ، ومن لم يطق فصيام شهرين .

وإنما اخترت هذا القول دون القول الذى قاله ابن إسحاق ، لأن الله إنما أوجب على قاتل المؤمن فى دار الحرب إذا لم يكن هاجر منها ، ولم يكن قاتله علم إيمانه الكفارة دون الدية ، فقال : (وَإِنْ كانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ) لم يوجب على قاتله خطأ ديته ، فلذلك قلنا : عنى بالمعرّة فى هذا الموضع الكفارة ، و « أن » من قوله (أَنْ تَطَئُوهُمْ) فى موضع رفع ردّا على الرجال ، لأن معنى الكلام : ولولا أن تطئوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم ، فتصيبكم منهم معرّة بغير علم لأذن الله لكم أيها المؤمنون فى دخول مكة ، ولكنه حال بينكم وبين ذلك(لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ) يقول : ليدخل الله فى الإسلام من أهل مكة من يشاء قبل أن تدخلوها ، وحذف جواب لولا استغناء بدلالة الكلام عليه .

وقوله (لَوْ تَزَيَّلُوا) يقول : لو تميز الذين فى مشركى مكة من الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات ،

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ) ، قال لا تنادوه نداء ، ولكن قولا ليا يارسول الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ) كانوا يجهرون له بالكلام ، ويرفعون أصواتهم ، فوعظهم الله ، ونهاهم عن ذلك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، كانوا يرفعون ، ويجهرون عند النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فوعظوا ، ونهوا عن ذلك .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) . . . الآية ، هو كقوله : (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا) نهاهم الله أن ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا وأمرهم أن يشرّفوه ويعظّموه ، ويدعوه إذا دعوه باسم النبوّة :

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا زيد بن حباب ، قال : ثنا أبو ثابت بن ثابت قيس بن الشماس ، قال : ثني عمي إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس ، عن أبيه ، قال : لما نزلت هذه الآية (لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ، وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ) قال : قعد ثابت في الطريق يبكي ، قال : فمرّ به عاصم بن عديّ من بني العَجلان ، فقال : مايُبكيك يا ثابت ؟ قال : لهذه الآية ، أتخوّف أن تكون نزلت فيّ ، وأنا صيت رفيع الصوت ؛ قال : فمضى عاصم بن عديّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وغلبه البكاء ، قال : فأتى امرأته جميلة ابنة عبد الله بن أُبيّ ابن سلول ، فقال لها : إذا دخلتُ بيت فرسي ، فشدّي على الضبة بمسمار ، فضربته بمسمار حتى إذا خرج عطفه وقال : لا أخرج حتى يتوفاني الله ، أو يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : وأتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره ، فقال : اذْهَبْ فادْعُهُ لي ، فجاء عاصم إلى المكان ، فلم يجده ، فجاء إلى أهله ، فوجده في بيت الفرس ، فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك ، فقال : اكسر الضَّبة ، قال : فخرجا فأتيا نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يُبْكِيكَ يا ثابِتُ ؟ فقال : أنا صيت ، وأتخوّف أن تكون هذه الآية نزلت فيّ (لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ، وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما تَرْضَى أنْ تَعِيشَ حَمِيدًا ، وَتُقْتَلَ شَهِيدًا ، وَتَدْخُلَ الجَنَّةَ ؟ فقال : رضيت ببُشرى الله ورسوله ، لا أرفع صوتي أبدا على رسول الله ، فأنزل الله (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى) . . . الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص ، عن شمر بن عطية ، قال : جاء ثابت بن قيس بن الشماس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محزون ، فقال : يا ثابت ما الذي أرى بك ؟ فقال : آية قرأتها الليلة ، فأخشى أن يكون قد حبط عملي (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ

الذين لم تعلموهم منهم ، ففارقوهم وخرجوا من بين أظهرهم (لَعَذَّبْنا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُم عَذَاباً أَلِيماً) يقول : لقتلنا من بقى فيها بالسيف ، أو لأهلكناهم ببعض ما يؤلمهم من عذابنا العاجل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَوْ تَزَيَّلُوا) . . . الآية ، إن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار .

حُدثت عن الحسين، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ) يعنى أهل مكة كان فيهم مؤمنون مستضعفون: يقول الله لولا أولئك المستضعفون لو قد تزيَّلوا ، لعذّبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَوْ تَزَيَّلُوا) لو تفرّقوا ، فتفرّق المؤمن من الكافر ، لعذّبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما .

القول في تأويل قوله تعالى:

إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾

❊ يعنى تعالى ذكره بقوله : (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجاهِلِيَّةِ) حين جعل سُهيل بن عمرو فى قلبه الحمية ، فامتنع أن يكتب فى كتاب المقاضاة الذى كتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين : بسم الله الرحمن الرحيم ، وأن يكتب فيه : محمد رسول الله ، وامتنع هو وقومه من دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم عامه ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، قال : كانت حميّتهم التى ذكر الله : إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية ، حمية الجاهلية ، أنهم لم يقرّوا (بسم الله الرحمن الرحيم) وحالوا بينهم وبين البيت .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن الزهرى بنحوه .

حدثنى عمرو بن محمد العثمانى ، قال : ثنا إسماعيل بن أبى أويس ، قال : ثنى أخى ، عن سليمان ، عن

النَّبِيِّ) وكان فى أُذنه صمم ، فقال : يانبيّ الله أخشى أن أكون قد رفعت صوتى ، وجهرت لك بالقول ، وأن أكون قد حبط عملى ، وأنا لاأشعر : فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « امْشِ على الأرْضِ نَشِيطا فإنَّكَ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ » :

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال: ثنا ابن علية ، قال : ثنا أيوب ، عن عكرمة ، قال : لما نزلت : (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَرْفَعُوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) . . . الآية ، قال ثابت بن قيس : فأنا كنت أرفع صوتى فوق صوت النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وأجهر له بالقول ، فأنا من أهل النار ، فقعد فى بيته ، فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسأل عنه ، فقال رجل : إنه لجارى ، ولئن شئت لأعلمنّ لك علمه ، فقال : نعم ، فأتاه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تفقدك ، وسأل عنك ، فقال : نزلت هذه الآية (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَرْفَعُوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) . . . الآية وأنا كنت أرفع صوتى فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأجهر له بالقول ، فأنا من أهل النار ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : بَلْ هُوَ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ ؛ فلما كان يوم اليمامة انهزم الناسَ ، فقال : أفٍّ لهؤلاء ومايعبدون ، وأفٍّ لهؤلاء وما يصنعون ، يا معشر الأنصار خلوا لى بشيء لعلى أصلى بحرّها ساعة ، قال : ورجل قائم على ثلمة ، فقَتل وقُتل :

حدثنا ابن عبدالأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزُّهرىّ ، أن ثابت بن قيس بن شماس ، قال : لما نزلت (لاتَرْفَعُوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) قال : يا نبيّ الله ، لقد خشيت أن أكون قد هلكت ، نهانا الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك ، وإنى امرؤ جهير الصوت ، ونهى الله المرء أن يحبّ أن يُحمد بما لم يفعل ، فأجدنى أحبّ أن أُحمد ؛ ونهى الله عن الخُيَلاء وأجدنى أحبّ الجمال ؛ قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ثابِتُ أما تَرْضَى أنْ تَعِيشَ حَمِيدًا ، وتُقْتَلَ شَهِيدًا ، وتَدْخُلَ الجَنَّةَ ؟ فعاش حميدا ، وقُتل شهيدا يوم مُسَيلمة » .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا نافع بن عمر بن جميل الجمحى ، قال : ثنى ابن أبى مليكة ، عن الزبير ، قال : «قدم وفد أراه قال تميم ، على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، منهم الأقرع بن حابس ، فكلم أبو بكر النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يستعمله على قومه ، قال : فقال عمر : لاتفعل يارسول الله ، قال : فتكلما حتى ارتفعت أصواتهما عند النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال : فقال أبو بكر لعمر : ما أردت إلا خلافى ، قال : ما أردت خلافك : قال: ونزل القرآن : (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَرْفَعُوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) . . . إلى قوله (وأجْرٌ عَظِيمٌ) قال : فما حدّث عمر النبيّ صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ، فَيَسْمعَ النبيّ صلى الله عليه وسلمَ ، قال: وما ذكر ابن الزبير جدّه ، يعنى أبا بكر .

وقوله (أنْ تَحْبَطَ أعْمالُكُمْ) يقول : أن لاتحبط أعمالكم فتذهب باطلة لاثواب لكم عليها ، ولا جزاء برفعكم أصواتكم فوق صوت نبيكم ، وجهركم له بالقول كجهر بعضكم لبعض :

وقد اختلف أهل العربية فى معنى ذلك ، فقال بعض نحويّى الكوفة : معناه : لاتحبط أعمالكم . قال :

وفيه الجزم والرفع إذا وضعت « لا » مكان « أن » . قال : وهي في قراءة عبد الله (فَتَحْبَطْ أعمالُكُمْ) وهو دليل على جواز الجزم . وقال بعض نحويي البصرة : قال : أن تحبط أعمالكم : أي مخافة أن تحبط أعمالكم وقد يقال : أسند الحائط أن يميل .

وقوله (وأنْتُمْ لاتَشْعُرُونَ) يقول : وأنتم لاتعلمونَ ولا تدرون .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝

۞ يقول تعالى ذكره : إن الذين يكفون رفع أصواتهم عند رسول الله ، وأصل الغضّ : الكفّ في لين . ومنه : غضّ البصر ، وهو كفه عن النظر ، كما قال جرير :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ ... فَلا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلا كِلابا[1]

وقوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ للتَّقْوَى) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله ، هم الذين اختبر الله قلوبهم بامتحانه إياها ، فاصطفاها وأخلصها للتقوى ، يعني لاتقائه بأداء طاعته ، واجتناب معاصيه ، كما يمتحن الذهب بالنار ، فيخلص جيدها ، ويبطل خبثها [2] .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ) قال : أخلص :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ) قال : أخلص الله قلوبهم فيما أحبّ .

وقوله (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) يقول : لهم من الله عفو عن ذنوبهم السالفة ، وصفح منه عنها لهم (وأَجْرٌ عَظِيمٌ) يقول : وثواب جزيل ، وهو الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝

---

(١) البيت لجرير بن الخطفى ، من قصيدة يهجو بها الراعي النميري الشاعر . (ديوانه ٦٤) يقول له : غض نظرك أي كف بصرك ذلا ومهانة . وهذا موضع الشاهد عند المؤلف عند قوله تعالى « يغضون أصواتهم عند رسول الله » وهو من ذلك . قال في « اللسان » : غض » : وغض طرفه وبصره ، يغضه غضا وغضاضا (ككتاب) وغضاضة (كسحابة) فهو مغضوض وغضيض : كفه وخفضه وكسره . وقيل : هو إذا داني بين جفونه ونظر . وقيل : الغضيض : الطرف المسترخي الأجفان . وفي الحديث « كان إذا فرح غض طرفه » ، أي كسره وأطرق ، ولم يفتح عينيه . وإنما كان يفعل ذلك ، ليكون أبعد من الأشر والمرح اهـ . وكعب وكلاب : حيان من تميم .

(٢) الضمير في جيدها وخبثها : راجع إلى الذهب ، لأنها مؤنثة ، وقد تذكر .

* يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن الذين ينادونك يامحمد من وراء حجراتك ، والحجرات : جمع حجرة ، والثلاث : حُجَر ، ثم تجمع الحجر فيقال : حجرات وحُجْرات : وقد تجمع بعض العرب الحجر : حَجَرات بفتح الجيم ، وكذلك كلّ جمع كان من ثلاثة إلى عشرة على فُعَل يجمعونه على فعَلات بفتح ثانيه ، والرفع أفصح وأجود ؛ ومنه قول الشاعر :

أما كانَ عَبَّادٌ كَفِيئًا لِدَارِمٍ بَلَى ، وَلأَبْيَاتٍ بِها الحُجُرَاتُ[1]

يقول : بلى ولبنى هاشم :

وقوله (وأَكْثَرُهُمْ لايَعْقِلُون) يقول : أكثرهم جهال بدين الله ، واللازم لهم من حقك وتعظيمك . وذُكر أن هذه الآية والتي بعدها نزلت في قوم من الأعراب جاءوا ينادون رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته : يامحمد اخرج إلينا :

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبوعمار المروزى ، والحسن بن الحارث ، قالا : ثنا الفضل بن موسى ، عن الحسين بن واقد ، عن أبي إسحاق ، عن البرّاء « في قوله (إنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ) قال : جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يامحمد إنّ حمدى زين ، وإن ذمّى شين . فقال : ذَاكَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى » :

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بمثله . إلا أنه قال : ذاكم الله عزّ وجلّ :

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان التيمى ، قال : سمعت داود الطُّفاوى يقول : سمعت أبا مسلم البجلى يحدّث عن زيد بن أرقم ، قال : جاء أناس من العرب إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى هذا الرجل ، فإن يكن نبيا فنحن أسعد الناس به ، وإن يكن ملكا نعش في جناحه ؛ قال : فأتيت النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بذلك ، قال : ثم جاءوا إلى حجر النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فجعلوا ينادونه . يامحمد ، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم : (إنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أكْثَرُهُمْ لايَعْقِلُون) قال : فأخذ نبيّ الله بأذني فمدّها ، فجعل يقول : قَدْ صَدَّقَ اللهُ قَوْلَكَ يا زَيْدُ ، قَدْ صَدَّقَ اللهُ قَوْلَكَ يا زَيْدُ » .

---

(١) في كتاب الكامل للمبرد (طبعة الحلبى ٥٨) : يقال : فلان كفاء فلان ، وكفوء فلان ، وكفء فلان ؛ : أى عديله . ويروى أن الفرزدق بلغه أن رجلا من الحبطات بن عمرو بن تميم خطب امرأة من بنى دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، فقال الفرزدق :

بَنُو دَارِمٍ أكْفاؤُهُمْ آلُ مِسْمَعٍ وَتُنْكَحُ فِى أكْفائِها الحَبِطاتُ

(آل مسمع بيت بكر بن وائل في الإسلام ، وهم من بنى قيس بن ثعلبة بن عكابة) قال : فقال رجل من الحبطات : « أما كان عباد كفيئا . . . » البيت . يعنى بنى هاشم (يريد أبيات بنى هاشم) من قول الله عز وجل : « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات » . والشاهد في البيت قوله « الحجرات » بضم الحاء والجيم ، وهى جمع حجرة ، وتجمع الحجرة وما شابهها على حجرات بضمتين ، وبضم ففتح ، وبضم فسكون . ويرى المؤلف أن الجمع الأول أفصح وأجود . اه .

حدثنا الحسن بن أبي يحيي المقدمي ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا وُهَيب ، قال : ثنا موسى بن عقبة ، عن أبي سلَمة ، قال : ثني الأقرع بن حابس التميمي « أنه أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فناداه ، فقال : يا محمد إنّ مدحي زَيْن ، وإنّ شتمي شَيْن ؛ فخرج إليه النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : وَيْلَكَ ذلكَ اللهُ ، فأنزل الله (إنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ) . . . الآية » .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ) : أعراب بني تميم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة « أن رجلا جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فناداه من وراء الحُجَر ، فقال : يا محمد إنّ مدحي زين ، وإنّ شتمي شَيْن ؛ فخرج إليه النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : وَيْلَكَ ذلكَ اللهُ ، فأنزل الله (إنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أكْثَرُهُمْ لايَعْقِلُونَ) » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة « قوله (إنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ) . . . الآية ، ذُكر لنا أن رجلا جعل ينادي يا نبيّ الله يا محمد ، فخرج إليه النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : ماشأنُكَ ؟ فقال : والله إنّ حمده لزين ، وإنّ ذمَّه لشَيْن ، فقال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم : ذَاكُمُ اللهُ ، فأدبر الرجل ، وذُكر لنا أن الرجل كان شاعرا » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي عمرة ، قال : كان بشر بن غالب ولَبيد بن عُطارد ، أو بشر بن عُطارد ولبيد بن غالب ، وهما عند الحجاج جالسان ، يقول بشر بن غالب للبيد بن عطارد نزلت في قومك بني تميم (إنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ) فذكرت ذلك لسعيد بن جُبَير ، فقال : أما إنه لو علم بآخر الآية ، أجابه (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أنْ أسْلَمُوا) قالوا أسلمنا ، ولم يقاتلك بنو أسد .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن ، قال : « أتى أعرابيّ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم من وراء حجرته ، فقال : يا محمد ، يا محمد ؛ فخرج إليه النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : مالك مالك ، فقال : تعلم أنّ مدحي لزين ، وأن ذمّي لشين ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : ذَاكُمُ اللهُ ، فنزلت (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَرْفَعُوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيّ) » .

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ) فقرأته قرّاء الأمصار بضمّ الحاء والجيم من الحُجُرات ، سوى أبي جعفر القارئ ، فإنه قرأ بضم الحاء وفتح الجيم على ما وصفت من جمع الحُجرة حُجَر ، ثم جمع الحُجَر : حُجَرات » .

والصواب من القراءة عندنا الضم في الحرفين كليهما لما وصفت قبل .

وقوله (وَلَوْ أنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إلَيْهِمْ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ) يقول تعالى ذكره : ولو

أن هؤلاء الذين ينادونك يامحمد من وراء الحجرات صبروا فلم ينادوك حتى تخرج إليهم إذا خرجت ، لكان خيرا لهم عند الله ، لأن الله قد أمرهم بتوقيرك وتعظيمك ، فهم بتركهم نداءك تاركون ما قد نهاهم الله عنه ، (وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول تعالى ذكره : الله ذوعفو عمن ناداك من وراء الحجاب ، إن هو تاب من معصية الله بندائك كذلك ، وراجع أمر الله فى ذلك وفى غيره ؛ رحيم به أن يعاقبه على ذنبه ذلك من بعد توبته منه .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ) عن قوم (فَتَبَيَّنُوا) .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فَتَبَيَّنُوا) فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة (فَتَثَبَّتُوا) بالثاء ، وذُكر أنها فى مصحف عبد الله منقوطة بالثاء . وقرأ ذلك بعض القرّاء فتبيّنوا بالباء ، بمعنى : أمهلوا حتى تعرفوا صحته ، لاتعجلوا بقبوله ، وكذلك معنى (فَتَثَبَّتُوا) .

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى ، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب .

وذُكر أن هذه الآية نزلت فى الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيط .

ذكر السبب الذى من أجله قيل ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا جعفر بن عون ، عن موسى بن عبيدة ، عن ثابت مولى أمّ سلمة ، عن أمّ سلمة ، قالت : « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فى صدقات بنى المصطلق بعد الوقعة ، فسمع بذلك القوم ، فتلقوه يعظمون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فحدّثه الشيطان أنهم يريدون قتله ، قالت : فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن بنى المصطلق قد منعوا صدقاتهم ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قال : فبلغ القوم رجوعه قال : فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فصفوا له حين صلى الظهر فقالوا : نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله بعثت إلينا رجلا مصدّقا ، فسررنا بذلك ، وقرّت به أعيننا ، ثم إنه رجع من بعض الطريق ، فخشينا أن يكون ذلك غضبا من الله ومن رسوله ، فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال ، وأذّن بصلاة العصر ؛ قال : ونزلت (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا على ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ) . . . الآية ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، ثم أحد بني عمرو بن أمية ، ثم أحد بني أبي معيط إلى بني المصطلق ، ليأخذ منهم الصدقات ، وإنه لما أتاهم الخبر فرحوا ، وخرجوا ليتلقوْا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنه لما حدّث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه ، رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا ، فبينا هو يحدّث نفسه أن يغزوهم ، إذ أتاه الوفد ، فقالوا : يارسول الله ، إنا حدّثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق ، وإنا خشينا أن يكون إنما ردّه كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا ، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله ، فأنزل الله عذرهم في الكتاب ، فقال (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أنْ تُصِيبُوا قَوْما بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا على ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ) :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد « في قوله (إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ) قال : الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، بعثه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق ، ليصدّقهم ، فتلقوه بالهدية فرجع إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن بني المصطلق جمعت لتقاتلك » :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ) . . . حتى بلغ (بِجَهالَةٍ) وهو ابن أبي معيط الوليد بن عقبة ، بعثه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم مصدّقا إلى بني المصطلق ، فلما أبصروه أقبلوا نحوه ، فهابهم ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أنهم قد ارتدّوا عن الإسلام ، فبعث نبيّ الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ، وأمره أن يتثبّت ولا يعجل ، فانطلق حتى أتاهم ليلا ، فبعث عيونه ؛ فلما جاءوا أخبروا خالدا أنهم مستمسكون بالإسلام ، وسمعوا أذانهم وصلاتهم ، فلما أصبحوا أتاهم خالد ، فرأى الذي يعجبه ، فرجع إلى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فأنزل الله عزّ وجلّ ماتسمعون ، فكان نبيّ الله يقول : التَّبَيُّنُ مِنَ اللهِ ، والعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطانِ » :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ) فذكر نحوه :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن هلال الوزّان ، عن ابن أبي ليلى ، في قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا) قال : نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط :

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حُمَيد ، عن هلال الأنصاري ، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى (إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ) قال : نزلت في الوليد بن عقبة حين أُرسل إلى بني المصطلق .

قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعث إلى بنى المصطلق بعد إسلامهم ، الوليد بن أبى معيط ؛ فلما سمعوا به ركبوا إليه ؛ فلما سمع بهم خافهم فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أن القوم قد هموا بقتله ، ومنعوا ماقبلهم من صدقاتهم ، فأكثر المسلمون فى ذكر غزوهم حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوهم ، فبينما هم فى ذلك قدم وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لنكرمه ، ولنؤدى إليه ما قبلنا من الصدقة ، فاستمر راجعا ، فبلغنا أنه يزعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا خرجنا إليه لنقاتله ، ووالله ماخرجنا لذلك ؛ فأنزل الله فى الوليد بن عقبة وفيهم : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ) . . . الآية .

قال[١] : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من أصحابه إلى قوم يصدقهم ، فأتاهم الرجل ، وكان بينه وبينهم إحنة فى الجاهلية ؛ فلما أتاهم رحبوا به ، وأقروا بالزكاة ، وأعطوا ما عليهم من الحق ، فرجع الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، منع بنوفلان الصدقة ، ورجعوا عن الإسلام ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعث إليهم فأتوه فقال : أمنعتم الزكاة ، وطردتم رسولى ؟ فقالوا : والله مافعلنا ، وإنا لنعلم أنك رسول الله ، ولا بد لنا ، ولا منعنا حق الله فى أموالنا ، فلم يصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله هذه الآية ، فعذرهم .

وقوله (أن تصيبوا قوما بجهالة) يقول تعالى ذكره : فتبينوا لئلا تصيبوا قوما برآء مماقذفوا به بجناية بجهالة منكم (فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) يقول : فتندموا على إصابتكم إياهم بالجناية التى تصيبونهم بها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾

❊ يقول تعالى ذكره لأصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم : واعلموا أيها المؤمنون بالله ورسوله ، (أن فيكم رسول الله) فاتقوا الله أن تقولوا الباطل ، وتفتروا الكذب ، فإن الله يخبره أخباركم ، ويعرفه أنباءكم ، ويقومه على الصواب فى أموره .

وقوله (لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم) يقول تعالى ذكره : لوكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل فى الأمور بآرائكم ويقبل منكم ما تقولون له فيطيعكم (لعنتم) يقول : لنالكم عنت ، يعنى الشدة والمشقة فى كثير من الأمور بطاعته إياكم لو أطاعكم لأنه كان يخطئ فى أفعاله كما لو قبل من الوليد بن

(١) يظهر أن هذا بدء رواية أخرى ، أوردها فى الدر عن جابر .

عقبة قوله فى بنى المصطلق : إنهم قد ارتدّوا ، ومنعوا الصدقة، وجمعوا الجموع لغزو المسلمين ، فغزاهم فقتل منهم ، وأصاب من دمائهم وأموالهم كان قد قتل ، وقتلتم من لا يحلّ له ولا لكم قتله ، وأخذ وأخذتم من المال مالا يحلّ له ولكم أخذه من أموال قوم مسلمين ، فنالكم من الله بذلك عنت (وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ) بالله ورسوله ، فأنتم تطيعون رسول الله ، وتأتمون به فيقيكم الله بذلك من العنت ما لو لم تطيعوه وتتبعوه ، وكان يطيعكم لنالكم وأصابكم .

وقوله (وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ) يقول : وحسن الإيمان فى قلوبكم فآمنتم (وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ) بالله (وَالْفُسُوقَ) يعنى الكذب ، (وَالْعِصْيَانَ) يعنى ركوب ما نهى الله عنه فى خلاف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتضييع ما أمر الله به (أُولَـٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) يقول : هؤلاء الذين حبّب الله إليهم الإيمان ، وزيّنه فى قلوبهم ، وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون السالكون طريق الحق .

وقوله (فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً) يقول : ولكن الله حبّب إليكم الإيمان ، وأنعم عليكم هذه النعمة التى عدّها فضلا منه ، وإحسانا ونعمة منه أنعمها عليكم (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) يقول : والله ذو علم بالمحسن منكم من المسيء ، ومن هو لنعم الله وفضله أهل ، ومن هو لذلك غير أهل ، وحكمة فى تدبيره خلقه ، وصرفه إياهم فيما شاء من قضائه :

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ) ... حتى بلغ (لَعَنِتُّمْ) هؤلاء أصحاب نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، لو أطاعهم نبىّ الله فى كثير من الأمر لعنتم ، فأنتم والله أسخف رأيا ، وأطيش عقولا ، اتهم رجل رأيه ، وانتصح كتاب الله ، فإن كتاب الله ثقة لمن أخذ به ، وانتهى إليه ، وإن ما سوى كتاب الله تغرير .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، قال : قال معمر ، تلا قتادة (لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) قال : فأنتم أسخف رأيا وأطيش أحلاما ، فاتهم رجل رأيه ، وانتصح كتاب الله ؛ وكذلك كما قلنا أيضا فى تأويل قوله (وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ) قالوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ) قال : حببه إليهم وحسّنه فى قلوبهم .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ، أُولَـٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ . فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً) قالوا أيضا :

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ والفُسُوقَ) قال : الكذب والعصيان ؛ قال : عصيان النبيّ صلى الله عليه وسلم (أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) من أين كان هذا ؟ قال : فضل من الله ونعمة ؛ قال : والمنافقون سماهم الله أجمعين فى القرآن الكاذبين ؛ قال : والفاسق : الكاذب فى كتاب الله كله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝

يقول تعالى ذكره : وإن طائفتان من أهل الإيمان اقتتلوا ، فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء إلى حكم كتاب الله ، والرضا بما فيه لهما وعليهما ، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل (فإنْ بَغَتْ إحْدَاهُما عَلَى الأُخْرَى) يقول : فإن أبت إحدى هاتين الطائفتين الإجابة إلى حكم كتاب الله له ، وعليه وتعدّت ماجعل الله عدلا بين خلقه ، وأجابت الأخرى منهما (فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي) يقول : فقاتلوا التى تعتدى ، وتأبى الإجابة إلى حكم الله (حتَّى تَفِيءَ إلى أمْرِ اللهِ) يقول : حتى ترجع إلى حكم الله الذى حكم فى كتابه بين خلقه (فإنْ فاءَتْ فأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بالعَدْلِ) يقول : فإن رجعت الباغية بعد قتالكم إياهم إلى الرضا بحكم الله فى كتابه ، فأصلحوا بينها وبين الطائفة الأخرى التى قاتلتها بالعدل : يعنى بالإنصاف بينهما ، وذلك حكم الله فى كتابه الذى جعله عدلا بين خلقه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأصْلِحُوا بَيْنَهُما ، فإنْ بَغَتْ إحْداهُما على الأُخْرَى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حتى تَفِيءَ إلى أمْرِ اللهِ) فإن الله سبحانه أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين أن يدعوهم إلى حكم الله ، وينصف بعضهم من بعض ، فإن أجابوا حكم فيهم بكتاب الله ، حتى ينصف المظلوم من الظالم ، فمن أبى منهم أن يجيب فهو باغ ، فحقّ على إمام المؤمنين أن يجاهدهم ويقاتلهم ، حتى يفيئوا إلى أمر الله ، ويقرّوا بحكم الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) . . . إلى آخر الآية ، قال : هذا أمر من الله أمر به الوُلاة كهيئة ما تكون العصبة بين الناس ،

وأمرهم أن يصلحوا بينهما ، فإن أبوْا قاتل الفئة الباغية ، حتى ترجع إلى أمر الله ، فإذا رجعت أصلحوا بينهما ، وأخبروهم أن المؤمنين إخوة ، فأصلحوا بين أخويكم ؛ قال : ولا يقاتل الفئة الباغية إلا الإمام .

وذُكر أن هذه الآية نزلت فى طائفتين من الأوس والخزرج اقتتلتا فى بعض ماتنازعتا فيه ، مما سأذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر الرواية بذلك

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أنس ، قال : قيل للنبيّ صلى الله عليه وسلم : لو أتيت عبدالله بن أُبيّ ، قال : فانطلق إليه وركب حمارا ، وانطلق المسلمون ، وهى أرض سبخة ؛ فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إليك عنى ، فوالله لقد آذانى نتن حمارك ، فقال رجل من الأنصار : والله لنتن حمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك ، قال : فغضب لعبد الله بن أُبيّ رجل من قومه قال : فغضب لكل واحد منهما أصحابه ، قال : فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدى والنعال ، فبلغنا أنه نزلت فيهم (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا)

حدثنى أبو حُصَين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنى حصين ، عن أبى مالك فى قوله (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) قال : رجلان اقتتلا فغضب لذا قومه ، ولذا قومه ، فاجتمعوا حتى اضربوا بالنعال حتى كاد يكون بينهم قتال ، فأنزل الله هذه الآية .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن أبى مالك ، فى قوله (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) قال : كان بينهم قتال بغير سلاح .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن أبى مالك ، فى قوله (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) قال : كانا حيين من أحياء الأنصار ، كان بينهما تنازع بغير سلاح .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : أخبرنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) قال : كان قتالهم بالنعال والعصىّ ، فأمرهم أن يصلحوا بينهم .

قال : ثنا مهران ، قال : ثنا المُبارك بن فَضَالة ، عن الحسن (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) قال : كانت تكون الخصومة بين الحيين ، فيدعوهم إلى الحكم ، فيأبَوْن أن يجيبوا ، فأنزل الله : (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) يقول : ادفعوهم إلى الحكم ، فكان قتالهم الدفع .

قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سفيان ، عن السدى (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) قال : كانت امرأة من الأنصار يقال لها أم زيد ، تحت رجل ، فكان بينها وبين زوجها شىء ، فرقاها إلى علية ، فقال لهم : احفظوا ، فبلغ ذلك قومها ، فجاءوا وجاء قومه ، فاقتتلوا بالأيدى والنعال فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فجاء ليصلح بينهم ، فنزل القرآن (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا

فأَصْلِحُوا بَيْنَهُما ، فإنْ بَغَتْ إحْداهُما على الأُخْرَى) قال : تبغى : لاترضى بصلح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) قال : الأوس والخزرج اقتتلوا بالعصىّ بينهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) . . . الآية ، ذُكر لنا أنها نزلت فى رجلين من الأنصار كانت بينهما مدارأة فى حقّ بينهما ، فقال أحدهما للآخر : لآخذنه عنوة لكثرة عشيرته ، وأن الآخر دعاه ليحاكمه إلى نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، فأبى أن يتبعه ، فلم يزل الأمر حتّى تدافعوا ، وحتّى تناول بعضهم بعضا بالأيدى والنعال ، ولم يكن قتال بالسيوف ، فأمر الله أن تُقاتل حتّى تفىء إلى أمر الله ، كتاب الله ، وإلى حكم نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ وليست كما تأوّلها أهل الشبهات ، وأهل البدع ، وأهل الفراء على الله وعلى كتابه ، أنه المؤمن يحلّ لك قتله ، فوالله لقد عظَّم الله حُرمة المؤمن حتى نهاك أن تظنّ بأخيك إلا خيرا ، فقال : (إنّما المُؤْمِنُونَ إخْوَةٌ) . . . الآية .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، أن قوما من المسلمين كان بينهم تنازع حتّى اضطربوا بالنعال والأيدى ، فأنزل الله فيهم (وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) قال قتادة : كان رجلان بينهما حقّ ، فتدارءى فيه ، فقال أحدهما : لآخذنَّه عنوة ، لكثرة عشيرته ؛ وقال الآخر : بينى وبينك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتنازعا حتّى كان بينهما ضرب بالنعال والأيدى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال : ثنى عبد الله بن عباس ، قال : قال زيد ، فى قول الله تعالى : (وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأَصْلِحُوا بَيْنَهُما) ، وذلك الرجلان يقتتلان من أهل الإسلام ، أو النفر والنفر ، أو القبيل والقبيلة ؛ فأمر الله أئمة المسلمين أن يقضوا بينهم بالحقّ الذى أنزله فى كتابه : إما القصاص والقود ، وإمّا العقل والعير ، وإمّا العفو ، (فإنْ بَغَتْ إحْداهُما على الأُخْرَى) بعد ذلك كان المسلمون مع المظلوم على الظالم ، حتى يفىْ إلى أمر الله ، ويرضى به .

حدثنا ابن البرق ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : أخبرنا نافع بن يزيد ، قال : أخبرنا ابن جُرَيْج ، قال : ثنى ابن شهاب وغيره : يزيد فى الحديث بعضهم على بعض ، قال : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس فيه عبدالله بن رواحة ، وعبد الله بن أُبَىّ ابن سلول : فلما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن أُبَىّ ابن سلول : لقد آذانا بول حماره ، وسدّ علينا الروح ، وكان بينه وبين ابن رواحة شىء حتى خرجوا بالسلاح ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم ، فحجز بينهم ، فلذلك يقول عبد الله بن أُبَىّ :

مَتَى ما يَكُنْ مَوْلاكَ خَصْمَكَ جاهدا تُظَلَّمْ وَيَصْرَعْكَ الَّذِينَ تُصَارِعُ[1]

قال : فأنزلت فيهم هذه الآية (وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) .

وقوله (وَأَقْسِطُوا) يقول تعالى ذكره : واعدلوا أيها المؤمنون فى حكمكم بين من حكمتم بينهم بأن لاتتجاوزوا فى أحكامكم حكم الله وحكم رسوله (إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ) يقول : إن الله يحبّ العادلين فى أحكامهم ، القاضين بين خلقه بالقسط .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾

❊ يقول تعالى ذكره لأهل الإيمان به (إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) فى الدين (فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) إذا اقتتلا بأن تحملوهما على حكم الله وحكم رسوله . ومعنى الأخوين فى هذا الموضع : كل مقتتلين من أهل الإيمان ، وبالتثنية قرأ ذلك قرّاء الأمصار. وذُكر عن ابن سيرين أنه قرأ بين إخوانكم بالنون على مذهب الجمع ، وذلك من جهة العربية صحيح ، غير أنه خلاف لما عليه قرّاء الأمصار ، فلا أحبّ القراءة بها (وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) يقول تعالى ذكره : وخافوا الله أيها الناس بأداء فرائضه عليكم فى الإصلاح بين المقتتلين من أهل الإيمان بالعدل ، وفى غير ذلك من فرائضه ، واجتناب معاصيه ، ليرحمكم ربكم ، فيصفح لكم عن سالف إجرامكم إذا أنتم أطعتموه ، واتبعتم أمره ونهيه ، واتقيتموه بطاعته .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

❊ يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، لايهزأ قوم مؤمنون من قوم مؤمنين (عَسَى أَنْ

---

(١) البيت لعبد الله بن أبى ابن سلول ، كما عزاه المؤلف . وقد وردت قصيدة ابن سلول هذه فى السيرة لابن هشام الطبعة الأولى بمطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بالقاهرة ٢ : ٢٣٦ ، ٢٣٧ . وورد فى أثنائها البيت ومعه بيت آخر ، رواه ابن هشام عن غير ابن إسحاق وهما :

متى ما يكن مولاك خصمك لاتزل تذل ويصرعك الذين تصارع

وهل ينهض البازى بغير جناحه وإن جذ يوما ريشه فهو واقع

وكان النبى صلى الله عليه وسلم ركب حمارا ، قاصدا إلى سعد بن عبادة يعوده من شكو أصابه ، فمر بطريقه بأطم ابن سلول ، فنزل يسلم عليه ، وتلا عنده شيئا من القرآن . فكلم رسول الله كلاما خشنا ، ونهاه أن يغشى مجالس الأنصار ، ويعرض عليهم القرآن . وكان ابن رواحة حاضرا ، فتلطف برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : بل فاغشنا به ، وائتنا فى مجالسنا ودورنا وبيوتنا ، فهو والله مما نحب ، ومما أكرمنا الله به ، وهدانا له ، فقال ابن أبى حين رأى من خلاف قومه ما رأى . . . . البيتين .

يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ) يقول : المهزوء منهم خير من الهازئين (وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ) يقول : ولا يهزأ نساء مؤمنات من نساء مؤمنات ، عسى المهزوء منهن أن يكن خيرا من الهازئات .

واختلف أهل التأويل فى السخرية التى نهى الله عنها المؤمنين فى هذه الآية ، فقال بعضهم : هى سخرية الغنى من الفقير ، نهى أن يسخر من الفقير لفقره .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ) قال : لا يهزأ قوم بقوم أن يسأل رجل فقير غنيا ، أو فقيرا ، وإن تفضل رجل عليه بشىء فلا يستهزئ به .

وقال آخرون : بل ذلك نهى من الله من ستر عليه من أهل الإيمان أن يسخر ممن كشف فى الدنيا ستره منهم

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ، وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ) قال : ربما عثر على المرء عند خطيئته عسى أن يكونوا خيرا منهم ، وإن كان ظهر على عثرته هذه ، وسترت أنت على عثرتك ، لعل هذه التى ظهرت خير له فى الآخرة عند الله ، وهذه التى سترت أنت عليها شر لك ، ما يدريك لعله ما يغفر لك ؛ قال : فنهى الرجل عن ذلك ، فقال : (لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ) وقال فى النساء مثل ذلك .

والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن الله عم بنهيه المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض جميع معانى السخرية ، فلا يحل لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لفقره ، ولا لذنب ركبه ، ولا لغير ذلك .

وقوله (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) يقول تعالى ذكره : ولا يغتب بعضكم بعضا أيها المؤمنون ، ولا يطعن بعضكم على بعض ؛ وقال : (لَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) فجعل اللامز أخاه لامزا نفسه ، لأن المؤمنين كرجل واحد فيما يلزم بعضهم لبعض من تحسين أمره ، وطلب صلاحه ، ومحبته الخير . ولذلك رُوى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الْمُؤْمِنُونَ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ » . وهذا نظير قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ، وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) بمعنى : ولا يقتل بعضكم بعضا .

وبنحو الذى قلنا فى معنى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) قال : لا تطعنوا

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) يقول: ولا يطعن بعضكم على بعض .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) يقول : لا يطعن بعضكم على بعض .

قوله (وَلا تَنابَزُوا بِالأَلْقابِ) يقول: ولا تداعوا بالألقاب ؛ والنبز واللقب بمعنى واحد ، يُجمع النبز : أنبازا ، واللقب : ألقابا .

واختلف أهل التأويل فى الألقاب التى نهى الله عن التنابز بها فى هذه الآية ، فقال بعضهم : عنى بها الألقاب التى يكره النبز بها الملقَّب ، وقالوا : إنما نزلت هذه الآية فى قوم كانت لهم أسماء فى الجاهلية ، فلما أسلموا نُهوا أن يدعو بعضهم بعضا بما يكره من أسمائه التى كان يدعى بها فى الجاهلية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، قال : قال أبو جبيرة ابن الضحاك : فينا نزلت هذه الآية فى بنى سلِمة ، قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومامنا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة ، فكان إذا دعا الرجل بالاسم ، قلنا : يا رسول الله إنه يغضب من هذا ، فنزلت هذه الآية (وَلا تَنابَزُوا بِالأَلْقابِ) . . . الآية كلها .

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن أبى جُبَيْرة بن الضحاك ، قال : كان أهل الجاهلية يسمون الرجل بالأسماء ، فدعا النبىّ صلى الله عليه وسلم رجلا باسم من تلك الأسماء ، فقالوا : يارسول الله إنه يغضب من هذا ، فأنزل الله (وَلا تَنابَزُوا بِالأَلْقابِ ، بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإيمانِ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، قال : ثنى أبو جُبَيْرة بن الضحاك ، فذكر عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنى يعقوب ، قال: ثنا ابن عُلَيّة ، قال: أخبرنا داود عن الشعبىّ ، قال: ثنى أبو جبيرة بن الضحاك ، قال: نزلت فى بنى سلمة (وَلا تَنابَزُوا بِالأَلْقابِ) قال: قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة ، فكان يدعو الرجل ، فتقول أمه: إنه يغضب من هذا ، قال : فنزلت (وَلا تَنابَزُوا بِالأَلْقابِ) . وقال مرّة : كان إذا دعا باسم من هذا ، قيل: يارسول الله إنه يغضب من هذا ، فنزلت الآية .

وقال آخرون : بل ذلك قول الرجل المسلم للرجل المسلم : يا فاسق ، يا زانى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، قال : سألت عكرمة ، عن قول الله (وَلا تَنابَزُوا بِالأَلْقابِ) قال : هو قول الرجل للرجل : يا منافق ، يا كافر .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عكرمة ، فى قوله (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ) قال : هو قول الرجل للرجل : يا فاسق ، يا منافق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حصين ، عن عكرمة (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ) قال : يا فاسق ، يا كافر .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد أو عكرمة (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ) قال : يقول الرجل للرجل : يافاسق ، يا كافر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ) قال : دُعى رجل بالكفر وهو مسلم :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ) يقول للرجل : لا تقل لأخيك المسلم : ذاك فاسق ، ذاك منافق ، نهى الله المسلم عن ذلك وقدّم فيه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ) يقول : لا يقولنّ لأخيه المسلم : يا فاسق ، يامنافق :

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ) قال : تسميته بالأعمال السيئة بعد الإسلام زان فاسق :

وقال آخرون : بل ذلك تسمية الرجل الرجل بالكفر بعد الإسلام ، وبالفسوق والأعمال القبيحة بعد التوبة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ) ... الآية ، قال : التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب منها ، وراجع الحقّ ، فنهى الله أن يعير بما سلف من عمله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن : كان اليهودى والنصرانىّ يسلم ، فيلقب ، فيقال له : يا يهودىّ ، يا نصرانى ، فنهوا عن ذلك .

❊ والذى هو أولى الأقوال فى تأويل ذلك عندى بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين أن يتنابزوا بالألقاب ؛ والتنابز بالألقاب : هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة ، وعمّ الله بنهيه ذلك ، ولم يخصص به بعض الألقاب دون بعض ، فغير جائز لأحد من المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه ، أو صفة يكرهها . وإذا كان ذلك كذلك صحت الأقوال التى قالها أهل التأويل فى ذلك التى ذكرناها كلها ، ولم يكن بعض ذلك أولى بالصواب من بعض ، لأن كلّ ذلك مما نهى الله المسلمين أن ينبز بعضهم بعضا .

وقوله (بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ) يقول تعالى ذكره : ومن فعل ما نهينا عنه ، وتقدّم

على معصيتنا بعد إيمانه ، فسخر من المؤمنين ، ولمز أخاه المؤمن ، ونبزه بالألقاب ، فهو فاسق (بِئْسَ الِاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ) يقول : فلا تفعلوا فتستحقوا إن فعلتموه أن تسموا فساقا ، بئس الاسم الفسوق ، وترك ذكر ما وصفنا من الكلام ، اكتفاء بدلالة قوله (بِئْسَ الِاسْمُ الفُسُوقُ) عليه .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ماحدثنا به يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، وقرأ (بِئْسَ الِاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ) قال : بئس الاسم الفسوق حين تسميه بالفسق بعد الإسلام ، وهو على الإسلام . قال : وأهل هذا الرأى هم المعتزلة ، قالوا : لانكفره كما كفره أهل الأهواء ، ولا نقول له مؤمن ، كما قالت الجماعة ، ولكنا نسميه باسمه إن كان سارقا فهو سارق ، وإن كان خائنا سموه خائنا ، وإن كان زانيا سموه زانيا ؛ قال : فاعتزلوا الفريقين أهل الأهواء وأهل الجماعة ، فلا بقول هؤلاء قالوا ، ولا بقول هؤلاء ، فسموا بذلك المعتزلة .

فوجه ابن زيد تأويل قوله (بِئْسَ الِاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ) إلى من دعى فاسقا ، وهو تائب من فسقه ، فبئس الاسم ذلك له من أسمائه . . وغير ذلك من التأويل أولى بالكلام ، وذلك أن الله تقدم بالنهى عما تقدم بالنهى عنه فى أول هذه الآية ، فالذى هو أولى أن يختمها بالوعيد لمن تقدم على بغيه ، أو بقبيح ركوبه ما ركب مما نهى عنه ، لا أن يخبر عن قبح ما كان التائب أتاه قبل توبته ، إذ كانت الآية لم تفتتح بالخبر عن ركوبه ما كان ركب قبل التوبة من القبيح ، فيختم آخرها بالوعيد عليه أو بالقبيح .

وقوله (وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) يقول تعالى ذكره : ومن لم يتب من نبزه أخاه بما نهى الله عن نبزه به من الألقاب ، أو لمزه إياه ، أو سخريته منه ، فأولئك هم الذين ظلموا أنفسهم ، فأكسبوها عقاب الله بركوبهم ما نهاهم عنه .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ماحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) قال : ومن لم يتب من ذلك الفسوق فأولئك هم الظالمون .

القول في تأويل قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : ياأيها الذين صدقوا الله ورسوله ، لاتقربوا كثيرا من الظن بالمؤمنين ، وذلك أن تظنوا بهم سوءا ، فإن الظان غير محق ، وقال جل ثناؤه : (اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ) ولم يقل : الظن كله ، إذ كان قد أذن للمؤمنين أن يظن بعضهم ببعض الخير ، فقال : (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ، وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ) فأذن الله جل ثناؤه للمؤمنين أن يظن بعضهم ببعض الخير وأن يقولوه ، وإن لم يكونوا من قيله فيهم على يقين .

وبنحو الذى قلنا فى معنى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنى أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ) يقول : نهى الله المؤمن أن يظنّ بالمؤمن شرًا .

وقوله (إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثْمٌ) يقول : إن ظنّ المؤمن بالمؤمن الشرّ لاالخير إثم ، لأن الله قد نهاه عنه ، ففعل مانهى الله عنه إثم .

وقوله (وَلا تَجَسَّسُوا) يقول : ولا يتتبع بعضكم عورة بعض ، ولا يبحث عن سرائره ، يبتغى بذلك الظهور على عيوبه ، ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره ، وبه فاحمدوا أو ذموا ، لاعلى مالاتعلمونه من سرائره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا تَجَسَّسُوا) يقول : نهى الله المؤمن أن يتتبع عورات المؤمن .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلا تَجَسَّسُوا) قال : خذوا ما ظهر لكم ودعوا ماستر الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثْمٌ ، وَلا تَجَسَّسُوا) هل تدرون ما التجسس أو التجسيس ؟ هو أن تتبع ، أو تبتغى عيب أخيك لتطلع على سرّه .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَلا تَجَسَّسُوا) قال : البحث .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثْمٌ ، وَلا تَجَسَّسُوا) قال : حتى أنظر فى ذلك وأسأل عنه ، حتى أعرف حقّ هو ، أم باطل ؟ ، قال : فسماه الله تجسسا ، قال : يتجسس كما يتجسس الكلاب ، وقرأ قول الله (وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) وقوله « ولايغتب بعضكم بعضا » يقول : ولا يقل بعضكم فى بعض بظهر الغيب مايكره المقول فيه ذلك أن يقال له فى وجهه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك ، والأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنى يزيد بن مخلد الواسطىّ ، قال : ثنا خالد بن عبد الله الطحان ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن العلاء بن عبدالرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، قال : « سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة ،

فقال : هُوَ أنْ تَقُولَ لأخِيكَ ما فِيهِ ، فإنْ كُنْتَ صادِقا فَقَدِ اغْتَبْتَه ، وَإنْ كُنْتَ كاذِبا فَقَدْ بَهَتَّهُ ».

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت العلاء يحدّث ، عن أبيه، عن أبي هريرة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « هَلْ تَدْرُونَ ما الْغِيبَةُ ؟ قال: قالوا الله ورسوله أعلم ؛ قال : ذِكْرُكَ أخاكَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ ، قال : أرأيت إن كان في أخي ما أقول له ؛ قال : إنْ كان فِيهِ ما تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ ، وَإنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ ما تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ ».

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا سعيد بن الربيع ، قال : ثنا شعبة ، عن العباس ، عن رجل سمع ابن عمر يقول: « إذا ذكرت الرجل بما فيه ، فقد اغتبته، وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهتّه ».وقال شعبة مرّة أخرى: « وإذا ذكرته بما ليس فيه ، فهي فِرْية » قال أبو موسى : هو عباس الجَريريّ :

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن عبد الله بن مرّة ، عن مسروق قال : إذا ذكرت الرجل بأسوإ ما فيه فقد اغتبته ، وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهتّه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، قال : إذا قلت في الرجل أسوأ ما فيه فقد اغتبته ، وإذا قلت ما ليس فيه فقد بهتّه .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا عمر بن عبيد ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، قال الغيبة : أن يقول للرجل أسوأ ما يعلم فيه ، والبهتان : أن يقول ما ليس فيه .

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني معاوية بن صالح ، عن كثير ابن الحارث ، عن القاسم ، مولى معاوية ، قال : سمعت ابن أمّ عبد يقول : ما التقم أحد لقمة أشرّ من اغتياب المؤمن ، إن قال فيه ما يعلم فقد اغتابه ، وإن قال فيه ما لا يعلم فقد بهتّه .

حدثنا أبو السائب ، قال: ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : إذا ذكرت الرجل بما فيه فقد اغتبته ، وإذا ذكرته بما ليس فيه فذلك البهتان .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت يونس ، عن الحسن أنه قال في الغيبة : أن تذكر من أخيك ما تعلم فيه من مساوى أعماله ، فإذا ذكرته بما ليس فيه فذلك البهتان .

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا سليمان الشيبانيّ ، قال : ثنا حسان ابن المخارق « أن امرأة دخلت على عائشة ؛ فلما قامت لتخرج أشارت عائشة بيدها إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، أي أنها قصيرة ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : اغْتَبْتِيها » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : لو مرّ بك أقطع ، فقلت : ذاك الأقطع ، كانت منك غيبة ؛ قال : وسمعت معاوية بن قرة يقول ذلك .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت معاوية بن قُرة يقول : لو مرّ بك رجل أقطع ، فقلت له : إنه أقطع كنت قد اغتبته ، قال : فذكرت ذلك لأبى إسحاق الهمدانى فقال : صدق .

حدثنى جابر بن الكردىّ ، قال : ثنا ابن أبى أويس ، قال : ثنى أخى أبو بكر ، عن حماد بن أبى حميد ، عن موسى بن وردان ، عن أبى هريرة « أن رجلا قام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأوا فى قيامه عجزا ، فقالوا : يارسول الله ما أعجز فلانا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَكَلْتُمْ أخاكُمْ وَاغْتَبْتُمُوهُ » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا حبان بن على العنزىّ عن مثنى بن صباح ، عن عن عمرو بن شعيب ، عن معاذ بن جبل ، قال : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر القوم رجلا ، فقالوا : ما يأكل إلا ما أطعم ، وما يرحل إلا ما رحل له ، وما أضعفه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اغْتَبْتُمْ أخاكُمْ ، فقالوا يا رسول الله وغيبته أن نحدّث بما فيه ؟ قال : بِحَسْبِكُمْ أنْ تُحَدِّثُوا عَنْ أخِيكُمْ ما فِيهِ » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا خالد بن محمد ، عن محمد بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذَا ذَكَرْتَ أخاكَ بِمَا يَكْرَهُ فإنْ كانَ فِيهِ ما تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ ، وَإنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ ما تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : « كنا نحدّث أن الغيبة أن تذكر أخاك بما يشينه ، وتعيبه بما فيه ، وإن كذبت عليك فذلك البهتان » .

وقوله (أَيُحِبُّ أحَدُكُمْ أنْ يأْكُلَ لَحْمَ أخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ) يقول تعالى ذكره للمؤمنين أيحبّ أحدكم أيها القوم أن يأكل لحم أخيه بعد مماته ميتا ، فإن لم تحبوا ذلك وكرهتموه ، لأن الله حرّم ذلك عليكم ، فكذلك لا تحبوا أن تغتابوه فى حياته ، فاكرهوا غيبته حيا ، كما كرهتم لحمه ميتا ، فإن الله حرّم غيبته حيا ، كما حرّم أكل لحمه ميتا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، أَيُحِبُّ أحَدُكُمْ أنْ يأْكُلَ لَحْمَ أخِيهِ مَيْتاً) قال : حرّم الله على المؤمن أن يغتاب المؤمن بشىء ، كما حرّم الميْتة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (أَيُحِبُّ أحَدُكُمْ أنْ يأْكُلَ لَحْمَ أخِيهِ مَيْتاً) قالوا : نكره ذلك ، قال : فكذلك فاتقوا الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ) يقول : كما أنت كاره لو وجدت جيفة مدوّدة أن تأكل منها ، فكذلك فاكره غيبته وهو حيّ .

وقوله (وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) يقول تعالى ذكره : فاتقوا الله أيها الناس ، فخافوا عقوبته بانتهائكم عما نهاكم عنه من ظنّ أحدكم بأخيه المؤمن ظنّ السوء ، وتتبع عوراته ، والتجسس عما ستر عنه من أمره ، واغتيابه بما يكرهه ، تريدون به شينه وعيبه ، وغير ذلك من الأمور التي نهاكم عنها ربكم (إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) يقول : إن الله راجع لعبده إلى ما يحبه إذا رجع العبد لربه إلى ما يحبه منه ، رحيم به بأن يعاقبه على ذنب أذنبه بعد توبته منه .

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً) فقرأته عامة قرّاء المدينة بالتثقيل (مَيِّتا) ، وقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة (مَيْتا) بالتخفيف ، وهما قراءتان عندنا معروفتان متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب :

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ ۝

يقول تعالى ذكره : يا أيها الناس إنا أنشأنا خلقكم من ماء ذكر من الرجال ، وماء أنثى من النساء .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، قال : خلق الله الولد من ماء الرجل وماء المرأة ، وقد قال تبارك وتعالى (يا أَيُّها النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى) .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى) قال : ما خلق الله الولد إلا من نطفة الرجل والمرأة جميعا ، لأن الله يقول (خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى) .

وقوله (وَجَعَلْناكُمْ شُعُوبا وقَبائِلَ لِتَعارَفُوا) يقول : وجعلناكم متناسبين ، فبعضكم يناسب بعضا نسبا بعيدا ، وبعضكم يناسب بعضا نسبا قريبا ، فالمناسب النسب البعيد من لم ينسبه أهل الشعوب ، وذلك إذا قيل للرجل من العرب : من أيّ شعب أنت ؟ قال : أنا من مضر ، أو من ربيعة . وأما أهل المناسبة القريبة أهل القبائل ، وهم كتميم من مضر ، وبكر من ربيعة ، وأقرب القبائل الأفخاذ وهما كشيبان من بكر ودارم من تميم ، ونحو ذلك ، ومن الشّعب قول ابن أحمر الباهلي :

مِن شَعْبِ هَمْدانَ أَوْ سَعْدِ العَشِيرَةِ أَوْ خَوْلانَ أَوْ مَذْحِجٍ هاجُوا لَهُ طَرَبا[١]

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبا وقَبائِلَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، قال : ثنا أبو حُصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ) قال : الشعوب : الجُمَّاع ، والقبائل: البطون .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبا وَقَبائِلَ) قال : الشعوب : الجُمَّاع . قال خلاد ، قال أبو بكر : القبائل العظام ، مثل بنى تميم ، والقبائل : الأفخاذ .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جُبَير (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ) قال : الشعوب : الجمهور ، والقبائل : الأفخاذ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (شُعُوبا) قال : النسب البعيد . (وَقَبائِلَ) دون ذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبا وَقَبائِلَ) قال : الشعوب : النسب البعيد ، والقبائل كقوله : فلان من بنى فلان ، وفلان من بنى فلان .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبا) قال : هو النسب البعيد . قال : والقبائل : كما تسمعه يقال : فلان من بنى فلان .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبا) قال : أما الشعوب : فالنسب البعيد .

وقال بعضهم : الشعوب : الأفخاذ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جُبير (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبا وَقَبائِلَ) قال : الشعوب : الأفخاذ ، والقبائل : القبائل .

وقال آخرون : الشعوب : البطون ، والقبائل : الأفخاذ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يحيى بن طلحة ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جُبير ، عن

---

(١) البيت لابن أحمر الباهلى ، كما نسبه المؤلف . والشاهد فيه كلمة « الشعب » ، وهو الفرع الكبير من الأصل ، يجمع عددا من القبائل ، كما أوضحه المؤلف. وقال النويرى فى (نهاية الأرب ٢ : ٢٨٤) الشعب : هو الذى يجمع القبائل ، وتتشعب منه . وفى مجاز القرآن لأبى عبيد (الورقة ٢٢٥ – ١) : « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » : يقال : من أى شعب أنت ؟ فتقول : من مضر ، من ربيعة ، والقبائل دون ذلك . قال ابن أحمر « من شعب همدان . . . البيت » .

ابن عباس (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ) قال: الشعوب: البطون، والقبائل: الأفخاذ الكبار.

وقال آخرون: الشعوب: الأنساب.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ) قال: الشعوب: الأنساب.

وقوله (لِتَعَارَفُوا) يقول: ليعرف بعضكم بعضا فى النسب، يقول تعالى ذكره: إنما جعلنا هذه الشعوب والقبائل لكم أيها الناس، ليعرف بعضكم بعضا فى قرب القرابة منه وبعده، لا لفضيلة لكم فى ذلك، وقُربة تقربكم إلى الله، بل أكرمكم عند الله أتقاكم.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) قال: جعلنا هذا لتعارفوا، فلان بن فلان من كذا وكذا.

وقوله (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) يقول تعالى ذكره: إن أكرمكم أيها الناس عند ربكم، أشدّكم اتقاء له بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، لا أعظمكم بيتا ولا أكثركم عشيرة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن عليّ بن رباح، عن عقبة بن عامر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «النَّاسُ لِآدَمَ وَحَوَّاءَ كَطَفِّ الصَّاعِ لَمْ يَمْلَئُوهُ، إِنَّ اللهَ لا يَسْأَلُكُمْ عَنْ أَحْسَابِكُمْ وَلا عَنْ أَنْسَابِكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن عليّ بن رباح، عن عقبة بن عامر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَنْسَابَكُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِمَسَابٍّ عَلَى أَحَدٍ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ وَلَدُ آدَمَ طَفُّ الصَّاعِ لَمْ تَمْلَئُوهُ، لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِدِينٍ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ حَسْبُ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ فَاحِشًا بَذِيًّا بَخِيلًا جَبَانًا».

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن ابن جُرَيج، قال: سمعت عطاء يقول: قال ابن عباس: «ثلاث آيات جحدهنّ الناس: الإذن كله، وقال: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) وقال الناس أكرمكم: أعظمكم بيتا، وقال عطاء: نسيت الثالثة».

وقوله (إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) يقول تعالى ذكره: إن الله أيها الناس ذو علم بأتقاكم عند الله وأكرمكم عنده، ذو خبرة بكم وبمصالحكم، وغير ذلك من أموركم، لا تخفى عليه خافية.

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : قالت الأعراب : صدّقنا بالله ورسوله ، فنحن مؤمنون ، قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لهم (لَمْ تُؤْمِنُوا) ولستم مؤمنين (وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) .

وذُكر أن هذه الآية نزلت فى أعراب من بنى أسد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا) قال : أعراب بنى أسد بن خُزَيمة .

واختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله قيل للنبىّ صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء الأعراب : قولوا أسلمنا ، ولا تقولوا آمنا ، فقال بعضهم : إنما أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم بذلك ، لأن القوم كانوا صدّقوا بألسنتهم ، ولم يصدّقوا قولهم بفعلهم ، فقيل لهم : قولوا أسلمنا ، لأن الإسلام قول ، والإيمان قول وعمل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ، قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) قال : إن الإسلام : الكلمة ، والإيمان : العمل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، وأخبرنى الزهرىّ ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه ، قال : « أعطى النبىّ صلى الله عليه وسلم رجالا ، ولم يعط رجلا منهم شيئا ، فقال سعد : يارسول الله أعطيت فلانا وفلانا ، ولم تُعط فلانا شيئا ، وهو مؤمن ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : أَوْ مُسْلِمٌ ؟ حتى أعادها سعد ثلاثا ، والنبىّ صلى الله عليه وسلم يقول : أَوْ مُسْلِمٌ ، ثم قال النبىّ صلى الله عليه وسلم إنِّى أُعْطِي رِجالاً وأَدَعُ مَنْ هُوَ أَحَبُّ إلَيَّ مِنْهُمْ ، لا أُعْطِيهِ شَيْئًا مَخافَةَ أَنْ يُكَبُّوا فِى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ، قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا) قال : لم يصدّقوا إيمانهم بأعمالهم ، فردّ الله ذلك عليهم (قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا ، وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) ، وأخبرهم أن المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، ، أولئك هم الصادقون ، صدّقوا إيمانهم بأعمالهم ؛ فمن قال منهم : أنا مؤمن فقد صدق ؛ قال : وأما من انتحل الإيمان بالكلام ولم يعمل فقد كذب ، وليس بصادق .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مُغيرة ، عن إبراهيم (وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) قال : هو الإسلام .

وقال آخرون : إنما أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم بقيل ذلك لهم ، لأنهم أرادوا أن يتسموا بأسماء المهاجرين قبل أن يهاجروا ، فأعلمهم الله أن لهم أسماء الأعراب ، لا أسماء المهاجرين .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا) . . . الآية ، وذلك أنهم أرادوا أن يتسمَّوا باسم الهجرة ، ولا يتسمَّوا بأسمائهم التي سماهم الله ، وكان ذلك في أوّل الهجرة قبل أن تنزل المواريث لهم .

وقال آخرون : قيل لهم ذلك لأنهم منوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامهم ، فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل لهم لم تؤمنوا ، ولكن استسلمتم خوف السباء والقتل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا) ولعمري ماعمت هذه الآية الأعراب ، إن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ولكن إنما أُنزلت في حيّ من أحياء الأعراب امتنوا بإسلامهم على نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : أسلمنا ، ولم نقاتلك ، كما قاتلك بنوفلان وبنوفلان ، فقال الله : لاتقولوا آمنا ، ولكن قولوا أسلمنا حتى يبلغ في قلوبكم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَمْ تُؤْمِنُوا ، وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) قال : لم تعمّ هذه الآية الأعراب ، إن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويتخذ ما ينفق قربات عند الله ، ولكنها في طوائف من الأعراب .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ربَاح ، عن أبي معروف ، عن سعيد بن جُبَيْر (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ، قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) قال : استسلمنا لخوف السباء والقتل .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (قُولُوا أَسْلَمْنَا) قال : استسلمنا .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، وقرأ قول الله (قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا ، وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) استسلمنا : دخلنا في السلم ، وتركنا المحاربة والقتال بقولهم : لاإله إلا الله ، وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتى يَقُولُوا لاإلَهَ إلاَّ اللهُ ، فإذَا قالُوا لاإلَهَ إلاَّ اللهُ ، عَصَمُوا مِنِّي دِماءَهُمْ وأمْوَالَهُمْ إلاَّ بِحَقِّهَا وَحِسابُهُمْ على اللهِ » .

وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك القول الذي ذكرناه عن الزهريّ ، وهو أن الله تقدّم إلى هؤلاء الأعراب الذين دخلوا في الملة إقرارا منهم بالقول ، ولم يحققوا قولهم بعملهم أن يقولوا بالإطلاق آمنا

دون تقييد قولهم بذلك بأن يقولوا آمنا بالله ورسوله ، ولكن أمرهم أن يقولوا القول الذى لايشكل على سامعيه والذى قائله فيه محقّ ، وهو أن يقولوا أسلمنا ، بمعنى : دخلنا فى الملة والأموال ، والشهادة الحقّ [١] .

قوله (وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِى قُلُوبِكُمْ) يقول تعالى ذكره : ولما يدخل العلم بشرائع الإيمان ، وحقائق معانيه فى قلوبكم .

وقوله (وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لايَلِتْكُمْ مِنْ أَعمالِكُمْ شَيْئًا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء الأعراب القائلين آمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبهم ، إن تطيعوا الله ورسوله أيها القوم ، فتأتمروا لأمره وأمر رسوله ، وتعملوا بما فرض عليكم ، وتنتهوا عما نهاكم عنه ، (لايَلِتْكُمْ مِنْ أَعمالِكُمْ شَيْئًا) يقول : لايظلمكم من أجور أعمالكم شيئا ولاينقصكم من ثوابها شيئا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لايَلِتْكُمْ) لاينقصكم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لايَلِتْكُمْ مِنْ أَعمالِكُمْ شَيْئًا) يقول : لن يظلمكم من أعمالكم شيئا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى (وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ) قال : إن تصدقوا إيمانكم بأعمالكم يقبل ذلك منكم . وقرأت قرّاء الأمصار (لايَلِتْكُمْ مِنْ أَعمالِكُمْ) بغير همز ولا ألف ، سوى أبى عمرو ، فإنه قرأ ذلك (لايَأْلِتْكُمْ) بألف اعتبارا منه فى ذلك بقوله (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَىْءٍ) فمن قال : ألت ، قال : يألت . وأما الآخرون فإنهم جعلوا ذلك من لات يليت ، كما قال رُؤْبةُ بن العجاج :

وَلَيْلَةٍ ذَاتِ نَدًى سَرَيْتُ وَلَمْ يَلِتْنِى عَنْ سُرَاها لَيْتُ [٢]

والصواب من القراءة عندنا فى ذلك ، ما عليه قرّاء المدينة والكوفة (لايَلِتْكُمْ) بغير ألف ولا همز ، على لغة من قال : لات يليت ، لعلتين : إحداهما : إجماع الحجة من القرّاء عليها . والثانية أنها فى المصحف بغير ألف ، ولا تسقط الهمزة فى مثل هذا الموضع ، لأنها ساكنة ، والهمزة إذا سكنت ثبتت ، كما يقال : تأمرون وتأكلون ، وإنما تسقط إذا سكن ماقبلها ، ولا يحمل حرف فى القرآن إذا أتى بلغة على آخر جاء بلغة

(١) لعله دخلنا فى الملة لحفظ الأنفس والأموال بالشهادة . . . الخ .

(٢) البيتان نسبهما المؤلف إلى رؤبة بن العجاج ، ولم أجدهما فى ديوانه ولا فى ديوان أبيه العجاج . وأوردهما صاحب اللسان فى (حتن) محمد ونسبهما إلى أبى القفعمى . وقد استشهد بهما المؤلف مرة قبل هذه فى (١٥ : ٢) من هذه المطبوعة، عند أول سورة الإسراء . وشرحناها شرحا مفصلا يناسب هذه المقام ، فراجعهما ثمة .

خلافها إذا كانت اللغتان معروفتين فى كلام العرب . وقد ذكرنا أن ألت ولات لغتان معروفتان من كلامهم.

وقوله (إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله ذوعفو أيها الأعراب لمن أطاعه ، وتاب إليه من سالف ذنوبه ، فأطيعوه ، وانتهوا إلى أمره ونهيه ، يغفر لكم ذنوبكم ، رحيم بخلقه التائبين إليه أن يعاقبهم بعد توبتهم من ذنوبهم على ما تابوا منه ، فتوبوا إليه يرحمكم.

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) غفور للذنوب الكثيرة أو الكبيرة ، شكّ يزيد ، رحيم بعباده .

القول في تأويل قوله تعالى:

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾

❊ يقول تعالى ذكره للأعراب الذين قالوا آمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبهم: إنما المؤمنون أيها القوم الذين صدّقوا الله ورسوله ، ثم لم يرتابوا ، يقول: ثم لم يشكوا فى وحدانية الله ، ولا فى نبوّة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وألزم نفسه طاعة الله وطاعة رسوله ، والعمل بما وجب عليه من فرائض الله بغير شكّ منه فى وجوب ذلك عليه (وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) يقول : جاهدوا المشركين بإنفاق أموالهم ، وبذل مُهَجِهِم فى جهادهم ، على ما أمرهم الله به من جهادهم ، وذلك سبيله لتكون كلمة الله العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى .

وقوله (أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) يقول : هؤلاء الذين يفعلون ذلك هم الصادقون فى قولهم: إنا مؤمنون ، لا من دخل فى الملة خوفَ السيف ليحقن دمه وماله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) قال : صدّقوا إيمانهم بأعمالهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (قل) يامحمد لهؤلاء الأعراب القائلين آمنا ولمّا يدخل الإيمان فى قلوبهم : (أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ)أيها القوم بدينكم ، يعنى بطاعتكم ربكم (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ

وَمَا فِي الْأَرْضِ) يقول : والله الذى تعلّمونه أنكم مؤمنون، علاّم جميع مافى السموات السبع والأرضين السبع ، لايخفى عليه منه شىء ، فكيف تعلمونه بدينكم ، والذى أنتم عليه من الإيمان ، وهو لايخفى عليه خافية ، فى سماء ولا أرض ، فيخفى عليه ما أنتم عليه من الدين (وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يقول : والله بكلّ ماكان ، وما هوكائن ، وبما يكون ذوعلم . وإنما هذا تقدّم من الله إلىهؤلاء الأعراب بالنهى ، عن أن يكذّبوا ويقولوا غير الذى هم عليه فى دينهم . يقول : الله محيط بكلّ شىء عالم به ، فاحذروا أن تقولوا خلاف ما يعلم من ضمائر صدوركم ، فينالكم عقوبته ، فإنه لايخفى عليه شىء .

القول في تأويل قوله تعالى:

يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يمنّ عليك هؤلاء الأعراب يامحمد أن أسلموا (قُلْ لاَتَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ ، بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ للإِيمَانِ) يقول : بل الله يمن عليكم أيها القوم أن ونقكم للإيمان به وبرسوله (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) يقول : إن كنتم صادقين فى قولكم آمنا ، فإن الله هو الذى منّ عليكم بأن هداكم له ، فلا تمنوا علىّ بإسلامكم .

وذُكر أن هؤلاء الأعراب من بنى أسد ، امتنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : آمنا من غير قتال ، ولم نقاتلك كما قاتلك غيرنا ، فأنزل الله فيهم هذه الآيات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبَيْر فى هذه الآية (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا) أهم بنوأسد ؟ قال : قد قيل ذلك .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا سهل بن يوسف ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، قال : قلت لسعيد بن جُبَيْر (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا) أهم بنوأسد ؟ قال : يزعمون ذاك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبى عمرة ، قال : كان بشر بن غالب ولبيد بن عطارد ، أو بشر بن عطارد ، ولبيد بن غالب عند الحجاج جالسين ، فقال بشربن غالب للبيد بن عطارد : نزلت فىقومك بنى تميم (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ) فذكرت ذلك لسعيد بن جُبير ، فقال : إنه لوعلم بآخر الآية أجابه (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا) قالوا أسلمناولم نقاتلك بنوأسد .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لاَتَمُنُّوا) أنا أسلمنا بغير قتال لم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان ، فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : (قُلْ) لهم (لاَتَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ ، بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ) قال : فهذه الآيات نزلت في الأعراب .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره : إن الله أيها الأعراب لايخفى عليه الصادق منكم من الكاذب ، ومن الداخل منكم في ملة الإسلام رغبة فيه ، ومن الداخل فيه رهبة من رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وجنده ، فلا تعلمونا دينكم وضمائر صدوركم ، فإن الله يعلم ما تكنه ضمائر صدوركم ، وتحدثون به أنفسكم ، ويعلم ما غاب عنكم ، فاستسرّ في خبايا السموات والأرض ، لايخفى عليه شيء من ذلك (وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) يقول : والله ذو بصر بأعمالكم التي تعملونها ، أجهرا تعملون أم سرّا ، طاعة تعملون أو معصية ؟ وهو يجازيكم على جميع ذلك ، إن خيرا فخير ، وإن شرّا فشرّ وكُفُؤُه .

وأنْ في قوله (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا) في موضع نصب بوقوع يمنون عليها ، وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ إِسْلامَهُمْ) ، وذلك دليل على صحة ما قلنا ، ولو قيل : هي نصب بمعنى : يمنون عليك لأن أسلموا ، لكان وجها يتجه : وقال بعض أهل العربية : هي في موضع خفض ، بمعنى : لأن أسلموا .

وأما «أن» التي في قوله (بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ) فإنها في موضع نصب بسقوط الصلة لأن معنى الكلام : بل الله يمنّ عليكم بأن هداكم للإيمان .

آخر تفسير سورة الحجرات

(٥٠) سورة ق مكية
وآياتها خمس وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾

اختلف أهل التأويل في قوله (ق) ، فقال بعضهم : هو اسم من أسماء الله تعالى أقسم به

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس فى قوله (قٓ ـ وـ نٓ) وأشباه هذا ، فإنه قسم أقسمه الله ، وهو اسم من أسماء الله .

وقال آخرون : هو اسم من أسماء القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (قٓ) قال : اسم من أسماء القرآن .

وقال آخرون : (قٓ) اسم الجبل المحيط بالأرض ، وقد تقدّم بياننا فى تأويل حروف المعجم التى فى أوائل سور القرآن بما فيه الكفاية عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (وَالقُرْآنِ المَجِيدِ) يقول : والقرآن الكريم .

كما حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن أشعث بن إسحاق ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جُبَير (قٓ والقرآنِ المَجِيدِ) قال : الكريم .

واختلف أهل العربية فى موضع جواب هذا القسم ، فقال بعض نحويّى البصرة (قٓ والقُرْآنِ المَجِيدِ) قسم على قوله (قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ) وقال بعض نحويّى أهل الكوفة : فيها المعنى الذى أقسم به ، وقال : ذكر أنها قضى والله ، وقال : يقال : إن قاف جبل محيط بالأرض ، فإن يكن كذلك فكأنه فى موضع رفع : أى هو قاف والله ؛ قال : وكان ينبغى لرفعه أن يظهر لأنه اسم وليس بهجاء ؛ قال : ولعلّ القاف وحدها ذكرت من اسمه ، كما قال الشاعر :

* قُلْتُ لهَا قِفِى لَنَا قالَتْ قافْ [1] *

ذُكرت القاف إرادة القاف من الوقف : أى إنى واقفة .

وهذا القول الثانى عندنا أولى القولين بالصواب ، لأنه لا يعرف فى أجوبة الإيمان قد ، وإنما تجاب الأيمان إذا أجيبت بأحد الحروف الأربعة : اللام ، وإن ، وما ، ولا ، أو بترك جوابها فيكون ساقطا .

وقوله (بَلْ عَجِبُوا أنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ما كذّبك يا محمد مشركو قومك أن لا يكونوا عالمين بأنك صادق محقّ ، ولكنهم كذّبوك تعجبا من أن جاءهم منذر ينذرهم عقاب الله منهم ، يعنى بشرا منهم من بنى آدم ، ولم يأتهم ملَك برسالة من عند الله .

(١) فى (اللسان : وقف) غير منسوب . قال : وقوله * قلت لها قفى لنا قالت قاف * بسكون الكاف الفاء : إنما أراد : قد وقفت فاكتفى بذكر القاف . قال ابن جنى : ولو نقل هذا الشاعر إلينا شيئا من جملة الحال ، فقال مع قوله : قالت قاف ، وأمسكت زمام بعيرها ، أو عاجته عليها ، لكان أبين ، لما كانوا عليه ، وأدل على أنها أرادت قفى لنا ، أى يقول لى قفى لنا ! متعجبة منه . وهو إذا شاهدها وقد وقفت علم أن قولها : قاف إجابة لقوله ، وتعجب منه فى قوله قفى لنا . اهـ . وفى معانى القرآن للفراء (الورقة ٣٠٨) أورد البيت ثم قال : ذكرت القاف إرادة القاف من الوقت ، أى إنى واقفة . اهـ .
قلت : ولو ذهب قائل إلى أن قاف اسم صوت أريد به اسم الفعل وقفت لكان وجها .

وقوله (فَقَالَ الكافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ) يقول تعالى ذكره : فقال المكذّبون بالله ورسوله من قريش إذ جاءهم منذر منهم (هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ) : أى مجىء رجل منا من بنى آدم برسالة الله إلينا ، (هَلَّا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا) .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ۝ ﴾

يقول القائل : لم يجر للبعث ذكر ، فيخبر عن هؤلاء القوم بكفرهم مادعوا إليه من ذلك ، فما وجه الخبر عنهم بإنكارهم ما لم يدعوا إليه ، وجوابهم عما لم يسئلوا عنه . قيل : قد اختلف أهل العربية فى ذلك ، فنذكر ما قالوا فى ذلك ، ثم نتبعه البيان إن شاء الله تعالى ، فقال فى ذلك بعض نحويّى البصرة قال : (أئذا مِتْنا وكُنَّا تُرَابا ذَلكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) ، لم يذكر أنه راجع ، وذلك والله أعلم لأنه كان على جواب ، كأنه قيل لهم : إنكم ترجعون ، فـ(قالُوا أئذَا متنا وكُنّا تُرَابا ذَلكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) وقال بعض نحويّى الكوفة قوله : (أئذَا مِتْنا وكُنَّا تُرَابا) كلام لم يظهر قبله ، ما يكون هذا جوابا له ، ولكن معناه مضمر ، إنما كان والله أعلم : (قَ والقرآن المجيد) لَتُبْعَثُنَّ بعد الموت ، فقالوا : أئذا كنا ترابا بُعثنا ؟ جحدوا البعث ، ثم قالوا (ذَلكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) جحدوه أصلا ، قوله (بَعِيدٌ) كما تقول للرجل يخطئُ فى المسئلة ، لقد ذهبت مذهبا بعيدا من الصواب : أى أخطأت .

والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أن فى هذا الكلام متروكا استغنى بدلالة ما ذُكر عليه من ذكره ، وذلك أن الله دلّ بخبره عن تكذيب هؤلاء المشركين الذين ابتدأ هذه السورة بالخبر عن تكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله (بَلْ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ، فَقَالَ الكافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ) على وعيده إياهم على تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، فكأنه قال لهم : إذ قالوا منكرين رسالة الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم (هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ) ستعلمون أيها القوم إذا أنتم بُعثتم يوم القيامة ما يكون حالكم فى تكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم ، وإنكاركم نبوّته ، فقالوا مجيبين رسول الله صلى الله عليه وسلم (أئذَا مِتْنا وكُنَّا تُرَابا) نعلم ذلك ، ونرى ما تعدنا على تكذيبك (ذلكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) : أى أن ذلك غير كائن ، ولسنا راجعين أحياء بعد مماتنا ، فاستغنى بدلالة قوله (بَلْ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ) فقال الكافرون (هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ) من ذكر ماذكرت من الخبر عن وعيدهم .

وفيما حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أئذَا متنا وكُنَّا تُرَابا ذلكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) قالوا : كيف يحيينا الله ، وقد صرنا عظاما ورفاتا ، وضللنا فى الأرض ، دلالة على صحة ما قلنا من أنهم أنكروا البعث إذا توعّدوا به .

---

(١) العلاوة « لولا » . اه . مصححه

وقوله (قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ) يقول تعالى ذكره : قد علمنا ماتأكل الأرض من أجسامهم بعد مماتهم ، وعندنا كتاب بما تأكل الأرض وتفنى من أجسامهم ، ولهم كتاب مكتوب مع علمنا بذلك ، حافظ لذلك كله ، وسماه الله تعالى حفيظا ، لأنه لايدرس ماكتب فيه ، ولا يتغير ولا يتبدل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قَدْ عَلِمْنا ماتَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ) يقول : ماتأكل الأرض من لحومهم وأبشارهم وعظامهم وأشعارهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ماتَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ) قال : من عظامهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (قَدْ عَلِمْنا ماتَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ) يقول : ما تأكل الأرض منهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ) قال : يعنى الموت ، يقول : من يموت منهم ، أو قال : ما تأكل الأرض منهم إذا ماتوا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، قال الله (قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ) يقول : ما أكلت الأرض منهم ونحن عالمون به ، وهم عندى مع علمى فيهم فى كتاب حفيظ .

القول فى تأويل قوله تعالى :

بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾

يقول تعالى ذكره : ماأصاب هؤلاء المشركون القائلون (أئِذا مِتْنا وكُنَّا تُرَابا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) فى قيلهم هذا (بَلْ كَذَّبُوا بالحَقِّ) ، وهو القرآن (لَمَّا جاءَهُمْ) من الله .

كالذى حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بَلْ كَذَّبُوا بالحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ) أى كذّبوا بالقرآن (فَهُمْ فِى أمْرٍ مَرِيجٍ) يقول : فهم فى أمر مختلط عليهم ملتبس ، لايعرفون حقه من باطله ، [يقال] قد مرج أمر الناس إذا اختلط وأهمل .

وقد اختلفت عبارات أهل التأويل فى تأويلها ، وإن كانت متقاربات المعانى ، فقال بعضهم : معناها : فهم فى أمر منكر ؛ وقال : المريج : هو الشىء المنكر :

(١) زيادة لربط الكلام ، ونظن أنها سقطت من قلم الناسخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن خالد بن خداش ، قال : ثنى سلم بن قُتيبة ، عن وهب بن حبيب الآمدىّ ، عن أبى حمزة ، عن ابن عباس أنه سُئل عن قوله (أمْرٍ مَرِيجٍ) قال : المريج : الشىء المنكر ؛ أما سمعت قول الشاعر :

فَجالَتْ والْتَمَسَتْ بِهِ حَشاها فَخَرَّ كأنَّهُ خُوطٌ مَرِيجُ[1]

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فى أمر مختلف .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فِى أمْرٍ مَرِيجٍ) يقول : مختلف .

وقال آخرون : بل معناه : فى أمر ضلالة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَهُمْ فِى أمْرٍ مَرِيجٍ) قال : هم فى أمر ضلالة .

وقال آخرون : بل معناه : فى أمر مُلْتَبِس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن أشعث بن إسحاق ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد ابن جُبَير ، فى قوله (فَهُمْ فِى أمْرٍ مَرِيجٍ) قال : مُلْتَبِسٍ .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أمْرٍ مَرِيجٍ) قال : ملتبس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَهُمْ فِى أمْرٍ مَرِيجٍ) ملتبس عليهم أمره .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : والتبس عليه دينه .

وقال آخرون : بل هو المختلط .

---

(١) البيت للداخل بن حرام الهذلى ، كما فى شرح أشعار الهذليين للسكرى طبعة أوربا ، ص ٢٦٩ وليس لأبى ذؤيب ، كما قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٢٥ ب) . والضمير فى جالت البقرة . وفى به إلى السهم الذى وصفه . ويروى : فراغت : فى موضع « فجالت » . أى حادت عن السهم . والحشا : حشوة الجوف . وخر : سقط . وخوط : غصن أو قضيب . ومريج : أى قد مارح وترك ، يقال : مرج إذا وقع فترك . ويقال مريج : قلق ، يقال مرج الخاتم فى يدى ، أى انسل يمرج مرجا أى قلق وتقلقل واضطرب ومرج ، وفى (اللسان : مرج) المرج بالتحريك : مصدر قولك : مرج الخاتم فى يدى مرجا : أى قلق . وفى التنزيل « فهم فى أمر مريج » يقول : فى ضلال . وقال أبو إسحاق : فى أمر مختلف ، ملتبس عليهم ، يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم مرة : ساحر . ومرة شاعر ، ومرة معلم مجنون . وهذا الدليل على أن قوله « مريج » ملتبس عليهم . اه . وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (الورقة ٢٢٥ ب) مريج مختلط ؛ يقال قد مرج أمر الناس : اختلط وأهمل . وقال أبو ذؤيب (كذا) « فخر كأنه خوط مريج » أى سهم . اه .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ) قال : المريج : المختلط .

وإنما قلت : هذه العبارات وإن اختلفت ألفاظها فهى فى المعنى متقاربات ، لأن الشىء مختلف ملتبس ، معناه مشكل : وإذا كان كذلك كان منكرا ، لأن المعروف واضح بين ، وإذا كان غير معروف كان لاشكّ ضلالة ، لأن الهدى بين لالبس فيه .

وقوله (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا) يقول تعالى ذكره : أفلم ينظر هؤلاء المكذّبون بالبعث بعد الموت المُنكرون قُدرتنا على إحيائهم بعد بلائهم (إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا) فسوّيناها سقفا محفوظا ، وزيناها بالنجوم (وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ) يعنى : وما لها من صدوع وفتوق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ فُرُوجٍ) قال : شقّ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ) قلت له ، يعنى ابن زيد : الفروج : الشىء المتبرئ بعضه من بعض ، قال : نعم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۝ ﴾

وقوله (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا) يقول : والأرض بسطناها (وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ) يقول : وجعلنا فيها جبالا ثوابت ، رست فى الأرض ، (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) يقول تعالى ذكره : وأنبتنا فى الأرض من كل نوع من نبات حسن ، وهو البهيج .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (بَهِيجٍ) يقول : حسن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ) والرواسى الجبال (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) : أى من كل زوج حسن .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قلت لابن زيد (البهيج) : هو الحسن المنظر؟ قال نعم.

وقوله (تَبْصِرَةً) يقول : فعلنا ذلك تبصرة لكم أيها الناس بنصركم بها قدرة ربكم على ما يشاء ، (وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) يقول : وتذكيرا من الله عظمته وسلطانه ، وتنبيها على وحدانيته (لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) يقول : لكل عبد رجع إلى الإيمان بالله ، والعمل بطاعته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (تَبْصِرَةً) نعمة من الله يبصرها العباد (وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) : أى مقبل بقلبه إلى الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (تَبْصِرَةً وَذِكْرَى) قال : تبصرة من الله :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تَبْصِرَةً) قال : بصيرة .

حدثنا ابن حُمَيد قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عطاء ومجاهد (لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) قالا : مجيب :

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۝﴾

يقول تعالى ذكره (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) مطرا مباركا ، فأنبتنا به بساتين أشجارا ، وحبَّ الزرع المحصود من البرّ والشعير ، وسائر أنواع الحبوب :

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَحَبَّ الْحَصِيدِ) هذا البرّ والشعير .

حدثنى ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَحَبَّ الْحَصِيدِ) قال : هو البرّ والشعير .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَحَبَّ الْحَصِيدِ) قال : الحنطة :

وكان بعض أهل العربية يقول فى قوله (وَحَبَّ الْحَصِيدِ) الحبّ هو الحصيد ، وهو مما أضيف إلى نفسه مثل قوله (إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) .

وقوله (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ) يقول : وأنبتنا بالماء الذى أنزلنا من السماء النخل طوالا ، والباسق : هو الطويل ، يقال للجبل الطويل : جبل باسق ، كما قال أبو نوفل لابن هُبَيْرة :

يابْنَ الَّذينَ بِفَضْلِهِمْ　　بَسَقَتْ عَلى قَيْسٍ فَزَارَه[١]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (باسِقاتٍ) يقول : طوال .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (والنَّخْلَ باسِقاتٍ) قال : النخل الطوال .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن عبد الله بن شدّاد فى قوله (والنَّخْلَ باسِقات) قال : بُسوقها : طولها فى إقامة .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله : (والنَّخْلَ باسِقاتٍ) الباسقات : الطوال .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (باسِقاتٍ) قال : الطوال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والنَّخْلَ باسِقاتٍ) قال : بسوقها طولها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (والنَّخْلَ باسِقاتٍ) قال : يعنى طولها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (والنَّخْلَ باسِقاتٍ) قال : البسوق : الطول .

وقوله (لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ) يقول : لهذا النخل الباسقات طلع وهو الكُفُرَّى ، نضيد : يقول : منضود بعضه على بعض متراكب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ) قال : يقول بعضه على بعض .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (نَضِيدٌ) قال : المنضّد :

---

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٢٥ ب) قال : « والنخل باسقات » : طوال . يقال جبل باسق ، وحسب باسق ، قال أبو نوفل لابن هبيرة : « يابن الذين .... » البيت . وفى اللسان : بسق (بسق الشىء يبسق بسوقا : تم طوله) . وفى التنزيل : « والنخل باسقات » الفراء : باسقات : طوالا ، فهن طوال النخل ، وبسق على قومه : علاهم فى الفضل . وأنشد ابن برى لأبى نوفل : يابن الذين .... البيت » . اهـ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ) يقول : بعضه على بعض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ) ينضد بعضه على بعض .

وقوله (رِزْقًا لِلْعِبَادِ) يقول : أنبتنا بهذا الماء الذى أنزلناه من السماء هذه الجنات ، والحبّ والنخل قوتا للعباد ، بعضها غذاء ، وبعضها فاكهة ومتاعا .

وقوله (وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا) يقول تعالى ذكره وأحيينا بهذا الماء الذى أنزلناه من السماء بلدة ميتا قد أجدبت وقحطت ، فلا زرع فيها ولا نبت .

وقوله (كَذَلِكَ الْخُرُوجُ) يقول تعالى ذكره : كما أنبتنا بهذا الماء هذه الأرض الميتة ، فأحييناها به ، فأخرجنا نباتها وزرعها ، كذلك نخرجكم يوم القيامة أحياء من قبوركم من بعد بلائكم فيها بما ينزل عليها من الماء .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾

﴿ يقول تعالى ذكره (كَذَّبَتْ) قبل هؤلاء المشركين الذين كذّبوا محمدا صلى الله عليه وسلم من قومه (قَوْمُ نُوحٍ وأَصْحَابُ الرَّسِّ) وقد مضى ذكرنا قبل أمر أصحاب الرسّ ، وأنهم قوم رسُّوا نبيهم فى بئر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبي بكر ، عن عكرمة بذلك .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أَصْحَابُ الرَّسِّ) والرس : بئر قُتل فيها صاحبُ يس .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَصْحَابُ الرَّسِّ) قال : بئر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن عمرو بن عبد الله ، عن قتادة أنه قال : إن أصحاب الأيكة ، (والأيكة : الشجر الملتفّ) ، وأصحاب الرّسّ كانتا أمتين ، فبعث الله إليهم نبيا واحدا شعيبا ، وعذّبهما الله بعذابين (وَثَمُودُ ، وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ، وَإِخْوَانُ لُوطٍ ، وأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ) وهم قوم شعيب ، وقد مضى خبرهم قبل (وَقَوْمُ تُبَّعٍ) .

وكان قوم تُبَّعٍ أهل أوثان يعبدونها ، فيما حدثنا به ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق .

وكان من خبره وخبر قومه ، ما حدثنا به مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا عمران بن حُدَير ، عن أبي مجلز ، عن ابن عباس ، أنه سأل عبد الله بن سلام ، عن تُبَّع ما كان ؟ فقال : إن تبعا كان رجلا من العرب ، وإنه ظهر على الناس ، فاختار فِتية من الأخيار فاستبطنهم واستدخلهم ، حتى أخذ منهم

وبايعهم ، وإن قومه استكبروا ذلك وقالوا : قد ترك دينكم ، وبايع الفتية ؛ فلما فشا ذلك ، قال للفتية ، فقال الفتية : بيننا وبينهم النار تُحرق الكاذب ، وينجو منها الصادق ، ففعلوا ، فعلق الفتية مصاحفهم فى أعناقهم ، ثم غدوا إلى النار ، فلما ذهبوا أن يدخلوها ، سفعت النار فى [1] وجوههم ، فنكصوا عنها ، فقال لهم تبَّع : لتدخلنها ؛ فلما دخلوها أفرجت عنهم حتى قطعوها ، وأنه قال لقومه ادخلوها ؛ فلما ذهبوا يدخلونها سفعت النار وجوههم ، فنكصوا عنها ، فقال لهم تُبَّع : لتدخلنها ، فلما دخلوها أفرجت عنهم ، حتى إذا توسطوا أحاطت بهم ، فأحرقتهم ، فأسلم تُبع ، وكان تُبَّع رجلا صالحا .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبى مالك بن ثعلبة بن أبى مالك القرظى ، قال : سمعت إبراهيم بن محمد القرظى ، قال : سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة ، بن عبد الله يحدث « أن تبعا لما دنا من اليمن ليدخلها ، حالت حِمْيَر بينه وبين ذلك ، وقالوا لاتدخلها علينا ، وقد فارقت ديننا فدعاهم إلى دينه ، وقال : إنه دين خير من دينكم ، قالوا : فحاكمنا إلى النار ، قال نعم ، قال : وكانت فى اليمن فيما يزعم أهل اليمن نار تحكم فيما بينهم فيما يختلفون فيه ، تأكل الظالم ولا تضر المظلوم ؛ فلما قالوا ذلك لتبَّع ، قال : أنصفتم ، فخرج قومه بأوثانهم ، وما يتقربون به فى دينهم قال : وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما متقلديهما ، حتى قعدوا للنار عند مخرجها التى تخرج منه ، فخرجت النار إليهم ؛ فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها ، فرموهم من حضرهم من الناس ، وأمروهم بالصبر لها ، فصبروا حتى غشيتهم فأكلت الأوثان وما قربوا معها ، ومن حمل ذلك من رجال حِمْيَر وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما ، تعرق جباههما لم تضرهما ، فأطبقت حِمْيَر ، عند ذلك على دينه ، فمن هنالك وغير ذلك كان أصل اليهودية باليمن »

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق عن بعض أصحابه أن الحبرين ، ومن خرج معهما من حِمْيَر ، إنما اتبعوا النار ليردوها ، وقالوا : من ردها فهو أولى بالحق فدنا منهم رجال من حمير بأوثانهم ليردوها ، فدنت منهم لتأكلهم ، فحادوا فلم يستطيعوا ردها ، ودنا منها الحبران بعد ذلك وجعلا يتلوان التوراة ، وتنكص حتى رداها إلى مخرجها الذى خرجت منه ، فأطبقت عند ذلك على دينهما ، وكان رئام بيتا لهم يعظمونه ، وينحرون عنده ، ويكلمون منه ، إذ كانوا على شركهم ، فقال الحبران لتبَّع إنما هو شيطان يعبثهم ويلعب بهم ، فخل بيننا وبينه ، قال : فشأنكما به فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلبا أسود ، فذبحاه ، ثم هدما ذلك البيت ، فبقاياه اليوم باليمن كما ذُكر لى » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن لهيعة ، عن عمرو بن جابر الحضرمى ، حدثه قال : سمعت سهل بن سعد الساعدى ، يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لاتَلْعَنُوا تُبَّعا فإنَّهُ كانَ قَدْ أسْلَمَ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى ابن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد أن شعيب ابن زرعة المعافرى ، حدثه ، قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وقال له رجل : إن حِمْيَر تزعم أن تبعا منهم ، فقال : نعم والذى نفسى بيده ، وإنه فى العرب كالأنف بين العينين ، وقد كان منهم سبعون ملكا .

(١) كذا فى الأصل ، وسيجىء نظيره قريبا بإسقاط (فى) من الكلام . ولعله زاد (فى) على التضمين .

وقوله (كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ) يقول تعالى ذكره : كل هؤلاء الذين ذكرناهم كذبوا رسل الله الذين أرسلهم (فَحَقَّ وَعِيد) يقول : فوجب لهم الوعيد الذى وعدناهم على كفرهم بالله ، وحل بهم العذاب والنقمة . وإنما وصف ربنا جل ثناؤه ما وصف فى هذه الآية من إحلاله عقوبته بهؤلاء المكذبين الرسل ترهيبا منه بذلك مشركى قريش وإعلاما منه لهم أنهم إن لم ينيبوا من تكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، أنه محل بهم من العذاب ، مثل الذى أحل بهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَحَقَّ وَعِيدِ) قال : ما أهلكوا به تخويفا لهؤلاء .

القول في تأويل قوله تعالى:

أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾

وهذا تقريع من الله لمشركى قريش الذين قالوا : (أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) يقول لهم جل ثناؤه : أفعيينا بابتداع الخلق الأول الذى خلقناه ، ولم يكن شيئا فنعيا بإعادتهم خلقا جديدا بعد بلائهم فى التراب ، وبعد فنائهم ؛ يقول : ليس يعيينا ذلك ، بل نحن عليه قادرون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ) يقول : لم يعينا الخلق الأول .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ) يقول : أفعيى علينا حين أنشأناكم خلقا جديدا ، فتمتروا بالبعث .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن أبى ميسرة (أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ) قال : إنا خلقناكم .

وقوله (بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) يقول تعالى ذكره : ما يشك هؤلاء المشركون المكذبون بالبعث أنا لم نعى بالخلق الأول ، ولكنهم فى شك من قدرتنا على أن نخلقهم خلقا جديدا بعد فنائهم ، وبلائهم فى قبورهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ؟) يقول : فى شكّ من البعث .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن أبى ميسرة (بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ) قال : الكفار (مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) قال : أن يخلقوا من بعد الموت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ) : أى شكّ والخلق الجديد : البعث بعد الموت ، فصار الناس فيه رجلين : مكذّب ، ومصدّق .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) قال : البعث من بعد الموت .

وقوله (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ) يقول تعالى ذكره : ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما تحدّث به نفسه ، فلا يخفى علينا سرائره وضمائر قلبه (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ) يقول : ونحن أقرب للإنسان من حبل العاتق ؛ والوريد : عرق بين الحلقوم والعلباوين ، والحبل : هو الوريد ، فأضيف إلى نفسه لاختلاف لفظ اسميه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ) يقول : عرق العنق .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (حَبْلِ الوَرِيدِ) قال : الذى يكون فى الحلق .

وقد اختلف أهل العربية فى معنى قوله (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ) فقال بعضهم : معناه : نحن أملك به ، وأقرب إليه فى المقدرة عليه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ) بالعلم بما تُوَسْوِس به نفسه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : ونحن أقرب إلى الإنسان من وريد حلقه ، حين يتلقى الملكان ، وهما المتلقيان (عَنِ اليَمِينِ ، وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيد) وقيل : عنى بالقعيد : الرصد .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قَعِيدٌ) قال : رَصَد .

واختلف أهل العربية في وجه توحيد قعيد ، وقد ذُكر من قبل متلقيان ، فقال بعض نحويي البصرة : قيل : (عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ) ولم يقل: عن اليمين قعيد ، وعن الشمال قعيد ، أي أحدهما ، ثم استغنى ، كما قال (يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً) ثم استغنى بالواحد عن الجمع ، كما قال : (فإنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسا) . وقال بعض نحويي الكوفة (قَعِيدٌ) يريد : قعودا عن اليمين وعن الشمال ، فجعل فعيل جمعا ، كما يجعل الرسول للقوم وللاثنين ، قال الله عزّ وجل: (إنا رَسُولُ رَبِّ العالَمِينَ) لموسى وأخيه ، وقال الشاعر :

أَلِكْنِي إلَيْها وَخَيْرُ الرَّسُو ... لِ أَعْلَمُهُمْ بِنَوَاحِي الخَبَرْ[1]

فجعل الرسول للجمع ، فهذا وجه وإن شئت جعلت القعيد واحدا اكتفاء به من صاحبه ، كما قال الشاعر :

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وأنْتَ بِمَا ... عِنْدَكَ رَاضٍ والرَّأيُ مُخْتَلِفُ[2]

ومنه قول الفرزدق :

إنِّي ضَمِنْتُ لِمَنْ أتانِي ما جَنَى ... وأبِي فَكانَ وكُنْتُ غَيْرَ غَدُورِ[3]

ولم يقل : غَدُورَيْن .

(١) البيت لأبي ذؤيب (اللسان : رسل) وروايته فيه كرواية المؤلف هنا ، وقد نقلها المؤلف عن معاني القرآن للفراء (الورقة ٣٠٩) وفي (اللسان : ألك): بخبر الرسول . وأعلمهم بهمزة المتكلم في المضارع . وقال في رسل : وفي التنزيل العزيز « إنا رسول رب العالمين » ولم يقل رسل لأن فعولا وفعيلا يستوي فيهما المذكر والمؤنث ، والواحد والجمع مثل عدو وصديق. وقول أبي ذؤيب «ألكني إليها .... البيت » أراد بالرسول : الرسل ، فوضع الواحد موضع الجمع ، كقولهم : كثر الدينار والدرهم لا يريدون به الدينار بعينه ، إنما يريدون كثرة الدنانير والدراهم . وفي (اللسان : ألك) : ألكني : أي أبلغ رسالتي ، من الألوك والمألكة ، وهي الرسالة . وقال الفراء في معاني القرآن عند قوله تعالى (عن اليمين وعن الشمال قعيد) : لم يقل قعيدان : وروي عن ابن عباس قال : قعيدان ، عن اليمين وعن الشمال ، يريد قعود (بضم القاف) فجعل القعيد جمعا ، كما تجعل الرسول للقوم وللاثنين ، كما قال الله : « إنا رسولا رب العالمين » لموسى وأخيه ، وقال الشاعر : « ألكني إليها .... البيت » . اهـ.

(٢) البيت لقيس بن الحطيم ، وقد تقدم الاستشهاد به في (١٠ : ١٢٢) من هذه الطبعة وشرحناه هناك شرحا مفصلا ، فارجع إليه ثمة . (وانظر الكتاب لسيبويه ١ : ٣٨) .

(٣) البيت للفرزدق (الكتاب لسيبويه طبعة مصر ١ : ٣٨) وهو من شواهد النحويين في باب التنازع ، فإن قوله كان وكنت يطلب الخبر وهو قوله « غير غدور » . والأصل : وكنت غير غدور ، وكان غير غدور . والعرب تحذف في مثل هذا خبر أحد العاملين ، اكتفاء بدلالة خبره على المحذوف. وعند البصريين أن الخبر الموجود هو خبر الثاني لا الأول فقد حذف خبره ، وهو ظاهر في الشاهد الذي قبل هذا : « نحن بما عندنا . . . » الخ (وقال الفراء في معاني القرآن الورقة ٣٠٩ ومثله) أي مثل . الشاهد الذي قبله ، قول الفرزدق : « إني ضمنت ...البيت » ، ولم يقل غدورين . وقد نقل المؤلف كلامه .

وقوله (ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) يقول تعالى ذكره : ما يلفظ الإنسان من قول فيتكلم به ، إلا عند ما يلفظ به ، من قول رقيبٍ عتيد ، يعنى حافظ يحفظه ، عتيد مُعَدّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (عن اليمين وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ) قال : عن اليمين الذى يكتب الحسنات ، وعن الشمال الذى يكتب السيئات .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمىّ ، فى قوله (إذْ يَتَلَقَّى المُتَلَقِّيانِ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ) قال صاحب اليمين أمير أو أمين على صاحب الشمال ، فإذا عمل العبد سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال : أمسك لعله يتوب .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (إذ يَتَلَقَّى المُتَلَقِّيانِ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ) قال ملك عن يمينه ، وآخر عن يساره ، فأما الذى عن يمينه فيكتب الخير ، وأما الذى عن شماله فيكتب الشرّ .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : مع كل إنسان مَلَكان : ملك عن يمينه ، وملك عن يساره ؛ قال : فأما الذى عن يمينه ، فيكتب الخير ، وأما الذى عن يساره فيكتب الشرّ .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ) . . . إلى (عَتِيدٌ) قال : جعل الله على ابن آدم حافظين فى الليل، وحافظين فى النهار ، يحفظان عليه عمله ، ويكتبان أثره .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إذْ يَتَلَقَّى المُتَلَقِّيانِ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ) ، حتى بلغ (عَتِيدٌ) قال الحسن وقتادة (ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ) أى ما يتكلم به من شىء إلا كتب عليه . وكان عكرمة يقول : إنما ذلك فى الخير والشرّ يكتبان عليه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور، عن معمر ، عن قتادة ، قال : تلا الحسن (عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ) قال : فقال : ياابن آدم بُسِطت لك صحيفة ، ووكل بك مَلَكان كريمان ، أحدهما عن يمينك ، والآخر عن شمالك ؛ فأما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك ؛ وأما الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك ، فاعمل بما شئت أقلل أو أكثر ، حتى إذا متّ طويت صحيفتك ، فجعلت فى عنقك معك فى قبرك ، حتى تخرج يوم القيامة ، فعند ذلك يقول : (وَكُلَّ إنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِى عُنُقِهِ) . . . حتى بلغ (حَسِيبا) عَدَلَ والله عليك من جعلك حسيب نفسك .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ) قال : كاتب الحسنات عن يمينه ، وكاتب السيئات عن شماله .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : بلغني أن كاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات ، فإذا أذنب قال له : لاتعجل لعله يستغفر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) قال : جعل معه من يكتب كلّ ما لفظ به ، وهو معه رقيب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن هشام الحمصى ، أنه بلغه أن الرجل إذا عمل سيئة قال كاتب اليمين لصاحب الشمال : اكتب ، فيقول : لا بل أنت اكتب ، فيمتنعان ، فينادى مناد : ياصاحب الشمال اكتب ماترك صاحب اليمين .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾

وفى قوله (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ) وجهان من التأويل ، أحدهما : وجاءت سكرة الموت وهى شدّته وغلبته على فهم الإنسان ، كالسكرة من النوم أوالشراب بالحقّ من أمر الآخرة ، فتبينه الإنسان حتى تثبته وعرفه . والثانى : وجاءت سكرة الموت بحقيقة الموت .

وقد ذُكر عن أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه أنه كان يقرأ (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ) .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن واصل ، عن أبى وائل ، قال : لما كان أبوبكر رضى الله عنه يقضى ، قالت عائشة رضى الله عنها هذا ، كما قال الشاعر :

* إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ [١] *

فقال أبوبكر رضى الله عنه : لاتقولى ذلك ، ولكنه كما قال الله عزّ وجلّ : (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ [٢] ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) . وقد ذُكر أن ذلك كذلك فى قراءة ابن مسعود . ولقراءة من قرأ ذلك كذلك من التأويل وجهان :

أحدهما : وجاءت سكرة الله بالموت ، فيكون الحقّ هو الله تعالى ذكره . والثانى : أن تكون السكرة

---

(١) هذا عجز بيت ، وصدره كما فى (اللسان : حشرج) « لعمرك مايغنى الثراء ولا الغنى » قال : الحشرجة : تردد صوت النفس وهو الغرغرة فى الصدور . وفى حديث عائشة ودخلت على أبيها ـ رضى الله عنهما ـ عند موته ، فأنشدت : « لعمرك ... البيت فقال : ليس كذلك ، ولكن : « وجاء سكرة الحق بالموت » . وهى قراءة منسوبة إليه وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٠٩) عند قوله تعالى : « وجاءت سكرة الموت بالحق » : وفى قراءة عبد الله (ابن مسعود) وإن شئت جعلت السكرة هى الموت ، أضفتها إلى نفسها كأنك قلت : جاءت السكرة الحق بالموت اهـ . قلت : وهذا البيت لحاتم الطائى ، وروايته فى ديوانه (لندن سنة ١٨٧٢ ص ٣٩) :

أَمَاوِىَّ مَا يُغْنِى الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى ... إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

(٢) لعله سكرة الحق بالموت فإنها قراءة الصديق رضى الله عنه إلا أن تكون القراءة الأخرى رويت عنه أيضا .

هى الموت أُضيفت إلى نفسها ، كما قيل : (إنَّ هذَا لهُوَ حقُّ اليَقِينِ) . ويكون تأويل الكلام : وجاءت السكرةُ الحقُّ بالموت :

وقوله (ذلكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) يقول : هذه السكرة التى جاءتك أيها الإنسان بالحقّ هو الشىء الذى كنت تَهرب منه ، وعنه تروغ .

وقوله (وَنُفِخَ فِى الصُّورِ ذلكَ يَوْمُ الوَعِيدِ) قد تقدّم بياننا عن معنى الصُّور ، وكيف النَّفخ فيه بذكر اختلاف المختلفين . والذى هو أولى الأقوال عندنا فيه بالصواب ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (ذلكَ يَوْمُ الوَعِيدِ) يقول : هذا اليوم الذى ينفخ فيه هو يوم الوعيد الذى وعده الله الكفار أن يعذّبهم فيه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ۝٢١ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ۝٢٢ ﴾

يقول تعالى ذكره : وجاءت يوم ينفخ فى الصور كلُّ نفس ربها ، معها سائق يسوقها إلى الله ، وشهيد يشهد عليها بما عملت فى الدنيا من خير أو شرّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن يحيى بن رافع مولى لثقيف ، قال : سمعت عثمان بن عفان رضى الله عنه يخطب ، فقرأ هذه الآية (سائِقٌ وشَهِيدٌ) قال : سائق يسوقها إلى الله ، وشاهد يشهد عليها بما عملت .

قال : ثنا حكام ، عن إسماعيل ، عن أبى عيسى ، قال : سمعت عثمان بن عفان رضى الله عنه يخطب ، فقرأ هذه الآية (وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ) قال : السائق يسوقها إلى أمر الله ، والشهيد يشهد عليها بما عملت .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَشَهِيدٌ) قال : السائق من الملائكة ، والشهيد : شاهد عليه من نفسه .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا سفيان ، عن مهران ، عن خَصِيف ، عن مجاهد (سائِقٌ وشَهِيدٌ) سائق يسوقها إلى أمر الله ، وشاهد يشهد عليها بما عملت .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (سائِقٌ وشَهِيدٌ) سائق يسوقها إلى أمر الله ، وشاهد يشهد عليها بما عملت .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله (سائِقٌ وشَهِيدٌ) قال : الملكان : كاتب ، وشهيد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ) قال : سائق يسوقها إلى ربها ، وشاهد يشهد عليها بعملها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان بن حرب ، قال : ثنا أبوهلال ، قال : ثنا قتادة ، في قوله (وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ) قال : سائق يسوقها إلى حسابها ، وشاهد يشهد عليها بما عملت .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ) قال : سائق يسوقها ، وشاهد يشهد عليها بعملها .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس (سائِقٌ وشَهِيدٌ) قال : سائق يسوقها ، وشاهد يشهد عليها بعملها .

وحُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ) السائق من الملائكة ، والشاهد من أنفسهم : الأيدي ، والأرجل ، والملائكة أيضا شهداء عليهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (سائِقٌ وشَهِيدٌ) قال : مَلَك وُكّل به يحصي عليه عمله ، ومَلَك يسوقه إلى محشره حتى يوافي محشره يوم القيامة .

❊ واختلف أهل التأويل في المعنيّ بهذه الآيات ؛ فقال بعضهم : عنى بها النبيّ صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : عنى أهل الشرك ، وقال بعضهم : عُنِي بها كلّ أحد .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : ثني يعقوب بن عبد الرحمن الزهريّ ، قال : سألت زيد ابن أسلم ، عن قول الله (وَجاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بالحَقّ) . . . الآية ، إلى قوله (سائِقٌ وشَهِيدٌ) ، فقلت له : من يُراد بهذا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت له رسول الله ؟ فقال : ما تنكر ؟ قال الله عز وجلّ : (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتيماً فَآوَى ، وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى) قال : ثم سألت صالح بن كيسان عنها ، فقال لي : هل سألت أحدا ؟ فقلت : نعم ، قد سألت عنها زيد بن أسلم ، فقال : ما قال لك ؟ فقلت : بل تخبرني ما تقول ، فقال : لأخبرنك برأيي الذي عليه رأيي ، فأخبرني ما قال لك ؟ قلت : قال : يُراد بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : وما علم زيد ؟ والله ما سنّ عالية ، ولا لسان فصيح ، ولا معرفة بكلام العرب ، إنما يُراد بهذا الكافر . ثم قال : اقرأ ما بعدها يدلك على ذلك ، قال : ثم سألت حسين

ابن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، فقال لى مثل ما قال صالح : هل سألت أحدا فأخبرنى به ؟ قلت : إنى قدسألت زيد بن أسلم وصالح بن كيسان ، فقال لى : ما قالا لك ؟ قلت : بل تخبرنى بقولك ، قال : لأخبرنك بقولى ، فأخبرته بالذى قالا لى ، قال : أخالفهما جميعا ، يريد بها البرّ والفاجر ، قال الله : (وَجاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالحَقِّ ذلكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ـ فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ) قال : فانكشف الغطاء عن البرّ والفاجر ، فرأى كلّ ما يصير إليه .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَشَهِيدٌ) يعنى المشركين .

وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال : عنى بها البرّ والفاجر ، لأن الله أتبع هذه الآيات قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ) والإنسان فى هذا الموضع بمعنى : الناس كلهم ، غير مخصوص منهم بعض دون بعض . فمعلوم إذا كان ذلك كذلك أن معنى قوله (وَجاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالحَقِّ) وجاءتك أيها الإنسان سكرة الموت بالحق (ذلكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) وإذا كان ذلك كذلك كانت بينة صحة ما قلنا .

وقوله (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذا) يقول تعالى ذكره : يقال له : لقد كنت فى غفلة من هذا الذى عاينت اليوم أيها الإنسان من الأهوال والشدائد (فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ) يقول : فجلينا ذلك لك ، وأظهرناه لعينيك ، حتى رأيته وعاينته ، فزالت الغفلة عنك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وإن اختلفوا فى المقول ذلك له ، فقال بعضهم : المقول ذلك له الكافر .

وقال آخرون : هو نبىّ الله صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : هو جميع الخلق من الجنّ والإنس .

ذكر من قال : هو الكافر .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ) وذلك الكافر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ) قال : للكافر يوم القيامة .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ) قال : فى الكافر .

ذكر من قال : هو نبىّ الله صلى الله عليه وسلم

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ

هَٰذَا) قال : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : لقد كنت فى غفلة من هذا الأمر يا محمد ، كنت مع القوم فى جاهليتهم (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) :

وعلى هذا التأويل الذى قاله ابن زيد يجب أن يكون هذا الكلام خطابا من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أنه كان فى غفلة فى الجاهلية من هذا الدين الذى بعثه به ، فكشف عنه غطاءه الذى كان عليه فى الجاهلية ، فنفذ بصره بالإيمان وتبينه حتى تقرّر ذلك عنده ، فصار حادّ البصر به .

ذكر من قال : هو جميع الخلق من الجنّ والإنس

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى يعقوب بن عبد الرحمن الزهرىّ ، قال : سألت عن ذلك الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، فقال : يريد به البرّ والفاجر ، (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) قال : وكُشِف الغطاء عن البرّ والفاجر ، فرأى كلّ ما يصير إليه .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ) قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ) قال : الحياة بعد الموت .

حدثنا بشر قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ) قال : عاين الآخرة .

وقوله (فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) يقول : فأنت اليوم نافذ البصر ، عالم بما كنت عنه فى الدنيا فى غفلة ، وهو من قولهم : فلان بصير بهذا الأمر : إذا كان ذا علم به ، وله بهذا الأمر بصر : أى علم .

وقد رُوى عن الضحاك أنه قال : معنى ذلك (فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) لسان الميزان ، وأحسبه أراد بذلك أن معرفته وعلمه بما أسلف فى الدنيا شاهد عدل عليه ، فشبّه بصره بذلك بلسان الميزان الذى يعدل به الحقّ فى الوزن ، ويعرف مبلغه الواجب لأهله عما زاد على ذلك أو نقص ، فكذلك علم من وافى القيامة بما اكتسب فى الدنيا شاهد عليه كلسان الميزان .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۝ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ ۝

يقول تعالى ذكره : وقال قرين هذا الإنسان الذى جاء به يوم القيامة معه سائق وشهيد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ) الملك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا ما لَدَىَّ عَتِيدٌ) . . . إلى آخر الآية ، قال : هذا سائقه الذى وُكِّل به ، وقرأ (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) .

وقوله (هَذَا ما لَدَىَّ عَتِيدٌ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل قَرِينِ هذا الإنسان عند موافاته ربه به ، ربِّ هذا ما لدىّ عتيد : يقول : هذا الذى هو عندى معدّ محفوظ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هَذَا ما لَدَىَّ عَتِيدٌ) قال : والعتيد : الذى قد أخذه ، وجاء به السائق والحافظ معه جميعا .

وقوله (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ) فيه متروك استغنى بدلالة الظاهر عليه منه ، وهو : يقال ألقيا فى جهنم ، أو قال تعالى : ألقيا ، فأخرج الأمر للقرين ، وهو بلفظ واحد مخرج خطاب الاثنين . وفى ذلك وجهان من التأويل : أحدهما : أن يكون القرين بمعنى الاثنين ، كالرسول ، والاسم الذى يكون بلفظ الواحد فى الواحد ، والتثنية والجمع ، فردّ قوله (أَلْقِيَا فى جَهَنَّمَ) إلى المعنى . والثانى : أن يكون كما كان بعض أهل العربية يقول ، وهو أن العرب تأمر الواحد والجماعة بما تأمر به الاثنين ، فتقول للرجل ويلك أرحلاها وازجراها ، وذكر أنه سمعها من العرب ؛ قال : وأنشدنى بعضهم :

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي لا تَحْبِسانا ... بِنَزْعِ أُصُولِهِ واجْتَزَّ شِيحا[1]

قال : وأنشدنى أبو ثروان :

فإنْ تَزْجُرانِي يابْنَ عَفَّانَ أنْزَجِرْ ... وَإنْ تَدَعانِي أحْمِ عِرْضا مُمَنَّعا[2]

(١) البيت لمضرس بن ربعى الفقعسى الأسدى ، وليس ليزيد بن الطثرية كما نسبه الكسائى وثعلب إليه ، وأخذه عنه الجوهرى فى الصحاح . قاله ياقوت فيما كتبه على الصحاح . وفى روايته : «لحاطبى» فى موضع لصاحبى ، وقوله : «لاتحبسانا» ، فإن العرب ربما خاطبت الواحد بلفظ الاثنين (انظر شرح شواهد الشافية لعبد القادر البغدادى طبع القاهرة) . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٠٩ عند قوله تعالى «ألقيا فى جهنم» . العرب تأمر الواحد والقوم بما يؤمر به الاثنان ، فيقولان للرجل قوما عنا . وسمعت بعضهم يقول : ويحك أرحلاها وازجراها . وأنشدنى بعضهم «فقلت لصاحبى ... البيت» . قال : ويروى : واجذ يريد : واجتز . اهـ .

(٢) وهذا البيت أيضا من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٠٩) على ما تقدم فى نظيره من أن العرب قد تخاطب القوم والواحد بما تخاطب به الاثنين . قال بعد أن أنشد البيت : ونرى أن ذلك منهم أن الرجل أدنى أعوانه فى إبله وغنمه اثنان ، وكذلك الرفقة أدنى مايكونون ثلاثة ، فجرى كلام الواحد على صاحبيه . اهـ .

وقال فى (اللسان : جزز) إن العرب ربما خاطبت الواحد بلفظ الاثنين ، كما قال سويد بن كراع العكلى :

تقول ابنة العوفى ليلى ألا ترى ... إلى ابن كراع لايزال مفزعا

مخافة هذين الأميرين سهدت ... رقادى وغشتنى بياضا مقزعا

فإن أنتما أحكمتمانى فازجرا ... أراهط تؤذينى من الناس رضعا

وإن تزجرانى ... البيت .

قال : وهذا يدل على أنه خاطب اثنين : سعيد بن عثمان ، ومن ينوب عنه ، أو يحضر معه . وقوله فإن أنتما أحكمتمانى : دليل أيضا على أنه يخاطب اثنين . وقوله : أحكمتمانى : أي منعتمانى من هجائه . وأصله من أحكمت الدابة : إذا جعلت فيها حكمة اللجام

قال : فيروى أن ذلك منهم أن الرجل أدنى أعوانه فى إبله وغنمه اثنان ، وكذلك الرفقة أدنى ماتكون ثلاثة ، فجرى كلام الواحد على صاحبيه ، وقال : ألا ترى الشعراء أكثر شيء قيلا يا صاحبىّ يا خليلىّ ، وقال امرؤ القَيس :

خَلِيلَىَّ مُرَّا بِى على أُمِّ جُنْدَبِ ... نُقَضِّ لُبانَاتِ الفُؤَادِ المُعَذَّبِ[1]

ثم قال :

أَلَمْ تَرَ أَنِّى كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا ... وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ[2]

فرجع إلى الواحد ، وأوّل الكلام اثنان ؛ قال : وأنشدنى بعضهم :

خَلِيلَىَّ قُومَا فى عَطَالَةَ فانْظُرَا : ... أَنَارًا تَرَى مِنْ ذِى أَبَانَيْنِ أَمْ بَرْقَا[3]

وبعضهم يروى : أنارا نرى .

(كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ) يعنى : كل جاحد وحدانية الله عنيد ، وهو العاند عن الحقّ وسبيل الهدى .

وقوله (مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ) كان قتادة يقول فى الخير فى هذا الموضع : هو الزكاة المفروضة .

حدثنا بذلك بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة .

والصواب من القول فى ذلك عندى أنه كلّ حقّ وجب لله ، أو لآدمى فى ماله ، والخير فى هذا الموضع هو المال .

وإنما قلنا ذلك هو الصواب من القول ، لأن الله تعالى ذكره عمّ بقوله (مناع للخير) عنه أنه يمنع الخير ولم يخصص منه شيئا دون شيء ، فذلك على كلّ خير يمكن منعه طالبه .

وقوله (مُعْتَدٍ) يقول : معتد على الناس بلسانه بالبذاء والفحش فى المنطق ، وبيده بالسطوة والبطش ظلما .

= وقوله : «وإن تدعافى» أى إن تركتمانى حيث عرضى من يؤذينى . وإن زجرتمانى انزجرت وصبرت . والرضع : جمع راضع ، وهو اللئيم اهـ. وعلى هذا لايكون فى البيت شاهد للفراء ، ولا للمؤلف .

(١) هذا البيت مطلع قصيدة لامرىء القيس قالها فى زوجته أم جندب من طيىء (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ص ٤٣) والشاهد فيه أن يخاطب خليله ، بلفظ التثنية ، لأنهم كانوا ثلاثة فى سفر . وبعد هذا المطلع قوله :

فإنكما إن تنظرانى ساعة ... من الدهر تنفعنى لدى أم جندب

(٢) وهذا البيت هو ثالث البيتين فى القصيدة ، وهو لامرىء القيس أيضا . قال الفراء بعد كلامه الذى سبق فى الشاهد الذى قبله : ثم قال : ألم ترى ، فرجع إلى الواحد ، وأول كلامه اثنان . قلت : وكلام الفراء بناء على روايته فى البيت . وهناك رواية أخرى فى قوله «ألم ترى» وهى : « ألم تريا » بصيغة الخطاب المثنى ، وهما رفيقاه ، ولا شاهد عليها فى البيت . وهى راواية الأعلم الشنتمرى فى شرحه للأشعار الستة ، وأثبتها شارح مختار الشعر الجاهلى .

(٣) البيت لسويد بن كراع العكلى عن (التاج : عطل) وعطالة : جبل لبنى تميم وذو أبانين : أى المكان الذى فيه الجبلان : أبان الأبيض ، وهو لبنى جريد من بنى فزارة خاصة ، والأسود لبنى والبة من بنى الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد ، ويشركهم فيه فزارة . وبين الجبلين نحو فرسخ ، ووادى الرمة يقطع بينهما . قاله البكرى فى (معجم ما استعجم ص ٩٥) . وقال الفراء بعد أن روى البيت : بعضهم يرويه : « أنارا ترى » . اهـ . وعلى هذه الرواية الأخيرة لايكون فى البيت شاهد على ما أراده المؤلف من أن العرب تخاطب الواحد بما تخاطب به المثنى . وقوله « من ذى أبانين » هذه رواية الطبرى فى الأصل ، وهى تختلف عن رواية الفراء فى معانى القرآن (٣٠٩) وهى : « من نحو بابين » . قال فى التاج : وبابين - مثنى - موضع بالبحرين .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : معتد فى منطقه وسيرته وأمره .

وقوله (مُرِيبٍ) يعنى : شاكٌ فى وحدانية الله وقدرته على ما يشاء .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مُرِيبٌ) : أى شاكٌ .

القول فى تأويل قوله تعالى :

الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى ذكره : الذى أشرك بالله فعبد معه معبودا آخر من خلقه (فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ) يقول : فألقياه فى عذاب جهنم الشديد .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره : قال قرين هذا الإنسان الكفَّار المنَّاع للخير ، وهو شيطانه الذى كان موكلا به فى الدنيا .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ) قال : قرينه شيطانه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قَالَ قَرِينُهُ) قال : الشيطان قُيِّض له .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ) هو المشرك (قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ) قال : قرينه الشيطان .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ) قال : قرينه : الشيطان .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ) قال : قرينه : شيطانه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ) قال : قرينه من الجنّ : ربنا ما أطغيته ، تبرأ منه .

وقوله (رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ) يقول : ما أنا جعلته طاغيا متعدّيا إلى ما ليس له ، وإنما يعنى بذلك الكفر بالله (وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) يقول : ولكن كان فى طريق جائر عن سبيل الهدى جورا بعيدا .

وإنما أخبر تعالى ذكره هذا الخبر عن قول قرين الكافر له يوم القيامة ، إعلاما منه عباده ، تبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (رَبَّنَا ما أَطْغَيْتُهُ) قال : تبرأ منه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الله بن أبى زياد ، قال : ثنا عبد الله بن أبى بكر ، قال : ثنا جعفر ، قال : سمعت أبا عمران يقول فى قوله (رَبَّنَا ما أَطْغَيْتُهُ) تبرأ منه .

وقوله (لا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ) يقول تعالى ذكره : قال الله لهؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم وصفة قرنائهم من الشياطين (لا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ) اليوم (وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ) فى الدنيا قبل اختصامكم هذا ، بالوعيد لمن كفر بى ، وعصانى ، وخالف أمرى ونهيى فى كتبى ، وعلى ألسن رسلى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الله بن أبى زياد ، قال : ثنا عبد الله بن أبى بكر ، قال : ثنا جعفر ، قال : سمعت أبا عمران يقول فى قول الله (وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ) قال : بالقرآن .

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، فى قوله (لا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ) قال : إنهم اعتذروا بغير عذر ، فأبطل الله حجتهم ، ورد عليهم قولهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ) قال : يقول : قد أمرتكم ونهيتكم ، قال : هذا ابن آدم وقرينه من الجن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، قال : قلت لأبى العالية (لا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ) قال أبو جعفر الطبرى : أحسبه قال : هم أهل الشرك ، وقال فى آية أخرى (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) فهم أهل القبلة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله للمشركين وقرنائهم من الجن يوم القيامة ، إذ تبرأ بعضهم من بعض : ما يغير القول الذى قلته لكم فى الدنيا ، وهو قوله (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) ، ولا قضائى الذى قضيته فيهم فيها .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ما يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَىَّ) قد قضيت ما أنا قاض .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن مجاهد ، فى قوله (ما يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَىَّ) قال : قد قضيت ما أنا قاض .

وقوله (وَما أنا بِظَلَّامٍ للْعَبِيدِ) يقول : ولا أنا بمعاقب أحدا من خلقى بجرم غيره ، ولا حامل على أحد منهم ذنب غيره فمعذّبه به .

وقوله (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ) يقول : وما أنا بظلام للعبيد فى (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلأْتِ) وذلك يوم القيامة ، ويوم نقول من صلة ظلاّم . وقال تعالى ذكره لجهنم يوم القيامة : (هَلِ امْتَلأْتِ) ؟ لما سبق من وعده إياها بأنه يملؤها من الجِنَّة والناس أجمعين .

وأما قوله (هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه : ما من مزيد . قالوا : وإنما يقول الله لها : هل امتلأت بعد أن يضع قدمه فيها ، فينزوى بعضها إلى بعض ، وتقول : قطِ قطِ ، من تضايقها ؛ فإذا قال لها وقد صارت كذلك : هل امتلأت ؟ قالت حينئذ : هل من مزيد : أى ما من مزيد ، لشدّة امتلائها ، وتضايق بعضها إلى بعض .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ ؟ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) قال ابن عباس : « إن الله الملك تبارك وتعالى قد سبقت كلمته (لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ) ؛ فلما بعث الناس وأحضروا ، وسيق أعداء الله إلى النار زمرا ، جعلوا يقتحمون فى جهنم فوجا فوجا ، لا يلقى فى جهنم شىء إلا ذهب فيها ، ولا يملؤها شىء ، قالت : ألستَ قد أقسمت لتملأنى من الجِنَّة والناس أجمعين ؟ فوضع قدمه ، فقالت حين وضع قدمه فيها : قدِ قدِ ، فإنى قد امتلأت ، فليس لى مزيد ، ولم يكن يملؤها شىء ، حتى وَجَدَتْ مسّ ما وُضع عليها ، فتضايقت حين جَعل عليها ما جعل ، فامتلأت فما فيها موضع إبرة » .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) قال : وعدها الله ليملأنها ، فقال : هلا وفيتكِ ؟ قالت : وهل من مَسلك .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ ؟ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) كان ابن عباس يقول : « إن الله الملك ، قد سبقت منه كلمة (لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ) لا يلقى فيها شىء إلا ذهب فيها ، لا يملؤها شىء ، حتى إذا لم يبق من أهلها أحد إلا دخلها ، وهى لا يملؤها شىء ، أتاها الربّ فوضع قدمه عليها ، ثم قال لها : هل

امتلأت ياجهنم ؟ فتقول : قط قطِ ؛ قد امتلأت ، ملأتنى من الجنّ والإنس فليس فىّ مزيد ؛ قال ابن عباس : ولم يكن يملؤها شىء حتى وجدت مسّ قدم الله تعالى ذكره ، فتضايقت ، فما فيها موضع إبرة » .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : زدنى ، إنما هو هل من مزيد ، بمعنى الاستزادة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن ثابت ، عن أنس ، قال : « يلقى فى جهنم وتقول : هل من مزيد ثلاثا ، حتى يضع قدمه فيها ، فينزوى بعضها إلى بعض ، فتقول : قط قطِ ، ثلاثا » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ ، وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) لأنها قد امتلأت ، وهل من مزيد : هل بقى أحد ؟ قال : هذان الوجهان فى هذا ، والله أعلم ، قال : قالوا هذا وهذا .

☆ وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول من قال : هو بمعنى الاستزادة ، هل من شىء أزداده ؟ وإنما قلنا ذلك أولى القولين بالصواب لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدثنى أحمد بن المقدام العجلى ، قال : ثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوىّ ، قال : ثنا أيوب ، عن محمد ، عن أبى هُريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيامَةِ ، لَمْ يَظْلِمِ اللهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ شَيْئًا ، وَيُلْقِى فِى النَّارِ ، تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ، حتى يَضَعَ عَلَيْها قَدَمَهُ ، فَهُنالِكَ يَمْلَؤُها ، وَيُزْوَى بَعْضُها إلى بَعْضٍ وَتَقُولُ : قَطْ قَطْ » .

حدثنا أحمد بن المقدام ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت أبى يحدّث عن قتادة ، عن أنس ، قال : « ما تزال جهنم تقول : هل من مزيد ؟ حتى يضع الله عليها قدمه ، فتقول : قد قدِ ، وما يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله خلقا ، فيُسكنه فضول الجنة » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أيوب وهشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى هُريرة ، قال : « اختصمت الجنة والنار ، فقالت الجنة : مالى إنما يدخلنى فقراء الناس وسقطهم ؛ وقالت النار : مالى إنما يدخلنى الجبارون والمتكبرون ، فقال : أنت رحمتى أصيب بك من أشاء ، وأنت عذابى أصيب بك من أشاء ، ولكلّ واحدة منكما ملؤها . فأما الجنة فإن الله ينشئ لها من خلقه ماشاء . وأما النار فيُلقون فيها وتقول : هل من مزيد ؟ ويلقون فيها وتقول هل من مزيد ، حتى يضع فيها قدمه ، فهناك تملأ ، ويزوى بعضها إلى بعض ، وتقول : قط ، قط »[1] .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ثور ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « احْتَجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ ، فَقالَتِ الجَنَّةُ : مالى لايَدْخُلُنِى إلا فُقَراءُ النَّاسِ ؟ وَقالَتِ النَّارُ : مالى لايَدْخُلُنِى إلاَّ الجَبَّارُونَ وَالمُتَكَبِّرُونَ ؟ فَقالَ لِلنَّارِ : أَنْتِ عَذَابِى أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشاءُ ؛ وَقالَ لِلْجَنَّةِ : أَنْتِ رَحْمَتِى أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشاءُ ، وَلِكُلِّ

(١) قط قط ، وتقدم قبله : قد قد . وهما بمعنى : كفى كفى .

وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا ؛ فأمّا الجَنّةُ فإنّ الله عزّ وجلّ يُنْشِئُ لها ما شاء ، وأمّا النّارَ فيُلْقَوْنَ فيها وتَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ، حتى يَضَعَ قَدَمَهُ فيها ، هُنالِكَ تَمْتَلِئُ ، ويَنْزَوِى بَعْضُهَا إلى بَعْضٍ ، وتَقُولُ : قَطْ ، قَطْ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فيها وتَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حتى يَضَعَ رَبُّ العالَمِينَ قَدَمَهُ ، فيَنْزَوِى بَعْضُهَا إلى بَعْضٍ وتَقُولُ : قَدْ ، قَدْ ، بِعِزَّتِكَ وكَرَمِكَ ، ولا يَزَالُ فى الجَنّةِ فَضْلٌ حتى يُنْشِئَ اللهُ لها خَلْقًا فيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الجَنّةِ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا أبان العطار ، قال : ثنا قتادة ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لاتَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُول هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حتى يَضَعَ رَبُّ العالَمِينَ فيها قَدَمَه ، فيَنْزَوِى بَعْضُهَا إلى بَعْضٍ ، فتَقُولُ : بِعِزَّتِكَ قَطْ ، قَطْ ؛ وما يَزَالُ فى الجَنّةِ فَضْلٌ حتى يُنْشِئَ اللهُ خَلْقًا فيُسْكِنَه فى فَضْلِ الجَنّةِ » .

قال : ثنا عمرو بن عاصم الكلابى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : ثنا قتادة ، عن أنس ، قال : ما تزال جهنم تقول : هل من مزيد ، فذكر نحوه » غير أنه قال : أو كما قال .

حدثنا زياد بن أيوب ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال « احْتَجَّتِ الجَنّةُ والنّارُ ، فقالَتِ النّارُ : يَدْخُلُنِى الجَبّارُونَ والمُتَكَبِّرُونَ ؛ وقالَتِ الجَنّةُ : يَدْخُلُنِى الفُقَرَاءُ والمَساكِينُ ؛ فأَوْحَى اللهُ عَزّ وجَلّ إلى الجَنّةِ : أنْتِ رَحْمَتِى أُصِيبُ بِكِ مَنْ أشاءُ ؛ وأَوْحَى إلى النّارِ : أنْتِ عَذَابِى أُصِيبُ بِكِ مَن أشاءُ ، ولِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْكُما مِلْؤُها ؛ فأمّا النّارُ فتَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟ حتى يَضَعَ قَدَمَهُ فيها ، فتَقُولُ : قَطْ قَطْ » . فى قول النبيّ صلى الله عليه وسلم : « لا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ » دليل واضح على أن ذلك بمعنى الاستزادة لابمعنى النفى ، لأن قوله « لاتزال » دليل على اتصال قول بعد قول .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝٣١ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ۝٣٣ ﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (وأُزْلِفَتِ الجَنّةُ للمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ) وأُدنيت الجنة وقرّبت للذين اتقوا ربهم ، فخافوا عقوبته بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ للمُتَّقِينَ) يقول: وأدنيت (غَيْرَ بَعِيدٍ).

وقوله (هَذَا مَا تُوعَدُونَ) يقول: قال لهم: هذا الذي توعدون أيها المتقون، أن تدخلوها وتسكنوها وقوله (لِكُلِّ أَوَّابٍ) يعني: لكل راجع من معصية الله إلى طاعته، تائب من ذنوبه.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: هو المسبح، وقال بعضهم: هو التائب، وقد ذكرنا اختلافهم في ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته، غير أنا نذكر في هذا الموضع ما لم نذكره هنالك.

حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا محمد بن الصلت، قال: ثنا أبو كدينة، عن عطاء، عن سعيد ابن جُبَير، عن ابن عباس (لِكُلِّ أَوَّابٍ) قال: لكلّ مسبح.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن مسلم الأعور، عن مجاهد، قال: الأوّاب: المسبح.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثني يحيى بن عبد الملك ابن أبي غنية، قال: ثني أبي، عن الحكم بن عُتَيبة في قول الله (لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ) قال: هو الذاكر الله في الخلاء.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن يونس بن خباب، عن مجاهد (لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ) قال: الذي يذكر ذنوبه فيستغفر منها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ) قال: ثنا مهران، عن خارجة، عن عيسى الحناط، عن الشعبيّ، قال: هو الذي يذكر ذنوبه في خلاء فيستغفر منها (حَفِيظٍ): أي مطيع لله كثير الصلاة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ) قال: الأوّاب: التوّاب الذي يئوب إلى طاعة الله ويرجع إليها.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن يونس بن خباب في قوله (لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ) قال: الرجل يذكر ذنوبه، فيستغفر الله لها.

وقوله (حَفِيظٍ) اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: حفظ ذنوبه حتى تاب منها.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن أبي سنان، عن أبي إسحاق، عن التميمي، قال: سألت ابن عباس، عن الأوّاب الحفيظ، قال: حفظ ذنوبه حتى رجع عنها.

وقال آخرون: معناه: أنه حفيظ على فرائض الله وما ائتمنه عليه.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (حَفِيظٍ) قال: حفيظ لما استودعه الله من حقه ونعمته.

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره وصف هذا التائب الأوّاب بأنه حفيظ ، ولم يخص به على حفظ نوع من أنواع الطاعات دون نوع ، فالواجب أن يعم كما عم جل ثناؤه ، فيقال : هو حفيظ لكل ما قربه إلى ربه من الفرائض والطاعات والذنوب التى سلفت منه للتوبة منها والاستغفار.

وقوله (مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالغَيْبِ) يقول : من خاف الله فى الدنيا من قبل أن يلقاه ، فأطاعه ، واتبع أمره .

وفى « مَن » فى قوله (مَنْ خَشِيَ) وجهان من الإعراب : الخفض على إتباعه كل فى قوله (لِكُلِّ أوّابٍ) والرفع على الاستئناف ، وهو مراد به الجزاء من خشى الرحمن بالغيب ، قيل له ادخل الجنة ؛ فيكون حينئذ قوله (ادْخُلُوها بِسَلامٍ) جوابا للجزاء أضمر قبله القول ، وجعل فعلا للجميع ، لأن « مَن » قد تكون فى مذهب الجميع .

وقوله (وَجاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ) يقول : وجاء الله بقلب تائب من ذنوبه ، راجع مما يكرهه الله إلى ما يرضيه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ) : أى منيب إلى ربه مقبل .

القول في تأويل قوله تعالى :

ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٣٦﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (ادْخُلُوها بِسَلامٍ) ادخلوا هذه الجنة بأمان من الهم والغضب والعذاب ، وما كنتم تلقَونه فى الدنيا من المكاره .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ادْخُلُوها بِسَلامٍ) قال : سَلِموا من عذاب الله ، وسلّم عليهم .

وقوله (ذلكَ يَوْمُ الخُلُودِ) يقول : هذا الذى وصفت لكم أيها الناس صفته من إدخالى الجنة من أدخله ، هو يوم دخول الناس الجنة ، ماكثين فيها إلى غير نهاية .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذلكَ يَوْمُ الخُلُودِ) خلدوا والله ، فلا يموتون ، وأقاموا فلا يَظْعَنُون ، ونَعِمُوا فلا يبأسون .

وقوله (لَهُمْ ما يَشاءُونَ فِيها) يقول : لهؤلاء المتقين ما يريدون فى هذه الجنة التى أُزلفت لهم من كل ما تشتهيه نفوسهم ، وتلذه عيونهم .

وقوله (وَلَدَيْنا مَزِيدٌ) يقول : وعندنا لهم على ما أعطيناهم من هذه الكرامة التى وصف جل ثناؤه صفتها مزيد يزيدهم إياه . وقيل : إن ذلك المزيد : النظر إلى الله جل ثناؤه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أحمد بن سهيل الواسطى ، قال : ثنا قُرة بن عيسى ، قال : ثنا النضر بن عربى جده ، عن أنس ،

«إن الله عزّ وجلّ إذا أسكن أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، هبط إلى مَرْج من الجنة أفيح ، فمدّ بينه وبين خلقه حُجُبًا من لؤلؤ ، وحُجُبًا من نور ثم وُضعت منابر النور وسُرُرُ النور وكراسيّ النور ، ثم أُذِن لرجل على الله عزّ وجلّ بين يديه أمثال الجبال من النور يُسْمَعُ دَوِيّ تسبيح الملائكة معه ، وصَفْقُ أجنحتهم فمدّ أهل الجنة أعناقهم ، فقيل : من هذا الذى قد أُذِن له على الله ؟ فقيل : هذا المجبول بيده ، والمُعلَّم الأسماء ، والذى أُمرت الملائكة فسجدت له ، والذى له أبيحت الجنة ، آدم عليه السلام ، قد أُذِن له على الله تعالى ؛ قال : ثم يؤذَن لرجل آخر بين يديه أمثال الجبال من النور ، يُسْمع دَوِيّ تسبيح الملائكة معه ، وصَفْقُ أجنحتهم ؛ فمدّ أهل الجنة أعناقهم ، فقيل : من هذا الذى قد أُذِن له على الله ؟ فقيل : هذا الذى اتخذه الله خليلا ، وجعل عليه النار برْدًا وسلاما ، إبراهيم قد أُذِن له على الله . قال : ثم أُذِن لرجل آخر على الله ، بين يديه أمثال الجبال من النور يُسْمَعُ دَوِيّ تسبيح الملائكة معه ، وصَفْقُ أجنحتهم ؛ فمدّ أهل الجنة أعناقهم ، فقيل : من هذا الذى قد أُذِن له على الله ؟ فقيل : هذا الذى اصطفاه الله برسالته [1] وقرّبه نجيا ، وكلّمه [كلاما] [1] موسى عليه السلام ، قد أُذِن له على الله . قال : ثم يُؤذن لرجل آخر معه مثل جميع مواكب النبيين قبله ، بين يديه أمثال الجبال ، [من النور] [1] يسمع دَوِيّ تسبيح الملائكة معه ، وصَفْقُ أجنحتهم ؛ فمدّ أهل الجنة أعناقهم ، فقيل : من هذا الذى قد أُذِن له على الله ؟ فقيل : هذا أوّل شافع ، وأوّل مشفَّع ، وأكثر الناس واردة ، وسيد ولد آدم ، وأوّل من تنشقّ عن ذُؤابتيه الأرض ، وصاحب لواء الحمد ، أحمد صلى الله عليه وسلم ، قد أُذِن له على الله . قال : فجلس النبيون على منابر النور ، [والصدّيقون على سُرُرِ النور ، والشهداء على كراسيّ النور] [1] وجلس سائر الناس على كُثْبان المسك الأذفر الأبيض ، ثم ناداهم الربّ تعالى من وراء الحُجب : مَرْحَبًا بعبادى وزوّارى وجيرانى ووفدى . ياملائكتى ، انهضوا إلى عبادى ، فأطعموهم . قال : فقرّبت إليهم من لحوم طير ، كأنها البُخْت لاريش لها ولا عظم ، فأكلوا ، قال : ثم ناداهم الربّ من وراء الحجاب : مرحبا بعبادى وزوّارى وجيرانى ووفدى ، أكلوا اسقوهم . قال : فنهض إليهم غلمان كأنهم اللؤلؤ المكنون بأباريق الذهب والفضة بأشربة مختلفة لذيذة ، لذة آخرها كلذّة أوّلها ، لا يُصَدّعون عنها ولا يُنْزَفون ؛ ثم ناداهم الربّ من وراء الحُجب : مرحبا بعبادى وزوّارى وجيرانى ووفدى ، أكلوا وشربوا ، فكّهوهم . قال : فيقرّب إليهم على أطباق مكلّلة بالياقوت والمرجان ؛ ومن الرُّطَب الذى سمَّى الله ، أشدّ بياضا من اللبن ، وأطيب عذوبة من العسل . قال : فأكلوا ثم ناداهم الربّ من وراء الحُجُب : مرحبا بعبادى وزوّارى وجيرانى ووفدى ، أكلوا وشربوا ، وفُكّهو ؛ اكسوهم ؛ قال ففتحت لهم ثمار الجنة بحلل مصقولة بنور الرحمن فألبسوها . قال : ثم ناداهم الربّ تبارك وتعالى من وراء الحجب : مرحبا بعبادى وزوّارى وجيرانى ووفدى ؛ أكلوا ؛ وشربا ؛ وفُكّهوا ؛ وكُسُوا طيّبوهم . قال : فهاجت عليهم ريح يقال لها المُثيرة ، بأباريق المسك [الأبيض] [1] الأذفر ، فنفحت على وجوههم من غير غُبار ولا قَتام . قال : ثم ناداهم الربّ عزّ وجلّ من وراء الحُجب : مرحبا بعبادى وزوّارى وجيرانى ووفدى ، أكلوا وشربوا وفكهوا ، وكسوا وطُيّبوا ، وعزّتى لأتجلينّ لهم حتى ينظروا إلىّ

(١) كذا فى الدر المنثور للسيوطى (٦ : ١٠٨) نقلا عن المؤلف . وفى الأصل برسالاته ، وقد سقط من الأصل بعض عبارات ضرورية وضعناها بين هلالين المعقوفين ( ) .

قال : فذلك انتهاء العطاء وفضل المزيد؛ قال: فتجلى لهم الربّ عزّ وجلّ، ثم قال: السلام عليكم عبادى ، انظروا إلىّ فقد رضيت عنكم . قال : فتداعت قصور الجنة وشجرها ، سبحانك أربع مرّات ، وخرّ القوم سجدا ؛ قال : فناداهم الربّ تبارك وتعالى : عبادى ارفعوا رءوسكم فإنها ليست بدار عمل ، ولا دار نَصَب إنما هى دار جزاء وثواب ، وعزّتى وجلالى ما خلقتها إلا من أجلكم ، وما من ساعة ذكرتمونى فيها فى دار الدنيا ، إلا ذكرتكم فوق عرشى » .

حدثنا علىّ بن الحسين بن أبجر ، قال : ثنا عمر بن يونس اليمامى ، قال : ثنا جهضم بن عبدالله بن أبى الطفيل قال : ثنى أبو طيبة ، عن معاوية العبسىّ ، عن عثمان بن عمير ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتانى جِبْريلُ عَلَيْهِ السَّلامُ وفى كَفِّهِ مِرْآةٌ بَيْضَاءُ ، فيها نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فَقُلْتُ : يا جِبْريلُ ما هَذِهِ ؟ قالَ : هَذِهِ الجُمُعَةُ ، قُلْتُ : فَما هَذِهِ النُّكْتَةُ السَّوْدَاءُ فيها ؟ قالَ : هِيَ السَّاعَةُ تَقُومُ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَهُوَ سَيِّدُ الأيَّامِ عِنْدَنا ، وَنحْنُ نَدْعُوهُ فِى الآخِرَةِ يَوْمَ المَزِيدِ ؛ قُلْتُ : وَلِمَ تَدْعُونَ يَوْمَ المَزِيدِ قالَ : إنَّ رَبَّكَ تَبارَكَ وَتَعالى اتَّخَذَ فِى الجَنَّةِ وَادِيا أفْيَحَ مِنْ مِسْكٍ أبْيَضَ ، فإذَا كانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ نَزَلَ مِنْ عِلِّيِّينَ على كُرْسِيِّهِ ، ثُمَّ حَفَّ الكُرْسِيَّ بِمَنابِرَ مِنْ نُورٍ ، ثُمَّ جاءَ النَّبِيُّونَ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَيْها ثُمَّ تَجِيءُ أهْلُ الجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا على الكُثُبِ فَيَتَجَلَّى لَهُمْ رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَنْظُرُوا إلى وَجْهِهِ وَهُوَ يَقُولُ : أنا الَّذِى صَدَقْتُكُمْ عِدَتى ، وأتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ، فَهَذَا مَحلُّ كَرَامَتِى ، فَسَلُونِى ، فَيَسْألُونَهُ الرِّضَا ، فَيَقُولُ : رِضَاىَ أحَلَّكُمْ دَارِى وأنالَكُمْ كَرَامَتِى ، سَلُونِى ، فَيَسْألُونَهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ رَغْبَتُهُمْ ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ مالا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ ، إلى مِقْدَارِ مُنْصَرَفِ النَّاسِ مِنَ الجُمُعَةِ حَتَّى يَصْعَدَ على كُرْسِيِّهِ فَيَصْعَدُ مَعَهُ الصِّدِّيقُونَ والشُّهَدَاءُ ، وَتَرْجِعُ أهْلُ الجَنَّةِ إلى غُرَفِهِمْ دُرَّةٌ بَيْضَاءُ ، لا نَظْمَ فيها وَلا فَصْمَ ، أوْ يَاقُوتَةٌ حَمْرَاءُ ، أوْ زَبَرْجَدَةٌ خَضْرَاءُ ، مِنْها غُرَفُها وأبْوابُها ، فَلَيْسُوا إلى شَيْءٍ أحْوَجَ مِنْهُمْ إلى يَوْمِ الجُمُعَةِ ، لِيَزْدَادُوا مِنْهُ كَرَامَةً ، وَلِيَزْدَادُوا نَظَرًا إلى وَجْهِهِ ، وَلِذَلِكَ دُعِيَ يَوْمَ المَزِيدِ » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث بن أبى سليم ، عن عثمان بن عمير ، عن أنس بن مالك ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، نحو حديث علىّ بن الحسين .

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : ثنا أسد بن موسى ، قال : ثنا يعقوب بن إبراهيم ، عن صالح بن حيان عن أبى بُرَيدة ، عن أنس بن مالك ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم بنحوه .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا ابن عون ، عن محمد ، قال : حدثنا ، أو قال : « قالوا : إن أدنى أهل الجنة منزلة ، الذى يقال له تمنّ ، ويذكّره أصحابه فيتمنى ، ويذكره أصحابه فيقال له ذلك ومثله معه . قال : قال ابن عمر : ذلك لك وعشرة أمثاله ، وعند الله مزيد » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث أن درّاجا أبا السَّمْح ، حدثه

عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد الخدرىّ ، أنه قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الرَّجُلَ فى الجنَّةِ لَيَتَّكِئُ سَبْعِينَ سَنَةً قَبْلَ أنْ يَتَحَوَّلَ ثُمَّ تأْتيهِ امْرأتُهُ فَتَضْرِبُ على مَنْكِبَيْهِ ، فَيَنْظُرُ وَجْهَهُ فى خَدِّها أصْفَى مِنَ المرْآةِ ، وإنَّ أدْنَى لُؤْلُؤَةٍ عَلَيْها لَتُضِيءُ ما بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ ، فَتُسَلِّمُ عَلَيْهِ ، فَيَرُدُّ السَّلامَ ، وَيَسألُها مَنْ أنْتِ ؟ فَتَقُولُ : أنا مِنَ المَزِيدِ وإنَّهُ لَيَكُونُ عَلَيْها سَبْعُونَ ثَوْبًا أدْناها مِثْلُ النُّعْمانِ مِنْ طُوبَى فَيَنْفُذُها بَصَرُهُ حتى يَرَى مُخَّ ساقِها مِنْ وَرَاءِ ذلكَ ، وإنَّ عَلَيْها مِنَ التِّيجانِ ، وإنَّ أدْنَى لُؤْلُؤَةٍ فِيها لَتُضِيءُ ما بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ » .

وقوله (وكَمْ أهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ) يقول تعالى ذكره : وكثيرا أهلكنا قبل هؤلاء المشركين من قريش من القرون ، (هُمْ أشَدُّ) من قريش الذين كذّبوا محمدا (بَطْشًا ، فَنَقَّبُوا فى البِلادِ) يقول : فَخَرَّقُوا[1] البلادَ فساروا فيها ، فطافوا وتوغّلوا إلى الأقاصى منها ؛ قال امرؤ القَيس :

لَقَدْ نَقَّبْتُ فى الآفاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الغَنِيمَةِ بالإيابِ[2]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (فَنَقَّبُوا فى البِلادِ) قال : أثَّروا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فنقَّبُوا فى البِلادِ) قال : يقول : عملوا فى البلاد ذاك النقْب .

ذكر من قال ذلك

وقوله (هَلْ مِنْ مَحِيصٍ) يقول جلّ ثناؤه : فهل كان لهم بتنقيبهم فى البلاد من معدل عن الموت ؛ ومَنْجى من الهلاك إذ جاءهم أمرنا . وأضمرت كان فى هذا الموضع ، كما أضمرت فى قوله (وكأيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِىَ أشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ التى أخْرَجَتْكَ أهْلَكْناهُمْ فَلا ناصِرَ لَهُمْ) بمعنى : فلم يكن لهم ناصر عند إهلاكهم . وقرأت القرّاء قوله (فَنَقَّبُوا) بالتشديد وفتح القاف على وجه الخبر عنهم . وذُكر عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرأ ذلك (فَنَقِّبُوا) بكسر القاف على وجه التهديد والوعيد : أى طوّفوا فى البلاد ، وتردّدوا فيها ، فإنكم لن تفوتونا بأنفسكم .

---

(١) « قوله فخرقوا البلاد ... الخ » : هذا من كلام الفراء فى معانى القرآن ، ص ٣١٠ . وفى المطبوعة : خربوا فى البلاد . تحريف .

(٢) البيت لامرئ القيس بن حجر (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبى ص ٨٠) وفى روايته « وقد طوفت » مكان « لقد نقبت » . ورواية أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٢٦) كرواية المؤلف . قال : عند قوله تعالى : « فنقبوا فى البلاد » : طافوا وتباعدوا قال امرؤ القيس « لقد نقبت ... البيت » . وفى « اللسان : نقب » (: ونقب فى الأرض : ذهب) وفى التنزيل العزيز « فنقبوا فى البلاد هل من محيص » قال الفراء : قرأ القراء : فنقبوا مشددا . يقول : خرقوا البلاد ، فساروا فيها طلبا للمهرب ، فهل كان لهم محيص من الموت ؟ قال : ومن قرأ : فنقبوا بكسر القاف ، فإنه كالوعيد ، أى اذهبوا فى البلاد وجيئوا . وقال الزجاج : فنقبوا : طوفوا فتشوا . قال : وقرأ الحسن : فنقبوا بالتخفيف . قال امرؤ القيس : « وقد نقبت ... البيت » أى ضربت فى البلاد : أقبلت وأدبرت اه .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (مِنْ مَحِيصٍ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ) . . . حتى بلغ (هَلْ مِنْ مَحِيصٍ) قد حاص الفَجَرة فوجدوا أمر الله مُتَّبِعا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ) قال : حاص أعداء الله ، فوجدوا أمر الله لهم مُدْرِكا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هَلْ مِنْ مَحِيصٍ) قال : هل من منجى .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ ٣٧

يقول تعالى ذكره : إن فى إهلاكنا القرون التى أهلكناها من قبل قريش (لَذِكْرَى) يُتَذَكَّر بها (لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) يعنى : لمن كان له عقل من هذه الأمة ، فينتهى عن الفعل الذى كانوا يفعلونه من كفرهم بربهم ، خوفا من أن يحلّ بهم مثل الذى حلّ بهم من العذاب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) : أى من هذه الأمة ، يعنى بذلك القلبِ : القلبَ الحىّ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) قال : من كان له قلب من هذه الأمة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) قال : قلب يعقل ماقد سمع من الأحاديث التى ضرب الله بها من عصاه من الأمم . والقلب فى هذا الموضع : العقل ؛ وهومن قولهم : ما لفلان قلب ، وما قلبه معه : أى ما عقله معه . وأين ذهب قلبك ؟ يعنى أين ذهب عقلك .

وقوله (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) يقول : أو أصغى لإخبارنا إياه عن هذه القرون التى أهلكناها بسمعه ، فيسمع الخبر عنهم ، كيف فعلنا بهم حين كفروا بربهم ، وعصوْا رسله (وَهُوَ شَهِيدٌ) يقول : وهومتفهم لما يخبرُ به عنهم شاهد له بقلبه ، غير غافل عنه ولا ساه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وإن اختلفت ألفاظهم فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) يقول : إن استمع الذكر وشهد أمره ، قال فى ذلك : يجزيه إن عقله [1] .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ) قال : وهو لايحدّث نفسه ، شاهد القلب .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) قال : العرب تقول : ألقى فلان سمعه : أى استمع بأذنيه ، وهو شاهد ، يقول : غير غائب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) قال : يسمع ما يقول ، وقلبه فى غير ما يسمع .

وقال آخرون : عنى بالشهيد فى هذا الموضع : الشهادة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) يعنى بذلك أهل الكتاب ، وهو شهيد على ما يقرأ فى كتاب الله من بعث محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) على ما فى يده من كتاب الله أنه يجد النبىّ صلى الله عليه وسلم مكتوبا .

قال : ثنا ابن ثور ، قال : قال معمر ، وقال الحسن : هو منافق استمع القول ولم ينتفع .

حدثنا أحمد بن هشام ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن السدىّ ، عن أبى صالح فى قوله (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) قال : المؤمن يسمع القرآن ، وهو شهيد على ذلك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) قال : ألقى السمع يسمع ما قد كان مما لم يعاين من الأحاديث عن الأمم التى قد مضت ، كيف عذّبهم الله وصنع بهم حين عصوا رسله .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ ٣٨

يقول تعالى ذكره : ولقد خلقنا السموات السبع والأرض وما بينهما من الخلائق فى ستة أيام ، وما مسّنا من إعياء .

كما حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى سنان ، عن أبى بكر ، قال : جاءت اليهود إلى النبىّ

(١) كذا فى الأصل ، ولعل صواب العبارة : فإن ذلك يجزيه إن عقله .

صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يامحمد أخبرنا ماخلق الله من الخلق فى هذه الأيام الستة ؟ فقال : « خَلَقَ اللهُ الأرضَ يَوْمَ الأحَدِ وَالاثْنَيْنِ ، وَخَلَقَ الجِبالَ يَوْمَ الثُّلاثاءِ ، وَخَلَقَ المَدائِنَ والأقْواتَ والأنهارَ وعُمْرانَها وَخَرابَها يَوْمَ الأرْبعاءِ ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالمَلائِكَةَ يَوْمَ الخَمِيسِ إلى ثَلاثِ ساعات ، يعْنِي مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ ، وَخَلَقَ فِي أوَّلِ الثَّلاثِ السَّاعات الآجالَ ، وفى الثَّانِيَةِ الآفَة ، وفى الثَّالِثَةِ آدَمَ ، قالوا : صدقت إن أتممت ، فعرف النبىّ صلى الله عليه وسلم ما يريدون ، فغضب ، فأنزل الله (وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ فاصْبِرْ عَلَى ما يَقُولُونَ) » .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) قال : من سآمة .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) يقول : من إزحاف [1] .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ؛ عن ابن عباس : (وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) يقول : وما مسنا من نَصَب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) قال : نصب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ) ... الآية ، أكذب الله اليهود والنصارى وأهل الفرى على الله ، وذلك أنهم قالوا : إن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، ثم استراح يوم السابع ، وذلك عندهم يوم السبت ، وهم يسمونه يوم الراحة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مِنْ لُغُوبٍ) قالت اليهود : إن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، ففرغ من الخلق يوم الجمعة ، واستراح يوم السبت ، فأكذبهم الله ، وقال : (ما مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أيَّامٍ) كان مقدار كلّ يوم ألف سنة مما تعدّون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَامَسَّنَامِن لُغُوبٍ) قال : لم يَمَسَّنا فى ذلك عناء ، ذلك اللغوب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فاصبر يامحمد على ما يقول هؤلاء اليهود ، وما

(١) الإزحاف : الإعياء ، وهو بمعنى اللغوب (اللسان : زحف) .

يفترون على الله ، ويكذبون عليه ، فإن الله لهم بالمرصاد (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) يقول : وصلِّ بحمد ربك صلاة الصبح قبل طلوع الشمس وصلاة العصر قبل الغروب .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) لصلاة الفجر ، وقبل غروبها : العصر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ) قبل طلوع الشمس : الصبح ، وقبل الغروب : العصر .

وقوله (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) اختلف أهل التأويل فى التسبيح الذى أُمر به من الليل ، فقال بعضهم : عنى به صلاة العَتَمة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمِنَ اللَّيْلِ) قال : العَتَمة

وقال آخرون : هى الصلاة بالليل فى أىّ وقت صلى .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمارة الأسدى ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) قال : من الليل كله .

والقول الذى قاله مجاهد فى ذلك أقرب إلى الصواب ، وذلك أن الله جلّ ثناؤه قال : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) فلم يَحُدّ وقتا من الليل دون وقت . وإذا كان ذلك كذلك كان على جميع ساعات الليل . وإذا كان الأمر فى ذلك على ما وصفنا ، فهو بأن يكون أمرا بصلاة المغرب والعشاء ، أشبه منه بأن يكون أمرا بصلاة العَتَمة ، لأنهما يصليَّان ليلا .

وقوله (وَأَدْبَارَ السُّجُودِ) يقول : سبح بحمد ربك أدبار السجود من صلاتك .

واختلف أهل التأويل فى معنى التسبيح الذى أمر الله نبيه أن يسبحه أدبار السجود ، فقال بعضهم : عُنِى به الصلاة ، قالوا : وهما الركعتان اللتان يصليان بعد صلاة المغرب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبسة ، عن أبى إسحاق ، عن الحارث ، قال : سألت عليا ، عن أدبار السجود ، فقال : الركعتان بعد المغرب .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قال : قال علىّ رضى الله عنه : (أَدْبَارَ السُّجُودِ) : الركعتان بعد المغرب .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا مصعب بن سلام ، عن الأجلح ، عن أبى إسحاق ، عن الحارث ، قال : سمعت عليا رضى الله عنه يقول : (أدبارَ السجُودِ) : الركعتان بعد المغرب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن الحارث ، عن علىّ رضى الله عنه ، فى قوله (وأَدْبارَ السُّجُودِ) قال : الركعتان بعد المغرب .

قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن الحارث ، عن عاصم بن ضمرة ، عن الحسن ابن علىّ رضى الله عنهما ، قال : (أَدْبَارَ السُّجُودِ) : الركعتان بعد المغرب .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا علىّ بن زيد ، عن أوس بن خالد ، عن أبى هريرة ، قال : أدبار السجود : ركعتان بعد صلاة المغرب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن علوان بن أبى مالك : عن الشعبىّ ، قال : (أَدْبَارَ السُّجُودِ) : الركعتان بعد المغرب .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان عن جابر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس وإبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد (أَدْبَارَ السُّجُودِ) : الركعتان بعد المغرب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن إبراهيم ، مثله

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن إبراهيم فى هذه الآية (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ـ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) قال : الركعتان قبل الصبح ، والركعتان بعد المغرب ، قال شعبة : لاأدرى أيّهما أدبارالسجود ، ولا أدرى أيّهما إدبار النجوم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَأَدْبَارَ السُّجُودِ) قال : كان مجاهد يقول : ركعتان بعد المغرب .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَدْبَارَ السُّجُودِ) قال : هما السجدتان بعد صلاة المغرب .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبوفضيل ، عن رشدين بن كُرَيب ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا ابْنَ عَبَّاس رَكْعَتان بَعْدَ المَغْرِب أَدْبارَ السُّجُود » .

حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : أخبرنا أبوزرعة ، وهبة الله بن راشد ، قال : أخبرنا حيوة بن شريح ، قال : أخبرنا أبوصخر ، أنه سمع أبا معاوية البجلى من أهل الكوفة يقول : سمعت أبا الصهباء البكرىّ يقول : سألت علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه عن (أَدْبَارَ السُّجُودِ) قال : هما ركعتانه بعد المغرب .

حدثنى سعيد بن عمرو السكونى ، قال : ثنا بقية ، قال : ثنا جرير ، قال : ثنا حمير بن يزيد الرحبى ، عن كُرَيب بن يزيد الرحبى ؛ قال : وكان جبير بن نفير يمشى إليه ، قال : كان إذا صلى الركعتين قبل الفجر ، والركعتين بعد المغرب أخفّ ، وفسّر إدبار النجوم ، وأدبار السجود .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن عيسى بن يزيد ، عن أبى إسحاق الهمدانى ، عن الحسن (وَأَدْبَارَ السُّجُودِ) : الركعتان بعد المغرب .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبسة ، عن المُغيرة ، عن إبراهيم ، قال : كان يقال : (أدْبارَ السُّجُودِ) : الركعتان بعد المغرب .

قال : ثنا عنبسة ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد (وأدْبارَ السُّجُودِ) : الركعتان بعد المغرب .

قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، قال : قال عليّ : أدبار السجود : الركعتان بعد المغرب .

حدثنا ابن البرّ ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : سُئل الأوزاعيّ عن الركعتين بعد المغرب ، قال : هما في كتاب الله (فَسَبِّحْهُ وأدْبارَ السُّجُودِ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن حُمَيد ، عن الحسن ، عن عليّ رضي الله عنه ، في قوله (وأدْبارَ السُّجُودِ) قال : الركعتان بعد المغرب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وأدْبارَ السُّجُودِ) قال : ركعتان بعد المغرب .

وقال آخرون : عني بقوله (وأدْبارَ السُّجُودِ) : التسبيح في أدبار الصلوات المكتوبات ، دون الصلاة بعدها :

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : قال ابن عباس في (فَسَبِّحْهُ وأدْبارَ السُّجُودِ) قال : هو التسبيح بعد الصلاة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وأدْبارَ السُّجُودِ) قال : كان ابن عباس يقول : التسبيح . قال ابن عمرو : في حديثه في إثر الصلوات كلها . وقال الحارث في حديثه في دُبر الصلاة كلها .

وقال آخرون : هي النوافل في أدبار المكتوبات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وأدْبارَ السُّجُودِ) : النوافل .

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة ، قول من قال : هما الركعتان بعد المغرب ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك ، ولولا ما ذكرت من إجماعها عليه ، لرأيت أن القول في ذلك ما قاله ابن زيد ، لأن الله جلّ ثناؤه لم يخصص بذلك صلاة دون صلاة ، بل عمّ أدبار الصلوات كلها ، فقال : وأدبار السجود ، ولم تقم بأنه معنيّ به : دبر صلاة دون صلاة ، حجة يجب التسليم لها من خبر ولا عقل :

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (وأدْبارَ السُّجُودِ) فقرأته عامة قرّاء الحجاز والكوفة ، سوى عاصم والكسائيّ (وإدْبارَ السُّجُودِ) بكسر الألف ، على أنه مصدر أدبر يُدبر إدبارا . وقرأه عاصم والكسائيّ

وأبو عمرو (وأَدْبارَ) بفتح الألف على مذهب جمع دبر وأدبار .

والصواب عندى الفتح على جمع دبر .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واستمع يامحمد صيحة يوم القيامة ، يوم ينادى بها منادينا من موضع قريب .

وذُكر أنه ينادى بها من صخرة بيت المقدس :

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن سعيد بن بشر ، عن قتادة ، عن كعب ، قال : (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنادِى المُنادِى مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ) قال مَلَك قائم على صخرة بيت المقدس ينادى : أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة ؛ إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء .

حدثنا بشر ؛ قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ؛ عن قتادة (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنادِى المُنادِى مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ) قال : كنا نحدّث أنه ينادى من بيت المقدس من الصخرة ، وهى أوسط الأرض .

وحُدّثنا أن كعبا قال : هى أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَوْمَ يُنادِى المُنادِى مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ) قال : بلغنى أنه ينادى من الصخرة التى فى بيت المقدس .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنادِى المُنادِى مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ) قال : هى الصيحة .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنى بعض أصحابنا ، عن الأغرّ ، عن مسلم بن حيان ، عن ابن بُريدة ، عن أبيه بريدة ، قال : مَلَك قائم على صخرة بيت المقدس ، واضع أصبعيه فى أُذنيه ينادى ، قال : قلتُ : بما ذا ينادى ؟ قال : يقول يا أيها الناس هلموا إلى الحساب ؛ قال : فيقبلون كما قال الله (كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ) .

وقوله (يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بالحَقّ) يقول تعالى ذكره : يوم يسمع الخلائق صيحة البعث من القبور بالحقّ ، يعنى بالأمر بالإجابة لله إلى موقف الحساب .

وقوله (ذلكَ يَوْمُ الخُرُوجِ) يقول تعالى ذكره : يوم خروج أهل القبور من قبورهم :

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾

❁ يقول تعالى ذكره : إنا نحن نُحيي الموتى ونميت الأحياء ، وإلينا مصير جميعهم يوم القيامة (يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعا) يقول جلّ ثناؤه وإلينا مصيرهم يوم تشقّق الأرض ، فاليوم من صلة مصير .

وقوله (تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ) يقول : تصدّع الأرض عنهم : وقوله (سِرَاعا) ونُصبت سراعا على الحال من الهاء والميم في قوله عنهم . والمعنى : يوم تشقّق الأرض عنهم فيخرجون منها سراعا ، فاكتفى بدلالة قوله (يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ) على ذلك من ذكره .

وقوله (ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ) يقول : جمعهم ذلك جمع في موقف الحساب ، علينا يسير سهل .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾

❁ يقول تعالى ذكره : نحن يامحمد أعلم بما يقول هؤلاء المشركون بالله من فريتهم على الله ، وتكذيبهم بآياته ، وإنكارهم قُدرة الله على البعث بعد الموت (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) يقول : وما أنت عليهم بمسلط .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) قال : لاتتجبر عليهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) فإن الله عزّ وجلّ كره الجبرية ، ونهى عنها ، وقدّم فيها . وقال الفرّاء : وضع الجبار في موضع السلطان من الجبرية ؛ وقال : أنشدني المفضل :

وَيَوْمَ الحَزْنِ إِذْ حَشَدَتْ مَعَدٌّ   وَكانَ النَّاسُ إِلا نَحْنُ دِينا
عَصَيْنا عَزْمَـــةَ الجَبَّارِ حَـتَّى   صَبَحْنا الجَوْفَ أَلْفا مُعْلَمِينا[1]

---

(١) البيتان من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٣١٠) رواهما عن المفضل ، ولم أجدهما في المفضليات . والبيت الأول قد سبق استشهاد المؤلف به عند قوله تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » (٢ : ٢١١) من هذه الطبعة . والشاهد هنا في البيت الثاني في كلمة « الجبار » يريد به الملك المسلط . وقال الفراء : وقوله « وما أنت عليهم بجبار » : يقول : لست عليهم بمسلط . جعل الجبار في موضع السلطان من الجبرية . قال : أنشدني المفضل « : « ويوم الحزن .... البيتين » . قال : وقال الكلبي بإسناده : « لست عليهم بجبار » يقول : لم تبعث لتجبرهم على الإسلام والهدى إنما بعثت مذكرا فذكر ، وذلك قبل أن يؤمر بقتالهم . والعرب لا تقول فعال من أفعلت ، لايقولون هذا إخراج ولا دخال ، يريدون مدخل ولا مخرج من أدخلت وأخرجت ؛ إنما يقولون دخال من دخلت وفعال من فعلت وقد قالت العرب : دراك من أدركت ، وهو شاذ . فإن حملت الجبار على هذا المعنى فهو وجه . وقد سمعت بعض العرب يقول جبره على الأمر ، يريد أجبره . فالجبار : من هذه اللغة صحيح ، يراد به : يقهرهم ويجبرهم .

ويروى : « الجوف » وقال : أراد بالجبار : المنذر لوّلايته .

قال : وقيل : إن معنى قوله : (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) لم تُبعث لتجبُرَهم على الإسلام ، إنما بعثت مذكِّرا، فذكِّر. وقال : العرب لاتقول فعال من أفعلت ، لايقولون: هذا خراج ، يريدون: مُخْرِج ، ولا يقولون : دخَال ، يريدون : مُدْخِل ، إنما يقولون: فعال ، من فعلت ؛ ويقولون : خراج ، من خرجت ؛ ودخال : من دخلت ؛ وقتَّال ، من قتلت . قال : وقد قالت العرب فى حرف واحد : درَّاك، من أدركت ، وهو شاذّ .

قال : فإن قلت الجبار على هذا المعنى ، فهو وجه . قال : وقد سمعت بعض العرب يقول : جبره على الأمر ؛ يريد : أجبره ، فالجبار من هذه اللغة صحيح ، يراد به : يقهرهم ويجبرهم .

وقوله (فَذَكِّرْ بِالقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ) يقول تعالى ذكره : فذكر يا محمد بهذا القرآن الذى أنزلته إليه من يخاف الوعيد الذى أوعدته من عصانى وخالف أمرى .

حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأودىّ ، قال : ثنا حكام الرازى ، عن أيوب ، عن عمرو الملائى ، عن ابن عباس ، قال : قالوا يا رسول الله لو خوّفتنا ؟ فنزلت (فَذَكِّرْ بِالقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ) .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا حكام ، عن أيوب بن سيار أبى عبد الرحمن ، عن عمرو بن قيس ، قال : قالوا : يا رسول الله ، لو ذكَّرتنا ، فذكر مثله .

آخر تفسير سورة قٓ

(٥١) سورة الذاريات مكية
وآياتها ستون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝

﴿ يقول تعالى ذكره (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا) يقول : والرياح التى تذرو التراب ذروا ، يقال : ذرت الريح التراب وأذرت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هنَّاد بن السَّرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن خالد بن عُرعرة ، قال : قام رجل إلى علىّ رضى الله عنه ، فقال : ما الذاريات ذروا ، فقال : هى الريح .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، قال : سمعت خالد بن عرعرة ، قال : سمعت عليا رضى الله عنه وخرج إلى الرحبة ، وعليه بُرْدان ، فقالوا : لو أن رجلا سأل وسمع القوم ، قال : فقام ابن الكوّاء ، فقال : ما الذاريات ذَرْوا ؟ فقال : هى الرياح .

حدثنى محمد بن عبد الله بن عبيد الهلالى ومحمد بن بشار ، قالا : ثنا محمد بن خالد بن عثمة ، قال : ثنا موسى بن يعقوب الزمعى ، قال : ثنا أبو الحويرث ، عن محمد بن جُبَيْر بن مطعم ، أخبره ، قال : سمعت عليا رضى الله عنه يخطب الناس ، فقام عبد الله بن الكوّاء ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرنى عن قول الله تبارك وتعالى : (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا) قال : هى الرياح ؟

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن أبى الطفيل ، قال : سُئل علىّ بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، عن الذاريات ذَرْوا ، فقال : الريح .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن أبى الطُّفيل ، عن علىّ (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا) قال : الريح .

قال مهران : حُدِّثنا عن سماك ، عن خالد بن عرعرة ، قال : سألت عليا رضى الله عنه عن (الذَّارِيَاتِ ذَرْوًا) فقال : الريح .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبى بزّة ، قال : سمعت أبا الطفيل ، قال : سمعت عليا رضى الله عنه يقول : لاتسألونى عن كتاب ناطق ، ولا سنة ماضية ، إلا حدّثتكم ، فسأله ابن الكوّاء عن الذاريات ، فقال : هى الرياح .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا طلق ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن علىّ بن ربيعة ، قال : سأل ابن الكوّاء عليا رضى الله عنه ، فقال : (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا) قال : هى الريح .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن عبد الله بن رفيع ، عن أبى الطفيل ، قال : قال ابن الكوّاء لعلى رضى الله عنه : ما الذاريات ذَرْوا ؟ قال : الريح .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى يحيى بن أيوب ، عن أبى صخرة ، عن أبى معاوية البجلىّ ، عن أبى الصهباء البكرىّ ، عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال : وهو على المنبر لايسألنى أحد عن آية من كتاب الله إلا أخبرته ، فقام ابن الكوّاء ، وأراد أن يسأله عما سأل عنه صبيغٌ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : ما الذاريات ذروا ؟ قال علىّ : الرياح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أن رجلا سأل عليا عن الذاريات ، فقال : هى الرياح .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن وهب بن عبد الله ، عن أبى الطفيل ، قال سأل ابن الكوّاء عليا ، فقال : ما الذاريات ذروا ؟ قال : الرياح .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا) قال : كان ابن عباس يقول : هى الرياح .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَالذَّارِيَاتِ) قال : الرياح .

وقوله (فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا) يقول : فالسحاب التى تحمل وقرها من الماء .

وقوله (فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا) يقول : فالسفن التى تجرى فى البحار سهلا يسيرا (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا) يقول : فالملائكة التى تقسم أمر الله فى خلقه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن خالد بن عرعرة ، قال : قام رجل إلى علىّ رضى الله عنه ، فقال : ما الجاريات يسرا ؟ قال : هى السفن ؛ قال : فما الحاملات وقرا ؟ قال : هى السحاب ؛ قال : فما المقسمات أمرا ؟ قال : هى الملائكة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، قال : سمعت خالد بن عرعرة ، قال : سمعت عليا رضى الله عنه . وقيل له : ما الحاملات وقرًا ؟ قال : هى السحاب ؛ قال : فما الجارايات يُسرًا ؟ قال : هى السفن ؛ قال : فما المقسِّمات أمرًا ؟ قال : هى الملائكة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سماك ، عن خالد بن عرعرة ، عن علىّ بنحوه .

حدثنى محمد بن عبد الله بن عبيد الله الهلالى ومحمد بن بشار ، قالا : ثنا محمد بن خالد بن عثمة ، قال : ثنا موسى الزمعى ، قال : ثنى أبو الحُوَيرث ، عن محمد بن جُبَيْر بن مطعم أخبره ، قال : سمعت عليا يخطب الناس ، فقام عبد الله بن الكوّاء فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرنى عن قول الله تبارك وتعالى : (فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا) قال : هى السحاب (فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا) قال : هى السفن (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا) قال : الملائكة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبى بزّة ، قال : سمعت أبا الطفيل ، قال : سمعت عليا رضى الله عنه ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أبى الطفيل ، قال : قال ابن الكوّاء لعلىّ ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن وهب بن عبدالله ، عن أبى الطُّفيل ، قال : شهدت عليا رضى الله عنه ، وقام إليه ابن الكوّاء ، فذكر نحوه .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا طَلْق بن غنام ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن علىّ بن ربيعة ، قال : سأل ابن الكوّاء عليا ، فذكر نحوه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى يحيى بن أيوب ، عن أبى صخر ، عن أبى معاوية البجلىّ ، عن أبى الصهباء البكرىّ ، عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أن رجلا سأل عليا ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن أبى الطفيل ، عن علىّ مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن أبى الطفيل ، قال : سُئل فذكر مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا) قال : السحاب ، قوله (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا) قال : الملائكة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا) قال : السحاب تحمل المطر ، (فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا) قال : السفن (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا) قال : الملائكة ينزلها بأمره على من يشاء .

قوله (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ) يقول تعالى ذكره : إن الذى توعدون أيها الناس من قيام الساعة ، وبعث الموتى من قبورهم لصادق ، يقول : لكائن حقّ يقين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ) والمعنى : لصدق ، فوضع الاسم مكان المصدر (وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ) يقول : وإن الحساب والثواب والعقاب لواجب ، والله مجاز عباده بأعمالهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ) قال : الحساب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ، وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ) وذلك يوم القيامة ، يوم يُدان الناس فيه بأعمالهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ) قال : يوم يدين الله العباد بأعمالهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ) قال : لكائن .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : والسماء ذات الخَلْق الحسن . وعنى بقوله (ذَاتِ الحُبُكِ) : ذات الطرائق ، وتكسير كل شيء : حُبُكُه ، وهو جمع حِباك وحَبيكة ؛ يقال لتكسير الشعرة الجعدة : حُبُك ؛ وللرملة إذا مرّت بها الريح الساكنة ، والماء القائم ، والدرع من الحديد لها : حُبُك ؛ ومنه قول الراجز :

كأنَّما جَلَّلَها الحَوَّاكُ طِنْفِسَةٌ فِي وَشْيِها حِباكُ
* أذْهَبَها الخُفُوقُ والدَّرَّاكُ [1] *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وإن اختلفت ألفاظ قائليه فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عَبْثَر ، قال : ثنا حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قوله (والسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ) قال : ذات الخَلْق الحسن .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس (وَالسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ) قال : حُسنها واستواؤها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد بن جُبَيْر (والسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ) قال : حبكها : حسنها واستواؤها .

قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن عمر بن سعيد بن مسروق أخى سفيان ، عن خصيف ، عن سعيد بن جُبَيْر (والسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ) قال : ذات الزينة .

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، عن عوف ، عن الحسن ، قوله (والسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ) قال : حبكت بالخلق الحسن ، حبكت بالنجوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (والسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ) قال : حبكت بالخلق الحسن ، حبكت بالنجوم .

---

(١) الراجز يصف ظهر أتان من حمر الوحش بأن فيه وشيا ورقما وخطوطا وطرائق ، فكأن حائكا . وهو الذى ينسج الثياب ألبسها طنفسة موشاة فيها خطوط مستقيمة ذات ألوان . ومعنى البيت الثالث : أن الخطوط فى ظهرها تلوح كأنها مذهبة عند تحركها ومتابعتها السير . والشاهد فى هذه الأبيات قوله « حباك » والحباك : الخط فى الرمل أو فى الثوب أو فى الشعر ، وجمعه حبك بضمتين . ومثله الحبيكة ، وجمعها حبائك . واستشهد المؤلف بهذه الأبيات الثلاثة من مشطور الرجز ، عند قوله تعالى : « والسماء ذات الحبك » وهى طرائق الضوء ترى فى السماء فى غياب القمر ، وهى ماتسمى المجرة . أو هى الأفلاك تدور فيها الكواكب . والبيت الثالث جاء فى الأصل محرفا هكذا : * أذهبها الحقوق الدين الداك * وقد بحثنا عنه كثيرا ، فلم نجده ، ثم أصلحناه على ماترى . والخفوق : الحركة والاضطراب . والدراك : السير المتتابع .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عثمان بن الهيثم ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (والسَّماء ذَاتِ الْحُبُكِ) قال : ذات الخلْق الحسَن ، حُبِكَت بالنجوم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا عمران بن حُدَير ، قال : سُئل عكرمة ، عن قوله (والسَّماءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) قال : ذات الخلْق الحسن ، ألم تر إلى النساج إذا نسج الثوب قال : ما أحسن ما حبكه .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا أيوب ، عن أبى قلابة ، عن رجل من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ الكَذَّابَ المُضِلَّ ، وَإنَّ رأسَهُ مِنْ وَرَائِهِ حُبُكٌ حُبُكٌ » يعنى بالحبك : الجعودة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (والسَّماءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) قال : استواؤها : حسنها .

قال : ثنا مهران ، عن علىّ بن جعفر ، عن الربيع بن أنس (والسَّماءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) قال : ذات الخلْق الحسن .

قال : ثنا مهران ، عن سعيد ، عن قتادة ، قال : حُبُكها نجومها . وكان ابن عباس يقول : (الْحُبُكِ) ذات الخلْق الحسن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (والسَّماءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) : أى ذات الخلْق الحسن . وكان الحسن يقول : حبكها : نجومها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ذَاتِ الْحُبُكِ) قال : ذات الخلْق الحسَن .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (والسَّماءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) قال : المتقن البنيان .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (والسَّماءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) يقول : ذات الزينة ، ويقال أيضا : حبكها مثل حبك الرمل ، ومثل حبك الدرع ، ومثل حبك الماء إذا ضربته الريح ، فنسجته طرائق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ذَاتِ الْحُبُكِ) قال : الشدة حُبِكَت شُدَّت . وقرأ قول الله تبارك وتعالى (وَبَنَيْنا فَوْقَكُمْ سَبْعا شِدَادًا) .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (والسَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ) قال : ذات الخلْق الحسن ؛ ويقال : ذات الزينة .

وقيل : عنى بذلك السماء السابعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدى وأبو داود ، قالا : ثنا عمران القطان ، عن قتادة ، عن

سالم بن أبي الجعد ، عن معدان بن أبي طلحة ، عن عمرو البكالي ، عن عبد الله بن عمرو (والسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ) قال : السماء السابعة .

حدثني القاسم بن بشير بن معروف ، قال : ثنا أبوداود ، قال : ثنا عمران القطان ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معدان ، عن عمرو البكالي ، هكذا قال القاسم ، عن عبد الله بن عمرو نحوه .

وقوله (إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ) يقول : إنكم أيها الناس لفي قول مختلف في هذا القرآن ، فمن مصدّق به ومكذّب .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ) قال : مصدّق بهذا القرآن ومكذّب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ) قال : يتخرّصون يقولون : هذا سحر ، ويقولون : هذا أساطير ، فبأيّ قولهم يؤخذ ، قتل الخرّاصون هذا الرجل ، لابدّ له من أن يكون فيه أحد هؤلاء ، فما لكم لاتأخذون أحد هؤلاء ، وقد رميتموه بأقاويل شتى ، فبأيّ هذا القول تأخذون ، فهو قول مختلف . قال : فذكر أنه تخرّص منهم ليس لهم بذلك علم قالوا : فما منع هذا القرآن أن ينزل باللسان الذي نزلت به الكتب من قبلك ، فقال الله : أعجميّ وعربيّ ؟ لو جعلنا هذا القرآن أعجميا لقلتم نحن عرب وهذا القرآن أعجميّ ، فكيف يجتمعان .

وقوله (يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ) يقول : يصرف عن الإيمان بهذا القرآن من صرف ، ويدفع عنه من يدفع ، فيحرمه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ) قال ابن عمرو في حديثه : يوفى ، أو يؤْفن ، أو كلمة تشبهها . وقال الحارث : يُؤْفَن ، بغير شك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن (يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ) قال : يُصرف عنه من صُرف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ) فالمأفوك عنه اليوم ، يعني كتابَ الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ) قال : يُؤْفَك عنه المشركون .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝ ﴾

٭ يقول تعالى ذكره : لُعِن المتكهنون الذين يتخرّصون الكذب والباطل فيتظننونه .
واختلف أهل التأويل فى الذين عُنُوا بقوله (قُتِلَ الخَرَّاصُونَ) فقال بعضهم : عُنِى به المرتابون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (قُتِلَ الخَرَّاصُونَ) يقول : لعن المُرتابون .

وقال آخرون فى ذلك بالذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قُتِلَ الخَرَّاصُونَ) قال : الكهنة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قُتِلَ الخَرَّاصُونَ) قال : الذين يتخرّصون الكذب كقوله فى عبس (قُتِلَ الإنسانُ) ، وقد حدثنى كل واحد منهما بالإسناد الذى ذكرت عنه ، عن مجاهد ، قوله (قُتِلَ الخَرَّاصُونَ) قال : الذين يقولون : لا نُبْعَث ولا يُوقِنون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُتِلَ الخَرَّاصُونَ) : أهل الظنون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قُتِلَ الخَرَّاصُونَ) قال : القوم الذين كانوا يتخرّصون الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت طائفة : إنما هو ساحر ، والذى جاء به سحر . وقالت طائفة : إنما هو شاعر ، والذى جاء به شعر ؛ وقالت طائفة : إنما هو كاهن ، والذى جاء به كهانة ؛ وقالت طائفة (أساطيرُ الأوّلينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وأصيلا) يتخرّصون على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله (وَالَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ ساهُونَ) يقول تعالى ذكره : الذين هم فى غمرة الضلالة وغلبتها عليهم متمادون ، وعن الحقّ الذى بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم ساهون ، قد لَهُوا عنه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظهم فى البيان عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ ساهُونَ) يقول : فى ضلالتهم يتمادَون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ ساهُونَ) قال : فى غفلة لاهون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ ساهُونَ) يقول : فى غمرة وشُبهة .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (غَمْرَةٍ ساهُونَ) قال : فى غفلة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فِى غَمْرَةٍ ساهُونَ) قال : ساهون عما أتاهم ، وعما نزل عليهم ، وعما أمرهم الله تبارك وتعالى ، وقرأ قول الله جل ثناؤه (بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا) . . . الآية ، وقال : ألا ترى الشىء إذا أخذته ثم غمرته فى الماء .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فِى غَمْرَةٍ ساهُونَ) : قلبه فى كنانة .

وقوله (يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ؟) يقول تعالى ذكره : يسأل هؤلاء الخرّاصون الذين وصف صفتهم متى يوم المجازاة والحساب ، ويوم يُدينُ الله العباد بأعمالهم .

كما حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ) قال : الذين كانوا يجحدون أنهم يُدانون ، أو يُبعثون .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ) قال : يقولون : متى يوم الدين ، أو يكون يوم الدين .

وقوله (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) يقول تعالى ذكره : يوم هم على نار جهنم يفتنون .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (يُفْتَنُونَ) فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى به أنهم يعذّبون بالإحراق بالنار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) يقول : يعذّبون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ، يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) قال : فتنتهم أنهم سألوا عن يوم الدين وهم موقوفون على النار (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) فقالوا حين وقفوا : (يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ) ، وقال الله تبارك وتعالى (هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (يُفْتَنُونَ) قال : كما يفتن الذهب فى النار .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنى هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عكرمة ، فى قوله (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) قال : يعذّبون فى النار يحرقون فيها ، ألم تر أن الذهب إذا ألقى فى النار قيل فتن .

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن حصين ، عن عكرمة (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) قال : يعذّبون .

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن مجاهد (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) يقول : يُنْضَجون بالنار .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الحصين ، عن عكرمة (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) قال : يحرقون .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) يقول : يحرقون .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) قال : يطبخون ، كما يفتن الذهب بالنار .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) قال : يحرقون بالنار .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) قال : يحرقون .

وقال آخرون : بل عنى بذلك أنهم يكذبون .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) يقول : يطبخون ، ويقال أيضا (يُفْتَنُونَ) يكذّبون كل هذا يقال .

واختلف أهل العربية في وجه نصب اليوم في قوله (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) فقال بعض نحويي البصرة : نصبت على الوقت والمعنى في (أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ) : أي متى يوم الدين ، فقيل لهم : في (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) ، لأن ذلك اليوم يوم طويل فيه الحساب ، وفيه فتنتهم على النار .

وقال بعض نحويي الكوفة : إنما نصبت (يَوْمَ هُمْ) لأنك أضفته إلى شيئين ، وإذا أضيف اليوم والليلة إلى اسم له فعل ، وارتفعا نصب اليوم ، وإن كان في موضع خفض أو رفع إذا أضيف إلى فَعَل أو يَفْعَلُ أو إذا كان كذلك [1] ، ورفعه في موضع الرفع ، وخفضه في موضع الخفض يجوز : فلو [2] قيل (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) فرفع يومُ ، لكان وجها ، ولم يقرأ به أحد من القرّاء .

وقال آخر منهم : إنها نصب (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) لأنه إضافة غير محضة فنصبَ ، والتأويل رفع ، ولو رفع لجاز لأنك تقول : متى يومك ؟ فتقول : يوم الخميس ، ويوم الجمعة ، والرفع الوجه ، لأنه اسم قابل اسما فهذا الوجه .

❊ وأولى القولين بالصواب في تأويل قوله (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) قول من قال : يعذّبون بالإحراق ، لأن الفتنة أصلها الاختبار ، وإنما يقال : فتنت الذهب بالنار : إذا طبختها بها لتعرف جودتها ، فكذلك قوله (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) يحرقون بها كما يحرق الذهب بها ، وأما النصب في اليوم فلأنها إضافة غير محضة على ما وصفنا من قول قائل ذلك .

---

(١) كذا في معاني القرآن للفراء . وفي الأصل : وإذا قال . (٢) كذا في معاني القرآن . وفي الأصل : يقول : لو قيل .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝﴾

✿ يعنى تعالى ذكره بقوله (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) يقال لهم : ذوقوا فتنتكم وترك يقال لهم لدلالة الكلام عليها ويعنى بقوله (فِتْنَتَكُمْ) : عذابكم وحريقكم .

واختلف أهل التأويل فى ذلك ، فقال بعضهم بالذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فِتْنَتَكُمْ) قال : حريقكم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) : ذوقوا عذابكم (هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) يقول : يوم يعذّبون ، فيقول : ذوقوا عذابكم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) يقول : حريقكم .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) يقول : احتراقكم .

حدثنى يونس ، قال أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) قال : ذوقوا عذابكم .

وقال آخرون : عنى بذلك : ذوقوا تعذيبكم أو كذبكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) يقول : تكذيبكم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) يقول : حريقكم ، ويقال : كذبكم .

وقوله (هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) يقول تعالى ذكره : يقال لهم : هذا العذاب الذى توفونه اليوم ، هو العذاب الذى كنتم به تستعجلون فى الدنيا .

وقوله (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) يقول تعالى ذكره : إن الذين اتقوا الله بطاعته ، واجتناب معاصيه فى الدنيا فى بساتين وعيون ماء فى الآخرة .

وقوله (آخِذِينَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ) يقول تعالى ذكره : عاملين ما أمرهم به ربهم مؤدّين فرائضه .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبي عمر ، عن مسلم البطين ، عن ابن عباس ، فى قوله (آخِذِينَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ) قال : الفرائض .

وقوله (إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلكَ مُحْسِنِينَ) يقول : إنهم كانوا قبل أن يفرض عليهم الفرائض محسنين ، يقول : كانوا لله قبل ذلك مطيعين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبي عمر ، عن مسلم البطين ، عن ابن عباس (إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلكَ مُحْسِنِينَ) قال : قبل الفرائض محسنين يعملون .

القول في تأويل قوله تعالى:

كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال بعضهم : معناه كانوا قليلا من الليل لا يهجعون ، وقالوا : « ما » بمعنى الجحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا يحيى بن سعيد وابن أبى عدىّ ، عن سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : يتيقظون يصلون ما بين هاتين الصلاتين ، ما بين المغرب والعشاء .

حدثنى زريق بن الشحب ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، بنحوه .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا أبوداود ، قال : ثنا بكير بن أبى السمط ، عن قتادة ، عن محمد ابن علىّ ، فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة .
قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن مطرف ، فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : قلّ ليلة أتت عليهم إلا صلوا فيها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال مطرف بن عبد الله فى قوله :

(كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قل ليلة تأتى عليهم لايصلون فيها لله ، إما من أولها ، وإما من وسطها .

حدثنا أبوكُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا ابن أبي ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال لم يكن يمضى عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئا .

قال : ثنا ابن يمان ، عن أبي جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : كانوا يصيبون فيها حظا .

حدثني على بن سعيد الكندى ، قال : ثنا حفص بن عاصم ، عن أبي العالية ، فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : لاينامون بين المغرب والعشاء .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ومهران ، عن أبي جعفر ، عن الربيع (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : كانوا يصيبون من الليل حظا .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن مطرّف ، فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : قل ليلة أتت عليهم هجعوها كلها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : كان لهم قليل من الليل ما يهجعون ، كانوا يصلونه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : سمعت ابن أبي نجيح ، يقول فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : كانوا قليلا ماينامون ليلة حتى الصباح .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : قليل مايرقدون ليلة حتى الصباح لايتهجدون .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : كانوا قليلا من الليل يهجعون ، ووجهوا « ما » التى فى قوله : (ما يَهْجَعُونَ) إلى أنها صلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : قال الحسن : كابدوا قيام الليل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول : لاينامون منه إلا قليلا .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن بعض أصحابنا ، عن الحسن ، فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : لاينامون من الليل إلا أقله .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا عوف ، عن سعيد بن أبي الحسن ، فى قوله (كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : قل ليلة أتت عليهم هجوعا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الأحنف بن قيس ، فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : كانوا لاينامون إلا قليلا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوداود ، قال : ثنا الحكم بن عطية ، عن قتادة ، قال : قال الأحنف بن قيس ، وقرأ هذه الآية (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : لست من أهل هذه الآية .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدىّ ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : قيام الليل .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : نشطوا فمدّوا إلى السحر .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ، قال : مدّوا فى الصلاة ونشطوا ، حتى كان الاستغفار بسحر .

قال : ثنا مهران ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن قال : كانوا لاينامون من الليل إلا قليلا :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُون) قال : كان الحسن والزهرى يقولان : كانوا كثيرا من الليل ما يصلون . وقد يجوز أن تكون « ما - على هذا التأويل فى موضع رفع ، ويكون تأويل الكلام : كانوا قليلا من الليل هجوعهم ؛ وأما من جعل « ما » صلة ، فإنه لاموضع لها ؛ ويكون تأويل الكلام على مذهبه كانوا يهجعون قليل الليل ، وإذا كانت « ما » صلة كان القليل منصوبا بيهجعون .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور عن إبراهيم (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُون) قال : ما ينامون .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : كانوا يصلون العتمة ، وعلى هذا التأويل « ما - فى معنى الجحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : قال رجل من أهل مكة : سماه قتادة ، قال : صلاة العتمة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : كان هؤلاء المحسنون قبل أن تفرض عليهم الفرائض قليلا من الناس ، وقالوا الكلام بعد قوله (إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُحْسِنِين) كانوا قليلا مستأنف بقوله (مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) فالواجب أن تكون « ما » على هذا التأويل بمعنى الجحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، عن الضحاك ، فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) يقول : إن المحسنين كانوا قليلا ، ثم ابتدئ فقيل (مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ وبالأسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) كما قال (وَالَّذِينَ آمَنُوا باللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ثم قال : (والشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الزبير ، عن الضحاك بن مزاحم (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : كانوا من الناس قليلا .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن الزبير بن عدىّ ، عن الضحاك بن مزاحم ، فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : كانوا قليلا من الناس من يفعل ذلك .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الزبير بن عدىّ ، عن الضحاك بن مزاحم (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : كانوا قليلا من الناس إذ ذاك .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال الله : (إنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) . . . إلى (مُحْسِنِينَ) كانوا قليلا ، يقول : المحسنون كانوا قليلا ، هذه مفصولة ، ثم استأنف فقال : (مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) .

وأما قوله (يَهْجَعُونَ) فإنه يعنى : ينامون ، والهجوع : النوم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) يقول : ينامون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : ينامون .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) الهجوع : النوم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : كانوا قليلا ما ينامون من الليل ، قال : ذاك الهجع . قال : والعرب تقول : إذا سافرت اهجع بنا قليلا . قال : وقال رجل من بنى تميم لأبى : يا أبا أُسامة صفة لاأجدها فينا ، ذكر الله تبارك وتعالى قوما فقال : (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) ونحن والله قليلا من الليل مانقوم ؛ قال : فقال أبى طُوبَى لمن رقد إذا نعس ، وألقى الله إذا استيقظ .

﴿ وأولى الأقوال بالصحة فى تأويل قوله (كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قول من قال : كانوا قليلا من الليل هجوعهم ، لأن الله تبارك وتعالى وصفهم بذلك مدحا لهم ، وأثنى عليهم به ، فوصفهم بكثرة العمل ، وسهر الليل ، ومكابدته فيما يقربهم منه ويرضيه عنهم أولى وأشبه من وصفهم من قلة العمل ، وكثرة النوم ، مع أن الذى اخبرنا فى ذلك هو أغلب المعانى على ظاهر التنزيل .

وقوله (وَبِالأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه : وبالأسحار يصلون .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَبِالأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يقول : يقومون فيصلون ، يقول : كانوا يقومون وينامون ، كما قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ) فهذا نوم ، وهذا قيام (وَطائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ) كذلك يقومون ثلثا ونصفا وثلثين : يقول : ينامون ويقومون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جبلة بن سحيم ، عن ابن عمر ، قوله (وَبِالأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : يصلون .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَبِالأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : يصلون

وقال آخرون : بل عنى بذلك أنهم أخروا الاستغفار من ذنوبهم إلى السحر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ، قال : مدّوا فى الصلاة ونَشِطوا ، حتى كان الاستغفار بسحر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَبِالأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : هم المؤمنون ، قال : وبلغنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم يعقوب حين سألوه أن يستغفر لهم (قالوا يا أبانا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا ـ قالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) قال : قال بعض أهل العلم : إنه أخّر الاستغفار إلى السحر . قال : وذكر بعض أهل العلم أن الساعة التى تفتح فيها أبواب الجنة : السحر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت ابن زيد يقول : السحر : هو السدس الأخير من الليل .

وقوله (وَفِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) يقول تعالى ذكره : وفى أموال هؤلاء المحسنين الذين وصف صفتهم حقّ لسائلهم المحتاج إلى مافى أيديهم والمحروم .

وبنحو الذى قلنا فى معنى السائل ، قال أهل التأويل ، وهم فى معنى المحروم مختلفون ، فمن قائل : هو المحارَف الذى ليس له فى الإسلام سهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن قيس بن كركم ، عن ابن عباس سألته عن السائل والمحروم ، قال : السائل : الذى يسأل الناس ، والمحروم : الذى ليس له فى الإسلام سهم وهو محارَف .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ للسَّائِلِ والمَحْرُومِ) قال : المحروم : المحارف .

حدثنا سهل بن موسى الرازى ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن قيس بن كركم ، عن ابن عباس ، قال : السائل : السائل . والمحروم : المحارف الذى ليس له فى الإسلام سهم .

حدثنا سهل بن موسى ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن قيس بن كركم ، عن ابن عباس ، قال : المحروم : المحارف الذى ليس له فى الإسلام سهم .

حدثنا حُمَيد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا شعبة عن أبى إسحاق ، عن قيس بن كركم ، عن ابن عباس فى هذه الآية (للسَّائِلِ والمَحْرُومِ) قال السائل : الذى يسأل ، والمحروم : المحارَف .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت أبا إسحاق يحدّث عن قيس بن كركم ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تبارك وتعالى : المحروم ، قال : المحارف .

وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَالمَحْرُومِ) : هو الرجل المحارف الذى لا يكون له مال إلا ذهب ، قضى الله له ذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن قيس بن كركم ، قال : سألت ابن عباس عن قوله (للسائل وَالمَحْرُومِ) قال : السائل : الذى يسأل ، والمحروم : المحارف الذى ليس له فى الإسلام سهم .

حدثنى محمد بن عمرو المقدمى ، قال : ثنا قريش بن أنس ، عن سليمان ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب : المحروم : المحارَف .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال فى المحروم : هو المحارف الذى ليس له أحد يعطف عليه ، أو يعطيه شيئا .

حدثني ابن المثنى ، قال : ثني وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن عاصم ، عن أبي قلابة ، قال : جاء سيل باليمامة ، فذهب بمال رجل ، فقال رجل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم : هذا المحروم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أيوب ، عن نافع ، قال : المحروم : المحارف .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثني مسلم بن خالد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : المحروم : المحارف .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثناهشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن الوليد بن العيزار عن سعيد ابن جُبَيْر ، عن ابن عباس أنه قال : المحروم : هوالمحارف .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، قال : سألت سعيد بن جُبَيْر ، عن المحروم ، فلم يقل فيه شيئا ، فقال عطاء : هو المحدود المحارف .

ومن قائل : هوالمتعفف الذى لايسأل الناس شيئا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى نافع بن يزيد ، عن عمرو بن الحارث ، عن بكير بن الأشجّ ، عن سعيد بن المسيب ، أنه سُئل عن المحروم فقال : المحارف[1] .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وفى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) هذان فقيرا أهل الإسلام ، سائل يسأل فى كفّه ، وفقيرمتعفّف ، ولكليهما عليك حقّ يا ابن آدم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى (لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) قال : السائل : الذى يسأل ، والمحروم : المتعفف الذى لايسأل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، قال : قال معمر ، وحدثنى الزهرىّ ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ وَالأُكْلَةُ وَالأُكْلَتَانِ ، قالوا فمن المسكين يارسول الله ؟؛ قال : الَّذِي لا يَجِدُ غِنًى ، وَلا يُعْلَمُ بِحَاجَتِهِ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ فَذَلِكَ الْمَحْرُومُ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) قال : السائل الذى يسأل بكفه ، والمحروم : المتعفف ، ولكليهما عليك حقّ يا ابن آدم .

وقائل : هوالذى لاسهم له فى الغنيمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن بن محمد ،

(١) هذا الأثر يناسب القول الأول ، فلعله مؤخر من تقديم .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية ، فغنموا ، فجاء قوم يشهدون الغنيمة ، فنزلت هذه الآية : (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) .

حدثنا أبوكُرَيب ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن سفيان ، عن قيس بن مسلم الجدلى ، عن الحسن بن محمد ، قال : بعثت سرية فغنموا ، ثم جاء قوم من بعدهم ، قال : فنزلت (لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم أن أُناسا قدموا على عليّ رضى الله عنه الكوفة بعد وقعة الجمل ، فقال : اقسموا لهم ، قال : هذا المحروم .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبونعيم ، عن سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن بن محمد أن قوما فى زمان النبيّ صلى الله عليه وسلم أصابوا غنيمة ، فجاء قوم بعد ، فنزلت (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : المحروم : الذى لافىء له فى الإسلام ، وهو محارف من الناس .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قوله (لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) قال : المحروم : الذى لايجرى عليه شيء من الفيء ، وهو محارف من الناس .

وقائل : هو الذى لاينمى له مال .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبوالسائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن حصين ، قال : سألت عكرمة ، عن السائل والمحروم ؟ قال : السائل : الذى يسألك ، والمحروم : الذى لاينمى له مال .

وقائل : هو الذى قد ذهب ثمره وزرعه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) قال : المحروم : المصاب ثمره وزرعه ، وقرأ (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ، أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ) . . حتى بلغ (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) وقال أصحاب الجنة : (إِنَّا لَضَالُّونَ . بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عبد الله بن عياش ، قال : قال زيد بن أسلم فى قول الله (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) قال : ليس ذلك بالزكاة ، ولكن ذلك مما ينفقون من أموالهم بعد إخراج الزكاة ، والمحروم : الذى يُصاب زرعه أو ثمره أو نسل ماشيته ، فيكون له حقّ على من لم يصبه ذلك من المسلمين ، كما قال لأصحاب الجنة حين أهلك جنتهم (قَالُوا بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) وقال أيضا : (لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ، إِنَّا لَمُغْرَمُونَ . بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) .

وكان الشعبيّ يقول فى ذلك ماحدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن عون ، قال : قال الشعبيّ : أعيانى أن أعلم ما المحروم .

﴿ والصواب من القول فى ذلك عندى أنه الذى قد حُرم الرزق واحتاج ، وقد يكون ذلك بذهاب ماله وثمره ، فصار ممن حرمه الله ذلك ، وقد يكون بسبب تعففه وتركه المسئلة ، ويكون بأنه لاسهم له فى الغنيمة لغيبته عن الوقعة ، فلا قول فى ذلك أولى بالصواب من أن تعمّ ، كما قال جلّ ثناؤه (وفى أمْوَالِهِمْ حَقٌ للسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝ ﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : وفى الأرض عِبر وعظات لأهل اليقين بحقيقة ماعاينوا ورأوا إذا ساروا فيها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وفى الأرْضِ آياتٌ للمُوقِنينَ) قال : يقول : معتبر لمن اعتبر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وفى الأرْضِ آياتٌ للمُوقِنِينَ) إذا سار فى أرض الله رأى عِبرا وآيات عظاما .

وقوله (وفى أنْفُسِكُمْ أفَلا تُبْصِرُونَ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وفى سبيل الخلاء والبول فى أنفسكم عِبرة لكم ، ودليل لكم على ربكم ، أفلا تبصرون إلى ذلك منكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن عبد الصمد الأنصاريّ ، قال : ثنا أبو أُسامة ، عن ابن جُرَيج ، عن ابن المرتفع ، قال : سمعت ابن الزُّبير يقول : (وفى أنْفُسِكُمْ أفَلا تُبْصِرُونَ) قال : سبيل الغائط والبول .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن جُرَيج ، عن محمد بن المرتفع ، عن عبد الله ابن الزُّبير (وفى أنْفُسِكُمْ أفَلا تُبْصِرُونَ) قال : سبيل الخلاء والبول .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وفى تسوية الله تبارك وتعالى مفاصل أبدانكم وجوارحكم دلالة لكم على أن خلقتم لعبادته .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وفى أنْفُسِكُمْ أفَلا

تُبْصِرُونَ) ، وقرأ قول الله تبارك وتعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ) قال : وفينا آيات كثيرة ، هذا السمع والبصر واللسان والقلب ، لايدرى أحد ماهو أسود أو أحمر ، وهذا الكلام الذى يتلجلج به ، وهذا القلب أىّ شىء هو ، إنما هومضغة فى جوفه ، يجعل الله فيه العقل ، أفيدرى أحد ما ذاك العقل ، وما صفته ، وكيف هو ؟.

✽ والصواب من القول فى ذلك أن يقال : معنى ذلك : وفى أنفسكم أيضا أيها الناس آيات وعبر تدلُّكم على وحدانية صانعكم ، وأنه لاإله لكم سواه ، إذ كان لاشىء يقدر على أن يخلق مثل خلقه إياكم (أفلا تُبْصِرُونَ) يقول : أفلا تنظرون فى ذلك فتتفكروا فيه ، فتعلموا حقيقة وحدانية خالقكم .

وقوله (وفى السَّماءِ رِزْقُكُمْ) يقول تعالى ذكره : وفى السماء : المطر والثلج اللذان بهما تخرج الأرض رزقكم ، وقوتكم من الطعام والثمار وغير ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا النضر ، قال : ثنا جُوَيبر ، عن الضحاك ، فى قوله (وفى السَّماءِ رِزْقُكُمْ) قال : المطر .

حدثنا أبوكُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (وفى السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) قال : الثلج ، وكلّ عين ذائبة من الثلج لاتنقص .

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الكريم ، عن الحسن ، قال : فى السحاب فيه والله رزقكم ، ولكنكم تُحرَمونه بخطاياكم وأعمالكم .

قال : أخبرنا سفيان ، عن إسماعيل بن أمية ، قال : أحسبه أوغيره « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا ومطروا ، يقول : ومطرنا ببعض عثانين الأسد ، فقال : كَذَبْتَ ، بَلْ هُوَ رِزْقُ اللهِ » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد (وفى السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) قال : رزقكم المطر .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وفى السَّماءِ رِزْقُكُمْ) قال : رزقكم المطر .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ومن عند الله الذى فى السماء رزقكم ، وممن تأوّله كذلك واصل الأحدب .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا هارون بن المُغيرة من أهل الرأى ، عن سفيان الثورى ، قال : قرأ واصل الأحدب هذه الآية (وفى السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) فقال : ألا إن رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الأرض ، فدخل خربة فمكث ثلاثا لايصيب شيئا ، فلما كان اليوم الثالث إذا هو بدو خلّة رطب ، وكان له أخ أحسن نية منه ، فدخل معه ، فصارتا دوخلّتين ، فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرّق الموت بينهما .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ، قوله (وَمَا تُوعَدُونَ) فقال بعضهم : معنى ذلك : وما توعدون من خير ، أو شرّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد (وَمَا تُوعَدُونَ) قال : وما توعدون من خير أو شرّ .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وفي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) يقول : الجنة في السماء ، وما توعدون من خير أو شرّ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما توعدون من الجنة والنار .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا النضر ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ، في قوله (وَمَا تُوعَدُونَ) قال : الجنة والنار .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَمَا تُوعَدُونَ) من الجنة .

وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي ، القول الذي قاله مجاهد ، لأن الله عمّ الخبر بقوله (وَمَا تُوعَدُونَ) عن كلّ ما وعدنا من خير أو شرّ ، ولم يخصص بذلك بعضا دون بعض ، فهو على عمومه كما عمه الله جلّ ثناؤه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره مقسما لخلقه بنفسه : فوربّ السماء والأرض ، إن الذي قلت لكم أيها الناس : إن في السماء رزقكم وما توعدون لحقّ ، كما حقّ أنكم تنطقون .

وقد حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن عوف ، عن الحسن ، في قوله (فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ) قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدّقوه » وقال الفرّاء : للجمع بين « ما » و « إنّ » في هذا الموضع وجهان : أحدهما : أن يكون ذلك نظير جمع العرب بين الشيئين من الأسماء والأدوات ، كقول الشاعر في الأسماء :

مِنَ النَّفَرِ اللاَّئِي الَّذِينَ إذَا هُمُ يَهابُ اللِّئامُ حَلْقَةَ البابِ قَعْقَعُوا[1]

فجمع بين اللائي والذين ، وأحدهما مجزئ من الآخر ، وكقول الآخر في الأدوات :

---

(١) هذا البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٣١١) على أن العرب قد تجمع بين الشيئين من الأسماء والأدوات إذا اختلف لفظهما ، مثل اللائي والذين ، فإنهما بمعنى واحد ، وأحدهما يجزئ عن الآخر ، كما في قوله تعالى « إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون » فقد جمع بين « ما » و « إن » . وقد نقل المؤلف بقية كلام الفراء في توجيه ذلك الجمع بين اللفظين . واستشهد به النحويون على مثل ما استشهد به الفراء . وانظر تفصيل الكلام على البيت في خزانة الأدب الكبرى للبغدادي (٢ : ٥٢٩- ٥٣٤) وقد نسب البيت لأبي الربيس الثعلبي . وروايته كما في شعره (في الخزانة ٥٣٢) :

من النفر البيض الذين إذا انتموا وهاب الرجال حلقة الباب قعقعوا

يمدح عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وهو صاحب الناقة التي سرقها أبو الربيس ومدح صاحبها وروى الجاحظ في البيان والتبيين أن —

ما إنْ رأيْتُ ولا سَمِعْتُ بِهِ كالْيَوْمِ طالِيَ أَيْنُقٍ جُرْبِ [١]

فجمع بين «ما» و بين «إن»، وهما جحدان يجزئ أحدهما من الآخر . وأما الآخر : فهو لو أن ذلك أفرد بما ، لكان خبرا عن أنه حقّ لا كذب ، وليس ذلك المعنىّ به . وإنما أُريد به : إنه لحقّ كما حقّ أن الآدمىّ ناطق . ألا ترى أن قولك : أحقّ منطقك ، معناه : أحقّ هو أم كذب ، وأن قولك أحق أنك تنطق معناه للاستثبات لا لغيره ، فأدخلت «أن» ليفرّق بها بين المعنيين ، قال : فهذا أعجب الوجهين إلىّ .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (مِثْلَ ما أَنَّكُمْ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة (مِثْلَ ما) نصبا بمعنى : إنه لحقّ حقا يقينا كأنهم وجهوها إلى مذهب المصدر . وقد يجوز أن يكون نصبها من أجل أن العرب تنصبها إذا رفعت بها الاسم ، فتقول : مثل من عبد الله ، وعبد الله مثلك ، وأنت مثلُه ، ومثلَهُ رفعا ونصبا . وقد يجوز أن يكون نصبها على مذهب المصدر ، إنه لحقّ كنطقكم . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة ، وبعض أهل البصرة رفعا (مِثْلُ ما أَنَّكُمْ) على وجه النعت للحقّ .

والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

القول في تأويل قوله تعالى:

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، يخبره أنه محلّ بمن تمادى فى غيه ، وأصرّ على كفره ، فلم يتب منه من كفار قومه ، ما أحلّ بمن قبلهم من الأمم الخالية ، ومذكرا قومه من قريش بإخباره إياهم أخبارهم وقصصهم ، وما فعل بهم ، هل أتاك يامحمد حديث ضيف إبراهيم خليل الرحمن المكرمين .

يعنى بقوله (الْمُكْرَمِينَ) أن إبراهيم عليه السلام وسارّة خدماهم بأنفسهما .

وقيل : إنما قيل (الْمُكْرَمِينَ) كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ضَيْفُ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ) قال : أكرمهم إبراهيم ، وأمر أهله لهم بالعجل حينئذ .

= الأبيات التى منها بيت الشاهد قالها شاعر يمدح بها أسيلم بن الأحنف الأسدى ، قال : وكان ذابيان و أدب وعقل وجاه ، وهو الذى يقول فيه الشاعر . . . . الأبيات . وقال الزبير بن بكار فى أنساب قريش : إن أبا الربيس عباد بن طهفة الثعلبى قال لعبد الله بن عمرو ابن عثمان بن عفان . . . . الأبيات وفيها البيت :

من النفر الشم الذين إذا ابتدوا وهاب اللئام حلقة الباب قعقعوا .

(١) هذا البيت من كلام دريد بن الصمة فارس جشم ، وكان جاء إلى عمرو بن الشريد السلمى يخطب إليه ابنته الخنساء ، وكانت تهنأ بالقطران إبلا لأبيها ، فلما رآها قال أبياتا يصفها ، ومنها :

أخُناس قَدْ هامَ الفُؤادُ بكُمْ وأصابَهُ تَبْلٌ مِنَ الحُبِّ =

وقوله (إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ) يقول : حين دخل ضيف إبراهيم عليه ، فقالوا له سلاما : أى أسلموا إسلاما ، قال سلام .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة ، قال(سَلامٌ) بالألف بمعنى قال : إبراهيم لهم سلام عليكم . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (سِلْمٌ) بغير ألف ، بمعنى ، قال : أنتم سلم .

وقوله (قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) يقول : قوم لانعرفكم ، ورفع « قوم منكرون » باضمار أنتم .

وقوله (فَرَاغَ إِلى أَهْلِهِ) يقول : عدل إلى أهله ورجع . وكان الفرّاء يقول : الروغ وإن كان على هذا المعنى فإنه لاينطق به حتى يكون صاحبه مخفيا ذهابه أو مجيئه ، وقال : ألا ترى أنك تقول قد راغ أهل مكة وأنت تريد رجعوا أو صدروا ، فلو أخفى راجع رجوعه حسنت فيه راغ ويروغ .

وقوله (فَجاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ) يقول : فجاء ضيفه بعجل سمين قد أنضجه شيًّا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَرَاغَ إِلى أَهْلِهِ فَجاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ) قال : كان عامة مال نبيّ الله إبراهيم عليه السلام البقر .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ۝٢٧ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ۝٢٨ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ۝٢٩ ﴾

وقوله (فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ ، قالَ أَلا تَأْكُلُونَ) ؟ وفى الكلام متروك استغنى بدلالة الظاهر عليه منه وهو فقرّبه إليهم ، فأمسكوا عن أكله ، فقال : ألا تأكلون ؟ فأوجس منهم ، يقول : فأوجس فى نفسه إبراهيم من ضيفه خيفة وأضمرها (قالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ) يعنى : بإسحاق ، وقال : عليم بمعنى عالم إذا كبر ، وذكر الفراء أن بعض المشيخة كان يقول : إذا كان للعلم منتظرا قيل : إنه لعالم عن قليل وغاية ، وفى السيد سائد ، والكريم كارم . قال : والذى قال حسن . قال : وهذا أيضا كلام عربىّ حسن قد قاله الله فى عليم وحكيم وميت .

ورُوى عن مجاهد فى قوله (بِغُلامٍ عَلِيمٍ) ماحدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (بِغُلامٍ عَلِيمٍ) قال : إسماعيل .

وإنما قلت : عنى به إسحاق ، لأن البشارة كانت بالولد من سارّة ، وإسماعيل لهاجر لا لسارّة .

--- فلما أخبرها أبوها بما جاء له فارس جشم ، رغبت عنه ، لكبر سنه ، ورغبت فى بنى أعمامها . انظر القصة فى ترجمة الخنساء فى الأغانى لأبى الفرج) . والشاهد فى هذا البيت كما قال الفراء فى معانى القرآن : إن العرب قد تجمع بين الشيئين من الأسماء والأدوات . إذا اختلف لفظهما ، مثل جمع الشاعر بين « ما » و « إن » فى هذا البيت ، للتوكيد . وكما فى قوله تعالى : « إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون » . فما مصدرية ، وكذلك إن حرف يؤول ما بعده المصدر ، وكان فى أحدهما غنية عن الآخر .

قوله ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ ﴾ يعنى : سارّة ، وليس ذلك إقبال نقلة من موضع إلى موضع ، ولا تحوّل من مكان إلى مكان ، وإنما هو كقول القائل : أقبل يشتمنى ، بمعنى : أخذ فى شتمى . وقوله ﴿ فِي صَرَّةٍ ﴾ يعنى : فى صيحة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله ﴿ فِي صَرَّةٍ ﴾ يقول : فى صيحة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ يعنى بالصرّة : الصيحة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ﴿ فِي صَرَّةٍ ﴾ قال : صيحة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ ﴾ : أى أقبلت فى رنة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله ﴿ صَرَّةٍ ﴾ قال : أقبلت ترنّ[1] .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن العلاء بن عبد الكريم اليامى ، عن ابن سابط ، قوله ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ ﴾ قال : فى صيحة .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ ﴾ قال : الصرّة : الصيحة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله ﴿ فِي صَرَّةٍ ﴾ يعنى : صيحة . وقد قال بعضهم : إنّ تلك الصيحة أوّه مقصورة الألف .

وقوله ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى صكها ، والموضع الذى ضربته من وجهها ، فقال بعضهم : معنى : صكها : وجهها : لَطْمها إياه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ يقول : لَطَمت .

وقال آخرون : بل ضربت بيدها جبهتها تعجبا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما بَشّر

(١) الرنة : الصيحة الحزينة . ورنت ترن رنينا ، وأرنت : صاحت .

جبريل سارّة بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، ضربت جبهتها عجبا ، فذلك قوله (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) قال : جبهتها .

حدثني ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن العلاء بن عبد الكريم اليامىّ ، عن ابن سابَط ، قوله (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) قال : قالت هكذا ؛ وضرب سفيان بيده على جبهته .

قال : ثنا مهران ؛ عن سفيان (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) وضعت يدها على جبهتها تعجبا ، والصكّ عند العرب : هو الضرب . وقد قيل : إن صكها وجهها ، أن جمعت أصابعها ، فضربت بها جبهتها (وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ) يقول : وقالت : أتلد ، وحذفت أتلد لدلالة الكلام عليه ، وبضمير أتلد رفعت عجوز عقيم ، وعنى بالعقيم : التى لا تلد :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا سليمان أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن مشاش ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (عَجُوزٌ عَقِيمٌ) قال : لا تلد .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا رجل من أهل خراسان من الأزد ، يكنى أبا ساسان ، قال : سألت الضحاك ، عن قوله (عَقِيمٌ) قال : التى ليس لها ولد .

تمّ الجزء السادس والعشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرى

ويليه الجزء السابع والعشرون

أوّله : القول فى تأويل قوله تعالى (قَالُوا كَذَلِكَ) ؛ ؛ ؛

جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء السابع والعشرون

دار الفكر

[illegible] عاق ، ومن [illegible] [illegible]

[illegible] قال : ثنا ابن [illegible] [illegible]

[illegible] عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، [illegible]

[illegible] مهران ، عن سفيان [illegible]

[illegible] كانت هكذا [illegible]

[illegible] وجهها [illegible]

[illegible] وجهها ، [illegible]

[illegible] ، وحذفت [illegible]

ذكر من قال ذلك

[illegible] أبو [illegible] قال : ثنا [illegible]

[illegible]

[illegible] ثنا هشيم ، قال : أخبرنا رجل من أهل [illegible]

[illegible] قبله [illegible] قال [illegible]

تم الجزء السادس والعشرون من تفسير [illegible]

ويليه الجزء السابع والعشرون

[illegible] أوله [illegible] تأويل قوله تعالى [illegible]

جَامِعُ البَيَانِ

عَن

تَأويلِ آيِ القُرآنِ

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء السابع والعشرون

دار الفكر

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

دار الفكر
بيروت لبنان
المكاتب: البناية المركزية - هاتف: ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب: ٧٠٦١ / ١١
المطابع والمعمل: حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف: ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧
برقيا: فكسي - تلكس ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

١ — فهرس الآيات

٢ – فهرس الموضوعات

٣ – فهرس القوافى

٤ ــ فهرس الأحاديث

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى:

قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾

﷽ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ضيف إبراهيم لزوجته إذ قالت لهم ، وقد بشّروها بغلام عليم : أألد عجوز عقيم (قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ) يقول : هكذا قال ربك : أى كما أخبرناك وقلنا لك (إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ) والهاء فى قوله « إنه » من ذكر الربّ ، هو الحكيم فى تدبيره خلقه ، العليم بمصالحهم ، وبما كان ، وبما هو كائن .

وقوله (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ) يقول : قال إبراهيم لضيفه : فما شأنكم أيها المرسلون (قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ) قد أجرموا لكفرهم بالله .

القول في تأويل قوله تعالى:

لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾

(لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ) يقول : لنمطر عليهم من السماء حجارة من طين (مُسَوَّمَةً) يعنى : معلّمة .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ) قال : المسوّمة : الحجارة المختومة ، يكون الحجر أبيض فيه نقطة سوداء ، أو يكون الحجر أسود فيه نقطة بيضاء ، فذلك تسويمها عند ربك يا إبراهيم للمسرفين ، يعنى للمتعدّين حدود الله ، الكافرين به من قوم لوط (فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى

ذكره : فأخرجنا من كان فى قرية سدوم ، قرية قوم لوط من أهل الإيمان بالله وهم لوط وابنتاه ، وكنى عن القرية بقوله (مَنْ كانَ فيها) ولم يجر لها ذكر قبل ذلك :

القول في تأويل قوله تعالى :

فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى ذكره : فما وجدنا فى تلك القرية التى أخرجنا منها من كان فيها من المؤمنين غير بيت من المسلمين ، وهو بيت لوط .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَمَا وَجَدْنا فيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ المُسْلِمِينَ) قال : لو كان فيها أكثر من ذلك لأنجاهم الله ، ليعلموا أن الإيمان عند الله محفوظ لا ضيعة على أهله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (فَمَا وَجَدْنا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ المُسْلِمِينَ) قال : هؤلاء قوم لوط لم يجدوا فيها غير لوط .

حدثنى ابن عوف ، قال : ثنا المعتمر ، قال : ثنا صفوان ، قال : ثنا أبو المثنى ومسلم أبو الحيل الأشجعىّ قال الله : (فَمَا وَجَدْنا فيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ المُسْلِمِينَ) لوطا وابنتيه ، قال : فحلّ بهم العذاب ، قال الله : (وتَرَكْنا فِيها آيَةً للَّذِينَ يَخافُونَ العَذابَ الأليمَ) .

وقوله (وتَرَكْنا فيها آيَةً للَّذِينَ يَخافُونَ العَذابَ الأليمَ) يقول : وتركنا فى هذه القرية التى أخرجنا من كان فيها من المؤمنين آية ، وقال جلّ ثناؤه : (وتَرَكْنا فيها آيَةً) والمعنى : وتركناها آية لأنها التى ائتفكت بأهلها ، فهى الآية ، وذلك كقول القائل : ترى فى هذا الشيء عبرة وآية ؛ ومعناها : هذا الشيء آية وعبرة ، كما قال جلّ ثناؤه (لَقَدْ كانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آياتٌ للسَّائِلِينَ) وهم كانوا الآيات وفعلهم ، ويعنى بالآية : العظة والعبرة ، للذين يخافون عذاب الله الأليم فى الآخرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾

يقول تعالى ذكره : وفى موسى بن عمران إذ أرسلناه إلى فرعون بحجة تبين لمن رآها أنها حجة لموسى على حقيقة ما يقول ويدعو إليه :

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (إلى فِرْعَوْنَ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ) يقول : بعذر مبين .

وقوله (فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ) يقول: فأدبر فرعون كما أرسلنا إليه موسى بقومه من جنده وأصحابه.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظ قائليه فيه.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ) يقول لقومه، أو بقومه، أنا أشكّ.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ) قال: بعضده وأصحابه.

حدثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، فى قوله (فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ) غلب عدوّ الله على قومه.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قول الله تبارك وتعالى (فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ) قال: بجموعه التى معه، وقرأ (لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال: إلى قوة من الناس إلى ركن أجاهدكم به؛ قال: وفرعون وجنوده ومن معه ركنه؛ قال: وما كان مع لوط مؤمن واحد؛ قال: وعرض عليهم أن يُنكحهم بناته رجاء أن يكون له منهم عضد يعينه، أو يدفع عنه، وقرأ (هَؤُلاءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) قال: يريد النكاح، فأبوا عليه، وقرأ قول الله تبارك وتعالى: (لَقَدْ عَلِمْتَ ما لَنا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيدُ) أصل الركن: الجانب والناحية التى يعتمد عليها ويقوّى بها.

وقوله (وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) يقول: وقال لموسى: هو ساحر يسحر عيون الناس، أو مجنون، به جِنَّة. وكان معمر بن المثنى يقول: «أو - فى هذا الموضع بمعنى الواو التى للموالاة، لأنهم قد قالوها جميعا له، وأنشد فى ذلك بيت جرير الخطفى:

أَثَعْلَبَةَ الفَوَارِسَ أَوْ رِيَاحا عَدَلْتَ بِهِمْ طُهَيَّةَ وَالخِشَابا [1]

القول فى تأويل قوله تعالى:

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِى الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾

يقول تعالى ذكره: فأخذنا فرعون وجنوده بالغضب منا والأسف (فَنَبَذْنَاهُمْ فِى الْيَمِّ) يقول فألقيناهم فى البحر، فغرّقناهم فيه (وَهُوَ مُلِيمٌ) يقول: وفرعون مليم، والمليم: هو الذى قد أتى ما يُلام عليه من الفعل.

(١) البيت لجرير بن الخطفى. من قصيدة له يهجو بها الراعى النميرى (ديوانه طبعة الصاوى ٦٦) قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٢٧-ا) عند قوله تعالى: «وقالوا ساحر أو مجنون»: أو هاهنا فى موضع الواو التى للموالاة (العطف) لأنه قد قالوهما جميعا له قال جرير: «أثعلبة .... البيت» طهية كسمية: حى من تميم نسبوا إلى أمهم. والخشاب: بنو رزام بن مالك، وربيعة وكعب بن مالك، وحنظلة.

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَهُوَ مُلِيمٌ) : أى مليم فى نعمة الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَهُوَ مُلِيمٌ) قال : مُليم فى عباد الله . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ) .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾

❁ يقول تعالى ذكره : (وفي عادٍ) أيضا ، وما فعلنا بهم لهم آية وعبرة (إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ) يعنى بالريح العقيم : التى لا تلقح الشجر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الريح العقيم : الريح الشديدة التى لا تُلْقِح شيئا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (الرِّيحَ الْعَقِيمَ) قال : لا تلقح الشجر ، ولا تثير السحاب .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، هذا الريح العقيم ، قال : ليس فيها رحمة ولا نبات ، ولا تلقح نباتا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا سليمان أبو داود ، قال : أخبرنا شعبة ، عن شاس ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (الرِّيحَ الْعَقِيمَ) قال : لا تلقح .

حدثنى يعقوب ، قال . ثنا هشيم ، قال . أخبرنا شيخ من أهل خراسان من الأزد ، ويكنى أبا ساسان ، قال : سألت الضحاك بن مزاحم ، عن قوله (الرِّيحَ الْعَقِيمَ) قال : الريح التى ليس فيها بركة ولا تلقح الشجر .

حدثنا محمد بن عبد الله الهلالىّ ، قال : ثنا أبو على الحنفىّ ، قال : ثنا ابن أبى ذئب ، عن الحارث بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن المسيب أنه كان يقول : (الرِّيحَ الْعَقِيمَ) الجنوب .

حدثنا أحمد بن الفرج ، قال : ثنا ابن أبى فديك ، قال : ثنا ابن أبى ذئب ، عن خاله الحارث بن عبد الرحمن يقول : العقيم : يعنى : الجنوب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وفى عادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ

الرِّيحَ العَقِيمَ) إن من الريح عقيما وعذابا حين ترسل لاتلقح شيئا ، ومن الريح رحمة يثير الله تبارك وتعالى بها السحاب ، وينزل بها الغيث . وذُكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « نُصِرْتُ بالصَّبا وأُهْلِكَتْ عادٌ بالدَّبُورِ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن ابن عباس ، بمثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (الرِّيحَ العَقِيمَ) قال : الريح التى لاتنبت .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (الرِّيحَ العَقِيمَ) : التى لاتلقح شيئا .

حدثنى ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال (الرِّيحَ العَقِيمَ) : التى لاتنبت شيئا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وفِى عادٍ إذْ أرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ) قال : إن الله تبارك وتعالى يُرسل الريح بُشرا بين يدى رحمته ، فيحيى به الأصل والشجر ، وهذه لاتلقح ولا تحيى ، هى عقيم ليس فيها من الخير شيء ، إنما هى عذاب لاتلقح شيئا ، وهذه تلقح ، وقرأ (وأرْسَلْنا الرِّياحَ لَوَاقِحَ) . وقوله (ما تَذَرُ مِنْ شَىْءٍ أتَتْ عَلَيْهِ إلاَّ جَعَلَتْهُ كالرَّمِيمِ) والرميم فى كلام العرب : ما يبس من نبات الأرض وديس .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك ، وإن اختلفت ألفاظهم بالعبارة عنه

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ما تَذَرُ مِنْ شَىْءٍ أتَتْ عَلَيْهِ إلاَّ جَعَلَتْهُ كالرَّمِيمِ) قال : كالشيء الهالك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كالرَّمِيمِ) قال : كالشيء الهالك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كالرَّمِيمِ) : رميم الشجر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إلاَّ جَعَلَتْهُ كالرَّمِيمِ) قال : كرميم الشجر .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى ذكره : وفى ثمود أيضا لهم عبرة ومتعظ ، إذ قال لهم ربهم ، يقول : فتكبروا عن أمر ربهم وعلَوْا استكبارا عن طاعة الله .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَعَتَوْا) قال : علَوْا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ) قال : العاتى : العاصى التارك لأمر الله .

وقوله (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ) يقول تعالى ذكره : فأخذتهم صاعقة العذاب فجأة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) وهم ينتظرون ، وذلك أن ثمود وُعِدَتِ العذاب قبل نزوله بهم بثلاثة أيام وجُعِل لنزوله عليهم علامات فى تلك الثلاثة ، فظهرت العلامات التى جعلت لهم الدالة على نزولها فى تلك الأيام ، فأصبحوا فى اليوم الرابع موقنين بأن العذاب بهم نازل ، ينتظرون حلوله بهم . وقرأت قراء الأمصار خلا الكسائىّ (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ) بالألف . ورُوى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قرأ ذلك (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعْقَةُ) بغير ألف .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن عمرو بن ميمون الأَوْدِى ، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعْقَةُ) ، وكذلك قرأ الكسائىّ . وبالألف نقرأ الصاعقة لإجماع الحجة من القرّاء عليها .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى ذكره : فما استطاعوا من دفاع لما نزل بهم من عذاب الله ، ولا قدروا على نُهوض به .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ) يقول : ما استطاع القوم نُهوضا لعقوبة الله تبارك وتعالى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ) قال : من نُهوض .

وكان بعض أهل العربية يقول : معنى قوله (فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ) : فما قاموا بها ، قال : لو كانت فما استطاعوا من إقامة ، لكان صوابا ، وطرح الألف منها كقوله (أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا) ،

وقوله (وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ) يقول: وما كانوا قادرين على أن يستقيدوا ممن أحل بهم العقوبة التى حلّت بهم.

وكان قتادة يقول فى تأويل ذلك: ماحدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ) قال: ماكانت عندهم من قوّة يمتنعون بها من الله عزّ وجلّ.

وقوله (وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَقَوْمَ نُوحٍ) نصبا. ولنصب ذلك وجوه: أحدها: أن يكون القوم عطفا على الهاء والميم فى قوله (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ) إذ كان كلّ عذاب مهلك تسميه العرب صاعقة، فيكون معنى الكلام حينئذ: فأخذتهم الصاعقة وأخذت قوم نوح من قبل. والثانى: أن يكون منصوبا بمعنى الكلام، إذ كان فيما مضى من أخبار الأمم قبلُ دلالة على المراد من الكلام، وأن معناه: أهلكنا هذه الأمم، وأهلكنا قوم نوح من قبل. والثالث: أن يضمر له فعلا ناصبا، فيكون معنى الكلام: واذكر لهم قوم نوح، كما قال (وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ) ونحوذلك، بمعنى أخبرهم واذكر لهم. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة (وَقَوْمِ نُوحٍ) بخفض القوم على معنى: وفى قوم نوح عطفا بالقوم على موسى فى قوله (وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ).

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان فى قرأة الأمصار، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب، وتأويل ذلك فى قراءة من قرأه خفضا وفى قوم نوح لهم أيضا عبرة، إذ أهلكناهم من قبل ثمود لما كذّبوا رسولنا نوحا (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) يقول: إنهم كانوا مخالفين أمر الله، خارجين عن طاعته.

القول في تأويل قوله تعالى

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾

يقول تعالى ذكره: والسماء رفعناها سقفا بقوّة.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) يقول: بقوّة.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبوعاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (بِأَيْدٍ) قال: بقوّة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) : أى بقوّة.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور أنه قال فى هذه الآية: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) قال: بقوّة.

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (والسَّماءَ بَنَيْناها بأَيْدٍ) قال : بقوة .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (والسَّماءَ بَنَيْناها بأَيْدٍ) قال : بقوة .

وقوله (وَإنَّا لَمُوسِعُونَ) يقول : لذو سعة بخلقها وخلق ماشئنا أن نخلقه وقدرة عليه . ومنه قوله : (على المُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَن المُقْتِرِ قَدَرُهُ) يراد به القوى .

وقال ابن زيد فى ذلك ماحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإنَّا لَمُوسِعُونَ) قال : أوسعها جلّ جلاله .

وقوله (والأرْضَ فَرَشْناها) يقول تعالى ذكره : والأرض جعلناها فراشا للخلق (فَنِعْمَ المَاهِدُونَ) يقول : فنعم الماهدون لهم نحن .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : وخلقنا من كلّ شيء خلقنا زوجين ، وترك خلقنا الأولى استغناء بدلالة الكلام عليها .

واختُلف فى معنى (خَلَقْنا زَوْجَيْنِ) فقال بعضهم : عنى به : ومن كلّ شيء خلقنا نوعين مختلفين كالشقاء والسعادة والهدى والضلالة ، ونحو ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، فى قوله (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ) قال : الكفر والإيمان ، والشقاوة والسعادة ، والهدى والضلالة ، والليل والنهار ، والسماء والأرض ، والإنس والجنّ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا إبراهيم بن أبي الوزير ، قال : ثنا مروان بن معاوية الفزاريّ ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ) قال : الشمس والقمر .

وقال آخرون : عنى بالزوجين : الذكر والأنثى .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ) قال : ذكرًا وأنثى ، ذاك الزوجان ، وقرأ (وأَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ) قال : امرأته .

وأولى القولين فى ذلك قول مجاهد ، وهو أن الله تبارك وتعالى ، خلق لكلّ ماخلق من خلقه ثانيا له مخالفا فى معناه ، فكلّ واحد منهما زوج للآخر ، ولذلك قيل : خلقنا زوجين . وإنما نبه جلّ ثناؤه بذلك من قوله خلقه على قُدرته على خلق ما يشاء خلقه من شيء ، وأنه ليس كالأشياء التى شأنها فعل نوع واحد

دون خلافه ، إذ كلّ ما صفته فعل نوع واحد دون ما عداه كالنار التى شأنها التسخين ، ولا تصلح للتبريد ، وكالثلج الذى شأنه التبريد ، ولا يصلح للتسخين ، فلا يجوز أن يوصف بالكمال ، وإنما كمال المدح للقادر على فعل كلّ ما شاء فعله من الأشياء المختلفة والمتفقة .

وقوله (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) يقول : لتذكروا وتعتبروا بذلك ، فتعلموا أيها المشركون بالله أن ربكم الذى يستوجب عليكم العبادة هو الذى يقدر على خلق الشيء وخلافه ، وابتداع زوجين من كلّ شيء لاما لا يقدر على ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥١ ﴾

✲ يقول تعالى ذكره : فاهربوا أيها الناس من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به ، واتباع أمره ، والعمل بطاعته (إِنّى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ) يقول : إنى لكم من الله نذير أنذركم عقابه ، وأخوّفكم عذابه الذى أحله بهؤلاء الأمم الذين قصّ عليكم قصصهم ، والذى هو مذيقهم فى الآخرة .

وقوله (مُبِينٌ) يقول : يبين لكم نذارته .

وقوله (وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ) يقول جل ثناؤه : ولا تجعلوا أيها الناس مع معبودكم الذى خلقكم معبوداً آخر سواه ، فإنه لا معبود تصلح له العبادة غيره (إِنّى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ) يقول : إنى لكم أيها الناس نذير من عقابه على عبادتكم إلها غيره ، مبين قد أبان لكم النذارة .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٥٣ ﴾

✲ يقول تعالى ذكره : كما كذبت قريش نبيها محمداً صلى الله عليه وسلم ، وقالت : هو شاعر ، أو ساحر أو مجنون ، كذلك فعلت الأمم المكذّبة رسلها ، الذين أحلّ الله بهم نقمته ، كقوم نوح وعاد وثمود ، وفرعون وقومه ، ما أتى هؤلاء القوم الذين ذكرناهم من قبلهم ، يعنى من قبل قريش قوم محمد صلى الله عليه وسلم من رسول إلا قالوا : ساحر أو مجنون ، كما قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله (أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ) يقول تعالى ذكره : أأوصى هؤلاء المكذّبين من

قريش محمدا صلى الله عليه وسلم على ماجاءهم به من الحق أوائلهم وآباؤهم الماضون من قبلهم ، بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ، فقبلوا ذلك عنهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَتَوَاصَوْا بِهِ . بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ) قال : أوصى أُولاهم أُخراهم بالتكذيب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَتَوَاصَوْا بِهِ) : أى كان الأوّل قد أوصى الآخر بالتكذيب .

وقوله (بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ) يقول تعالى ذكره : ما أوصى هؤلاء المشركون آخرهم بذلك ، ولكنهم قوم متعدّون طغاة عن أمر ربهم ، لا يأتمرون لأمره ، ولا ينتهون عما نهاهم عنه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ۝ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فتولّ يامحمد عن هؤلاء المشركين بالله من قريش ، يقول : فأعرض عنهم حتى يأتيك فيهم أمر الله ، يقال : ولى فلان عن فلان : إذا أعرض عنه وتركه ، كما قال حصين بن ضمضم :

أَمَّا بَنُو عَبْسٍ فإنَّ هَجِينَهُمْ ... وَلَّى فَوَارِسُهُ وَأَفْلَتَ أَعْوَرَا [1]

والأعور فى هذا الوضع : الذى عور فلم تقض حاجته ، ولم يصب ما طلب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) قال : فأعرض عنهم .

وقوله (فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ) يقول جلّ ثناؤه : فما أنت يامحمد بملوم ، لايلومك ربك على تفريط كان منك فى الإنذار ، فقد أنذرت ، وبلّغت ما أرسلت به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) البيت لحصين بن ضمضم . قاله أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٢٧ ب) قال عند قوله تعالى : « فتول عنهم » أى أعرض عنهم واتركهم . قال حصين بن ضمضم : « أما بنو عبس . . . البيت » . والأعور : الذى عور فلم يقض حاجته ، ولم يصب ماطلب ، وليس هو من عور العين .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم.

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ) قال : قد بلغت ما أرسلناك به ، فلست بملوم ، قال : وكيف يلومه ، وقد أدّى ما أمر به .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ) ذُكر لنا أنها لما نزلت هذه الآية ، اشتدّ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأوا أن الوحى قد انقطع ، وأن العذاب قد حضر ، فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : أخبرنا ابن علية ، قال : أخبرنا أيوب ، عن مجاهد ، قال : خرج علىّ معتجرا ببرد ، مشتملا بخميصة ، فقال لما نزلت (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ) أحزننا ذلك وقلنا : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتولى عنا حتى نزل (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)

وقوله (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) يقول : وعظ يا محمد من أرسلت إليه ، فإن العظة تنفع أهل الإيمان بالله .

كما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) قال : وعظهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ ﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) فقال بعضهم : معنى ذلك : وما خلقت السُّعداء من الجنّ والإنس إلا لعبادتى ، والأشقياء منهم لمعصيتى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن جُرَيج ، عن زيد بن أسلم (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) قال : ما جبلوا عليه من الشقاء والسعادة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جُرَيج ، عن زيد بن أسلم بنحوه .

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا سفيان ، عن ابن جُرَيج ، عن زيد بن أسلم ، بمثله .

حدثنا حُمَيد بن الربيع الخرّاز ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا ابن جُرَيج ، عن زيد بن أسلم ، فى قوله (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) قال : جبلهم على الشقاء والسعادة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونَ) قال : من خلق للعبادة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليُذْعِنوا لى بالعبودة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) : إلا ليقرّوا بالعبودة طوعا وكرها .

❁ وأولى القولين فى ذلك بالصواب القول الذى ذكرنا عن ابن عباس ، وهو : ما خلقت الجنّ والإنس إلا لعبادتنا ، والتذلل لأمرنا .

فإن قال قائل : فكيف كفروا وقد خلقهم للتذلل لأمره ؟ قيل : إنهم قد تذللوا لقضائه الذى قضاه عليهم ، لأن قضاءه جار عليهم ، لايقدرون من الامتناع منه إذا نزل بهم ، وإنما خالفه من كفر به فى العمل بما أمره به ، فأما التذلل لقضائه فإنه غير ممتنع منه .

وقوله (ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ) يقول تعالى ذكره : ما أريد ممن خلقت من الجنّ والإنس من رزق يرزقونه خلقى (وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ) يقول : وما أريد منهم من قوت أن يقوتوهم ، ومن طعام أن يطعموهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنا أبى ، عن عمرو بن مالك ، عن أبى الجوزاء ، عن ابن عباس (ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونَ) قال : يطعمون أنفسهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾

❁ يقول تعالى ذكره : إن الله هو الرزّاق خلقه ، المتكفل بأقواتهم ، ذوالقوّة المتين .

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (المَتِين) ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار خلا يحيى بن وثاب والأعمش : (ذُوالقُوَّةِ المَتِين) رفعا ، بمعنى : ذوالقوّة الشديد ، فجعلوا المتين من نعت ذى ، ووجهوه إلى وصف الله به . وقرأه يحيى والأعمش (المَتِينُ) خفضا ، فجعلاه من نعت القوّة ، وإنما استجاز خفض ذلك من قرأه بالخفض ، ويصيره من نعت القوّة ، والقوّة مؤنثة ، والمتين فى لفظ مذكر ، لأنه ذهب بالقوّة من قوى

الحبل[1] والشيء المبرم : الفتل ، فكأنه قال على هذا المذهب : ذو الحبل القويّ . وذَكر الفراء أن بعض العرب أنشده :

لكُلِّ دَهْرٍ قَدْ لَبِسْتُ أَثْؤُبا مَنْ رَيْطَةٍ واليُمْنَةَ المُعَصَّبا[2]

فجعل المعصب نعت اليمنة ، وهى مؤنثة فى اللفظ ، لأن اليمنة ضرب وصنف من الثياب ، فذهب بها إليه .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا (ذُو القُوَّةِ المَتِينُ) رفعا على أنه من صفة الله جلّ ثناؤه ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه ، وأنه لو كان من نعت القوّة لكان التأنيث به أولى ، وإن كان للتذكير وجه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ذُو القُوَّةِ المَتِينُ) يقول : الشديد .

وقوله (فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحابِهِمْ فَلا يَسْتَعْجِلُونَ) يقول تعالى ذكره : فإن للذين أشركوا بالله من قريش وغيرهم ذنوبا ، وهى الدلو العظيمة ، وهو السجل أيضا إذا مُلئت أو قاربت الملء ، وإنما أريد بالذنوب فى هذا الموضع : الحظّ والنصيب ؛ ومنه قول علقمة بن عبدة :

وفى كُلِّ قَوْمٍ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ فَحُقَّ لِشأْسٍ مِنْ نَداكَ ذَنُوبُ[3]

أى نصيب ، وأصله ما ذكرت ؛ ومنه قول الراجز :

---

(١) الذى فى الفراء لأنه ذهب بالقوة إلى الحبل الخ .

(٢) البيت فى (اللسان : ثوب) ونسبه إلى معروف بن عبد الرحمن . قال : والثوب : اللباس واحد الأثواب والثياب ، والجمع : أثوب . وبعض العرب يهمزه ، فيقول : أثؤب ، لاستثقال الضمة على الواو ، والهمزة أقوى على احتمالها منها . قال معروف ابن عبد الرحمن :

لِكُلِّ دَهْرٍ قَدْ لَبِسْتُ أَثْؤُبا حَتى اكْتَسَى الرأسُ قِناعا أَشْيَبا

* أَمْلَحَ لا لَذًّا وَلا مُحَبَّبا *

ولم يذكر البيت الثانى من شاهد المؤلف « من ريطة واليمنة المعصبة » وفى اللسان : الريطة الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ، ولم تكن لفقين أو هى كل ثواب لين دقيق ، قال الأزهرى ولا تكون الريطة إلا بيضاء . واليمنية بضم الياء وسكون الميم واليمنية بالتحريك : ضرب من برود اليمن قال : « واليمنة المعصبا » . والبيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن الورقة ٣١٣) قال عند قوله تعالى « إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » قال : قرأ يحيى بن وثاب « المتين » بالخفض ، جعله من نعت القوة ، وإن كانت أنثى فى اللفظ ، فإنه ذهب إلى الحبل ، وإلى الشىء المفتول . أنشدنى بعض العرب : « لكل دهر » . . . البيتين . فجعل المعصب نعتا لليمنة ، وهى مؤنثة فى اللفظ ، لأن اليمنة ضرب وصنف من الثياب الوشى ، فذهب إليه . وقرأ الناس : « المتين » رافع ، من صفة الله .

(٣) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٢٧) قال عند قوله تعالى « فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم » أى نصيبا . قال علقمة بن عبدة « وفى كل قوم قد خبطت بنائل » . . . . البيت . وهو من قصيدة مطولة يمدح بها الحارث بن أبى شمر الغسانى ، وكان أسر أخاه شأسا . فرحل يطلب فكه . وقيل مدح بها جبلة بن الأيهم أو عمرو بن الحارث الأعرج (انظر مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ص ٤١٨ ، ٤٢٣) وقوله « كل قوم » يروى : كل يوم ، وكل حى . وبنعمة : يروى : بنائل . وأصل الذنوب : الدلو . والمراد : حظ ونصيب . قال أبو عبيدة : وإنما أصلها من الدلو ، والذنوب والسجل واحد ، وهو مثل الدلو وأقل قليلا .

لَنَا ذَنُوبٌ ولَكُمْ ذَنُوبُ فإن أَبَيْتُمْ فَلَنَا القَلِيبُ[1]

ومعنى الكلام : فإن للذين ظلموا من عذاب الله نصيبا وحظا نازلا بهم ، مثل نصيب أصحابهم الذين مضوا من قبلهم من الأمم ، على منهاجهم من العذاب ، فلا يستعجلون به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فإنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبا) يقول : دلوا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فإنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ) قال : يقول للذين ظلموا عذابا مثل عذاب أصحابهم فلا يستعجلون

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبَيْر (ذَنُوبا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ) فلا يستعجلون : سجلا من العذاب .

قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا شهاب بن سريعة ، عن الحسن ، فى قوله (ذَنُوبا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ) قال : دلوا مثل دلو أصحابهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ذَنُوبا) قال : سجلا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فإنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبا) : سجلا من عذاب الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنى محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (فإنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ) قال : عذابا مثل عذاب أصحابهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فإنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ) قال : يقول ذنوبا من العذاب ، قال : يقول لهم سجل من عذاب الله ، وقد فعل هذا بأصحابهم من قبلهم ، فلهم عذاب مثل عذاب أصحابهم فلا يستعجلون .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (ذَنُوبا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ) قال : طَرَفا من العذاب .

(١) الذنوب : السجل ، وهو أقل من الدلو . والمراد به هنا ، النصيب والحظ والقليب : البئر . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣١٣) عند قوله تعالى « فإن للذين ظلموا ذنوبا » : الذنوب فى كلام العرب : الدلو العظيمة ، ولكن العرب تذهب بها إلى النصيب والحظ . وبذلك أتى التفسير : فإن للذين ظلموا حظا من العذاب ، كما نزل بالذين من قبلهم . وقال الشاعر : « لنا ذنوب . . . » البيتين . والذنوب تذكر وتؤنث .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِى يُوعَدُونَ ۝﴾

يقول تعالى ذكره : فالوادى السائل فى جهنم من قيح وصديد للذين كفروا بالله وجحدوا وحدانيته من يومهم الذى يوعدون فيه نزول عذاب الله إذا نزل بهم ماذا يلقون فيه من البلاء والجهد .

آخر تفسير سورة الذاريات

---

(٥٢) سورة الطور مكية
وآياتها تسع وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿وَالطُّورِ ۝ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ ۝﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (والطُّورِ) : والجبل الذى يُدعى الطور .

وقد بيَّنت معنى الطور بشواهده ، وذكرنا اختلاف المختلفين فيه فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقد حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تبارك وتعالى (والطُّورِ) قال الجبل بالسُّرْيانية .

وقوله (وكِتابٍ مَسْطُورٍ) يقول : وكتاب مكتوب ؛ ومنه قول رُؤْبة :

إنى وآياتٍ سُطِرْنَ سَطْرًا [١]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وكِتاب مَسْطُورٍ) قال : صحف .

---

(١) البيت من مشطور الرجز ، وبعده بيت يكمله (اللسان : سطر) وهو قوله :

* لَقَائِلٌ يانَصْرُ نَصْرٌ نَصْرًا *

ولم ينسبهما فى اللسان . وقال العينى فى فرائد القلائد ، (شرح مختصر الشواهد) فى شواهد عطف البيان : « عزاه سيبويه » إلى رؤبة . وقال الصاغانى : وليس له » اهـ . قلت ومحل الشاهد قوله : « سطرن سطرا » أى خططن وكتبن . أقسم بالسطور التى خطت وكتبت . ولعله يريد سطور القرآن

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وكِتابٍ مَسْطُورٍ) والمسطور : المكتوب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مَسْطُورٍ) قال : مكتوب .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مَسْطُورٍ) قال : مكتوب .

وقوله (فِى رَقٍّ مَنْشُورٍ) يقول : فى ورق منشور .

وقوله « فى » من صلة مسطور ، ومعنى الكلام : وكتاب سطر ، وكُتب فى ورق منشور .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فِى رَقٍّ مَنْشُورٍ) وهو الكتاب .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، (فى رَقٍّ) قال : الرقّ : الصحيفة .

وقوله (وَالبَيْتِ المَعْمُورِ) يقول : والبيت الذى يعمر بكثرة غاشيته وهو بيت فيما ذُكر فى السماء بحيال الكعبة من الأرض ، يدخله كلّ يوم سبعون ألفا من الملائكة ، ثم لا يعودون فيه أبدا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك ابن صعصعة ، رجل من قومه قال : قال نبىّ الله صلى الله عليه وسلم : « رُفِعَ إلَىَّ البَيْتُ المَعْمُورُ ، فَقُلْتُ : يَاجِبرِيلُ ما هَذَا ؟ قال : البَيْتُ المَعْمُورُ ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ إذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا آخِرَ ما عَلَيْهِم » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا خالد بن الحارث ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة رجل من قومه ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعرة ، أن رجلا قال لعلىّ رضى الله عنه : ما البيت المعمور؟ قال : بيت فى السماء يقال له الضراح ، وهو بحيال الكعبة ، من فوقها حرمته فى السماء كحرمة البيت فى الأرض ، يصلى فيه كلّ يوم سبعون ألفا من الملائكة ، ولا يعودون فيه أبدا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، قال : سمعت خالد ابن عرعرة ، قال : سمعت عليا رضى الله عنه ، وخرج إلى الرحبة ، فقال له ابن الكوّاء أو غيره : ما البيت المعمور؟ قال : بيت فى السماء السادسة يقال له الضراح ، يدخله كل يوم سبعون ألف مَلَك لا يعودون فيه أبدا

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا طلق بن غنام ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن علىّ بن ربيعة ، قال : سأل ابن الكوّاء عليا ، رضى الله عنه عن البيت المعمور ، قال : مسجد فى السماء يقال له الضراح ، يدخله كلّ يوم سبعون ألفا من الملائكة ، لا يرجعون فيه أبدا .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن عبيد المكتب ، عن أبى الطفيل ، قال : سأل ابن الكوّاء علياً عن البيت المعمور ، قال : بيت بحيال البيت العتيق فى السماء يدخله كلّ يوم سبعون ألف مَلَك على رسم راياتهم ، يقال له الضراح ، يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يرجعون فيه أبدا .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا بهرام ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعرة ، عن علىّ رضى الله عنه ، قال : سأله رجل عن البيت المعمور ، قال : بيت فى السماء يقال له الضريح قصد البيت ، يدخله كلّ يوم سبعون ألف مَلَك ، ثم لا يعودون فيه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ) قال : هو بيت حذاء العرش تعمره الملائكة ، يصلى فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون إليه .

حدثنا عبدالله بن أحمد بن شبُّويه ، قال : ثنا علىّ بن الحسن ، قال : ثنا حسين ، قال : سُئل عكرمة وأنا جالس عنده عن البيت المعمور ، قال : بيت فى السماء بحيال الكعبة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ) قال : بيت فى السماء يقال له الضراح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ) ذكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لأصحابه : « هَلْ تَدْرُونَ ما البَيْتُ المَعْمُورُ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنَّهُ مَسْجِدٌ فى السَّماءِ تَحْتَهُ الكَعْبَةُ لَوْ خَرَّ لَخَرَّ عَلَيْها ، أوْ عَلَيْهِ ، يُصَلَّى فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ إذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا آخِرَ ما عَلَيْهِمْ » .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ) يزعمون أنه يروح إليه كلّ يوم سبعون ألف مَلَك من قبيلة إبليس ، يقال لهم الجنّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ) قال : بيت الله الذى فى السماء . وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ بَيْتَ اللهِ فى السَّماءِ لَيَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ طَلَعَتْ شَمْسُهُ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ ، ثُمَّ لا يَعُودُونَ فِيهِ أبَدًا بَعْدَ ذلكَ » .

حدثنا محمد بن مرزوق ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « البَيْتُ المَعْمُورُ فى السَّماءِ السَّابِعَةِ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ ، ثُمَّ لا يَعُودُونَ إلَيْهِ حتى تَقُومَ السَّاعَةُ » .

حدثنا محمد بن سنان القزّاز ، قال: ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا سليمان عن ثابت ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمَّا عَرَجَ بِي المَلَكُ إلى السَّماءِ السَّابِعَةِ انْتَهَيْتُ إلى بِناءٍ فَقُلْتُ لِلْمَلَكِ : ما هَذَا ؟ قال: هَذَا بِناءٌ بَنَاهُ اللهُ لِلْمَلائِكَةِ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، يُقَدِّسُونَ اللهَ ويُسَبِّحُونَهُ ، لايَعُودُونَ فِيهِ » :

وقوله (وَالسَّقْفِ المَرْفُوعِ) يعنى بالسقف فى هذا الموضع : السماء ، وجعلها سقفا ، لأنها سماء للأرض ، كسماء البيت الذى هو سقفه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن خالد بن عرعرة ، أن رجلا قال لعلىّ رضى الله عنه : ما السقف المرفوع ؟ قال : السماء .

حدثنا ابن بشار ، قال: ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك ، عن خالد بن عُرْعرة ، عن علىّ ، قال : السقف المرفوع : السماء .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عُرْعُرة ، عن علىّ رضى الله عنه قال : سأله رجل عن السقف المرفوع ، فقال : السماء .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، قال : سمعت خالد بن عُرْعُرة ، قال : سمعت عليًّا يقول : والسقف المرفوع : هو السماء ، قال: (وَجَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وهُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال: ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (السقف المرفوع) : قال : السماء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالسَّقْفِ المَرْفُوعِ) سقف السماء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالسَّقْفِ المَرْفُوعِ) : سقف السماء .

وقوله (وَالبَحْرِ المَسْجُورِ) اختلف أهل التأويل فى معنى البحر المسجور ، فقال بعضهم : الموقد . وتأوّل ذلك : والبحر الموقد المحمىّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن داود ، عن سعيد بن المسيب ، قال : قال علىّ رضى الله عنه لرجل من اليهود : أين جهنم ؟ فقال : البحر ، فقال : ما أراه إلا صادقا ، (والبَحْرِ المَسْجُورِ - وَإِذَا البِحارُ سُجِرَتْ) مخففة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص بن حُمَيد ، عن شمر بن عطية ، فى قوله (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) قال : بمنزلة التنُّور المسجور .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) قال : الموقَد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) قال : الموقد ، وقرأ قول الله تعالى : (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) قال : أوقدت .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وإذا البحار مُلئت ، وقال : المسجور : المملوء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) الممتلئ .

وقال آخرون : بل المسجور : الذى قد ذهب ماؤه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس فى قوله (والبَحْرِ الْمَسْجُورِ) قال : سجره حين يذهب ماؤه ويفجر .

وقال آخرون : المسجور : المحبوس .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) يقول : المحبوس .

وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال : معناه : والبحر المملوء المجموع ماؤه بعضه فى بعض ، وذلك أن الأغلب من معانى السجر : الإيقاد ، كما يقال : سجرت التنور ، بمعنى : أوقدت ، أو الامتلاء على ما وصفت ، كما قال لبيد :

فَتَوَسَّطَا عُرْضَ السَّرِىِّ وَصَدَّعَا ... مَسْجُورَةً مُتَجَاوِرًا قُلَّامُهَا[1]

وكما قال النمر بن تولَب العُكْلِىّ :

إِذَا شَاءَ طَالَعَ مَسْجُورَةً ... تَرَى حَوْلَهَا النَّبْعَ والسَّاسَمَا

سَقَتْهَا رَوَاعِدُ مِنْ صَيِّفٍ ... وَإِنْ مِنْ خَرِيفٍ فَلَنْ يَعْدَمَا[2]

(١) البيت للبيد من معلقته المشهورة . وقد مر الاستشهاد به عند قوله تعالى فى سورة مريم « قد جعل ربك تحتك سريا » (١٦ : ٧١) فراجعه ثمة .

(٢) البيتان للنمر بن تولب العكلى ، كما فى خزانة الأدب الكبرى البغدادى (٤ : ٤٣٤ - ٤٢) وهما من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٢٨ ب) عند قوله تعالى « والبحر المسجور » . والشاعر يصف وعلا . وقوله مسجورة : يريد عينا كثيرة الماء ، أى مملوءة . والنبع : شجر يتخذ منه القسى . والساسم : قيل هو الآبنوس . وقيل شجر يشبهه ، ومنابتهما أعالى الجبال . سقتها : أى العين . والرواعد : جمع راعدة ، وهى السحابة الماطرة ، وفيها صوت الرعد غالبا . والصيف بتشديد الياء المكسورة : المطر الذى يجىء =

فإذا كان ذلك الأغلب من معانى السَّجْر ، وكان البحر غير مُوقَد اليوم ، وكان الله تعالى ذكره قد وصفه بأنه مسجور ، فبطل عنه إحدى الصفتين ، وهو الإيقاد صحّت الصفة الأخرى التى هى له اليوم ، وهو الامتلاء ، لأنه كلّ وقت ممتلئٌ .

وقيل : إن هذا البحر المسجور الذى أقسم به ربنا تبارك وتعالى بحر فى السماء تحت العرش .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح ، عن علىّ (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) قال : بحر فى السماء تحت العرش .

قال : ثنا مهران ، قال : وسمعته أنا من إسماعيل ، قال : ثنا مهران عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) قال : بحر تحت العرش .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح فى قوله (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) قال : بحر تحت العرش .

وقوله (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) يامحمد ، لكائن حالٌّ بالكافرين به يوم القيامة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) وقع القسم هاهنا (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) وذلك يوم القيامة .

وقوله (مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ) يقول : ما لذلك العذاب الواقع بالكافرين من دافع يدفعه عنهم ، فينقذهم منه إذا وقع .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : إن عذاب ربك لواقع (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) فيوم من صلة واقع ، ويعنى بقوله : تمور : تدور وتكفأ . وكان معمر بن المثنى يُنشد بيت الأعشى :

كأنَّ مِشْيَتَها مِنْ بَيْتِ جارَتِها مَوْرُ السَّحابَةِ لارَيْثٌ وَلا عَجَلُ[1]

فالمور على روايته : التكفى والترهيل فى المشية ، وأما غيره فإنه كان يرويه مرّ السحابة .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم فيه نحو الذى قلنا فيه .

— فى الصيف . والخريف الفصل بين الصيف والشتاء ، يريد مطر الخريف . يريد الشاعر أن هذا الوعل يشرب من هذه العين المسجورة المملوءة إما من مطر الصيف وإما من مطر الخريف ، فهو لن يعدم الماء على كل حال . والشاهد فى قوله مسجورة : أى مملوءة .

(١) هذا البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة ٥٥) وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٢٨ ب) والرواية فيه : مور السحابة فى موضع « مر السحابة » فى رواية الديوان . وقد أنشده شاهدا على قوله تعالى : « يوم تمور السماء مورا » أى تكفأ ، وهو أن ترهيا فى مشيتها ، أى ترهيأ كما ترهيأ النخلة العيدانة . وقال فى (اللسان : رهأ) الرهيأة : الضعف والعجز والتوانى ، والمرأة ترهيأ فى مشيتها أى تكفأ كما ترهيأ النخلة العيدانة . اهـ .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) قال : يقول : تحريكا .

حدثنا ابن المثنى وعمرو بن مالك ، قالا : حدثنا أبومعاوية الضرير ، عن سفيان بن عُيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) قال : تدور السماء دَوْرا .

حدثنا الحسين بن علي الصدائي ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا سفيان بن عيينة قال : أخبرونى عن معاوية الضرير ، عنى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) قال : تدور دورا .

حدثنا هارون بن حاتم المقرى ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، قال : ثني أبومعاوية ، عني ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) قال : تدور دورا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) مورها : تحريكها .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) يعني : استدارتها وتحريكها لأمر الله ، وموج بعضها في بعض .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : قال الضحاك (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) قال : تموج بعضها في بعض ، وتحريكها لأمر الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) قال : هذا يوم القيامة ، وأما المور : فلا علم لنا به .

وقال آخرون : مورها : تشققها .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) قال : يوم تشقق السماء .

وقوله (وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا) يقول : وتسير الجبال عن أماكنها من الأرض سيرا ، فتصير هباء منبثا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ ﴾

يقول تعالى ذكره : فالوادي الذي يسيل من قيح وصديد في جهنم ، يوم تمور السماء مورا ، وذلك يوم القيامة للمكذبين بوقوع عذاب الله للكافرين ، يوم تمور السماء مورًا : وكان بعض نحويي البصرة يقول : أدخلت الفاء في قوله (فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ) لأنه في معنى إذا كان كذا وكذا ، فأشبه المجازاة ، لأن المجازاة

يكون خبرها بالفاء . وقال بعض نحويّ الكوفة : الأوقات تكون كلها جزاء مع الاستقبال ، فهذا من ذاك ، لأنهم قد شبهوا « إن » وهى أصل الجزاء بحين ، وقال : إن مع يوم إضمار فعل ، وإن كان التأويل جزاء ، لأن الإعراب يأخذ ظاهر الكلام ، وإن كان المعنى جزاء .

وقوله (الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ) يقول : الذين هم فى فتنة واختلاط فى الدنيا يلعبون ، غافلين عما هم صائرون إليه من عذاب الله فى الآخرة .

وقوله (يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) يقول تعالى ذكره : فويل للمكذّبين يوم يُدَعُّونَ .

وقوله (يَوْمَ يُدَعُّونَ) ترجمة عن قوله (يَوْمَئِذٍ) وإبدال منه . وعنى بقوله (يُدَعُّونَ) يدفعون بإرهاق وإزعاج ، يقال منه : دَعَعْتُ فى قفاه : إذا دفعت فيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس (يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) قال : يدفع فى أعناقهم حتى يردوا النار .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) يقول : يدفعون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) قال : يدفعون فيها دفعا

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة (يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) يقول : يدفعون إلى نار جهنم دفعا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ) قال : يُدفعون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) قال : يزعجون إليها إزعاجا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة بنحوه .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) الدعّ : الدفع والإرهاق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) قال : يُدفعون دفعا ، وقرأ قول الله تبارك وتعالى : (فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ) قال : يدفعه ، ويغلظ عليه .

وقوله (هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ) يقول تعالى ذكره : يقال لهم : هذه النار التى كنتم بها فى الدنيا تكذّبون ، فتجحدون أن تردّوها ، وتصلوها ، أو يعاقبكم بها ربكم ، وترك ذكر يُقال لهم ، اجتزاء بدلالة الكلام عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عما يقال لهؤلاء المكذّبين الذين وصف صفتهم إذا وردوا جهنم يوم القيامة : أفسحر أيها القوم هذا الذى وردتموه الآن أم أنتم لاتعاينونه ولاتبصرونه ؟ وقيل هذا لهم توبيخا لااستفهاما .

وقوله (اصْلَوْهَا) يقول : ذوقوا حرّ هذه النار التى كنتم بها تكذّبون ، وَرِدُوها فاصبروا على ألمها وشدّتها ، أو لاتصبروا على ذلك ، سواء عليكم صبرتم أو لم تصبروا (إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : ما تجزون إلا أعمالكم : أى لاتعاقبون إلا على معصيتكم فى الدنيا ربكم وكفركم .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين اتقوا الله بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه فى جنات : يقول فى بساتين ونعيم فيها ، وذلك فى الآخرة :

وقوله (فَاكِهِينَ) يقول : عندهم فاكهة كثيرة ، وذلك نظير قول العرب للرجل يكون عنده تمر كثير : رجل تامر ، أو يكون عنده لبن كثير ، فيقال : هو لابن ، كما قال الحُطَيْئة :

أَغَرَرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَابِنٌ فِى الصَّيْفِ تَامِرْ[1]

وقوله (بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ) يقول : عندهم فاكهة كثيرة بإعطاء الله إياهم ذلك (وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) يقول : ورفع عنهم ربهم عقابه الذى عذّب به أهل الجحيم .

القول في تأويل قوله تعالى :

كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾

(١) البيت للحطيئة (ديوانه ١٧) . واستشهد به المؤلف على أن معنى قوله تعالى « فاكهين بما آتاهم ربهم » أى عندهم فاكهة كثيرة ، وهو مثل قوله الحطيئة « لابن » و « تامر » أى ذو لبن وذو تمر ، أى عندك منهما فى الصيف كثير . وقال السكرى فى شرح الديوان : يعنى أنك غررتنى ، وزعمت أنك تطعمنى التمر واللبن ، فقنعت بهما ، فلم تفعل . اهـ . يمدح بغيضا ويهجو الزبرقان . وقد تقدم الاستشهاد بالبيت فى الجزء (٢٣ : ١٩) وشرحناه بأوسع من شرحه هنا ، فراجعه ثمة .

يقول تعالى ذكره : كلوا واشربوا ، يقال لهؤلاء المتقين فى الجنات : كلوا أيها القوم مما آتاكم ربكم ، واشربوا من شرابها هنيئا ، لاتخافون مما تأكلون وتشربون فيها أذًى ولا غائلة بما كنتم تعملون فى الدنيا لله من الأعمال .

وقوله (مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ) قد جعلت صفوفا ، وترك قوله : على نمارق ، اكتفاء بدلالة ما ذكر من الكلام عليه .

وقوله (وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ) يقول تعالى ذكره : وزوّجنا المذكور من هؤلاء المتقين أزواجا بحور عين من النساء ، يقول الرجل : زوّج هذا الخلف الفرد أو النعل الفرد بهذا الفرد ، بمعنى : اجعلهما زوجا . وقد بيّنا معنى الزوج فيما مضى بما أغنى عن إعادته هاهنا ، والحُور : جمع حَوْراء ، وهى الشديدة بياض مقلة العين فى شدّة سواد الحدقة .

وقد ذكرت اختلاف أهل التأويل فى ذلك ، وبيّنت الصواب فيه عندنا بشواهده المغنية عن إعادتها فى هذا الموضع ، والعين : جمع عَيْناء ، وهى العظيمة العَيْن فى حُسن وسعة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : والذين آمنوا وأتبعناهم ذرّيّاتهم بإيمان ، ألحقنا بهم ذرّيّاتهم المؤمنين فى الجنة ، وإن كانوا لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم ، تكرمة لآبائهم المؤمنين ، وما ألتنا آباءهم المؤمنين من أجور أعمالهم من شىء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرّة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، فى هذه الآية (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بِإِيمَانٍ) فقال : إن الله تبارك وتعالى يرفع للمؤمن ذرّيّته ، وإن كانوا دونه فى العمل ، ليقرّ الله بهم عينه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن مرّة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : إن الله تبارك وتعالى ليرفع ذرّيّة المؤمن فى درجته ، وإن كانوا دونه فى العمل ، ليقرّ بهم عينه ، ثم قرأ (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ ، وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَىْءٍ) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عمرو بن مرّة الجملى ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : إن الله تبارك وتعالى ليرفع ذرّيّة المؤمن معه فى درجته ، ثم ذكر نحوه ، غير أنه قرأ (وأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال ، ثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا سفيان بن سعيد ، عن سماعة ، عن عمرو بن مرّة ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، نحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرّة ، عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس ، أنه قال فى هذه الآية (وَالَّذِينَ آمَنُوا وأتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بِإِيمَانٍ) قال : المؤمن ترفع له ذرّيته ، فيلحقون به ، وإن كانوا دونه فى العمل .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : والذين آمنوا وأتبعناهم ذرّيّاتهم التى بلغت الإيمان بإيمان ، ألحقنا بهم ذرياتهم الصغار التى لم تبلغ الإيمان ، وما ألتنا الآباء من عملهم من شيء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وأتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) يقول : الذين أدرك ذرّيتهم الإيمان ، فعملوا بطاعتى ، ألحقتهم بإيمانهم إلى الجنة ، وأولادهم الصغار نلحقهم بهم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وأتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) يقول : من أدرك ذريته الإيمان ، فعملوا بطاعتى ألحقتهم بآبائهم فى الجنة ، وأولادهم الصغار أيضا على ذلك .

وقال آخرون نحو هذا القول ، غير أنهم جعلوا الهاء والميم فى قوله (أَلْحَقْنَا بِهِمْ) من ذكر الذرّية ، والهاء والميم فى قوله : ذرّيتهم الثانية من ذكر الذين . وقالوا : معنى الكلام : والذين آمنوا واتبعتهم ذرّيتهم الصغار ، وما ألتنا الكبار من عملهم من شيء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وأتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) قال : أدرك أبناؤهم الأعمال التى عملوا ، فاتبعوهم عليها واتبعتهم ذرّياتهم التى لم يدركوا الأعمال ، فقال الله جلّ ثناؤه (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) قال : يقول : لم نظلمهم من عملهم من شيء فننقصهم ، فنعطيه ذرّياتهم الذين ألحقناهم بهم ، الذين لم يبلغوا الأعمال ألحقتهم بالذين قد بلغوا الأعمال .

وقال آخرون : بل معنى ذلك (وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) فأدخلناهم الجنة بعمل آبائهم ، وما ألتنا الآباء من عملهم من شيء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت داود يحدّث عن عامر ، أنه قال فى هذه الآية (وَالَّذِينَ آمَنُوا وأتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بِإِيمَانٍ ألحقنا بهم ذرياتهم وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنَ

عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) فأدخل الله الذرّية بعمل الآباء الجنة ، ولم ينقص الله الآباء من عملهم شيئا ، قال : فهو قوله (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) :

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدىّ ، عن داود ، عن سعيد بن جُبَيْر أنه قال فى قول الله : (أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) قال : ألحق الله ذريّاتهم بآبائهم ، ولم ينقص الآباء من أعمالهم ، فيردّه على أبنائهم :

وقال آخرون : إنما عنى بقوله (أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) : أعطيناهم من الثواب ما أعطينا الآباء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، قال : سمعت إبراهيم فى قوله (وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) قال : أعطوا مثل أجور آبائهم ، ولم ينقص من أجورهم شيئا .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن إبراهيم (وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) قال : أعطوا مثل أجورهم ، ولم ينقص من أجورهم .

قال : ثنا حكام ، عن أبي جعفر ، عن الربيع (وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بِإِيمَانٍ) يقول : أعطيناهم من الثواب ما أعطيناهم (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) يقول : ما نقصنا آباءهم شيئا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) كذلك قالها يزيد (ذُرِّيَّاتِهِمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) قال : عملوا بطاعة الله فألحقهم الله بآبائهم :

❊ وأولى هذه الأقوال بالصواب وأشبهها بما دلّ عليه ظاهر التنزيل ، القول الذى ذكرنا عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، وهو : والذين آمنوا بالله ورسوله ، وأتبعناهم ذرياتهم الذين أدركوا الإيمان بإيمان ، وآمنوا بالله ورسوله ، ألحقنا بالذين آمنوا ذريتهم الذين أدركوا الإيمان فآمنوا ، فى الجنة فجعلناهم معهم فى درجاتهم ، وإن قصرت أعمالهم عن أعمالهم تكرمة منا لآبائهم ، وما ألتناهم من أجور عملهم شيئا :

وإنما قلت : ذلك أولى التأويلات به ، لأن ذلك الأغلب من معانيه ، وإن كان للأقوال الآخر وجوه .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة (وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ) على التوحيد بإيمان (أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) على الجمع ، وقرأته قراء الكوفة (وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) كلتيهما بإفراد . وقرأ بعض قرّاء البصرة وهو أبو عمرو (وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) .

والصواب من القول فى ذلك أن جميع ذلك قراءات معروفات مستفيضات فى قرأة الأمصار ، متقاربات المعانى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) يقول تعالى ذكره : وما ألتنا الآباء ، يعنى بقوله

(وَمَا أَلَتْنَاهُمْ) : وما نقصناهم من أجور أعمالهم شيئا ، فنأخذه منهم ، فنجعله لأبنائهم الذين ألحقناهم بهم ، ولكنا وفّيناهم أجور أعمالهم ، وألحقنا أبناءهم بدرجاتهم ، تفضلا منا عليهم . والألت فى كلام العرب : النقص والبخس ، وفيه لغة أخرى ، ولم يقرأ بها أحد نعلمه ، ومن الألت قول الشاعر :

أَبْلِـغْ بَنِى ثُعَلٍ عَـنِّى مُغَلْغَلَةً جَهْدَ الرِّسالَةِ لا أَلْتا وَلا كَذِبا[1]

يعنى : لا نُقصان ولا زيادة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار قال : ثنا مؤمل قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن مرّة ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَىْءٍ) قال : ما نقصناهم .

حدثنى على قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن ابن عباس قوله : (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَىْءٍ) يقول : مانقصناهم .

وحدثنى موسى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا موسى بن بشر ، قال : ثنا سفيان بن سعيد ، عن سماعة عن[2] عمرو بن مرّة ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَىْءٍ) قال : وما نقصناهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَىْءٍ) قال : مانقصنا الآباء للأبناء .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : ما نقصنا الآباء للأبناء ، (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ) قال : وما نقصناهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ؛ قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَىْءٍ) قال : نقصناهم .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَىْءٍ) يقول : ما نقصنا آباءهم شيئا .

قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس ، مثله .

---

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣١٣ - ٣١٤) قال : وقوله : « وما ألتناهم » الألت : النقص . وفيه لغة أخرى : « وما ألتناهم من عملهم من شىء » . وكذلك هى فى قراءة عبد الله (ابن مسعود) وأبى بن كعب ، قال الشاعر : « أبلغ بنى ثعل .... البيت » . يقول : لانقصان ولا زيادة . وقال الآخر (نسبه أبو عبيدة إلى رؤبة) :

وليلة ذات ندى سريت ولم يلتنى عن سراها ليت

والليت ها هنا : لم يثننى عنها نقص بى ، ولا عجز عنها . وفى (اللسان : ليت) : « ولاته عن وجهه يليته ويلوته لوتا : أى حبسه عن وجهه وصرفه . قال الراجز : « وليلة ذات ندى .... البيتين » . اهـ . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن : « وما ألتناهم » : أى ما نقصناهم ولاحبسنا منه شيئا . اهـ .

(٢) فى المطبوعة : عن سماعة بن عمرو بن مرة . تحريف .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي المعلى ، عن سعيد بن جُبَير (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ) قال : وما ظلمناهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) يقول : وما ظلمناهم من عملهم من شيء .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) يقول : وما ظلمناهم .

وحُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ) يقول : وما ظلمناهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ) قال : يقول : لم نظلمهم من عملهم من شيء : لم ننتقصهم فنعطيه ذريّاتهم الذين ألحقناهم بهم لم يبلغوا الأعمال ألحقهم بالذين قد بلغوا الأعمال (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) قال : لم يأخذ عمل الكبار فيجزيه الصغار ، وأدخلهم برحمته ، والكبار عملوا فدخلوا بأعمالهم .

وقوله (كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) يقول : كلّ نفس بما كسبت وعملت من خير وشرّ مرتهنة لا يؤاخذ أحد منهم بذنب غيره ، وإنما يعاقب بذنب نفسه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾

يقول تعالى ذكره : وأمددنا هؤلاء الذين آمنوا بالله ورسوله ، واتبعتهم ذريتهم بإيمان في الجنة ، بفاكهة ولحم مما يشتهون من اللحمان .

وقوله (يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا) يقول : يتعاطون فيها كأس الشراب ، ويتداولونها بينهم ، كما قال الأخطل :

نازَعْتُهُ طَيِّبَ الرَّاحِ الشَّمُولِ وَقَدْ صَاحَ الدَّجَاجُ وَحَانَتْ وَقْعَةُ السَّارِي(١)

وقوله (لا لَغْوٌ فِيها) يقول : لا باطل في الجنة ، والهاء في قوله « فيها » من ذكر الكأس ، ويكون المعنى لما فيها من الشراب بمعنى : أن أهلها لا لغو عندهم فيها ولا تأثيم ؛ واللغو : الباطل .

(١) البيت للأخطل وهو من شواهد أبي عبيدة في معاني القرآن (الورقة ٢٢٩) قال : « يتنازعون فيها كأسا » : يتعاطون أي يتداولون قال الأخطل : « نازعته . . . . البيت » . اهـ . وفي (اللسان : نزع) : ومنازعة الكأس : معاطاتها ؛ قال الله عز وجل « يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم » : أي يتعاطون . والأصل فيه : يتجاذبون ، ويقال : نازعني فلان بنانه : أي صافحني . والمنازعة المصافحة ؛ قال الراعي :

يُنازِعْنَنا رَخْصَ البَنانِ كأنَّما يُنَازِعْننا هُدَّابَ رَيْطٍ مُعَضَّدِ

المنازعة : المجاذبة في الأعيان والمعاني . اهـ .

وقوله (وَلَا تَأْثِيمٌ) يقول : ولا فعل فيها يُؤْثم صاحبه . وقيل : عنى بالتأثيم : الكذب :

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَا لَغْوٌ فِيهَا) يقول : لا باطل فيها .

وقوله (وَلَا تَأْثِيمٌ) يقول : لا كذب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَا لَغْوٌ فِيهَا) قال : لا يستبون (وَلَا تَأْثِيمٌ) يقول : ولا يؤثمون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ) : أي لا لغو فيها ولا باطل ، إنما كان الباطل في الدنيا مع الشيطان .

وحدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ) قال : ليس فيها لغو ولا باطل ، إنما كان اللغو والباطل في الدنيا .

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة (لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ) بالرفع والتنوين على وجه الخبر ، على أنه ليس في الكأس لغو ولا تأثيم . وقرأه بعض قرّاء البصرة (لَا لَغْوَ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمَ) نصبا غير منوّن على وجه التبرئة .

والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وإن كان الرفع والتنوين أعجب القراءتين إليّ لكثرة القرأة بها ، وأنها أصح المعنيين .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ۝٢٤ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٢٥ ﴾

يقول تعالى ذكره : ويطوف على هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في الجنة غلمان لهم ، كأنهم لؤلؤ في بياضه وصفائه مكنون ، يعني : مصون في كنّ ، فهو أنقى له ، وأصفى لبياضه . وإنما عنى بذلك أن هؤلاء الغلمان يطوفون على هؤلاء المؤمنين في الجنة بكئوس الشراب التي وصف جلّ ثناؤه صفتها .

وقد حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة « قوله (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ) ذُكر لنا أن رجلا قال : يا نبيّ الله هذا الخادم ، فكيف المخدوم ؟ قال : والذي نفس محمد بيده ، إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » .

وحدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة « في قوله (كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ) قال : بلغني أنه قيل : يا رسول الله هذا الخادم مثل اللؤلؤ ، فكيف المخدوم ؟ قال : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ فَضْلَ مَا بَيْنَهُمَا كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ على النجوم » .

وقوله (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ) . . . الآية ، يقول تعالى ذكره : وأقبل بعض هؤلاء المؤمنين في الجنة على بعض ، يسأل بعضهم بعضا . وقد قيل : إن ذلك يكون منهم عند البعث من قبورهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس في قوله (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) قال : إذا بعثوا في النفخة الثانية .

القول في تأويل قوله تعالى:

قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره : قال بعضهم لبعض : إنا أيها القوم كنا في أهلنا في الدنيا مُشفقين خائفين من عذاب الله وجلين أن يعذّبنا ربنا اليوم (فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا) بفضله (وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ) يعني : عذاب النار ، يعني فنجّانا من النار ، وأدخلنا الجنة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (عَذَابَ السَّمُومِ) قال : عذاب النار .

وقوله (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ) يقول : إنا كنا في الدنيا من قبل يومنا هذا ندعوه : نعبده مخلصا له الدين ، لانُشرك به شيئا (إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ) يعني : اللطيف بعباده .

كما حدثنا عليّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ) يقول : اللطيف .

وقوله (الرَّحِيمُ) يقول : الرحيم بخلقه أن يعذّبهم بعد توبتهم .

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ) فقرأته عامة قرّاء المدينة (أَنَّهُ) بفتح الألف ، بمعنى : إنا كنامن قبل ندعوه لأنه هو البرّ ، أو بأنه هوالبرّ . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة بالكسر على الابتداء .

والصواب من القول في ذلك ، أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

القول في تأويل قوله تعالى:

فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

﴿٢٩﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فذكر يامحمد من أرسلت إليه من قومك وغيرهم ، وعظهم بنعم الله عندهم (فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ) يقول فلست بنعمة الله عليك بكاهن تتكهن ، ولا بمجنون له رئيّ يخبر عنه قومه ما أخبره به ، ولكنك رسول الله ، والله لا يخذلك ، ولكنه ينصرك .

وقوله (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) يقول جلّ ثناؤه : بل يقول المشركون : يامحمد لك : هو شاعر نتربص به حوادث الدهر ، يكفيناه بموت أو حادثة متلفة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت عباراتهم عنه ، فقال بعضهم فيه كالذى قلنا . وقال بعضهم : هو الموت .

ذكر من قال : عنى بقوله (رَيْبَ الْمَنُونِ) : حوادث الدهر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (رَيْبَ الْمَنُونِ) قال : حوادث الدهر

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : قال مجاهد (رَيْبَ الْمَنُونِ) حوادث الدهر .

ذكر من قال : عنى به الموت

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (رَيْبَ الْمَنُونِ) يقول : الموت .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) قال : يتربصون به الموت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) قال : قال ذلك قائلون من الناس تربصوا بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الموت يكفيكموه ، كما كفاكم شاعر بنى فلان وشاعر بنى فلان .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (رَيْبَ الْمَنُونِ) قال : هو الموت ، نتربص به الموت ، كما مات شاعر بنى فلان ، وشاعر بنى فلان .

وحدثنى سعيد بن يحيى الأموى ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أن قريشا لما اجتمعوا فى دار الندوة فى أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم قال قائل منهم : احبسوه فى وثاق ، ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة ، إنما هو كأحدهم ، فأنزل الله فى ذلك من قولهم (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) الموت ، وقال الشاعر :

تَرَبَّصْ بِهَا رَيْبَ الْمَنُونِ لَعَلَّهَا سَيَهْلِكُ عَنْهَا بَعْلُهَا أَوْ « تُسَرَّحُ »[1]

(١) وضعنا كلمة « تسرح » فى قافية البيت فى مكان « شحيح » التى جاءت فى الأصل خطأ ، فاختل بها معنى البيت ووزنه . على أن ـ

وقال آخرون : معنى ذلك : ريب الدنيا ، وقالوا : المنون : الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبي سنان (رَيْبَ المَنُونِ) قال : ريب الدنيا ، والمنون : الموت .

وقوله (قُلْ تَرَبَّصُوا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يقولون لك : إنك شاعر نتربص بك ريب المنون ، تربصوا : أي انتظروا وتمهّلوا في ريب المنون ، فإني معكم من المتربصين بكم ، حتى يأتي أمر الله فيكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾

❊ يقول تعالى ذكره : أتأمر هؤلاء المشركين أحلامهم بأن يقولوا لمحمد صلى الله عليه وسلم : هو شاعر ، وأن ما جاء به شعر (أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) يقول جلّ ثناؤه : ماتأمرهم بذلك أحلامهم وعقولهم (بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) قد طغَوا على ربهم ، فتجاوزوا ما أذن لهم وأمرهم به من الإيمان إلى الكفر به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا) قال : كانوا يعدّون في الجاهلية أهل الأحلام ، فقال الله : أم تأمرهم أحلامهم بهذا أن يعبدوا أصناما بُكما صما ، ويتركوا عبادة الله ، فلم تنفعهم أحلامهم حين كانت لدنياهم ، ولم تكن عقولهم في دينهم ، لم تنفعهم أحلامهم . وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة ، يتأوّل قوله (أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ) : بل تأمرهم .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) أيضا قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، في قوله (أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) قال : بل هم قوم طاغون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد (أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) قال : بل هم قوم طاغون .

= رواية الشطر الثاني كله في اللسان : وبص . وفي تفسير الشوكاني (٥ : ٩٩) وفي البحر المحيط لأبي حيان (٨ : ١٥١) والقرطبي (١٧ : ٧٢) مختلفة عن رواية المؤلف . وهو : « تطلق يوما أو يموت حليلها » والسراح والتسريح : هو الطلاق ، وفي التنزيل : « فسرحوهن سراحا جميلا » . ومعنى التربص : الانتظار ، وتربص به : انتظر به خيرا أو شرا . وتربص به الشيء : كذلك . وقال الفراء في معاني القرآن (الورقة ٣١٤) « نتربص به ريب المنون » : أوجاع الدهر ، فيشغل عنكم ، ويتفرق أصحابه ؛ أو عمر آبائه ، فإنا قد عرفنا أعمارهم . اهـ .

وقوله (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ) يقول تعالى ذكره : أم يقول هؤلاء المشركون : تقوّل محمد هذا القرآن وتخلّقه .

وقوله (بَلْ لايُؤْمِنُونَ) يقول جلّ ثناؤه : كذبوا فيما قالوا من ذلك ، بل لايؤمنون فيصدّقوا بالحقّ الذى جاءهم من عند ربهم .

وقوله (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ) يقول: جلّ ثناؤه : فليأت قائلو ذلك له من المشركين بقرآن مثله ، فإنهم من أهل لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، ولن يتعذّر عليهم أن يأتوا من ذلك بمثل الذى أتى به محمد صلى الله عليه وسلم إن كانوا صادقين فى أن محمدا صلى الله عليه وسلم تقوّله وتخلّقه .

القول في تأويل قوله تعالى:

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾

يقول تعالى ذكره : أخلق هؤلاء المشركون من غير شيء ، أى من غير آباء ولا أمّهات ، فهم كالجماد ، لايعقلون ولايفهمون لله حجة ، ولا يعتبرون له بعبرة ، ولا يتعظون بموعظة . وقد قيل : إن معنى ذلك : أم خلقوا لغير شيء ، كقول القائل : فعلت كذا وكذا من غير شيء ، بمعنى : لغير شيء .

وقوله (أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) يقول : أم هم الخالقون هذا الخلق ، فهم لذلك لايأتمرون لأمر الله ، ولا ينتهون عما نهاهم عنه ، لأن للخالق الأمر والنهى (أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) يقول: أخلقوا السموات والأرض فيكونوا هم الخالقين ، وإنما معنى ذلك : لم يخلقوا السموات والأرض ، (بَلْ لايُوقِنُونَ) يقول : لم يتركوا أن يأتمروا لأمر ربهم ، وينتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى ، لأنهم خلقوا السموات والأرض ، فكانوا بذلك أربابا ، ولكنهم فعلوا ، لأنهم لايوقنون بوعيد الله وما أعدّ لأهل الكفر به من العذاب فى الآخرة .

القول في تأويل قوله تعالى:

أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾

يقول تعالى ذكره : أعند هؤلاء المكذّبين بآيات الله خزائن ربك يامحمد ، فهم لاستغنائهم بذلك عن آيات ربهم معرضون ، أم هم المسيطرون .

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : أم هم المسلّطون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ) يقول : المسلّطون .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أم هم المُنْزِلونَ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ) قال : يقول أم هم المنزلون .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أم هم الأرباب ، وممن قال ذلك معمر بن المثنى ، قال : يقال : سيطرتَ علىّ : أى اتخذتنى خولا لك .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : أم هم الجبّارون المتسلطون المستكبرون على الله ، وذلك أن المسيطر فى كلام العرب الجبار المتسلط ، ومنه قول الله (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ) يقول : لست عليهم بجبار مسلط .

وقوله (أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ) يقول : أم لهم سلم يرتقون فيه إلى السماء يستمعون عليه الوحى ، فيدعون أنهم سمعوا هنالك من الله أن الذى هم عليه حقّ ، فهم بذلك متمسكون بما هم عليه .

وقوله (فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) يقول : فإن كانوا يدّعون ذلك فليأت من يزعم أنه استمع ذلك ، فسمعه بسلطان مبين ، يعنى بحجة تبين أنها حقّ ، كما أتى محمد صلى الله عليه وسلم بها على حقيقة قوله ، وصدقه فيما جاءهم به من عند الله . والسُّلَّم فى كلام العرب : السبب والمرقاة ؛ ومنه قول ابن مقبل :

لا تُحْرِزُ الْمَرْءَ أَحْجَاءُ الْبِلادِ وَلا تُبْنَى لَهُ فى السَّمَوَاتِ السَّلالِيمُ[1]

ومنه قوله : جعلت فلانا سلما لحاجتى : إذا جعلته سببا لها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾

يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش : ألربكم أيها القوم البنات ولكم البنون ؟ ذلك إذن قسمة ضيزى ، وقوله (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أتسأل هؤلاء المشركين الذين أرسلناك إليهم يامحمد على ماتدعوهم إليه من توحيد الله وطاعته ثوابا وعوضا من أموالهم ، فهم من ثِقل ما حملتهم من الغرم لايقدرون على إجابتك إلى ما تدعوهم إليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

(١) هذا البيت لتميم بن أبى مقبل ، نسبه إليه أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٣٠ - ١) وأحجاء البلاد : نواحيها وأطرافها ، قاله فى (اللسان : حجا) ونسب البيت لابن مقبل وقد شرحنا البيت وبينا الشاهد فيه ، عند قوله تعالى « أو سلما فى السماء » فى سورة الأنعام (٧ : ١٨٤) من هذه الطبعة ، فراجعه ثمة . وقال أبو عبيدة والسلم : السبب والمرقاة ، قال ابن مقبل : « لاتحرز المرء . . . البيت » قال : أنت تتخذنى سلما لحاجتك : أى سببا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ) يقول : هل سألتَ هؤلاء القوم أجرا يُجْهدهم ، فلا يستطيعون الإسلام .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وَهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ) قال : يقول : أسألتهم على هذا أجرا ، فأثقلهم الذي يُبْتَغَى أخذُه منهم .

وقوله (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ) يقول تعالى ذكره : أم عندهم علم الغيب ، فهم يكتبون ذلك للناس ، فينبئونهم بما شاءوا ، ويخبرونهم بما أرادوا .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ۝ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : بل يريد هؤلاء المشركون يامحمد بك ، وبدين الله كيدا (فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ) يقول : فهم المكيدون الممكورُ بهم دونك ، فثق بالله ، وامض لما أمرك به .

وقوله (أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ) :يقول جلّ ثناؤه : أمْ لَهم معبود يستحق عليهم العبادةُ غير الله ، فيجوز لهم عبادته ، يقول : ليس لهم إله غير الله الذى له العبادة من جميع خلقه (سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول : تنزيها لله عن شركهم وعبادتهم معه غيرَه .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ۝ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : وإن ير هؤلاء المشركون قِطَعا من السماء ساقطا ، والكِسْف : جمع كِسْفة ، مثل التمر جمع تمرة ، والسِّدْر جمع سِدْرة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (كِسْفًا) يقول : قِطَعا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا) يقول : وإن يروا قِطَعا (مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ) يقول جلّ ثناؤه : يقولوا لذلك الكِسْف من السماء الساقط : هذا سحاب مركوم ، يعنى بقوله مركوم : بعضه على بعض .

وإنما عنى بذلك جلّ ثناؤه المشركين من قريش الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات ، فقالوا له : (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا) . . . إلى قوله (عَلَيْنَا كِسَفًا) ، فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإن ير هؤلاء المشركون ما سألوا من الآيات ، فعاينوا كِسَفًا من السماء ساقطا ، لم ينتقلوا عما هم عليه من التكذيب ، ولقالوا . إنما هذا سحاب بعضه فوق بعض ،لأن الله قد حتم عليهم أنهم لا يؤمنون .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة يقولوا (سَحَابٌ مَرْكُومٌ) يقول : لا يصدّقوا بحديث ، ولا يؤمنوا بآية .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ) قال : حين سألوا الكِسْف قالوا : أسقط علينا كِسْفًا من السماء إن كنت من الصادقين ؛ قال : يقول : لو أنا فعلنا لقالوا : سحاب مركوم .

وقوله (فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فدع يا محمد هؤلاء المشركين حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يهلكون ، وذلك عند النفخة الأولى .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فِيهِ يُصْعَقُونَ) فقرأته عامة قرّاء الأمصار سوى عاصم بفتح الياء من (يَصْعَقُونَ) ، وقرأه عاصم (يُصْعَقُونَ) بضم الياء ، والفتح أعجب القراءتين إلينا ، لأنه أفصح اللغتين وأشهرهما ، وإن كانت الأخرى جائزة ، وذلك أن العرب تقول : صعق الرجل وصُعِق ، وسَعد وسُعد . وقد بيَّنا معنى الصَّعق بشواهده ، وما قال فيه أهل التأويل فيما مضى بما أغنى عن إعادته .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا) يوم القيامة ، حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون ، ثم بين عن ذلك اليوم أىّ يوم هو ، فقال : يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئاً ، يعنى : مكرهم أنه لا يدفع عنهم من عذاب الله شيئاً ، فاليوم الثانى ترجمة عن الأوّل .

وقوله (وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) يقول : ولا هم ينصرهم ناصر ، فيستقيد لهم ممن عذّبهم وعاقبهم .

وقوله (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ) اختلف أهل التأويل فى العذاب الذى توعّد الله به هؤلاء الظلمة من دون يوم الصعقة ، فقال بعضهم : هو عذاب القبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا إسماعيل بن موسى الفزارى ، قال : أخبرنا شريك ، عن أبى إسحاق ، عن البراء (عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ) قال : عذاب القبر .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، وقوله (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ) يقول : عذاب القبر قبل عذاب يوم القيامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أن ابن عباس كان يقول : إنكم لتجدون عذاب القبر فى كتاب الله (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أن ابن عباس كان يقول : إن عذاب القبر فى القرآن ، ثم تلا (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ) .

وقال آخرون : عنى بذلك الجوع .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ) قال : الجوع .

وقال آخرون : عنى بذلك : المصائب التى تصيبهم فى الدنيا من ذهاب الأموال والأولاد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ) قال : دون الآخرة فى هذه الدنيا ما يعذّبهم به من ذهاب الأموال والأولاد ، قال : فهى للمؤمنين أجر وثواب عند الله ، عدا مصائبهم ومصائب هؤلاء ، عجلهم الله إياها فى الدنيا ، وقرأ (فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ) . . . إلى آخر الآية .

✿ والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أن للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به عذابا دون يومهم الذى فيه يصعقون ، وذلك يوم القيامة ، فعذاب القبر دون يوم القيامة ، لأنه فى البرزخ ، والجوع الذى أصاب كفار قريش ، والمصائب التى تصيبهم فى أنفسهم وأموالهم وأولادهم دون يوم القيامة ، ولم يخصص الله نوعا من ذلك أنه لهم دون يوم القيامة دون نوع بل عمّ فقال (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ) فكلّ ذلك لهم عذاب ، وذلك لهم دون يوم القيامة ، فتأويل الكلام : وإن للذين كفروا بالله عذابا من الله دون يوم القيامة (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) بأنهم ذائقوا ذلك العذاب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

✿ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) يا محمد الذى حكم به عليك ، وامض لأمره ونهيه ، وبلّغ رسالاته (فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) يقول جلّ ثناؤه : فإنك بمرأى منا نراك ونرى عملك ، ونحن نحوطك ونحفظك ، فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين .

وقوله (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : إذا قمت من نومك فقل : سبحان الله وبحمده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبى الأحوص ، فى قوله (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) قال : من كل منامة ، يقول حين يريد أن يقوم : سبحانك وبحمدك .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبى الأحوص عوف بن مالك (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) قال : سبحان الله وبحمده .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) قال : إذا قام لصلاة من ليل أو نهار . وقرأ (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ) قال : من نوم ، ذكره عن أبيه .

وقال بعضهم : بل معنى ذلك : إذا قمت إلى الصلاة المفروضة فقل : سبحانك اللهمّ وبحمدك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك « (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تقوم) قال : إذا قام إلى الصلاة قال : سبحانك اللهمّ وبحمدك ، وتبارك اسمك ولا إله غيرك » .

وحُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) إلى الصلاة المفروضة .

☼ وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : وصلِّ بحمد ربك حين تقوم من مَنامك ، وذلك نوم القائلة ، وإنما عنى صلاة الظهر .

وإنما قلت : هذا القول أولى القولين بالصواب ، لأن الجميع مجمعون على أنه غير واجب أن يقال فى الصلاة : سبحانك وبحمدك ، وما رُوى عن الضحاك عند القيام إلى الصلاة ، فلو كان القول كما قاله الضحاك لكان فرضا أن يُقال لأن قوله (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) أمر من الله تعالى بالتسبيح ، وفى إجماع الجميع على أن ذلك غير واجب الدليل الواضح على أن القول فى ذلك غير الذى قاله الضحاك .

☼ فإن قال قائل : ولعله أُريد به الندب والإرشاد . قيل : لادلالة فى الآية على ذلك ، ولم تقم حجة بأن ذلك معنىّ به ماقاله الضحاك ، فيجعل إجماع الجميع على أن التسبيح عند القيام إلى الصلاة مما خير المسلمون فيه دليلا لنا على أنه أُريد به الندب والإرشاد .

وإنما قلنا : عُنِى به القيام من نوم القائلة ، لأنه لاصلاة تجب فرضا بعد وقت من أوقات نوم الناس المعروف إلا بعد نوم الليل ، وذلك صلاة الفجر ، أو بعد نوم القائلة ، وذلك صلاة الظهر ؛ فلما أمر بعد

قوله (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) بالتسبيح بعد إدبار النجوم ، وذلك ركعتا الفجر بعد قيام الناس من نومها ليلا ، عُلِم أن الأمر بالتسبيح بعد القيام من النوم هو أمر بالصلاة التى تجب بعد قيام من نوم القائلة على ما ذكرنا دون القيام من نوم الليل .

وقوله (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) يقول : ومن الليل فعظِّم ربك يامحمد بالصلاة والعبادة ، وذلك صلاة المغرب والعشاء .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) قال : ومن الليل صلاة العشاء (وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) يعنى حين تدبر النجوم للأفول عند إقبال النهار .

وقيل : عُنِى بذلك ركعتا الفجر .

ذكر بعض من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) قال : هما السجدتان قبل صلاة الغداة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) كنا نحدَّث أنهما الركعتان عند طلوع الفجر . قال : وذُكر لنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول : لهما أحبّ إلىّ من حُمْر النَّعَم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن سعيد بن هشام عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى ركعتى الفجر « هُمَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) قال : ركعتان قبل صلاة الصبح .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ وحماد بن مسعدة قالا : ثنا حميد ، عن الحسن ، عن على ، فى قوله (وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) قال : الركعتان قبل صلاة الصبح .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، قال : قال علىّ رضى الله عنه (إِدْبَارَ النُّجُومِ) الركعتان قبل الفجر .

وقال آخرون : عنى بالتسبيح (إِدْبَارَ النُّجُومِ) : صلاة الصبح الفريضة .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) قال : صلاة الغداة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) قال : صلاة الصبح .

❊ وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول من قال : عنى بها : الصلاة المكتوبة صلاة الفجر ، وذلك أن الله أمر فقال : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) والركعتان قبل الفريضة غير واجبتين ، ولم تقم حجة يجب التسليم لها ، أن قوله فسبحه على الندب ، وقد دللنا فى غير موضع من كتبنا على أن أمر الله على الفرض حتى تقوم حجة بأنه مرادٌ به الندب ، أو غير الفرض بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع.

آخر تفسير سورة الطور

(٥٣) سُورَةُ النَّجْمِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا اثْنَتَانِ وَسِتُّونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝

❊ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ) فقال بعضهم : عُنِى بالنجم : الثُّريا ، وعُنِى بقوله (إِذَا هَوَىٰ) : إذا سقط ، قالوا : تأويل الكلام : والثريا إذا سقطت .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ) قال : إذا سقطت الثريا مع الفجر .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ) قال : الثريا . وقال مجاهد : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ) قال : سقوط الثريا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ) قال : إذا انصبّ .

وقال آخرون : معنى ذلك : والقرآن إذا نزل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى زياد بن عبد الله الحسانى أبو الخطاب ، قال : ثنا مالك بن سعير ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد ، فى قوله (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ) قال : القرآن إذا نزل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ

وَمَا غَوَى) قال : قال عُتْبة بن أبى لهب : كفرتُ بربِّ النجم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمَا تخافُ أنْ يأكُلُكَ كَلْبُ اللهِ » قال : فخرج فى تجارة إلى اليمن ، فبينما هم قد عرَّسوا ، إذ سمع صوتَ الأسد ، فقال لأصحابه إنى مأكول ، فأحدقوا به ، وضرب على أصمختهم فناموا ، فجاء حتى أخذه ، فما سمعوا إلا صوته .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم تلا : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) فقال ابن لأبى لهب حسبته قال : اسمه عُتْبة : كفرت بربّ النجم ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : احذَرْ لا يأكُلْكَ كَلْبُ اللهِ » ؛ قال : فضرب هامته . قال : وقال ابن طاوس عن أبيه ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « ألا تخافُ أنْ يُسَلِّطَ اللهُ عليكَ كَلْبَهُ ؟ » فخرج ابن أبى لهب مع ناس فى سفر حتى إذا كانوا فى بعض الطريق سمعوا صوت الأسد ، فقال : ما هو إلا يريدنى ، فاجتمع أصحابه حوله وجعلوه فى وسطهم ، حتى إذا ناموا جاء الأسد فأخذه من بينهم . وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول : عنى بقوله (وَالنَّجْمِ) والنجوم . وقال : ذهب إلى لفظ الواحد ، وهو فى معنى الجميع ، واستشهد لقوله ذلك بقول راعى الإبل :

فَباتَتْ تَعُدُّ النَّجْمَ فى مُسْتَحِيرَةٍ		سَرِيعٌ بِأَيْدِى الآكِلِينَ جُمُودُها [1]

☸ والصواب من القول فى ذلك عندى ما قاله مجاهد من أنه عنى بالنجم فى هذا الموضع : الثريا ، وذلك أن العرب تدعوها النجم ، والقول الذى قاله من حكينا عنه من أهل البصرة قول لا نعلم أحدا من أهل التأويل قاله ، وإن كان له وجه ، فلذلك تركنا القول به .

وقوله (ما ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) يقول تعالى ذكره : ماحاد صاحبكم أيها الناس عن الحقّ ولا زال عنه ، ولكنه على استقامة وسداد .

ويعنى بقوله (وَمَا غَوَى) : وماصار غويًّا ، ولكنه رشيد سديد ؛ يقال : غَوَى يَغْوِى من الغىّ ، وهو غاوٍ ، وغَوِىَ يَغْوَى من اللبن [2] : إذا بَشِمَ . وقوله (ما ضَلَّ صَاحِبُكُمْ) جواب قسم والنجم .

(١) البيت لراعى الإبل النميرى عبيد بن أيوب (مجاز القرآن لأبى عبيدة الورقة ٢٣٠ من المصورة ٢٦٠٥٩) قال عند قوله تعالى «والنجم إذا هوى » : قسم ، والنجم : النجوم ، ذهب إلى لفظ الواحد وهو فى معنى الجمع ، قال راعى الإبل : « وباتت تعد النجم ... » البيت . وفى مستحيرة : فى إهالة ، جعلها طافية ، لأنها من شحم . وقال ابن قتيبة فى كتاب المعانى الكبير ، طبع الهند . وقال الراعى وذكر امرأة أضافها : فباتت . . . البيت . مستحيرة : جفنة قد تحير فيها الدسم ، فهى ترى فيها النجوم لصفاء الإهالة ، وأراد بقوله تعد النجم : الثرياء ، والعرب تسمى الثريا النجم . قال :

طلع النجم عشاء		ابتغى الراعى كساء

وقال التبريزى فى شرح حماسة أبى تمام (٤٠ : ٣٩) قال أبو العلاء : كان بعض الناس يجعل « تعد » هنا من العدد ، أى أن هذه المرأة تعد النجم فى الجفنة المستحيرة ، أى المملوءة ، لأنها ترى خيال النجوم فيها ، وقد يجوز هذا الوجه ، وقد يحتمل أن يكون « تعد » فى معنى تحسب وتظن ، والمراد أن المرأة تحسب النجم فى الجفنة ، لما تراه من بياض الشحم . اه .

(٢) فى (اللسان : غوى) : غوى بالفتح غيا ، وغوى (بالكسر) غواية الأخيرة عن أبى عبيد : ضل . وفيه : غوى الفصيل والسخلة ، يغوى غوى (مثل فرح) : بشم من اللبن . اه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : وما ينطق محمد بهذا القرآن عن هواه (إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) يقول : ما هذا القرآن إلا وحى من الله يوحيه إليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى) : أى ما ينطق عن هواه (إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) قال : يوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرائيل ، ويوحى جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

وقيل : عنى بقوله (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى) بالهوى .

وقوله (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى) : يقول تعالى ذكره : علّم محمدا صلى الله عليه وسلم هذا القرآن جبريلُ عليه السلام ، وعُنِى بقوله (شَدِيدُ الْقُوَى) شديد الأسباب . والقُوى : جمع قوّة ، كما الجُثى : جمع جثوة ، والحبى : جمع حبوة . ومن العرب من يقول : القِوَى : بكسر القاف ، كما تُجمع الرشوة رِشا بكسر الراء ، والحبوة حِبا . وقد ذُكر عن العرب أنها تقول : رُشوة بضم الراء ، ورِشوة بكسرها ، فيجب أن يكون جمع من جمع ذلك رِشا بكسر الراء على لغة من قال : واحدها رشوة ، وأن يكون جمع من جمع ذلك بضمّ الراء ، من لغة من ضمّ الراء فى واحدها وإن جمع بالكسر من كان لغته من الضمّ فى الواحدة ، أو بالضمّ من كان من لغته الكسر ، فإنما هو حمل إحدى اللغتين على الأخرى .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى) يعنى جبريل .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى) قال : جبرائيل عليه السلام .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، مثله .

وقوله (ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (ذُو مِرَّةٍ) فقال بعضهم : معناه : ذو خَلْق حَسَن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (ذُو مِرَّةٍ) قال : ذو منظر حسن .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى) : ذو خَلْق طويل حسن .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ذو قوّة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنى الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى) قال : ذو قوّة جبريل .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (ذُو مِرَّةٍ) قال : ذو قوّة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى) قال : ذو قوّة ، المِرّة : القوّة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام عن أبى جعفر عن الربيع (ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى) جبريل عليه السلام .

* وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : عنى بالمِرّة : صحة الجسم وسلامته من الآفات والعاهات ، والجسم إذا كان كذلك من الإنسان ، كان قويا ، وإنما قلنا إن ذلك كذلك ، لأن المِرة واحدة المرر ، وإنما أُريد به : ذو مِرّة سوية . وإذا كانت المِرّة صحيحة ، كان الإنسان صحيحا . ومنه قول النبىّ صلى الله عليه وسلم : « لا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيّ ، وَلا لِذِى مِرَّةٍ سَوِىٍّ » .

وقوله (فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى) يقول : فاستوى هذا الشديد القوىّ وصاحبكم محمد بالأفق الأعلى ، وذلك لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم استوى هو وجبريل عليهما السلام بمطلع الشمس الأعلى ، وهو الأفق الأعلى ، وعطف بقوله « وهو » على ما فى قوله « فاستوى » من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، والأكثر من كلام العرب إذا أرادوا العطف فى مثل هذا الموضع أن يظهروا كناية المعطوف عليه ، فيقولوا : استوى هو وفلان ، وقلّما يقولون استوى وفلان ، وذكر الفرّاء عن بعض العرب أنه أنشده :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّبْعَ يَصْلُبُ عُودُهُ ... وَلا يَسْتَوِى وَالْخِرْوَعُ الْمُتَقَصِّفُ [1]

فردّ الخروع على « ما » فى يستوى من ذكر النبع ، ومنه قول الله : (أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا) فعطف بالآباء على المكنىّ فى كنا من غير إظهار نحن ، فكذلك قوله (فَاسْتَوَى وَهُوَ) ، وقد قيل : إن المستوى : هو

---

(١) هذا البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣١٤) وفى روايته « يخلق » فى مكان « يصلب » . والخروع : شجرة لينة الأغصان ، تتقصف أفنانها لينها ، ومن ثمرها يستخرج زيت الخروع الذى يستعمل فى أغراض طبية وصناعية . و النبع شجر صلب ينبت فى أعالى الجبال ، تتخذ من خشبه القسى والسهام . وبينه وبين الخروع بون بعيد فى صلابة العود . واستشهد الفراء بالبيت عند قوله تعالى « فاستوى وهو بالأفق الأعلى » أى استوى (هو) أى جبريل ، وهو أى محمد صلى الله عليه وسلم بالأفق الأعلى ، وعطف هو البارز على هو المستتر ، فأضمر الاسم فى استوى ، ورد عليه هو ، قال : وأكثر كلام العرب أن يقولوا : استوى هو وأبوه ؛ ولا يكادون يقولون : استوى وأبوه ، وهو جائز لأن فى الفعل مضمرا ؛ أنشدنى بعضهم : « ألم تر أن النبع ... البيت » . وقال الله وهو أصدق قيلا : « أئذا كنا ترابا وآباؤنا » فرد الآباء على المضمر فى كنا ، إلا أنه حسن لما حيل بينهما بالتراب ، والكلام : أئذا كنا ترابا نحن وآباؤنا . اهـ .

جبريل ، فإن كان ذلك كذلك ، فلا مؤونة فى ذلك ، لأن قوله « وهو » من ذكر اسم جبريل ، وكأن قائل ذلك وجَّه معنى قوله (فاستَوَى) : أى ارتفع واعتدل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (ذُو مِرَّةٍ فاستَوَى) جبريل عليه السلام

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُوَ بالأُفُقِ الأَعْلَى) والأفق : الذى يأتى منه النهار .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، فى قوله (وَهُوَ بالأُفقِ الأعْلَى) قال : بأفق المشرق الأعلى بينهما .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (وَهُوَ بالأُفُقِ الأعْلَى) يعنى جبريل

قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (وَهُوَ بالأُفُقِ الأَعْلَى) قال : السماء الأعلى ، يعنى جبريل عليه السلام .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : ثم دنا جبريل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى إليه ، وهذا من المؤخَّر الذى معناه التقديم ، وإنما هو : ثم تدلى فدنا ، ولكنه حسن تقديم قوله « دنا » ، إذ كان الدنوّ يدلّ على التدلى والتدلى على الدنوّ ، كما يقال : زارنى فلان فأحسن ، وأحسن إلىّ فزارنى وشتمنى ، فأساء ، وأساء فشتمنى لأن الإساءة هى الشتم : والشتم هو الإساءة :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى) قال : جبريل عليه السلام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى) يعنى : جبريل .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى) قال : هو جبريل عليه السلام .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ثم دنا الربّ من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى .

ذكر من قال ذلك:

حدثنا يحيى بن سعيد الأموىّ ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن ابن عباس (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى) قال : دنا ربه فتدلّى .

حدثنا الربيع ، قال : ثنا ابن وهب ، عن سليمان بن بلال ، عن شريك بن أبى نمر ، قال : سمعت أنس ابن مالك يحدّثنا عن ليلة المسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه عرج جبرائيل برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء السابعة ، ثم علا به بما لا يعلمه إلا الله ، حتى جاء سدرة المنتهى ، ودنا الجبار ربّ العزّة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الله إليه ما شاء ، فأوحى الله إليه فيما أوحى خمسين صلاة على أمته كلّ يوم وليلة ، وذكر الحديث » .

وقوله (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) يقول : فكان جبرائيل من محمد صلى الله عليه وسلم على قدر قوسين ، أو أدنى من ذلك ، يعنى : أو أقرب منه ، يقال : هو منه قاب قوسين ، وقيب قوسين ، وقيد قوسين ، وقادَ قوسين ، وقَدَى قوسين ، كل ذلك بمعنى : قدر قوسين .

وقيل : إن معنى قوله (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ) أنه كان منه حيث الوتر من القوس .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قَابَ قَوْسَيْنِ) قال : حيث الوتر من القوس .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ) قال : قِيدَ قوسين .

وقال ذلك قتادة :

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ) قال : قيدَ ، أو قدرَ قوسين .

حدثنا أبو كُريب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله فكان قاب قوسين أو أدنى : قال : دنا جبريل عليه السلام منه حتى كان قدر ذراع أو ذراعين .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عاصم ، عن أبى رزين (قَابَ قَوْسَيْنِ) قال : ليست بهذه القوس ، ولكن قدر الذراعين أو أدنى ؛ والقاب : هو القيد .

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) فقال بعضهم : فى ذلك ، بنحو الذى قلنا فيه .

حدثنا ابن أبى الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا سليمان الشيبانىّ ، قال : ثنا زرّ

ابن حُبيش ، قال: قال عبد الله فى هذه الآية (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «رأيتُ جِبْريلَ لَهُ سِتُّ مِئَةِ جَناحٍ» .

حدثنا عبد الحميد بن بيان السكرى ، قال : ثنا خالد عبد الله ، عن الشيبانى ، عن زرّ ، عن ابن مسعود فى قوله (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) قال : رأى جبرائيل له ستّ مئة جناح فى صورته .

حدثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا قبيصة بن ليث الأسدى ، عن الشيبانى ، عن زرّ بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) قال : رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام له ستّ مئة جناح .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن أبى الأسود ، عن عروة ، عن عائشة قالت : كان أوّل شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى فى منامه جبريل عليه السلام بأجياد ، ثم إنه خرج ليقضى حاجته ، فصرخ به جبريل : يامحمد ، يامحمد ؛ فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا ، فلم ير شيئا ثلاثا ؛ ثم خرج فرآه ، فدخل فى الناس ، ثم خرج ، أو قال : ثم نظر «أنا أشكّ» ، فراه ، فذلك قوله (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى . ما ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى . وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى) . . . إلى قوله (فَتَدَلَّى) جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، (فكان قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) يقول : القاب : نصف الأصبع . وقال بعضهم : ذراعين كان بينهما .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الشيبانى، عن زرّ بن حُبَيْش ، عن ابن مسعود ، (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) قال : له ستّ مئة جناح ، يعنى جبريل عليه السلام .

حدثنا إبراهيم بن سعيد ، قال : ثنا أبو أُسامة ، قال: ثنا زكريا ، عن ابن أشوع ، عن عامر ، عن مسروق ، قال : قلت لعائشة : ما قوله (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) فقالت : إنما ذاك جبريل ، كان يأتيه فى صورة الرجال ، وإنه أتاه فى هذه المرّة فى صورته ، فسدّ أفق السماء .

وقال آخرون : بل الذى دنا فكان قاب قوسين أو أدنى : جبريل من ربه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) قال الله من جبريل عليه السلام .

وقال آخرون : بل كان الذى كان قاب قوسين أو أدنى : محمد من ربه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن موسى بن عبيد الحميرى ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن

بعض أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: « قلنا يانبيّ الله: هل رأيت ربك ؟ قال : لَمْ أرَهُ بِعَيْنِي ، ورأيتُهُ بفُؤَادِي مَرَّتَيْن ، ثُمَّ : تَلا ثُمَّ دَنَى فتَدَلَّى » .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر ، قال : أخبرنا محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثيّ ، عن كثير ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمَّا عُرِجَ بِي ، مَضَى جِبْرِيلُ حتى جاءَ الجَنَّةَ ، قالَ : فَدَخَلْتُ فأُعْطِيتُ الكَوْثَرَ ، ثُمَّ مَضَى حتى جاءَ السِّدْرَةَ المُنْتَهَى ، فَدَنَا رَبُّكَ فَتَدَلَّى ، فكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنَى ، فأَوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أوْحَى » .

وقوله (فأَوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أوْحَى) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فأوحى الله إلى عبده محمد وحيه ، وجعلوا قوله (ما أوْحَى) بمعنى المصدر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنا أبى ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (فأَوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أوْحَى) قال : عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى إليه ربه .

وقد يتوجه على هذا التأويل « ما » لوجهين : أحدهما : أن تكون بمعنى « الذى » ، فيكون معنى الكلام فأوحى إلى عبده الذى أوحاه إليه ربه . والآخر : أن تكون بمعنى المصدر.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام قال: ثنى أبى، عن قتادة (فأَوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أوْحَى) ، قال الحسن : جبريل .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (فأَوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أوْحَى) قال : على لسان جبريل .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فأَوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أوْحَى) قال : أوحى جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله إليه .

وأولى القولين فى ذلك عندنا بالصواب قول من قال : معنى ذلك : فأوحى جبريل إلى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى إليه ربه ، لأن افتتاح الكلام جرى فى أوّل السورة بالخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن جبريل عليه السلام ، وقوله (فأَوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أوْحَى فى سِياقِ ذلكَ) ولم يأت ما يدلّ على انصراف الخبر عنهما ، فيوجه ذلك إلى ما صرف إليه .

وقوله (ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رَأَى) يقول تعالى ذكره : ما كذّب فؤاد محمد محمدا الذى رأى ، ولكنه صدّقه .

واختلف أهل التأويل فى الذى رآه فؤاده فلم يكذّبه ، فقال بعضهم : الذى رآه فؤاده ربّ العالمين ، وقالوا جعل بصره فى فؤاده ، فرآه بفؤاده ، ولم يره بعينه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سعيد بن يحيى ، قال : ثنى عمى سعيد بن عبد الرحمن بن سعيد ، عن إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السَّبيعى ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأى) قال : رآه بقلبه صلى الله عليه وسلم .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبر عباد ، يعنى ابن منصور ، قال : سألت عكرمة ، عن قوله (ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رَأَى) قال : أتريد أن أقول لك قد رآه ، نعم قد رآه ، ثم قد رآه ، ثم قد رآه حتى ينقطع النفس .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عيسى بن عبيد ، قال : سمعت عكرمة ، وسُئل هل رأى محمد ربه ، قال نعم ، قد رأى ربه .

قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا سالم مولى معاوية ، عن عكرمة ، مثله .

حدثنا أحمد بن عيسى التميمى ، قال : ثنا سليمان بن عمرو بن سيار ، قال : ثنى أبى ، عن سعيد بن زربى عن عمرو بن سليمان ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأَيْتُ رَبِّى فِى أحْسَنِ صُورَةٍ ، فَقالَ لى : يا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِى فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأعْلَى؟ فَقُلْتُ لايارَبِّ ، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَىَّ ، فَوَجَدْتُ بَرْدَها بَيْنَ ثَدْيَىَّ فَعَلِمْتُ مافى السَّماءِ والأرْضِ فَقُلْتُ : يارَبِّ فِى الدَّرَجاتِ والكَفَّاراتِ وَنَقْلِ الأقْدامِ إلى الجُمُعاتِ ، وَانْتِظارِ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ ، فَقُلْتُ : يارَبِّ إنَّكَ اتَّخَذْتَ إبْراهِيمَ خَلِيلا ، وكَلَّمْتَ مُوسَى تَكْلِيما ، وَفَعَلْتَ وَفَعَلْتَ؟فَقالَ : أَلَمْ أشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ؟ ألَمْ أضَعْ عَنْكَ وِزْرَكَ؟ ألَمْ أفْعَلْ بِكَ؟ ألَمْ أفْعَلْ . قال : فأفْضَى إلىَّ بأشْياءَ لَمْ يُؤْذَنْ لى أنْ أُحَدِّثَكُمُوها ؛ قال : فَذلكَ قَوْلُهُ فِى كِتابِهِ يُحَدِّثُكُمُوهُ : ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنَى ، فأوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أوْحَى . ماكَذَبَ الفُؤادُ ما رَأَى ، فَجَعَلَ نُورَ بَصَرِى فِى فُؤَادِى ، فَنَظَرْتُ إلَيْهِ بِفُؤَادِى » .

حدثنى محمد بن عمارة وأحمد بن هشام ، قالا : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن السدىّ ، عن أبى صالح (ماكَذَبَ الفُؤَادُ ما رَأَى) قال : رآه مرّتين بفؤاده .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن قيس ، عن عاصم الأحول ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : إن الله اصطفى إبراهيم بالخُلَّة ، واصطفى موسى بالكلام ، واصطفى محمدا بالرؤية صلوات الله عليهم .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن زياد بن الحصين ، عن أبى العالية عن ابن عباس (ماكَذَبَ الفُؤَادُ ما رَأَى) قال : رآه بفؤاده .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق عمن سمع ابن عباس يقول (ماكَذَبَ الفُؤَادُ ما رَأَى) قال : رأى محمد ربه .

قال : ثنا حكام ، عن أبي جعفر ، عن الربيع (ماكَذَبَ الفُؤَادُ) فلم يكذّبه (ما رأى) قال : رأى ربه

قال : ثنا مهران ، عن أبي جعفر ، عن الربيع (ماكَذَبَ الفُؤَادُ ما رأى) قال رأى محمد ربه بفؤاده .

وقال آخرون : بل الذي رآه فؤاده فلم يكذّبه جبريل عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن بزيع البغدادي ، قال : ثنا إسحاق بن منصور ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله (ماكَذَبَ الفُؤَادُ ما رأى) قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه حلتا رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض .

حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجانيّ ، قال : ثنا عمرو بن عاصم ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم عن زرّ ، عن عبد الله ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « رأيْتُ جِبْريلَ عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى ، لَهُ سِتُّ مِئَةِ جَناحٍ ، يَنْفُضُ مِنْ رِيشِهِ التَّهاوِيلَ الدُّرَّ والياقُوتَ » .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، وإبراهيم بن يعقوب ، قالا : ثنا زيد بن الحباب، أن الحسين بن واقد ، حدثه قال : حدثني عاصم بن أبي النجود ، عن أبي وائل ، عن عبدالله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيْتُ جِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى لَهُ سِتُّ مِئَةِ جَناحٍ » زاد الرفاعيّ في حديثه ، فسألت عاصما عن الأجنحة ، فلم يخبرني ، فسألت أصحابي ، فقالوا : كلّ جناح ما بين المشرق والمغرب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (ماكَذَبَ الفُؤَادُ ما رأى) قال : رأى جبريل في صورته التي هي صورته ، قال : وهو الذي رآه نزلة أُخرى .

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (ماكَذَبَ الفُؤَادُ ما رأى) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة ومكة والكوفة والبصرة (كَذَبَ) بالتخفيف ، غير عاصم الجحدري وأبي جعفر القارئ والحسن البصري فإنهم قرءوه (كذّب) بالتشديد ، بمعنى : أن الفؤاد لم يكذّب الذي رأى ، ولكنه جعله حقا وصدقا ، وقد يحتمل أن يكون معناه إذا قرئ كذلك : ماكذّب صاحب الفؤاد ما رأى . وقد بيَّنا معنى من قرأ ذلك بالتخفيف .

والذي هو أولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بالتخفيف لإجماع الحجة من القرّاء عليه ، والأخرى غير مدفوعة صحتها لصحة معناها .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝ ﴾

اختلفت القرّاء في قراءة (أفَتُمارُونَهُ) ، فقرأ ذلك عبد الله بن مسعود وعامة أصحابه (أفَتَمْرُونَهُ) بفتح التاء بغير ألف ، وهي قراءة عامة أهل الكوفة ، ووجّهوا تأويله إلى أفتجحدونه .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم أنه كان يقرأ : (أفتَمْرُونَهُ) بفتح التاء بغير ألف ، يقول : أفتجحدونه ؛ ومن قرأ (أفتُمارُونَهُ) قال : أفتجادلونه.

وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة ومكة والبصرة وبعض الكوفيين (أفتُمارُونَهُ) بضم التاء والألف ، بمعنى : أفتجادلونه .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، وذلك أن المشركين قد جحدوا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ما أراه الله ليلة أُسرى به وجادلوا فى ذلك ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وتأويل الكلام : أفتجادلون أيها المشركون محمدا على ما يرى مما أراه الله من آياته .

وقوله (وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) يقول : لقد رآه مرّة أخرى .

واختلف أهل التأويل فى الذى رأى محمد نزلة أخرى نحو اختلافهم فى قوله (ما كَذَبَ الفُؤادُ ما رأَى) .

ذكر بعض ما رُوى فى ذلك من الاختلاف

ذكر من قال فيه رأى جبريل عليه السلام

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب الثقفى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة ، أن عائشة قالت : يا أبا عائشة من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله ؛ قال : وكنت متكئا ، فجلست ، فقلت : ياأمّ المؤمنين أنظرينى ولا تعجلينى ، أرأيت قول الله (وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ـ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ) قالت : إنما هو جبريل رآه مرّة على خلقه وصورته التى خلق عليها ، ورآه مرّة أخرى حين هبط من السماء إلى الأرض سادّا عظم خلقه ما بين السماء والأرض ، قالت : أنا أوّل من سأل النبىّ صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ، قال : « هُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ وعبد الأعلى ، عن داود ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة بنحوه .

حدثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا داود ، عن الشعبى ، عن مسروق ، قال : كنت عند عائشة ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، عن داود ، عن الشعبى ، عن مسروق ، عن عائشة رضى الله عنها قالت له : يا أبا عائشة ، من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله ، والله يقول : (لاتُدْرِكُهُ الأبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصارَ ـ وَماكانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاَّ وَحْيًا أوْمِنْ وَرَاءِ حِجابٍ) قال : وكنت متكئاً ، فجلست وقلت : يا أمّ المؤمنين انتظرى ولاتعجلى ألم يقل الله (وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ـ وَلَقَدْ رآهُ بالأُفُقِ المُبِينِ)فقالت : أنا أوّل هذه الأمة سألت رسول الله صلى الله

عليه وسلم عن ذلك ، فقال : « لَمْ أَرَ جِبْرِيلَ عَلَى صُورَتِهِ إِلاَّ هَاتَيْنِ المَرَّتَيْنِ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّماء سادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ ما بَيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا داود بن أبى هند ، عن الشعبىّ ، عن مسروق ، قال : كنت متكئا عند عائشة ، فقالت : يا أبا عائشة ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن ابن مسعود (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) قال : رأى جبريل فى رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن قيس بن وهب ، عن مرّة ، عن ابن مسعود (لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) قال : رأى جبريل فى وبر رجليه كالدرّ ، مثل القطر على البقل .

حدثنى الحسين بن علىّ الصدائى ، قال : ثنا أبو أُسامة ، عن سفيان ، عن قيس بن وهب ، عن مرّة فى قوله (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مجاهد (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) قال : رأى جبريل فى صورته مرّتين .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل الحضرمىّ ، عن مجاهد ، قال : رأى النبىّ صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام فى صورته مرّتين .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) قال جبريل عليه السلام .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل ، عن عامر ، قال : ثنى عبد الله ابن الحارث بن نوفل ، عن كعب أنه أخبره أن الله تبارك وتعالى قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد ، فكلّمه موسى مرّتين ، ورآه محمد مرّتين ، قال : فأتى مسروق عائشة ، فقال : يا أمّ المؤمنين ، هل رأى محمد ربه ، فقالت : سبحان الله لقد قفّ شعرى لما قلت : أين أنت من ثلاثة من حدّثك بهن فقد كذب ، من أخبرك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت (لاتُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارُ ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ ـ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) ومن أخبرك ما فى غد فقد كذب ، ثم تلت آخر سورة لقمان (إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مافى الأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) ومن أخبرك أن محمدا كتم شيئا من الوحى فقد كذب ، ثم قرأت (يا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) قالت : ولكنه رأى جبريل عليه السلام فى صورته مرّتين .

حدثنا موسى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو أُسامة ، قال : ثنى إسماعيل ، عن عامر ، قال : ثنا عبد الله ابن الحارث بن نوفل ، قال : سمعت كعبا ، ثم ذكر نحو حديث عبد الحميد بن بيان ، غير أنه قال فى حديثه فرآه محمد مرّة ، وكلّمه موسى مرّتين .

ذكر من قال فيه : رأى ربه عزّ وجلّ

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن سماك بن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال(وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرَى)قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بقلبه ، فقال له رجل عند ذلك : أليس (لاتُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ) ؟ قال له عكرمة: أليس ترى السماء ؟ قال : بلى ، قال : أفكلها ترى ؟ .

حدثنا سعيد بن يحيى ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن ابن عباس ، في قول الله(وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى) قال: دنا ربه فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ؛ قال : قال ابن عباس قد رآه النبيّ صلى الله عليه وسلم.

وقوله (عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى) يقول تعالى ذكره : ولقد رآه عند سدرة المنتهى ، فعند من صلة قوله (رآهُ) والسدرة : شجرة النبق .

وقيل لها سدرة المنتهى في قول بعض أهل العلم من أهل التأويل ، لأنه إليها ينتهى علم كلّ عالم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر ، قال : جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار ، فقال له: حدثني عن قول الله (عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى . عِنْدَها جَنَّةُ المَأْوَى) فقال كعب: إنها سدرة في أصل العرش ، إليها ينتهى علم كلّ عالم ، مَلَك مقرّب ، أو نبيّ مرسل ، ما خلفها غيب ، لايعلمه إلا الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال أخبرني جرير بن حازم ، عن الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن هلال بن يساف ، قال : سأل ابن عباس كعبا ، عن سدرة المنتهى وأنا حاضر ، فقال كعب : إنها سدرة على رءوس حملة العرش ، وإليها ينتهى علم الخلائق ، ثم ليس لأحد وراءها علم ، ولذلك سميت سدرة المنتهى ، لانتهاء العلم إليها .

وقال آخرون : قيل لها سدرة المنتهى ، لأنها ينتهى ما يهبط من فوقها ، ويصعد من تحتها من أمر الله إليها .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمارة قال : ثنا سهل بن عامر ، قال : ثنا مالك ، عن الزُّبير ، عن عديّ ، عن طلحة اليامي ، عن مرّة ، عن عبد الله ، قال : لما أُسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة ، إليها ينتهى من يعرج من الأرض أو من تحتها ، فيقبض منها ، وإليها ينتهى مايهبط من فوقها ، فيقبض فيها .

حدثني جعفر بن محمد المروزي ، قال : ثنا يعلى ، عن الأجلح ، قال : قلت للضحاك : لِمَ تسمى سدرة المنتهى ؟ قال : لأنه ينتهى إليها كلّ شيء من أمر الله لايعدوها .

وقال آخرون : قيل لها: سِدْرة المنتهى ، لأنه ينتهى إليها كلّ من كان على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومِنهاجه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال: ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى) ،قال : إليها ينتهى كلّ أحد ، خلا على سنة أحمد ، فلذلك سميت المنتهى .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، قال: ثنا أبوجعفر الرازىّ ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية الرياحى ، عن أبى هُريرة ، أو غيره « شكّ أبوجعفر الرازىّ » قال: « لما أُسرى بالنبىّ صلى الله عليه وسلم ، انتهى إلى السدرة ، فقيل له : هذه السدرة ينتهى إليها كلّ أحد خلا من أمتك على سنتك » .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن معنى المنتهى الانتهاء ، فكأنه قيل : عند سدرة الانتهاء . وجائز أن يكون قيل لها سدرة المنتهى : لانتهاء علم كلّ عالم من الخلق إليها ، كما قال كعب . وجائز أن يكون قيل ذلك لها ، لانتهاء ما يصعد من تحتها ، وينزل من فوقها إليها ، كما رُوى عن عبد الله . وجائز أن يكون قيل ذلك كذلك لانتهاء كلّ من خلا من الناس على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها . وجائز أن يكون قيل لها ذلك لجميع ذلك ، ولا خبر يقطع العذر بأنه قيل ذلك لها لبعض ذلك دون بعض ، فلا قول فيه أصحّ من القول الذى قال ربنا جلّ جلاله ، وهو أنها سدرة المنتهى .

وبالذى قلنا فى إنها شجرة النبق تتابعت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال أهل العلم .

ذكر ما فى ذلك من الآثار ، وقول أهل العلم

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن حميد ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انْتَهَيْتُ إلى السِّدْرَةِ فإذَا نَبْقُها مِثْلُ الجِرَارِ ، وَإذَا وَرَقُها مِثْلُ آذَانِ الفِيلَةِ فَلَمَّا غَشِيَها مِنْ أمْرِ اللهِ ما غَشِيَها ، تَحَوَّلَتْ ياقُوتا وَزُمُرُّدًا وَنَحْوَ ذلكَ » .

حدثنا محمد بن المثنى قال: ثنا ابن أبى عَدِىّ ، عن سعيد عن قتادة ، عن أنس بن مالك عن مالك ابن صعصعة رجل من قومه قال : قال نبىّ الله صلى الله عليه وسلم: « لَمَّا انْتَهَيْتُ إلى السَّماءِ السَّابِعَةِ أتَيْتُ عَلى إبْرَاهِيمَ فَقُلْتُ : ياجِبْرِيلُ مَنْ هَذَا ؟ قال : هَذَا أبُوكَ إبْرَاهِيمُ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقالَ : مَرْحَبًا بالابْنِ الصَّالِحِ والنَّبِىِّ الصَّالِح ، قال : ثُمَّ رُفِعَتْ لى سِدْرَةُ المُنْتَهَى فحدّث نبىّ الله أنّ نبقها مثل قلال هجر ، وأن ورقها مثل آذان الفِيلة » .

وحدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا خالد بن الحارث ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رجل من قومه ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنى أبى ، عن قتادة ، قال : ثنا أنس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، فذكر نحوه .

حدثنا أحمد بن أبي سُرَيج ، قال : ثنا الفضل بن عنبسة ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البُنانيّ ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رَكِبْتُ البُرَاقَ ثُمَّ ذُهِبَ بِي إلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى ، فإذا وَرَقُها كآذانِ الفِيَلَةِ ، وَإذَا ثَمَرُها كالقِلالِ ، قال : فَلَمَّا غَشِيَها مِنْ أمْرِ اللهِ ما غَشِيَها تَغَيَّرَتْ ، فَمَا أحَدٌ يَسْتَطِيعُ أنْ يَصِفَها مِنْ حُسْنِها ، قال : فأَوْحَى اللهُ إلَى ما أوْحَى » .

حدثنا أحمد بن أبي سريج ، قال : ثنا أبو النضر ، قال : ثنا سليمان بن المُغيرة ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عَرَجَ بِي المَلَكُ ؛ قال : ثُمَّ انْتَهَيْتُ إلى السِّدْرَةِ وأنا أعْرِفُ أنها سِدْرَةٌ ، أعْرِفُ وَرَقَها وَثَمَرَها ؛ قال : فَلَمَّا غَشِيَها مِنْ أمْرِ اللهِ ما غَشِيَها تَحَوَّلَتْ حتى ما يسْتَطِيعُ أحَدٌ أنْ يَصِفَها » .

حدثنا محمد بن سنان القزّاز ، قال : ثنا يونس بن إسماعيل ، قال : ثنا سليمان ، عن ثابت ، عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله ، إلا أنه قال : « حتى ما أسْتَطِيعُ أنْ أصِفَها » .

حدثنا عليّ بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا أبو جعفر الرازيّ ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية الرياحي ، عن أبي هريرة أو غيره « شكّ أبو جعفر الرازيّ » قال : « لما أُسرِيَ بالنبيّ صلى الله عليه وسلم انتهى إلى السدرة ، فقيل له : هذه السدرة ينتهي إليها كلّ أحد خلا من أمتك على سنتك ، فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذّة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها ، والورقة منها تغطي الأمة كلها » .

وحدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل الحضرميّ ، عن الحسن العرنيّ ، أراه عن الهذيل بن شرحبيل ، عن ابن مسعود (سِدْرَةِ المُنْتَهَى) قال : من صُبْر الجنة عليها أو عليه فضول السندس والإستبرق ، أو جعل عليها فضول .

وحدثنا به ابن حُمَيد مرّة أخرى ، عن مهران ، فقال عن الحسن العُرنيّ ، عن الهذيل ، عن ابن مسعود « ولم يشكّ فيه » ، وزاد فيه : قال صبر الجنة : يعني وسطها ؛ وقال أيضا : عليها فضول السندس والإستبرق .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن الحسن العرني ، عن الهذيل بن شرحبيل ، عن عبد الله بن مسعود في قوله (سِدْرَةِ المُنْتَهَى) قال : صبر الجنة عليها السندس والإستبرق .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله ، عن أبيه ، عن أسماء بنت أبي بكر ، قالت : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر سدرة المنتهى ،

فقال : يَسِيرُ فِي ظِلِّ الفَنَنِ مِنْهَا مِئَةُ رَاكِبٍ ، أو قال : يَسْتَظِلُّ فِي الفَنَنِ مِنْهَا مِئَةُ رَاكِبٍ ، « شكّ يحيى » فِيهَا فَرَاشُ الذَّهَبِ ، كَأَنَّ ثَمَرَهَا القِلالُ » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عند سدرة المنتهى ، قال : السدرة : شجرة يسير الراكب فى ظلها مئة عام لايقطعها ، وإن ورقة منها غَشَّت الأمَّةَ كلها .

حدثنا ابن عبدالأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى) : أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « رُفِعَتْ لِى سِدْرَةٌ مُنْتَهَاهَا فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، نَبْقُهَا مِثْلُ قِلالِ هَجَرٍ ، وَوَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيلَةِ ، يَخْرُجُ مِنْ سَاقِهَا نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ ، وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ ، قال : قُلْتُ لِجِبْرِيلَ مَا هَذَانِ النَّهْرَانِ أَرْوَاحٌ [1] قال : أَمَّا النَّهْرَانِ البَاطِنَانِ ، فَفِي الجَنَّةِ ، وَأَمَّا النَّهْرَانِ الظَّاهِرَانِ : فَالنِّيلُ وَالفُرَاتُ » .

وقوله (عِنْدَهَا جَنَّةُ المَأْوَى) يقول تعالى ذكره : عند سدرة المنتهى جنة مأوى الشهداء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (عِنْدَهَا جَنَّةُ المَأْوَى) قال : هى يمين العرش ، وهى منزل الشهداء .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن داود ، عن أبى العالية ، عن ابن عباس : (عِنْدَهَا جَنَّةُ المَأْوَى) قال : هو كقوله (فَلَهُمْ جَنَّاتُ المَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (عِنْدَهَا جَنَّةُ المَأْوَى) قال : منازل الشهداء .

وقوله (إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى) يقول تعالى ذكره : ولقد رآه نزلة أخرى ، إذ يغشى السدرة ما يغشى ، فإذ من صلة رآه .

واختلف أهل التأويل فى الذى يغشى السدرة ، فقال بعضهم : غَشِيَهَا فَرَاش الذهب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا سهل بن عامر ، قال : ثنا مالك ، عن الزبير بن عدىّ ، عن طلحة اليامىّ ، عن مرّة ، عن عبد الله (إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى) قال : غشيها فَرَاش من ذهب .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم أو طلحة « شكّ الأعمش » عن مسروق فى قوله (إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى) قال : غشيها فَرَاش من ذهب .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبوخالد ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : قال

(١) كذا فى المخطوطة رقم ١٠٠ تفسير بدار الكتب المصرية (ج ٢٢ : ٥٩ ب) ولعل الكلمة محرفة ، أو لعلها زائدة من قلم الناسخ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيتُها بعيني سِدْرَةَ المُنْتَهَى حتى استثبتُّها ثُمَّ حالَ دُونَها فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوخالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس (إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيتُها حتى استثبتُّها ، ثُمَّ حالَ دُونَها فَرَاشُ الذَّهَبِ » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن مجاهد وإبراهيم ، فى قوله (إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى) قال : غشيها فراش من ذهب .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن موسى ، يعنى ابن عبيدة ، عن يعقوب بن زيد ، قال : « سُئل النبيُّ صلى الله عليه وسلم : ما رأيتَ يغشي السِّدرة ؟ قال : رأيتُها يَغْشاها فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى) قال : قيل له : يا رسول الله ، أىّ شيء رأيت يغشى تلك السدرة ؟ قال : رأيْتُها يَغْشاها فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ ، ورأيْتُ على كُلِّ وَرَقَةٍ مِنْ وَرَقِها مَلَكا قائما يُسَبِّحُ اللهَ » .

وقال آخرون : الذى غشيها ربّ العزّة وملائكته .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى) قال : غشيها الله ، فرأى محمد من آيات ربه الكبرى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى) قال : كان أغصان السدرة لؤلؤا وياقوتا أو زبرجدا ، فرآها محمد ، ورأى محمد بقلبه ربه .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع « (إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى) قال : غشيها نور الربّ ، وغشيتها الملائكة من حُبّ الله مثل الغربان حين يقعن على الشجر » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بنحوه .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا أبو جعفر الرازىّ ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية الرياحى ، عن أبى هريرة أوغيره « شكّ أبوجعفر » قال : « لما أُسرى بالنبىّ صلى الله عليه وسلم انتهى إلى السدرة ، قال : فغشيها نور الخلاّق ، وغشيتها الملائكة أمثالَ الغربان حين يقعن على الشجر ، قال : فكلمه عند ذلك ، فقال له : سَلْ » .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١٨﴾ ﴾

* يقول تعالى ذكره: ما مال بصر محمد يَعْدِل يمينا وشمالا عما رأى ، أى ولا جاوز ما أُمر به قطعا ، يقول : فارتفع عن الحدّ الذى حُدّ له .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا أبوأحمد الزبيرىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مسلم البطين ، عن ابن عباس ، فى قوله (ما زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى) قال : ما زاغ يمينا ولا شمالا ولا طغى ، ولا جاوز ما أُمر به .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظى (ما زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى) قال رأى جبرائيل فى صورة المَلَك .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مسلم البطين ، عن ابن عباس (ما زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى) قال : ما زاغ : ذهب يمينا ولا شمالا ، ولا طغى : ما جاوز .

وقوله (لَقَدْ رَأَى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الكُبْرَى) يقول تعالى ذكره : لقد رأى محمد هنالك من أعلام ربه وأدلته الأعلام والأدلة الكبرى .

واختلف أهل التأويل فى تلك الآيات الكبرى ، فقال بعضهم : رأى رَفْرفا أخضر قد سدّ الأفق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام الرفاعى ، قال : ثنا أبومعاوية ، قال : ثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله (لَقَدْ رَأَى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الكُبْرَى) قال : رفرفا أخضر من الجنة قد سدّ الأفق .

حدثنى أبوالسائب ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال: قال عبد الله ، فذكر مثله .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن ابن مسعود (مِنْ آياتِ رَبِّهِ الكُبْرَى) قال : رفرفا أخضر قد سدّ الأفق .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الأعمش ، أن ابن مسعود قال : رأى النبىّ صلى الله عليه وسلم رَفرفا أخضر من الجنة قد سدّ الأفق .

وقال آخرون : رأى جبريل فى صورته .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَقَدْ رَأَى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الكُبْرَى) قال : جبريل رآه فى خلقه الذى يكون به فى السموات ، قدر قوسين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بينه وبينه .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۝ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ۝﴾

يقول تعالى ذكره: أفرأيتم أيها المشركون اللاتَ، وهى من الله ألحقت فيه التاء فأنثت، كما قيل عمرو للذكر، وللأنثى عمرة؛ وكما قيل للذكر عباس، ثم قيل للأنثى عباسة، فكذلك سمى المشركون أوثانهم بأسماء الله تعالى ذكره، وتقدّست أسماؤه، فقالوا من الله اللات، ومن العزيز العُزَّى؛ وزعموا أنهن بنات الله، تعالى الله عما يقولون وافتروا، فقال جلّ ثناؤه لهم: أفرأيتم أيها الزاعمون أن اللات والعُزَّى ومناة الثالثة بناتُ الله (أَلَكُمُ الذَّكَرُ) يقول: أتختارون لأنفسكم الذكرَ من الأولاد، وتكرهون لها الأنثى، وتجعلون (لَهُ الأُنْثَى) التى لاترضونها لأنفسكم، ولكنكم تقتلونها كراهة منكم لهنّ.

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله: اللات، فقرأته عامة قرّاء الأمصار بتخفيف التاء على المعنى الذى وصفتُ.

وذُكر أن اللات بيت كان بنخلة تعبده قريش. وقال بعضهم: كان بالطائف.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ والعُزَّى) أما اللات فكان بالطائف.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (أَفَرَأَيْتُمُ اللات والعُزَّى) قال: اللات بيت كان بنخلة تعبده قريش.

وقرأ ذلك ابن عباس ومجاهد وأبو صالح (اللاَّتّ) بتشديد التاء وجعلوه صفة للوثن الذى عبدوه، وقالوا: كان رجلا يَلُتّ السويق للحاج؛ فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه.

ذكر الخبر بذلك عمن قاله

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد (أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ والعُزَّى) قال: كان يَلُتّ السويق للحاجّ، فعكف على قبره.

قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد (أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَّ) قال: اللاَّتّ: كان يلتّ السويق للحاجّ.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد (اللاَّتَّ) قال: كان يَلُتّ السويق فمات، فعكفوا على قبره.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، فى قوله (اللاَّتَّ) قال: رجل يلتّ للمشركين السويق، فمات فعكفوا على قبره.

حدثنا أحمد بن هشام ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبى صالح ، فى قوله (اللاَّتَّ) قال : اللاتّ : الذى كان يقوم على آلهتهم ، يَلُتّ لهم السويق ، وكان بالطائف .

حدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنا أبوعبيد ، قال : ثنا عبد الرحمن ، عن أبى الأشهب ، عن أبى الجوزاء عن ابن عباس ، قال : كان يلتّ السويق للحاجّ .

وأولى القراءتين بالصواب عندنا فى ذلك قراءة من قرأه بتخفيف التاء على المعنى الذى وصفت لقارئه كذلك لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار عليه .

وأما العزَّى فإن أهل التأويل اختلفوا فيها ، فقال بعضهم : كانت شجرات يعبدونها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (والعُزَّى) قال : العُزَّى : شُجيرات .

وقال آخرون : كانت العُزَّى حَجَرًا أبيض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جُبَيْر ، قال : (العُزَّى) : حَجَرًا أبيض .

وقال آخرون : كان بيتا بالطائف تعبده ثقيف .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالعُزَّى) قال : العزّى : بيت بالطائف تعبده ثقيف .

وقال آخرون : بل كانت ببطن نَخْلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى) قال : أما مناةُ فكانت بقُدَيد ، آلهة كانوا يعبدونها ، يعنى اللات والعُزَّى ومَناة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى) قال : مناة بيت كان بالمشلّل يعبده بنو كعب .

واختلف أهل العربية فى وجه الوقف على اللات ومنات ، فكان بعض نحويّ البصرة يقول : إذا سكت قلت اللات ، وكذلك مناة تقول : منات .

وقال : قال بعضهم : اللاتّ ، فجعله من اللتّ الذى يَلُتّ ؛ ولغة للعرب يسكتون على مافيه الهاء بالتاء يقولون : رأيت طَلْحتْ ، وكلّ شىء مكتوب بالهاء فإنها تقف عليه بالتاء ، نحو نعمة ربك وشجرة . وكان بعض نحويّ الكوفة يقف على اللات بالهاء (أفَرَأَيْتُمُ اللاَّه) وكان غيره منهم يقول : الاختيار فى كل

مالم يضف أن يكون بالهاء رحمة من ربى ، وشجرة تخرج ، وما كان مضافا فجائزا بالهاء والتاء ، فالتاء للإضافة ، والهاء لأنه يفرد ويوقف عليه دون الثانى ، وهذا القول الثالث أفشى اللغات وأكثرها فى العرب وإن كان للأخرى وجه معروف . وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول : اللات والعزّى ومناة الثالثة : أصنام من حجارة كانت فى جوف الكعبة يعبدونها :

وقوله (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى) يقول : أتزعمون أن لكم الذكر الذى ترضونه ، ولله الأنثى التى لاترضونها لأنفسكم (تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى) يقول جلّ ثناؤه : قسمتكم هذه قسمة جائرة غير مستوية ، ناقصة غير تامة ، لأنكم جعلتم لربكم من الولد ماتكرهون لأنفسكم ، وآثرتم أنفسكم بما ترضونه ، والعرب تقول : ضِزْته حقه بكسر الضاد ، وضُزته بضمها فأنا أضيزه وأضوزه ، وذلك إذا نقصته حقه ومنعته

وحُدثت عن معمر بن المثنى قال : أنشدنى الأخفش :

فإنْ تَنْأَ عَنَّا نَنْتَقِصْكَ وَإِنْ تَغِبْ فَسَهْمُكَ مَضْئُوزٌ وأنْفُكَ رَاغِمُ[1]

ومن العرب من يقول : ضَيْزَى بفتح الضاد وترك الهمز فيها ؛ ومنهم من يقول : ضأزى بالفتح والهمز ، وضُؤزى بالضم والهمز ، ولم يقرأ أحد بشىء من هذه اللغات . وأما الضِّيزى بالكسر فإنها فُعلى بضم الفاء ، وإنما كُسرت الضاد منها كما كسرت من قولهم : قوم بيض وعِين ، وهى « فُعْل » لأن واحدها : بيضاء وعيناء ليؤلفوا بين الجمع والاثنين والواحد ، وكذلك كرهوا ضمّ الضاد من ضِيزَى ، فتقول : ضُوزَى ، مخافة أن تصير بالواو وهى من الياء . وقال الفرّاء : إنما قضيت على أوّلها بالضمّ ، لأن النعوت للمؤنث تأتى إما بفتح ، وإما بضمّ ؛ فالمفتوح : سكْرَى وعَطشى ؛ والمضموم : الأنثى والحُبلى ؛ فإذًا كان اسما ليس بنعت كسر أوّله ، كقوله (وَذَكِّرْ فإنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ) كسر أوّلها ، لأنها اسم ليس بنعت ، وكذلك الشِّعْرَى كسر أوّلها ، لأنها اسم ليس بنعت .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (قِسْمَةٌ ضِيزَى) قال أهل التأويل ، وإن اختلفت ألفاظهم بالعبارة عنها ، فقال بعضهم : قِسْمة عَوْجاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ؛ قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى) قال : عوجاء .

وقال آخرون : قسمة جائرة .

---

(١) رواية البيت فى (اللسان ؛ ضأز » : « وإن تقم » فى مكان « وإن تغب » . قال ابن الأعرابى تقول العرب : قسمة ضُؤزى بالضم والهمز ؛ وضوزى ، بالضم بلا همز ؛ وضئزى ، بالكسر والهمز ؛ وضيزى ، بالكسر ، وترك الهمز ؛ قال : ومعناها كلها الجور . وفى (اللسان : ضيز) : ضاز فى الحكم : أى جار . وضازه حقه يضيزه ضيزا : نقصه وبخسه ومنعه . وضزت فلانا أضيزه ضيزا : جرت عليه . وضاز يضيز : إذا جار . وقد يهمز فيقال : ضأزه يضأزه ضأزا . وفى التنزيل العزيز : « تلك إذا قسمة ضيزى » ، وقسمة ضيزى وضوزى أى جائرة . وقد نقل المؤلف كلام الفراء بتمامه فى معانى القرآن (الورقة ٣١٦) ، فنكتفى بالإشارة إليه . ولخص القرطبى كلام النحويين فى ضيزى تلخيصا حسنا فى (١٧ : ١٠٣) فراجعه ثمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى) يقول : قسمة جائرة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قِسْمَةٌ ضِيزَى) قال : قسمة جائرة .

حدثنا محمد بن حفص أبوعبيد الوصابيّ[1] ، قال: ثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن ابن عمرة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى) قال: تلك إذًا قسمة جائرة لاحقّ فيها.

وقال آخرون : قسمة منقوصة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى) قال : منقوصة .

وقال آخرون : قسمة مخالفة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى) قال : جعلوا الله تبارك وتعالى بنات ، وجعلوا الملائكة لله بنات ، وعبدوهم ، وقرأ (أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ . وَإِذَا بُشِّرَ) . . . الآية ، وقرأ (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ) . . . إلى آخر الآية ، وقال : دعوا الله ولدا ، كما دعت اليهود والنصارى ، وقرأ (كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) قال : والضيزى فى كلام العرب : المخالفة ، وقرأ (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) .

القول فى تأويل قوله تعالى:

إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴿٢٣﴾

يقول تعالى ذكره : ماهذه الأسماء التى سميتموها وهى اللات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى ، إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم أيها المشركون بالله ، وآباؤكم من قبلكم ، ما أنزل الله بها ، يعنى بهذه الأسماء ، يقول: لم يبح الله ذلك لكم ، ولا أذن لكم به .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مِنْ سُلْطَانٍ) . . إلى آخر الآية .

وقوله (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) يقول تعالى ذكره : ما يتبع هؤلاء المشركون فى هذه الأسماء التى سموا بها آلهتهم إلا الظنّ بأنّ ما يقولون حقّ لااليقين (وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ) يقول : وهوى أنفسهم ، لأنهم

(١) لم أجده فى الخلاصة ، ولا فى التاج ولا أعلم إلى أى شىء نسب .

لم يأخذوا ذلك عن وحي جاءهم من الله ، ولا عن رسول لله أخبرهم به ، وإنما هو اختراق من قبل أنفسهم ، أو أخذوه عن آبائهم الذين كانوا من الكفر بالله على مثل ماهم عليه منه .

وقوله (وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الهُدَى) يقول : ولقد جاء هؤلاء المشركين بالله من ربهم البيان مما هم منه على غير يقين ، وذلك تسميتهم اللات والعزّى ومناة الثالثة بهذه الأسماء وعبادتهم إياها . يقول: لقد جاءهم من ربهم الهدى فى ذلك ، والبيان بالوحى الذى أوحيناه إلى محمد صلى الله عليه وسلم أن عبادتها لاتنبغى ، وأنه لاتصلح العبادة إلا لله الواحد القهار .

وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله : (وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الهُدَى) فما انتفعوا به .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ * وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى ذكره : أم اشتهى محمد صلى الله عليه وسلم ما أعطاه الله من هذه الكرامة التى كرّمه بها من النبوة والرسالة ، وأنزل الوحى عليه ، وتمنى ذلك ، فأعطاه إياه ربه ، فلله ما فى الدار الآخرة والأولى ، وهى الدنيا ، يعطى من شاء من خلقه ماشاء ، ويحرم من شاء منهم ماشاء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَمْ لِلإِنْسانِ ما تَمَنَّى) قال : وإن كان محمد تمنى هذا ، فذلك له .

وقوله (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِى السَّمَوَاتِ لاتُغْنِى شَفاعَتُهُمْ شَيْئًا) يقول تعالى ذكره : وكم من مَلَك فى السموات لاتغنى : كثير من ملائكة الله ، لاتنفع شفاعتهم عند الله لمن شفعوا له شيئا ، إلا أن يشفعوا له من بعد أن يأذن الله لهم بالشفاعة لمن يشاء منهم أن يشفعوا له ويرضى ، يقول : ومن بعد أن يرضى للملائكته الذين يشفعون له أن يشفعوا له ، فتنفعه حينئذ شفاعتهم ، وإنما هذا توبيخ من الله تعالى ذكره لعبدة الأوثان والملأ من قريش وغيرهم الذين كانوا يقولون (ما نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونا إلى اللهِ زُلْفَى) فقال الله جلّ ذكره لهم : ماتنفع شفاعة ملائكتى الذين هم عندى لمن شفعوا له ، إلا من بعد إذنى لهم بالشفاعة له ورضاى ، فكيف بشفاعة من دونهم ، فأعلمهم أن شفاعة ما يعبدون من دونه غير نافعتهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ

﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۝ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين لايصدّقون بالبعث فى الدار الآخرة ، وذلك يوم القيامة ، ليسمون ملائكة الله تسمية الإناث ، وذلك أنهم كانوا يقولون : هم بنات الله .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (تَسْمِيَةَ الأُنْثَى) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (تَسْمِيَةَ الأُنْثَى) قال : الإناث .

وقوله (وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ) يقول تعالى : وما لهم بما يقولون من تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى من حقيقة علم (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ) يقول : مايتبعون فى ذلك إلا الظنّ ، يعنى أنهم إنما يقولون ذلك ظنا بغير علم .

وقوله (وَإِنَّ الظَّنَّ لايُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا) يقول : وإن الظنّ لاينفع من الحقّ شيئا فيقوم مقامه

وقوله(فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنا) يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فدع من أدبر يا محمد عن ذكر الله ولم يؤمن به فيوحده .

وقوله (وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيا) يقول : ولم يطلب ما عند الله فى الدار الآخرة ، ولكنه طلب زينة الحياة الدنيا ، والتمس البقاء فيها .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ۝﴾

يقول تعالى ذكره : هذا الذى يقوله هؤلاء الذين لايؤمنون بالآخرة فى الملائكة من تسميتهم إياها تسمية الأنثى (مَبْلَغُهُمْ مِنَ العِلْمِ) يقول : ليس لهم علم إلا هذا الكفر بالله ، والشرك به على وجه الظنّ بغير يقين علم .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ، ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الحَيَاةَ الدُّنْيا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ العِلْمِ) قال : يقول ليس لهم علم إلا الذى هم فيه من الكفر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومكايدتهم لما جاء من عند الله ، قال : وهؤلاء أهل الشرك .

وقوله (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى) يقول تعالى ذكره : إن ربك يامحمد هو أعلم بمن جار عن طريقه فى سابق علمه ، فلا يؤمن ، وذلك الطريق هو الإسلام

(وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى) يقول : وربك أعلم بمن أصاب طريقه فسلكه فى سابق علمه ، وذلك الطريق أيضا الإسلام .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ۞ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ

۞ يقول تعالى ذكره : (وَلِلَّهِ) مُلك (ما فى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ) من شىء ، وهو يضل من يشاء ، وهو أعلم بهم (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساءُوا بِمَا عَمِلُوا) يقول : ليجزى الذين عصَوْه من خلقه ، فأساءوا بمعصيتهم إياه ، فيثيبهم بها النار (وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالحُسْنَى) يقول : وليجزىَ الذين أطاعوه فأحسنوا بطاعتهم إياه فى الدنيا بالحسنى وهى الجنة ، فيثيبهم بها .

وقيل : عُنِى بذلك أهل الشرك والإيمان .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب . قال : أخبرنى عبد الله بن عياش ، قال : قال زيد بن أسلم فى قول الله (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا) المؤمنون .

وقوله (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ) يقول : الذين يبتعدون عن كبائر الإثم التى نهى الله عنها وحرمها عليهم فلا يقربونها ، وذلك الشرك بالله ، وما قد بيَّناه فى قوله (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) .

وقوله (وَالفَوَاحِشَ) وهى الزنا وما أشبهه ، مما أوجب الله فيه حداً .

وقوله (إِلاَّ اللَّمَمَ) اختلف أهل التأويل فى معنى « إلا » فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : هى بمعنى الاستثناء المنقطع ، وقالوا : معنى الكلام : الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ، إلا اللمم الذى ألمُّوا به من الإثم والفواحش فى الجاهلية قبل الإسلام ، فإن الله قد عفا لهم عنه ، فلا يؤاخذهم به .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ) يقول : إلا ما قد سلف .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ) قال : المشركون إنما كانوا بالأمس يعملون معنا ، فأنزل الله عزّ وجلّ (إِلاَّ اللَّمَمَ) ماكان منهم فى الجاهلية . قال : واللمم : الذى ألموا به من تلك الكبائر والفواحش فى الجاهلية قبل الإسلام ، وغفرها لهم حين أسلموا .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن عياش ، عن ابن عون ، عن محمد ، قال : سأل رجل زيد بن ثابت ، عن هذه الآية (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ) فقال : حرّم الله عليك الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عبدالله بن عياش ، قال : قال زيد بن أسلم فى قول الله (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ) قال : كبائر الشرك والفواحش : الزنى ، تركوا ذلك حين دخلوا فى الإسلام ، فغفر الله لهم ما كانوا ألموا به وأصابوا من ذلك قبل الإسلام .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب ممن يوجه تأويل « إلا » فى هذا الموضع إلى هذا الوجه الذى ذكرته عن ابن عباس يقول فى تأويل ذلك : لم يؤذن لهم فى اللمم ، وليس هو من الفواحش ، ولا من كبائر الإثم ، وقد يُستثنى الشىء من الشىء ، وليس منه على ضمير قد كفّ عنه فمجازه ، إلا أن يلمّ بشىء ليس من الفواحش ولا من الكبائر ، قال : الشاعر :

وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِها أَنِيسُ		إِلاَّ اليَعافِيرُ وَإِلاَّ الْعِيسُ [1]

واليعافير : الظباء ، والعيس : الإبل وليسا من الناس ، فكأنه قال : ليس به أنيس ، غير أن به ظباء وإبلا . وقال بعضهم : اليعفور من الظباء الأحمر ، والأعيس : الأبيض :

وقال بنحو هذا القول جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، أن ابن مسعود قال : زنى العينين : النظر ، وزنى الشفتين : التقبيل ، وزنى اليدين : البطش ، وزنى الرجلين : المشى ، ويصدّق ذلك الفرْج أو يكذّبه ، فإن تقدّم بفرجه كان زانيا ، وإلا فهو اللمم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : وأخبرنا ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : « إنّ اللهَ

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٣١) قال عند قوله تعالى : « يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم » : لم يؤذن لهم فى اللمم ، وليس هو من الفواحش ولا من كبائر الإثم ، وقد يستثنى الشىء من الشىء وليس منه على ضمير قد كف عنه ، فمجازه : إلا أن يلم ملم بشىء ، ليس من الفواحش والكبائر قال : « وبلد ليس بها أنيس . . . . البيتين » . واليعافير الظباء ، والعيس : الإبل ، وليسا من الناس ، فكأنه قال : ليس بها أنيس ، غير أن بها ظباء وإبلا . وقال بعضهم : اليعفور من الظباء : الأحمر ، والأعيس : الأبيض من الظباء . اهـ . وقال العينى فى فرائد القلائد : قاله جران العود النميرى ، واسمه عامر بن الحارث . والشاهد فى « إلا اليعافير » فإنه استثناء من قوله أنيس ، على الإبدال ، مع أنه منقطع ، على لغة بنى تميم ، وأهل الحجاز يوجبون النصب « أى فى الاستثناء المنقطع » . وهو جمع يعفور ، وهو ولد البقرة الوحشية ، والعيس جمع عيساء ، وهى الإبل البيض يخالط بياضها شىء من الشقرة . اهـ . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣١٦) قوله « إلا اللمم » : يقول : إلا المتقارب من صغير الذنوب . قال وسمعت من بعض العرب : ألم يفعل ، فى معنى كاد يفعل ، وذكر الكلبى بإسناده أنها النظرة فى غير تعمد ، فهى لمم ، وهى مغفورة ، فإن أعاد النظر فليس بلمم ، هو ذنب . اهـ .

كَتَبَ على ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنى أدْرَكَهُ ذلكَ لا مَحالَةَ ، فَزِنى العَيْنَيْنِ النَّظَرُ ، وَزِنى اللِّسانِ المَنْطِقُ ، والنَّفْسُ تَتَمَنَّى وتَشْتَهِي ، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذلكَ أوْ يُكَذِّبُهُ » .

حدثني أبوالسائب ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق في قوله (إلاَّ اللَّمَمَ) قال : إن تقدم كان زنى ، وإن تأخر كان لَمما .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا منصور بن عبد الرحمن ، قال : سألت الشعبيّ ، عن قول الله (يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإثْمِ وَالفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ) قال : هو مادون الزنى ، ثم ذكر لنا عن ابن مسعود ، قال : « زنى العينين : مانظرتَ إليه ، وزنى اليد : مالمستْ ، وزنى الرجل : مامشتْ والتحقيق بالفرج » .

حدثني محمد بن معمر ، قال : ثنا يعقوب ، قال : ثنا وهيب ، قال : ثنا عبد الله بن عثمان بن خُثَيم ابن عمرو القاريّ ، قال : ثني عبد الرحمن بن نافع الذي يقال له ابن لُبابة الطائفيّ ، قال : سألت أبا هُريرة عن قول الله (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإثْمِ وَالفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ) قال : القُبلة ، والغَمزة ، والنظْرة والمباشرة ، إذا مسّ الختان الختان فقد وجب الغسل ، وهو الزنى .

وقال آخرون : بل ذلك استثناء صحيح ، ومعنى الكلام : الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إلا أن يلمّ بها ثم يتوب .

ذكر من قال ذلك

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : أخبرنا زكريا ابن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإثْمِ وَالفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ) قال : هو الرجل يلمّ بالفاحشة ثم يتوب ؛ قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وأيُّ عَبْدٍ لَكَ لا ألَمَّا [1]

حدثني ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، أنه قال في هذه الآية (إلاَّ اللَّمَمَ) قال : الذي يلمّ بالذنب ثم يدعه ، وقال الشاعر :

إنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وأيُّ عَبْدٍ لَكَ لا ألَمَّا

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، عن أبي هُريرة ، أراه رفعه :

---

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت (اللسان : لمم) قال : والإلمام واللمم : مقاربة الذنب . وقيل : اللمم : ما دون الكبائر من الذنوب . وفي التنزيل العزيز : الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم » . وألم الرجل ، من اللمم ، وهو صغار الذنوب . وقال أمية : « إن تغفر اللهم . . . البيتين » . ويقال : هو مقاربة المعصية من غير مواقعة . وقال الأخفش : اللمم : المقارب من الذنوب . وقال ابن بري : الشعر لأمية بن أبي الصلت ، قال : وذكر عبد الرحمن (ابن أخي الأصمعي) عن عمه ، عن يعقوب (ابن السكيت) عن مسلم ابن أبي طرفة الهذلي قال : مر أبو خراش (الهذلي الشاعر) يسعى بين الصفا والمروة وهو يقول :

لاهم هذا خامس إن تما أتمه الله وقد أتما

إن تغفر اللهم تغفر جما وأى عبد لك لا ألما

(الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ) قال : اللَّمة من الزنى ، ثم يتوب ولا يعود ، واللَّمة من السرقة ، ثم يتوب ولايعود ؛ واللَّمة من شرب الخمر ، ثم يتوب ولا يعود ، قال : فتلك الإلمام.

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن عوف ، عن الحسن ، فى قول الله (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ) قال : اللَّمة من الزنى أو السرقة ، أو شرب الخمر ، ثم لايعود .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ عن عوف ، عن الحسن ، فى قول الله : (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ) قال : اللمة من الزنى ، أو السرقة ، أو شرب الخمر ثم لا يعود .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ) قال : قد كان أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم يقولون : هذا الرجل يصيب اللمة من الزنا ، واللَّمة من شرب الخمر ، فيخفيها فيتوب منها .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء ، عن ابن عباس (إِلاَّ اللَّمَمَ) يلمّ بها فى الحين ، قلت الزنى ، قال : الزنى ثم يتوب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، قال : قال معمر : كان الحسن يقول فى اللَّمم : تكون اللَّمة من الرجل : الفاحشة ثم يتوب .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح ، قال : الزنى ثم يتوب .

قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن قتادة ، عن الحسن (إِلاَّ اللَّمَمَ) قال : أن يقع الوقعة ثم ينتهى.

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن عُيينة ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : اللَّمم : الذى تُلِمّ المرّةَ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال : أخبرنى يحيى بن أيوب ، عن المثنى بن الصباح ، عن عمرو بن شعيب ، أن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : اللمم : مادون الشرك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا مرّة ، عن عبدالله بن القاسم ، فى قوله (إِلاَّ اللَّمَمَ) قال : اللَّمة يلمّ بها من الذنوب .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (إِلاَّ اللَّمَمَ) قال : الرجل يلمّ بالذنب ثم ينزع عنه . قال : وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون :

إنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمَّا وأىُّ عَبْدٍ لَكَ لاَ أَلَمَّا

وقال آخرون ممن وجه معنى « إلا » إلى الاستثناء المنقطع : اللمم : هو دون حدّ الدنيا وحدّ الآخرة ، قد تجاوز الله عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عطاء ، عن ابن الزبير (إِلاَّ اللَّمَمَ) قال : ما بين الحدّين ، حدّ الدنيا ، وعذاب الآخرة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن ابن عباس أنه قال : اللمم : ما دون الحدّين : حدّ الدنيا والآخرة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن الحكم وقتادة ، عن ابن عباس بمثله ، إلا أنه قال : حدّ الدنيا ، وحدّ الآخرة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا شعبة ، عن الحكم بن عتيبة ، قال : قال ابن عباس : اللمم مادون الحدين ، حد الدنيا وحد الآخرة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ) قال : كلّ شىء بين الحدّين ، حدّ الدنيا وحدّ الآخرة ، تكفّره الصلوات ، وهو اللمم ، وهو دون كل موجب ؛ فأما حدّ الدنيا فكلّ حدّ فرض الله عقوبته فى الدنيا ؛ وأما حدّ الآخرة فكلّ شىء ختمه الله بالنار ، وأخّر عقوبته إلى الآخرة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، فى قوله (إِلاَّ اللَّمَمَ) يقول : مابين الحدين ، كل ذنب ليس فيه حدّ فى الدنيا ولا عذاب فى الآخرة ، فهو اللمم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ) واللمم : ما كان بين الحدّين لم يبلغ حدّ الدنيا ولا حدّ الآخرة موجبة ، قد أوجب الله لأهلها النار ، أو فاحشة يقام عليه الحدّ فى الدنيا .

وحدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن قتادة ، قال : قال بعضهم : اللمم : ما بين الحدّين : حدّ الدنيا ، وحدّ الآخرة .

حدثنا أبو كُرَيب ويعقوب ، قالا : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، قال : ثنا سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة عن ابن عباس ، قال : اللمم : ما بين الحدّين : حدّ الدنيا ، وحدّ الآخرة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : قال الضحاك (إِلاَّ اللَّمَمَ) قال : كلّ شىء بين حدّ الدنيا والآخرة فهو اللمم يغفره الله .

وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال « إلا » بمعنى الاستثناء المنقطع ، ووجَّه معنى الكلام إلى (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ) بما دون كبائر الإثم ، ودون الفواحش الموجبة للحدود فى الدنيا ، والعذاب فى الآخرة ، فإن ذلك معفوّ لهم عنه ، وذلك عندى نظير قوله جلّ ثناؤه : (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ، وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً) فوعد جلّ ثناؤه باجتناب الكبائر ، العفو عما دونها من السيئات ، وهو اللمم الذى قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « العَيْنَانِ تَزْنِيانِ ، وَاليَدَانِ تَزْنِيانِ ، وَالرِّجْلانِ تَزْنِيانِ وَيُصَدِّقُ ذلكَ الفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ » ، وذلك أنه لاحد فيما دون ولوج الفرج فى الفرج ، وذلك هو العفو من الله فى الدنيا عن عقوبة

العبد عليه ، والله جلّ ثناؤه أكرم من أن يعود فيما قد عفا عنه ، كما رُوِى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم واللمم فى كلام العرب : المقاربة للشىء ، ذكر الفرّاء أنه سمع العرب تقول : ضربه ما لم القتل[1] ، يريدون ضربا مقاربا للقتل . قال : وسمعت من آخر : ألمّ يفعل فى معنى : كاد يفعل .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾

✲ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (إِنَّ رَبَّكَ) يا محمد (وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ) : واسع عفوه للمذنبين الذين لم تبلغ ذنوبهم الفواحش وكبائر الإثم . وإنما أعلم جلّ ثناؤه بقوله هذا عباده أنه يغفر اللمم بما وصفنا من الذنوب لمن اجتنب كبائر الإثم والفواحش .

كما حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ) قد غفر ذلك لهم .

وقوله (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ) يقول تعالى ذكره : ربكم أعلم بالمؤمن منكم من الكافر ، والمحسن منكم من المسىء ، والمطيع من العاصى ، حين ابتدعكم من الأرض ، فأحدثكم منها بخلق أبيكم آدم منها ، وحين أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم ، يقول : وحين أنتم حمل لم تولدوا منكم ، وأنفسكم بعدما[2] صرتم رجالا ونساء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ) قال : كنحو قوله (وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) .

وحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِذْ أَنشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ) قال : حين خلق آدم من الأرض ثم خلقكم من آدم ، وقرأ (وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ) .

وقد بيّنا فيما مضى قبل معنى الجنين ، ولِمَ قيل له جنين ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ) يقول جل ثناؤه : فلا تشهدوا لأنفسكم بأنها زكية بريئة من الذنوب والمعاصى .

---

(١) هذه العبارة مما رواه الفراء عن العرب ، قاله فى معانى القرآن : وسمعت العرب ... الخ ، وماصلته ، يريد ضربا مقاربا للقتل

(٢) كذا وردت هذه العبارة الأخيرة فى الأصل ، وهى غامضة من أول قوله « منكم وأنفسكم ... الخ» ولعل صوابها : فلا تزكوا أنفسكم بعد ما صرتم رجالا ونساء .

كما حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : سمعت زيد بن أسلم يقول (فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ) يقول : فلا تبرؤوها .

وقوله (هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) يقول جلّ ثناؤه : ربك يامحمد أعلم بمن خاف عقوبة الله فاجتنب معاصيه من عباده .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾

※ يقول تعالى ذكره : أفرأيت يامحمد الذى أدبر عن الإيمان بالله ، وأعرض عنه وعن دينه ، وأعطى صاحبه قليلا من ماله ، ثم منعه فلم يعطه ، فبخل عليه .

وذُكر أن هذه الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة من أجل أنه عاتبه بعض المشركين ، وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم على دينه ، فضمن له الذى عاتبه إن هو أعطاه شيئا من ماله ، ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الآخرة ، ففعل ، فأعطى الذى عاتبه على ذلك بعض ما كان ضمن له ، ثم بخل عليه ومنعه تمام ما ضمن له .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وأَكْدَى) قال الوليد بن المغيرة : أعطى قليلا ثم أكدى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أفرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى) . . . إلى قوله (فَهُوَ يَرَى) قال : هذا رجل أسلم ، فلقيه بعض من يُعَيِّره فقال : أتركت دين الأشياخ وضلّلتهم ، وزعمت أنهم فى النار ، كان ينبغى لك أن تنصرهم ، فكيف يفعل بآبائك ، فقال : إنى خشيت عذاب الله ، فقال : أعطنى شيئا ، وأنا أحمل كلّ عذاب كان عليك عنك ، فأعطاه شيئا ، فقال زدنى ، فتعاسر حتى أعطاه شيئا ، وكتب له كتابا ، وأشهد له ، فذلك قول الله (أفرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى . وأعْطَى قَلِيلاً وأكْدَى) عاسره (أعِنْدَهُ عِلْمُ الغَيْبِ فَهُوَ يَرَى) نزلت فيه هذه الآية .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (أكْدَى) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبي سنان الشيباني ، عن ثابت ، عن الضحاك ، عن ابن عباس (أَعْطَى قَلِيلاً وأَكْدَى) قال : أعطى قليلا ثم انقطع .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ،عن ابن عباس ، قوله (أفرأَيْتَ الَّذِى تَوَلَّى . وأَعْطَى قَلِيلاً وأَكْدَى) يقول : أعطى قليلا ثم انقطع .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال: ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور، عن مجاهد (وأَعْطَى قَلِيلاً وأَكْدَى) قال : انقطع فلا يُعْطِي شيئا ، ألم تر إلى البئر يقال لها أكدت .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وأَكْدَى) : انقطع عطاؤه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن طاوس وقتادة ، فى قوله (وأَكْدَى) قال : أعطى قليلا ، ثم قطع ذلك .

قال : ثنا ابن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن عكرمة مثل ذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأَكْدَى) أى بخل وانقطع عطاؤه .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وأَكْدَى) يقول : انقطع عطاؤه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله(وأَكْدَى) عاسره ، والعرب تقول : حفر فلان فأكدى ، وذلك إذا بلغ الكدية ، وهو أن يحفر الرجل فى السهل ، ثم يستقبله جبل فيُكْدِى ، يقال : قد أكدى كداء ، وكديت أظفاره وأصابعه كدى شديدا ، منقوص : إذا غلظت ، وكديت أصابعه : إذا كلت فلم تعمل شيئا ، وكدا النبت إذا قلّ ريعه يهمز ولا يهمز . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : اشتق قوله : أكدى ، من كُدْية الركيَّة ، وهو أن يحفر حتى ييأس من الماء ، فيُقال حينئذ بلغنا كُدْيتها .

وقوله (أَعِنْدَهُ عِلْمُ الغَيْبِ فَهُوَ يَرَى) يقول تعالى ذكره : أعند هذا الذى ضمن له صاحبه أن يتحمل عنه عذاب الله فى الآخرة علم الغيب ، فهو يرى حقيقة قوله ، ووفائه بما وعده .

وقوله (أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَى) يقول تعالى ذكره : أم لم يُخَبَّرْ هذا المضمون له ، أن يتحمل عنه عذاب الله فى الآخرة ، بالذى فى صحف موسى بن عمران عليه السلام .

وقوله (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى) يقول : وإبراهيم الذى وفى من أرسل إليه ما أرسل به .

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى الذى وفى ، فقال بعضهم : وفاؤه بما عهد إليه ربه من تبليغ رسالاته ، وهو (أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عطاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) قال : كانوا قبل إبراهيم يأخذون الوليّ بالوليّ ، حتى كان إبراهيم ، فبلغ (أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) لايُؤاخذ أحد بذنب غيره .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن عكرمة (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) قالوا : بلغ هذه الآيات (أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) قال : وفَّى طاعة الله ، وبلَّغ رسالات ربه إلى خلقه .

وكان عكرمة يقول : وفَّى هؤلاء الآيات العشر (أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) . . . حتى بلغ (وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) وفَّى طاعة الله ورسالاته إلى خلقه .

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : ثنا أبو بكير ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) قال : بلَّغ ما أُمر به .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) قال : بلَّغ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) قال : وفَّى : بلَّغ رسالات ربه ، بلَّغ ما أُرسل به ، كما يبلِّغ الرجل ما أُرسل به .

وقال آخرون : بل وفَّى بما رأى فى المنام من ذبح ابنه ، وقالوا قوله (أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) من المؤخر الذى معناه التقديم ، وقالوا : معنى الكلام : أم لم ينبأ بما فى صحف موسى ألا تزر وازرة وزر أخرى ، وبما فى صحف إبراهيم الذى وفَّى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى . وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) يقول : إبراهيم الذى استكمل الطاعة فيما فعل بابنه حين رأى الرؤيا ، والذى فى صحف موسى (أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) . . . إلى آخر الآية

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى ابن لهيعة ، عن أبى صخر ، عن القُرَظىّ ، وسُئل عن هذه الآية (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) قال : وفَّى بذبح ابنه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنه وفى ربه جميع شرائع الإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الله بن أحمد بن شبُّوية ، قال: ثنا علىّ بن الحسن ، قال: ثنا خارجة بن مُصْعَب ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : الإسلام ثلاثون سهما . وما ابتلى بهذا الدين أحد فأقامه إلا إبراهيم ، قال الله (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى) فكتب الله له براءة من النار .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى) ما فُرِض عليه .

وقال آخرون : وفَّى بما رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخبر الذى حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا رشدين بن سعد ، قال : ثنى زبان بن فائد ، عن سهل بن معاذ ، عن أنس ، عن أبيه ، قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا أُخْبِرُكُمْ لِمَ سَمَّى اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ الَّذِى وَفَّى ؟ لأَنَّهُ كانَ يَقُولُ كُلَّمَا أَصْبَحَ وأَمْسَى : فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ، حتى ختم الآية »

وقال آخرون : بل وفَّى ربه عمل يومه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال ثنا الحسن بن عطية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جعفر بن الزبير عن القاسم ، عن أبى أُمامة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى قال : أَتَدْرُونَ ما وَفَّى ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : وَفَّى عَمَلَ يَوْمِهِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فِى النَّهارِ » .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : وفَّى جميع شرائع الإسلام وجميع ما أُمر به من الطاعة ، لأن الله تعالى ذكره أخبر عنه أنه وفَّى فعمّ بالخبر عن توفيته جميع الطاعة ، ولم يخصص بعضا دون بعض .

فإن قال قائل : فإنه خصّ ذلك بقوله وفَّى (أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) فإن ذلك مما أخبر الله جلّ ثناؤه أنه فى صحف موسى وإبراهيم ، لا مما خصّ به الخبر عن أنه وفَّى . وأما التوفية فإنها على العموم ، ولو صحّ الخبران اللذان ذكرناهما أو أحدهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم نَعْدُ القول به إلى غيره ولكن فى إسنادهما نظر يجب التثبت فيهما من أجله .

وقوله (أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) فإن من قوله (أَلاَّ تَزِرُ) على التأويل الذى تأوّلناه فى موضع خفض ردًّا على « ما » التى فى قوله (أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَى) يعنى بقوله (أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) غيرها ، بل كل آثمة فإنما إثمها عليها .

وقد بيَّنا تأويل ذلك باختلاف أهل العلم فيه فيما مضى قبل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عُبيد المحاربىّ ، قال : ثنا أبو مالك الجَنْبى ، قال: ثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى مالك الغفارىّ فى قوله(أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى . وأَنْ لَيْسَ لِلإنْسَانِ إِلاَّ ماسَعَى . . .) إلى قوله (مِنَ النُّذُرِ الأُولَى) قال : هذا فى صحف إبراهيم وموسى .

وإنما عُني بقوله (أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) الذي ضَمن للوليد بن المغيرة أن يتحمل عنه عذاب الله يوم القيامة ، يقول: ألم يُخبَرْ قائل هذا القول، وضامن هذا الضمان بالذى فى صحف موسى وإبراهيم مكتوب : أن لاتأثم آثمة إثم أخرى غيرها (وأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسانِ إِلاَّ ما سَعَى) يقول جلّ ثناؤه : أوَلم يُنَبَّأْ أنه لا يُجازى عامل إلا بعمله ، خيرا كان ذلك أو شرّا .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد فى قوله (وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسانِ إِلاَّ ما سَعَى) ، وقرأ (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) قال : أعمالكم .

وذُكر عن ابن عباس أنه قال : هذه الآية منسوخة .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسانِ إِلاَّ ما سَعَى) قال : فأنزل الله بعد هذا (وَالَّذِينَ آمَنُوا وأَتْبَعْناهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) فأدخل الأبناء بصلاح الآباء الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۞ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۞ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۞ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۞

۞ قوله جلّ ثناؤه (وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى) يقول تعالى ذكره : وأن عمل كلّ عامل سوف يراه يوم القيامة ، من ورد القيامة بالجزاء الذى يُجازى عليه ، خيرا كان أو شرّا ، لايؤاخذ بعقوبة ذنب غير عامله ، ولا يُثاب على صالح عمله عامل غيره . وإنما عُني بذلك: الذى رجع عن إسلامه بضمان صاحبه له أن يتحمل عنه العذاب ، أن ضمانه ذلك لاينفعه ، ولا يُغنى عنه يوم القيامة شيئا ، لأن كلّ عامل فبعمله مأخوذ .

وقوله (ثُمَّ يُجْزَاهُ الجَزَاءَ الأَوْفَى) يقول تعالى ذكره : ثم يُثاب بسعيه ذلك الثواب الأوفى : وإنما قال جلّ ثناؤه (الأَوْفَى) لأنه أوفى ماوعد خلقه عليه من الجزاء ، والهاء فى قوله (ثُمَّ يُجْزَاهُ) من ذكر السعي ، وعليه عادت :

وقوله (وأَنَّ إِلى رَبِّكَ المُنْتَهَى) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : وأن إلى ربك يامحمد انتهاء جميع خلقه ومرجعهم ، وهو المجازى جميعهم بأعمالهم ، صالحهم وطالحهم ، ومحسنهم ومسيئهم .

وقوله (وأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وأَبْكَى) يقول تعالى ذكره : وأن ربك هو أضحك أهل الجنة فى الجنة بدخولهم إياها ، وأبكى أهل النار فى النار بدخولهموها ، وأضحك من شاء من أهل الدنيا ، وأبكى من أراد أن يبكيه منهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى ذكره : وأنه هو أمات من مات من خلقه ، وهو أحيا من حيي منهم . وعنى بقوله (أحيْا) نفخ الروح فى النطفة الميتة ، فجعلها حية بتصييره الروح فيها .

وقوله (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنْثَى ، مِن نُطْفَةٍ إذَا تُمْنَى) يقول تعالى ذكره : وأنه ابتدع إنشاء الزوجين الذكر والأنثى ، وجعلهما زوجين ، لأن الذكر زوج الأنثى ، والأنثى له زوج فهما زوجان ، يكون كلّ واحد منهما زوجا للآخر .

وقوله (مِنْ نُطْفَةٍ إذَا تُمْنَى) ومن من صلة خلق يقول تعالى ذكره : خلق ذلك من نطفة إذا أمناه الرجل والمرأة .

وقوله (وأنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى) يقول تعالى ذكره : وأن على ربك يامحمد أن يخلق هذين الزوجين بعد مماتهم ، وبلاهم فى قبورهم الخلق الآخر ، وذلك إعادتهم أحياء خلقا جديدا ، كما كانوا قبل مماتهم .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾

يقول تعالى ذكره : وأن ربك هو أغنى من أغنى من خلقه بالمال وأقناه ، فجعل له قُنية أصول أموال .

واختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم بالذى قلنا فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمارة الأسدىّ ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن السدىّ ، عن أبى صالح ، قوله (أغْنَى وأقْنَى) قال : أغنى المال وأقنى القنية .

وقال آخرون : عُنِى بقوله (أغْنَى) : أخدم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (وأنَّهُ هُوَ أغْنَى وأقْنَى) قال : أغنى : موّل ، وأقنى : أخدم .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، قوله (أغنَى وأقنَى) قال : أخدم.

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (أغنَى وأقنَى) قال : أغنى وأخدم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أغنَى وأقنَى) قال : أعطى وأرضى وأخدم .

وقال آخرون : بل عُنِي بذلك أنه أغنى من المال وأقنى : رضى .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأنَّهُ هُوَ أغنَى وأقنَى) قال : فإنه أغنى وأرضى .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (وأنَّهُ هُوَ أغنَى وأقنَى) قال : أغنى موّل ، وأقنى : رضّى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أغنَى) قال : موّل (وأقنَى) قال رضّى .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وأنَّهُ هُوَ أغنَى وأقنَى) يقول : أعطاه وأرضاه .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثل حديث ابن بشار ، عن عبد الرحمن ، عن سفيان .

وقال آخرون : بل عُنِي بذلك أنه أغنى نفسه ، وأفقر خلقه إليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه (وأنَّهُ هُوَ أغنَى وأقنَى) قال : زعم حضرميّ أنه ذُكِر له أنه أغنى نفسه ، وأفقر الخلائق إليه .

وقال آخرون : بل عُنِي بذلك أنه أغنى من شاء من خلقه ، وأفقر من شاء .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وأنَّهُ هُوَ أغنَى وأقنَى) قال : أغنى فأكثر ، وأقنى أقلّ ، وقرأ (يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ) .

وقوله (وأنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى) يقول تعالى ذكره: وأن ربك يا محمد هو ربّ الشِّعْرَى ، يعني بالشعرى : النجم الذي يسمى هذا الاسم ، وهو نجم كان بعض أهل الجاهلية يعبده من دون الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى) قال : هو الكوكب الذى يُدعى الشِّعرَى .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد ، فى قوله (وأنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى) قال : الكوكب الذى خلْف الجوزاء ، كانوا يعبدونه .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وأنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى) قال : كان يُعبد فى الجاهلية .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (رَبُّ الشِّعْرَى) قال : مِرزم الجوزاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأنَّه هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى) كان حىّ من العرب يعبدون الشِّعرَى هذا النجم الذى رأيتم ، قال بشر ، قال : يريد النجم الذى يتبع الجوزاء .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (رَبُّ الشِّعْرَى) قال : كان ناس فى الجاهلية يعبدون هذا النجم الذى يُقال له الشِّعرَى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى) كانت تُعبد فى الجاهلية ، فقال: تعبدون هذه وتتركون ربها ؟ اعبدوا ربها . قال : والشِّعْرَى : النجم الوقَّاد الذى يتبع الجوزاء ، يقال له المِرْزم .

وقوله (وأنَّهُ أهْلَكَ عاداً الأُولى) يعنى تعالى ذكره بعاد الأولى : عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح ، وهم الذين أهلكهم الله بريح صرصر عاتية ، وإياهم عنى بقوله (ألَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ إرَمَ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة وبعض قرّاء البصرة (عاداً لُولى) بترك الهمز وجزم النون حتى صارت اللام فى الأولى ، كأنها لام مثقلة ، والعرب تفعل ذلك فى مثل هذا ، حُكى عنها سماعا منهم : «قم لان عنا» ، يريد: قم الآن ، جزموا الميم لما حرّكت اللام التى مع الألف فى الآن ، وكذلك تقول : صم اثنين ، يريدون : صمْ الاثنين . وأما عامة قرّاء الكوفة وبعض المكيين ، فإنهم قرءوا ذلك بإظهار النون وكسرها ، وهمز الأولى على اختلاف فى ذلك عن الأعمش ، فروى أصحابه عنه غير القاسم بن معن موافقة أهل بلده فى ذلك . وأما القاسم بن معن فحكى عنه عن الأعمش أنه وافق فى قراءته ذلك قراءة المدنيين .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما ذكرنا من قراءة الكوفيين ، لأن ذلك هو الفصيح من كلام العرب ، وأن قراءة من كان من أهل السليقة فعلى البيان والتفخيم ، وأن الإدغام فى مثل هذا الحرف وترك البيان إنما يوسع فيه لمن كان ذلك سجيته وطبعه من أهل البوادى . فأما المولدون فإن حكمهم أن يتحرّوا أفصح القراءات وأعذبها وأثبتها ، وإن كانت الأخرى جائزة غير مردودة .

وإنما قيل لعاد بن إرم: عاد الأولى ، لأن بنى لُقَيم بن هَزّال بن هُزَيل بن عَبيل بن ضِدّ بن عاد الأكبر ، كانوا أيام أرسل الله على عاد الأكبر عذابه سكانا بمكة مع إخوانهم من العمالقة ، ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح ، ولم يكونوا مع قومهم من عاد بأرضهم ، فلم يصبهم من العذاب ما أصاب قومهم ، وهم عاد الآخرة ، ثم هلكوا بعد.

وكان هلاك عاد الآخرة ببغي بعضهم على بعض ، فتفانوا بالقتل فيما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق ، فيما ذكرنا قيل لعاد الأكبر الذى أهلك الله ذريّته بالريح : عاد الأولى ، لأنها أُهلكت قبل عاد الآخرة . وكان ابن زيد يقول : إنما قيل لعاد الأولى لأنها أوّل الأمم هلاكا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَهْلَكَ عاداً الأُولى) قال : يقال : هى من أوّل الأمم .

وقوله (وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى) يقول تعالى ذكره : ولم يبق الله ثمود فيتركها على طغيانها وتمرّدها على ربها مقيمة ، ولكنه عاقبها بكفرها وعتوّها فأهلكها .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء البصرة وبعض الكوفيين (وَثَمُوداً فَمَا أَبْقَى) بالإجراء إتباعا للمصحف ، إذ كانت الألف مثبتة فيه ، وقرأه بعض عامة الكوفيين بترك الإجراء . وذُكر أنه فى مصحف عبد الله بغير ألف .

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لصحتهما فى الإعراب والمعنى . وقد بيّنا قصة ثمود وسبب هلاكها فيما مضى بما أغنى عن إعادته .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝٥٢ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝٥٣ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤ ﴾

يقول تعالى ذكره : وأنه أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود ، إنهم كانوا هم أشدّ ظلما لأنفسهم ، وأعظم كفرا بربهم ، وأشدّ طغيانا وتمرّدا على الله من الذين أهلكهم من بعد من الأمم ، وكان طغيانهم الذى وصفهم الله به ، وأنهم كانوا بذلك أكثر طغيانا من غيرهم من الأمم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كانُوا هُمْ أَظْلَمَ وأَطْغَى) لم يكن قبيل من الناس هم أظلم وأطغى من قوم نوح ، دعاهم نبيّ الله صلى الله عليه وسلم نوح ألف سنة إلا خمسين عاما ، كلما هلك قرن ونشأ قرن دعاهم نبيّ الله حتى ذكر لنا أن الرجل كان يأخذ بيد ابنه فيمشى به ، فيقول : يا بنيّ إن أبى قد مشى بى إلى هذا ، وأنا مثلك يومئذ تتابعا فى الضلالة ، وتكذيبا بأمر الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وأَطْغَى) قال : دعاهم نبىّ الله ألف سنة إلا خمسين عاما .

وقوله (وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) يقول تعالى : والمخسوف بها ، المقلوب أعلاها أسفلَها ، وهى قرية سَدُوم قوم لوط ، أهوى الله ، فأمر جبريل صلى الله عليه وسلم ، فرفعها من الأرض السابعة بجناحه ، ثم أهواها مقلوبة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) قال : أهواها جبريل ، قال : رفعها إلى السماء ثم أهواها .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبى عيسى يحيى بن رافع : (وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) قال قرية لوط حين أهْوَى بها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) قال : قرية لوط .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) قال : هم قوم لوط .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) قال : قرية لوط أهواها من السماء ، ثم أتبعها ذاك الصخر ، اقتُلعت من الأرض ، ثم هوى بها فى السماء ثم قُلبت .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) قال : المكذّبين أهلكهم الله .

وقوله (فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى) يقول تعالى ذكره : فغشّى الله المؤتفكة من الحجارة المنضودة المسوّمة ما غشاها ، فأمطرها إياه من سِجِّيل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى) غشاها صخرا منضودا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى) قال : الحجارة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى) قال : الحجارة التى رماهم بها من السماء .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ ﴾

يقول : (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى) يقول تعالى ذكره : فبأيّ نعمات ربك يا ابن آدم التى أنعمها عليك ترتاب وتشكّ وتجادل ، والآلاء : جمع إلى . وفى واحدها لغات ثلاثة : إلىٌ على مثال عِلىٌ ، وإلىٌ على مثال عَلْىٍ ، وأَلى على مثال علا [1] .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى) يقول : فبأىّ نِعَم الله تتمارى يا ابن آدم .

وحدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى) قال : بأىّ نِعم ربك تتمارى .

وقوله (هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولَى) اختلف أهل التأويل فى معنى قوله جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم (هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولَى) ووصفه إياه بأنه من النذر الأولى وهو آخرهم ، فقال بعضهم : معنى ذلك : أنه نذير لقومه ، وكانت النذر الذين قبله نُذرا لقومهم ، كما يقال : هذا واحد من بنى آدم ، وواحد من الناس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولَى) قال : أنذر محمد صلى الله عليه وسلم كما أُنذرت الرسل من قبله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولَى) إنما بعث محمد صلى الله عليه وسلم بما بعث الرسل قبله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن شريك ، عن جابر ، عن أبى جعفر (هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولَى) قال : هو محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : معنى ذلك غير هذا كله ، وقالوا : معناه هذا الذى أنذرتكم به أيها القوم من الوقائع التى ذكرت لكم أنى أوقعتها بالأمم قبلكم من النذر التى أنذرتها الأمم قبلكم فى صحف إبراهيم وموسى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبى مالك (هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولَى) قال : مما أنذروا به قومهم فى صحف إبراهيم وموسى .

---

(١) فى (اللسان : الى) الآلاء : النعم . واحدها أَلى ، (بفتح الهمزة واللام) وإِلْى (بكسر فسكون) وإِلى (بكسر ففتح) .

وهذا الذى ذكرت ، عن أبى مالك أشبه بتأويل الآية ، وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر ذلك فى سياق الآيات التى أخبر عنها أنها فى صحف إبراهيم وموسى نذير من النُّذر الأولى التى جاءت الأمم قبلكم كما جاءتكم ، فقوله (هَـٰذَا) بأن تكون إشارة إلى ما تقدمها من الكلام أولى وأشبه منه بغير ذلك .

وقوله (أَزِفَتِ الآزِفَةُ) يقول : دنت الدانية . وإنما يعنى : دنت القيامة القريبة منكم أيها الناس يقال منه : أزف رحيل فلان : إذا دنا وقرب ، كما قال نابغة بنى ذبيان :

أَزِفَ التَّرَحُّلُ غَيْرَ أَنَّ رِكابَنا　　لَمَّا تَزُلْ بِرِحالِنا وكأنْ قَدِ [1]

وكما قال كعب بن زهير :

بانَ الشَّبابُ وأَمْسَى الشَّيْبُ قَدْ أَزِفا　　وَلا أرَى لِشَبابٍ ذاهِبٍ خَلَفا [2]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (أَزِفَتِ الآزِفَةُ) من أسماء يوم القيامة ، عظّمه الله ، وحذّره عباده .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قالا : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (أَزِفَتِ الآزِفَةُ) قال : اقتربت الساعة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَزِفَتِ الآزِفَةُ) قال : الساعة (لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كاشِفَةٌ) .

وقوله (لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كاشِفَةٌ) يقول تعالى ذكره : ليس للآزفة التى قد أزفت ، وهى الساعة التى قد دنت من دون الله كاشف ، يقول : ليس تنكشف فتقوم إلا بإقامة الله إياها ، وكشفها دون من سواه من خلقه ، لأنه لم يطلع عليها ملكا مقربا ، ولا نبيا مرسلا . وقيل : كاشفة ، فأنثت ، وهى بمعنى الانكشاف ، كما قيل : (فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ باقِيَةٍ) بمعنى : فهل ترى لهم من بقاء ؛ وكما قيل : العاقبة وماله من ناهية ، وكما قيل (لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ) بمعنى تكذيب ، (وَلا تَزالُ تَطَّلِعُ عَلَى خائِنَةٍ مِنْهُمْ) بمعنى خيانة .

---

(١) البيت للنابغة الذبيانى (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ١٨٣) والرواية فيه « أفد » فى مكان « أزف » وكلاهما بمعنى . قال : أفد : دنا . والركاب : الإبل ، والرحال : واحدها : راحلة . يقول : قرب الترحل إلا أن الركاب لم تزل ، وكأنها قد زالت ، لقرب وقت الارتحال . اه . وفى (اللسان : أزف) أزف يأزف أزفا وأزوفا : اقترب وكل شئ اقترب فقد أزف أزفا (كفرح يفرح فرحا) أى دنا وأفد . والآزفة : القيامة : لقربها ، وإن استبعد الناس مداها ، قال الله تعالى : « أزفت الآزفة » يعنى القيامة : أى دنت . اه .

(٢) البيت لكعب بن زهير كما قال المؤلف . وبان الشباب : ذهب عنه وتولى . يقول : ليس بعد زوال الشباب ونضرته وقوته خلف منه إلا الشيب والانحلال والكبر ، ثم الموت . فإذا ذهب الشباب فقد ذهب العمر فى الحقيقة . والبيت كالشاهدين قبله ، على معنى أزف : دنا واقترب .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾﴾

يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: أفمن هذا القرآن أيها الناس تعجبون، أنْ نَزَلَ على محمد صلى الله عليه وسلم، وتضحكون منه استهزاء به، ولا تبكون مما فيه من الوعيد لأهل معاصي الله، وأنتم من أهل معاصيه (وأَنْتُمْ سامِدُونَ) يقول: وأنتم لاهون عما فيه من العِبَر والذكر، معرضون عن آياته؛ يقال للرجل: دع عنا سُمودَك، يراد به: دع عنا لهوك، يقال منه: سَمَدَ فلان يَسْمُدُ سُمُودا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظهم بالعبارة عنه، فقال بعضهم: غافلون. وقال بعضهم: مغنون. وقال بعضهم: مُبَرْطِمون.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس، قوله (سامِدُونَ) قال: هو الغناء، كانوا إذا سمعوا القرآن تَغَنَّوا ولعبوا، وهي لغة أهل اليمن، قال اليماني: اسْمُدْ.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (سامِدونَ) يقول: لاهون.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وأَنْتُمْ سامِدُونَ) يقول: لاهون.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا سفيان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: هي يمانية اسمد تَغَنَّ لنا.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا الأشجعي، عن سفيان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: هو الغناء، وهي يمانية، يقولون: اسمد لنا: تَغَنَّ لنا.

قال: ثنا عبيد الله الأشجعي، عن سفيان، عن حكيم بن الديلم، عن الضحاك، عن ابن عباس (وأَنْتُمْ سامِدُونَ) قال: كانوا يمرّون على النبيّ صلى الله عليه وسلم شامخين، ألم تروا إلى الفحل في الإبل عَطِنا شامخا[1].

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن، في قوله (وأَنْتُمْ سامِدُونَ) قال: غافلون.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وأَنْتُمْ سامِدُونَ) قال: كانوا يمرّون على النبيّ صلى الله عليه وسلم غِضابا مُبَرْطِمين. وقال عكرمة: هو الغناء بالحِمْيرية.

(١) عطنا: أي باركا في عطنه بعد أن شرب. وشامخا: ناصبا رأسه.

قال : ثنا الأشجعىّ ووكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : هى البَرْطَمة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وأَنْتُمْ سامِدُونَ) قال : البرطمة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وأَنْتُمْ سامِدُونَ) قال : البرطمة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : السامدون : المغنُّون بالحميرية .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : كان عكرمة يقول : السامدون يغنون بالحميرية ، ليس فيه ابن عباس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (سامِدُونَ) : أى غافلون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (سامِدُونَ) قال غافلون .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وأَنْتُمْ سامِدُونَ) السُّمود : اللهو واللعب .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سفيان بن سعيد ، عن فطر ، عن أبى خالد الوالبىّ ، عن علىّ رضى الله عنه قال : رآهم قياما ينتظرون الإمام ، فقال : مالكم سامدون .

حدثنى ابن سنان القزاز ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عمران بن زائدة بن نشيط ، عن أبيه ، عن أبى خالد قال : خرج علينا علىّ رضى الله عنه ونحن قيام ، فقال : مالى أراكم سامدين .

قال : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا سفيان ، عن فطر ، عن زائدة ، عن أبى خالد ، بمثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن سعيد ، عن أبى معشر ، عن إبراهيم ، فى قوله (وأَنْتُمْ سامِدُونَ) قال : قيام القوم قبل أن يجىء الإمام .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن عمران الخياط ، عن إبراهيم فى القوم ينتظرون الصلاة قياما ؛ قال : كان يقال : ذاك السُّمود :

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن ليث والعزرمىّ ، عن مجاهد (وأَنْتُمْ سامِدونَ) قال : البَرْطَمة .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وأَنْتُمْ سامِدُونَ) قال : الغناء باليمانية : اسْمُد لنا .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأَنْتُمْ سامِدونَ) قال : السامد : الغافل .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : كانوا يكرهون أن يقوموا إذا أقام المؤذن للصلاة وليس عندهم الإمام ، وكانوا يكرهون أن ينتظروه قياما ، وكان يقال : ذاك السُّمود ، أو من السُّمود .

وقوله (فاسْجُدُوا لِلهِ واعْبُدُوا) يقول تعالى ذكره : فاسجدوا لله أيها الناس فى صلاتكم دون مَن سواه من الآلهة والأنداد ، وإياه فاعبدوا دون غيره ، فإنه لاينبغى أن تكون العبادة إلا له ، فأخلصوا له العبادة والسجود ، ولا تجعلوا له شريكا فى عبادتكم إياه .

آخر تفسير سورة النجم

(٥٤) سُورَةُ القَمَرِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ۝ ﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ) : دنت الساعة التى تقوم فيها القيامة ، وقوله (اقْتَرَبَتْ) افتعلت من القُرب ، وهذا من الله تعالى ذكره إنذار لعباده بدنوّ القيامة ، وقرب فناء الدنيا ، وأمر لهم بالاستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم ، وهم عنها فى غفلة ساهون .

وقوله (وَانْشَقَّ القَمَرُ) يقول جلّ ثناؤه : وانفلق القمر ، وكان ذلك فيما ذُكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، قبل هجرته إلى المدينة ، وذلك أن كفار أهل مكة سألوه آية ، فأراهم صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر ، آية حجة على صدق قوله ، وحقيقة نبوّته ؛ فلما أراهم أعرضوا وكذّبوا ، وقالوا : هذا سحر مستمرّ ، سحرنا محمد ، فقال الله جلّ ثناؤه (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاءت الآثار ، وقال به أهل التأويل .

ذكر الآثار المروية بذلك ، والأخبار عمن قاله من أهل التأويل

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة « أن أنس بن مالك حدثهم أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر مرّتين » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت قتادة يحدّث ، عن أنس ، قال : انشقّ القمر فرقتين .

حدثنا ابن المثنى والحسن بن أبى يحيى المقدسى ، قالا : ثنا أبوداود ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، قال : سمعت أنسا يقول : « انشقّ القمر عَلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

حدثنى يعقوب الدورقىّ ، قال : ثنا أبوداود ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : سمعت أنسا يقول : فذكر مثله .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : « انشقّ القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّتين » .

حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا سعيد بن أبى عَروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك « أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية ، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حِراء بينهما » .

حدثنى أبوالسائب . قال : ثنا معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبى معمر ، عن عبد الله ، قال : « انشقّ القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى حتى ذهبت منه فرقة خلف الجبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشْهَدُوا » .

حدثنى إسحاق بن أبى إسرائيل ، قال : ثنا النضر بن شميل المازنىّ ، قال : أخبرنا شعبة ، عن سليمان ، قال : سمعت إبراهيم ، عن أبى معمر ، عن عبد الله ، قال « تفلّق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين ، فكانت فرقة على الجبل ، وفرقة من ورائه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللّهُمّ اشْهَدْ » .

حدثنا إسحاق بن أبى إسرائيل ، قال : ثنا النضر ، قال : أخبرنا شعبة ، عن سليمان ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، مثل حديث إبراهيم فى القمر .

حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى ، قال : ثنى عمى يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن رجل ، عن عبد الله ، قال : « كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ، فانشقّ القمر ، فأخذت فرقة خلف الجبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشْهَدُوا » .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله ، قال : « رأيت الجبل من فرج القمر حين انشقّ » .

حدثنا الحسن بن يحيى المقدسى ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال : ثنا أبوعوانة ، عن المُغيرة ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، قال : « انشقّ القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت قريش : هذا سحر ابن أبى كَبْشة سحركم فسلوا السُّفّار ، فسألوهم ، فقالوا : نعم قد رأيناه ، فأنزل الله تبارك وتعالى : (اقْتَرَبَتِ السَّاعةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ) » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبدالله قال : « قد مضى انشقاق القمر »

حدثنى أبوالسائب ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : عبد الله « خمس قد مضين : الدخان ، واللزام ، والبطشة ، والقمر ، والروم » .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : أخبرنا أيوب ، عن محمد ، قال : نُبِّئت أن ابن مسعود كان يقول : قد انشقّ القمر .

قال : أخبرنا ابن علية ، قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السُّلَميّ ، قال : « نزلنا المدائن ، فكنا منها على فرسخ ، فجاءت الجمعة ، فحضر أبي ، وحضرت معه ، فخطبنا حُذيفة ، فقال : ألا إن الله يقول (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قد انشقّ ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ، ألا وإن اليوم المِضْمار ، وغدا السباق ، فقلت لأبي : أتستبق الناس غدا ؟ فقال : يا بنيّ إنك لجاهل ، إنما هو السباق بالأعمال ، ثم جاءت الجمعة الأخرى ، فحضرنا ، فخطب حُذيفة ، فقال : ألا إن الله تبارك وتعالى يقول : (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قد انشقّ ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ، ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق ، ألا وإن الغاية النار ، والسابق من سَبَق إلى الجنة » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن قال : « كنت مع أبي بالمدائن ، قال : فخطب أميرهم ، وكان عطاء يروى أنه حُذيفة ، فقال في هذه الآية : (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) قد اقتربت الساعة وانشقّ القمر ، قد اقتربت الساعة وانشقّ القمر ؛ اليوم المضْمار ، وغدا السباق ، والسابق من سبق إلى الجنة ، والغاية النار ؛ قال : فقلت لأبي : غدا السباق ، قال : فأخبره » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن حصين ، عن محمد بن جُبَير بن مطعم ، عن أبيه ، قال : « انشقّ القمر ، ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن خارجة ، عن الحصين بن عبد الرحمن ، عن ابن جُبَير ، عن أبيه (وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) قال : انشقّ ونحن بمكة .

حدثنا محمد بن عسكر ، قال : ثنا عثمان بن صالح وعبد الله بن عبد الحكم ، قالا : ثنا بكر بن مضر ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عِرَاك [1] ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة ، عن ابن عباس ، قال : « انشقّ القمر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

حدثنا نصر بن عليّ ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود بن أبي هند ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قال : « انشقّ القمر قبل الهجرة ، أو قال : قد مضى ذاك » .

حدثنا إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن علي ، عن ابن عباس بنحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن علي ، عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) قال : ذاك قد مضى كان قبل الهجرة ، انشقّ حتى رأوا شِقَّيه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

(١) ضبطه في التاج بوزن كتاب .

قوله (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) . . . إلى قوله (سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) قال : قد مضى ، كان قد انشقّ القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فأعرض المشركون وقالوا : سحر مستمرّ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) قال : رأوه منشقا .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور وليث ، عن مجاهد « (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) قال : انفلق القمر فلقتين ، فثبتت فلقة ، وذهبت فلقة من وراء الجبل ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : اشْهَدُوا » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبي سنان ، عن ليث ، عن مجاهد « انشقّ القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصار فرقتين ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : اشْهَدْ يا أبا بَكْر فقال المشركون : سحر القمر حتى انشقّ » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبي سنان ، قال : قدم رجل المدائن فقام فقال : إن الله تبارك وتعالى يقول : (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) وإن القمر قد انشقّ ، وقد آذنت الدنيا بفراق ، اليوم المِضْمار ، وغدا السباق ، والسابق . من سبق إلى الجنة ، والغاية النار .

حدثنا بشر ، قال . ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) يحدث الله في خلقه مايشاء .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : سأل أهل مكة النبيّ صلى الله عليه وسلم آية ، فانشقّ القمر بمكة مرّتين ، فقال (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) قد مضى ، كان الشقّ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فأعرض عنه المشركون ، وقالوا : سِحْر مستمرّ .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن عمرو ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال . مضى انشقاق القمر بمكة .

وقوله (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا) يقول تعالى ذكره . وإن ير المشركون علامة تدلهم على حقيقة نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ، ودلالة تدلهم على صدقه فيما جاءهم به عن ربهم ، يعرضوا عنها ، فيولوا مكذّبين بها مُنكرين أن يكون حقا يقينا ، ويقولوا تكذيبا منهم بها ، وإنكارا لها أن تكون حقا : هذا سحر سَحَرَنا به محمد حين خَيَّلَ إلينا أنا نرى القمر منفلقا باثنين بسحره ، وهو سحر مستمرّ ، يعني يقول : سِحر مستمرّ ذاهب ، من قولهم : قد مرّ هذا السحر إذا ذهب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ) قال : ذاهب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وإنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ) قال : إذا رأى أهل الضلالة آية من آيات الله قالوا : إنما هذا عمل السحر ، يوشك هذا أن يستمرّ ويذهب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ) يقول : ذاهب .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ) كما يقول أهل الشرك إذا كُسف القمر يقولون : هذا عمل السحرة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قوله (سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ) قال : حين انشقّ القمر بفلقتين : فِلْقة من وراء الجبل ، وذهبت فلقة أخرى ، فقال المشركون حين رأوا ذلك : سحر مستمرّ .

وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يوجه قوله (مُسْتَمِرٌ) إلى أنه مستفعل من الإمرار من قولهم : قد مرّ الحبل : إذا صلب وقوى واشتدّ وأمررته أنا : إذا فتلته فتلا شديدا ، ويقول : معنى قوله (وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ) : سحر شديد .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ ۝ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : وكذّب هؤلاء المشركون من قريش بآيات الله بعد ما أتتهم حقيقتها ، وعاينوا الدلالة على صحتها برؤيتهم القمر منفلقا فلقتين (وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) يقول : وآثروا اتباع ما دعتهم إليه أهواء أنفسهم من تكذيب ذلك على التصديق بما قد أيقنوا صحته من نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ، وحقيقة ما جاءهم به من ربهم .

وقوله (وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ) يقول تعالى ذكره : وكلّ أمر من خير أو شرّ مستقرّ قراره ، ومتناه نهايته ، فالخير مستقرّ بأهله فى الجنة ، والشرّ مستقرّ بأهله فى النار .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ) : أى بأهل الخير الخير ، وبأهل الشرّ الشرّ .

(١) فى الأصل : (أو) والظاهر أنه ليس قولا ثانياً فى معنى الآية ، وإنما هو بمعنى الأول .

وقوله (وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الأَنْباءِ ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ) يقول تعالى ذكره : ولقد جاء هؤلاء المشركين من قريش الذين كذّبوا بآيات الله ، واتبعوا أهواءهم من الأخبار عن الأمم السالفة ، الذين كانوا من تكذيب رسل الله على مثل الذى هم عليه ، وأحلّ الله بهم من عقوباته ما قصّ فى هذا القرآن ما فيه لهم مزدجر ، يعنى : مايردعهم ، ويزجرهم عماهم عليه مقيمون ، من التكذيب بآيات الله ، وهو مُفْتَعَلٌ من الزَّجْر :

وبنحو الذى قلنا فى معنى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مُزْدَجَرٌ) قال : مُنْتَهى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الأَنْباءِ ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ) : أى هذا القرآن .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الأَنْباءِ ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ) قال : المزدَجَر : المنتهى .

وقوله (حِكْمَةٌ بالِغَةٌ) يعنى بالحكمة البالغة : هذا القرآن ، ورُفعت الحكمةُ ردّا على « ما » التى فى قوله (وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الأَنْباءِ ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ) .

وتأويل الكلام : ولقد جاءهم من الأنباء النبأ الذى فيه مزدَجَر ، حكمة بالغة . ولو رُفعت الحكمة على الاستئناف كان جائزا ، فيكون معنى الكلام حينئذ : ولقد جاءهم من الأنباء النبأ الذى فيه مزدجر ، ذلك حكمة بالغة ، أو هو حكمة بالغة ، فتكون الحكمة كالتفسير لها .

وقوله (فَمَا تُغْنِى النُّذُرُ) وفى « ما » التى فى قوله (فَمَا تُغْنِى النُّذُرُ) وجهان : أحدهما أن تكون بمعنى الجحد ، فيكون إذا وجهت إلى ذلك معنى الكلام ، فليست تغنى عنهم النذر ولاينتفعون بها ، لإعراضهم عنها وتكذيبهم بها . والآخر : أن تكون بمعنى : أىّ ، فيكون معنى الكلام إذا وجهت إلى ذلك : فأىّ شىء تُغنى عنهم النُّذر . والنُّذر : جمع نذير ، كالجُدُد : جمع جديد ، والحُصُر : جمع حَصير .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ ۝ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ۝ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝

يعنى تعالى ذكره بقوله (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) : فأعرض يامحمد عن هؤلاء المشركين من قومك ، الذين إن يروا آية يعرضوا ويقولوا : سِحْر مستمرّ ، فإنهم يوم يدعو داعى الله إلى موقف القيامة ، وذلك هو الشىء النُّكُر (خُشَّعًا أَبْصارُهُمْ) يقول : ذليلة أبصارُهم خاشعة ، لاضرر بها (يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْداثِ)

وهى جمع جدَث ، وهى القبور ، وإنما وصف جلّ ثناؤه بالخشوع الأبصار دون سائر أجسامهم ، والمراد به جميع أجسامهم ، لأن أثر ذلة كل ذليل ، وعزّة كل عزيز ، تتبين فى ناظريه دون سائر جسده ، فلذلك خصّ الأبصار بوصفها بالخشوع .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (خُشَّعا أَبْصَارُهُمْ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (خاشِعا أَبْصَارُهُمْ) : أى ذليلة أبصارهم :

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (خاشِعا أَبْصَارُهُمْ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة وبعض المكيين الكوفيين (خُشَّعا) بضم الخاء وتشديد الشين ، بمعنى خاشع ؛ وقرأه عامة قرّاء الكوفة وبعض البصريين (خاشِعاً أَبْصَارُهُمْ) بالألف على التوحيد اعتبارا بقراءة عبد الله ، وذلك أن ذلك فى قراءة عبد الله (خاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ) ، وألحقوه وهو بلفظ الاسم فى التوحيد ، إذ كان صفة بحكم فَعَلَ ويَفْعَل فى التوحيد إذا تقدّم الأسماء ، كما قال الشاعر :

وشَبابٍ حَسَنٍ أَوْجُهُهُمْ مِنْ إيادِ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدّ[1]

فوحّد حَسَنا وهو صفة للأوجه ، وهى جمع ؛ وكما قال الآخر :

يَرْمِى الفِجاجَ بِها الرُّكْبانَ مُعْتَرِضًا أَعْناقَ بُزَّلِها مُرْخَى لَهَا الجُدُلُ[2]

فوحد معترضا ، وهى من صفة الأعناق ، والجمع والتأنيث فيه جائزان على ما بيّنا .

وقوله (كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ) يقول تعالى ذكره : يخرجون من قبورهم كأنهم فى انتشارهم وسعيهم إلى موقف الحساب جراد منتشر .

وقوله (مُهْطِعِينَ إلى الدَّاعِ) يقول : مسرعين بنظرهم قِبَلَ داعيهم إلى ذلك الموقف .وقد بيّنا معنى الإهطاع بشواهده المغنية عن الإعادة ، ونذكر بعض ما لم نذكره فيما مضى من الرواية .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عثمان بن يسار ، عن تميم ن حَذْلَم قوله : (مُهْطِعِينَ إلى الدَّاعِ) قال : هو التحميج .

---

(١) البيت للحارث بن دوس الإيادى ، ويروى لأبى دواد الإيادى ، (هامش القرطبى ١٧ : ١٢٩) والبيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣١٧) قال : إذا تقدم الفعل قبل اسم مؤنث ، وهو له ، أو قبل جمع مؤنث مثل الأنصار والأعمار وما أشبهها جاز تأنيث الفعل وتذكيره وجمعه ، وقد أتى بذلك فى هذا الحرف ، فقرأه ابن عباس : « خاشعا أبصارهم » حدثنى بذلك هشيم وأبو معاوية ، عن وائل بن داود ، عن مسلم بن يسار ، عن ابن عباس ، أنه قرأها « خاشعا » . قال : وحدثنى هشيم ، عن عوف الأعرابى ، عن الحسن وأبى رجاء العطاردى : أن أحدهما قال : « خاشعا » والآخر : « خشعا » قال الفراء : وهى فى قراءة عبد الله (ابن مسعود) : (خاشعة أبصارهم » . وقرأ الناس بعد : «خشعا أبصارهم » ، وقد قال الشاعر : « وشباب حسن . . . » البيت .

(٢) وهذا الشاهد كذلك من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣١٧) على أنه إذا تقدم الفعل وشبهه قبل اسم مؤنث (جمع تكسير) مثل الأنصار والأعمار وما أشبهها جاز تأنيث الفعل وتذكيره وجمعه . وقال الفراء تعليقا على هذا البيت : الجدل : جمع الجديل ؛ وهو الزمام . فلو قال معترضات أو معترضة ، لكان صوابا ، ومرخاة ومرخيات . اهـ .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سفيان ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبي الضحى (مُهْطِعِينَ إلى الدَّاعِ) قال : التحميج .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان (مُهْطِعِينَ إلى الدَّاعِ) قال : هكذا أبصارهم شاخصة إلى السماء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مُهْطِعِينَ إلى الدَّاعِى) : أى عامدين إلى الداع .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مُهْطِعِينَ) يقول : ناظرين .

وقوله (يَقُولُ الكافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ) يقول تعالى ذكره : يقول الكافرون بالله يوم يدع الداعى إلى شيء نكُر : هذا يوم عسر . وإنما وصفوه بالعسر لشدة أهواله وبَلْبَاله .

القول في تأويل قوله تعالى :

* كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۞ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ۞

✽ وهذا وعيد من الله تعالى ذكره ، وتهديد للمشركين من أهل مكة وسائر من أرْسَلَ إليه رسولَه محمدا صلى الله عليه وسلم على تكذيبهم إياه ، وتقدم منه إليهم إن هم لم ينيبوا من تكذيبهم إياه ، أنه محلّ بهم ما أحل بالأمم الذين قصّ قصصهم فى هذه السورة من الهلاك والعذاب ، ومنجّ نبيه محمدا والمؤمنين به ، كما نجّى من قبله الرسل وأتباعهم من نقمه التى أحلّها بأممهم ، فقال جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : كذّبت يامحمد قبل هؤلاء الذين كذّبوك من قومك ، الذين إذا رأوْا آية أعرضوا وقالوا سحر مستمرّ ، قوم نوح ، فكذّبو عبدنا نوحا إذ أرسلناه إليهم ، كما كذّبتك قريش إذ أتيتهم بالحقّ من عندنا وقالوا : هو مجنون وازدجر ، وهو افْتُعِلَ من زجرت ، وكذا تفعل العرب بالحرف إذا كان أوّله زايا صيروا تاء الافتعال منه دالا من ذلك قولهم : ازدجر من زجرت ، وازدلف من زلفت ، وازديد من زدت .

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ الذى زَجَرُوه ، فقال بعضهم : كان زجرهم إياه أن قالوا : استُطِير جنونا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ) قال : استطير جنونا .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، بمثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَازْدُجِرَ) قال : استُطِير جنونا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد فى هذه الآية (وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ) قال : استعر جنونا .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، قال : وأخبرنى شعبة بن الحجاج ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : بل كان زجرهم إياه ، وعيدهم له بالشتم والرجم بالقول القبيح .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ) قال : اتهموه وزجروه وأوعدوه لئن لم يفعل ليكونن من المرجومين ، وقرأ (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَانُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ) .

وقوله (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ) يقول تعالى ذكره : فدعا نوح ربه : إن قومى قد غلبونى ، تمردا وعتوا ، ولا طاقة لى بهم ، فانتصر منهم بعقاب من عندك على كفرهم بك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : (فَفَتَحْنَا) لما دعانا نوح مستغيثا بنا على قومه (أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ) وهو المندفق ، كما قال امرؤ القيس فى صفة غيث :

رَاحَ تَمْرِيهِ الصَّبَا ثُمَّ انْتَحَى فِيهِ شُؤْبُوبُ جَنُوبٍ مُنْهَمِرْ[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ) قال : ينصب انصبابا .

وقوله (وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا) يقول جل ثناؤه : وأسلنا الأرض عيون الماء .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، فى قوله (وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا) قال : فجرنا الأرض الماء وجاء من السماء (فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ) يقول تعالى ذكره : فالتقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قد قدره الله وقضاه .

(١) البيت لامرئ القيس بن حجر ، من مقطوعة فى ثمانية أبيات يصف فيها غيثا : (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ١١٠ - ١١١) قال شارحه : راح : عاد السحاب بالمطر آخر النهار . وتمريه : تستدره ، وأصله من مرى الضرع ، وهو مسحه باليد ليدر ، والسحاب حين تضربه ريح الصبا الباردة ، يتجمع ويتكاثف ، فيسقط مطرا ، ثم جاءت الجنوب عندهم محملة بالأمطار من بحر الهند ، فأضافت إلى هذا السحاب شؤبوبا آخر جنوبيا ، فتضاعف المطر وانهمر انهمارا . اهـ . وموضع الشاهد فى البيت : أن المنهمر فى قوله تعالى : « بماء منهمر » معناه : المتدفق . الشديد الانصباب . اهـ .

كما حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (فالْتَقَى المَاءُ على أمْرٍ قَدْ قُدِرَ) قال : ماء السماء وماء الأرض . وإنما قيل : فالتقى الماء على أمر قد قدر ، والالتقاء لايكون من واحد ، وإنما يكون من اثنين فصاعدا ، لأن الماء قد يكون جمعا وواحدا ، وأريد به فى هذا الموضع : مياه السماء ومياه الأرض ، فخرج بلفظ الواحد ومعناه الجمع . وقيل : التقى الماء على أمر قد قُدر ، لأن ذلك كان أمرا قد قضاه الله فى اللوح المحفوظ .

كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب قال : كانت الأقوات قبل الأجساد ، وكان القدر قبل البلاء ، وتلا (فالْتَقَى المَاءُ على أمْرٍ قَدْ قُدِرَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤ ﴾

يقول تعالى ذكره : وحملنا نوحا إذ التقى الماء على أمر قد قُدر ، على سفينة ذات ألواح ودُسُر . والدسر : جمع دسار ؛ وقد يقال فى واحدها : دسير ، كما يقال : حَبِيك وحباك ؛ والدِّسار : المسمار الذى تشدّ به السفينة ؛ يقال منه : دسرت السفينة إذا شددتّها بمسامير أو غيرها .

وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك ، فقال بعضهم فى ذلك بنحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، أخبرنى ابن لهيعة ، عن أبى صخر ، عن القُرَظى ، وسُئل عن هذه الآية (وحَمَلْنَاهُ على ذَاتِ ألْوَاحٍ ودُسُرٍ) قال : الدُّسُر : المسامير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وحَمَلْنَاهُ على ذَاتِ ألْوَاحٍ ودُسُرٍ) حدثنا أن دُسُرَها : مساميرها التى شُدَّت بها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (ذَاتِ ألْوَاحٍ) قال : معاريض السفينة ؛ قال : ودُسُر : قال دُسِرت بمسامير .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَدُسُرٍ) قال : الدسر : المسامير التى دُسرت بها السفينة ، ضُربت فيها ، شُدّت بها .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَدُسُرٍ) يقول : المسامير .

وقال آخرون : بل الدُّسُر : صَدْر السفينة ، قالوا : وإنما وصف بذلك لأنه يدفع الماء ويدْسُرُه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وحَمَلْنَاهُ على ذَاتِ ألْوَاحٍ ودُسُرٍ) قال : تدسُر الماء بصدرها ، أو قال : بِجُؤْجُؤِها

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول فى قوله (وَدُسُرٍ) جؤجؤها تَدْسُرُ به الماء .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر، عن الحسن أنه قال : تدسر الماء بصدرها .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى، قال : ثنى عمى، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَدُسُرٍ) قال : الدُّسُر : كَلْكَل السفينة .

وقال آخرون : الدسر : عوارض السفينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الحصين ، عن مجاهد (ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ) قال : ألواح السفينة ودسر عوارضها .

وقال آخرون : الألواح : جانباها ، والدُّسُر : طرفاها .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ) أما الألواح : فجانبا السفينة . وأما الدُّسُر : فطرفاها وأصلاها .

وقال آخرون : بل الدُّسُر : أضلاع السفينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَدُسُرٍ) قال : أضلاع السفينة .

وقوله (تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا) يقول جلّ ثناؤه : تجرى السفينة التى حملنا نوحا فيها بمرأى منا ومنظر.

وذُكر عن سفيان فى تأويل ذلك ما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، فى قوله (تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا) يقول : بأمرنا (جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ) .

اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : تأويله فعلنا ذلك ثوابا لمن كان كُفر فيه ، بمعنى : كفر بالله فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ) قال : كَفَرَ بالله .

وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ) قال : لمن كان كفر فيه .

ووجه آخرون معنى « مَنْ » إلى معنى « ما » فى هذا الموضع ، وقالوا : معنى الكلام : جزاء لما كان كَفَرَ من أيادى الله ونعمه عند الذين أهلكهم وغرّقهم من قوم نوح .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ) قال : لمن كان كفر نعم الله ، وكفر بأياديه وآلائه ورسله وكتبه ، فإن ذلك جزاء له .

❁ والصواب من القول فى ذلك عندى ما قاله مجاهد ، وهو أن معناه : ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ، وفجّرنا الأرض عيونا ، فغرّقنا قوم نوح ، ونجينا نوحا عقابا من الله وثوابا للذى جُحِد وكُفِر ، لأن معنى الكفر : الجحود ، والذى جحد ألوهته ووحدانيته قوم نوح ، فقال بعضهم لبعض : (لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ، وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا ، وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) ، ومن ذهب به إلى هذا التأويل ، كانت من الله ، كأنه قيل : عوقبوا لله ولكفرهم به . ولو وجّه مُوَجِّه إلى أنها مراد بها نوح والمؤمنون به كان مذهبا ، فيكون معنى الكلام حينئذ ، فعلنا ذلك جزاء لنوح ولمن كان معه فى الفلك ، كأنه قيل : غرقناهم لنوح ولصنيعهم بنوح ما صنعوا من كفرهم به .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾

❁ يقول تعالى ذكره : ولقد تركنا السفينة التى حملنا فيها نوحا ومن كان معه آية ، يعنى عِبْرة وعظة لمن بعد قوم نوح من الأمم ليعتبروا ويتعظوا ، فينتهوا عن أن يسلكوا مسلكهم فى الكفر بالله ، وتكذيب رسله ، فيصيبهم مثل ما أصابهم من العقوبة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) قال : أبقاها الله بباقَرْدى من أرض الجزيرة ، عبرة وآية ، حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة نظرا ، وكم من سفينة كانت بعدها قد صارت رمادا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً) قال : ألقى الله سفينة نوح على الجودىّ حتى أدركها أوائل هذه الأمة .

قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن مجاهد ، أن الله حين غرّق الأرض ، جعلت الجبال تشمخ ، فتواضع الجودىّ ، فرفعه الله على الجبال ، وجعل قرار السفينة عليه .

وقوله (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) يقول : فهل من ذى تذكر يتذكر ما قد فعلنا بهذه الأمة التى كفرت بربها ، وعصت رسوله نوحا ، وكذّبته فيما أتاهم به عن ربهم من النصيحة ، فيعتبر بهم ، ويحذر أن يَحِلّ به من عذاب الله بكفره بربه ، وتكذيبه رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، مثل الذى حلّ بهم ، فيُنيب إلى التوبة ، ويراجع الطاعة . وأصل مدّكر : مفتعل من ذكر ، اجتمعت فاء الفعل ، وهى ذال وتاء ، وهى

بعد الذال ، فصيرتا دالا مشدّدة ، وكذلك تفعل العرب فيما كان أوّله ذالا يتبعها تاء الافتعال يجعلونهما جميعا دالا مشدّدة ، فيقولون : ادّكرت ادّكارا ، وإنما هو اذتكرت اذتكارا ، وفهل من مذتكر ، ولكن قيل : ادّكرت ومدّكر لما قد وصفت ، قد ذُكر عن بعض بنى أسد أنهم يقولون فى ذلك مذّكر ، فيقلبون الدال ويعتبرون الدال والتاء ذالا مشددة . وذُكر عن الأسود بن يزيد أنه قال : قلت لعبد الله بن مسعود : فهل من مدّكر ، أو مذّكر ، فقال : أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم (مُدّكر) يعنى بدال مشددة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) قال : المدّكر : الذى يتذكر ، وفى كلام العرب : المدّكر : المتذكر .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) قال : فهل من مذّكر .

وقوله (فَكَيْفَ كانَ عَذَابِي وَنُذُرِ) يقول تعالى ذكره : فكيف كان عذابى لهؤلاء الذين كفروا بربهم من قوم نوح ، وكذبوا رسوله نوحا ، إذ تمادوا فى غيهم وضلالهم ، وكيف كان إنذارى بما فعلت بهم من العقوبة التى أحللت بهم بكفرهم بربهم ، وتكذيبهم رسوله نوحا ، صلوات الله عليه ، وهو إنذار لمن كفر من قومه من قريش ، وتحذير منه لهم ، أن يحلّ بهم على تماديهم فى غيهم ، مثل الذى حلّ بقوم نوح من العذاب .

وقوله (وَنُذُرِ) يعنى : وإنذارى ، وهو مصدر .

وقوله (وَلَقَدْ يَسَّرْنا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ) يقول تعالى ذكره : ولقد سهّلنا القرآن ، بيّناه وفصلناه للذكر ، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر ويتعظ ، وهوّناه .

كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَسَّرْنا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ) قال : هوّناه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَقَدْ يَسَّرْنا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ) قال : يسّرنا : بيّنّا .

وقوله (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) يقول : فهل من معتبر متعظ يتذكر فيعتبر بما فيه من العبر والذكر .

وقد قال بعضهم فى تأويل ذلك : هل من طالب علم أو خير فيُعان عليه ، وذلك قريب المعنى مما قلناه ، ولكنا اخترنا العبارة التى عبرناها فى تأويله ، لأن ذلك هو الأغلب من معانيه على ظاهره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ يَسَّرْنا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) يقول : فهل من طالب خير يُعان عليه .

حدثنا الحسين بن علىّ الصُّدَائىّ ، قال : ثنا يعقوب ، قال : ثنى الحارث بن عبيد الإيادىّ ، قال : سمعت قتادة يقول فى قول الله (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) قال : هل من طالب خير يُعان عليه .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة أو أيوب بن سويد أو كلاهما ، عن ابن شَوْذَب ، عن مطر ، فى قوله (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) قال : هل من طالب علم فيعان عليه.

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ ﴾

☙ يقول تعالى ذكره : كذّبت أيضا عاد نبيهم هودا صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به عن الله ، كالذى كذّبت قوم نوح ، وكالذى كذّبتم معشر قريش نبيكم محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى جميع رسله ، (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ) يقول : فانظروا معشر كفرة قريش بالله كيف كان عذابى إياهم ، وعقابى لهم على كفرهم بالله ، وتكذيبهم رسوله هودا ، وإنذارى بفعلى بهم مافعلت من سلك طرائقهم ، وكانوا على مثل ماكانوا عليه من التمادى فى الغىّ والضلالة .

وقوله (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) يقول تعالى ذكره : إنا بعثنا على عاد إذ تمادوا فى طغيانهم وكفرهم بالله ريحا صرصرا ، وهى الشديدة العصوف فى برد ، التى لصوتها صرير ، وهى مأخوذة من شدة صوت هبوبها إذا سمع فيها كهيئة قول القائل : صرّ ، فقيل منه : صرصر ، كما قيل : فكبكبوا فيها ، من فكبوا ، ونهنهتُ من نهّهتُ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (رِيحًا صَرْصَرًا) قال : ريحا باردة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) والصّرصر : الباردة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : الصَّرصر : الباردة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا مُعاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (رِيحًا صَرْصَرًا) باردة .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (رِيحًا صَرْصَرًا) قال : شديدة ، والصرصر : الباردة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (رِيحًا صَرْصَرًا) قال : الصرصر : الشديدة .

وقوله (فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ) يقول : فى يوم شرّ وشؤم لهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : النَّحْس : الشؤم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فِي يَوْمِ نَحْسٍ) قال النحس : الشرّ (فِي يَوْمِ نَحْسٍ) فى يوم شرّ .

وقد تأوّل ذلك آخرون بمعنى شديد ، ومن تأوّل ذلك كذلك فإنه يجعله من صفة اليوم ، ومن جعله من صفة اليوم ، فإنه ينبغى أن يكون قراءته بتنوين اليوم ، وكسر الحاء من النَّحِس ، فيكون (فِي يَوْمٍ نَحِسٍ) كما قال جلّ ثناؤه (فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ) ولا أعلم أحدا قرأ ذلك كذلك فى هذا الموضع ، غير أن الرواية التى ذكرت فى تأويل ذلك عمن ذكرت عنه على ماوصفنا تدلّ على أن ذلك كان قراءة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فِي يَوْمِ نَحْسٍ) قال : أيام شداد .

وحُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فِي يَوْمِ نَحْسٍ) يوم شديد .

وقوله (مُسْتَمِرٍّ) يقول : فى يوم شرّ وشؤم ، استمرّ بهم البلاء والعذاب فيه إلى أن وافى بهم جهنم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ) يستمرّ بهم إلى نار جهنم .

وقوله (تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) يقول : تقتلع الناس ثم ترمى بهم على رءوسهم ، فتندقّ رقابهم ، وتبين من أجسامهم .

كما حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما هاجت الريح قام نفر من عاد سبعة سماهم لنا ، منهم ستة من أشدّ عاد وأجسمها ، منهم عمرو بن الحُلَىّ والحارث بن شداد والهلقام وابنا تيقن وخَلَجان بن أسعد ، فأدلجوا العيال فى شعب بين جبلين ، ثم اصطفوا على باب الشعب ليردّوا الريح عمن بالشّعب من العيال ، فجعلت الريح تخفقهم رجلا رجلا ، فقالت امرأة من عاد :

ذَهَبَ الدَّهْرُ بِعَمْرِو بْنِ حُلَيٍّ وَالهَنِيَّاتِ
ثُمَّ بِالحَارِثِ وَالهِلْقَامِ طَلَّاعِ الثَّنِيَّاتِ

وَالَّذِى سَ... عَلَيْنَا الرِّيحَ أَيَّامَ البَلِيَّاتِ[1]

حدثنا العباس بن ... يد البيروتى ، قال : أخبرنى أبى ، قال : ثنى إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن إسحاق قال : لما ... ت الريح قام سبعة من عاد ، فقالوا : نرد الريح ، فأتوا فم الشعب الذى يأتى منه الريح ، فوقفوا ... ، فجعلت الريح تهب ، فتدخل تحت واحد واحد ، فتقتلعه من الأرض فترمى به على رأسه ، ... دق رقبته ، ففعلت ذلك بستة منهم ، وتركتهم كما قال الله (أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) وبقى الخلجان فأتى هودا فقال : ياهود ماهذا الذى أرى فى السحاب كهيئة البخاتىّ ؟ قال : تلك ملائكة ربى ، قال : مالى إن أسلمت ؟ قال : تَسْلَم ، قال : أيُقيدنى ربك إن أسلمت من هؤلاء ؟ فقال : ويلك أرأيت ملكا يقيد جنوده ؟ فقال : وعزّته لوفعل ما رضيت . قال : ثم مال إلى جانب الجبل ، فأخذ بركن منه فهزّه ، فاهتزّ فى يده ، ثم جعل يقول :

لَمْ يَبْقَ إلاَّ الخَلَجانُ نَفْسُهُ ... يالَكَ مِنْ يَوْمٍ دَهانِى أمْسُهُ
بِثابِتِ الوَطْءِ شَدِيدٍ وَطْسُهُ ... لَوْ لَمْ يَجِئْنِى جِئْتُهُ أَحُسُّهُ[2]

قال : ثم هبت الريح فألحقته بأصحابه .

حدثنى محمد بن إبراهيم ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا نوح بن قيس ، قال : ثنا محمد بن سيف ، عن الحسن ، قال : لما أقبلت الريح قام إليها قوم عاد ، فأخذ بعضهم بأيدى بعض كما تفعل الأعاجم ، وغمزوا أقدامهم فى الأرض وقالوا : ياهود من يزيل أقدامنا عن الأرض إن كنت صادقا ، فأرسل الله عليهم الريح فصيرتهم كأنهم أعجاز نخل مُنْقَعِر .

حدثنى محمد بن إبراهيم ، قال : ثنا مسلم ، قال : ثنا نوح بن قيس ، قال : ثنا أشعث بن جابر ، عن شهر بن حوشب ، عن أبى هريرة ، قال : إن كان الرجل من قوم عاد ليتخذ المصراعين من حجارة ، لو اجتمع عليها خمس مئة من هذه الأمة لم يستطيعوا أن يحملوها ، وإن كان الرجل منهم ليغمز قدمه فى الأرض ، فتدخل فى الأرض ، وقال : كأنهم أعجاز نخل ؛ ومعنى الكلام : فيتركهم كأنهم أعجاز نخل منقعر ، فترك ذكر فيتركهم استغناء بدلالة الكلام عليه . وقيل : إنما شبههم بأعجاز نخل منقعر ، لأن رءوسهم كانت تبين من أجسامهم ، فتذهب لذلك رقابهم ، وتبقى أجسادهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن هلال بن خباب ، عن مجاهد ، فى قوله (كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) قال : سقطت رءوسهم كأمثال الأخبية ، وتفردت ، أو وتفرقت أعناقهم « قال أبو جعفر : أنا أشك » ، فشبهها بأعجاز نخل منقعر .

---

(١) هذه الأبيات لامرأة من عاد قوم هود عليه السلام (هامش القرطبى ١٧ : ١٣٦) . وقد ذكر المؤلف الأبيات فى قصة عاد حينما سلط الله عليهم الريح . والله أعلم بمن قالها وبمن رواها . وقوله (علينا) . زيادة لإصلاح الوزن ، وهى ساقطة من الأصل .

(٢) وهذان البيتان من الأشعار التى رواها أهل القصص فى قصة هلاك عاد قوم هود بالريح . وقد أوردها الثعلبى المفسر فى كتابه قصص الأنبياء المشهور بعرائس المجالس ص ٦٤ من طبعة الحلبى . اهـ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ)قال : هم قوم عاد حين صرعتهم الريح ، فكأنهم فِلَق نخل منقعر (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ) يقول تعالى ذكره : فانظروا يامعشر كفار قريش ، كيف كان عذابي قوم عاد ، إذ كفروا بربهم ، وكذّبوا رسوله ، فإن ذلك سنة الله في أمثالهم ، وكيف كان إنذاري بهم من أنذرت .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد سهلنا القرآن وهوّناه لمن أراد التذكر به والاتعاظ (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) يقول : فهل من متعظ ومنزجر بآياته .

وقوله (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ) يقول تعالى ذكره : كذّبت ثمود قوم صالح بنذر الله التي أتتهم من عنده ، فقالوا تكذيبا منهم لصالح رسول ربهم : أبشرا منا نتبعه نحن الجماعة الكبيرة ، وهو واحد ؟ .

وقوله (إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ) يقول: قالوا : إنا إذًا باتباعنا صالحا إن اتبعناه وهو بشر منا واحد لفي ضلال : يعنون : لفي ذهاب عن الصواب وأخذ على غير استقامة؛ وسُعُر : يعنون بالسُّعُر : جمع سَعير .

وكان قتادة يقول : عني بالسُّعُر : العناء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ) : في عناء وعذاب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ) قال : ضلال وعناء .

القول في تأويل قوله تعالى:

أَءُلْقِىَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل مكذّبي رسوله صالح صلى الله عليه وسلم من قومه ثمود : أألقي عليه الذكر من بيننا ، يعنون بذلك : أنزل الوحي وخصّ بالنبوّة من بيننا وهو واحد منا ، إنكارا منهم أن يكون الله يُرسل رسولا من بني آدم .

وقوله (بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ) يقول : قالوا : ماذلك كذلك ، بل هو كذّاب أشر ، يعنون بالأشر : المَرِح ذا التجبّر والكبرياء ، والمَرِح من النشاط .

وقد حدثني الحسن بن محمد بن سعيد القرشيّ ، قال : قلت لعبد الرحمن بن أبي حماد : ما الكذّاب الأشر ؟ قال : الذى لايبالى ما قال ، وبكسر الشين من الأشِر وتخفيف الراء قرأت قرّاء الأمصار . وذُكر عن مجاهد أنه كأن يقرؤه : (كَذّابٌ أشُرٌ) بضم الشين وتخفيف الراء ، وذلك فى الكلام نظير الحِذِر والحذُر والعَجِل والعَجُل .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ، ما عليه قرّاء الأمصار لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقوله (سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الكَذّابُ الأَشِرُ) يقول تعالى ذكره : قال الله لهم : ستعلمون غدا فى القيامة من الكذّاب الأشر منكم معشر ثمود ، ومن رسولنا صالح حين تردون على ربكم ، وهذا التأويل تأويل من قرأه (سَتَعْلَمُونَ) بالتاء ، وهى قراءة عامة أهل الكوفة سوى عاصم والكسائى . وأما تأويل ذلك على قراءة من قرأه بالياء ، وهى قراءة عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة وعاصم والكسائى ، فإنه قال الله : (سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الكَذّابُ الأَشِرُ) وترك من الكلام ذكر قال الله ، استغناء بدلالة الكلام عليه .

والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، لتقارب معنييهما ، وصحتهما فى الإعراب والتأويل .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾

يقول تعالى ذكره : إنا باعثو الناقة التى سألتها ثمودُ صالحا من الهضبة التى سألوه بعثها منها آية لهم ، وحجة لصالح على حقيقة نبوّته وصدق قوله .

وقوله (فِتْنَةً لَهُمْ) يقول : ابتلاء لهم واختبارا ، هل يؤمنون بالله ويتبعون صالحا ويصدّقونه بما دعاهم إليه من توحيد الله إذا أرسل الناقة ، أم يكذّبونه ويكفرون بالله ؟

وقوله (فارْتَقِبْهُمْ) يقول تعالى ذكره لصالح : إنا مُرسلو الناقة فتنة لهم ، فانتظرهم ، وتبصّر ماهم صانعوه بها (وَاصْطَبِرْ) يقول له : واصطبر على ارتقابهم ولا تعجل ، وانتظر ما يصنعون بناقة الله وقيل : (وَاصْطَبِرْ) وأصل الطاء تاء ، فجعلت طاء ، وإنما هو افتعل من الصبر .

وقوله (ونَبِّئْهُمْ أنَّ الماءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ) يقول تعالى ذكره : نبئهم : أخبرهم أن الماء قسمة بينهم ، يوم غبّ الناقة ، وذلك أنها كانت ترد الماء يوما ، وتغبّ يوما ، فقال جلّ ثناؤه لصالح : أخبر قومك من ثمود أن الماء يوم غبّ الناقة قسمة بينهم ، فكانوا يقتسمون ذلك يوم غبها ، فيشربون منه ذلك اليوم ، ويتزوّدون فيه منه ليوم ورودها .

وقد وجه تأويل ذلك قوم إلى أن الماء قسمة بينهم وبين الناقة يوما لهم ويوما لها ، وأنه إنما قيل بينهم ، والمعنى : ما ذكرت عندهم ، لأن العرب إذا أرادت الخبر عن فعل جماعة بنى آدم مختلطا بهم البهائم ، جعلوا الفعل خارجا مخرج فعل جماعة بنى آدم ، لتغليبهم فعل بنى آدم على فعل البهائم .

وقوله (كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ) يقول تعالى ذكره : كلّ شرب من ماء يوم غبّ الناقة ، ومن لبن يوم ورودها محتضر يحتضرونه :

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ) قال : يحضرون بهم الماء إذا غابت ، وإذا جاءت حضروا اللبن .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ) قال : يحضرون بهم الماء إذا غابت ، وإذا جاءت حضروا اللبن .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾

يقول تعالى ذكره : فنادت ثمود صاحبهم عاقر الناقة قدار بن سالف ليعقر الناقة حضًا منهم له على ذلك .

وقوله (فَتَعَاطَى فَعَقَرَ) يقول : فتناول الناقة بيده فعقرها .

وقوله (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ) يقول جلّ ثناؤه لقريش : فكيف كان عذابى إياهم معشر قريش حين عذّبتهم ألم أهلكهم بالرجفة : ونُذُرِ : يقول : فكيف كان إنذارى من أنذرت من الأمم بعدهم بما فعلت بهم وأحللت بهم من العقوبة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَتَعَاطَى فَعَقَرَ) قال : تناولها بيده (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ) قال : يقال : إنه ولد زنية فهو من التسعة الذين كانوا يفسدون فى الأرض ، ولا يصلحون ، وهم الذين قالوا لصالح (لَنُبَيِّتَنَّهُ وأَهْلَهُ) ولنقتلنهم .

وقوله (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً) وقد بيّنّا فيما مضى أمر الصيحة ، وكيف أتتهم ، وذكرنا ما روى فى ذلك من الآثار ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) يقول تعالى ذكره فكانوا بهلاكهم بالصيحة بعد نضارتهم أحياء ، وحسنهم قبل بوارهم كيبيس الشجر الذى حظرته بحظير حظرته بعد حُسن نباته ، وخُضرة ورقه قبل يُبسه .

وقد اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله (كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) فقال بعضهم : عنى بذلك : العظام المحترقة ، وكأنهم وجّهوا معناه إلى أنه مثّل هؤلاء القوم بعد هلاكهم وبلائهم بالشىء الذى أحرقه محرق فى حظيرته .

ذكر من قال ذلك

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كُدينة ، قال : ثنا قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس (كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) قال : كالعظام المحترقة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) قال : المحترق . ولا بيان عندنا فى هذا الخبر عن ابن عباس ، كيف كانت قراءته ذلك ، إلا أنا وجّهنا معنى قوله هذا على النحو الذى جاءنا من تأويله قوله (كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) إلى أنه كان يقرأ ذلك كنحو قراءة الأمصار ، وقد يحتمل تأويله ذلك كذلك أن يكون قراءته كانت بفتح الظاء من المحتظر ، على أن المحتظر نعت للهشيم ، أضيف إلى نعته ، كما قيل : (إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) وقد ذُكر عن الحسن وقتادة أنهما كانا يقرآن ذلك كذلك ، ويتأوّلانه هذا التأويل الذى ذكرناه عن ابن عباس .

حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنى أبى ، عن الحسن ، قال : كان قتادة يقرأ (كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) يقول : المحترق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَكَأَنَّهُ كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) يقول : كهشيم محترق .

وقال آخرون : بل عنى بذلك التراب . الذى يتناثر من الحائط .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جُبَيْر (كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) قال : التراب الذى يتناثر من الحائط .

وقال آخرون : بل هو حظيرة الراعى للغنم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق وأسنده ، قال (الْمُحْتَظِرِ) حظيرة الراعى للغنم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) المحتظر : الحظيرة تتخذ للغنم فتيبس ، فتصير كهشيم المحتظر ، قال : هو الشوك الذى تحظر به العرب حول مواشيها من السباع والهشيم : يابس الشجر الذى فيه شوك ذلك الهشيم .

وقال آخرون : بل عنى به هشيم الخيمة ، وهو ما تكسّر من خشبها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن مجاهد ، فى قوله (كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) قال : الرجل يهشم الخيمة .

وحدثنى الحارث ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) الهشيم : الخيمة .

وقال آخرون : بل هو الورق الذى يتناثر من خشب الحطب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (كَهَشِيمِ) قال : الهشيم : إذا ضربت الحظيرة بالعصا تهشم ذاك الورق فيسقط . والعرب تسمى كل شيء كان رطبا فيبس هشيما

القول في تأويل قوله تعالى:

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد هوّنا القرآن بيّناه للذكر : يقول : لمن أراد أن يتذكر به فيتعظ (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) يقول : فهل من متّعظ به ومعتبر فيعتبر به ، فيرتدع عما يكرهه الله منه .

وقوله (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ) يقول تعالى ذكره : كذّبت قوم لوط بآيات الله التى أنذرهم وذكرهم بها .

وقوله (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا) يقول تعالى ذكره : إنا أرسلنا عليهم حجارة .

وقوله (إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ) يقول : غير آل لوط الذين صدّقوه واتبعوه على دينه فانا نجّيناهم من العذاب الذى عذّبنا به قومه الذين كذّبوه ، والحاصب الذى حصبناهم به بسحر : بنعمة من عندنا : يقول : نعمة أنعمناها على لوط وآله ، وكرامة أكرمناهم بها من عندنا .

وقوله (كَذَلِكَ نَجْزِى مَنْ شَكَرَ) يقول : وكما أثبنا لوطا وآله ، وأنعمنا عليه ، فأنجيناهم من عذابنا بطاعتهم إيانا كذلك نثيب من شكرنا على نعمتنا عليه ، فأطاعنا وانتهى إلى أمرنا ونهينا من جميع خلقنا.

وأجرى قوله بسحر ، لأنه نكرة ، وإذا قالوا : فعلت هذا سحر بغير باء لم يجروه .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد أنذر لوط قومه بطشتنا التى بطشناها قبل ذلك (فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ) يقول : فكذّبوا بإنذاره ما أنذرهم من ذلك شكا منهم فيه .

وقوله (فَتَمَارَوْا) تفاعلوا من المرية :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ) لم يصدّقوه ، وقوله (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ) يقول جلّ ثناؤه : ولقد راود لوطا قومه عن ضيفه الذين نزلوا به حين أراد الله إهلاكهم (فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ) يقول : فطمسنا على أعينهم حتى صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شقّ ، فلم يبصروا ضيفه . والعرب تقول : قد طمست الريح الأعلام : إذا دفنتها بما تسفى عليها من التراب ، كما قال كعب بن زهير :

مِنْ كُلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفْرَى إذَا اعْتَرَقَتْ　　عُرْضَتُها طَامِسُ الأعْلامِ مَجْهُولُ[1]

يعنى بقوله (طامِسُ الأعْلامِ) : مندفن الأعلام .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ) قال : عمى الله عليهم الملائكة حين دخلوا على لوط .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ) وذُكر لنا أن جبريل عليه السلام استأذن ربه فى عقوبتهم ليلة أتوا لوطا ، وأنهم عالجوا الباب ليدخلوا عليه ، فصفقهم بجناحه ، وتركهم عميا يتردّدون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ) قال : هؤلاء قوم لوط حين راودوه عن ضيفه ، طمس الله أعينهم ، فكان ينهاهم عن عملهم الخبيث الذى كانوا يعملون ، فقالوا : إنا لا نترك عملنا فاياك أن تُنْزِل أحدا أو تُضيفه ، أو تدعه ينزل عليك ، فإنا لا نتركه ولا نترك عملنا . قال : فلما جاءه المرسلون ، خرجت امرأته الشقية من الشقّ ، فأتتهم فدعتهم ، وقالت لهم : تعالوا فإنه قد جاء قوم لم أر قطّ أحسن وجوها منهم ، ولا أحسن ثيابا ، ولا أطيب أرواحا منهم ، قال : فجاءوه يهرعون إليه ، فقال : إن هؤلاء ضيفى ، فاتقوا الله ولا تخزونى فى ضيفى ، قالوا : أولم ننهك عن العالمين ؟ أليس قد تقدمنا إليك وأعذرنا فيما بيننا وبينك ؟ قال : هؤلاء بناتى هنّ أطهر لكم فقال له جبريل عليه السلام : مايهولك من هؤلاء ؟ قال : أما ترى مايريدون ؟ فقال : إنا رسل ربك لن يصلوا إليك ، لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك ، لتصنعنّ هذا الأمر سرّا ،

(١) البيت : لكعب بن زهير من لاميته المشهورة « بانت سعاد » التى مدح بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد شرحته ثلاث مرات فى (٢ : ٤٠٢ ، ٥ : ١٢٣ ، ٩ : ١٥٧) من هذه الطبعة ، فراجعه فى أحد هذه المواضع ، أو فيها كلها ، لزيادة الفائدة .

وليكونن فيه بلاء ؛ قال : فنشر جبريل عليه السلام جناحا من أجنحته ، فاختلس به أبصارهم ، فطمس أعينهم ، فجعلوا يجول بعضهم فى بعض ، فذلك قول الله (فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ، فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ) .

حُدثت عن الحسين ، قال: سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ) جاءت الملائكة فى صور الرجال ، وكذلك كانت تجىء ، فرآهم قوم لوط حين دخلوا القرية . وقيل : إنهم نزلوا بلوط ، فأقبلوا إليهم يريدونهم ، فتلقاهم لوط يناشدهم الله أن لايخزوه فى ضيفه ، فأبوا عليه وجاءوا ليدخلوا عليه ، فقالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول ، فإنا رسل ربك ، لن يصلوا إليك، فدخلوا البيت ، وطمس الله على أبصارهم ، فلم يروهم ؛ وقالوا : قد رأيناهم حين دخلوا البيت ، فأين ذهبوا ؟ فلم يروهم وزجعوا .

وقوله (فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ) يقول تعالى ذكره : فذوقوا معشرقوم لوط من سذوم، عذابى الذى حل بكم ، وإنذارى الذى أنذرت به غيركم من الأمم من النكال والمثلات .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد صَبَّحَ قَوْمَ لوط بُكْرَةً ذكر أن ذلك كان عند طلوع الفجر .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (بُكْرَةً) قال : عند طلوع الفجر .

وقوله (عَذَابٌ) وذلك قلب الأرض بهم ، وتصيير أعلاها أسفلها بهم ، ثم إتباعهم بحجارة من سجيل منضود .

كما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ) قال : حجارة رموا بها .

وقوله (مُسْتَقِرٌّ) يقول : استقر ذلك العذاب فيهم إلى يوم القيامة حتى يوافوا عذاب الله الأكبر فى جهنم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ) يقول : صبحهم عذاب مستقر ، استقر بهم إلى نار جهنم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً) ... الآية ، قال : ثم صبحهم بعد هذا ، يعنى بعد أن طمس الله أعينهم ، فهم فى ذلك العذاب إلى يوم

القيامة ، قال : وكلّ قومه كانوا كذلك ، ألا تسمع قوله حين يقول : (أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ)

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (مُسْتَقِرٌّ) استقرّ .

وقوله (فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ) يقول تعالى ذكره لهم : فذوقوا معشر قوم لوط عذابي الذى أحللته بكم ، بكفركم بالله وتكذيبكم رسوله ، وإنذارى بكم الأمم سواكم بما أنزلته بكم من العقاب .

وقوله (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) يقول تعالى ذكره : ولقد سهّلنا القرآن للذكر لمن أراد التذكر به فهل من متعظ ومعتبر به فينزجر به عما نهاه الله عنه إلى ما أمره به وأذن له فيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد جاء أتباع فرعون وقومه إنذارنا بالعقوبة بكفرهم بنا وبرسولنا موسى صلى الله عليه وسلم (كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا) يقول جلّ ثناؤه كذّب آل فرعون بأدلتنا التى جاءتهم من عندنا ، وحججنا التى أتتهم بأنه لا إله إلا الله وحده كلها (فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ) يقول تعالى ذكره : فعاقبناهم بكفرهم بالله عقوبة شديد لا يغلب ؛ مقتدر على ما يشاء ، غير عاجز ولا ضعيف .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ) يقول : عزيز فى نقمته إذا انتقم .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾

يقول تعالى ذكره لكفار قريش الذين أخبر الله عنهم أنهم (إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) أكفاركم معشر قريش خير من أولئكم الذين أحللت بهم نقمتى من قوم نوح وعاد وثمود ، وقوم لوط وآل فرعون ، فهم يأملون أن ينجوا من عذابى ، ونقمى على كفرهم بى ، وتكذيبهم رسولى . يقول : إنما أنتم فى كفركم بالله وتكذيبكم رسوله ، كبعض هذه الأمم التى وصفت لكم أمرهم ، وعقوبة الله بكم نازلة على كفركم به ، كالذى نزل بهم إن لم تتوبوا وتنيبوا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ) : أى ممن مضى .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسن ، عن يزيد النحوىّ ، عن عكرمة (أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ) يقول : أكفاركم يامعشرقريش خير من أولئكم الذين مضوا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ) قال : أكفاركم خير من الكفار الذين عذبناهم على معاصى الله ، وهؤلاء الكفار خير من أولئك . وقال (أكُفَّارُكُمْ خيرٌمِنْ أولئكم) استنفاها .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ) يقول : ليس كفاركم خيرا من قوم نوح وقوم لوط .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس (أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ) قال : كفار هذه الأمة .

وقوله (أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ) يقول جلّ ثناؤه : أم لكم براءة من عقاب الله معشرقريش ، أن يصيبكم بكفركم بما جاءكم به الوحى من الله فى الزبر ، وهى الكتب .

كما حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا أبوعبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (الزُّبُرِ) يقول : الكتب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ) فى كتاب الله براءة مما تخافون .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة (أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ) يعنى فى الكتب .

وقوله (أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ) يقول تعالى ذكره : أيقول هؤلاء الكفار من قريش : نحن جميع منتصر ممن قصدنا بسوء ومكروه ، وأراد حربنا وتفريق جمعنا ، فقال الله جلّ ثناؤه : سيهزم الجمع يعنى جمع كفار قريش (وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) يقول : ويولون أدبارهم المؤمنين بالله عند انهزامهم عنه . وقيل : الدبر فوحّد والمراد به الجمع كما يقال ضربنا منهم الرأس : أى ضربنا منهم الرءوس : إذ كان الواحد يؤدى عن معنى جمعه ، ثم إن الله تعالى ذكره صدّق وعده المؤمنين به فهزم المشركين به من قريش يوم بدر وولوهم الدُّبر .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن أيوب قال : لا أعلمه إلا عن عكرمة أن عمر قال لما نزلت (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ) جعلت أقول : أىّ جمع يهزم ؟ فلما كان يوم بدر رأيت النبىّ صلى الله عليه وسلم يثب فى الدرع ويقول : (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) قال : يوم بدر .

قال: ثنا يحيى بن واضح ، قال ، ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، قوله (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ) يعنى جمع بدر (وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ) . . . الآية ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر « هُزِمُوا وَوَلَّوُا الدُّبُرَ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) قال : هذا يوم بدر .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أيوب ، عن عكرمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «كان يثب فى الدرع ويقول : هُزِمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوُا الدُّبُرَ » .

حدثنى إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن عليّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) قال : كان ذلك يوم بدر . قال : قالوا نحن جميع منتصر ، قال : فنزلت هذه الآية .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون من أنهم لايبعثون بعد مماتهم (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ) للبعث والعقاب (وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ) عليهم من الهزيمة التى يهزمونها عند التقائهم مع المؤمنين ببدر .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عمرو بن مرّة ، عن شهر بن حوشب ، قال : إن هذه الآية نزلت بهلاك إنما موعدهم الساعة ، ثم قرأ (أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَٰئِكُمْ) . . . إلى قوله ((وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ) .

وقوله (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ) يقول تعالى ذكره : إن المجرمين فى ذهاب عن الحقّ ، وأخذ على غير هدى (وَسُعُرٍ) يقول : فى احتراق من شدّة العناء والنصب فى الباطل .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ) قال : فى عناء .

وقوله (يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ) يقول تعالى ذكره : يوم يُسحب هؤلاء المجرمون فى النار على وجوههم . وقد تأوّل بعضهم قوله (فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ) إلى النار . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (يَوْمَ يُسْحَبُونَ إِلَى النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ) .

وقوله (ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ) يقول تعالى ذكره : يوم يُسحبون فى النار على وجوههم ، يقال لهم : ذوقوا مَسَّ سقَر ، وترك ذكر « يقال لهم » استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره .

فإن قال قائل : وكيف يُذاق مسّ سقر ، أوَله طعم فيُذاق ؟ فإن ذلك مختلف فيه ؛ فقال بعضهم : قيل ذلك كذلك على مجاز الكلام ، كما يقال : كيف وجدت طعم الضرب وهو مجاز ؟ وقال آخر : ذلك كما يقال : وجدتُ مسّ الحمى يُراد به أوّل ما نالنى منها ، وكذلك وجدت طعم عفوك . وأما سَقَرُ فإنها اسم باب من أبواب جهنم [1] وترك إجراؤها لأنها اسم لمؤنث معرفة .

وقوله (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) يقول تعالى ذكره : إنا خلقنا كل شيء بمقدار قدّرناه وقضيناه ، وفى هذا بيان ، أن الله جلّ ثناؤه ، توعّد هؤلاء المجرمين على تكذيبهم فى القدر مع كفرهم به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا هشام بن سعد ، عن أبى ثابت ، عن إبراهيم بن محمد ، عن أبيه ، عن ابن عباس أنه كان يقول : إنى أجد فى كتاب الله قوما يُسحبون فى النار على وجوههم ، يقال لهم : (ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ) لأنهم كانوا يكذّبون بالقَدَر ، وإنى لا أراهم ، فلا أدرى أشيء كان قبلنا ، أم شيء فيما [illegible]

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، قال : ثنا سفيان ، عن زياد بن إسماعيل السَّهْمِىّ ، عن محمد بن عباد بن جعفر ، عن أبى هريرة أن مشركى قريش خاصمت النبىّ صلى الله عليه وسلم فى القَدَر ، فأنزل الله (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى وأبو كُرَيب ، قالوا : ثنا وكيع بن الجرّاح ، قال : ثنا سفيان ، عن زياد ابن إسماعيل السَّهمىّ ، عن محمد بن عباد بن جعفر المخزومىّ ، عن أبى هريرة ، قال : « جاء مشركو قريش إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم يخاصمونه فى القَدَر ، فنزلت (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ) » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن سفيان ، عن زياد بن إسماعيل السهمى ، عن محمد بن عباد ابن جعفر المخزومىّ ، عن أبى هريرة ، بنحوه .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن سعد بن عُبيدة ، عن أبى عبد الرحمن السُّلَمىّ ، قال : « لما نزلت هذه الآية (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) قال رجل : يارسول الله ففيم العمل ؟ أفى شيء نستأنفه ، أو فى شيء قد فرغ منه ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ ، سَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ، وَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى » .

حدثنا ابن أبى الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا خصيف ، قال : سمعت محمد بن

(١) الذى فى كتب اللغة : أنها اسم جهنم .

كعب القرظىّ يقول : لما تكلم الناس فى القَدَر نظرت ،فإذا هذه الآية أنزلت فيهم (إنَّ المُجْرِمِينَ فِى ضَلالٍ وَسُعُرٍ) . . . إلى قوله (خلَقْناه ُ بقَدَرٍ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوعاصم ويزيد بن هارون ، قالا : ثنا سفيان ، عن سالم ، عن محمد بن ابن كعب ، قال : مانزلت هذه الآية إلا تعييرا لأهل القدر (ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ، إنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سالم بن أبى حفصة ،عن محمد بن كعب القُرَظى (ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ) قال : نزلت تعييرا لأهل القَدَر .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن زياد بن إسماعيل السَّهمى ، عن محمد بن عباد بن جعفر المخزومىّ ، عن أبى هريرة ، قال : « جاء مشركو قريش إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم يخاصمونه فى القدر ، فنزلت : (إنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْناهُ بقَدَرٍ)» .

قال : ثنا مهران ، عن حازم ، غن أُسامة ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ مثله .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ) قال : خلق الله الخلق كلهم بقدر ، وخلق لهم الخير والشرّ بقدر ، فخير الخير السعادة ، وشرّ الشرّ الشقاء ، بئس الشرّ الشقاء .

واختلف أهل العربية فى وجه نصب قوله (كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ) فقال بعض نحويىّ البصرة : نصب كلّ شىء فى لغة من قال : عبد الله ضربته ؛ قال : وهى فى كلام العرب كثير . قال : وقد رفعت كلّ فى لغة من رفع ، ورفعت على وجه آخر ، قال (إنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْناهُ بقَدَرٍ) فجعل خلقناه من صفة الشىء ؛ وقال غيره : إنما نصب كلّ لأن قوله خلقناه فعل ، لقوله « إنا » ، وهو أولى بالتقديم إليه من المفعول ، فلذلك اختير النصب ، وليس قبل عبد الله فى قوله : عبد الله ضربته شىء هو أولى بالفعل ، وكذلك إنا طعامك ، أكلناه الاختيارُ النصب لأنك تريد : إنا أكلنا طعامك الأكل ، أولى بأنا من الطعام . قال : وأما قول من قال : خلقناه وصف للشىء فبعيد ، لأن المعنى : إنا خلقناه كلّ شىء بقدر ، وهذا القول الثانى أولى بالصواب عندى من الأوّل للعلل التى ذكرت لصاحبها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۝ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : وما أمرنا للشىء إذا أمرناه وأردنا أن تكوّنه إلا قولة واحدة : كن فيكون ، لا مراجعة فيها ولا مرادّة (كَلَمْحٍ بِالبَصَرِ) يقول جلّ ثناؤه : فيوجد ما أمرناه وقلنا له : كن كسرعة اللمح بالبصر

لايبطئ ولا يتأخر ، يقول تعالى ذكره لمشركي قريش الذين كذّبوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم : ولقد أهلكنا أشياعكم معشرقريش من الأمم السالفة والقرون الخالية ، على مثل الذى أنتم عليه من الكفر بالله ، وتكذيب رسله (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) يقول : فهل من متّعظ بذلك منزجر ينزجر به .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) قال : أشياعكم من أهل الكفر من الأمم الماضية ، يقول : فهل من أحد يتذكر .

وقوله (وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ) يقول تعالى ذكره : وكل شيء فعله أشياعكم الذين مضوا قبلكم معشركفّار قريش فى الزُّبر ، يعنى فىالكتب التى كتبتها الحفظة عليهم . وقد يحتمل أن يكون مرادا به فى أمّ الكتاب .

كما حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فىقوله (فِي الزُّبُرِ) قال : الكُتُب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فىقوله (وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ) قال : فىالكتاب .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ۞ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۞ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ۞

يقول تعالى ذكره : (وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ) من الأشياء (مُسْتَطَرٌ) يقول : مُثْبَت فى الكتاب مكتوب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ) يقول : مكتوب ، فإذا أراد الله أن ينزل كتابا نسختْه السَّفَرة .

قوله (وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ) قال : مكتوب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه ، عن عمران بن حُدَيْر ، عن عكرمة ، قال : مكتوب فى كلّ سطر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مُسْتَطَرٌ) قال : محفوظ مكتوب .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ) أي محفوظ .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : (مُسْتَطَرٌ) قال : مكتوب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ) قال: مكتوب ، وقرأ (وَمَامِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ على اللهِ رِزْقُهَا ، وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ، كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) ، وقرأ (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاطَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ، ما فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) إنما هو مفتعل من سطرت : إذا كتبت سطرا .

وقوله (إِنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ) يقول تعالى ذكره : إن الذين اتقوا عقاب الله بطاعته وأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه فى بساتين يوم القيامة ، وأنهار ، ووحد النهر فى اللفظ ، ومعناه الجمع ، كما وحد الدّبر ، ومعناه الإدبار فى قوله (يُوَلُّونَ الدُّبُرَ) وقد قيل : إن معنى ذلك : إن المتقين فى سعة يوم القيامة وضياء ، فوجّهوا معنى قوله (وَنَهَرٍ) إلى معنى النهار . وزعم الفرّاء أنه سمع بعض العرب ينشد :

إِنْ تَكُ لَيْلِيًّا فإِنِّى نَهِرْ ... مَتَى أَتَى الصُّبْحُ فَلا أَنْتَظِرْ[1]

وقوله « نهر » على هذا التأويل مصدر من قولهم : نَهِرت أنهر نهرا . وعنى بقوله : « فإنى نهر » : أى إنى لصاحب نهار : أى لست بصاحب ليلة.

وقوله (فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ) يقول : فى مجلس حقّ لالغو فيه ولا تأثيم (عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ) يقول : عند ذى مُلْك مقتدر على ما يشاء ، وهو الله ذوالقوّة المتين ، تبارك وتعالى .

آخر تفسير سورة اقتربت الساعة

(١) البيت : من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣١٩) عند قوله تعالى : «إن المتقين فى جنات ونهر » قال : فى ضياء وسعة وسمعت بعض العرب ينشد : « إن تك ليليا . . . . البيت »اهـ وفى (اللسان : نهر) : ورجل نهر : صاحب نهار ، على النسب ، كما قالوا : عمل وطعم ، قال : * لست بليلى ولكنى نهر * قال سيبويه : قوله : « بليلى » يدل أن نهر : على النسب ، حتى كأنه قال : « نهارى » . ورجل نهر : أى صاحب نهار ، بغير فيه . قال الأزهرى . وسمعت العرب تنشد : « إن تك ليليا.... بيت الشاهد » . قال : ومعنى نهر : أى صاحب نهار ، لست بصاحب ليل . وهذا الرجز أورده الجوهرى : * إن كنت ليليا فإنى نهر * قال ابن برى : البيت مغير . قال : وصوابه :

لَسْتُ بِلَيْلِيٍّ وَلَكِنِّى نَهِرْ ... لاأَدْلُجُ اللَّيْلَ وَلَكِنْ أَبْتَكِرْ

(٥٥) سورة الرحمن مدنية
وآياتها ثمان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿الرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝﴾

يقول تعالى ذكره : الرحمن أيها الناس برحمته إياكم علمكم القرآن ، فأنعم بذلك عليكم ، إذ بصّركم به ما فيه رضا ربكم ، وعرّفكم ما فيه سخطه ، لتطيعوه باتباعكم مايرضيه عنكم ، وعملكم بما أمركم به ، وبتجنبكم ما يُسخطه عليكم ، فتستوجبوا بذلك جزيل ثوابه ، وتنجوا من أليم عقابه .

ورُوى عن قتادة فى ذلك ما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان العقيلى ، قال : ثنا أبو العوام العجلى ، عن قتادة ، أنه قال فى تفسير (الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ) قال : نعمة والله عظيمة .

وقوله (خَلَقَ الإِنْسَانَ) يقول تعالى ذكره : خلق آدم وهو الإنسان فى قول بعضهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (خَلَقَ الإِنْسَانَ) قال : الإنسان : آدم .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (خَلَقَ الإِنْسَانَ) قال : الإنسان : آدم صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : بل عنى بذلك الناس جميعا ، وإنما وحد فى اللفظ لأدائه عن جنسه ، كما قيل : إن الإنسان لفى خُسر ، والقولان كلاهما غير بعيدين من الصواب لاحتمال ظاهر الكلام إياهما .

وقوله (عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) يقول تعالى ذكره : علّم الإنسان البيان .

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بالبيان فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى به بيان الحلال والحرام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) : علمه الله بيان الدنيا والآخرة بين حلاله وحرامه ، ليحتجّ بذلك على خلقه .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سعيد ، عن قتادة (عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) الدنيا والآخرة ليحتجّ بذلك عليه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبوالعوّام ، عن قتادة ، فى قوله (عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) قال : تَبَيَّنَ له الخيرُ والشرّ ، وما يأتى ، وما يدع .

وقال آخرون : عنى به الكلام : أى أن الله عزّ وجلّ علم الإنسان البيان .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) قال : البيان : الكلام .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال : معنى ذلك : أن الله علّم الإنسان مابه الحاجة إليه من أمر دينه ودُنياه من الحلال والحرام ، والمعايش والمنطق ، وغير ذلك مما به الحاجة إليه ، لأن الله جلّ ثناؤه لم يخصص بخبره ذلك ، أنه علّمه من البيان بعضا دون بعض ، بل عمّ فقال : علّمه البيان ، فهو كما عمّ جلّ ثناؤه .

وقوله (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : الشمس والقمر بحسبان ، ومنازل لها يجريان ولا يعدوانها :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن خلف العسقلانى ، قال : ثنا الفريابى ، قال : ثنا إسرائيل ، قال : ثنا سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) قال : بحساب ومنازل يرسلان .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) قال : يجريان بعدد وحساب .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى مالك (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) قال : بحساب ومنازل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) : أى بحساب وأجل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) قال : يجريان فى حساب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) قال : يحسب بهما الدهر والزمان لولا الليل والنهار ، والشمس والقمر لم يدرك أحد كيف يحسب شيئا لو كان الدهر ليلا كله ، كيف يحسب ، أو نهارا كله كيف يحسب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبوالعوّام ، عن قتادة (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) قال : بحساب وأجل .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهما يجريان بقَدَر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا عبد الله بن داود ، عن أبي الصهباء ، عن الضحاك ، في قوله : (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) قال : بقدر يجريان .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنهما يدوران في مثل قطب الرحا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : ثنا محمد بن يوسف ، قال : ثنا إسرائيل ، قال : ثنا أبو يحيى عن مجاهد ؛ قال : ثنا محمد بن يوسف ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (بِحُسْبَانٍ) قال : كحسبان الرحا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله (بِحُسْبَانٍ) قال : كحسبان الرحا .

۞ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معناه : الشمس والقمر يجريان بحساب ومنازل ، لأن الحسبان مصدر من قول القائل : حسبته حسابا وحسبانا ، مثل قولهم : كَفرته كفرانا ، وغَفَرته غفرانا . وقد قيل : إنه جمع حساب ، كما الشهبان : جمع شهاب .

واختلف أهل العربية فيما رفع به الشمس والقمر ، فقال بعضهم : رفعا بحسبان : أي بحساب ، وأضمر الخبر ، وقال : وأظنّ والله أعلم أنه قال : يجريان بحساب وقال بعض من أنكر هذا القول منهم : هذا غلط ، بحسبان يرافع الشمس والقمر : أي هما بحساب ، قال : والبيان يأتي على هذا : علّمه البيان أن الشمس والقمر بحسبان ؛ قال : فلا يحذف الفعل ويُضمر إلا شاذّا في الكلام .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۞ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۞ ﴾

اختلف أهل التأويل في معنى النجم في هذا الموضع مع إجماعهم على أن الشجر ما قام على ساق ، فقال بعضهم : عنى بالنجم في هذا الموضع من النبات : ما نجم من الأرض ، مما ينبسط عليها ، ولم يكن على ساق مثل البقل ونحوه .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله : (وَالنَّجْمُ) قال : ما يُنْبَسط على الأرض .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله (وَالنَّجْمُ) قال : النجم : كلّ شيء ذهب مع الأرض فرشا ، قال : والعرب تسمى الثيل نجما .

حدثنى محمد بن خلف العسقلانىّ ، قال : ثنا روّاد بن الجرّاح ، عن شريك ، عن السدىّ (والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ) قال : النجم : نبات الأرض .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (والنَّجْمُ) قال : النجم : الذى ليس له ساق .

وقال آخرون : عُنِىَ بالنجم فى هذا الموضع : نجم السماء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (والنَّجْمُ) قال : نجم السماء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (والنَّجْمُ) يعنى : نجم السماء .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدانِ) قال : إنما يريد النجم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، نحوه .

❊ وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : عُنِىَ بالنجم : ما نجم من الأرض من نبت لعطف الشجر عليه ، فكان بأن يكون معناه لذلك : ما قام على ساق وما لايقوم على ساق يسجدان لله ، بمعنى : أنه تسجد له الأشياء كلها المختلفة الهيئات من خلقه أشبه وأولى بمعنى الكلام من غيره . وأما قوله (والشَّجَرُ) فإن الشجر ما قد وصفت صفته قبل .

وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله(والشَّجَرُ يَسْجُدانِ) قال : الشجر : كل شىء قام على ساق .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (والشَّجَرُ) قال : الشجر : كلّ شىء قام على ساق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (والشَّجَرُ) قال : الشجر : شجر الأرض .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (والشَّجَرُ يَسْجُدانِ) قال : الشجر الذى له سُوق.

وأما قوله (يَسْجُدانِ) فإنه عُنِىَ به سجود ظلهما ، كما قال جلّ ثناؤه (ولِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ والأَرْضِ طَوْعا وكَرْها وظِلالُهُمْ بالغُدُوِّ والآصالِ) .

كما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا تميم بن عبد المؤمن ، عن زبرقان ، عن أبى رزين وسعيد (والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدانِ) قالا : ظلهما سجودهما .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال ثنا أبو العوام ، عن قتادة (والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ) ما ترَك من السماء شيئا من خلقه إلا عبَّده له طوعا وكرها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، وهو قول قتادة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله (والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدانِ) قال : يسجد بكرة وعشيا . وقيل (والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدانِ) فثنى وهو خبر عن جمعين .

وقد زعم الفراء أن العرب إذا جمعت الجمعين من غير الناس مثل السدر والنخل ، جعلوا فعلهما واحدا ، فيقولون الشاء والنعم قد أقبل ، والنخل والسدر قد ارتوى ، قال : وهذا أكثر كلامهم ، وتثنيته جائزة .

وقوله (والسَّماءَ رَفَعَها) يقول تعالى ذكره : والسماء رفعها فوق الأرض .

وقوله (وَوَضَعَ المِيزَانَ) يقول : ووضع العدل بين خلقه في الأرض . وذُكر أن ذلك في قراءة عبدالله (وخَفَضَ المِيزَانَ) والخفض والوضع : متقاربا المعنى في كلام العرب .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَوَضَعَ المِيزَانَ) قال : العدل .

وقوله (ألاَّ تَطْغَوْا فِي المِيزَانِ) يقول تعالى ذكره : ألا تظلموا وتبخسوا في الوزن .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ألاَّ تَطْغَوْا فِي المِيزَانِ) اعدل يا ابن آدم كما تحبّ أن يعدل عليك ، وأوف كما تحبّ أن يُوَفى لك ، فإن بالعدل صلاح الناس .

وكان ابن عباس يقول : يا معشر المَوالي ، إنكم قد وليتم أمرين ، بهما هلك من كان قبلكم ، هذا المكيال والميزان .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن مغيرة ، عن مسلم ، عن أبي المغيرة ، قال : سمعت ابن عباس يقول في سُوق المدينة : يا معشر الموالي ، إنكم قد بُليتم بأمرين أهلك فيهما أمتان من الأمم : المِكْيال ، والميزان .

قال : ثنا مروان ، عن مغيرة ، قال : رأى ابن عباس رجلا يزن قد أرجح ، فقال : أقم اللسان ، أقم اللسان ، أليس قد قال الله : (وأَقِيمُوا الوَزْنَ بالقِسْطِ ولا تُخْسِرُوا المِيزَانَ) .

وقوله (وأَقِيمُوا الوَزْنَ بالقِسْطِ) يقول : وأقيموا لسان الميزان بالعدل .

وقوله (ولا تُخْسِرُوا المِيزَانَ) يقول تعالى ذكره : ولا تنقصوا الوزن إذا وزنتم للناس وتظلموهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة (والسَّماءَ رَفَعَها وَوَضَعَ المِيزَانَ ، ألاَّ تَطْغَوْا فِي المِيزَانِ ، وأقِيمُوا الوَزْنَ بالقِسْطِ ولا تُخْسِرُوا المِيزَانَ) قال قتادة قال ابن عباس : يامعشر الموالى إنكم وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم ، اتقى الله رجل عند ميزانه ، اتقى الله رجل عند مكياله ، فإنما يعدله شيء يسير ، ولا ينقصه ذلك ، بل يزيده الله إن شاء الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأقِيمُوا الوَزْنَ بالقِسْطِ ولا تُخْسِرُوا المِيزَانَ) قال : نقصه ، إذا نقصه فقد خسّره ، تخسيره نقصه .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : (وَالأَرْضَ وَضَعَها لِلأَنامِ) والأرض وطّأها للخلق وهم الأنام .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (للأنامِ) يقول : للخلق .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (والأرْضَ وَضَعَها للأنامِ) قال : كلّ شيء فيه الروح .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (والأرْضَ وَضَعَها للأنامِ) قال : للخلق الجنّ والإنس .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (للأنامِ) قال : للخلائق .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (للأنامِ) قال : للخلق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَضَعَها للأنامِ) قال : الأنام : الخلق .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة (والأرْضَ وَضَعَها للأنامِ) قال : للخلق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

وقوله (فِيها فاكِهَةٌ والنَّخْلُ ذاتُ الأكْمامِ) يقول تعالى ذكره : فى الأرض فاكهة ، والهاء والألف فيها من ذكر الأرض . (والنَّخْلُ ذاتُ الأكْمامِ) والأكمام : جمع كِمّ ، وهو ما تكممت فيه .

واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : عنى بذلك تكمم النخل فى الليف .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، قال : سألت الحسن ، عن قوله (والنَّخْلُ ذاتُ الأكْمامِ) فقال : سَعَفة من ليف عُصِبَتْ بها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والحسن (ذاتُ الأكْمامِ) أكمامها : ليفها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والنَّخْلُ ذاتُ الأكْمامِ) : الليف الذى يكون عليها .

وقال آخرون : يعنى بالأكمام : الرُّفات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة (وَالنَّخْلُ ذاتُ الأكْمامِ) قال : أكمامها رُفاتها .

وقال آخرون : بل معنى الكلام : والنخل ذات الطلع المتكمم فى كمامه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (والنَّخْلُ ذاتُ الأكْمامِ) وقيل له : هو الطلع ، قال : نعم ، وهو فى كم منه حتى ينفتق عنه ؛ قال : والحبّ أيضا فى أكمام . وقرأ (وَما تَخْرُجُ مِنْ ثَمَراتٍ مِنْ أكْمامِها) .

❊ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله وصف النخل بأنها ذات أكمام ، وهى متكممة فى ليفها ، وطلعها متكمم فى جُفّه ، ولم يخصص الله الخبر عنها بتكممها فى ليفها ولا تكمم طلعها فى جفه ، بل عمّ الخبر عنها بأنها ذات أكمام .

والصواب أن يقال : عنى بذلك ذات ليف ، وهى به مُتَكَمِّمة وذات طَلْع هو فى جُفّه متكَمِّم فيُعَمِّم ، كما عمّ جلّ ثناؤه .

وقوله (والحَبُّ ذُو العَصْفِ والرَّيْحانِ) يقول تعالى ذكره : وفيها الحبّ ، وهو حبّ البُرّ والشعير ذو الورق ، والتبن : هو العَصْف ، وإياه عنى علقمة بن عَبَدة :

تَسْقِى مَذانِبَ قَدْ مالَتْ عَصِيفَتُها حَدُورَها مِنْ أتِىِّ الماء مَطْمُومُ[1]

---

(١) هذا الشاهد من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٢ من مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٦٣٩٠ عن نسخة « مراد ملا » . وهذا بعد أن انتهت مراجعتنا على المصورة الأولى رقم ٢٦٠٥٩ لانتهاء أوراقها عند سورة القمر) أنشده أبو عبيدة عند قوله —

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (والحَبُّ ذُو العَصْفِ والرَّيْحانُ) يقول : التين .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (والحَبُّ ذُو العَصْفِ والرَّيْحانُ) قال : العصف : ورق الزرع الأخضر الذى قطع رؤوسه فهو يسمى العصف إذا يبس .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد (والحَبُّ ذُو العَصْفِ) البقل من الزرع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (والحَبُّ ذُو العَصْفِ) وعصفه تبنه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : العصف : التبن .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الضحاك (والحَبُّ ذُو العَصْفِ) قال : الحبّ البرّ والشعير ، والعصف : التِّبن .

حدثنا سعيد بن يحيى ، قال : ثنا عبدالله بن المبارك الخُراسانىّ ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى مالك قوله (والحَبُّ ذُو العَصْفِ والرَّيْحانُ) قال : الحبّ أوّل ما ينبت .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله (والحَبُّ ذُو العَصْفِ والرَّيْحانُ) قال : العصف : الورق من كل شىء . قال : يقال للزرع إذا قُطع : عصافة ، وكلّ ورق فهو عصافة .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنى يونس بن محمد ، قال : ثنا عبد الواحد ، قال : ثنا أبو روق عطية ابن الحارث ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (والحَبُّ ذُو العَصْفِ) قال : العصف : التبن .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كُدَيْنة ، عن عطاء ، عن سعيد ، عن ابن عباس (ذُو العَصْفِ) قال : العصف : الزرع .

وقال بعضهم : العصف : هو الحبّ من البرّ والشعير بعينه .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (والحَبُّ ذُو العَصْفِ والرَّيْحانُ) أما العصف : فهو البرّ والشعير .

= تعالى : « والحب ذو العصف والريحان » قال : تخرج له عصيفة ، وهى أذنته أعلاه ، وهو الهبود ، وأذنه إنما هى زيادته وكثرته وورقه الذى يتعصف . وهو كما قال علقمة بن عبدة « تسقى مذانب . . . البيت » . طمها : ملأها لم يبق فيها شىء ، وطم إناءه ملأه . وقال شارح مختار الشعر الجاهلى ٤٢٦ : المذانب جمع مذنب ، وهو مسيل الماء إلى الأرض ، والجدول يسيل عن الروضة بمائها إلى غيرها . وعصيفتها : هى الورق الذى يجز فيؤكل ، ثم يسقى أصله ، ليعود ورقه . وجدورها : الذى انحدر من هذه المذانب واطمأن . الأغق : الجدول . وأراد به هنا : ما يسيل من الماء فى الجدول . والمطموم : المملوء بالماء .

وأما قوله (والرَّيْحانُ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : هو الرزق .

ذكر من قال ذلك

حدثنى زيد بن أخزم الطائى ، قال : ثنا عامر بن مدرك ، قال : ثنا عتبة بن يقظان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كلّ ريحان فى القرآن فهو رزق .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (والرَّيْحانُ) قال : الرزق .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الضحاك (والرَّيْحانُ) : الرزق ، ومنهم من يقول : ريحاننا .

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس (والرَّيْحانُ) قال : الريح :

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنى يونس بن محمد ، قال : ثنا عبد الواحد ، قال : ثنا أبو روق عطية ابن الحارث ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (والرَّيْحانُ) قال : الرزق والطعام .

وقال آخرون : هو الريحان الذى يشمّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال (الرَّيْحانُ) ما تنبت الأرض من الريحان .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (والرَّيْحانُ) أما الريحان : فما أنبتت الأرض من ريحان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (والرَّيْحانُ) قال : ريحانكم هذا

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (والرَّيْحانُ) : الرياحين التى توجد ريحها .

وقال آخرون : هو خُضرة الزرع .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (والرَّيْحانُ) يقول : خُضرة الزرع .

وقال آخرون : هو ما قام على ساق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال (الرَّيْحانُ) ما قام على ساق .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : عُنِى به الرزق ، وهو الحبّ الذى يؤكل منه .

﴿ وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، لأن الله جل ّ ثناؤه أخبر عن الحب ّ أنه ذو العصف ، وذلك ما وصفنا من الورق الحادث منه ، والتبن إذا يبس ، فالذى هو أولى بالريحان ، أن يكون حبه الحادث منه ، إذ كان من جنس الشيء الذى منه العصف ، ومسموع من العرب تقول : خرجنا نطلب رَيْحان الله ورزقه ، ويقال : سبحانَك وريحانَك : أى ورزقك ، ومنه قول النَّمِر بن تَوْلب :

سَـــلامُ الإلهِ ورَيْحانُهُ　　وجَنَّتُـــهُ وسَماءٌ دِرَرْ[١]

وذُكر عن بعضهم أنه كان يقول : العصف : المأكول من الحبّ والريحان : الصحيح الذى لم يؤكل .

واختلفت القراء فى قراءة قوله (والرَّيْحانِ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض المكيين و بعض الكوفيين بالرفع عطفا به على الحبّ ، بمعنى : وفيها الحبّ ذو العصف ، وفيها الريحان أيضا . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (والرَّيْحانِ) بالخفض عطفا به على العصف ، بمعنى : والحبّ ذو العصف وذو الريحان .

وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب : قراءة من قرأه بالخفض للعلة التى بينت فى تأويله ، وأنه بمعنى الرزق . وأما الذين قرءوه رفعا ، فإنهم وجّهوا تأويله فيما أرى إلى أنه الريحان الذى يشمّ ، فلذلك اختاروا الرفع فيه وكونه خفضا بمعنى : وفيها الحبّ ذو الورق والتبن ، وذو الرزق المطعوم أولى وأحسن لما قد بيَّناه قبل .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾

﴿ يعنى تعالى ذكره بقوله (فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) : فبأىّ نِعَم ربكما معشر الجنّ والإنس من هذه النعم تكذّبان .

كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبدالرحمن ، قال : ثنا سهل السراج ، عن الحسن (فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) فبأىّ نعمة ربكما تكذّبان .

قال عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) قال : لا بأيّها ياربّ .

حدثنا محمد بن عباد بن موسى وعمرو بن مالك النضرى ، قالا : ثنا يحيى بن سليمان الطائفى ، عن إسماعيل بن أمية ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة الرحمن ،

(١) البيت للنمر بن تولب العكلى (اللسان : روح) وبعده :

غَمامٌ يُنَزِّلُ رِزْقَ العِباد　　فأحيا البِـــلادَ وطابَ الشَّجَرْ

وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٢ من المصورة ٢٦٣٩٠ بجامعة القاهرة) قال : والريحان والحب منه الذى يؤكل ، يقال : سبحانك وريحانك : أى رزقك ؛ قال النمر بن تولب « سلام الإله ... البيت » . اهـ . وفى (اللسان : درر) : والدرة فى الأمطار أن يتبع بعضها بعضا ، وجمعها : درر ، وللسحاب درر : أى صب ، والجمع : درر ؛ قال النمر بن تولب .... البيتين . سماء درر : أى ذات درر . اهـ .

(٢) هذا من كلام الفراء فى معانى القرآن صفحة ٣٢٠ من المخطوطة .

أو قُرِئت عنده ، فقال : « ما لى أسْمَعُ الجِنَّ أحْسَنَ جَوَابا لِربِّها مِنْكُمْ ؟ قالوا : ماذا يا رسول الله ؟ قال : « ما أتَيْتُ على قَوْلِ اللهِ : فَبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟ إلاَّ قالَتِ الجِنُّ : لابِشَىْءٍ مِنْ نِعْمَةِ رَبِّنا نُكَذِّبُ » .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَبِأىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول : فبأىّ نعمة الله تكذّبان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَبِأىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول للجنّ والإنس : بأىّ نِعم الله تكذّبان .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش وغيره ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أنه كان إذا قرأ (فَبِأىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) قال : لابأيّها ربنا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (فَبِأىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) قال : الآلاء : القدرة ، فبأىّ آلائه تكذّب خلقكم كذا وكذا ، فبأىّ قُدرة الله تكذّبان أيها الثّقَلان ، الجنّ والإنس .

فإن قال لنا قائل : وكيف قيل : (فَبِأىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) فخاطب اثنين ، وإنما ذكر فى أوّل الكلام واحد ، وهو الإنسان ؟ قيل : عاد بالخطاب فى قوله (فَبِأىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) إلى الإنسان والجانّ . ويدلّ على أن ذلك كذلك ما بعد هذا من الكلام ، وهو قوله (خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ كالفَخَّارِ ، وَخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) . وقد قيل : إنما جعل الكلام خطابا لاثنين ، وقد ابتدئ الخبر عن واحد ، لما قد جرى من فعل العرب ، تفعل ذلك وهو أن يخاطبوا الواحد بفعل الاثنين ، فيقولون : خلياها ياغلام ، وما أشبه ذلك مما قد بيّنّاه فى كتابنا هذا فى غير موضع .

وقوله (خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ كالفَخَّارِ) يقول تعالى ذكره : خلق الله الإنسان وهو آدم من صلصال : وهو الطين اليابس الذى لم يطبخ ، فإنه من يبسه له صلصلة إذا حرّك ونقر كالفخار ؛ يعنى أنه من يُبسه وإن لم يكن مطبوخا ، كالذى قد طُبخ بالنار ، فهو يصلصل كما يصلصل الفخار ، والفخار : هو الذى قد طُبخ من الطين بالنار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبيد الله بن يوسف الجبيرىّ ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : ثنا مسلم ، يعنى الملائىّ ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله (مِنْ صَلْصالٍ كالفَخَّارِ) قال : هو من الطين الذى إذا مطرت السماء فيبست الأرض كأنه خزف رقاق .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : خلق الله آدم من طين لازب ، واللازب : اللّزِج الطيب من بعد حمأ مسنون مُنْتِن .

قال : وإنما كان حمأً مسنونا بعد ذلك ، قال : فخلق منه آدم بيده ، قال : فمكث أربعين ليلة جسدا ملقًى، فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله، فيصلصل فيصوّت ، قال : فهو قول الله تعالى (كَالْفَخَّارِ) يقول : كالشيء المنفرج الذى ليس بمصمت .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن سعيد وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس قال : الصلصال : التراب المدقق .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : الصّلصال : التّراب المدقّق .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (خَلَقَ الإِنْسانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) يقول : الطين اليابس .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) قال : الصلصال : طين خُلط برمل فكان كالفخار .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) والصلصال : التّراب اليابس الذى يُسمع له صلصلة فهو كالفخار ، كما قال الله عزّ وجلّ .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) قال : من طين له صلصلة كان يابسا ، ثم خلق الإنسان منه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) قال : يبس آدم فى الطين فى الجنة ، حتّى صار كالصلصال ، وهو الفخار ، والحمأ المسنون : المنتن الريح .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة (خَلَقَ الإِنْسانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) قال : من تراب يابس له صلصلة .

قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (خَلَقَ الإِنْسانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) قال : ماعُصِر ، فخرج من بين الأصابع ، ولو وجّه موجّه قوله صلصال إلى أنه فعلال من قولهم صلّ اللحم : إذا أنتن وتغيرت ريحه ، كما قيل من صرّ الباب صرصر ، وكبكب من كبّ ، كان وجها ومذهبا .

وقوله (وَخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) يقول تعالى ذكره : وخلق الجانّ من مارج من نار ، وهو ما اختلط بعضه ببعض ، من بين أحمر وأصفر وأخضر ، من قولهم : مَرِج أمر القوم : إذا اختلط ، ومن قول النبىّ صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو : « كَيْفَ بِكَ إِذَا كُنْتَ فِى حُثالَةٍ مِنَ النّاسِ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وأَماناتُهُمْ ! وَذَلِكَ هُوَ لَهَبُ النَّارِ وَلِسانُهُ » .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الله بن يوسف الجبيرى أبو حفص ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : ثنا مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله (مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) قال : من أوسطها وأحسنها .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) يقول : خلقه من لهب النار من أحسن النار .

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) يقول : خالص النار .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك عن ابن عباس ، قال : خلقت الجنّ الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار ، وهو لسان النار الذى يكون فى طرفها إذا ألهبت .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) قال : من أحسن النار .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) قال : اللهب الأصفر والأخضر الذى يعلو النار إذا أوقدت .

وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله ، إلا أنه قال : والأحمر .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) قال : هو اللَّهب المنقطع الأحمر .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الضحاك ، فى قوله (وَخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) قال : أحسن النار .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) قال : من لهب النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) : أى من لهب النار .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، فى قوله (مِنْ مارِجٍ مِنْ نار) قال : من لهب النار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) قال : المارج : اللهب .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال: ثنا أبو العوّام ، عن قتادة (وَخَلَقَ الجَانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) قال : من لهب من نار .

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول تعالى ذكره فبأىّ نعمة ربكما معشر الثقلين من هذه النعم تكذّبان ؟

القول في تأويل قوله تعالى :

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره : ذلكم أيها الثقلان (رَبُّ المَشْرِقَيْنِ) يعنى بالمشرقين : مشرق الشمس فى الشتاء ، ومشرقها فى الصيف .

وقوله (وَرَبُّ المَغْرِبَيْنِ) يعنى : وربّ مغرب الشمس فى الشتاء ، ومغربها فى الصيف .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب القمى ، عن جعفر ، عن ابن أبزى ، قوله (رَبُّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ المَغْرِبَيْنِ) قال : مشارق الصيف ومغارب الصيف ، مشرقان تجرى فيهما الشمس ستون وثلاث مئة فى ستين وثلاث مئة بُرْج ، لكلّ برج مطلع ، لاتطلع يومين من مكان واحد . وفى المغرب ستون وثلاث مئة برج ، لكل برج مغيب ، لاتغيب يومين فى برج .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (رَبُّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ المَغْرِبَيْنِ) قال : مشرق الشتاء ومغربه ، ومشرق الصيف ومغربه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (رَبُّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ المَغْرِبَيْنِ) فمشرقها فى الشتاء ، ومشرقها فى الصيف .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة قوله (رَبُّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ المَغْرِبَيْنِ) قال : مشرق الشتاء ومغربه ، ومشرق الصيف ومغربه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (رَبُّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ المَغْرِبَيْنِ) قال : أقصر مشرق فى السنة ، وأطول مشرق فى السنة ؛ وأقصر مغرب فى السنة ، وأطول مغرب فى السنة .

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول : فبأىّ نعم ربكما معشر الجنّ والإنس من هذه النعم التى

أنعم بها عليكم من تسخيره الشمس لكم فى هذين المشرقين والمغربين تجرى لكما دائبة بمرافقكما ، ومصالح دنيا كما ومعايشكما تكذبان :

وقوله (مَرَجَ البَحْرَيْن يَلْتَقيانِ) يقول تعالى ذكره : مرج ربّ المشرقين وربّ المغربين البحرين يلتقيان ، يعنى بقوله (مَرَجَ) : أرسل وخلى ، من قولهم : مرج فلان دابته : إذا خلاها وتركها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مَرَجَ البَحْرَين) يقول : أرسل .

واختلف أهل العلم فى البحرين اللذين ذكرهما الله جلّ ثناؤه فى هذه الآية ، أىّ البحرين هما ؟ فقال بعضهم : هما بحران : أحدهما فى السماء ، والآخر فى الأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن ابن أبزى (مَرَجَ البَحْرَيْن يَلْتَقيانِ ، بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لايَبْغيانِ) قال : بحر فى السماء ، وبحر فى الأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن ابن أبزى (مَرَجَ البَحْرَيْن يَلْتَقيانِ ، بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لايَبْغيانِ) قال : بحر فى السماء ، وبحر فى الأرض .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر عن سعيد ، فى قوله (مَرَجَ البَحْرَيْن يَلْتَقيانِ) قال : بحر فى السماء ، وبحر فى الأرض .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال: ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقيانِ) قال : بحر فى السماء والأرض يلتقيان كلّ عام .

وقال آخرون : عنى بذلك بحر فارس وبحر الروم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن زياد مولى مصعب ، عن الحسن (مَرَجَ البَحْرَيْن يَلْتَقيانِ) قال : بحر الروم ، وبحر فارس واليمن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَرَجَ البَحْرَيْن يَلْتَقيانِ) فالبحران : بحر فارس ، وبحر الروم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة (مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقيانِ) قال بحر فارس وبحر الروم .

وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال : عُنِىَ به بحر السماء ، وبحر الأرض ، وذلك أن الله

قال (يَخْرُجُ مِنْهُما اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجانُ) واللؤلؤ والمرجان إنما يخرج من أصداف بحر الأرض عن قَطْر ماء السماء ، فمعلوم أن ذلك بحر الأرض وبحر السماء .

وقوله (بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لايَبْغِيانِ) يقول تعالى ذكره : بينهما حاجز وبعدٌ ، لايُفسد أحدهما صاحبه فيبغى بذلك عليه ، وكل شىء كان بين شيئين فهو برزخ عند العرب ، وما بين الدنيا والآخرة برزخ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن ابن أبزى (بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لايَبْغِيانِ) لايبغى أحدهما على صاحبه .

قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا فطر ، عن مجاهد ، قوله (بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لايَبْغِيانِ) قال : بينهما حاجز من الله ، لايبغى أحدهما على الآخر .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لايَبْغِيانِ) يقول : حاجز .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لايَبْغِيانِ) والبرزخ : هذه الجزيرة ، هذا اليبَس .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : البرزخ الذى بينهما : الأرض التى بينهما .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة (بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لايَبْغِيانِ) قال : حُجِز المالح عن العذب ، والعذب عن المالح ، والماء عن اليبس ، واليبس عن الماء ، فلا يبغى بعضه على بعض بقوّته ولطفه وقُدرته .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ . بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لايَبْغِيانِ) قال : منعهما أن يلتقيا بالبرزخ الذى جعل بينهما من الأرض . قال : والبرزخ بعد الأرض الذى جعل بينهما .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (لايَبْغِيانِ) فقال بعضهم : معنى ذلك : لايبغى أحدهما على صاحبه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن ابن أبزى (لايَبْغِيانِ) : لايبغى أحدهما على صاحبه .

قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا فطر ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبوالعوّام ، عن قتادة مثله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهما لايختلطان .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لايَبْغِيانِ) قال : لايختلطان .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لايبغيان على اليَبَس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لايَبْغِيانِ) على اليبس ، وما أخذ أحدهما من صاحبه فهو بغي ، فحجز أحدهما عن صاحبه بقدرته ولطفه وجلاله تبارك وتعالى .

وقال آخرون : بل معناه : لايبغيان أن يلتقيا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لايَبْغِيانِ) قال : لايبغى أحدهما أن يلتقى مع صاحبه .

❁ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله وصف البحرين اللذين ذكرهما فى هذه الآية أنهما لايبغيان ، ولم يخصص وصفهما فى شيء دون شيء ، بل عمّ الخبر عنهما بذلك ، فالصواب أن يُعَمّ كما عمّ جل ثناؤه ، فيقال : إنهما لايبغيان على شيء ، ولا يبغى أحدهما على صاحبه ، ولا يتجاوزان حدّ الله الذى حدّه لهما .

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول تعالى ذكره : فبأىّ نعم الله ربكما معشر الجنّ والإنس تكذّبان من هذه النعم التى أنعمَ عليكم من مَرْجه البحرين ، حتى جعل لكم بذلك حلية تلبسونها كذلك .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ۝٢٢ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٣ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۝٢٤ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٥﴾

❁ يقول تعالى ذكره : يخرج من هذين البحرين اللذين مرجهما الله ، وجعل بينهما برزخا اللؤلؤ والمرجان واختلف أهل التأويل فى صفة اللؤلؤ والمرجان ، فقال بعضهم : اللؤلؤ : ما عظم من الدر ، والمرجان : ما صغُر منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجانُ) قال : اللؤلؤ : العظام .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) أما اللؤلؤ فعظامه ، وأما المرجان فصغاره ، وإن لله فيهما خزانة دلّ عليها عامة بنى آدم ، فأخرجوا متاعا ومنفعة وزينة ، وبُلغة إلى أجل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) قال : اللؤلؤ الكبار من اللؤلؤ ، والمرجان : الصغار منه .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) أما المرجان : فاللؤلؤ الصغار ، وأما اللؤلؤ : فما عظُم منه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) قال : اللؤلؤ : ماعظُم منه ، والمرجان : اللؤلؤ الصغار .

وحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : المرجان : هو اللؤلؤ الصغار .

وحدثنا عمرو بن سعيد بن بشار القرشى ، قال : ثنا أبو قتيبة ، قال : ثنا عبد الله بن ميسرة الحرانى ، قال : ثنى شيخ بمكة من أهل الشأم ، أنه سمع كعب الأحبار يُسئل عن المرجان ، فقال : هو البسذ .

قال أبو جعفر : البسذ له شُعَب ، وهو أحسن من اللؤلؤ .

وقال آخرون : المرجان من اللؤلؤ : الكبار ، واللؤلؤ منها : الصغار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسى بن أبى عائشة ، أو قيس بن وهب ، عن مرّة ، قال : المرجان : اللؤلؤ العظام .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : المرجان ، قال : ما عظم من اللؤلؤ .

حدثنى محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا الحسين بن الحسن الأشقر ، قال : ثنا زُهير ، عن جابر ، عن عبد الله بن يحيى ، عن علىّ ، وعن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : المرجان : عظيم اللؤلؤ .

وقال آخرون : المرجان : جيد اللؤلؤ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا شريك ، عن موسى بن أبى عائشة ، قال : سألت مرّة عن اللؤلؤ والمرجان قال : المرجان : جيد اللؤلؤ .

وقال آخرون : المرجان : حجر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن عمرو بن ميمون الأودى عن ابن مسعود (اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) قال : المرجان حجر .

* والصواب من القول فى اللؤلؤ ، أنه هو الذى عرفه الناس مما يخرج من أصداف البحر من الحبّ ؛ وأما المرجان ، فإنى رأيت أهل المعرفة بكلام العرب لايتدافعون أنه جمع مرجانة ، وأنه الصغار من اللؤلؤ ، قد ذكرنا ما فيه من الاختلاف بين متقدمى أهل العلم ، والله أعلم بصواب ذلك .

وقد زعم بعض أهل العربية أن اللؤلؤ والمرجان يخرج من أحد البحرين ، ولكن قيل : يخرج منهما ، كما يقال أكلت : خبزا ولبنا ، وكما قيل :

وَرَأَيْتُ زَوْجَكِ فِي الوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا [1]

وليس ذلك كما ذهب إليه ، بل ذلك كما وصفت من قبل من أن ذلك يخرج من أصداف البحر ، عن قطر السماء ، فلذلك قيل (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ) يعنى بهما : البحران .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن عبد الله الرازى ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، قال : إن السماء إذا أمطرت ، فتحت الأصداف أفواهها ، فمنها اللؤلؤ .

حدثنى محمد بن إسماعيل الأحمسى ، قال : ثنا أبو يحيى الحمانى ، قال : ثنا الأعمش ، عن عبد الله بن عبد الله ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : إذا نزل القطر من السماء تفتَّحت الأصداف فكان لؤلؤا .

حدثنى عبد الله بن محمد بن عمرو الغزى ، قال : ثنا الفريابى ، قال : ذكر سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن عبد الله ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : إن السماء إذا أمطرت تفتحت لها الأصداف ، فما وقع فيها من مطر فهو لؤلؤ .

حدثنا محمد بن إسماعيل الفزارى ، قال : أخبرنا محمد بن سوار ، قال : ثنا محمد بن سليمان الكوفى ابن أخى عبد الرحمن بن الأصبهانى ، عن عبد الرحمن الأصبهانى ، عن عكرِمة ، قال : مانزلت قطرة من السماء فى البحر إلا كانت بها لؤلؤة أو نبتت بها عنبرة ، فيما يحسب الطبرى .

---

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٢٣) وقد سبق استشهاد المؤلف به أكثر من مرة ، فارجع إليه فى الأجزاء (٣ : ٢٧٥ ، ٦ : ٢٨١ ، ٧ : ٢٩٤ ، ٩ : ٢٠٠ ، ١١ : ١٤٢) وشرحه مستوفى فى الجزأين ٣ ، ١١ . وأنشده الفراء هنا عند قوله تعالى : « وحور عين » وقال : خفضها أصحاب عبد الله (ابن مسعود) وهو وجه العربية ، وإن كان أكثر القراء على الرفع ؛ لأنهم هابوا أن يجعلوا الحور العين يطاف بهن ، فرفعوا على قولك : ولهم حور عين ، أو عندهم حور عين . والخفض على أن يتبع آخر الكلام بأوله ، وإن لم يحسن فى آخره ما حسن فى أوله ، أنشدنى بعض العرب :

إذا ما الغانيات برزن يوما وزججن الحواجب والعيونا

فالعين لاتزجج ، إنما تكحل ، فردها على الحواجب ، لأن المعنى يعرف . وأنشدنى آخر : « ولقيت زوجك فى الوغى .... البيت » ، والرمح لايتقلد ، فرده على السيف . اهـ .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (يَخْرُجُ مِنْهُما اللُّؤْلُؤُ والمَرْجانُ) فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة : (يُخْرَجُ) على وجه ما لم يسمّ فاعله . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة وبعض المكيين بفتح الياء .

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، لتقارب معنييهما .

وقوله (فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول تعالى ذكره : فبأىّ نِعم ربكما معشر الثقلين التى أنعم بها عليكم فيما أخرج لكم من منافع هذين البحرين تكذّبان .

وقوله(وَلَهُ الجَوارِ المُنْشَآتُ فى البَحْرِ كالأعْلام) يقول تعالى ذكره : ولربّ المشرقين والمغربين الجوارى ، وهى السفن الجارية فى البحار .

وقوله (المُنْشَآتُ فِى البَحْرِ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الكوفة (المُنْشِئاتُ) بكسر الشين ، بمعنى : الظاهرات السير اللاتى يقبلن ويدبرن . وقرأ ذلك عامة قرّاء البصرة والمدينة وبعض الكوفيين (المُنْشَآتُ) بفتح الشين ، بمعنى المرفوعات القلاع اللاتى تقبل بهنّ وتدبر .

والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى متقاربتاه ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

ذكر من قال فى تأويل ذلك ما ذكرناه فيه

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (المُنْشَآتُ فِى البَحْرِ) قال : مارفع قلعه من السفن فهى منشئات ، وإذا لم يرفع قلعها فليست بمنشأة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَهُ الجَوارِ المُنْشَآتُ فِى البَحْرِ كالأعْلام) يعنى : السفن .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال : ابن زيد ، فى قوله (وَلَهُ الجَوارِ المُنْشَآتُ فِى البَحْرِ كالأعْلامِ) يعنى السفن .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَهُ الجَوارِ المُنْشَآتُ فِى البَحْرِ كالأعْلامِ) قال السفن .

وقوله (كالأعْلام) يقول : كالجبال ، شبّه السفن بالجبال ، والعرب تسمى كل جبل طويل علما ؛ ومنه قول جرير :

* إذا قَطَعْنا عَلَما بَدَا عَلَمْ [1] *

---

(١) البيت من مقطوعة من الرجز لجرير الخطفى (ديوانه ٥٢٠) وتمامه * حتى تناهين بنا إلى الحكم * يمدح الحكم بن أيوب الثقفى صهر الحجاج وابن عمه . يصف النوق التى حملته إليه ، ولذلك نرجح روايته « قطعن » بنون جمع النسوة على رواية « قطعنا » بضمير جماعة الذكور ، وإن كانت جائزة فى المعنى . والأعلام : جمع علم ، وهو الجبل الطويل ، سمى علما ، لأن المسافر يجعله علامة وأمارة =

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبان) يقول تعالى ذكره : فبأيّ نعم ربكما معشر الجنّ والإنس التى أنعمها عليكم بإجرائه الجوارى المنشئات فى البحر جارية بمنافعكم تكذّبان .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٨ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٠﴾

يقول تعالى ذكره : كلّ من على ظهر الأرض من جنّ وإنس فإنه هالك ، ويبقى وجه ربك يامحمد ذو الجلال والإكرام ؛ وذو الجلال والإكرام من نعت الوجه فلذلك رفع ذو . وقد ذُكر أنها فى قراءة عبد الله بالياء (ذى الجَلال والإكْرَام) على أنه من نعت الربّ وصفته .

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول تعالى ذكره : فبأيّ نِعَم ربكما معشر الثقلين من هذه النعم تكذّبان .

وقوله (يَسْأَلُهُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ والأرْضِ) يقول تعالى ذكره : إليه يَفْزع بمسألة الحاجات كلّ من فى السموات والأرض ، من مَلَك وإنس وجنّ وغيرهم ، لاغنى بأحد منهم عنه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَسْأَلُهُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ والأرْضِ ، كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شأْنٍ) لايستغنى عنه أهل السماء ولاأهل الأرض ، يُحْيِى حيا ، ويُميت ميتا ويربى صغيرا ، ويذلّ كبيرا ، وهو مَسْأل حاجات الصالحين ، ومنتهى شكواهم ، وصريخ الأخيار .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَسْأَلُهُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ والأرْضِ ، كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شأْنٍ) قال : يعنى مسئلة عباده إياه الرزق والموت والحياة ، كلّ يوم هو فى ذلك .

وقوله (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شأْنٍ) يقول تعالى ذكره هو كلّ يوم فى شأن خلقه ، فيفرج كرب ذى كرب ويرفع قوما ويخفض آخرين ، وغير ذلك من شئون خلقه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن يونس بن خباب ، والأعمش عن مجاهد ، عن

— على الطريق . وأنشده أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٣ – ١) وقال : كالأعلام : كالجبال ، قال جرير يصف الإبل : « إذ قطعن . . . . البيت » .

عبيد بن عمير (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) قال : يجيب داعيا ، ويعطى سائلا ، أو يفك عانيا ، أو يشفى سقيما :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبيد بن عمير فى قوله (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) قال : يفك عانيا ، ويشفى سقيما ، ويجيب داعيا .

وحدثنى إسماعيل بن إسرائيل اللآل ، قال : ثنا أيوب بن سويد ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، فى قوله (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) قال : من شأنه أن يعطى سائلا ، ويفك عانيا ، ويجيب داعيا ، ويشفى سقيما .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ؛ قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) قال : كل يوم هو يجيب داعيا ، ويكشف كربا ، ويجيب مضطرا ، ويغفر ذنبا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن عبيد بن عمير (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) يجيب داعيا ، ويعطى سائلا ، ويفك عانيا ، ويتوب على قوم ويغفر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مروان ، قال : ثنا أبو العوام ، عن قتادة (يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) قال : يخلق خلقا ، ويميت ميتا ، ويحدث أمرا .

حدثنى عبد الله بن محمد بن عمرو الغزى ، قال : ثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابى ، قال : ثنا عمرو بن بكر السكسكى ، قال : ثنا الحارث بن عبدة بن رباح الغسانى ، عن أبيه عبدة بن رباح ، عن منيب ابن عبد الله الأزدى ، عن أبيه قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) فقلنا : يارسول الله ، وماذلك الشأن ؟ قال : « يَغْفِرُ ذَنْبًا ، وَيُفَرِّجُ كَرْبًا ، وَيَرْفَعُ أَقْوَامًا ، وَيَضَعُ آخَرِينَ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن أبى حمزة الثمالى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : إن الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء ، دفتاه ياقوتة حمراء ، قلمه نور ، وكتابه نور ، عرضه مابين السماء والأرض ، ينظر فيه كل يوم ثلاث مئة وستين نظرة ، يخلق بكل نظرة ، ويحيى ويميت ، ويعز ويذل ، ويفعل ما يشاء .

وقوله (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) يقول تعالى ذكره : فبأى نعم ربكما معشر الجن والإنس التى أنعم عليكم من صرفه إياكم فى مصالحكم ، وما هو أعلم به منكم من تقليبه إياكم فيما هو أنفع لكم تكذبان .

القول فى تأويل قوله تعالى :

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ

أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾

❊ اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّها الثَّقَلانِ) فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض المكيين (سَنَفْرُغُ لَكُمْ) بالنون . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (سَيَفْرُغُ لَكُمْ) بالياء وفتحها ردّاً على قوله (يَسْئَلُهُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) ولم يقل : يسألنا من فى السموات ، فأتبعوا الخبر الخبر .

والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وأما تأويله : فإنه وعيد من الله لعباده وتهدّد ، كقول القائل الذى يتهدّد غيره ويتوعده ، ولا شغل له يشغله عن عقابه ، لأتفرغنّ لك ، وسأتفرّغ لك ، بمعنى : سأجدّ فى أمرك وأعاقبك ، وقد يقول القائل للذى لاشغل له ، قد فرغت لى ، وقد فرغت لشتمى : أى أخذت فيه وأقبلت عليه ، وكذلك قوله جلّ ثناؤه : (سَنَفْرُغُ لَكُمْ) سنحاسبكم ، ونأخذ فى أمركم أيها الإنس والجنّ ، فنعاقب أهل المعاصى ، ونثيب أهل الطاعة :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّها الثَّقَلانِ) قال : وعيد من الله للعباد ، وليس بالله شغل ، وهو فارغ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة أنه تلا (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّها الثَّقَلانِ) قال : دنا من الله فراغ لخلقه .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جُويبر ، عن الضحاك (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّها الثَّقَلانِ) قال : وعيد ، وقد يُحتمل أن يوجه معنى ذلك إلى : سنفرُغ لكم من وعدناكم ماوعدناكم من الثواب والعقاب .

وقوله (فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) : فبأىّ نعم ربكما معشر الثقلين التى أنعمها عليكم ، من ثوابه أهل طاعته ، وعقابه أهل معصيته تكذّبان ؟ .

وقوله (يا مَعْشَرَ الجِنِّ والإنْسِ إنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذُوا مِنْ أقْطارِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ فانْفُذُوا) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (إنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذُوا) فقال بعضهم : معنى ذلك : إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السموات والأرض ، فتعجزوا ربكم حتى لايقدر عليكم ، فجوزوا ذلك ، فإنكم لاتجوزونه إلا بسلطان من ربكم ، قالوا : وإنما هذا قول يقال لهم يوم القيامة . قالوا : ومعنى الكلام : سنفرغ لكم أيها الثقلان ، فيقال لهم : (يا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ إنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذُوا مِنْ أقْطارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا) .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقّ ، قال : ثنا أبوأسامة ، عن الأجلح ، قال : سمعت الضحاك بن مزاحم ، قال : « إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشقّقت بأهلها ، ونزل من فيها من الملائكة ، فأحاطوا بالأرض ومن عليها بالثانية ، ثم بالثالثة ، ثم بالرابعة ، ثم بالخامسة ، ثم بالسادسة ، ثم بالسابعة ، فصفوا صفا دون صف ، ثم ينزل الملك الأعلى على مجنِّبته اليسرى جهنم ، فإذا رآها أهل الأرض ندّوا ، فلا يأتون قطرا من أقطار الأرض إلا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة ، فيرجعون إلى المكان الذى كانوا فيه فذلك قول الله (إِنّى أخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ ، يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ) ، وذلك قوله (وَجاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ، وجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) ، وقوله (يا مَعْشَرَ الجِنّ والإنْسِ إنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذُوا مِنْ أقْطارِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ فانْفُذُوا لاتَنْفُذُونَ إلاَّ بِسُلْطانٍ) ، وذلك قوله(وَانْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ والمَلَكُ على أرْجائِها) » .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن تنفذوا من أقطارالسموات والأرض ، فانفذوا هاربين من الموت ، فإن الموت مُدركِكم ، ولا ينفعكم هربكم منه .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : (يامَعْشَرَ الجِنّ والإنْسِ) . . . الآية ، يعنى بذلك أنه لايجيرهم أحد من الموت ، وأنهم ميتون لايستطيعون فرارا منه ، ولا محيصا ، لو نفذوا أقطار السموات والأرض كانوا فى سُلطان الله ، ولأخذهم الله بالموت .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن استطعتم أن تعلموا ما فى السموات والأرض فاعلموا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (يامَعْشَرَ الجِنّ والإنْسِ إنِ اسْتَطَعْتُمْ أن تَنْفُذُوا مِنْ أقْطارِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ فانْفُذُوا لاتَنْفُذُونَ إلاَّ بِسُلْطانٍ) يقول : إنّ استطعتم أن تعلموا ما فى السموات والأرض فاعلموه ، لن تعلموه إلا بسلطان ، يعنى البينة من الله جلّ ثناؤه .

وقال آخرون : معنى قوله (لاتَنْفُذُونَ) لاتخرجون من سلطانى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لاتَنْفُذُونَ إلاَّ بِسُلْطانٍ) يقول : لاتخرجون من سلطانى .

وأما الأقطار فهى جمع قُطْر ، وهى الأطراف .

كما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (إنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذُوا مِنْ أقْطارِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ) قال : من أطرافها .

وقوله جلّ ثناؤه (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أقْطارِها) يقول : من أطرافها .

وأما قوله (إلاَّ بِسُلْطانٍ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى معناه ، فقال بعضهم : معناه : إلا ببينة وقد ذكرنا ذلك قبل .

وقال آخرون : معناه : إلا بحجة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن رجل ، عن عكرمة (لاتَنْفُذُونَ إلاَّ بِسُلْطانٍ) قال : كلّ شيء فى القرآن سلطان فهو حجة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (بِسُلْطانٍ) قال : بحجة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إلا بملك وليس لكم ملك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبوالعوّام ، عن قتادة (فانْفُذُوا لاتَنْفُذُونَ إلاَّ بِسُلْطانٍ) قال : لاتنفذون إلا بملك وليس لكم ملك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لاتَنْفُذُونَ إلاَّ بِسُلْطانٍ) قال إلا بسلطان من الله ، إلا بملكة منه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لاتَنْفُذُونَ إلاَّ بِسُلْطانٍ) يقول إلا بملكة من الله .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : إلا بحجة وبينة ، لأن ذلك هو معنى السلطان فى كلام العرب ، وقد يدخل الملك فى ذلك ، لأن الملك حجة .

وقوله (فَبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول تعالى ذكره : فبأيّ نعم ربكما تكذّبان معشر الثقلين التى أنعمت عليكم ، من التسوية بين جميعكم ، لايقدرون على خلاف أمر أراده بكم تكذّبان .

القول في تأويل قوله تعالى:

يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾

❊ يقول تعالى ذكره: (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا) أيها الثقلان يوم القيامة (شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ) وهو لهبها من حيث تشتعل وتؤجّج بغير دخان كان فيه ؛ ومنه قول رُؤْبة بن العجّاج :

إنَّ لَهُمْ مِنْ وَقْعِنا أقْياظا ونارُ حَرْبٍ تُسْعِرُ الشُّوَاظا[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ عن ابن عباس ، قوله (شُوَاظٌ مِنْ نارٍ) يقول : لَهَب النار .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُوَاظٌ مِنْ نارٍ) يقول : لهب النار .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (شُوَاظٌ مِنْ نارٍ) قال : لهب النار .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الزُّبيرى ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُوَاظٌ مِنْ نارٍ) قال : اللهب المتقطع[2] .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُوَاظٌ مِنْ نارٍ) قال : الشُّواظ : الأخضر المتقطع من النار .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد فى قوله (يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُوَاظٌ مِنْ نارٍ) قال الشُّواظ : هذا اللهب الأخضر المتقطع[2] من النار .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، فى قوله (يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُوَاظٌ مِنْ نارٍ) قال : الشواظ : اللهب الأخضر المتقطع من النار.

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الضحاك : (الشُّوَاظُ) : اللهب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُوَاظٌ مِنْ نارٍ) : أى لهب من نار .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (شُوَاظٌ مِنْ نارٍ) قال : لهب من نار.

وحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُوَاظٌ مِنْ نارٍ) قال : الشواظ : اللهب ، وأما النحاس فالله أعلم بما أراد به .

---

(١) البيتان فى ديوان العجاج (طبع ليبسج ٨١) وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (الورقة ١٧٣) ولم يظهر اسم الشاعر ، قال عند قوله تعالى « يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس » : شواظ (بضم أوله) وشواظ بكسر أوله (ضبط قلم) : واحد . وهو النار التى تأجج لادخان فيها . قال : « إن لهم من وقعنا » .... البيتين . وفى (اللسان : شوظ) الشواظ والشواظ (بضم الأول وكسر الثانى) : اللهب الذى لادخان فيه . وقال رؤبة : « إن لهم . . . . البيتين » . وفى التنزيل العزيز « يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس » . قال الفراء : أكثر القراء قرءوا شواظ (بالضم) وكسر الحسن الشين ، كما قالوا لجماعة البقر صوار وصوار . اهـ .

(٢) المتقطع : كذا فى الأصل . وهو كذلك بالشوكانى (٥ : ١٣٤) .

وقال آخرون : الشُّواظ : هو الدخان الذى يخرج من اللهب :

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ) الدخان الذى يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (شُوَاظٌ) ، فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة والبصرة ، غير ابن أبى إسحاق (شُوَاظٌ) بضم الشين ، وقرأ ذلك ابن أبى إسحاق ، وعبد الله بن كثير (شِوَاظٌ مِنْ نَارٍ) بكسر الشين ، وهما لغتان ، مثل الصوار من البقر ، والصّوار بكسر الصاد وضمها . وأعجب القراءتين إلىّ ضمّ الشين ، لأنها اللغة المعروفة ، وهى مع ذلك قراءة القرّاء من أهل الأمصار .

وأما قوله (وَنُحَاسٌ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى المعنىّ به ، فقال بعضهم : عُنِى به الدخان .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبيد المحاربى ، قال : ثنا موسى بن عمير ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ) قال : النحاس : الدخان .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (وَنُحَاسٌ) دخان النار .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (وَنُحَاسٌ) قال : دخان .

وقال آخرون : عنى بالنحاس فى هذا الموضع : الصُّفر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَنُحَاسٌ) قال : النحاس : الصفر يعذّبون به .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَنُحَاسٌ) قال : يذاب الصفر من فوق رءوسهم .

قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (وَنُحَاسٌ) قال : يذاب الصفر فيصبّ على رأسه .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَنُحَاسٌ) يذاب الصفر فيصبّ على رءوسهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَنُحَاسٌ) قال : توعدهما بالصُّفر كما تسمعون أن يعذّبهما به .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ) قال : يخوّفهم بالنار وبالنحاس .

وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول من قال : عُنِى بالنحاس : الدخان ، وذلك أنه جلّ ثناؤه

ذكر أنه يرسل على هذين الحيَّين شواظ من نار ، وهو النار المحضة التى لايخلطها دخان . والذى هو أولى بالكلام أنه توعدهم بنار هذه صفتها أن يُتبع ذلك الوعد بما هو خلافها من نوعها من العذاب دون ما هو من غير جنسها ، وذلك هو الدخان ، والعرب تسمى الدخان نُحاسا بضم النون ، ونِحاسا بكسرها ، والقرّاء مجمعة على ضمها ، ومن النُّحاس بمعنى الدخان ، قول نابغة بنى ذُبيان :

يَضُـوءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيـطِ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِيهِ نُحاسا[1]

يعنى : دخانا .

وقوله (فَلَا تَنْتَصِرَانِ) يقول تعالى ذكره : فلا تنتصران أيها الجن والإنس منه إذا هو عاقبكما هذه العقوبة ، ولا تُستنقذان منه .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَلَا تَنْتَصِرَانِ) قال : يعنى الجنّ والإنس .

قال : وقوله (فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ) يقول تعالى ذكره فإذا انشقّت السماء وتفطّرت ، وذلك يوم القيامة ، فكان لونها لون البرذون الورد الأحمر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ) قال : كالفرس الورد .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ) يقول : تغير لونها .

حدثنا عبد الله بن أحمد بن حويه ، قال : ثنا شهاب بن عباد ، قال : ثنا إبراهيم بن حميد ، عن إسماعيل ابن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله (وَرْدَةً كَالدِّهَانِ) قال كلون البرذون الورد ، ثم كانت بعد كالدهان .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ) يقول : تتغير السماء فيصير لونها كلون الدابة الوردة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَرْدَةً كَالدِّهَانِ) هى اليوم خضراء كما ترون ، ولونها يوم القيامة لون آخر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا ابن العوّام ، عن قتادة ، فى قوله (فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ) قال : هى اليوم خضراء ، ولونها يومئذ الحمرة .

---

(١) البيت لنابغة بنى جعدة مجاز القرآن (الورقة ١٧٣ — ب) وحرف الناسخ اسمه ، فقال كنابغة بنى ذبيان فى تفسير المؤلف هذا . قال أبو عبيدة عند قوله تعالى : « ونحاس » : نحاس ونحاس (بضم أوله وكسره ، ضبط قلم) والنحاس : الدخان ؛ قال نابغة بنى جعدة « تضئ كضوء . . . . البيت » وفى أوله : تضىء بالياء ، لا بالواو ، كما كتبه ناسخ التفسير . وفى (اللسان : ضوأ) ضاء السراج يضوء ، وأضاء يضئ قال : واللغة الثانية هى المختارة . اهـ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال: ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَرْدَةً كالدِّهانِ) قال : إنها اليوم خضراء ، وسيكون لها يومئذ لون آخر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فكانَتْ وَرْدَةً كالدِّهان) قال : مشرقة كالدهان .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله (كالدِّهانِ) فقال بعضهم: معناه كالدهن صافية الحمرة مشرقة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَرْدَةً كالدِّهانِ) قال : كالدهن .

حُدثت عن الحسين، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله (كالدِّهانِ) يعني : خالصة .

وقال آخرون : عنى بذلك : فكانت وردة كالأديم ، وقالوا : الدهان : جماع ، واحدها دهن .

﴿ وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى به الدهن في إشراق لونه ، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب .

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول تعالى ذكره فبأيّ قدرة ربكما معشر الجنّ والإنس على ما أخبركم بأنه فاعل بكم تكذّبان .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾﴾

﴿ يقول تعالى ذكره: فيومئذ لا يسأل الملائكة المجرمين عن ذنوبهم ، لأن الله قد حفظها عليها ، ولا يسأل بعضهم عن ذنوب بعض ربهم .

وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جانٌّ) يقول تعالى ذكره لا يسألهم عن أعمالهم ، ولا يسأل بعضهم عن بعض وهو مثل قوله (وَلا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ المُجْرِمُونَ) ومثل قوله لمحمد صلى الله عليه وسلم (وَلا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الجَحِيمِ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة في قوله (لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جانٌّ) قال : حفظ الله عزّ وجلّ عليهم أعمالهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال: ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جانٌّ) قال : كان مجاهد يقول : لايسأل الملائكة عن المجرم يعرفون بسيماهم .

حدثنا محمد بن بشار قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبوالعوّام ، عن قتادة (فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جانٌّ) قال : قد كانت مسئلة ثم ختم على ألسنة القوم فتتكلم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون .

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول تعالى ذكره : فبأيّ نعم ربكما معشر الثقلين، التي أنعم عليكم من عدله فيكم ، أنه لم يعاقب منكم إلا مجرما [1] .

وقوله (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ) يقول تعالى ذكره تعرف الملائكة المجرمين بعلاماتهم وسيماهم التي يسوّمهم الله بها من اسوداد الوجوه ، وازرقاق العيون .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور عن معمر ، عن الحسن ، في قوله (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ) قال : يعرفون باسوداد الوجوه ، وزُرقة العيون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان قال : ثنا أبوالعوّام ، عن قتادة (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ) قال : زرق العيون ، سود الوجوه .

وقوله (فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِي وَالْأَقْدامِ) يقول تعالى ذكره : فتأخذهم الزبانية بنواصيهم وأقدامهم فتسحبهم إلى جهنم ، وتقذفهم فيها (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول تعالى ذكره فبأيّ نعم ربكما معشر الجنّ والإنس التي أنعم عليكم بها من تعريفه ملائكته أهل الإجرام من أهل الطاعة منكم حتى خصوا بالإذلال والإهانة المجرمين دون غيرهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره يقال لهؤلاء المجرمين الذين أخبر جلّ ثناؤه أنهم يعرفون يوم القيامة بسيماهم حين يؤخذ بالنواصي والأقدام : هذه جهنم التي يكذّب بها المجرمون ، فترك ذكر «يقال» اكتفاء بدلالة الكلام عليه منه. وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله (هذه جهنم التي كنتما بها تكذّبان تصليانها ، لاتموتان فيها ولاتحييان) [2] .

وقوله (يَطُوفُونَ بَيْنَها وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) يقول تعالى ذكره : يطوف هؤلاء المجرمون الذين وصف

(١) لعله سقط من قلم الناسخ كلمة « تكذبان » ، التي اعتاد المؤلف أن يختم بها مثل هذا التعبير فيما مضى من قول الله سبحانه (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ؟

(٢) ذكر الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩ صفحة ٣٢١) قراءة عبد الله ، وزاد فيها بعد قوله « تحييان » : تطوفان . اه . و « تطوفان » : هي بدء الآية التي بعدها : « يطوفون بينها . . . الخ » .

صفتهم فى جهنم بين أطباقها (وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) يقول : وبين ماء قد أسخن وأغلى حتى انتهى حرّه وأنى طبخه ؛ وكل شىء قد أدرك وبلغ فقد أنى ؛ ومنه قوله : (غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ) يعنى : إدراكه وبلوغه، كما قال نابغة بنى ذُبيان :

وَيُخْضَبُ لِحْيَةٌ غَدَرَتْ وخانَتْ … بأحْمَرَ مِنْ نَجِيعِ الجَوْفِ آنِى [1]

يعنى : مدرك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) يقول : انتهى حرّه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) يقول : غلى حتى انتهى غليه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) قال : قد بلغ إناه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : الآنى الذى قد انتهى حرّه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا شبيب ، عن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) قال : الآنى : ما اشتدّ غليانه ونضجه .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (حَمِيمٍ آنٍ) هو الذى قد انتهى غَلَيه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة (وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) قال : أنى طبخها منذ يوم خلق الله السموات والأرض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) يقول : حميم قد أنى طبخه منذ خلق الله السموات والأرض .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (حَمِيمٍ آنٍ) يقول : حميم قد آن منتهى حرّه .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (حَمِيمٍ آنٍ) قال : قد انتهى حرّه .

وقال بعضهم : عنى بالآنى : الحاضر .

---

(١) البيت لنابغة بنى ذبيان (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبى ١٩٤) من قصيدة يهجو بها يزيد بن عمرو ابن الصعق الكلابى فى قصة ذكرها شارحه فى ١٩٣ عند بدء القصيدة (وانظر شرح الأعلم ، والوزير أبى بكر البطليوسى على الأشعار الستة ، والجزء الأول من خزانة الأدب الكبرى ، لعبد القادر البغدادى ٢٠٤ — ٢٠٥) وقال شارح البيت : نجيع الجوف : الدم الخالص . والآنى : الشديد الحرارة ، وهو الذى بلغ أناه . اهـ . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٣ — ب) : عند قوله تعالى «وبين حميم آن» : بلغ أناه فى شدة الحر . اهـ .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد، في قوله (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) قال : يطوفون بينها وبين حميم حاضر ، الآنى : الحاضر.

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول: فبأىّ نِعَم ربكما معشر الجنّ والإنس التى أنعمها عليكم بعقوبته أهل الكفر به وتكريمه أهل الإيمان به تكذّبان .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ۝٤٦ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٧ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ۝٤٨ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٩﴾

يقول تعالى ذكره : ولمن اتقى الله من عباده ، فخاف مقامه بين يديه ، فأطاعه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه جنتان ، يعنى بستانين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وإن اختلفت ألفاظهم فى البيان عن تأويله ، غير أن معنى جميعهم يئول إلى هذا .

ذكر من قال ذلك

حدثني علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) قال : وعد الله جلّ ثناؤه المؤمنين الذين خافوا مقامه ، فأدّوا فرائضه الجنة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) يقول : خاف ثم اتقى ، والخائف : من ركب طاعة الله ، وترك معصيته .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) هو الرجل يهم بالذنب فيذكر مقام ربه فينزع .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن منصور ، عن مجاهد ، قوله (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) قال: الرجل يهمّ بالذنب فيذكر مقامه بين يدى الله فيتركه ، فله جنتان .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قوله (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) قال : الرجل يهمّ بالمعصية ، فيذكر الله عزّ وجلّ فيدعها .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) قال : فى الذى إذا همّ بمعصية تركها .

حدثنا نصر بن عليّ ، قال : ثنا إسحاق بن منصور ، عن مجاهد ، قوله (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قال : هو الرجل يهمّ بمعصية الله تعالى ، ثم يتركها مخافة الله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قال : يذنب الذنب فيذكر مقام ربه فيدعه .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم فى هذه الآية (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قال : إذا أراد أن يذنب أمسك مخافة الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قال : إن المؤمنين خافوا ذاكم المقام فعملوا له ، ودانوا له ، وتعبّدوا بالليل والنهار .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبوالعوّام ، قال : ثنا قتادة ، فى قوله (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قال : إن لله مقاما قد خافه المؤمنون .

حدثنى محمد بن موسى ، قال : ثنا عبد الله بن الحارث القرشيّ ، قال : ثنا شعبة بن الحجاج ، قال : ثنا سعيد الجريريّ ، عن محمد بن سعد ، عن أبى الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإنْ زَنَى وسَرَقَ وإنْ رَغِمَ أنْفُ أبى الدَّرْداءِ » .

وحدثنى زكريا بن يحيى بن أبان المصرى ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : أخبرنا محمد بن جعفر ، عن محمد بن أبى حرملة ، عن عطاء بن يسار ، قال : أخبرنى أبوالدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قرأ يوما هذه الآية (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) فقلت وإن زنى وإن سرق يارسول الله ؟ قال (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قال : فقلت : يا رسول الله وإن زنى وإن سرق ؟ قال : (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) فقلت : وإن زنى وإن سرق يا رسول الله ؟ فقال : وَإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ رَغْمَ أنْفِ أبى الدَّرْدَاءِ » .

حدثنا عليّ بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أبى بكر ، عن أبى موسى ، عن أبيه ، قال حماد لا أعلمه إلا رفعه فى قوله (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قال جنتان من ذهب للمقرّبين أو قال : للسابقين ، وجنتان من ورق لأصحاب اليمين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : ثنا سيار ، قال : قيل لأبى الدرداء فى هذه الآية (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) فقيل : وإن زنى وإن سرق ، فقال : وإن زنى وإن سرق . وقال : إنه إن خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن ابن المبارك ، عن سعيد الجريريّ ، عن رجل ، عن أبى الدرداء « (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) فقال أبوالدرداء : وإن زنى وإن سرق ، قال : نعم ، وإن رَغِمَ أنفُ أبى الدرداء » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن الصلت ، عن عمرو بن ثابت ، عمن ذكره ، عن أبى وائل ، عن ابن مسعود فى قوله (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قال : وإن زنى وإن سرق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قال : جنتا السابقين ، فقرأ (ذَوَاتا أَفْنانٍ) فقرأ حتى بلغ (كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ وَالمَرْجانُ) ثم رجع إلى أصحاب اليمين ، فقال : (وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ) فذكر فضلهما وما فيهما .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قال : مقامه حين يقوم العباد يوم القيامة ، وقرأ (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العالَمِينَ) وقال : ذاك مقام ربك .

وقوله (فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول تعالى ذكره : فبأىّ نعم ربكما أيها الثقلان التى أنعم عليكم بإثابته المحسن منكم ما وصف جلّ ثناؤه فى هذه الآيات تكذّبان .

وقوله (ذَوَاتا أَفْنانٍ) يقول : ذواتا ألوان ، واحدها فن ، وهو من قولهم : افتنّ فلان فى حديثه : إذا أخذ فى فنون منه وضروب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحسين بن يزيد الطحان ، قال : ثنا عبد السلام بن حرب ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جُبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (ذَوَاتا أَفْنانٍ) قال : ذواتا ألوان .

حدثنا الفضل بن إسحاق ، قال : ثنا أبو قُتيبة ، قال : ثنا عبد الله بن النعمان ، عن عكرمة (ذَوَاتا أَفْنانٍ) قال : ظلّ الأغصان على الحيطان ، قال : وقال الشاعر :

ماهاجَ شَوْقَكَ مِنْ هَدِيلِ حَمامَةٍ تَدْعُو على فَنَنِ الغُصُونِ حَماما
تَدْعُو أبا فَرْخَيْنِ صادَفَ ضارِياً ذا مِخْلَبَيْنِ مِنَ الصُّقُورِ قَطاما [1]

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد (ذَوَاتا أَفْنانٍ) قال : ذواتا ألوان .

قال : ثنا مهران ، عن أبى سنان (ذَوَاتا أَفْنانٍ) قال : ذواتا ألوان .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (ذَوَاتا أَفْنانٍ) يقول : ألوان من الفاكهة .

---

(١) لم أقف على قائل البيتين وأنشد ابن برى فى (اللسان : هدر) البيت الأول منهما ولم ينسبه قال صاحب اللسان عن ابن سيده فى المحكم : الهديل : صوت الحمام ، وخص بعضهم به وحشيها ، كالدباسى والقمارى ونحوهما ، هدل يهدل هديلا . وأنشد ابن برى : . . . البيت قال : وقد جاء الهديل فى صوت الهدهد . اهـ . والفنن الغصن المستقيم طولا وعرضا . وقيل الغصن : القضيب ، يعنى المقضوب ، والفنن : ما تشعب منه . والجمع : الأفنان ثم الأفانين . وقال عكرمة فى قوله تعالى : « ذواتا أفنان » قال : ظل الأغصان على الحيطان . وقال أبو الهيثم : فسره بعضهم : ذواتا أغصان . وفسره بعضهم : ذواتا ألوان واحدها حينئذ : فن ، وفنن قال أبو منصور : واحد الأفنان ، إذا أردت بها ألوان فن . وإذا أردت بها الأغصان : فواحدها فنن . اهـ . وقال فى قطم : والقطامى الصقر ، ويفتح . وصقر قطام (كسحاب) وقطامى وقطامى (بفتح أوله وضمه) : لحم . قيس يفتحون وسائر العرب يضمون ، وقد غلب عليه اسما ، وهو مأخوذ من القطم ، وهو المشتهى : اللحم وغيره . اهـ .

وقال آخرون : ذواتا أغصان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن رجل من أهل البصرة ، عن مجاهد (ذَوَاتَا أَفْنَانٍ) قال : ذواتا أغصان .

وقال آخرون : معنى ذلك : ذواتا أطراف أغصان الشجر .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ذَوَاتَا أَفْنَانٍ) يقول : فيما بين أطراف شجرها ، يعني : يمسّ بعضها بعضا كالمعروشات ، ويقال ذواتا فضول عن كلّ شيء .

وقال آخرون : بل عنى بذلك فضلهما وسعتهما على ماسواهما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ذَوَاتَا أَفْنَانٍ) يعني : فضلهما وسعتهما على ما سواهما .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (ذَوَاتَا أَفْنَانٍ) قال : ذواتا فضل على ماسواهما .

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) يقول تعالى ذكره : فبأيّ نعم ربكما معشر الثقلين التي أنعم عليكما بإثابته هذا الثواب أهل طاعته تكذّبان .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ ﴾

يقول تعالى ذكره في هاتين الجنتين عينا ماء تجريان خلالهما ، فبأيّ آلاء ربكما تكذّبان

وقوله (فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ) يقول تعالى ذكره : فيهما من كلّ نوع من الفاكهة ضربان ، فبأيّ آلاء ربكما التي أنعم بها على أهل طاعته من ذلك تكذّبان .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ ﴾

يقول تعالى ذكره: (وَلِمَنْ خافَ مَقَامَ رَبِّه جَنَّتَانِ) يتنعمون فيهما (مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ)، فنصب متكئين على الحال من معنى الكلام الذى قبله لأن الذى قبله بمعنى الخبر عمن خاف مقام ربه أنه فى نَعْمَة وسرور ، يتنعمون فى الجنتين .

وقوله (على فُرُشٍ بَطَائِنُها مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الجَنَّتَيْنِ) يقول تعالى ذكره : بطائن هذه الفرش من غليظ الديباج ، والإستبرق عند العرب : ما غلظ من الديباج وخشن .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول : يسمى المتاع الذى ليس فى صفاقة الديباج ولا خفة العَرَقَة إستبرقا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عمران بن موسى القَزّاز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا يحيى بن أبى إسحاق ، قال قال لى سالم بن عبد الله : ما الإستبرق ؟ قال : قلت : ما غلظ من الديباج وخشن منه .

حدثنا محمد بن بشار قال : ثنا يحيى بن أبى عَرُوبة ، عن قتادة ، عن عكرمة ، فى قوله (إِسْتَبْرَقٍ) قال : الديباج الغليظ .

وحدثنا إسحاق بن زيد الخطابى ، قال : ثنا الفريابىّ ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن هبيرة بن يريم عن ابن مسعود فى قوله (فُرُشٍ بَطَائِنُها مِنْ إِسْتَبْرَقٍ) قال : قد أخبرتم بالبطائن ، فكيف لو أخبرتم بالظواهر؟

حدثنا الرفاعىّ ، قال : ثنا ابن اليمان ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن هبيرة ، قال : هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر ؟

حدثنا أبو هشام الرفاعى ، قال : ثنا أبو داود ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : قيل له : هذه البطائن من إستبرق فما الظواهر؟ قال : هذا مما قال الله (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) وقد زعم أهل العربية أن البطانة قد تكون ظهارة ، والظهارة تكون بطانة ، وذلك أن كل واحد منهما قد يكون وجها . قال : وتقول العرب : هذا ظهر السماء ، وهذا بطن السماء لظاهرها الذى نراه .

وقوله (وَجَنَى الجَنَّتَيْنِ دانٍ) يقول : وثمر الجنتين الذى يجتنى قريب منهم ، لأنهم لا يتعبون بصعود نخلها وشجرها ، لاجتناء ثمرها ، ولكنهم يجتنونها من قعود بغير عناء .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَنَى الجَنَّتَيْنِ دَانٍ) ثمارهم دانية ، لا يرد أيديهم عنه بعد ولا شوك . ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال : « وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ ، لا يَقْطَعُ رَجُلٌ ثَمَرَةً مِنَ الجَنَّةِ ، فَتَصِلُ إلى فِيهِ حتى يُبَدِّلَ اللهُ مَكَانَها خَيْرًا مِنْها

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَجَنَى الجَنَّتَيْنِ دَانٍ) قال : لا يرد يده بعد ولا شوك .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ) يقول : ثمارها دانية .

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول تعالى ذكره فبأىّ آلاء ربكما معشر الثقلين التى أنعم عليكما من أثاب أهل طاعته منكم هذا الثواب ، وأكرمهم هذه الكرامة تكذّبان .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره فى هذه الفرش التى بطائنها من إستبرق (قاصِراتُ الطَّرْفِ) وهنّ النساء اللاتى قد قُصِرَ طرفهنّ على أزواجهنّ ، فلا ينظرن إلى غيرهم من الرجال .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبيد المحاربى ، قال : ثنى أبى ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد ، فى قوله (فِيهِنَّ قاصِراتُ الطَّرْفِ) قال : قَصُر طرفهنّ عن الرجال ، فلا ينظرن إلا إلى أزواجهنّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فِيهِنَّ قاصِراتُ الطَّرْفِ) . . . الآية ، يقول : قُصِر طرفهنّ على أزواجهنّ ، فلا يردن غيرهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قاصِراتُ الطَّرْفِ) قال : لاينظرن إلا إلى أزواجهنّ ، تقول : وعزّة ربى وجلاله وجماله ، إن أرى فى الجنة شيئا أحسن منك ، فالحمد لله الذى جعلك زوجى ، وجعلنى زوجك .

وقوله (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌّ) يقول : لم يمسهنّ إنس قبل هؤلاء الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم ، وهم الذين قال فيهم (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) ولا جان يقال منه : ماطمث هذا البعيرَ حبلٌ قطّ : أى ما مَسَّه[1] حبل .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين يقول : الطمث هو النكاح بالتدمية ، ويقول : الطمث هو الدم ، ويقول : طمثها إذا دماها بالنكاح : وإنما عنى فى هذا الموضع أنه لم يجامعهنّ إنس قبلهم ولا جانّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

(١) كذا فى (اللسان : طمث) . وفى الأصل : مشطه ، ولعله تحريف من الناسخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس : قوله (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌّ) يقول : لم يدْميهنّ إنس ولا جانّ .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل ، عن رجل عن علىّ (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌّ) قال : منذ خلقهنّ :

حدثنا الحسين بن يزيد الطحان ، قال : ثنا أبومعاوية الضرير ، عن مغيرة بن مسلم ، عن عكرمة ، قال : لاتقل للمرأة طامث ، فإن الطَّمْث هوالجماع ، إن الله يقول : (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌّ) .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌّ) قال : لم يَمَسَّهنّ شىء إنس ولا غيره :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌّ) قال : لم يَمَسَّهنّ :

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملى ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن عاصم ، قال : قلت لأبى العالية امرأة طامث ، قال : ماطامث ؟ فقال رجل : حائض ، فقال أبوالعالية : حائض ، أليس يقول الله عزّوجل (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌّ) .

فإن قال قائل : وهل يجامع النساءَ الجنّ ، فيقال : (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلاجانٌّ) ؟

فإن مجاهدا روى عنه ما حدثنى به محمد بن عمارة الأسدى ، قال : ثنا سهل بن عامر ، قال : ثنا يحيى ابن يَعْلَى الأسلمىّ عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، قال : إذا جامع الرجل ولم يسمّ ، انطوى الجانّ على إحليله فجامع معه ، فذلك قوله (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌّ) .

وكان بعض أهل العلم ينتزع بهذه الآية فى أن الجنّ يدخلون الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو حُميد أحمد بن المغيرة الحمصى ، قال : ثنى أبوحَيْوة شريح بن يزيد الحضرمى ، قال ثنى أرطاة بن المنذر ، قال : سألت ضَمْرة بن حبيب : هل للجنّ من ثواب ؟ قال : نعم ، ثم نزع بهذه الآية (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌّ) فالإنسيات للإنس ، والجنيات للجنّ .

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول تعالى ذكره فبأىّ آلاء ربكما معشر الجنّ والإنس من هذه النعم التى أنعمها على أهل طاعته تكذّبان .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾﴾

❁ يقول تعالى ذكره كأن هؤلاء القاصرات الطرف اللواتى هنّ فى هاتين الجنتين فى صفائهنّ الياقوت الذى يرى السلك الذى فيه من ورائه ، فكذلك يرى مخّ سوقهنّ من وراء أجسامهنّ ، وفى حسنهنّ الياقوت والمرجان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر الأثر الذى رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك

حدثنى محمد بن حاتم ، قال : ثنا عبيدة ، عن حُمَيد ، عن عطاء بن السائب ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن مسعود عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ المَرأةَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ لَيُرَى بَيَاضُ سَاقِها مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ حُلَّةً مِنْ حَرِيرٍ وَمُخُّها ، وذلكَ أنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى يَقُولُ : (كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ وَالمَرْجانُ) أمَّا اليَاقُوتُ فإنَّهُ لَوْ أدْخَلْتَ فيهِ سِلْكاً ثُمَّ اسْتَصْفَيْتَهُ لرأَيْتَهُ مِنْ وَرَائِهِ » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن عطاء بن السائب ، عن عمرو بن ميمون ، قال : قال ابن مسعود : إن المرأة من أهل الجنة لتلبس سبعين حلة من حرير ، يرى بياض ساقها وحسن ساقها من ورائهنّ ، ذلكم بأن الله يقول : (كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ وَالمَرْجانُ) ألا وإنما الياقوت حجر فلو جعلت فيه سلكا ثم استصفيته ، لنظرت إلى السلك من وراء الحجر » :

قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أبو رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ وَالمَرْجانُ) فى بياض المرجان .

حدثنا أبو هشام الرفاعى ، قال : ثنا ابن فضيل ، قال : ثنا عطاء بن السائب ، عن عمرو بن ميمون ، قال : أخبرنا عبد الله : إن المرأة من أهل الجنة لتلبس سبعين حلة من حرير ، فيرى بياض ساقها وحسنه ، ومخّ ساقها من وراء ذلك ، وذلك لأن الله قال (كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ وَالمَرْجانُ) ألا ترى أن الياقوت حجر فإذا أدخلت فيه سلكا ، رأيت السلك من وراء الحجر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : « إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة ، فيرى مخّ ساقها كما يرى الشراب الأحمر فى الزجاجة البيضاء » .

حدثنى محمد بن عبيد المحاربىّ ، قال : ثنا المطلب بن زياد ، عن السدىّ ، فى قوله (كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ وَالمَرْجانُ) قال : صفاء الياقوت وحسن المرجان :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) صفاء الياقوت فى بياض المرجان . ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَلَهُ فِيهَا زَوْجَتَانِ يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ ثِيَابِهِمَا » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) قال : شبّه بهنّ صفاء الياقوت فى بياض المرجان .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) فى صفاء الياقوت وبياض المرجان .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) قال : كأنهنّ الياقوت فى الصفاء ، والمرجان فى البياض ، الصفاء : صفاء الياقوتة ، والبياض : بياض اللؤلؤ .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) قال : فى صفاء الياقوت وبياض المرجان .

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) يقول تعالى ذكره : فبأىّ نعم ربكما التى أنعم عليكم معشر الثقلين من إثابته أهل طاعته منكم بما وصف فى هذه الآيات تكذّبان .

وقوله (هَلْ جَزَاءُ الإحْسَانِ إِلاَّ الإحْسَانُ) يقول تعالى ذكره : هل ثواب خوف مقام الله عزّ وجلّ لمن خافه فأحسن فى الدنيا عمله ، وأطاع ربه ، إلا أن يحسن إليه فى الآخرة ربُّه ، بأن يجازيه على إحسانه ذلك فى الدنيا ما وصف فى هذه الآيات من قوله (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) . . . إلى قوله (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وإن اختلفت ألفاظهم بالعبارة عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة (هَلْ جَزَاءُ الإحْسَانِ إِلاَّ الإحْسَانُ) قال : عملوا خيرا فجوزوا خيرا .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا عبيدة بن بكار الأزدى ، قال : ثنى محمد بن جابر ، قال : سمعت محمد بن المنكدر يقول فى قول الله جلّ ثناؤه (هَلْ جَزَاءُ الإحْسَانِ إِلاَّ الإحْسَانُ) قال : هل جزاء من أنعمت عليه بالإسلام إلا الجنة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هَلْ جَزَاءُ الإحْسَانِ إِلاَّ الإحْسَانُ) قال : ألا تراه ذكرهم ومنازلهم وأزواجهم ، والأنهار التى أعدّها لهم ، وقال : (هَلْ جَزَاءُ الإحْسَانِ إِلاَّ الإحْسَانُ) حين أحسنوا فى هذه الدنيا أحسنا إليهم أدخلناهم الجنة .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سفيان ، عن سالم بن أبى حفصة ، عن أبى يعلى ، عن محمد بن الحنفية (هَلْ جَزَاءُ الإحْسَانِ إِلاَّ الإحْسَانُ) قال : هى مسجَّلة للبرّ والفاجر .

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول : فبأيّ نعم ربكما معشر الثقلين التى أنعم عليكم من إثابته المحسن منكم بإحسانه تكذّبان ؟

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : ومن دون هاتين الجنتين اللتين وصف الله جلّ ثناؤه صفتهما التى ذكر أنهما لمن خاف مقام ربه جنتان .

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (وَمِنْ دُونِهِما) فى هذا الموضع ، فقال بعضهم: معنى ذلك : ومن دونهما فى الدّرَج :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن منصور الطوسىّ ، قال: ثنا إسحاق بن سليمان ، قال : ثنا عمرو بن أبى قيس ، عن ابن أبى ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، فى قوله (وكانَ عَرْشُهُ عَلى الماءِ) قال : كان عرش الله على الماء ، ثم اتخذ لنفسه جنة ، ثم اتخذ دونها جنة أخرى ، ثم أطبقهما بلؤلؤة واحدة قال : (وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ) وهى التى لاتعلم ، أو قال: وهما التى لاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون : قال : وهى التى لاتعلم الخلائق ما فيهما ، أو ما فيها ، يأتيهم كلّ يوم منها أو منهما تحفة :

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب ، عن عنبسة ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جُبير بنحوه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ومن دونهما فى الفضل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، فى قوله (وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ) هما أدنى من هاتين لأصحاب اليمين .

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول: فبأىّ نعم ربكما التى أنعم عليكم بإثابته أهل الإحسان ما وصف من هاتين الجنتين تكذّبان ؟

وقوله (مُدْهامَّتانِ) يقول تعالى ذكره : مسوادّتان من شدة خضرتهما .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح قال: ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مُدْهامَّتانِ) يقول : خضراوان .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى، قال : ثنى عمى، قال : ثنى أبى، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مُدْهامَّتانِ) قال : خضراوان من الرىّ ، ويقال : ملتفتان .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال : أخبرنا محمد بن بشر، قال: ثنا إسماعيل بن أبى خالد عن حارثة بن سليمان السلمىّ ، قال : سمعت ابن الزُّبَير وهو يفسِّر هذه الآية على المنبر ، وهو يقول : هل تدرون ما (مُدْهامَّتانِ ؟) خضراوان من الرىّ :

حدثنى محمد بن عمارة هو الأسدىّ ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن حارثة بن سليمان ، هكذا قال ، قال ابن الزُّبَير (مُدْهامَّتانِ) خضراوان من الرىّ .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن حارثة بن سليمان ، أن ابن الزُّبَير قال : (مُدْهامَّتانِ) قال : هما خضراوان من الرىّ .

حدثنا الفضل بن الصباح ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عطاء ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (مُدْهامَّتانِ) قال : خضراوان .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية (مُدْهامَّتانِ) قال : خضراوان من الرىّ .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح فى قوله (مُدْهامَّتانِ) قال : خضراوان من الرىّ .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب ، عن عنبسة ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جُبَير (مُدْهامَّتانِ) قال : علاهما الرىّ من السواد والخضرة .

قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد بن جُبَير (مُدْهامَّتانِ) قال : خضراوان .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مُدْهامَّتانِ) قال : مسوادّتان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مُدْهامَّتانِ) يقول : خضراوان من الرىّ ناعمتان .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مُدْهامَّتانِ) قال : خضراوان من الرىّ ؛ إذا اشتدت الخضرة ضربت إلى السواد :

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (مُدْهامَّتانِ) قال : ناعمتان .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى سنان (مُدْهامَّتانِ) قال : مسوادّتان من الرىّ :

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قال : جنتا السابقين ، فقرأ (ذَوَاتا أَفْنانٍ) ، وقرأ (كَأَنَّهُنَّ الياقُوتُ وَالمَرْجانُ) ، ثم رجع

إلى أصحاب اليمين فقال (وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ) فذكر فضلهما وما فيهما، قال (مُدْهامَّتانِ) من الخضرة من شدة خضرتهما ، حتى كادتا تكونان سَوْداوين .

حدثني محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا الحسين بن الحسن الأشقر ، قال : ثنا أبو كُدَينة ، عن عطاء ابن السائب ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، في قوله (مُدْهامَّتانِ) قال : خضراوان .

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول : فبأيّ نِعَم ربكما التي أنعم عليكم بإثابته أهل الإحسان ما وصف في هاتين الجنتين تكذّبان .

وقوله (فِيهِما عَيْنانِ نَضَّاخَتانِ) يقول تعالى ذكره في هاتين الجنتين اللتين من دون الجنتين اللتين هما لمن خاف مقام ربه ، عينان نضاختان ، يعني فوّارتان .

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي تنضخان به ، فقال بعضهم : تنضخان بالماء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السريّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، في قوله (فِيهِما عَيْنانِ نَضَّاخَتانِ) قال : ينضخان بالماء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (نَضَّاخَتانِ) قال : تنضخان بالماء .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فِيهِما عَيْنانِ نَضَّاخَتانِ) يقول : نضاختان بالماء .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنهما ممتلئتان .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (عَيْنانِ نَضَّاخَتانِ) قال : ممتلئتان لا تنقطعان .

وقال آخرون : تنضخان الماء والفاكهة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله (فِيهِما عَيْنانِ نَضَّاخَتانِ) قال : بالماء والفاكهة .

وقال آخرون : نضاختان بألوان الفاكهة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا يعقوب القمي ، عن جعفر ، عن سعيد (فِيهِما عَيْنانِ نَضَّاخَتانِ) قال : نضاختان بألوان الفاكهة .

وقال آخرون : نضاختان بالخير .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ) يقول : نضاختان بالخير .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : عُنى بذلك أنهما تنضخان بالماء ، لأنه المعروف بالعيون إذ كانت عيون ماء .

وقوله (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) يقول تعالى ذكره : فبأى نِعَم ربكما التى أنعم عليكم بإثابته محسنكم هذا الثواب الجزيل تكذّبان ؟ .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾﴾

يقول تعالى ذكره : وفى هاتين الجنتين المدهامّتين فاكهة ونخل ورمّان .

وقد اختلف فى المعنى الذى من أجله أعيد ذكر النخل والرمان ؛ وقد ذُكر قبل أن فيهما الفاكهة ، فقال بعضهم : أعيد ذلك لأن النخل والرمان ليسا من الفاكهة .

وقال آخرون : هما من الفاكهة ؛ وقالوا : قلنا هما من الفاكهة ، لأن العرب تجعلهما من الفاكهة ، قالوا : فإن قيل لنا : فكيف أعيدا وقد مضى ذكرهما مع ذكر سائر الفواكه ؟ قلنا : ذلك كقوله (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى) فقد أمرهم بالمحافظة على كلّ صلاة ، ثم أعاد العصر تشديدا لها ، كذلك أعيد النخل والرمّان ترغيبا لأهل الجنة . وقال : وذلك كقوله (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) ، ثم قال (وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ) ، وقد ذكرهم فى أوّل الكلمة فى قوله (مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن رجل ، عن سعيد بن جُبير ، قال : « نخل الجنة جذوعها من ذهب ، وعروقها من ذهب ، وكرانيفها من زمرد ، وسعفها كسوة لأهل الجنة ، ورطبها كالدلاء ، أشدّ بياضا من اللبن ، وألين من الزبد ، وأحلى من العسل ، ليس له عَجَم » .

قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن زيد بن أسلم ، عن وهب الذمارى ، قال : « بلغنا أن فى الجنة نخلا جذوعها من ذهب ، وكرانيفها من ذهب ، وجريدها من ذهب ، وسعفها كسوة لأهل الجنة ، كأحسن حلل رآها الناس قط ، وشماريخها من ذهب ، وعراجينها من ذهب ، وثفاريقها من ذهب ، ورطبها أمثال القلال ، أشدّ بياضا من اللبن والفضة ، وأحلى من العسل والسكر ، وألين من الزُّبد والسَّمْن » .

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول: فبأيّ نِعَم ربكما تكذّبان، يقول: فبأيّ نعم ربكما التى أنعمها عليكم بهذه الكرامة التى أكرم بها محسنكم تكذّبان.

وقوله (فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ) يقول تعالى ذكره: فى هذه الجنان الأربع اللواتى اثنتان منهن لمن يخاف مقام ربه، والأُخريان منهن من دونهما المدهامتان خيرات الأخلاق، حِسان الوجوه.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ) يقول: فى هذه الجنان خيرات الأخلاق، حِسان الوجوه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، فى قوله (خَيْراتٌ حِسانٌ) قال: خيرات فى الأخلاق، حِسان فى الوجوه.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ) قال: الخيرات الحسان: الحور العين.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوام، عن قتادة (فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ) قال: خيرات الأخلاق، حِسان الوجوه.

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن جابر، عن القاسم بن أبى بزّة، عن أبى عبيد، عن مسروق، عن عبد الله (فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ) قال: فى كل خيمة زوجة.

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال. ثنا محمد بن الفرج الصّدَفىّ الدمياطى عن عمرو بن هاشم، عن ابن أبى كريمة، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن أمه، عن أمّ سلمة قالت «قلت: يارسول الله أخبرنى عن قوله (فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ) قال: خَيْراتُ الأَخْلاقِ، حِسانُ الوُجُوهِ».

قوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول: فبأيّ نِعَم ربكما التى أنعم عليكما بما ذكر تكذّبان.

القول فى تأويل قوله تعالى:

﴿حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ﴿٧٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء الخيرات الحسان (حُورٌ) يعنى بقوله حور: بيض، وهى جمع حوراء، والحوراء: البيضاء.

وقد بيّنّا معنى الحور فيما مضى بشواهده المغنية عن إعادتها فى هذا الموضع.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا عبيدالله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبى يحيى القتات، عن مجاهد (حُورٌ) قال: بيض.

قال : ثنا أبونعيم ، عن إسرائيل ، عن مسلم ، عن مجاهد (حُورٌ) قال : بيض .

قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (حُورٌ) قال : النساء .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : حدثنا عبيد قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ) الحوراء : العَيْناء الحسناء .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان : الحور : سواد فى بياض .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ) قال : الحور : البيض قلوبهم وأنفسهم وأبصارهم .

وأما قوله (مَقْصُورَاتٌ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : تأويله أنهنّ قُصِرْن على أزواجهنّ ، فلا يبغين بهم بدلا ، ولا يرفعن أطرافهنّ إلى غيرهم من الرجال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى القتات ، عن مجاهد : (مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ) قال : قُصِر طرفهنّ وأنفسهنّ على أزواجهنّ .

حدثنا أبوهشام ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (مَقْصُورَاتٌ) قال : قُصِرطرفهنّ على أزواجهنّ فلا يردن غيرهم .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، (مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ) قال : قَصَرْن أنفسهنّ وأبصارهنّ على أزواجهنّ ، فلا يردن غيرهم .

حدثنا أبوهشام ، قال : ثنا عبيد الله وابن اليمان ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ) قال : قصرن طرفهنّ على أزواجهنّ .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ) قال : قصرن أنفسهنّ وقلوبهنّ وأبصارهنّ على أزواجهنّ ، فلايردن غيرهم .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ) قال : قصر طرفهنّ على أزواجهنّ فلا يردن غيرهم .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور عن مجاهد ، قوله (مَقْصُورَاتٌ) قال : مقصورات على أزواجهنّ فلا يردن غيرهم .

وقال آخرون : عُنِى بذلك أنهنّ محبوسات فى الحِجال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ) قال : محبوسات فى الخيام .

حدثنا جعفر بن محمد البزورى ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، بمثله .

حدثنا أبوهشام الرفاعىّ ، قال : ثنا أبونعيم ، عن إسرائيل ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (مَقْصُورَاتٌ) قال : محبوسات .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : أخبرنا أبومعشر السندى ، عن محمد بن كعب ، قال : محبوسات فى الحجال .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مَقْصُورَاتٌ فِى الْخِيَامِ) قال : لا يبرحن الخيام .

حدثنى عبيد بن إسماعيل الهبارى ، قال : ثنا عثام بن علىّ ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح ، فى قوله (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِى الْخِيَامِ) قال : عَذَارَى الجنة .

حدثنا أبو كُرَيب وأبوهشام قالا : ثنا عثام بن علىّ ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح ، مثله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مَقْصُورَاتٌ) قال : المحبوسات فى الخيام لا يخرجن منها .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (مَقْصُورَاتٌ فِى الْخِيَامِ) قال : محبوسات ، ليس بطوّافات فى الطرق .

والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن الله تبارك وتعالى وصفهنّ بأنهنّ مقصورات فى الخيام والقصر : هو الحبس ولم يخصص وصفهنّ بأنهنّ محبوسات على معنى من المعنيين اللذين ذكرنا دون الآخر بل عمّ وصفهنّ بذلك . والصواب أن يعمّ الخبر عنهنّ بأنهنّ مقصورات فى الخيام على أزواجهنّ ، فلا يردن غيرهم ، كما عمّ ذلك .

وقوله (فِى الْخِيَامِ) يعنى بالخيام : البيوت ، وقد تسمى العرب هوادج النساء خياما ؛ ومنه قول لبيد :

شاقَتْكَ ظُعْنُ الحَىِّ يَوْمَ تَحَمَّلُوا فَتَكَنَّسُوا قُطُنًا تَصِرُّ خِيامُها[1]

وأما فى هذه الآية فإنه عُنِىَ بها البيوت .

---

(١) هذا البيت للبيد ، قاله أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٤ – ا) انشده عند قوله تعالى : « حور مقصورات فى الخيام » قال : الحوراء : الشديدة بياض العين ، الشديدة سواد العين . مقصورات : أى خدرت فى الخيام . والخيام : البيوت . والهوادج أيضا : خيام ، قال لبيد « شاقتك ظعن الحى يوم تحملت قد كنست قطنا تصر خيامها » هذه رواية أبى عبيدة البيت . وأما روايته فى شرحى الزوزنى والتبريزى للمعلقات ، فهى كرواية المؤلف فى « تحملوا » و « تكنست » ومعنى شاقتك دعتك إلى الشوق إليها . والظعن : النساء اللواتى فى الهوادج ، وأصله الظعن ، بضمتين . وهو جمع ظعينة ، وهى المرأة الظاعنة مع زوجها ، ثم يقال لها وهى فى بيتها : ظعينة ، وقد تجمع على الظعائن . وتحملوا ارتحلوا بأحمالهم . وتكنسوا : دخلوا فى الهوادج ، وأصله : دخول الكناس ، والاستكنان به . والقطن : جمع قطين ، وهم الجماعة . والقطن أيضا : الحشم ، والعبيد ، والعيال . والصرير : صوت الباب والرحل وغير ذلك ، يقول : حننت إلى نساء الحى ، يوم ارتحل الحى ، ودخلوا فى الكنس ، أى الهوادج وكانت خيامهم تصر بجدتها ، وتمجلهم فى سيرهم . (انظر شرحى الزوزنى والتبريزى على المعلقات) . اه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى ، عن سعيد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا عبد الملك بن ميسرة ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِى الخِيامِ) قال : الدرّ المجوّف.

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الملك ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعىّ ، قال : ثنا فضيل بن عياش ، عن هشام ، عن محمد ، عن ابن عباس فى قوله (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِى الخِيامِ) قال : الخيمة لؤلؤة أربعة فراسخ فى أربعة فراسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا أبو نعيم ، عن إسرائيل ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (فِى الخِيامِ) قال : بيوت اللؤلؤ .

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسىّ ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا إدريس الأودى ، عن شمر ابن عطية ، عن أبى الأحوص ، قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أتدرون ما حور مقصورات فى الخيام ؟ الخيام : درّ مجوّف .

قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا مسعر ، عن عبد الملك ، عن أبى الأحوص ، فى قوله (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِى الخِيامِ) قال : درّ مجوّف .

وبه عن أبى الأحوص قال : الخيمة : درّة مجوّفة فرسخ فى فرسخ ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب .

قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا همام ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الخيمة فى الجنة من درّة مجوّفة ، فرسخ فى فرسخ لها أربعة آلاف مصراع .

حدثنى أحمد بن المقدام ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت أبى يحدّث ، عن قتادة ، عن خليد العصرىّ قال : لقد ذكر لى أن الخيمة لؤلؤة مجوّفة لها سبعون مِصْراعا ، كلّ ذلك من درّ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن أبى عائشة ، عن سعيد بن جُبير أنه قال : الخيام : درّ مجوّف .

قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : الخيام : درّ مجوّف .

حدثنا أبو هشام الرفاعى ، قال : ثنا وكيع ويعلى عن منصور ، عن مجاهد : فى الخيام : قال : الدرّ المجوف .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (فِى الخِيامِ) قال : خيام درّ مجوّف .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن حرب بن بشير ، عن عمرو بن ميمون ، قال : الخيام : الخيمة : درّة مجوّفة .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا وكيع ،عن سلَمة بن نُبَيط ، عن الضحاك ، قال : الخيمة : درّ مجوّفة .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا ابن اليمان ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب (فِي الخِيام) : في الحجال .

قال : ثنا عبيد الله وابن اليمان ، عن أبي جعفر ، عن الربيع (فِي الخِيامِ) قال : في الحجال .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن منصور ، عن مجاهد: (في الخِيامِ) قال : خيام اللؤلؤ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فِي الخِيامِ) الخيام اللؤلؤ والفضة ، كما يقال والله أعلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الخِيامِ) ذُكر لنا أن ابن عباس كان يقول : الخيمة درّ مجوّفة ، فرسخ في فرسخ ، لها أربعة آلاف باب من ذهب . وقال قتادة : كان يقال : مسكن المؤمن في الجنة ، يسير الراكب الجواد فيه ثلاث ليال وأنهاره وجنانه وما أعدّ الله له من الكرامة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال ابن عباس : الخيمة : درّة مجوّفة ، فرسخ في فرسخ ، لها أربعة آلاف باب من ذهب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مَقْصُوراتٌ فِي الخِيامِ) قال يقال : خيامهم في الجنة من لؤلؤ .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (مَقْصُوراتٌ فِي الخِيامِ) قال : الخيام : الدرّ المجوّف .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثني حرميّ بن عمارة ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني عمارة ، عن أبي مجلز « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قول الله (حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الخِيامِ) قال : دُرٌ مُجوَّفٌ » .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول كان ابن مسعود يحدّث ، عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « هِيَ الدُّرّ المُجَوَّفُ » يعني الخيام في قوله (حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الخِيامِ) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الخِيامِ) قال : في خيام اللؤلؤ .

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول : فبأيّ نعم ربكما التي أنعم عليكما من الكرامة ، بإثابة محسنكم هذه الكرامة تكذّبان .

وقوله (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌّ) يقول تعالى ذكره : لم يمسهنّ بنكاح فيدميهن إنس قبلهم ولا جانّ .

وقرأت قرّاء الأمصار (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ) بكسر الميم فى هذا الموضع وفى الذى قبله . وكان الكسائىّ يكسر إحداهما ، ويضمّ الأخرى .

والصواب من القراءة فى ذلك : ماعليه قرّاء الأمصار لأنها اللغة الفصيحة ، والكلام المشهور من كلام العرب .

وقوله (فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول : فبأىّ نِعَم ربكما التى أنعم عليكم بها مما وصف تكذبان .

القول فى تأويل قوله تعالى :

مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ۝٧٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٧ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٧٨

يقول تعالى ذكره : ينعم هؤلاء الذين أكرمهم جلّ ثناؤه هذه الكرامة التى وصفها فى هذه الآيات فى الجنتين اللتين وصفهما (مُتَّكِئِينَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسانٍ) .

واختلف أهل التأويل فى معنى الرفرف ، فقال بعضهم : هى رياض الجنة ، وواحدتها : رفرفة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبَيْر أنه قال فى هذه الآية (مُتَّكِئِينَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ) قال : رياض الجنة .

حدثنا عباس بن محمد ، قال : ثنا أبو نوح ، قال : أخبرنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبَيْر ، مثله .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا سعيد بن جُبَيْر ، فى قوله (مُتَّكِئِينَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ) قال : الرفرف : رياض الجنة .

وقال آخرون : هى المحابس .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله : (مُتَّكِئِينَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ) يقول : المحابس .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مُتَّكِئِينَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ) قال : الرفرف : فضول المحابس والبسط .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (مُتَّكِئِينَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ) قال : هى البسط أهل المدينة يقولون : هى البسط .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سلمة بن كُهَيل الحضرمىّ ، عن رجل يقال له غزوان (رَفْرَفٍ خُضْرٍ) قال : فضول المحابس .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن هارون ، عن عنترة ، عن أبيه ، قال : فضول الفُرُش والمحابس .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبدالرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن مروان ، فى قوله (رَفْرَفٍ خُضْرٍ) قال : فضول المحابس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مُتَّكِئِينَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ) قال : الرفرف الخضر : المحابس .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (رَفْرَفٍ خُضْرٍ) قال : محابس خضر .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (رَفْرَفٍ خُضْرٍ) قال : هى المحابس .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مُتَّكِئِينَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ) قال : الرفرف : المحابس .

وقال آخرون : بل هى المرافق :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن : الرفرف : مرافقُ خُضْر ، وأما العبقرىّ ، فإنه الطنافس الثخان ، وهى جماع ، واحدها : عبقرية . وقد ذُكر أن العرب تسمى كل شىء من البسط عبقريا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وعَبْقَرِىٍّ حِسانٍ) قال : الزرابىّ :

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وعَبْقَرِىٍّ حِسانٍ) قال : العبقرىّ : الزرابىّ الحسان .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبَيْر ، فى قوله (عَبْقَرِىٍّ حِسانٍ) قال : العبقرىّ : عتاق الزرابىّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : العبقرىّ . الزرابىّ .

حدثنا ابن بشار ، قال . ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبوالعوّام ، عن قتادة (عَبْقَرِىٍّ حِسانٍ) قال : الزرابىّ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وعَبْقَرِىٍّ حِسانٍ) قال زرابىّ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال :قال ابن زيد ، فى قوله (وَعَبْقَرِيّ حِسانٍ) قال : العبقرىّ : الطنافس :

وقال آخرون : العبقرىّ : الديباج .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال: ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد (وَعَبْقَرِيّ حِسانٍ) قال : هو الديباج والقرّاء فى جميع الأمصار على قراءة ذلك (على رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيّ حِسانٍ) بغير ألف فى كلا الحرفين . وذُكر عن النبىّ صلى الله عليه وسلم خبر غير محفوظ ، ولا صحيح السند (على رَفارِفَ خُضْرٍ وعَباقِرِيّ) بالألف والإجراء . وذُكر عن زُهير الفرقبى أنه كان يقرأ (على رَفارِفَ خُضْرٍ) بالألف وترك الإجراء (وَعَباقِرِيّ حِسان) بالألف أيضا ، وبغير إجراء . وأما الرفارف فى هذه القراءة ، فإنها قد تحتمل وجه الصواب . وأما العباقرىّ ، فانه لاوجه له فى الصواب عند أهل العربية ، لأن ألف الجماع لايكون بعدها أربعة أحرف ، ولا ثلاثة صحاح . وأما القراءة الأولى التى ذُكرت عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فلو كانت صحيحة ، لوجب أن تكون الكلمتان غير مجراتين .

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبان) يقول تعالى ذكره : فبأىّ نِعم ربكما التى أنعم عليكم من إكرامه أهل الطاعة منكم هذه الكرامة تكذّبان :

وقوله (تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ) يقول تعالى ذكره : تبارك ذكر ربك يامحمد (ذِي الجَلالِ) يعنى ذى العظمة (والإكْرَامِ) يعنى : ومن له الإكرام من جميع خلقه .

كما حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله : (ذِي الجَلالِ والإكْرَامِ) يقول : ذو العظمة والكبرياء .

آخر تفسير سورة الرحمن عزّ وجلّ

---

(٥٦) سُورَةُ الوَاقِعَةِ مَكِّيَّة وآيَاتُهَا سِتٌّ وَتِسْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ۝ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۝ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ۝﴾

﴿ يعنى تعالى ذكره بقوله (إِذَا وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ) : إذا نزلت صيحة القيامة ، وذلك حين يُنفخ فى الصور لقيام الساعة .

كما حُدثت عن الحسين ، قال:سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إِذَا وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ) يعنى : الصيحة .

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (إِذَا وَقَعَتِ الوَاقِعَةِ) الواقعة والطامة والصاخة ، ونحو هذا من أسماء القيامة ، عظّمه الله ، وحذّره عباده .

وقوله (لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ) يقول تعالى: ليس لوقعة الواقعة تكذيب ولا مردودية ولا مثنوية ، والكاذبة فى هذا الموضع مصدر ، مثل العاقبة والعافية .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ) : أى ليس لها مثنوية ، ولا رجعة ، ولا ارتداد .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ) قال : مثنوية .

وقوله (خافِضَةٌ رَافِعَةٌ) يقول تعالى ذكره : الواقعة حينئذ خافضة ، أقواما كانوا فى الدنيا ، أعزّاء إلى نار الله .

وقوله (رَافِعَةٌ) يقول : رفعت أقواما كانوا فى الدنيا وُضعاء إلى رحمة الله وجنته . وقيل : خفضت فأسمعت الأدنى ، ورفعت فأسمعت الأقصى .

ذكر من قال فى ذلك ما قلنا

حدثنا ابن حُميد ، قال: ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد الله ، يعنى العَتَكىّ ، عن عثمان بن عبد الله بن سُراقة (خافِضَةٌ رَافِعَةٌ) قال : الساعة خفضت أعداء الله إلى النار ، ورفعت أولياء الله إلى الجنة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (خافِضَةٌ رَافِعَةٌ) يقول : تخللت كلّ سهل وجبل ، حتى أسمعت القريب والبعيد ، ثم رفعت أقواما فى كرامة الله ، وخفضت أقواما فى عذاب الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (خافِضَةٌ رَافِعَةٌ) قال : أسمعت القريب والبعيد ، خافضة أقواما إلى عذاب الله ، ورافعة أقواما إلى كرامة الله .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، قوله

(خافِضَةٌ رَافِعَةٌ) قال : خفضت وأسمعت الأدنى ، ورفعت فأسمعت الأقصى ؛ قال : فكان القريب والبعيد من الله سواء :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (خافِضَةٌ رَافِعَةٌ) قال : سمَّعت القريب والبعيد .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (خافِضَةٌ رَافِعَةٌ) خفضت فأسمعت الأدنى ورفعت فأسمعت الأقصى ، فكان فيها القريب والبعيد سواء .

وقوله (إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا) يقول تعالى ذكره : إذا زلزلت الأرض فحرّكت تحريكا من قولهم السهم يرتجّ فى الغرض ، بمعنى : يهتزّ ويضطرب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا) يقول : زلزلها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قول الله (إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا) قال : زلزلت

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا) يقول : زلزلت زلزلة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إذا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا) قال : زلزلت زلزالا .

[وقوله (وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا) يقول تعالى ذكره : فتتت الجبال فتا ، فصارت كالدقيق المبسوس ، وهو المبلول ، كما قال جلّ ثناؤه (وكانَتِ الجِبالُ كَثِيبًا مَهِيلا) والبسيسة عند العرب : الدقيق والسويق تلتّ وتتخذ زادا :

وذُكر عن لصّ من غَطَفَان أنه أراد أن يخبز ، فخاف أن يعجل عن الخبز قبل الدقيق وأكله عجينا ، وقال :

• لا تَخْبِزَا خَبْزًا وبُسَّا بَسًّا •

• مَلْسًا بِذَوْدِ الحَلَسِيِّ مَلْسًا [1] •

(1) هذا الشاهد من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٤ – ب) عند قوله تعالى : « وبست الجبال بسا » قال : مجازها كمجاز السويق المبسوس ، أى المبلول والعجين . قال لص من غطفان وأراد أن يخبز ، فخاف أن يعجل عن الخبز قبل الدقيق ، فأكله عجينا ، فقال : « لاتخبزا خبزا وبسا بسا » . اهـ . وفى (اللسان : ملس) : والملس : العرق الشديد . وفى بس : وقال ثعلب : معنى : وبست الجبال بسا : خلطت بالتراب . وقال بعضهم : فتتت . وقال بعضهم : سويت . اهـ ولم يورد أبو عبيدة البيت الثانى وأنشد صاحب اللسان البيت الأول ، وجاء بعده ببيت آخر ، وهو • ولا تطيلا بمناخ حبسا • وأنشد فى « ملس » البيت الثانى =

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله : (وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا) يقول : فتتت فتا .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله : (وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا) قال : فتتت .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله : (وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا) قال : كما يبس السويق .

حدثنى أحمد بن عمرو البصرىّ ، قال : ثنا حفص بن عمر العدنى ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة (وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا) قال : فُتِّتَتْ فتا .

حدثنى إسماعيل بن موسى بن بنت السدىّ ، قال : أخبرنا بشر بن الحكم الأحمسىّ ، عن سعيد بن الصلت ، عن إسماعيل السدىّ وأبى صالح (وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا) قال : فُتِّتَتْ فتا .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا) قال : كما يبس السويق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا) قال : صارت كثيبا مهيلا كما قال الله .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا) قال : فُتِّتَتْ فتا .

وقوله (فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا) اختلف أهل التأويل فى معنى الهباء ، فقال بعضهم : هو شعاع الشمس الذى يدخل من الكوّة كهيئة الغبار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا) يقول : شعاع الشمس .

— قال : والملس : السوق الشديد . يقال ملست بالإبل أملس (من باب قتل) ملسا : إذا سقتها سوقا فى خفية ، قال الراجز :
* ملسا يذود الحلسى ملسا * وقال ابن الأعرابى : الملس : ضرب من السير الرقيق . والملس : اللين من كل شىء . اه .
وأنشد الفراء فى معانى القرآن البيتين كرواية المؤلف . وقال (الورقة ٣٢٢) : « وبست الجبال بسا » : صارت كالدقيق ، وذلك قوله « وسيرت الجبال » . وسمعت العرب تنشد : « لاتخبزا خبزا ... البيتين » . والبسيسة عندهم : الدقيق أو السويق ، يلت ويتخذ زادا . اه . وفى النوادر لأبى زيد (بيروت ١١) :

مَلْسًا بِذَوْدِ الحُمَسِىِّ مَلْسا ... مِنْ غُدْوَةٍ حتى كأنَّ الشَّمْسا

* بالأُفُقِ الغَرْبِىِّ تُطْلَى وَرْسَا *

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد (هَبَاءً مُنْبَثًّا) قال : شعاع الشمس حين يدخل من الكوّة .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا) قال : شعاع الشمس يدخل من الكوّة ، وليس بشىء .

وقال آخرون : هو رهج الدوابّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن الحارث ، عن علىّ رضى الله عنه ، قال : رهج الدوابّ .

وقال آخرون : هو ما تطاير من شرر النار الذى لاعين له .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا) قال : الهباء : الذى يطير من النار إذا اضطرمت ، يطير منه الشرر ، فإذا وقع لم يكن شيئا .

وقال آخرون : هو يبيس الشجر الذى تذروه الرياح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا) كيَبِيس الشجر ، تذروه الرياح يمينا وشمالا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (هَبَاءً مُنْبَثًّا) يقول : الهباء : ما تذروه الريح من حطام الشجر .

وقد بيَّنَّا معنى الهباء فى غير هذا الموضع بشواهده ، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وأما قوله (مُنْبَثًّا) فإنه يعنى متفرّقا .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۞ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۞ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۞ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۞ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۞ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : وكنتم أيها الناس أنواعا ثلاثة وضروبا .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً) قال : منازل الناس يوم القيامة .

= قال أبو زيد : الملس : السير الشديد . قال أبو حاتم : وأقول أنا لاعن أبى زيد : الملس السير السريع السهل . وقوله « تعلى ورسا قد اصفرت للغروب » . اهـ .

وقوله (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) وهذا بيان من الله عن الأزواج الثلاثة ، يقول ، جل ثناؤه : وكنتم أزواجاً ثلاثة : أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشأمة ، والسابقون ، فجعل الخبر عنهم ، مغنيا عن البيان عنهم ، على الوجه الذى ذكرنا ، لدلالة الكلام على معناه ، فقال : (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) يعجب نبيه محمدا منهم ، وقال : (ما أَصْحَابُ الْيَمِينِ) الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة ، أىّ شيء أصحاب اليمين (وأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ما أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ) يقول تعالى ذكره : وأصحاب الشمال الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار ، والعرب تسمى اليد اليسرى : الشُّؤْمَى ؛ ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :

فأنْحَى على شُؤْمَى يَدَيهِ فَذادَها ... بأظْمأَ مِنْ فَرْعِ الذُّؤابَةِ أسْحَما[1]

وقوله (والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) وهم الزوج الثالث وهم الذين سبقوا إلى الإيمان بالله ورسوله ، وهم المهاجرون الأوّلون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد الله ، يعنى العتكى ، عن عثمان بن عبدالله ابن سُراقة ، قوله (وكُنْتُمْ أزْوَاجا ثَلاثَةً) قال : اثنان فى الجنة وواحد فى النار ، يقول : الحور العين للسابقين ، والعُرُب الأتراب لأصحاب اليمين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وكُنْتُمْ أزْوَاجا ثَلاثَةً) قال : منازل الناس يوم القيامة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (وكُنْتُمْ أزْوَاجا ثَلاثَةً فأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ، وأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ما أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ، والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) . . . إلى (ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ ، وثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سَوَّى بَيْنَ أصْحابِ اليَمِينِ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ ، وَبَيْنَ أصْحابِ اليَمِينِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ ، وكانَ السَّابِقُونَ مِنَ الأُمَمِ أكْثَرَ مِنْ سابِقِي هَذِهِ الأُمَّةِ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) : أى ماذا لهم ، وماذا أعدّ لهم (وأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ما أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ) : أى ماذا لهم وماذا أعدّ لهم (والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) : أى من كلّ أمة .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت ابن زيد يقول : وجدت الهوى ثلاثة أثلاث ،

---

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ٢٩٥) من قصيدة يمدح بها إياس بن قبيصة الطائى . وروبت فى مدح قيس ابن معد يكرب . وأنحى : اعتمد ، يقال : أنحى البعير : اعتمد فى سيره على أيسره . واليد الشؤمى : اليسرى . وأظما : أسمر ذابل . والفرع : الشعر . والذؤابة : شعر الناصية . وأسحم : أسود . يصف ثورا اجتمعت عليه كلاب الصيد ، فذادها عنه بقرنه الذابل المحدد ، وهو أشد سوادا من خصلة الشعر . والشاهد فى قوله شؤمى يديه أى يسراهما . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن عند قوله تعالى « وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة » : أصحاب الميسرة ، ويقال لليد اليسرى : الشؤمى ؛ ويقال : هو الجانب الأيسر . وسميت اليمن لأنها عن يمين الكعبة ، والشأم أنها عن شمال الكعبة . اهـ .

فالمرء يجعل هواه علمه ، فيديل هواه على علمه ، ويقهر هواه علمه ، حتى إن العلم مع الهوى قبيح ذليل ، والعلم ذليل ، الهوى غالب قاهر ، فالذى قد جعل الهوى والعلم فى قلبه ، فهذا من أزواج النار ، وإذا كان ممن يريد الله به خيرا استفاق واستنبه ، فاذا هو عون للعلم على الهوى حتى يديل الله العلم على الهوى ، فإذا حسُنت حال المؤمن ، واستقامت طريقته كان الهوى ذليلا ، وكان العلم غالبا قاهرا ، فإذا كان ممن يريد الله به خيرا ، ختم عمله بإدالة العلم ، فتوفاه حين توفاه ، وعلمه هو القاهر ، وهو العامل به ، وهواه الذليل القبيح ، ليس له فى ذلك نصيب ولا فعل . والثالث : الذى قبح الله هواه بعلمه ، فلا يطمع هواه أن يغلب العلم ، ولا أن يكون معه نصف ولا نصيب ، فهذا الثالث ، وهو خيرهم كلهم ، وهو الذى قال الله عزّ وجلّ فى سورة الواقعة (وكُنْتُمْ أَزْوَاجا ثَلاثَةً) قال : فزوجان فى الجنة ، وزوج فى النار ، قال : والسابق الذى يكون العلم غالبا للهوى ، والآخر : الذى ختم الله بإدالة العلم على الهوى ، فهذان زوجان فى الجنة ، والآخر : هواه قاهر لعلمه ، فهذا زوج النار .

واختلف أهل العربية فى الرافع أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ، فقال بعض نحويى البصرة : خبر قوله (فأَصحَابُ المَيْمَنَةِ ما أَصحَابُ المَيْمَنَةِ ، وأَصحَابُ المَشْأَمَةِ ما أَصحَابُ المَشْأَمَةِ) قال : ويقول زيد : مازيد ، يريد : زيد شديد . وقال غيره : قوله (ما أَصحَابُ المَيْمَنَةِ) لاتكون الجملة خبره ، ولكن الثانى عائد على الأول ، وهو تعجب ، فكأنه قال : أصحاب الميمنة ماهم ، والقارعة ماهى ، والحاقة ماهى ؟ فكان الثانى عائد الأول ، وكان تعجبا ، والتعجب بمعنى الخبر ، ولو كان استفهاما لم يجز أن يكون خبرا للابتداء ، لأن الاستفهام لايكون خبرا ، والخبر لايكون استفهاما ، والتعجب يكون خبرا ، فكان خبرا للابتداء : وقوله : زيد وما زيد ، لايكون إلا من كلامين ، لأنه لاتدخل الواو فى خبر الابتداء ، كأنه قال : هذا زيد وما هو : أى ما أشدّه وما أعلمه .

واختلف أهل التأويل فى المعنيين بقوله (والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) فقال بعضهم : هم الذين صلوا للقبلتين .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خارجة ، عن قرة ، عن ابن سيرين (والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) الذين صلوا للقبلتين .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى به عبد الكريم بن أبى عمير ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا أبوعمرو ، قال : ثنا عثمان بن أبى سودة ، قال (السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) أولهم رواحا إلى المساجد ، وأسرعهم خفوقا فى سبيل الله .

والرفع فى السابقين من وجهين : أحدهما : أن يكون الأول مرفوعا بالثانى ، ويكون معنى الكلام حينئذ والسابقون الأولون ، كما يقال : السابق الأول ، والثانى أن يكون مرفوعا بأولئك المقربون يقول جلّ ثناؤه : أولئك الذين يقربهم الله منه يوم القيامة إذا أدخلهم الجنة .

وقوله (فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) يقول : فى بساتين النعيم الدائم .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾
يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾
وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾

۞ يقول تعالى ذكره : جماعة من الأمم الماضية ، وقليل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهم الآخرون وقيل لهم الآخرون : لأنهم آخر الأمم (على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) يقول : فوق سُرر منسوجة ، قد أدخل بعضها فى بعض ، كما يوضن حلق الدرع بعضها فوق بعض مضاعفة ؛ ومنه قول الأعشى :

وَمِنْ نَسْجِ دَاوُدَ مَوْضُونَةً تُساقُ مَعَ الحَيِّ عِيرًا فعِيرًا[1]

ومنه وضين الناقة ، وهو البطان من السيور إذا نسج بعضه على بعض مضاعفا كالحلق حلق الدرع . وقيل: وضين ، وإنما هو موضون ، صرف من مفعول إلى فعيل ، كما قيل : قتيل لمقتول . وحُكى سماعا من بعض العرب أزيار الآجرّ موضون بعضها على بعض ، يراد مشرج صفيف .

وقيل : إنما قيل لها سُرر موضونة ، لأنها مشبكة بالذهب والجوهر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) قال : مرمولة بالذهب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الحصين ، عن مجاهد (على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) قال : مرمولة بالذهب .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) قال : يعنى الأسرة المرملة .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن مجاهد ، قال : الموضونة : المرملة بالذهب .

---

(١) وهذا البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ٩٩) من قصيدة يمدح بها هوذة بن على الحنفى . وقبل البيت :

وأعْـدَدْتَ للحَرْبِ أوْزَارَها رِماحًا طِوَالاً وَخَيْلاً ذُكُورًا

وأوزار الحرب : عدتها ، ودرع موضونة منسوج بعضها على بعض ، وتساق مع الحى : تحمل . يقول : أعددت للحرب عدتها ، من الرماح الطوال ، والخيل الجياد والدروع الكثيفة التى نسجت نسجا مضاعفا ، تحمل فوق الجمال ، عيرا من ورائها عير . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٤ — ب) عند قوله تعالى على سرر موضونة » : بعضها على بعض ، مداخلة كما توضن حلق الدرع بعضها فى بعض مضاعفة . وقال الأعشى : « ومن نسج داود . . . البيت » . والوضين : البطان من السيور إذا نسج بعضه على بعض مضاعفا ، كالحلق حلق الدروع ، فهو وضين ، وضع فى موضع موضون ، كما يقولون قتيل فى موضع مقتول قال :

* إليك تعدو قلقا وضينها *

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة ،. قوله (على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) قال : مشبكة بالدرّ والياقوت .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مَوْضُونَةٍ) قال : مرمولة بالذهب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) والموضونة : المرمولة ، وهى أوثر السرر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة ، فى قوله (مَوْضُونَةٍ) قال مرمولة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، فى قوله (على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) قال : مرملة مشبكة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) الوضن : التشبيك والنسج ، يقول : وسطها مشبك منسوج .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) الموضونة : المرمولة بالجلد ذاك الوضين منسوجة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنها مصفوفة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) يقول : مصفوفة .

وقوله (مُتَّكِئِينَ عليها مُتَقابِلِينَ) يقول تعالى ذكره متكئين على السُّرر الموضونة ، متقابلين بوجوههم ، لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض .

كما حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ) قال : لا ينظر أحدهم فى قفا صاحبه . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (مُتَّكِئِينَ عَلَيْها ناعِمِينَ) .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن أبى إسحاق ، فى قراءة عبد الله ، يعنى ابن مسعود (مُتَّكِئِينَ عَلَيْها ناعِمِينَ) .

وقد بينا ذلك فى غير هذا الموضع ، وذكرنا ما فيه من الرواية .

وقوله (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ) يقول تعالى ذكره : يطوف على هؤلاء السابقين الذين قرّبهم الله فى جنات النعيم ، ولدان على سنّ واحدة ، لا يتغيرون ولا يموتون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مُخَلَّدُونَ) قال : لا يموتون .

وقال آخرون : عنى بذلك أنهم مقرّطون مسوّرون .

والذى هو أولى بالصواب فى ذلك قول من قال معناه : إنهم لايتغيرون ، ولا يموتون ، لأن ذلك أظهر معنييه ، والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط : إنه لمخلد ، وإنما هو مفعل من الخلد .

وقوله (بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ) والأكواب : جمع كوب ، وهو من الأباريق ما اتسع رأسه ، ولم يكن له خرطوم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (بأكوابٍ) قال : الأكواب : الجرار من الفضة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ) قال : الأباريق : ماكان لها آذان ، والأكواب ما ليس لها آذان .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : الأكواب ليس لها آذان .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، قال : سئل الحسن عن الأكواب ، قال : هى الأباريق التى يصبّ لهم منها .

حدثنا أبو كُرَيب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبى ، قال : مر أبو صالح صاحب الكلبى قال : فقال أبى ، قال لى الحسن وأنا جالس : سله ، فقلت : ما الأكواب ؟ قال : جرار الفضة المستديرة أفواهها ، والأباريق ذوات الخراطيم .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (بِأَكْوَابٍ) قال : ليس لها عرى ولا آذان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ) والأكواب التى يغترف بها ليس لها خراطيم ، وهى أصغر من الأباريق .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ) قال : الأكواب التى دون الأباريق ليس لها عُرًى .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : الأكواب جرار ليست لها عرى ، وهى بالنبطية كوبا ، وإياها عنى الأعشى بقوله :

صَرِيفِيَّةٌ طَيِّبٌ طَعْمُهَا لَهَا زَبَدٌ بَيْنَ كُوبٍ ودَنّ [١]

---

(١) وهذا الشاهد كذلك لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة ١٧) والصريفية : الخمر المنسوبة إلى صريفون، وهو موضع بالعراق مشهور بجودة خمره . وقيل سماها صريفية لأنها أخذت من الدن ساعتئذ ، كاللبن الصريف . وقيل نسبت إلى صريفين ، وهو نهر يتخلج من الفرات . والصريف أيضا : الخمر التى لم تمزج بالماء . والكوب : الكوز لاعروة له . والدن : وعاء الخمر . والزبد ما يعلو الخمر من الرغوة إذا تحركت فى الدن ، أو صبت من الإبريق فى الكأس .

وأما الأباريق : فهى التى لها عرى .

وقوله (وكأس مِن مَعِين) وكأس خمر من شراب معين ، ظاهر العيون ، جار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وكأس مِن مَعِين) : قال الخمر .

حدثنا بشر ، قال ثنا يزيد قال : ثنا سعيد، عن قتادة ، قوله (وَكَأس مِن مَعِين) أى من خمر جارية .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وكأس مِن مَعِين) الكأس : الخمر .

حدثنا أبو سنان ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة ، فى قوله (وكأس مِن مَعِين) قال : الخمر الجارية .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك ، مثله .

وقوله (لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا) يقول : لا تصدع رءوسهم عن شربها فتسكر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى إسماعيل بن موسى السدىّ ، قال : أخبرنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، قوله (لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا) قال : لا تصدّع رءوسهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا) ليس لها وجع رأس .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة (لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا) قال : لا تصدّع رءوسهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا) يقول : لا تصدّع رءوسهم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا) يعنى : وجع الرأس .

وقوله (وَلا يُنْزِفُونَ) اختلفت القرّاء فى قراءته ، فقرأت عامة قرّاء المدينة والبصرة (يُنْزَفُونَ) بفتح الزاى ، ووجهوا ذلك إلى أنه لا تنزف عقولهم . وقرأته عامة قرّاء الكوفة (لا يُنْزِفُونَ) بكسر الزاى بمعنى : ولا ينفد شرابهم .

✲ والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فيها الصواب .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك على نحو اختلاف القرّاء فيه . وقد ذكرنا اختلاف أقوالهم فى ذلك ،

وبيّنا الصواب من القول فيه فى سورة الصافات ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع ، غير أنا سنذكر قول بعضهم فى هذا الموضع لئلا يظنّ ظانّ أن معناه فى هذا الموضع مخالف معناه هنالك :

ذكر قول من قال منهم : معناه لاتنزف عقولهم

حدثنا إسماعيل بن موسى ، قال : أخبرنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد (وَلَا يُنْزِفُونَ) قال : لاتنزف عقولهم .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَلَا يُنْزِفُونَ) قال : لاتنزف عقولهم .

وحدثنا ابن حميد ، مرة أخرى فقال ولا تذهب عقولهم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (وَلَا يُنْزِفُونَ) لاتنزف عقولهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وَلَا يُنْزِفُونَ) قال : لايغلب أحد على عقله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، فى قوله (وَلَا يُنْزِفُونَ) قال : لايغلب أحد على عقله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة فى قول الله (وَلَا يُنْزِفُونَ) قال : لاتغلب على عقولهم

وقوله (وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ) يقول تعالى ذكره : ويطوف هؤلاء الولدان المخلدون على هؤلاء السابقين بفاكهة من الفواكه التى يتخيرونها من الجنة لأنفسهم ، وتشتهيها نفوسهم (وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ) يقول : ويطوفون أيضا عليهم بلحم طير مما يشتهون من الطير الذى تشتهيه نفوسهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَحُورٌ عِينٌ) فقرأته عامة قرّاء الكوفة وبعض المدنيين (وَحُورٍ عِينٍ) بالخفض إتباعا لإعرابها إعراب ماقبلها من الفاكهة واللحم ، وإن كان ذلك مما لا يُطاف به ، ولكن لما كان معروفا معناه المراد أتبع الآخر الأوّل فى الإعراب ، كما قال بعض الشعراء :

إذَا ما الغانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا ... وَزَجَّجْنَ الحَوَاجِبَ والعُيُونَا [1]

(١) هذا الشاهد من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٢٣) وتقدم الكلام عليه مع الشاهد « ورأيت زوجك الوغى . . . البيتين) . وفى (اللسان : زجج) وزججت المرأة حاجبها بالمزج : دققته وطولته . وقيل : أطالته بالإثمد . وقوله : إذا ما الغانيات . . . البيت « إنما أراد : وكحلن العيونا ، كما قال : « شراب ألبان وتمر وأقط » أراد : وآكل تمر وأقط ، ومثله كثير .

فالعيون تكَحَّل ، ولا تزجَّج إلا الحواجب ، فردّها فى الإعراب على الحواجب ، لمعرفة السامع معنى ذلك وكما قال الآخر :

تَسْمَعُ للأَحْشاءِ مِنْهُ لَغَطًا   وللْيَــدَيْنِ جُسْأَةً وبَدَدَا[1]

والجسأة : غلظ فى اليد ، وهى لا تُسمع .

وقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة ومكة والكوفة وبعض أهل البصرة بالرفع (وحُورٌ عينٌ) على الابتداء ، وقالوا : الحور العين لا يُطاف بهنّ ، فيجوز العطف بهنّ فى الإعراب على إعراب فاكهة ولحم ، ولكنه مرفوع بمعنى : وعندهم حور عين ، أو لهم حور عين .

والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القرّاء مع تقارب معنييهما ، فبأىّ القراءتين قرأ القارئ فمصيب . والحور جماعة حَوْراء : وهى النقية بياض العين ، الشديدة سوادها . والعين : جمع عيناء ، وهى النجلاء العين فى حُسن .

وقوله (كَأَمْثالِ اللُّؤْلُؤِ المَكْنُونِ) يقول : هنّ فى صفاء بياضهنّ وحسنهن ، كاللؤلؤ المكنون الذى قد صين فى كِنّ .

وقوله (جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره : ثوابا لهم من الله بأعمالهم التى كانوا يعملونها فى الدنيا ، وعوضا من طاعتهم إياه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام الرفاعىّ ، قال : ثنا ابن يمان ، عن ابن عُيينة ، عن عمرو ، عن الحسن (وحُورٌ عينٌ) قال : شديدة السواد : سواد العين ، شديدة البياض : بياض العين .

= وقال الشاعر : « علفتها تبنا .... البيت » أى وسقيتها ماء باردا . يريد أن ما جاء من هذا ، فإنما يجىء على إضمار فعل آخر يصح المعنى عليه . ومثله قول الآخر : « ياليت زوجك . . . . البيت » تقديره : وحاملا رمحا . قال ابن برى ذكر الجوهرى عجز بيت على زججت المرأة حاجبيها « وزججن الحواجب والعيونا » قال : هو للراعى وصوابه : يزججن . وصدره :

وهِزَّةٍ نَشْوَةٍ مِنْ حىّ صِــدْقٍ   يُزَجِّجْنَ الْحَوَاجِبَ والعُيُونا

وبعده :   أَنَخْنَ جِمَالَهُنَّ بِذَاتِ غِسْلٍ   سَرَاةَ اليَوْمِ يَمْهَدْنَ الكُدُونا

ذات غسل : موضع . ويمهدن : يوطئن . والكدون : جمع كدن ، وهو ما توطىء به المرأة مركبها ، من كساء ونحوه .

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٢٣) . وفى (اللسان : لغط :) اللغط (بسكون الغين وتحريكها) : الأصوات المبهمة المختلفة ، والجلبة لا تفهم . وفى (اللسان : جسأ) : جسأ الشىء يجسأ جسوءا فهو جاسىء : صلب وخشن . وجسأت يده من العمل تجسأ جسأ : صلبت . والاسم الجسأة ، مثل الجرعة . والجسأة فى الدواب : يبس المعطف ، ودابة جاسئة القوائم . وفى (اللسان : بدد) : وفرس أبد : بين البدد أى بعيد ما بين اليدين . وقيل هو الذى فى يديه تباعد عن جنبيه ، وهو البدد ، وبعير أبد ، وهو الذى فى يديه فتل (بالتحريك) وموضع الشاهد فى البيت : أنه عطف الجسأة والبدد . وهما مما يرى لا مما يسمع ، على « لغطا » وهو مما يسمع ، وذلك على تقدير فعل ، أى وترى لليدين جسأة وبددا . فهو إذن كنظائره من الشواهد التى ذكرها الفراء فى هذا الموضع . وفى الأصل (دئدا) فى موضع (بددا) وهو من تحريف الناسخين .

قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الضحاك (وحُورٌ عِينٌ) قال : بِيض عِين ، قال : عظام الأعين :

حدثنا ابن عباس الدوريّ ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جُرَيج ، عن عطاء الخُراسانيّ ، عن ابن عباس ، قال : الحُور : سُود الحَدَق :

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا إبراهيم بن محمد الأسلميّ ، عن عباد بن منصور الباجيّ ، أنه سمع الحسن البصريّ يقول : الحُور : صوالح نساء بني آدم :

قال : ثنا إبراهيم بن محمد ، عن ليث بن أبي سليم ، قال : بلغني أن الحور العين خُلقن من الزعفران .

حدثنا الحسن بن يزيد الطحان ، قال : حدثتنا عائشة امرأة ليث ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : خلق الحُور العين من الزعفران :

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا عمرو بن سعد ، قال : سمعت ليثا ، ثني ، عن مجاهد ، قال : حور العين خُلقن من الزعفران .

وقال آخرون : بل معنى قوله (حُورٌ) أنهنّ يحار فيهنّ الطرف :

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (وحُورٌ عِينٌ) قال : يحار فيهنّ الطرف :

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ) قال أهل التأويل ، وجاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا أحمد بن الفرج الصَّدَفيّ الدِّمْياطيّ ، عن عمرو بن هاشم ، عن ابن أبي كريمة ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أمّ سلمة ، قالت : « قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله (كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ) قال : صفاؤهُنّ كصَفَاءِ الدُّرّ الَّذِي فِي الأَصْدَافِ الَّذِي لا تَمَسُّهُ الأَيْدِي » .

وقوله (لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا) يقول : لا يسمعون فيها باطلا من القول ولا تأثيما ، يقول : ليس فيها ما يؤثمهم :

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول (لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا) والتأثيم لا يُسمع ، وإنما يُسمع اللغو ، كما قيل : أكلت خبزا ولبنا ، واللبن لا يُؤكل ، فجازت إذ كان معه شيء يؤكل :

وقوله (إِلا قِيلا سَلامًا سَلامًا) يقول : لا يسمعون فيها من القول إلا قيلا سلاما : أي اسلم مما تكره : وفي نصب قوله (سَلامًا سَلامًا) وجهان : إن شئت جعلته تابعا للقيل ، ويكون السلام حينئذ هو القيل ، فكأنه قيل : لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما ، إلا سلاما سلاما ، ولكنهم يسمعون سلاما سلاما . والثاني : أن

يكون نصبه بوقوع القيل عليه ، فيكون معناه حينئذ : إلا قيلَ سلامٍ فإن نوّن نصب قوله (سلاما سلاما) بوقوع قيل عليه :

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۝٢٧ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وأصحابُ اليَمينِ) وهم الذين يُؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين ، الذين أُعطوا كتبهم بأيمانهم يامحمد (ما أصحابُ اليَمين) أىّ شىء هم وما لهم ، وماذا أعدّ لهم من الخير ، وقيل : إنهم أطفال المؤمنين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن معمر ، قال : ثنا أبوهشام المخزومىّ ، قال : ثنا عبدالواحد ، قال : ثنا الأعمش ، قال : ثنا عثمان بن قيس ، أنه سمع زاذان أبا عمرو يقول : سمعت علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه يقول : (وأصحابُ اليَمينِ ما أصحابُ اليَمينِ) قال : أصحاب اليمين : أطفال المؤمنين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وأصحابُ اليَمينِ ما أصحابُ اليَمينِ) : أى ماذا لهم ، وماذا أعدّ لهم ، ثم ابتدأ الخبر عما ذا أعدّ لهم فى الجنة ، وكيف يكون حالهم إذا هم دخلوها ؟ فقال : هم (فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ) يعنى : فى ثمر سدر موقر حملا قد ذهب شوكه .

وقد اختلف فى تأويله أهل التأويل ، فقال بعضهم : يعنى بالمخضود : الذى قد خُضد من الشوك ، فلا شوك فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (سِدْرٍ مَخْضُود) قال : خضده وقره من الحمل ، ويقال : خُضِد حتى ذهب شوكه فلا شوك فيه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه (فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ) قال : زعم محمد بن عكرمة قال : لاشوك فيه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن عكرمة ، فى قوله : (فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ) قال : لاشوك فيه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة بن خليفة ، قال : ثنا عوف ، عن قسامة بن زُهَير ، فى قوله (فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ) قال : خُضِد من الشوك ، فلا شوك فيه :

حدثنا أبوحُمَيد الحمصى أحمد بن المغيرة ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا عمرو بن عمرو بن عبد الله

الأحرسيّ ، عن السفر بن نُسَيْر في قول الله عزّ وجلّ (فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ) قال : خُضِد شوكه ، فلا شوك فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ) قال : كنا نحدّث أنه المُوقَر الذى لاشوك فيه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا قتادة ، في قوله (فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ) قال : ليس فيه شوك .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص (فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ) قال : لاشوك له .

حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن عكرمة (فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ) قال : لاشوك فيه .

وحدثني به ابن حُمَيد مرّة أخرى ، عن مهران بهذا الإسناد ، عن عكرمة ، فقال : لاشوك له ، وهو المُوقَر .

وقال آخرون : بل عُنِي به أنه المُوقَر حَمْلا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مَخْضُودٍ) قال : يقولون هذا الموقَرُ حَمْلا .

حدثني محمد بن سنان القزّاز ، قال : ثنا أبو حُذَيفة ، قال : ثنا سفان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ) قال : الموقَر .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ) قال : الموقَر .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (سِدْرٍ مَخْضُودٍ) يقول : مُوقَر .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَير (فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ) قال : ثمرها أعظم من القِلال .

وقوله (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) أما القرّاء فعلى قراءة ذلك بالحاء (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) وكذا هو في مصاحف أهل الأمصار . ورُوِى عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يقرأ (وَطَلْعٍ مَنْضُودٍ) بالعين .

حدثنا عبد الله بن محمد الزهريّ ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا زكريا ، عن الحسن بن سعد ، عن أبيه رضي الله عنه ، قرأها (طَلْعٍ مَنْضُودٍ) .

حدثنا سعيد بن يحيى الأموى ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنا مجاهد ، عن الحسن بن سعد ، عن قيس

ابن سعد ، قال : قرأ رجل عند علىّ (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) فقال علىّ : ماشأن الطلح ، إنما هو : (وَطَلْعٍ مَنْضُودٍ) ، ثم قرأ (طَلْعُها هَضِيمٌ) فقلنا أولا نحوّلها ، فقال : إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحوّل .

وأما الطلح فإن المعمر بن المثنى كان يقول : هو عند العرب شجر عظام كثير الشوك ، وأنشد لبعض الحداة :

بَشَّرَها دَلِيلُها وَقالا غَدًا تَرَيْنَ الطَّلْحَ والحِبالا [1]

وأما أهل التأويل من الصحابة والتابعين فإنهم يقولون : إنه هو الموز .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا سليمان التيمىّ ، عن أبى سعيد ، مولى بنى رقاشٍ ، قال : سألت ابن عباس عن الطلح ، فقال : هو الموز .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا سليمان التيمىّ ، قال : ثنا أبو سعيد الرقاشىّ ، أنه سمع ابن عباس يقول : الطلح المنضود : هو الموز .

حدثنى يعقوب وأبو كُرَيب ، قالا : ثنا ابن عُلَيّة ، عن سليمان ، قال : ثنا أبو سعيد الرّقاشىّ ، قال قلت لابن عباس : ما الطلح المنضود ؟ قال : هو الموز .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : ثنا أبو سعيد الرقاشىّ ، قال : سألت ابن عباس عن الطلح ، فقال : هو الموز .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن التيمى ، عن أبى سعيد الرقاشىّ ، عن ابن عباس (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) قال : الموز .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الكلبىّ ، عن الحسن بن سعيد ، عن علىّ رضى الله عنه (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) قال : الموز .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن رجل من أهل البصرة أنه سمع ابن عباس يقول فى الطلح المنضود : هو الموز .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) قال : موزكم لأنهم كانوا يُعجبون بوجٍّ وظلاله من طلحه وسدره .

حدثنا محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو حُذيفة ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن عطاء ، فى قوله (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) قال : الموز .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة بن خليفة ، عن عوف ، عن قسامة ، قال : الطلح المنضود : هو الموز .

(١) هذا الشاهد من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٥ – ا من المصورة ٢٦٣٩٠ عن مخطوطة « مراد منلا » بالآستانة) . أنشده عند قوله تعالى « وطلح منضود » قال : زعم المفسرون أنه الموز . وأما العرب فالطلح عندهم شجر عظيم كثير الشوك . وقال الحادى : « بشرها دليلها . . . . البيتين » . اهـ . وأما الحبال بالحاء كما فى رواية المؤلف فهى جمع حبل وهو الرمل المرتفع ينقاد مسافة طويلة فى الأرض . وبالجيم فى رواية أبى عبيدة ، وهى جمع جبل . يبشر ناقته بأنها ستبلغ وطنها غدا وترى فيه ما ألفته من شجر الطلح والرمال أو الجبال .

قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة ، فى قول الله (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) قال : الموز .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) قال : الموز .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) كنا نحدَّث أنه الموز .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) قال الله أعلم ، إلا أن أهل اليمن يسمون الموز الطلح :

وقوله (مَنْضُودٍ) يعنى أنه قد نُضِدَ بعضُه على بعض ، وجمع بعضه إلى بعض .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) قال : بعضه على بعض .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله : (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) متراكم ، لأنهم يعجبون بوجّ وظلاله من طلحه وسدره .

وقوله (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) يقول : وهم فى ظلّ دائم لاتنسخه الشمس فتذهبه ، وكلّ ما لاانقطاع له فإنه ممدود ، كما قال لبيد :

غَلَبَ البَقاءَ وكُنْتُ غيرَ مُغَلَّبِ ... دَهْرٌ طَوِيلٌ دائمٌ مَمْدُودُ[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاءت الآثار ، وقال به أهل العلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) قال : خمس مئة ألف سنة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن زياد مولى بنى مخزوم ، عن أبى هريرة ، قال : « إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مئة عام ، اقرءوا إن شئتم (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) فبلغ ذلك كعبا ، فقال : صدق والذى أنزل التوراة على لسان موسى ، والفرقان على لسان محمد ، لو أن رجلا ركب حِقّة أو جذعة ثم دار بأصل تلك الشجرة مابلغها ، حتى يسقط هَرِما ، إن الله غرسها بيده ، ونفخ فيها من روحه ، وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة وما فى الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة »

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن زياد مولى لبنى مخزوم ، أنه سمع أبا هريرة يقول : ثم ذكر نحوه ، إلا أنه قال : وما فى الجنة من نهر .

---

(١) البيت للبيد نسبه إليه أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٥ - ب) وفى روايته : « الفراء » فى موضع « البقاء » فى رواية المؤلف . يقول : غلب الدهر الطويل البقاء فى الدنيا ولم يكن شىء ليغلبنى غير الدهر . أنشده أبو عبيدة عند قوله تعالى « وظل ممدود » قال : أى لاتنسخه الشمس ، دائم . يقال للدهر الممدود والعيش إذا كان لاينقطع . قال لبيد : « غلب البقاء . . . . البيت » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) قال : مسيرة سبعين ألفَ سنة .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى أبو يحيى بن سليمان ، عن هلال بن عليّ ، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةَ سَنَةٍ ، اقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن محمد ، عن زياد ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول : « إنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةَ عامٍ ، اقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن محمد ، عن زياد ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول : « إنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةَ عامٍ لا يَقْطَعُها ، وَاقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي الضحى ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةَ عامٍ لا يَقْطَعُها ، شَجَرَةُ الخُلْدِ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت أبا الضحاك يحدّث ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها سَبْعِينَ أو مِئَةَ عامٍ ، هِيَ شَجَرَةُ الخُلْدِ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا عمران ، عن قتادة ، عن أنس ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةَ عامٍ لا يَقْطَعُها » .

قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا عمران ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، مثل ذلك .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن حماد بن سلمة ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عبدة وعبد الرحمن ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فِي الجَنَّةِ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةَ سَنَةٍ لا يَقْطَعُها ، وَاقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ قَوْلَهُ : (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا فردوس ، قال : ثنا ليث ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةَ سَنَةٍ » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا المحاربيّ ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا خالد بن الحارث ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةَ عامٍ لا يَقْطَعُها » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا خالد ، قال : ثنا عوف ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وبمثله عن خلاس .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو بكر ، قال : ثنا أبو حصين ، قال : كنا على باب في موضع ومعنا أبو صالح وشقيق ، يعني الضبيّ ، فحدّث أبو صالح ، فقال : حدثني أبو هريرة ، قال : إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما ، فقال أبو صالح أتكذّب أبا هريرة ، فقال : ما أكذّب أبا هريرة ، ولكني أكذّبك ، قال : فشقّ على القرّاء يومئذ .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) قال : حدثنا ، عن أنس بن مالك ، قال : « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها » .

قال : ثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) قال قتادة : حدثنا أنس بن مالك ، أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةَ عامٍ لا يَقْطَعُها » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أنس ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةَ عامٍ لا يَقْطَعُها » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة ، مثل ذلك أيضا .

وقوله (وَماءٍ مَسْكُوبٍ) يقول تعالى ذكره وفيه أيضا ماء مسكوب ، يعني مصبوب سائل في غير أخدود .

كما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَماءٍ مَسْكُوبٍ) قال : يجرى في غير أخدود .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ۝٣٤ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝٣٨ ﴾

يقول (وَفاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ، لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ) يقول تعالى ذكره وفيها (فاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ)

لاينقطع عنهم شيء منها أرادوه فى وقت من الأوقات ، كما تنقطع فواكه الصيف فى الشتاء فى الدنيا ، ولا يمنعهم منها ، ولا يحول بينهم وبينها شوك على أشجارها ، أو بعدها منهم ، كما تمتنع فواكه الدنيا من كثير ممن أرادها ببعدها على الشجرة منهم ، أو بما على شجرها من الشوك ، ولكنها إذا اشتهاها أحدهم وقعت فى فيه أو دنت منه حتى يتناولها بيده .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

وقد ذكرنا الرواية فيما مضى قبل ، ونذكر بعضا آخر منها :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا قتادة ، فى قوله (لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ) قال : لا يمنعه شوك ولا بعد .

وقوله (وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ) يقول تعالى ذكره : ولهم فيها فرش مرفوعة طويلة ، بعضها فوق بعض ، كما يقال : بناء مرفوع .

وكالذى حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا رِشْدين بن سعد ، عن عمرو بن الحارث ، عن درّاج أبى السمح عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فى قوله (وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ) قال : « إن ارتفاعها لكما بين السماء والأرض ، وإن ما بين السماء والأرض لمسيرة خمس مئة عام » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا عمرو ، عن درّاج ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ) وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إنَّ ارْتِفاعها . . . ثم ذكر مثله .

وقوله (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ، فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا) يقول تعالى ذكره : إنا خلقناهن خلقا فأوجدناهنّ ؛ قال أبو عبيدة : يعنى بذلك : الحور العين اللاتى ذكرهنّ قبل ، فقال (وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ، إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً) ، وقال الأخفش : أضمرهنّ ولم يذكرهنّ قبل ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً) قال : خلقناهنّ خلقا .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا معاوية بن هشام ، عن شيبان ، عن جابر الجُعْفى ، عن يزيد بن مرّة ، عن سلمة بن يزيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً) قال : مِنَ الثَّيِّبِ والأبْكارِ .

وقوله (فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا) يقول : فصيرناهنّ أبكارا عذارى بعد إذ كنّ[1] .

كما حدثنا حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسى بن عبيدة ، عن يزيد بن أبان الرقاشى ، عن أنس بن مالك ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم : (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً) قال : «عَجائِزَ كُنَّ فِى الدُّنْيا عُمْشًا رُمْصًا » .

(١) لعله حذف خبر « كن » اعتمادا على التصريح به فى الحديث الذى بعده ؛ أى بعد إذ كن عجائز .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال: ثنا مهران ، عن موسى بن عُبيدة ، عن يزيد بن أبان الرقاشيّ ، عن أنس بن مالك ، قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « إنَّا أنْشأناهُنَّ إنْشاءً . قال : أنْشأ عَجائِزَ كُنَّ فِي الدُّنْيا عُمْشا رُمْصًا » .

حدثنا عمر بن إسماعيل بن مجالد ، قال: ثنا محمد بن ربيعة الكلابيّ ، عن موسى بن عُبيدة الرَّبَذِيّ، عن يزيد الرَّقاشيّ ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في قوله : (إنَّا أنْشأناهُنَّ إنْشاءً) قال :«مِنْهُنَّ العَجائِزُ اللاَّتِي كُنَّ فِي الدُّنْيا عُمْشا رُمْصًا » .

حدثنا سوار بن عبد الله بن داود، عن موسى بن عبيدة الرَّبَذِيّ ، عن يزيد الرَّقاشيّ، عن أنس بن مالك ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فى قوله (إنَّا أنْشأْناهُنَّ إنْشاءً) قال : هُنَّ اللَّوَاتِي كُنَّ فِي الدُّنْيا عَجائِزَ عُمْشا رُمْصًا » .

حدثنا ابن بشار، قال : ثناعمرو بن عاصم ، قال : ثنا المعتمر، عن أبيه ، عن قتادة ، عن صفوان بن محرز فى قوله (إنَّا أنْشأْناهُنَّ إنْشاءً . فجَعَلْناهُنَّ أبْكارًا) قال : فهن العُجُز الرُّمْص .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا قتادة ، فى قوله (إنَّا أنْشأْناهُنَّ إنْشاءً . فجَعَلْناهُنَّ أبْكارًا) قال : إن منهن العُجُزَ الرُّجُفَ ، أنشأهن الله فى هذا الخلق .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّا أنْشأْناهُنَّ إنْشاءً) قال قتادة : كان صفوان بن محرز يقول : إن منهن العُجُزَ الرُّجُفَ ، صيرهن الله كما تسمعون .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : قوله (أبْكارًا) يقول : عَذَارى .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن الفرج الصَّدَفى الدُّمياطيّ ، عن عمرو بن هاشم ، عن ابن أبى كريمة ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن ، عن أمّ سلمة ، زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم أنها قالت: « قلت يا رسول الله ، أخبرنى عن قول الله (إنَّا أنْشأْناهُنَّ إنْشاءً . فَجَعَلْناهُنَّ أبْكارًا . عُرُبًا أتْرَابًا . لأصحابِ اليَمِينِ) قال : هُنَّ اللَّوَاتِى قُبِضْنَ فِي الدُّنْيا عَجائِزَ رُمْصًا شُمْطا ، خَلَقَهُنَّ اللهُ بَعْدَ الكِبَرِ فَجَعَلَهُنَّ عَذَارَى » .

حدثنا أبو عبيد الوَصَّابيّ ، قال : ثنا محمد بن حمير ، قال : ثنا ثابت بن عجلان ، قال : سمعت سعيد بن جبير ، يحدّث عن ابن عباس ، فى قوله (إنَّا أنْشأْناهُنَّ إنْشاءً . فَجَعَلْناهُنَّ أبْكارا . عُرُبا أتْرَابا) قال : هن من بنى آدم ، نساء كنّ فى الدنيا ينشئهنّ الله أبكارا عذارى عربا .

وقوله (عُرُبًا) يقول تعالى ذكره : فجعناهنّ أبكارًا غنجات متحببات إلى أزواجهنّ يحسن التبعل وهى جمع ، واحدهن عَرُوب ، كما واحد الرسل رسول ، وواحد القطف قطوف ، ومنه قول لبيد :

وفى الحُدُوجِ عَرُوبٌ غيرُ فاحِشَةٍ ... رَيَّا الرَّوَادِفِ يَعْشَى دونَها البَصَرُ[1]

(١) هذا البيت للبيد الشاعر ، نسبه إليه أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٥ — ب) أنشده عند قوله تعالى « عربا أترابا » قال : —

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا إسماعيل بن أبان ، وإسماعيل بن صبيح ، عن أبى إدريس ، عن ثور ابن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (عُرُبا أترَابا) قال : المَلِقَة .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (عُرُبا) يقول : عواشق .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (عُرُبا) قال : العرب المتحببات المتودّدات إلى أزواجهنّ .

حدثنى سليمان بن عبيد الله الغيلانى ، قال : ثنا أيوب ، قال : أخبرنا قرة ، عن الحسن ، قال : العرب : العاشق .

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة ، أنه قال فى هذه الآية (عُرُبا) قال : العرب المغنوجة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن شعبة ، عن سماك بن عكرمة قال : هى المغنوجة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا عُمارة بن أبى حفصة ، عن عكرمة ، فى قوله (عُرُبا) قال : غنِجات .

حدثنى علىّ بن الحسن الأزدىّ ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن أبى إسحاق التيمىّ ، عن صالح بن حيان ، عن أبى بريدة (عُرُبا) قال : الشَّكِلة بلغة مكة ، والغَنِجة بلغة المدينة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : سمعت إبراهيم التيمى يعنى ابن الزبرقان ، عن صالح ابن حيان ، عن أبى يزيد بنحوه .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عثمان بن بشار ، عن تميم بن حذلم ، قوله (عُرُبا) قال : حسن تبعُّل المرأة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن عثمان بن بشار ، عن تميم بن حذلم فى (عُرُبا) قال : العَرِبة : الحسنة التبعل . قال : وكانت العرب تقول للمرأة إذا كانت حسنة التبعل : إنها لعَرِبة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أُسامة بن زيد بن أسلم ، عن أبيه (عُرُبا) قال : حسنات الكلام .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد ، قال : عواشق .

= واحدها عروبٌ ، وهى الحسنة التبعل (أى المودة للزوج) قال لبيد « وفى الحدوج . . . » البيت . وفى الأصل : الجزوع ، وهو خطأ من الناسخ . وفى القرطبى (١٧ : ٢١١) الخباء ، ولا بأس بها . ورواية البيت فى فتح القدير للشوكانى (٥ : ١٤٩) .

● رَيَّا الرَّوادِفِ يُعْشِي ضَوْءُها البَصَرَا ●

قال : ثنا ابن يمان ، عن شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد ، وعكرمة ، مثله .

قال : ثنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن مجاهد فى (عُرُبا) قال : العرب المتحببات .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد (عُرُبا) قال : العرب : العواشق .

حدثنا أبوكُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جُبير ، مثله .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن غالب أبى الهُذَيل ، عن سعيد بن جُبَير (عُرُبا) قال : العرب اللاتى يشتهين أزواجهنّ .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن ، قال : المشتهية لبعولتهنّ .

قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا عثمان بن الأسود ، عن عبد الله بن عبيد الله ، قال : العرب : التى تشتهى زوجها .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن عثمان بن الأسود ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير (عُرُبا) قال : العَرِبة : التى تشتهى زوجها . ؛ ألا ترى أن الرجل يقول للناقة : إنها لعَرِبة ؟

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (عُرُبا) قال : عُشَّقا لأزواجهنّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عُرُبا أترَابا) يقول : عشّق لأزواجهنّ ، يحببن أزواجهنّ حبا شديدا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، يقول : سمعت الضحاك يقول : العُرُب : المتحببات .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (عُرُبا أترَابا) قال : متحببات إلى أزواجهن .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (عُرُبا) قال : العُرُب : الحسنة الكلام .

حدثنا ابن البرقىّ ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، قال : سُئل الأوزاعىّ ، عن (عُرُبا) قال : سمعت يحيى يقول : هنّ العواشق .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن الفرج الصَّدَفىّ الدِّمياطىّ ، عن عمرو بن هاشم ، عن أبى كريمة ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أمّ سلمة ، قالت : قلت يارسول الله ، وأخبرنى عن قوله (عُرُبا أترَابا) قال : عُرُبا مُتَعَشِّقاتٍ مُتَحَبِّباتٍ ، أترَابا على ميلادٍ واحدٍ » .

حدثنى محمد بن حفص أبوعبيد الوصَّابىُّ ، قال : ثنا محمد بن حمير ، قال : ثنا ثابت بن عجلان ، قال : سمعت سعيد بن جُبَير يحدّث عن ابن عباس (عُرُبا) والعَرِب : الشَّوِق .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه بعض قرّاء المدينة وبعض قرّاء الكوفيين عُرُبا بضم العين والراء . وقرأه بعض قرّاء الكوفة والبصرة (عُرْبا) بضم العين وتخفيف الراء ، وهى لغة تميم وبكر ، والضم فى الحرفين أولى القراءتين بالصواب لما ذكرت من أنها جمع عروب ، وإن كان فعول أو فعيل أو فعال إذا جمع ، جمع على فُعُل بضم الفاء والعين ، مذكرا كان أو مؤنثا ، والتخفيف فى العين جائز ، وإن كان الذى ذكرت أفصح الكلامين عن وجه التخفيف .

وقوله (أتْرَابا) يعنى أنهنّ مستويات على سنّ واحدة ، واحدتهنّ تِرْب ، كما يقال : شِبْه وأشْباه . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن الحسين بن الحارث ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، عن سلمة بن سابور ، عن عطية ، عن ابن عباس ، قال : الأتراب : المستويات .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أتْرَابا) قال : أمثالا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أتْرَابا) يعنى : سنًّا واحدة .

حدثنى ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (أتْرَابا) قال : الأتراب : المستويات .

وقوله (لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ) يقول تعالى ذكره : أنشأنا هؤلاء اللواتى وصف صفتهنّ من الأبكار للذين يؤخذ بهم ذات اليمين من موقف الحساب إلى الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى ذكره : الذين لهم هذه الكرامة التى وصف صفتها فى هذه الآيات ثُلَّتان ، وهى جماعتان وأمتان وفرقتان : (ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ) ، يعنى جماعة من الذين مضوا قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم . (وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ) ، يقول : وجماعة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال به أهل التأويل .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : قال الحسن (ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ) من الأمم (وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ) : أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ) قال : أمة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، قال : ثنا قتادة ، قال : ثنا الحسن ، عن حديث عمران ابن حصين ، عن عبد الله بن مسعود قال : « تحدثنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة حتى أكرينا في الحديث ، ثم رجعنا إلى أهلينا ، فلما أصبحنا غدونا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عُرِضَتْ عَلَيَّ الأَنْبِياءُ اللَّيْلَةَ بِأَتْباعِها مِنْ أُمَمِها ، فَكانَ النَّبِيُّ يَجِيءُ مَعَهُ الثُّلَّةُ مِنْ أُمَّتِهِ ، والنَّبِيُّ مَعَهُ العِصابَةُ مِنْ أُمَّتِهِ ، والنَّبِيُّ مَعَهُ النَّفَرُ مِنْ أُمَّتِهِ ، والنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ مِنْ أُمَّتِهِ ، والنَّبِيُّ مامَعَهُ مِنْ أُمَّتِهِ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ ، حَتَّى أَتَى عَلَيَّ مُوسَى بْنُ عِمْرانَ فِي كَبْكَبَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ ؛ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبُونِي ، فَقُلْتُ أَيْ رَبِّ مَنْ هٰؤُلاءِ ؟ قال : هٰذا أَخُوكَ مُوسَى بْنُ عِمْرانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ فَقُلْتُ رَبِّ ، فَأَيْنَ أُمَّتِي ؟ فَقِيلَ : انْظُرْ عَنْ يَمِينِكَ ، فَإِذا ظِرابُ مَكَّةَ قَدْ سُدَّتْ بِوُجُوهِ الرِّجالِ فَقُلْتُ : مَنْ هٰؤُلاءِ ؟ قِيلَ : هٰؤُلاءِ أُمَّتُكَ ، فَقِيلَ : أَرَضِيتَ ؟ فَقُلْتُ : رَبِّ رَضِيتُ رَبِّ رَضِيتُ قِيلَ : انْظُرْ عَنْ يَسارِكَ ، فَإِذا الأُفُقُ قَدْ سُدَّ بِوُجُوهِ الرِّجالِ ، فَقُلْتُ : رَبِّ مَنْ هٰؤُلاءِ ؟ قِيلَ : هٰؤُلاءِ أُمَّتُكَ ، فَقِيلَ : أَرَضِيتَ ؟ فَقُلْتُ رَضِيتُ ، رَبِّ رَضِيتُ ؛ فَقِيلَ : إِنَّ مَعَ هٰؤُلاءِ سَبْعِينَ أَلْفاً مِنْ أُمَّتِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ لاحِسابَ عَلَيْهِمْ ؛ قال : فأنشأ عُكَّاشة بن محصن رجل من بني أسد بن خزيمة ، فقال : يا نبيَّ الله ادعُ ربك أن يجعلني منهم ، قال : اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ ، ثم أنشأ رجل آخر فقال : يا نبيَّ الله ادع ربك أن يجعلني منهم ، قال : سَبَقَكَ بِها عُكَّاشَةُ ، فقال نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم : فِدًى لَكُمْ أَبِي وَأُمِّي إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ السَّبْعِينَ فَكُونُوا ، فَإِنْ عَجَزْتُمْ وَقَصَّرْتُمْ فَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الظِّرابِ ، فَإِنْ عَجَزْتُمْ وَقَصَّرْتُمْ فَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الأُفُقِ ، فَإِنِّي رَأَيْتُ ثَمَّ أُناساً يَتَهَرَّشُونَ[١] كَثِيراً ، أو قال يَتَهَوَّشُونَ ؛ قال : فتراجع المؤمنون ، أو قال فتراجعنا على هؤلاء السبعين ، فصار من أمرهم أن قالوا : نراهم ناسا وُلدوا في الإسلام ، فلم يزالوا يعملون به حتى ماتوا عليه ، فنمى حديثهم ذاك إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : لَيْسَ كَذاكَ ، وَلٰكِنَّهُمُ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ ، وَلا يَكْتَوُونَ ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . ذُكر أن نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ « إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَنْ تَبِعَنِي مِنْ أُمَّتِي رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ ، فكبَّرنا ، ثم قال : إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا الشَّطْرَ ، فكبرنا ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : (ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ ، وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ) » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا الحسن بن بشر البجليُّ ، عن الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة ، عن الحسن

(١) كذا في الأصل . وفي (النهاية : هرش :) يتهارشون ، هكذا رواه بعضهم ، وفسره بالتقاتل . وهو في مسند أحمد بالواو بدل الراء ، والتهاوش : الاختلاط . اهـ . (وقال في هوش) : وفي حديث الإسراء : فإذا بشر كثير يتهاوشون ، الهوش : الاختلاط ، أي يدخل بعضهم في بعض .

عن عمران بن حصين ، عن عبدالله بن مسعود ، قال : «تحدّثنا لَيْلَةً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أكرينا أو أكثرنا ، ثم ذكر نحوه ، إلا أنه قال : فإذَا الظِّرَابُ ظِرابُ مَكَّةَ مَسْدُودَةٌ بِوُجُوهِ الرِّجالِ وقال أيضا : فإنى رأيْتُ عِنْدَهُ أُناسا يَتَهاوَشُونَ كَثِيرا ؛ قال : فقلنا : من هؤلاء السبعون ألفا فاتفق رأينا على أنهم قوم وُلدوا فى الإسلام ويموتون عليه قال : فذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ لايَكْتَوُونَ وقال أيضا : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لأَرْجُو أنْ تكُونُوا رُبْعَ أهْلِ الجَنَّةِ ، فكبر أصحابه ثم قال : إنّى لأَرْجُو أنْ تكُونُوا ثُلُثَ أهْلِ الجَنَّةِ ، فكبر أصحابه ؛ ثم قال : إنّى لأَرْجُو أنْ تَكُونُوا شَطْرَ أهْلِ الجَنَّةِ ، ثم قرأ (ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ ، وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ) » :

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عوف ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : كلهم فى الجنة :

حدثنا ابن عبدالأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أنه بلغه أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « أتَرْضَوْنَ أنْ تكُونُوا رُبْعَ أهْلِ الجَنَّةِ ؟ قالوا : نعم ، قال : أتَرْضَوْنَ أنْ تكُونُوا ثُلُثَ أهْلِ الجَنَّةِ ؟ قالوا : نعم ، قال وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إنّى لأَرْجُو أنْ تَكُونُوا شَطْرَ أهْلِ الجَنَّةِ ، ثم تلا هذه الآية (ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ) » :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن بُدَيل بن كعب أنه قال : أهل الجنة عشرون ومئة صفّ ، ثمانون صفا منها من هذه الأمة :

وفى رفع (ثُلَّةٌ) وجهان : أحدهما الاستئناف ، والآخر بقوله : لأصحاب اليمين ثلتان ، ثلة من الأوّلين وقد رُوِى عن النبيّ صلى الله عله وسلم خبر من وجه عنه صحيح أنه قال : الثُّلَّتانِ جَمِيعا مِنْ أُمَّتِى » .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبان بن أبى عياش ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس (ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ) قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « هُمَا جَمِيعا مِنْ أُمَّتِى » :

وقوله (وأصْحابُ الشِّمالِ ما أصْحابُ الشِّمالِ) يقول تعالى ذكره معجبا نبيه محمدا من أهل النار (وأصْحابُ الشِّمالِ) الذين يؤخذ بهم ذات الشمال من موقف الحساب إلى النار (ماأصْحابُ الشِّمالِ) ماذا لهم ، وماذا أعدّ لهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأصْحابُ الشِّمالِ ما أصْحابُ الشِّمالِ) : أى ماذا لهم ، وماذا أُعدّ لهم :

وقوله (فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ) يقول : هم فى سَموم جهنم وحَميمها

وقوله (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) يقول تعالى ذكره : وظلّ من دُخان شديد السواد : والعرب تقول لكلّ شىء وصفته بشدّة السواد : أسود يحموم :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن أبى الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا سليمان الشيبانىّ ، قال : ثنى يزيد ابن الأصمّ ، قال : سمعت ابن عباس يقول فى (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) قال : هو ظلّ الدخان .

حدثنا محمد بن عبيد المحاربىّ ، قال : ثنا قبيصة بن ليث ، عن الشيبانىّ ، عن يزيد بن الأصمّ ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت الشيبانى ، عن يزيد بن الأصمّ ، عن ابن عباس ، بمثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الشيبانى ، عن يزيد بن الأصمّ ، عن ابن عباس (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) قال : هو الدخان .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إبراهيم بن طُهمان ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) قال : الدخان .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) يقول : من دخان حَميم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة ، أنه قال فى هذه الآية (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) قال : الدخان :

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عثام ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى مالك ، فى قوله (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) قال : دخان حميم .

حدثنا سعيد بن يحيى الأموى ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى مالك بمثله .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) قال : الدخان .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (مِنْ يَحْمُومٍ) قال : من دخان حميم .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سليمان الشيبانى ، عن يزيد بن الأصمّ ، عن ابن عباس ، ومنصور ، عن مجاهد (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) قالا : دخان .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) قال : من دخان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) كنا نُحدَّث أنها ظلّ الدخان .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) قال : ظلّ الدخان دخان جهنم ، زعم ذلك بعض أهل العلم :

وقوله (لابارِدٍ ولاكَرِيمٍ) يقول تعالى ذكره : ليس ذلك الظلّ ببارد ، كبرد ظلال سائر الأشياء ، ولكنه حارّ ، لأنه دخان من سعير جهنم ، وليس بكريم لأنه مؤلم من استظلّ به ، والعرب تتبع كلّ منفىّ عنه صفة حمد نفى الكرم عنه ، فتقول : ما هذا الطعام بطيب ولا كريم ، وما هذا اللحم بسمين ولا كريم وما هذه الدار بنظيفة ولا كريمة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا النضر ، قال : ثنا جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (لابارِدٍ وَلاكَرِيمٍ) قال : كلّ شراب ليس بعذب فليس بكريم :

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لابارِدٍ وَلاكَرِيمٍ) قال : لابارد المنزل ، ولا كريم المنظر .

وقوله (إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلكَ مُتْرَفِينَ) يقول تعالى ذكره : إن هؤلاء الذين وصف صفتهم من أصحاب الشمال ، كانوا قبل أن يصيبهم من عذاب الله ما أصابهم فى الدنيا مترفين ، يعنى منعمين .

كما حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلكَ مُتْرَفِينَ) يقول : منعمين :

وقوله (وكانُوا يُصِرُّونَ عَلى الحِنْثِ العَظِيمِ) يقول جلّ ثناؤه : وكانوا يقيمون على الذنب العظيم.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، يُصِرّون : يدمنون :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : يدهنون ، أو يدمنون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وكانُوا يُصِرُّونَ) قال : لايتوبون ولا يستغفرون ، والإصرار عند العرب على الذنب : الإقامة عليه ، وترك الإقلاع عنه .

وقوله (عَلى الحِنْثِ العَظِيمِ) يعنى : على الذنب العظيم ، وهو الشرك بالله :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (على الحِنْثِ العَظِيمِ) قال : على الذنب .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا أبو تُميلة ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، في قوله (الْحِنْثِ الْعَظِيمِ) قال : الشرك :

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (على الْحِنْثِ الْعَظِيمِ) يعني : الشرك :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الْحِنْثِ الْعَظِيمِ) قال : الذنب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وكانُوا يُصِرُّونَ على الْحِنْثِ الْعَظِيمِ) قال : الحنث العظيم : الذنب العظيم ، قال : وذلك الذنب العظيم الشرك لا يتوبون ولا يستغفرون :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وكانُوا يُصِرُّونَ على الْحِنْثِ الْعَظِيمِ) وهو الشرك :

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن ابن جُريج ، عن مجاهد ، (على الْحِنْثِ الْعَظِيمِ) قال : الذنب العظيم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره : وكانوا يقولون كفرا منهم بالبعث ، وإنكارا لإحياء الله خلقه من بعد مماتهم : أئذا كنا ترابا في قبورنا من بعد مماتنا ، وعظاما نخرة ، أئنا لمبعوثون منها أحياء كما كنا قبل الممات ، أو آباؤنا الأوّلون الذين كانوا قبلنا ، وهم الأوّلون ، يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لهؤلاء إن الأوّلين من آبائكم والآخرين منكم ومن غيركم ، لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ، وذلك يوم القيامة :

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾

يقول تعالى ذكره لأصحاب الشمال : ثم إنكم أيها الضالون عن طريق الهدى ، المكذّبون بوعيد الله ووعده ، لآكلون من شجر من زقوم :

وقوله (فَمالِئُونَ مِنْها الْبُطُونَ) يقول : فمالئون من الشجر الزّقوم بطونهم :

واختلف أهل العربية في وجه تأنيث الشجر في قوله (فَمالِئُونَ مِنْها الْبُطُونَ) : أي من الشجر ، (فَشارِبُونَ عَلَيْهِ) لأن الشجر تؤنث وتذكر ، وأنث لأنه حمله على الشجرة ، لأن الشجرة قد تدلّ على الجميع ، فتقول العرب : نبتت قبلنا شجرة مرّة وبقلة رديئة ، وهم يعنون الجميع : وقال بعض نحويي الكوفة (لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ) ، وفي قراءة عبد الله (لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرَةٍ مِنْ

زَقُّوم) على واحده ، فمعنى شجر وشجرة واحد ، لأنك إذا قلت أخذت من الشاء ، فإن نويت واحدة أو أكثر من ذلك ، فهو جائز ، ثم قال (فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ) يريد من الشجرة ؛ ولو قال : فمالئون منه إذا لم يذكر الشجر كان صوابا يذهب إلى الشجر فى منه ، ويؤنث الشجر ، فيكون منها كناية عن الشجر والشجر يؤنث ويذكر ، مثل التمر يؤنث ويذكر .

والصواب من القول فى ذلك عندنا القول الثانى ، وهو أن قوله (فَمَالِئُونَ مِنْهَا) مراد به من الشجر أنث للمعنى ، وقال (فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ) مذكرا للفظ الشجر .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ۝ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ۝ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ۝ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : فشاربٌ أصحابُ الشمال على الشجر من الزَّقوم إذا أكلوه ، فملئوا منه بطونهم من الحميم الذى انتهى غليه وحرّه . وقد قيل : إن معنى قوله (فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ) : فشاربون على الأكل من الشجر من الزقوم .

وقوله (فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة (شُرْبَ الْهِيمِ) بضم الشين ، وقرأ ذلك بعض قرّاء مكة والبصرة والشأم (شُرْبَ الْهِيمِ)[1] اعتلالا بأن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال لأيام منى : « إنّها أيّامُ أكْلٍ وشُرْبٍ » .

والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إنهما قراءتان قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء من القرّاء مع تقارب معنييهما ، فبأيتهما قرأ القارئُ فمصيب فى قراءته ، لأن ذلك فى فتحه وضمه نظير فتح قولهم : الضَّعف والضُّعف وضمه : وأما الهيم ، فإنها جمع أهيم ، والأنثى هيماء ؛ والهيم : الإبل التى يصيبها داء فلا تروى من الماء : ومن العرب من يقول : هائم ، والأنثى هائمة ، ثم يجمعونه على هيم ، كما قالوا : عائط وعيط ، وحائل وحول ؛ ويقال : إن الهيم : الرمل ، بمعنى أن أهل النار يشربون الحميم شرب الرمل الماء :

ذكر من قال عنى بالهيم الإبل العطاش

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (شُرْبَ الْهِيمِ) يقول : شرب الإبل العطاش :

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ) قال : الإبل الظماء :

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن عمران بن حدير ، عن عكرمة ، فى قوله (فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ) قال : هى الإبل المراض ، تمصّ الماء مصًّا ولا تَرَوّى :

(١) يريد بفتح الشين ، يفهم من كلامه بعد فى توجيه القراءة . وقد صرح الفراء بكلمة « بالفتح » فيما نقله عن الكسائى عن يحيى ابن سعيد الأموى ، عن ابن جريج (معانى القرآن : مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ٣٢٤) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، فى قوله (فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ) قال : الإبل يأخذها العُطاش ، فلا تزال تشرب حتى تهلك :

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن عكرمة (فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ) قال : هى الإبل يأخذها العطاش :

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن عباس ، قال : هى الإبل العطاش :

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (شُرْبَ الهِيمِ) قال : الإبل الهيم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ) الهيم : الإبل العطاش ، تشرب فلا تروى ، يأخذها داء يقال له الهُيام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ) قال : داء بالإبل لا تَرْوَى معه :

ذكر من قال هى الرملة

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ) قال : السِّهْلة [1] :

وقوله (هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ) يقول تعالى ذكره : هذا الذى وصفت لكم أيها الناس ، أن هؤلاء المكذّبين الضالين يأكلونه من شجر من زقوم ، يشربون عليه من الحميم ، هو نزلهم الذى ينزلهم ربهم يوم الدين ، يعنى : يوم يدين الله عباده :

وقوله (نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ) يقول تعالى ذكره لكفار قريش والمكذّبين بالبعث : نحن خلقناكم أيها الناس ولم تكونوا شيئا ، فأوجدناكم بشرا ، فهلا تصدّقون من فعل ذلك بكم فى قيله لكم : إنه يبعثكم بعد مماتكم وبيلاكم فى قبوركم ، كهيأتكم قبل مماتكم :

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذّبين بالبعث : أفرأيتم أيها المُنكرون قُدرة الله على إحيائكم من بعد مماتكم النطف التى تمنون فى أرحام نسائكم ، أءنتم تخلقون تلك أم نحن الخالقون :

وقوله (نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ المَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) يقول تعالى ذكره : نحن قدرنا بينكم أيها الناس الموت ، فعجّلناه لبعض ، وأخّرناه عن بعض إلى أجل مسمى :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

(١) فى (اللسان : سهل) عن الجوهرى : السهلة ، بكسر السين : رمل ليس بالدقاق . وقال غيره : السهلة والسهل : تراب كالرمل يجىء به الماء .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ المَوْتَ) قال : المستأخر والمستعجل :

وقوله (وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ : عَلَى أنْ نُبَدِّلَ أمْثالَكُمْ) ، يقول تعالى ذكره (وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) أيها الناس فى أنفسكم وآجالكم ، ففتات علينا فيها فى الأمر الذى قدّرناه لها من حياة وموت بل لا يتقدم شىء من أجلنا ، ولا يتأخر عنه .

وقوله (على أنْ نُبَدِّلَ أمْثالَكُمْ) يقول : على أنْ نُبَدِّل منكم أمْثالَكُمْ بعد مهلككم فنجىء بآخرين من جنسكم :

وقوله (وَنُنْشِئَكُمْ فِيما لا تَعْلَمُونَ) يقول : ونبدلكم عما تعلمون من أنفسكم فيما لا تعلمون منها من الصور .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَنُنْشِئَكُمْ) فى أىّ خلق شئنا :

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد علمتم أيها الناس الإحداثة الأولى التى أحدثناكموها ، ولم تكونوا من قبل ذلك شيئا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (النَّشْأَةَ الأُولى) قال : إذ لم تكونوا شيئا.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولى) يعنى خلق آدم لستَ سائلا أحدا من الخلق إلا أنبأك أن الله خلق آدم من طين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولى) قال : هو خلق آدم .

حدثني محمد بن موسى الحرسى ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، قال : سمعت أبا عمران الجونى يقرأ هذه الآية (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولى) قال : هو خلق آدم .

وقوله (فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ) يقول تعالى ذكره : فهلا تذكرون أيها الناس : فتعلموا أن الذى أنشأكم النشأة الأولى ، ولم تكونوا شيئا ، لايتعذّر عليه أن يعيدكم من بعد مماتكم وفنائكم أحياء .

وقوله (أفَرَأيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ) يقول تعالى ذكره : أفرأيتم أيها الناس الحرث الذى تحرثونه (أأنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) يقول : أأنتم تصيرونه زرعا ، أم نحن نجعله كذلك ؟

وقد حدثنى أحمد بن الوليد القرشى ، قال : ثنا مسلم بن أبى مسلم الحرمىّ ، قال : ثنا مخلد بن الحسين ، عن هاشم ، عن محمد ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتَقُولَنَّ زَرَعْتُ ولَكِنْ قُلْ حَرَثْتُ » قال أبو هريرة ألم تسمع إلى قول الله (أفَرَأيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ ءأنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ؟) :

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : لو نشاء جعلنا ذلك الزرع الذى زرعناه حُطاما ، يعنى هشيما لايُنتفع به فى مطعم وغذاء :

وقوله (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : فظلتم تتعجبون مما نزل بكم فى زرعكم من المصيبة باحتراقه وهلاكه :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) قال : تعجبون :

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) قال : تعجبون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) قال تعجبون

وقال آخرون : معنى ذلك : فظلتم تلاومون بينكم فى تفريطكم فى طاعة ربكم جلّ ثناؤه ، حتى نالكم بما نالكم من إهلاك زرعكم :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، فى قوله (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) يقول : تلاومون :

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سماك بن حرب البكرى ، عن عكرمة (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) قال : تلاومون :

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فظلتم تندمون على ماسلف منكم فى معصية الله التى أوجب لكم عقوبته ، حتى نالكم فى زرعكم ما نالكم :

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنى ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) قال : تندمون :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) قال تندمون

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فظلتم تعجبون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) قال تعجبون حين صنع بحرثكم ماصنع به ، وقرأ قول الله عزّ وجلّ (إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ، بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) وقرأ قول الله (وَإِذَا انْقَلَبُوا إلى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ) قال : هؤلاء ناعمين ، وقرأ قول الله جل ثناؤه (فأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) . . . إلى قوله (كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ) .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : معنى (فَظَلْتُمْ) : فأقمتم تعجبون مما نزل بزرعكم وأصله من التفكه بالحديث إذا حدّث الرجلُ الرجلَ بالحديث يعجب منه ، ويلهى به ، فكذلك ذلك . وكأن معنى الكلام : فأقمتم تتعجبون يُعَجِّب بعضكم بعضا مما نزل بكم :

وقوله (إِنَّا لَمُغْرَمُونَ) اختلف أهل التأويل فى معناه ، فقال بعضهم : إنا لمولَع بنا :

ذكر من قال ذلك

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، قال : أخبرنى الحسين بن واقد ، قال : ثنى يزيد النحوىّ ، عن عكرمة ، فى قول الله تعالى ذكره (إِنَّا لَمُغْرَمُونَ) قال : إنا لمولَع بنا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : قال مجاهد ، فى قوله (إِنَّا لَمُغْرَمُونَ) أى لمولع بنا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنا لمعذّبون :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّا لَمُغْرَمُونَ) : أى معذّبون

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنا لملقون للشرّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِنَّا لَمُغْرَمُونَ) قال : مُلْقَون للشرّ

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : معناه : إنا لمعذّبون ، وذلك أن الغرام عند العرب ; العذاب ؛ ومنه قول الأعشى :

إنْ يُعاقِبْ يَكُنْ غَرَاما وَإنْ يُعْـطِ جَزِيلا فَإنَّهُ لا يُبالى[1]

يعنى بقوله : يكن غراما : يكن عذابا . وفى الكلام متروك اكتفى بدلالة الكلام عليه ، وهو : فظلتم تفكهون «تقولون» إنا لمغرمون ، فترك تقولون من الكلام لما وصفنا .

وقوله (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) يعنى بذلك تعالى ذكره أنهم يقولون : ما هلك زرعنا وأصبنا به من أجل (إنَّا لَمُغْرَمُونَ) ولكنا قوم محرومون ، يقول : إنهم غير مجدودين ، ليس لهم جَدّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) قال : حُورِفنا فحرمنا :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) قال : أى محارَفون :

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَفَرَءَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

يقول تعالى ذكره : أفرأيتم أيها الناس الماء الذى تشربون ، ءأنتم أنزلتموه من السحاب فوقكم إلى قرار الأرض ، أم نحن منزلوه لكم :

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله المُزن ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مِنَ الْمُزْنِ) قال السحاب :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (أأنْتُمْ أنْزَلْتُمُوهُ مِنَ المُزْنِ) أى من السَّحاب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أأنْتُمْ أنْزَلْتُمُوهُ مِنَ المُزْنِ) قال : المزن : السحاب اسمها ، أنزلتموه من المزن ، قال : السحاب :

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (أنْزَلْتُمُوهُ مِنَ المُزْنِ) قال : المزن : السماء والسحاب :

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة . وقد مر الاستشهاد به فى الجزء التاسع عشر ص ٣٥ من هذه الطبعة . فراجعه ثمة . وأنشده المؤلف هنا عند قوله تعالى « إنا لمغرمون » وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٦ — ١) معذبون ، وأنشد بيت بشر بن أبى خازم :

ويوم النسار ويوم الجفا ر كان عذابا وكان غراما

وقد مر تفسير هذا البيت فى (١٩ : ٣٦) من هذه الطبعة ، فراجعه ثمة .

وقوله (لَوْ نَشاءُ جَعَلْناهُ أُجاجا) يقول تعالى ذكره : لو نشاء جعلنا ذلك الماء الذى أنزلناه لكم من المزن ملحا ، وهو الأجاج ، والأجاج من الماء : ما اشتدّت ملوحته ، يقول : لو نشاء فعلنا ذلك به فلم تنتفعوا به فى شرب ولا غرس ولا زرع :

وقوله (فَلَوْلا تَشْكُرُونَ) يقول تعالى ذكره : فهلا تشكرون ربكم على إعطائه ما أعطاكم من الماء العذب لشربكم ومنافعكم ، وصلاح معايشكم ، وتركه أن يجعله أُجاجا لا تنتفعون به .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝﴾

يقول تعالى ذكره : أفرأيتم أيها الناس النار التى تستخرجون من زندكم (أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها) يقول : أأنتم أحدثتم شجرتها واخترعتم أصلها (أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ؟) يقول : أم نحن اخترعنا ذلك وأحدثناه ؟

وقوله (نَحْنُ جَعَلْناها تَذْكِرَةً) يقول : نحن جعلنا النار تذكرة لكم تذكرون بها نار جهنم ، فتعتبرون وتتعظون بها :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (تَذْكِرَةً) قال : تذكرة النار الكبرى :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ ، أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ، نَحْنُ جَعَلْناها تَذْكِرَةً) للنار الكبرى :

ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال « نارُكُمْ هَذِهِ الَّتِى تُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نارِ جَهَنَّمَ » ، قالوا : يانبىّ الله إن كانت لكافية ، قال : قَدْ ضُرِبَتْ بالماءِ ضَرْبَتَيْنِ أَوْ مَرَّتَيْنِ ، لِيَسْتَنْفِعَ بِها بَنُو آدَمَ وَيَدْنُو مِنْها » :

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد (تَذْكِرَةً) قال : للنار الكبرى التى فى الآخرة :

وقوله (وَمَتاعا لِلْمُقْوِينَ) اختلف أهل التأويل فى معنى المقوين ، فقال بعضهم : هم المسافرون :

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله : (لِلْمُقْوِينَ) قال : للمسافرين :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَتَاعا لِلْمُقْوِينَ) قال : يعني المسافرين :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَتَاعا لِلْمُقْوِينَ) قال للمُرْمِل : المسافر :

حدثني ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (لِلْمُقْوِينَ) قال : للمسافرين :

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَمَتَاعا لِلْمُقْوِينَ) قال : للمسافرين :

وقال آخرون : عُنِي بالْمُقْوِين : المستمتعون بها :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، قوله (وَمَتَاعا لِلْمُقْوِينَ) للمستمتعين الناس أجمعين :

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد (وَمَتَاعا لِلْمُقْوِينَ) للمستمتعين المسافر والحاضر :

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب الشهيد ، قال : ثنا عتاب بن بشر ، عن خصيف في قوله (وَمَتَاعا لِلْمُقْوِينَ) قال : للخلق :

وقال آخرون : بل عُنِي بذلك : الجائعون :

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَتَاعا لِلْمُقْوِينَ) قال : المقوى : الجائع : في كلام العرب ، يقول : أقويت منه كذا وكذا : ما أكلت منه كذا وكذا شيئا :

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال : عُنِي بذلك للمسافر الذي لا زاد معه ، ولا شيء له ، وأصله من قولهم : أقوت الدار : إذا خلت من أهلها وسكانها ؛ كما قال الشاعر :

أقْوَى وأقْفَرَ مِنْ نُعْمٍ وغَيَّرَهَا هُوجُ الرِّيَاحِ بِهَابِي التُّرْبِ مَوَّارِ[1]

يعني بقوله « أقوى » : خلا من سكانه ، وقد يكون المقوى : ذا الفرس القويّ ، وذا المال الكثير في غير هذا الموضع :

(١) البيت للنابغة الذبياني من قصيدته التي مطلعها « عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار » وهو البيت الثاني بعد المطلع . ذكرها وليم الورد البروسي في العقد الثمين ، ص ٢٦٩ وجعلها من الشعر المنحول إلى النابغة . والقصيدة سبعة وأربعون بيتا . واستشهد المؤلف بالبيت عند قوله تعالى « ومتاعا للمقوين » قال : عنى بذلك المسافر الذي لا زاد معه ولا شيء ، وأصله من أقوت الدار : إذا خلت من أهلها وسكانها ، كما قال الشاعر : « أقوى وأقفر . . . . البيت » . يعني بقوله « أقفر » : خلا من سكانه . اهـ .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤) * فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦)
إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠)﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فسبح يا محمد بذكر ربك العظيم، وتسميته.

وقوله (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) فقال بعضهم: عُنِى بقوله (فَلَا أُقْسِمُ): أقسم:

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن جُرَيج، عن الحسن بن مسلم، عن سعيد ابن جُبَير (فَلَا أُقْسِمُ) قال: أقسم:

وقال بعض أهل العربية: معنى قوله (فَلَا) فليس الأمر كما تقولون ثم استأنف القسم بعد فقيل أُقسم:

وقوله (بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: فلا أقسم بمنازل القرآن، وقالوا: أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما متفرّقة:

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حُصَين، عن حكيم بن جُبَير، عن سعيد ابن جُبَير، عن ابن عباس، قال: نزل القرآن فى ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم فرق فى السنين بعد. قال: وتلا ابن عباس هذه الآية (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) قال: نزل متفرّقا:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة، فى قوله (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) قال: أنزل الله القرآن نجوما ثلاث آيات وأربع آيات وخمس آيات.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، عن عكرمة: إن القرآن نزل جميعا، فوضع بمواقع النجوم، فجعل جبريل يأتى بالسورة، وإنما نزل جميعا فى ليلة القدر:

حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودى، قال: ثنا أبى، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن مجاهد (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) قال: هو مُحكَم القرآن:

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) قال: مستقرّ الكتاب أوّله وآخره؟

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فلا أقسم بمساقط النجوم:

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) قال في السماء ويقال مطالعها ومساقطها.

حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ): أي مساقطها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: بمنازل النجوم.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) قال: بمنازل النجوم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: بانتثار النجوم عند قيام الساعة:

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) قال: قال الحسن انكدارها وانتثارها يوم القيامة:

❁ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فلا أقسم بمساقط النجوم ومغايبها في السماء، وذلك أن المواقع جمع موقع، والموقع المفعل، من وقع يقع موقعا، فالأغلب من معانيه والأظهر من تأويله ماقلنا في ذلك، ولذلك قلنا: هو أولى معانيه به:

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الكوفة بموقع على التوحيد، وقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين بمواقع: على الجماع.

❁ والصواب من القول في ذلك، أنهما قراءتان معروفتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله (وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) يقول تعالى ذكره وإن هذا القسم الذي أقسمت لقسم لو تعلمون ماهو، وما قدره، قسم عظيم من المؤخر الذي معناه التقديم، وإنما هو: وإنه لقسم عظيم لو تعلمون عظمه:

وقوله (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ) يقول تعالى ذكره: فلا أقسم بمواقع النجوم أن هذا القرآن لقرآن كريم، والهاء في قوله « إنه » من ذكر القرآن.

وقوله (فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ) يقول تعالى ذكره: هو في كتاب مصون عند الله لايمسه شيء من أذى من غبار ولا غيره.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى إسماعيل بن موسى ، قال : أخبرنا شريك ، عن حكيم ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس (لا يَمَسُّهُ إلاّ المُطَهَّرُونَ) الكتاب الذى فى السماء :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فِى كِتابٍ مَكْنُونٍ) قال : القرآن فى كتابه المكنون الذى لا يمسه شىء من تراب ولا غبار :

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لا يَمَسُّهُ إلا المُطَهَّرُونَ) زعموا أن الشياطين تنزّلت به على محمد، فأخبرهم الله أنها لا تقدر على ذلك ، ولا تستطيعه ، وما ينبغى لهم أن ينزلوا بهذا ، وهو محجوب عنهم ، وقرأ قول الله (وَمَا يَنْبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ، إنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ) :

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد الله ، يعنى العتكى ، عن جابر بن زيد وأبى نهيك ، فى قوله (فِى كِتابٍ مَكْنُونٍ) قال : هو كتاب فى السماء :

قوله (لا يَمَسُّهُ إلاّ المُطَهَّرُونَ) يقول تعالى ذكره : لا يمسّ ذلك الكتاب المكنون إلا الذين قد طهّرهم الله من الذنوب :

واختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بقوله (إلاّ المُطَهَّرُونَ) فقال بعضهم : هم الملائكة :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : إذا أراد الله أن ينزل كتابا نسخته السفرة ، فلا يمسه إلا المطهرون ، قال : يعنى الملائكة :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الربيع بن أبى راشد ، عن سعيد بن جُبَيْر (لا يَمَسُّهُ إلاّ المُطَهَّرُونَ) قال : الملائكة الذين فى السماء :

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الربيع بن أبى راشد ، عن سعيد بن جُبَيْر (لا يَمَسُّهُ إلاّ المُطَهَّرُونَ) قال : الملائكة :

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن الربيع بن أبى راشد ، عن سعيد بن جُبَير (لا يَمَسُّهُ إلاّ المُطَهَّرُونَ) قال : الملائكة :

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد الله ، يعنى العتكى ، عن جابر بن زيد وأبى نهيك فى قوله (لا يَمَسُّهُ إلاّ المُطَهَّرُونَ) يقول : الملائكة :

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة (لا يَمَسُّهُ إلاّ المُطَهَّرُونَ) قال الملائكة :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قلل : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (لاَ يَمَسُّهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُونَ) قال الملائكة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن عاصم ، عن أبي العالية (لاَ يَمَسُّهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُونَ) قال : الملائكة .

وقال آخرون : هم حملة التوراة : والإنجيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة (لاَ يَمَسُّهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُونَ) قال : حملة التوراة والإنجيل .

وقال آخرون في ذلك : هم الذين قد طهروا من الذنوب كالملائكة والرسل :

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا مروان ، قال : أخبرنا عاصم الأحول ، عن أبي العالية الرياحي ، في قوله (لاَ يَمَسُّهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُونَ) قال : ليس أنتم ، أنتم أصحاب الذنوب .

حدثني يونس ، قال أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (لاَ يَمَسُّهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُونَ) قال : الملائكة والأنبياء والرسل التي تنزل به من عند الله مطهرة ، والأنبياء مطهرة ، فجبريل ينزل به مُطَهَّر ، والرسل الذين تجيئهم به مُطَهَّرون ، فذلك قوله (لاَ يَمَسُّهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُونَ) والملائكة والأنبياء والرسل من الملائكة ، والرسل من بني آدم ، فهؤلاء ينزلون به مطهرون ، وهؤلاء يتلونه على الناس مطهرون ، وقرأ قول الله (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ) قال : بأيدي الملائكة الذين يحصون على الناس أعمالهم .

وقال آخرون : عنى بذلك : أنه لا يمسه عند الله إلا المطهرون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لاَ يَمَسُّهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُونَ) ذاكم عند ربّ العالمين ، فأما عندكم فيمسه المشرك النجس ، والمنافق الرَّجِس .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (لاَ يَمَسُّهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُونَ) قال لا يمسه عند الله إلا المطهرون ، فأما في الدنيا فإنه يمسه المجوسيّ النجس ، والمنافق الرجس . وقال في حرف ابن مسعود (ما يَمَسُّهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُونَ) .

☆ والصواب من القول في ذلك عندنا ، أن الله جلّ ثناؤه ، أخبر أنه لا يمسّ الكتاب المكنون إلا المطهرون فعمّ بخبره المطهرين ، ولم يخصص بعضا دون بعض ؛ فالملائكة من المطهرين ، والرسل والأنبياء من المطهرين وكل من كان مطهرا من الذنوب ، فهو ممن استثنى ، وعنى بقوله (إلاَّ الْمُطَهَّرُونَ) .

وقوله (تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) يقول : هذا القرآن تنزيل من ربّ العالمين ، نزّله من الكتاب المكنون .

كما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد الله العتكي ، عن جابر بن زيد وأبي نهيك ، في قوله (تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قال : القرآن من ذلك الكتاب .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره: أفبهذا القرآن الذى أنبأتكم خبره، وقصصت عليكم أمره أيها الناس أنتم تلينون القول للمكذّبين به، ممالأة منكم لهم على التكذيب به والكفر.

واختلف أهل التأويل فى تأويله، فقال بعضهم فى ذلك نحو قولنا فيه.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قول الله (أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ) قال: تريدون أن تمالئوهم فيه، وتركنوا إليهم:

وقال آخرون: بل معناه: أفبهذا الحديث أنتم مكذّبون:

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ) يقول: مكذّبون غير مصدّقين.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، فى قوله (أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ) يقول: مكذّبون:

وقوله (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) يقول: وتجعلون شكر الله على رزقه إياكم التكذيب، وذلك كقول القائل الآخر: جعلت إحسانى إليك إساءة منك إلىّ، بمعنى: جعلت: شكر إحسانى، أو ثواب إحسانى إليك إساءة منك إلىّ.

وقد ذُكر عن الهيثم بن عدىّ: أن من لغة أزد شنوءة: ما رزق فلان: بمعنى ما شكر:

ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف فيه منهم.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سفيان، قال: ثنى عبد الأعلى الثعلبى، عن أبى عبد الرحمن السلمىّ، عن علىّ رضى الله عنه (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) قال: شكركم:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن عبد الأعلى الثعلبى، عن

أبي عبد الرحمن السلمي ، عن عليّ رفعه (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) قال : شكركم تقولون مُطرنا بنوء كذا وكذا ، وبنجم كذا وكذا .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا يحيى بن أبي بكر ، عن إسرائيل ، عن عبد الأعلى ، عن أبي عبد الرحمن ، عن عليّ ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) قال : شُكْرَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ، قال : يَقُولُونَ مُطِرْنا بِنَوْءِ كَذَا وكَذَا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، قال : ما مُطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافرا ، يقولون : مُطرنا بنوء كذا وكذا ، وقرأ ابن عباس (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا معاذ بن سليمان ، عن جعفر ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) ثم قال : ما مُطر الناس ليلة قطّ ، إلا أصبح بعض الناس مشركين يقولون : مُطرنا بنوء كذا وكذا : قال : وقال وتجعلون شكركم أنكم تكذّبون .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، في قوله (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ) يقول : شكركم على ما أنزلت عليكم من الغيث والرحمة تقولون : مُطرنا بنوء كذا وكذا ؛ قال : فكان ذلك منهم كفرا بما أنعم عليهم :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا سفيان ، عن إسماعيل بن أمية ، قال : أحسبه أو غيره « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا ومطروا يقول : مُطرنا ببعض عثانين الأسد ، فقال : كَذَبْتَ بَلْ هُوَ رِزْقُ اللهِ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا سفيان ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللهَ لَيُصَبِّحُ القَوْمَ بالنِّعْمَةِ ، أَوْ يُمَسِّيهِمْ بِها ، فَيُصْبِحُ بِها قَوْمٌ كافِرِينَ يَقُولُونَ : مُطِرْنا بِنَوْءِ كَذَا وكَذَا » قال محمد : فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب ، فقال : ونحن قد سمعنا من أبي هريرة ، وقد أخبرني من شهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يستسقي ، فلما استسقى التفت إلى العباس فقال : يا عباس يا عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كم بقي من نوء الثريا ؟ فقال : العلماء بها يزعمون أنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعا ، قال : فما مضت سابعة حتى مُطروا .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عبد الأعلى ، عن أبي عبد الرحمن ، عن عليّ (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) قال : كان يقرؤها (وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) يقول : جعلتم رزق الله بنوء النجم ، وكان رزقهم في أنفسهم بالأنواء أنواء المطر إذا نزل عليهم المطر ، قالوا : رُزقنا بنوء كذا وكذا ، وإذا أمسك عنهم كذّبوا ، فذلك تكذيبهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن عطاء الخراسانى ، فى قوله (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) قال : كان ناس يمطرون فيقولون : مُطرنا بنوء كذا ، مُطرنا بنوء كذا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) قال : قولهم فى الأنواء : مُطرنا بنوء كذا ونوء كذا ، يقول : قولوا هو من عند الله وهو رزقه .

حُدثت ، عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) يقول : جعل الله رزقكم فى السماء ، وأنتم تجعلونه فى الأنواء .

حدثنى أبو صالح الصرارى ، قال : ثنا أبو جابر « محمد بن عبد الملك الأزدى » قال : ثنا جعفر بن الزبير ، عن القاسم بن أبى أُمامة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « ما مُطِرَ قَوْمٌ مِنْ لَيْلَةٍ إلاَّ أصْبَحَ قَوْمٌ بِها كافِرِينَ » ، ثم قال : (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) يقول قائِلٌ مُطِرْنا بِنَجْمِ كَذَا وكَذَا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وتجعلون حظكم منه التكذيب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) أما الحسن فكان يقول : بئسما أخذ قوم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب به .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن ، فى قوله (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب .

وقوله (فَلَوْلا إذا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ) يقول تعالى ذكره : فهلا إذا بلغت النفوس عند خروجها من أجسادكم أيها الناس حلاقيمكم (وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ) يقول ومن حضرهم منكم من أهليهم حينئذ إليهم ينظر ، وخرج الخطاب هاهنا عاما للجميع ، والمراد به : من حضر الميت من أهله وغيرهم وذلك معروف من كلام العرب وهو أن يخاطب الجماعة بالفعل ، كأنهم أهله وأصحابه ، والمراد به بعضهم غائبا كان أو شاهدا ، فيقول : قتلتم فلانا ، والقاتل منهم واحد ، إما غائب ، وإما شاهد . وقد بيَّنا نظائر ذلك فى مواضع كثيرة من كتابنا هذا .

يقول (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إلَيْهِ مِنْكُمْ) يقول : ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم ، (وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ) .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : قيل (فَلَوْلا إذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ ، وأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ) كأنه قد سمع منهم ، والله أعلم : إنا نقدر على أن لا نموت ، فقال : (فَلَوْلا إذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ) ، ثم قال (فَلَوْلا إنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ) أى غير مجزيين ترجعون تلك النفوس وأنتم ترون كيف تخرج عند ذلك إن كنتم صادقين بأنكم تمتنعون من الموت .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

❁ يقول تعالى ذكره : فهلاّ إن كنتم أيها الناس غير مدينين .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (مَدِينِينَ) فقال بعضهم : غير محاسبين .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ) يقول : غير محاسبين :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (غَيْرَ مَدِينِينَ) قال : محاسبين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ) : أى محاسبين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، فى قول الله (فَلَوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ) قال : كانوا يجحدون أن يُدانوا بعد الموت ، قال : وهو مالك يوم الدين ، يوم يُدان الناس بأعمالهم ، قال : يدانون : يحاسبون .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (فَلَوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ) قال : غير محاسبين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة (فَلَوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ) قال : غير مبعوثين ، غير محاسبين .

وقال آخرون : معناه : غير مبعوثين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن (فَلَوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ) غير مبعوثين يوم القيامة ، ترجعونها إن كنتم صادقين .

وقال آخرون : بل معناه : غير مجزيين بأعمالكم .

❁ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : غير محاسبين فمجزيين بأعمالكم من قولهم : كما تدين تدان ، ومن قول الله (مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) .

وقوله (تَرْجِعُونَها إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) يقول : تردّون تلك النفوس من بعد مصيرها إلى الحلاقيم

إلى مستقرّها من الأجساد إن كنتم صادقين ، إن كنتم تمتنعون من الموت والحساب والمجازاة ، وجواب قوله (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ) ، وجواب قوله (فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ) جواب واحد وهو قوله (تَرْجِعُونَهَا) وذلك نحو قوله (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدًى ، فَمَنْ تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) جعل جواب الجزاءين جوابا واحدا .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (تَرْجِعُونَهَا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تَرْجِعُونَهَا) قال : لتلك النفس (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) .

وقوله (فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ) يقول تعالى ذكره : فأما إن كان الميت من المقرّبين الذين قرّبهم الله من جواره فى جنانه (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ) يقول : فله روح وريحان .

واختلف القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (فَرَوْحٌ) بفتح الراء ، بمعنى : فله برد . (وَرَيْحَانٌ) يقول : ورزق واسع فى قول بعضهم ، وفى قول آخرين فله راحة وريحان وقرأ ذلك الحسن البصرىّ (فَرُوحٌ) بضم الراء ، بمعنى : أن روحه تخرج فى ريحانة .

وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأه بالفتح لإجماع الحجة من القرّاء عليه ، بمعنى : فله الرحمة والمغفرة ، والرزق الطيب الهنىء .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ) فقال بعضهم : معنى ذلك : فراحة ومستراح

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ) يقول : راحة ومستراح .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ) قال : يعنى بالريحان : المستريح من الدنيا (وَجَنَّةُ نَعِيمٍ) يقول : مغفرة ورحمة .

وقال آخرون : الرَّوح : الراحة ، والرَّيْحان : الرزق .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ) قال : راحة . وقوله : وريحان قال : الرزق .

وقال آخرون : الرَّوح : الفرح ، والرَّيْحان : الرزق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال ، ثنا إدريس ، قال : سمعت أبى ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جُبَيْر ، فى قوله (فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ) قال : الرَّوْح : الفرح ، والرَّيحان : الرزق .

وأما الذين قرءوا ذلك بضم الراء فإنهم قالوا : الرُّوح : هى رُوح الإنسان ، والرَّيحان : هو الريحان المعروف . وقالوا : معنى ذلك : أن أرواح المقرَّبين تخرج من أبدانهم عند الموت بريحان تشمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن الحسن (فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ) قال : تخرج رُوحه فى ريحانة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية (فَأَمَّا إِنْ كانَ مِنَ المقرَّبين) قال : لم يكن أحد من المقرَّبين يفارق الدنيا ، والمقرَّبون السابقون ، حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ، ثم يُقبض .

وقال آخرون ممن قرأ ذلك بفتح الراء : الرَّوْح : الرحمة ، والرَّيحان : الريحان المعروف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ) قال : الروح : الرحمة ، والريحان : يُتَلَقّى به عند الموت .

وقال آخرون منهم : الرَّوْح : الرحمة ، والرَّيحان : الاستراحة .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول (فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ) الرَّوْح : المغفرة والرحمة ، والرَّيحان : الاستراحة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن منذر الثورىّ ، عن الربيع بن خثيم (فَأَمَّا إِنْ كانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ) قال : هذا عند الموت (فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ) قال : يُجاء له من الجنة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، فى قوله (فَأَمَّا إِنْ كانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ . فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ) قال : ذلك فى الآخرة ، فقال له بعض القوم قال : أما والله إنهم ليرون عند الموت .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا قُرة ، عن الحسن ، بمثله .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى : قول من قال : عُنِى بالرَّوْح : الفرح والرحمة والمغفرة ، وأصله من قولهم : وجدت رَوْحا : إذا وجد نسيما يستروح إليه من كرب الحرّ . وأما الرَّيحان ، فإنه عندى الريحان الذى يُتَلَقّى به عند الموت ، كما قال أبو العالية والحسن ، ومن قال فى ذلك نحو قولهما ، لأن ذلك الأغلب والأظهر من معانيه .

وقوله (وَجَنَّةُ نَعِيمٍ) يقول : وله مع ذلك بستان نعيم يتنعم فيه :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : وجنةنعيم ، قال : قد عرضت عليه :

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾

يقول تعالى ذكره : (وَأَمَّا إِنْ كَانَ) الميت (مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) الذين يؤخذ بهم إلى الجنة من ذات أيمانهم (فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) :

ثم اختلف فى معنى قوله (فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) فقال أهل التأويل فيه ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) فسلام لك من أصحاب اليمين قال : سلام من عند الله ، وسلّمت عليه ملائكة الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ . فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) قال : سلم مما يكره :

وأما أهل العربية ، فإنهم اختلفوا فى ذلك[1] ، فقال بعض نحويّى البصرة (وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) : أى فيقال سلم لك . وقال بعض نحويّى الكوفة : قوله (فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) : أى فذلك مسلم لك أنك من أصحاب اليمين ، وألقيت « أن » ونوى معناها ، كما تقول : أنت مصدّق مسافر عن قليل ، إذا كان قد قال : إنى مسافر عن قليل ، وكذلك يجب معناه أنك مسافر عن قليل ، ومصدّق عن قليل : قال : وقوله (فَسَلَامٌ لَكَ) معناه : فسلم لك أنت من أصحاب اليمين : قال : وقد يكون كالدعاء له ، كقوله : فسُقياً لك من الرجال . قال : وإن رفعت السلام فهو دعاء ، والله أعلم بصوابه .

وقال آخر منهم قوله (فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ) فإنه جمع بين جوابين ، ليعلم أن أمّا جزاء : قال : وأما قوله (فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) قال : وهذا أصل الكلمة مسلم لك هذا ، ثم حذفت « أن » وأقيم « مِنْ » مقامها : قال : وقد قيل : فسلام لك أنت من أصحاب اليمين ، فهو على ذاك : أى سلام لك ، يقال : أنت من أصحاب اليمين ، وهذا كله على كلامين . قال : وقد قيل مسلم : أى كما تقول : فسلام لك من القوم ، كما تقول : فسُقياً لك من القوم ، فتكون كلمة واحدة :

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : معناه : فسلام لك إنك من أصحاب اليمين ، ثم حُذفت واجتزئ بدلالة مِنْ عليها منها ، فسلمت من عذاب الله ، ومما تكره ، لأنك من أصحاب اليمين .

---

(١) جمهور كلام المؤلف الذى نقله عن أهل العربية من نحاة الكوفة هنا : هو من كلام الفراء فى معانى القرآن ، (الورقة ٣٢٥ من مصورة الجامعة) نقل بعضه بنصه وتصرف فى بعضه بلفظه .

وقوله (وأمَّا إنْ كانَ مِنَ المُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ، فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ) يقول تعالى: وأما إن كان الميت من المكذّبين بآيات الله ، الجائرين عن سبيله ، فله نزُل من حميم قد أغلى حتى انتهى حرّه ، فهو شرابه . (وتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ) يقول : وحريق النار يحرق بها ؛ والتصلية : التفعلة من صلاّه الله النار فهو يصليه تصلية ، وذلك إذا أحرقه بها :

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

❁ يقول تعالى ذكره : إن هذا الذى أخبرتكم به أيها الناس من الخبر عن المقرّبين وأصحاب اليمين ، وعن المكذّبين الضالين ، وما إليه صائرة أمورهم (لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ) يقول: لهو الحقّ من الخبر اليقين لاشكّ فيه :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد(إنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ) قال : الخبر اليقين :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة(وأمَّا إنْ كانَ مِنَ المُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ، إنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ) حتى ختم ، إن الله تعالى ليس تاركا أحدا من خلقه حتى يوقفه على اليقين من هذا القرآن . فأما المؤمن فأيقن فى الدنيا ، فنفعه ذلك يوم القيامة : وأما الكافر ، فأيقن يوم القيامة حين لاينفعه :

واختلف أهل العربية فى وجه إضافة الحقّ إلى اليقين ، والحقّ يقين ، فقال بعض نحويى البصرة ، قال : حقّ اليقين ، فأضاف الحقّ إلى اليقين ، كما قال (ذلكَ دِينُ القَيِّمَةِ) : أى ذلك دين الملّة القيمة ، وذلك حقّ الأمر اليقين : قال: وأما هذا رجل السّوء ، فلايكون فيه هذا الرجل السّوء ، كما يكون فى الحقّ اليقين ، لأن السوء ليس بالرجل ، واليقين هو الحقّ . وقال بعض أهل الكوفة : اليقين نعت للحقّ ، كأنه قال : الحقّ اليقين ، والدين القيم ، فقد جاء مثله فى كثير من الكلام والقرآن (ولَلدَّارُ الآخِرَةُ ـ والدارُ الآخِرَةُ) قال : فإذا أضيف توهم به غير الأول .

وقوله (فَسَبِّحْ باسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ) يقول تعالى ذكره : فسبح بتسمية ربك العظيم بأسمائه الحسنى :

آخر تفسير سورة الواقعة

(٥٧) سورة الحديد مدنية
وآياتها تسع وعشرون

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها الحديد

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (سَبَّحَ لِلَّهِ مافى السَّمَوَاتِ والأرضِ) أن كلّ مادونه من خلقه يسبحه تعظيما له ، وإقرارا بربوبيته ، وإذعانا لطاعته ، كما قال جلّ ثناؤه (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ والأرضُ وَمَنْ فيهِنَّ ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاتَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) .

وقوله (وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) يقول : ولكنه جلّ جلاله العزيز فى انتقامه ممن عصاه ، فخالف أمره مما فى السموات والأرض من خلقه (الحَكِيمُ) فى تَدْبِيرِهِ أمرهم ، وتصريفه إياهم فيما شاء وأحبّ .

وقوله (لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأرضِ) يقول تعالى ذكره : له سلطان السموات والأرض ومافيهنّ ولا شيء فيهنّ يقدر على الامتناع منه ، وهو فى جميعهم نافذ الأمر ، ماضى الحكم .

وقوله (يُحْيِي وَيُمِيتُ) يقول : يحيي ما يشاء من الخلق بأن يوجده كيف يشاء ، وذلك بأن يحدث من النطفة الميتة حيوانا بنفخ الروح فيها من بعد تارات يقلبها فيها ، ونحو ذلك من الأشياء ، ويميت ما يشاء من الأحياء بعد الحياة بعد بلوغه أجله فيفنيه (وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول جلّ ثناؤه : وهو على كل شيء ذوقدرة ، لايتعذّر عليه شيء أراده ، من إحياء وإماتة ، وإعزاز وإذلال ، وغير ذلك من الأمور .

القول في تأويل قوله تعالى :

هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾

يقول تعالى ذكره : (هو الأوّل) قبل كل شيء بغير حدّ (والآخر) يقول : والآخر بعد كل شيء بغير نهاية : وإنما قيل ذلك كذلك ، لأنه كان ولا شيء موجود سواه ، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها ، كما قال جلّ ثناؤه : (كُلُّ شَيْءٍ هالكٌ إلاَّ وَجْهَهُ) . وقوله (والظَّاهِرُ) يقول : وهو الظاهر على كل شيء دونه ، وهو العالى فوق كل شيء ، فلا شيء أعلى منه (والباطِنُ) يقول : وهو الباطن جميع الأشياء ، فلا شيء أقرب إلى شيء منه ، كما قال (وَنَحْنُ أقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال به أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك ، والخبر الذى روى فيه

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هُوَ الأوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والباطِنُ) ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس فى أصحابه ، إذ ثار عليهم سحاب ، فقال : هَلْ تَدْرُونَ ما هَذَا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنَّها الرَّقِيعُ[1] مَوْجٌ مَكْفُوفٌ ، وَسَقْفٌ مَحْفُوظٌ ، قال : فَهَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ؟ قال : مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ ، قال : فَهَلْ تَدْرُونَ مافَوْقَ ذلكَ ؟ فقالوا مثل ذلك ، قال : فَوْقَها سَماءٌ أُخْرَى وَبَيْنَهُما مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ ، قال : هَلْ تَدْرُونَ ما فَوْقَ ذلكَ ؟ فقالوا مثل قولهم الأوّل ، قال : فإنَّ فَوْقَ ذلكَ العَرْشَ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّماءِ السَّابِعَةِ مِثْلُ ما بَيْنَ السَّماءَيْنِ ، قال : هَلْ تَدْرُونَ ما الَّتِي تَحْتَكُمْ ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : فإنَّها الأرْضُ ، قال : فَهَلْ تَدْرُونَ ما تَحْتَها ؟ قالوا له مثل قولهم الأوّل ، قال : فإنَّ تَحْتَها أرْضًا أُخْرَى ، وَبَيْنَهُما مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ ، حتى عدّ سبع أرضين ، بين كلّ أرضين مسيرة خمس مئة سنة ، ثم قال : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْ دُلِّيَ أحَدُكُمْ بِحَبْلٍ إلى الأرْضِ الأُخْرَى لَهَبَطَ على اللهِ ، ثُمَّ قرأ (هُوَ الأوَّلُ والآخِرُ ، والظَّاهِرُ والباطِنُ ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) » :

وقوله (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يقول تعالى ذكره : وهو بكلّ شيء ذو علم ، لا يخفى عليه شيء ، فلا يعزب عنه مثقال ذرّة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، إلا فى كتاب مبين .

وقوله (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ فِي سِتَّةِ أيَّامٍ) يقول تعالى ذكره : هو الذى أنشأ السموات السبع والأرضين ، فدبرهنّ وما فيهنّ ، ثم استوى على عرشه ، فارتفع عليه وعلا :

وقوله (يَعْلَمُ مايَلِجُ فِي الأرْضِ وَما يَخْرُجُ مِنْها) يقول تعالى ذكره مخبرا عن صفته ، وأنه لا يخفى عليه خافية من خلقه (يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي الأرْضِ) من خلقه : يعنى بقوله (يَلِجُ) : يدخل (وَما يَخْرُجُ مِنْها ، وَما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ) إلى الأرض من شىء قط (وَما يَعْرُجُ فِيها) فيصعد إليها من الأرض (وَهُوَ مَعَكُمْ أيْنَما كُنْتُمْ) يقول : وهو شاهد لكم أيها الناس أينما كنتم يعلمكم ، ويعلم أعمالكم ، ومتقلبكم ومثواكم ، وهو على عرشه فوق سمواته السبع (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يقول : والله بأعمالكم التى تعملونها من حسن وسيئ ، وطاعة ومعصية ، ذو بصر ، وهو لها محص ، ليجازى المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بإساءته (يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، وَهُمْ لايُظْلَمُونَ) :

(١) فيه سقط كما لا يخفى وفى الدر وابن كثير : قال هذا العنان ، هذه روايا الأرض يسوقها الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ، ثم قال تدرون ما فوقكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال فإنها الرقيع . الخ .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝﴾

يقول تعالى ذكره : له سلطان السموات والأرض نافذ فى جميعهن ، وفى جميع ما فيهن أمره (وَإِلى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ) يقول جل ثناؤه : وإلى الله مصير أمور جميع خلقه ، فيقضى بينهم بحكمه :

وقوله (يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهارِ) يعنى بقوله (يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهارِ) يدخل مانقص من ساعات الليل فى النهار ، فيجعله زيادة فى ساعاته (وَيُولِجُ النَّهارَ فِى اللَّيْلِ) يقول : ويدخل مانقص من ساعات النهار فى الليل ، فيجعله زيادة فى ساعات الليل :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

وقد ذكرنا الرواية بما قالوا فيما مضى من كتابنا هذا ، غير أنا نذكر فى هذا الموضع بعض ما لم نذكر هنالك إن شاء الله تعالى :

حدثنا هناد بن السرى ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهارِ ، وَيُولِجُ النَّهارَ فِى اللَّيْلِ) قال : قصر هذا فى طول هذا ، وطول هذا فى قصر هذا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، فى قوله (يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهارِ ، وَيُولِجُ النَّهارَ فِى اللَّيْلِ) قال : دخول الليل فى النهار ، ودخول النهار فى الليل :

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، فى قوله (يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهارِ ، وَيُولِجُ النَّهارَ فِى اللَّيْلِ) قال : قصر أيام الشتاء فى طول ليله ، وقصر ليل الصيف فى طول نهاره :

وقوله (وَهُوَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ) يقول : وهو ذو علم بضمائر صدور عباده ، وما عزمت عليه نفوسهم من خير أو شر ، أو حدثت بهما أنفسهم ، لا يخفى عليه من ذلك خافية :

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝﴾

يقول تعالى ذكره : آمنوا بالله أيها الناس ، فأقروا بوحدانيته وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم فصدقوه فيما جاءكم به من عند الله واتبعوه ، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، يقول جل ثناؤه : وأنفقوا مما خولكم الله من المال الذى أورثكم عمن كان قبلكم ، فجعلكم خلفاءهم فيه فى سبيل الله :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) قال : المعمرين فيه بالرزق .

وقوله (فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا) يقول : فالذين آمنوا بالله ورسوله منكم أيها الناس وأنفقوا مما خولهم الله عمن كان قبلهم ورزقهم من المال فى سبيل الله (لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) يقول : لهم ثواب عظم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : وما لكم لا تؤمنون بالله ، وما شأنكم أيها الناس لا تقرّون بوحدانية الله ، ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم إلى الإقرار بوحدانيته ، وقد أتاكم من الحجج على حقيقة ذلك ، ما قطع عذركم ، وأزال الشكّ من قلوبكم ، وقد أخذ ميثاقكم ، قيل : عنى بذلك ؛ وقد أخذ منكم ربكم ميثاقكم فى صُلب آدم ، بأن الله ربكم لا إله لكم سواه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ) قال : فى ظهر آدم :

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق غير أبى عمرو (وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ) بفتح الألف من أخذ ونصب الميثاق ، بمعنى : وقد أخذ ربكم ميثاقكم . وقرأ ذلك أبو عمرو : (وَقَدْ أُخِذَ مِيثَاقُكُمْ) بضمّ الألف ورفع الميثاق ، على وجه ما لم يسمّ فاعله .

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وإن كان فتح الألف من أخذ ونصب الميثاق أعجب القراءتين إلىّ فى ذلك لكثرة القرأة بذلك ، وقلة القراء بالقراءة الأخرى .

وقوله (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) يقول : إن كنتم تريدون أن تؤمنوا بالله يوما من الأيام ، فالآن أحرى الأوقات ، أن تؤمنوا لتتابع الحجج عليكم بالرسول وإعلامه ، ودعائه إياكم إلى ما قد تقرّرت صحته عندكم بالإعلام والأدلة والميثاق المأخوذ عليكم .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝٩﴾

يقول تعالى ذكره: الله الذى ينزّل على عبده محمد (آياتٍ بيِّناتٍ) يعنى مفصّلات (لِيُخرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ) يقول جلّ ثناؤه: ليخرجكم أيها الناس من ظُلمة الكفر إلى نور الإيمان، ومن الضلالة إلى الهُدى:

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل:

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ) قال: من الضلالة إلى الهدى:

وقوله (وإنَّ اللهَ بِكُم لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) يقول تعالى ذكره: وإن الله بإنزاله على عبده ما أنزل عليه من الآيات البيِّنات لهدايتكم، وتبصيركم الرشاد، لذو رأفة بكم ورحمة، فمن رأفته ورحمته بكم فعل ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٠﴾

يقول تعالى ذكره: وما لكم أيها الناس أن لا تنفقوا مما رزقكم الله فى سبيل الله وإلى الله صائرٌ أموالكم إن لم تنفقوها فى حياتكم فى سبيل الله، لأن له ميراث السموات والأرض، وإنما حثهم جلّ ثناؤه بذلك على حظهم، فقال لهم: أنفقوا أموالكم فى سبيل الله، ليكون ذلكم لكم ذخرا عند الله من قبل أن تموتوا، فلا تقدروا على ذلك، وتصير الأموال ميراثا لمن له السموات والأرض:

وقوله (لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ).

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: لا يستوى منكم أيها الناس من آمن قبل فتح مكة وهاجر.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (لايَسْتَوِى مِنكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ) قال : آمن فأنفق ، يقول : من هاجر ليس كمن لم يهاجر .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (لايَسْتَوِى مِنكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ) يقول : من آمن .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : يقول غير ذلك .

وقال آخرون : عنى بالفتح فتح مكة ، وبالنفقة : النفقة فى جهاد المشركين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لايَسْتَوِى مِنكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ ، أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى) قال : كان قتالان ، أحدهما أفضل من الآخر ، وكانت نفقتان إحداهما أفضل من الأخرى ، كانت النفقة والقتال من قبل الفتح « فتح مكة » أفضل من النفقة والقتال بعد ذلك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ) قال : فتح مكة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عبدالله بن عياش ، قال : قال زيد بن أسلم فى هذه الآية (لايَسْتَوِى مِنكُمْ مَنْ أَنفَقَ من قَبْلِ الفَتْحِ) قال : فتح مكة .

وقال آخرون : عنى بالفتح فى هذا الموضع : صلح الحديبية .

ذكر من قال ذلك

حدثنى إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن عامر ، قال : فصل ما بين الهجرتين فتح الحديبية ، يقول تعالى ذكره (لايَسْتَوِى مِنكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ) ... الآية .

حدثنى حُمَيد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، فى هذه الآية ، قوله (لايَسْتَوِى مِنكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ) قال : فتح الحديبية ، قال : فصل ما بين العمرتين فتح الحديبية .

حدثنى ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، قال : « فصل مابين الهجرتين فتح الحديبية . وأُنزلت (لايَسْتَوِى مِنكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ) ... إلى (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) فقالوا : يارسول الله فتحٌ هو ؟ قال : نَعَمْ عَظِيمٌ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبدالأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، قال : « فصل مابين الهجرتين فتح الحديبية ، ثم تلا هنا الآية (لايَسْتَوِى مِنكُمْ) ... الآية » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء ابن يسار ، عن أبي سعيد الخدرىّ ، قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية : « يُوشِكُ أنْ يأتِيَ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ أعْمالَكُمْ مَعَ أعْمالِهِمْ » ، قلنا : من هم يا رسول الله ، أقريش هم ؟ قال : لا ، وَلَكِنْ أهْلُ اليَمَنِ أرَقُّ أفْئِدَةً وألْيَنُ قُلُوبا ، فقلنا : هم خير منا يارسول الله ، فقال : لَوْ كانَ لأحَدِهِمْ جَبَلٌ مِنْ ذَهَبٍ فأنْفَقَهُ ما أدْرَكَ مُدَّ أحَدِكُمْ وَلا نَصِيفَهُ ، ألا إنَّ هَذَا فَصْلُ ما بَيْنَنا وَبَيْنَ النَّاسِ ، لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ) . . . الآية ، إلى قوله : (وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) » :

حدثني ابن البَرْقىّ ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : أخبرني زيد بن أسلم ، عن أبي سعيد التمار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يُوشِكُ أنْ يأتِيَ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ أعْمالَكُمْ مع أعمالَهُمْ » ، فقلنا : من هم يارسولَ الله ، أقريش ؟ قال : لا ، هُمْ أرَقُّ أفْئِدَةً وألْيَنُ قُلُوبا ، وأشار بيده إلى اليمن ، فقال : هُمْ أهْلُ اليَمَنِ ، ألا إنَّ الإيمانَ يَمانٍ ، والحِكْمَةُ يَمانِيَةٌ ، فقلنا : يا رسول الله هم خير منا ؟ قال : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كانَ لأحَدِهِمْ جَبَلُ ذَهَبٍ يُنْفِقُهُ ما أدْرَكَ مُدَّ أحَدِكُمْ وَلا نَصِيفَهُ ، ثم جمع أصابعه ، ومدّ خنصره وقال : ألا إنَّ هَذَا فَصْلُ ما بَيْنَنا وَبَيْنَ النَّاسِ ، لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقاتَلَ ، أُولَئِكَ أعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقاتَلُوا ، وكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى - » :

ﷺ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى أن يقال : معنى ذلك لايستوى منكم أيها الناس من أنفق فى سبيل الله من قبل فتح الحُديبية للذى ذكرنا من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى رويناه عن أبي سعيد الخُدرىّ عنه ، وقاتل المشركين بمن أنفق بعد ذلك ، وقاتل وترك ذكر من أنفق بعد ذلك ، وقاتل استغناء بدلالة الكلام الذى ذُكر عليه من ذكره (أُولَئِكَ أعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقاتَلُوا) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين أنفقوا فى سبيل الله من قبل فتح الحديبية ، وقاتلوا المشركين أعظم درجة فى الجنة عند الله من الذين أنفقوا من بعد ذلك ، وقاتلوا :

وقوله (وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى) يقول تعالى ذكره : وكلّ هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا ، والذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وعد الله الجنة بإنفاقهم فى سبيله ، وقتالهم أعداءه :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مِنَ الَّذِينَ أنْفَقُوا وآمَنُوا وكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى) قال : الجنة :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى) قال : الجنة :

وقوله(وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) يقول تعالى ذكره : والله بما تعملون من النفقة فى سبيل الله ، وقتال أعدائه ، وغير ذلك من أعمالكم التى تعملون ، خبير لايخفى عليه منها شىء ، وهو مجازيكم على جميع ذلك يوم القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : من هذا الذى ينفق فى سبيل الله فى الدنيا محتسبا فى نفقته مبتغيا ما عند الله ، وذلك هو القرض الحسن ، يقول : فيضاعف له ربه قرضه ذلك الذى أقرضه ، بإنفاقه فى سبيله ، فيجعل له بالواحدة سبع مئة . وكان بعض نحويى البصرة يقول فى قوله(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) فهو كقول العرب : لى عندك قرض صدق ، وقرض سوء إذا فعل به خيرا ؛ وأنشد فى ذلك بيتا للشنفرى :

سَتَجْزِي سَلامانَ بنَ مُفْرِجَ قَرْضَها ... بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمِ فأُزِلَّتِ[1]

(وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ) يقول : وله ثواب وجزاء كريم ، يعنى بذلك الأجر : الجنة ، وقد ذكرنا الرواية عن أهل التأويل فى ذلك فيما مضى إبما أغنى عن إعادته .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله(يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وبأيمانِهِمْ) فقال بعضهم : معنى ذلك: يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يضىء نورهم بين أيديهم وبأيمانهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله(يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) ... الآية ، ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يُضِيءُ نُورُهُ مِنَ الْمَدِينَةِ إلى عَدَنَ أَبْيَنَ فَصَنْعاءَ ، فَدُونَ ذَلِكَ ، حتى إنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لايُضِيءُ نُورُهُ إلاَّ مَوْضِعَ قَدَمَيْهِ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

---

(١) نسب المؤلف البيت إلى الشنفرى . وسلامان بن مفرج قبيلة من العرب . والقرض كما فى (اللسان : قرض) بفتح القاف وكسرها : ما يتجازى به الناس بينهم ، ويتقاضونه ، وجمعه قروض ، وهو ما أسلفه من إحسان ، ومن إساءة . قال أمية بن أبى الصلت :

كلُّ امرِئٍ سوفَ يُجزَى قَرْضَهُ حَسَنًا ... أوْ سَيِّئًا وَمَدِينًا مِثْلَ ما دَانَا

قد سبق استشهاد المؤلف ببيت أمية هذا فى (٢ : ٥٩٢) من هذه الطبعة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبي يذكر عن المنهال ، عن عمرو ، عن قيس ابن سكن ، عن عبد الله ، قال : يؤتون نورهم على قدر أعمالهم ، فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم ، وأدناهم نورا على إبهامه يطفأ مرة ويقدُ مرّة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى إيمانهم وهداهم بين أيديهم ، وبأيمانهم : كتبهم .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ) : كتبهم ، يقول : الله : فأما من أوتى كتابه بيمينه ، وأما نورهم فهداهم .

وأولى القولين فى ذلك بالصواب القول الذى ذكرناه عن الضحاك ، وذلك أنه لو عنى بذلك النور الضوء المعروف ، لم يخصّ عنه الخبر بالسعى بين الأيدى والأيمان دون الشمائل ، لأن ضياء المؤمنين الذى يؤتونه فى الآخرة يضىء لهم جميع ما حولهم ، وفى خصوص الله جلّ ثناؤه الخبر عن سعيه بين أيديهم وبأيمانهم دون الشمائل ، مايدلّ على أنه معنىّ به غير الضياء ، وإن كانوا لايخلون من الضياء .

فتأويل الكلام إذ كان الأمر على ماوصفنا : وكلاّ وعد الله الحسنى يوم ترون المؤمنين والمؤمنات يسعى ثواب إيمانهم وعملهم الصالح بين أيديهم ، وفى أيمانهم كتب أعمالهم تتطاير .

ويعنى بقوله (يَسْعَى) يمضى ، والباء فى قوله (وَبِأَيْمَانِهِمْ) بمعنى فى : وكان بعض نحويى البصرة يقول : الباء فى قوله (وَبِأَيْمَانِهِمْ) بمعنى على أيمانهم :

وقوله (يَوْمَ تَرَى) من صلة وعد .

وقوله (بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) يقول تعالى ذكره يقال لهم : بشارتكم اليوم أيها المؤمنون التى تبشرون بها جنات تجرى من تحتها الأنهار ، فأبشروا بها .

وقوله (خَالِدِينَ فِيهَا) يقول : ماكثين فى الجنات ، لاينتقلون عنها ولا يتحولون :

وقوله (ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) يقول : خلودهم فى الجنات التى وصفها هو النجح العظيم الذى كانوا يطلبونه بعد النجاة من عقاب الله ، ودخول الجنة خالدين فيها :

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : هو الفوز العظيم فى يوم يقول المنافقون والمنافقات ، واليوم من صلة الفوز للذين آمنوا بالله ورسله : انظرونا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (انْظُرُونا) فقرأت ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة (انْظُرُونا) موصولة بمعنى : انتظرونا ، وقرأته عامة قرّاء الكوفة (أَنْظِرُونا) مقطوعة الألف من أنظرت بمعنى : أخرونا ، وذكر الفرّاء أن العرب تقول : أنظرنى وهم يريدون : انتظرنى قليلا ؛ وأنشد فى ذلك بيت عمرو بن كلثوم :

أبا هِنْــدٍ فَلا تَعْجَلْ عَلَيْنا ... وأَنْظِرْنا نُخَـبِّرْكَ اليَقِينا [1]

قال : فمعنى هذا : انتظرنا قليلا نخبرك ، لأنه ليس هاهنا تأخير ، إنما هو استماع كقولك للرجل : اسمع منى حتى أخبرك .

﴿ والصواب من القراءة فى ذلك عندى الوصل ، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب إذا أريد به انتظرنا ، وليس للتأخير فى هذا الموضع معنى ، فيقال : أنظرونا ، بفتح الألف وهمزها .

وقوله (نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ) يقول : نستصبح من نوركم ، والقبس : الشعلة .

وقوله (قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا) يقول جلّ ثناؤه : فيجابون بأن يقال لهم : ارجعوا من حيث جئتم ، واطلبوا لأنفسكم هنالك نورا ، فإنه لا سبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالْمُنافِقاتُ) . . . إلى قوله (وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) قال ابن عباس : بينما الناس فى ظلمة ، إذ بعث الله نورا ؛ فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه ، وكان النور دليلا من الله إلى الجنة ؛ فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا ، تبعوهم ، فأظلم الله على المنافقين ، فقالوا حينئذ : انظرونا نقتبس من نوركم ، فإنا كنا معكم فى الدنيا ؛ قال المؤمنون : ارجعوا من حيث جئتم من الظلمة ، فالتمسوا هنالك النور .

---

(١) هذا البيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبى (انظره فى شرحى الزوزنى والتبريزى) يخاطب عمرو بن هند ملك الحيرة . وهو من شواهد الفراء فى معانى القرآن . قال عند قوله تعالى « للذين آمنوا انظرونا » : وقرأها يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة : « أنظرونا » من أنظرت . وسائر القراء على (انظرونا) بتخفيف الألف . ومعنى (انظرونا) : انتظرونا . ومعنى « أنظرونا » : أخرونا ، كما قال : « أنظرنى إلى يوم يبعثون » . وقد تقول العرب « أنظرنى » وهم يريدون انتظرونى ، تقوية لقراءة يحيى . قال الشاعر : « أبا هند . . . . البيت » ، فمعنى هذه : انتظرنا قليلا نخبرك ، لأنه ليس هاهنا تأخير ، إنما هو استماع ، كقولك للرجل : اسمع منى حتى أخبرك . اهـ . وفى (اللسان : نظر) والنظر : الانتظار . يقال : نظرت فلانا وانتظرته : بمعنى واحد فإذا قلت : انتظرت ، فلم يجاوزك فعلك ، فمعناه : وقفت وتمهلت . ومنه قوله تعالى « انظرونا نقتبس من نوركم » قرئ انظرونا وأنظرونا بقطع الألف . فمن قرأ « انظرونا » بضم الألف ، فمعناه : انتظرونا . ومن قرأ « أنظرونا » فمعناه : أخرونا . وقال الزجاج : قيل معنى « أنظرونا » انتظرونا أيضا . ومنه قول عمرو بن كلثوم : « أبا هند . . . . البيت » . اهـ .

حُدثت عن الحسين، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا) ... الآية ، كان ابن عباس يقول : بينما الناس فى ظلمة ، ثم ذكر نحوه .

وقوله (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ ، بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ، وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) يقول تعالى ذكره : فضرب الله بين المؤمنين والمنافقين بسُور ، وهو حاجز بين أهل الجنة وأهل النار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (بِسُورٍ لَهُ بَابٌ) قال : كالحجاب فى الأعراف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ) السور : حائط بين الجنة والنار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ) قال : هذا السور الذى قال الله (وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ) .

وقد قيل : إن ذلك السور ببيت المقدس عند وادى جهنم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا الحسن بن بلال ، قال : ثنا حماد ، قال : أخبرنا أبو سنان ، قال : كنت مع علىّ بن عبدالله بن عباس ، عند وادى جهنم ، فحدّث عن أبيه أنه قال (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ ، بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ، وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) فقال : هذا موضع السور عند وادى جهنم :

حدثنى إبراهيم بن عطية بن رُدَيح بن عطية ، قال : ثنى عمى محمد بن رُدَيح بن عطية ، عن سعيد ابن عبد العزيز ، عن أبى العوّام ، عن عُبادة بن الصامت أنه كان يقول : (بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ، وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) ، قال : هذا باب الرحمة .

حدثنا ابن البرقى ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، عن سعيد بن عطية بن قيس ، عن أبى العوّام مؤذّن بيت المقدس ، قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : إن السور الذى ذكره الله فى القرآن : (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ ، بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ، وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) هو السور الشرقى ، باطنه المسجد ، وظاهره وادى جهنم .

حدثنى محمد بن عوف ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا صفوان ، قال : ثنا شريح أن كعبا كان يقول فى الباب الذى فى بيت المقدس : إنه الباب الذى قال الله (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ [لَهُ] بَابٌ ، بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ، وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) .

وقوله (لَهُ بابٌ باطِنُهُ فيهِ الرَّحْمَةُ) يقول تعالى ذكره : لذلك السور باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبل ذلك الظاهر العذاب : يعنى النار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذابُ) : أى النار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (باطِنُهُ فيهِ الرَّحْمَةُ) قال : الجنة وما فيها .

وقوله (يُنادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ؟ قالُوا بَلَى) يقول تعالى ذكره : ينادى المنافقون المؤمنين حين حُجز بينهم بالسور ، فبقوا فى الظلمة والعذاب ، وصار المؤمنون فى الجنة ، ألم نكن معكم فى الدنيا نصلى ونصوم ، ونناكحكم ونوارثكم ؟ قالوا : بلى ، يقول : قال المؤمنون : بلى ، بل كنتم كذلك ، ولكنكم فتنتم أنفسكم ، فنافقتم ، وفتنتم أنفسهم فى هذا الموضع كانت النفاق .

وكذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ) قال : النفاق ، وكان المنافقون مع المؤمنين أحياء يناكحونهم ، ويغشونهم ، ويعاشرونهم ، وكانوا معهم أمواتا ، ويعطون النور جميعا يوم القيامة ، فيطفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السور ، ويماز بينهم حينئذ .

وقوله (وَتَرَبَّصْتُمْ) يقول : وتلبثتم بالإيمان ، ودافعتم بالإقرار بالله ورسوله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَتَرَبَّصْتُمْ) قال : بالإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرأ (فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَرَبَّصْتُمْ) يقول : تربصوا بالحق وأهله .

وقوله (وَارْتَبْتُمْ) يقول : وشككتم فى توحيد الله ، وفى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَارْتَبْتُمْ) : شكوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَارْتَبْتُمْ) كانوا فى شك من الله .

وقوله (وَغَرَّتْكُمُ الأَمانِىُّ) يقول : وخدعتكم أمانىّ نفوسكم ، فصدتكم عن سبيل الله وأضلتكم (حَتَّى جاءَ أَمْرُ اللهِ) يقول : حتى جاء قضاء الله بمناياكم ، فاجتاحتكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَغَرَّتْكُمُ الأمانيُّ حتى جاءَ أمْرُ اللهِ) كانوا على خدعة من الشيطان ، والله مازالوا عليها حتى قذفهم الله فى النار .

وقوله (وَغَرَّكُمْ باللهِ الغَرُورُ) يقول : وخدعكم بالله الشيطان ، فأطمعكم بالنجاة من عقوبته ، والسلامة من عذابه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : (الغَرُورُ) : أى الشيطان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَغَرَّكُمْ باللهِ الغَرُورُ) : أى الشيطان .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَغَرَّكُمْ باللهِ الغَرُورِ) : الشيطان .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمنين لأهل النفاق ، بعد أن ميز بينهم فى القيامة (فالْيَوْمَ) أيها المنافقون (لايُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ) يعنى : عوضا وبدلا ؛ يقول : لايؤخذ ذلك منكم بدلا من عقابكم وعذابكم ، فيخلصكم من عذاب الله (ولامِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) يقول : ولا تؤخذ الفدية أيضا من الذين كفروا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فالْيَوْمَ لايُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ ولا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) يعنى المنافقين ، ولا من الذين كفروا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فالْيَوْمَ لايُؤْخَذُ مِنْكُمْ) من المنافقين (ولا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) معكم (مأْوَاكُمُ النَّارُ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ) فقرأت ذلك عامة القرّاء بالياء (يُؤْخَذُ) ، وقرأه أبو جعفر القارئ بالتاء .

وأولى القراءتين بالصواب الياء وإن كانت الأخرى جائزة .

وقوله (مَأْوَاكُمُ النَّارُ) يقول : مثواكم ومسكنكم الذى تسكنونه يوم القيامة النار .

وقوله (هِيَ مَوْلَاكُمْ) يقول : النار أولى بكم .

وقوله (وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) يقول : وبئس مصير من صار إلى النار .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا) : ألم يحن للذين صدّقوا الله ورسوله أن تلين قلوبهم لذكر الله ، فتخضع قلوبهم له ، ولما نزل من الحقّ ، وهو هذا القرآن الذى نزّله على رسوله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) قال : تطيع قلوبهم .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ [1]) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) . . . الآية . ذُكر لنا أن شدّاد بن أوس كان يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إنّ أوَّلَ ما يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ الخُشُوعُ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : كان شدّاد بن أوس يقول أوّل ما يرفع من الناس الخشوع .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ) فقرأته عامة القرّاء غير شيبة ونافع بالتشديد نزّل ، وقرأه شيبة ونافع ، وما نزل بالتخفيف ، وبأىّ القراءتين قرأ القارئ فمصيب ، لتقارب معنييهما .

وقوله (وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ) يقول تعالى ذكره : ألم يأن لهم أن ولا يكونوا ، يعنى الذين آمنوا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ) يعنى من بنى إسرائيل ، ويعنى بالكتاب الذى أوتوه من قبلهم التوراة والإنجيل .

(١) سقط التفسير من قلم الناسخ ، وفى الدر عن عكرمة : ألم يحن للذين آمنوا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا جرير ، عن مُغيرة ، عن أبى معشر ، عن إبراهيم ، قال : جاء عتريس ابن عرقوب إلى ابن مسعود ، فقال : يا عبد الله هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر ، فقال عبد الله : هلك من لم يعرف قلبه معروفا ، ولم ينكر قلبه منكرا ، إن بنى إسرائيل لما طال عليهم الأمد ، وقست قلوبهم اخترعوا كتابا من بين أيديهم وأرجلهم ، استهوته قلوبهم ، واستحلته ألسنتهم ، وقالوا : نعرض بنى إسرائيل على هذا الكتاب ، فمن آمن به تركناه ، ومن كفر به قتلناه ؛ قال : فجعل رجل منهم كتاب الله فى قرن ، ثم جعل القرن بين ثندوتيه ؛ فلما قيل له : أتؤمن بهذا ؟ قال : آمنت به ، ويومئ إلى القرن الذى بين ثندوتيه ، ومالى لا أومن بهذا الكتاب ، فمن خير مللهم اليوم ملة صاحب القرن .

ويعنى بقوله (فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ) ما بينهم وبين موسى صلى الله عليه وسلم ، وذلك الأمد الزمان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (الأَمَدُ) قال : الدهر .

وقوله (فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ) عن الخيرات ، واشتدّت على السكون إلى معاصى الله (وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) يقول جلّ ثناؤه : وكثير من هؤلاء الذين أوتوا الكتاب من قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم فاسقون .

القول في تأويل قوله تعالى :

اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾

❊ يقول تعالى ذكره : (اعْلَمُوا) أيها الناس (أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ) الميتة التى لا تنبت شيئا (بَعْدَ مَوْتِهَا) يعنى : بعد دثورها ودروسها ، يقول : وكما نحيى هذه الأرض الميتة بعد دروسها ، كذلك نهدى الإنسان الضّالّ عن الحقّ إلى الحقّ ، فنوفّقه ونسدّده للإيمان حتى يصير مؤمنا من بعد كفره ، ومهتديا من بعد ضلاله .

وقوله (قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) يقول : قد بيّنّا لكم الأدلة والحجج لتعقلوا .

وقوله (إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار ، إخلا ابن كثير وعاصم بتشديد الصاد والدال ، بمعنى أن المتصدّقين والمتصدّقات ، ثم تُدغم التاء فى الصاد ،

فتجعلها صادا مشدّدة ، كما قيل :(يا أيها المزّمّل) يعنى المتزمل . وقرأ ابن كثير وعاصم (إنّ المُتَصَدِّقِينَ والمُصَدِّقَاتِ) بتخفيف الصاد وتشديد الدال ، بمعنى : إن الذين صدقوا الله ورسوله .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان صحيح معنى كلّ واحدة منهما فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

فتأويل الكلام إذن على قراءة من قرأ ذلك بالتشديد فى الحرفين : أعنى فى الصاد والدال ، أن المتصدّقين من أموالهم والمتصدّقات (وأقرضوا الله قرضا حسنا) يعنى بالنفقة فى سبيله، وفيما أمر بالنفقة فيه، أو فيما ندب إليه (يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ) يقول : يضاعف الله لهم قروضهم التى أقرضوها إياه ، فيوفيهم ثوابها يوم القيامة ، (وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ) يقول : ولهم ثواب من الله على صدقهم وقروضهم إياه كريم ، وذلك الجنة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ۖ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾

✲ يقول تعالى ذكره : والذين أقرّوا بوحدانية الله وإرساله رسله ، فصدّقوا الرسل وآمنوا بما جاءوهم به من عند ربهم ، أولئك هم الصدّيقون .

وقوله (وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ) اختلف أهل التأويل فى ذلك ، فقال بعضهم : والشهداء عند ربهم منفصل من الذى قبله ، والخبر عن الذين آمنوا بالله ورسله ، متناه عند قوله (الصِّدِّيقُونَ) ، والصدّيقون مرفوعون بقوله : هم ، ثم ابتدئ الخبر عن الشهداء فقيل : والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم ، والشهداء فى قولهم مرفوعون بقوله (لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ) قال: هذه مفصولة (وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال: ثنا سفيان ، عن منصور ، عن أبى الضحى ، عن مسروق (أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ، وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) قال : هى للشهداء خاصة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، قال : هى خاصة للشهداء :

قال : ثنا مهران ، عن سفيان عن أبى الضحى (أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ) ثم استأنف الكلام فقال: والشهداء عند ربهم .

حُدثت عن الحسين، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ)هذه مفصولة ، سماهم الله صدّيقين بأنهم آمنوا بالله وصدّقوا رسله ، ثم قال : (وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) هذه مفصولة

وقال آخرون : بل قوله « والشهداء » من صفة الذين آمنوا بالله ورسله ؛ قالوا : إنما تناهى الخبر عن الذين آمنوا عند قوله (وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ) ثم ابتدئ الخبر عما لهم ، فقيل : لهم أجرهم ونورهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنا أبوقيس أنه سمع هذيلا يحدّث ، قال : ذكروا الشهداء ، فقال عبد الله : الرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، والرجل يقاتل للدنيا ، والرجل يقاتل للسمعة ، والرجل يقاتل للمغنم ؛ قال شعبة شيئا هذا معناه : والرجل يقاتل يريد وجه الله ، والرجل يموت على فراشه وهو شهيد ، وقرأ عبدالله هذه الآية (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ) .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، وليث عن مجاهد (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) قال : كلّ مؤمن شهيد ، ثم قرأها .

حدثنى صالح بن حرب أبو معمر ، قال : ثنا إسماعيل بن يحيى ، قال : ثنا ابن عجلان ، عن زيد بن أسلم ، عن البراء بن عازب ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مُؤْمِنُوا أُمَّتِى شُهَدَاءُ . قال : ثم تلا النبيّ صلى الله عليه وسلم هذه الآية (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ)» .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : بالإيمان على أنفسهم بالله .

وقال آخرون : الشهداء عند ربهم فى هذا الموضع : النبيون الذين يشهدون على أممهم من قول الله عزّ وجلّ (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا)

والذى هو أولى الأقوال عندى فى ذلك بالصواب قول من قال : الكلام والخبر عن الذين آمنوا ، متناه عندقوله (أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ) وإن قوله (وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ) خبر مبتدأ عن الشهداء .

وإنما قلنا : إن ذلك أولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، لأن ذلك هو الأغلب من معانيه فى الظاهر ، وأنّ الإيمان غير موجب فى المتعارف للمؤمن اسم شهيد لابمعنى غيره ، إلا أن يُراد به شهيد على ما آمن به وصدّقه ، فيكون ذلك وجها ، وإن كان فيه بعض البعد ، لأن ذلك ليس بالمعروف من معانيه ، إذا أطلق

بغير وصل ، ، فتأويل قوله (وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) إذن والشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله ، أو هلكوا فى سبيله عند ربهم ، لهم ثواب الله إياهم فى الآخرة ونورهم .

وقوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) يقول تعالى ذكره : والذين كفرو بالله وكذّبوا بأدلته وحججه ، أولئك أصحاب الجحيم .

القول في تأويل قوله تعالى :

اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۝

۞ يقول تعالى ذكره : اعلموا أيها الناس أن متاع الحياه الدنيا المعجلة لكم ، ماهى إلا لعب ولهو تتفكّهون به ، وزينة تتزيّنون بها ، وتفاخر بينكم ، يفخر بعضكم على بعض بما أولى فيها من رياشها (وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) يقول تعالى ذكره : ويباهى بعضكم بعضا بكثرة الأموال والأولاد (كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ) يقول تعالى ذكره : ثم ييبس ذلك النبات (فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا) بعد أن كان أخضرَ نضرا .

وقوله (ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا) يقول تعالى ذكره : ثم يكون ذلك النبات حطاما ، يعنى به أنه يكون نبتا يابسا متهشما (وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ) يقول تعالى ذكره : وفى الآخرة عذاب شديد للكفار (وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ) لأهل الإيمان بالله ورسوله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتاده ، قوله (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ) . : : الآية ، يقول : صار الناس إلى هذين الحرفين فى الآخرة :

وكان بعض أهل العربية يقول فى قوله (وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ، وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ) ذكر ما فى الدنيا ، وأنه على ما وصف ، وأما الآخرة فإنها إما عذاب ، وإما جنة . قال : والواو فيه وأو بمنزلة واحدة .

وقوله (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) يقول تعالى ذكره : وما زينة الحياة الدنيا المعجلة لكم أيها الناس ، إلا متاع الغرور .

حدثنا علىّ بن حرب الموصلى ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾

❊ يقول تعالى ذكره : (سابِقُوا) أيها الناس (إلى) عمل يوجب لكم (مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ والأرْضِ ، أُعِدَّتْ) هذه الجنة(لِلَّذِينَ آمَنُوا باللهِ وَرُسُلِهِ) يعنى الذين وحّدوا الله ، وصدّقوا رسله .

وقوله (ذَلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ) يقول جلّ ثناؤه : هذه الجنة التى عرضها كعرض السماء والأرض التى أعدّها الله للذين آمنوا بالله ورسله ، فضل الله تفضل به على المؤمنين ، والله يؤتى فضله من يشاء من خلقه ، وهو ذو الفضل العظيم عليهم ، بما بسط لهم من الرزق فى الدنيا ، ووهب لهم من النِّعم ، وعرّفهم موضع الشكر ، ثم جزاهم فى الآخرة على الطاعة ما وصف أنه أعدّه لهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

❊ يقول تعالى ذكره : ما أصابكم أيها الناس من مصيبة فى الأرض بجدوبها وقحوطها ، وذهاب زرعها وفسادها (وَلا فِى أنْفُسِكُمْ) بالأوصاب والأوجاع والأسقام (إلاَّ فِى كِتابٍ) يعنى إلا فى أمّ الكتاب (مِنْ قَبْلِ أنْ نَبْرأها) يقول : من قبل أن نبرأ الأنفس ، يعنى من قبل أن نخلقها . يقال : قد برأ الله هذا الشيء ، بمعنى : خلقه فهو بارئه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (ما أصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِى الأرْضِ وَلا فِى أنْفُسِكُمْ إلاَّ فِى كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أنْ نَبْرَأها) قال : هو شيء قد فرغ منه من قبل أن نبرأ النفس :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (ما أصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِى الأرْضِ) أما مصيبة الأرض : فالسنون . وأما فى أنفسكم : فهذه الأمراض والأوصاب (مِنْ قَبْلِ أنْ نَبْرَأها) : من قبل أن نخلقها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (ما أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ) قال : هي السنون (وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ) قال : الأوجاع والأمراض . قال : وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خَدْش عود ، ولا نَكْبَة قدم ، ولا خَلَجَانُ عِرْقٍ إلا بذنب ، وما يعفو عنه أكثر .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن منصور بن عبد الرحمن ، قال : كنت جالسا مع الحسن ، فقال رجل : سله عن قوله (ما أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فى أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا) فسألته عنها ، فقال : سبحان الله ، ومن يشكّ فى هذا ؟ كلّ مصيبة بين السماء والأرض ففى كتاب الله من قبل أن تبرأ النسمة :

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (ما أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أن نبرَأها) يقول : هو شيء قد فرغ منه من قبل أن نبرأها : من قبل أن نبرأ الأنفس .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول الله جلّ ثناؤه (فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا) قال : من قبل أن نخلقها قال : المصائب والرزق والأشياء كلها مما تحبّ وتكره فرغ الله من ذلك كله قبل أن يبرأ النفوس ويخلقها .

وقال آخرون : عُنِي بذلك : ما أصاب من مصيبة فى دين ولا دنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله : (ما أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا) يقول : فى الدين والدنيا إلا فى كتاب من قبل أن نخلقها .

واختلف أهل العربية فى معنى فى التى بعد قوله « إلا » ، فقال بعض نحويّ البصرة : يريد والله أعلم بذلك : إلا هى فى كتاب ، فجاز فيه الإضمار : قال : ويقول : عندى هذا ليس إلا يريد إلا هو . وقال غيره منهم ، قوله (فِي كِتَابٍ) من صلة ما أصاب ، وليس إضمار هو بشىء ، وقال : ليس قوله عندى هذا ليس إلا مثله ، لأن إلاّ تكفى من الفعل ، كأنه قال : ليس غيره .

وقوله (إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ) يقول تعالى ذكره : إن خلق النفوس ، وإحصاء ما هى لاقية من المصائب على الله سهل يسير :

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾

* يعنى تعالى ذكره : ماأصابكم أيها الناس من مصيبة فى أموالكم ولا فى أنفسكم ، إلا فى كتاب قد كُتب ذلك فيه من قبل أن نخلق نفوسكم (لِكَيْلا تَأْسَوْا) يقول : لكيلا تحزنوا (على ما فاتَكُمْ) من الدنيا ، فلم تدركوه منها (وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ) منها .

ومعنى قوله (بِما آتاكُمْ) إذا مدّت الألف منها : بالذى أعطاكم منها ربكم وملّككم وخوّلكم ؛ وإذا قُصرت الألف ، فمعناها : بالذى جاءكم منها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (لِكَيْلا تَأْسَوْا على ما فاتَكُمْ) من الدنيا (وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ) منها .

حُدثت عن الحسين بن يزيد الطحان ، قال : ثنا إسحاق بن منصور ، عن قيس ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (لِكَيْلا تَأْسَوْا على ما فاتَكُمْ) قال : الصبر عند المصيبة ، والشكر عند النعمة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سماك البكرى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (لِكَيْلا تَأْسَوْا على ما فاتَكُمْ) قال : ليس أحد إلا يحزن ويفرح ، ولكن من أصابته مصيبة فجعلها صبرا ، ومن أصابه خير فجعله شكرا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله عزّ وجلّ (لِكَيْلا تَأْسَوْا على ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ) قال : لاتأسوا على ما فاتكم من الدنيا ، ولا تفرحوا بما آتاكم منها .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (بِما آتاكُمْ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز والكوفة (بِما آتاكُمْ) بمدّ الألف . وقرأه بعض قرّاء البصرة (بِما أتاكُمْ) بقصر الألف ؛ وكأن من قرأ ذلك بقصر الألف اختار قراءته كذلك ، إذ كان الذى قبله على ما فاتكم ، ولم يكن على ما أفاتكم ، فيردّ الفعل إلى الله ، فألحق قوله (بِمَا أتاكُمْ) به ، ولم يردّه إلى أنه خبر عن الله .

* والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان صحيح معناهما ، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب ، وإن كنت أختار مدّ الألف لكثرة قارئى ذلك كذلك ، وليس للذى اعتلّ به منه معتلو قارئيه بقصر الألف كبير معنى ، لأن ما جعل من ذلك خبرا عن الله ، وما صرف منه إلى الخبر عن غيره ، فغير خارج جميعه عند سامعيه من أهل العلم أنه من فعل الله تعالى ، فالفائت من الدنيا من فاته منها شىء ، والمدرك منها ما أدرك عن تقدّم الله عزّ وجلّ وقضائه ، وقد بين ذلك جلّ ثناؤه لمن عقل عنه بقوله (ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِى الأَرْضِ وَلا فِى أَنْفُسِكُمْ إِلاّ فِى كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها) فأخبر أن الفائت منها بإفاتته إياهم فاتهم ، والمدرك منها بإعطائه إياهم أدركوا ، وأن ذلك محفوظ لهم فى كتاب من قبل أن يخلقهم .

وقوله (وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) يقول : والله لا يحب كل متكبر بما أوتى من الدنيا ، فخور به على الناس .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : والله لا يحب كل مختال فخور، الباخلين بما أوتوا فى الدنيا على اختيالهم به وفخرهم بذلك على الناس ، فهم يبخلون بإخراج حق الله الذى أوجبه عليهم فيه، ويشحُّون به، وهم مع بخلهم به أيضا يأمرون الناس بالبخل .

وقوله (وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ)يقول تعالى ذكره: ومن يُدْبِرْ مُعْرِضاً عن عظة الله (فإنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ الْحَمِيدُ) يقول تعالى ذكره : ومن يدبر معرضا عن عظة الله، تاركا العمل بما دعاه إليه من الإنفاق فى سبيله ، فرحا بما أوتى من الدنيا مختالا به فخورا بخيلا ، فإن الله هو الغنىّ عن ماله ونفقته ، وعن غيره من سائر خلقه ، الحميد إلى خلقه بما أنعم به عليهم من نعمه :

واختلف أهل العربية فى موضع جواب قوله(الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بالبُخْلِ) فقال بعضهم : استغنى بالأخبار التى لأشباههم ، ولهم فى القرآن ، كما قال: (وَلَوْ أنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبالُ ، أوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأرْضُ ، أوْكُلِّمَ بِهِ المَوْتَى) ، ولم يكن فى ذا الموضع خبر والله أعلم بما ينزل ، هو كما أنزل ، أو كما أراد أن يكون : وقال غيره من أهل العربية : الخبر قد جاء فى الآية التى قبل هذه(الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بالبُخْلِ ،وَمَنْ يَتَوَلَّ فإنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ) عطف بجزاءين على جزاء ، وجعل جوابهما واحدا ، كما تقول: إن تقم وإن تحسن آتك ، لا أنه حذف الخبر:

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله(فإنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة (فإنَّ اللهَ الغَنِيُّ) بحذف « هو » من الكلام ، وكذلك ذلك فى مصاحفهم بغير « هو » . وقرأته عامة قرّاء الكوفة (فإنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ) بإثبات هو فى القراءة ، وكذلك « هو » فى مصاحفهم .

﴿ والصواب من القول أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئُ فمصيب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : لقد أرسلنا رسلنا بالمفصَّلات من البيان والدلائل ، وأنزلنا معهم الكتاب بالأحكام والشرائع ، والميزان بالعدل .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ) قال : الميزان : العدل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأنزلنا معهم الكتاب والميزان) بالحق[1] ؛ قال : الميزان : ما يعمل الناس ، ويتعاطون عليه فى الدنيا من معايشهم التى يأخذون ويعطون ، يأخذون بميزان ، ويعطون بميزان ، يعرف ما يأخذ وما يعطى . قال : والكتاب فيه دين الناس الذى يعملون ويتركون ، فالكتاب للآخرة ، والميزان للدنيا .

وقوله (لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) يقول تعالى ذكره : ليعمل الناس بينهم بالعدل .

وقوله (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) يقول تعالى ذكره : وأنزلنا لهم الحديد فيه بأس شديد : يقول : فيه قوة شديدة ، ومنافع للناس ، وذلك ما ينتفعون به منه عند لقائهم العدو ، وغير ذلك من منافعه .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن علباء بن أحمر ، عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : ثلاثة أشياء نزلت مع آدم صلوات الله عليه : السندان والكلبتان ، والميقعة ، والمطرقة

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) قال : البأس الشديد : السيوف والسلاح الذى يقاتل الناس بها (وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) بعد ، يحفرون بها الأرض والجبال وغير ذلك .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) وجنة وسلاح ، وأنزله ليعلم الله من ينصره .

وقوله (وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ) يقول تعالى ذكره : أرسلنا رسلنا إلى خلقنا وأنزلنا معهم هذه الأشياء ليعدلوا بينهم ، وليعلم حزب الله من ينصر دين الله ورسله بالغيب منه عنهم .

وقوله (إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله قوى على الانتصار ممن بارزه بالمعاداة ، وخالف أمره ونهيه ، عزيز فى انتقامه منهم ، لا يقدر أحد على الانتصار منه مما أحل به من العقوبة .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾

يقول تعالى ذكره . ولقد أرسلنا أيها الناس نوحا إلى خلقنا ، وإبراهيم خليله إليهم رسولا (وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ) وكذلك كانت النبوة فى ذريتهما ، وعليهم أنزلت الكتب : التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والفرقان ، وسائر الكتب المعروفة (فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ) يقول : فمن ذريتهما مهتد إلى

(١) لعله والميزان ، والميزان بالحق .

الحق مستبصر (وكثير منهم) يعنى من ذريتهما (فاسقون) يعنى ضلال ، خارجون عن طاعة الله إلى معصيته :

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى ذكره : ثم أتبعنا على آثارهم برسلنا الذين أرسلناهم بالبينات على آثار نوح وإبراهيم برسلنا ، وأتبعنا بعيسى بن مريم (وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه) يعنى : الذين اتبعوا عيسى على منهاجه وشريعته (رأفة)وهو أشد الرحمة (ورحمة ورهبانية ابتدعوها) يقول: أحدثوها (ما كتبناها عليهم) يقول : ما افترضنا تلك الرهبانية عليهم (إلا ابتغاء رضوان الله) يقول : لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) .

واختلف أهل التأويل فى الذين لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها ، فقال بعضهم : هم الذين ابتدعوها ، لم يقوموا بها ، ولكنهم بدلوا وخالفوا دين الله الذى بعث به عيسى : فتنصروا وتهودوا .

وقال آخرون : بل هم قوم جاءوا من بعد الذين ابتدعوها فلم يرعوها حق رعايتها ، لأنهم كانوا كفارا ولكنهم قالوا : نفعل كالذى كانوا يفعلون من ذلك أوليا ، فهم الذين وصف الله بأنهم لم يرعوها حق رعايتها.

وبنحو الذى قلنا فى تأويل هذه الأحرف إلى الموضع الذى ذكرنا أن أهل التأويل فيه مختلفون فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة) فهاتان من الله ، والرهبانية ابتدعها قوم من أنفسهم ، ولم تكتب عليهم ، ولكن ابتغوا بذلك وأرادوا رضوان الله ، فما رعوها حق رعايتها ، ذكر لنا أنهم رفضوا النساء ، واتخذوا الصوامع .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ورهبانية ابتدعوها) قال : لم تكتب عليهم ، ابتدعوها ابتغاء رضوان الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ما كتبناها عليهم) قال فلم ؟ قال : ابتدعوها ابتغاء رضوان الله تطوعا ، فما رعوها حق رعايتها .

ذكر من قال : الذين لم يرعوا الرهبانية حقّ رعايتها كانوا غير الذين ابتدعوها ، ولكنهم كانوا المريدى الاقتداء بهم

حدثنا الحسين بن الحريث [أبو عمار المَرْوَزِىّ] قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، قال : كانت ملوك بعد عيسى بدّلوا التوراة والإنجيل ، وكان فيهم مؤمنون يقرءون التوراة والإنجيل ، فقيل لملكهم : مانجد شتمًا أشدّ علينا من شتم يشتُمناه هؤلاء أنهم يقرءون (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ) هؤلاء الآيات مع مايعيبوننا به فى قراءتهم ، فادعهم فليقرءوا كما نقرأ ، وليؤمنوا كما آمنا به ، قال : فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل ، أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل ، إلا مابدّلوا منها ، فقالوا : ما تريدون إلى ذلك فدعونا ؛ قال : فقالت طائفة منهم : ابنوا لنا أسطوانة ، ثم ارفعونا إليها ، ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا ، فلا نردّ عليكم ، وقالت طائفة منهم : دعونا نسيح فى الأرض ، ونهيم ونشرب كما تشرب الوحوش ، فإن قدرتم علينا بأرضكم فاقتلونا ، وقالت طائفة : ابنوا لنا دورا فى الفيافى ، ونحتفر الآبار ، ونحترث البقول ، فلا نردّ عليكم ، ولا نمرّ بكم ، وليس أحد من أولئك إلا وله حميم فيهم ؛ قال : ففعلوا ذلك ، فأنزل الله جلّ ثناؤه (وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إلاَّ ابْتِغاءَ رِضْوَانِ اللهِ ، فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها) الآخرون قالوا : نتعبد كما تعبد فلان ، ونسيح كما ساح فلان . ونتخذ دورا كما اتخذ فلان ، وهم على شركهم لاعلم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم ؛ قال : فلما بعث النبىّ صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم إلا قليل ، انحطّ رجل من صومعته ، وجاء سائح من سياحته ، وجاء صاحب الدار من داره ، وآمنوا به وصدّقوه ، فقال الله جلّ ثناؤه (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وآمِنُوا برسوله يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) قال : أجرين لإيمانهم بعيسى ، وتصديقهم بالتوراة والإنجيل ، وإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم به . قال (وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ) القرآن ، واتباعهم النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ وقال : (لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ على شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ ، وأَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ ، وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ) .

حدثنا يحيى بن أبى طالب ، قال : ثنا داود بن المحبر ، قال : ثنا الصعق بن حزن ، قال : ثنا عقيل الجعدىّ ، عن أبى إسحاق الهمدانىّ ، عن سويد بن غفلة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اخْتَلَفَ مَنْ كانَ قَبْلَنا على إحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، نَجا مِنْهُمْ ثَلاثٌ وَهَلَكَ سائِرُهُمْ : فِرْقَةٌ مِنَ الثَّلاثِ وَازَتِ المُلُوكَ وَقاتَلَتْهُمْ على دِينِ اللهِ وَدِينِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ ، فَقَتَلَتْهُمُ المُلُوكُ ؛ وَفِرْقَةٌ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ طاقَةٌ بِمُوازَاةِ المُلُوكِ ، فأقامُوا بَيْنَ ظَهْرَانَىْ قَوْمِهِمْ يَدْعُونَهُمْ إلى دِينِ اللهِ وَدِينِ عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ ، فَقَتَلَتْهُمُ المُلُوكُ ، وَنَشَرَتْهُمْ بالمَناشِيرِ ؛ وَفِرْقَةٌ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ طاقَةٌ بِمُوَازَاةِ المُلُوكِ ، وَلا بالمُقامِ بَيْنَ ظَهْرَانَىْ قَوْمِهِمْ يَدْعُونَهُمْ إلى دِينِ اللهِ وَدِينِ عِيسَى صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ ، فَلَحِقُوا بالبَرَارِى والجِبالِ ، فَتَرَهَّبُوا فيها ، فَهُوَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ

(وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ)قال : مافعلوها إلا ابتغاء رضوان الله (فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها) قال : مارعاها الذين من بعدهم حقّ رعايتها (فَآتَيْنا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ) قال : وهم الذين آمنوا بي ، وصدّقوني : قال(وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ) قال : فهم الذين جحدوني وكذّبوني .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها)قال الآخرون ممن تعبد من أهل الشرك ، وفني من فني منهم ، يقولون : نتعبّد كما تعبد فلان ، ونسيح كما ساح فلان ، وهم في شركهم لاعلم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم .

ذكر من قال : الذين لم يرعوها حقّ رعايتها : الذين ابتدعوها

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال: ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَعَلْنا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً) . . . إلى قوله(حَقَّ رِعايَتِها) يقول : ما أطاعوني فيها ، وتكلَّموا فيها بمعصية الله ،وذلك أن الله عزّ وجلّ كتب عليهم القتال قبل أن يبعث محمدا صلى الله عليه وسلم ، فلما استخرج أهل الإيمان ، ولم يبق منهم إلا قليل ، وكثر أهل الشرك وذهب الرسل وقهروا ، اعتزلوا في الغيران ، فلم يزل بهم ذلك حتى كفرت طائفة منهم ، وتركوا أمر الله عزّ وجلّ ودينه ، وأخذوا بالبدعة وبالنصرانية وباليهودية ، فلم يرعوها حقّ رعايتها وثبتت طائفة على دين عيسى ابن مريم صلوات الله عليه ، حين جاءهم بالبينات وبعث الله عزّ وجلّ محمدا رسولا صلى الله عليه وسلم وهم كذلك فذلك قوله (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ ، يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) . إلى (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

حُدثت عن الحسن، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ) كان الله عزّ وجلّ كتب عليهم القتال قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، فلما استخرج أهل الإيمان ، ولم يبق منهم إلا القليل ، وكثر أهل الشرك ، وانقطعت الرسل ، اعتزلوا الناس ، فصاروا في الغيران ، فلم يزالوا كذلك حتى غيرت طائفة منهم ، فتركوا دين الله وأمره وعهده الذي عهده إليهم ، وأخذوا بالبدع ، فابتدعوا النصرانية واليهودية ، فقال الله عزّ وجلّ لهم : (ما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها) وثبتت طائفة منهم على دين عيسى صلوات الله عليه ، حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، فآمنوا به .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا زكريا بن أبي مريم، قال : سمعت أبا أمامة الباهليّ يقول : إن الله كتب عليكم صيام رمضان ، ولم يكتب عليكم قيامه ، وإنما القيام شيء ابتدعتموه ، وإن قوما ابتدعوا بدعة لم يكتبها الله عليهم ، ابتغوا بها رضوان الله ، فلم يرعوها حقّ رعايتها ، فعابهم الله

بتركها ، فقال : (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا) .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة أن يقال : إن الذين وصفهم الله بأنهم لم يرعوا الرهبانية حقّ رعايتها ، بعض الطوائف التى ابتدعتها ، وذلك أن الله جلّ ثناؤه أخبر أنه آتى الذين آمنوا منهم أجرهم ؛ قال : فدلّ بذلك على أن منهم من قد رعاها حقّ رعايتها ، فلو لم يكن منهم من كان كذلك لم يكن مستحقّ الأجر الذى قال جلّ ثناؤه (فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ) إلا أن الذين لم يرعوها حقّ رعايتها ممكن أن يكونوا كانوا على عهد الذين ابتدعوها ، وممكن أن يكونوا كانوا بعدهم ، لأن الذين هم من أبنائهم إذا لم يكونوا رعوها ، فجائز فى كلام العرب أن يقال : لم يرعها القوم على العموم . والمراد منهم البعض الحاضر ، وقد مضى نظير ذلك فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب .

وقوله (فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ) يقول تعالى ذكره : فأعطينا الذين آمنوا بالله ورسله من هؤلاء الذين ابتدعوا الرهبانية ثوابهم على ابتغائهم رضوان الله ، وإيمانهم به وبرسوله فى الآخرة ، وكثير منهم أهل معاص ، وخروج عن طاعته ، والإيمان به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ) قال : الذين رعوا ذلك الحقّ .

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله من أهل الكتابين التوراة والإنجيل ، خافوا الله بأداء طاعته ، واجتناب معاصيه ، وآمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى عن أبيه ، عن ابن عباس (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ) يعنى الذين آمنوا من أهل الكتاب .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ) يعنى : الذين آمنوا من أهل الكتاب .

وقوله (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) يُعطكم ضعفين من الأجر لإيمانكم بعيسى صلى الله عليه وسلم ، والأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم إيمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم حين بعث نبيا . وأصل

الكِفل : الحظّ ، وأصله : ما يكتفل به الراكبُ ، فيحبسه ويحفظه عن السقوط ؛ يقول : يُحَصِّنكم هذا الكِفْل من العذاب ، كما يُحصِّن الكِفْل الراكب من السقوط .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو عمار المَرْوَزىّ ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جُبَير ، عن ابن عباس (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) قال : أجرين ، لإيمانهم بعيسى صلى الله عليه وسلم ، وتصديقهم بالتوراة والإنجيل ، وإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وتصديقهم به .

قال : ثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) قال : أجْرَين : إيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وإيمانهم بعيسى صلى الله عليه وسلم ، والتوراة والإنجيل .

وبه عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، وهارون بن عنترة ، عن أبيه ، عن ابن عباس (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) قال : أجرين .

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) يقول : ضعفين .

قال : ثنا مهران ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جُبَير ، قال : « بعث النبىّ صلى الله عليه وسلم جعفرا فى سبعين راكبا إلى النجاشىّ يدعوه ، فقدم عليه ، فدعاه فاستجاب له وآمن به ؛ فلما كان عند انصرافه ، قال ناس ممن قد آمن به من أهل مملكته ، وهم أربعون رجلا : ائذن لنا ، فنأتى هذا النبىّ ، فنسلم به ، ونساعد هؤلاء فى البحر ، فأنا أعلم بالبحر منهم ، فقدموا مع جعفر على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وقد تهيأ النبىّ صلى الله عليه وسلم لوقعة أُحُد ؛ فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة وشدّة الحال ، استأذنوا النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قالوا : يا نبىّ الله إن لنا أموالا ، ونحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة ، فإن أذنت لنا انصرفنا ، فجئنا بأموالنا ، وواسينا المسلمين بها . فأَذِنَ لهم ، فانصرفوا ، فأتوا بأموالهم ، فواسوا بها المسلمين ، فأنزل الله فيهم (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ) . . . إلى قوله (ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) فكانت النفقة التى واسَوْا بها المسلمين ؛ فلما سمع أهل الكتاب ممن لم يؤمن بقوله (يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا) فخروا على المسلمين ، فقالوا : يا معشر المسلمين ، أما من آمن منا بكتابكم وكتابنا فله أجره مرّتين ، ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم ، فما فضلكم علينا ، فأنزل الله (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) فجعل لهم أجرهم ، وزادهم النورَ والمغفرة ، ثم قال (لِكَيْلا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ) » وهكذا قرأها سعيد بن جُبَير (لِكَيْلا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَىْءٍ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) قال : ضعفين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) قال والكفلان أجران بإيمانهم الأول ، وبالكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ) يعنى الذين آمنوا من أهل الكتاب (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) يقول : أجرين بإيمانكم بالكتاب الأول ، والذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) قال : أجرين : أجر الدنيا ، وأجر الآخرة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن سفيان ، قال : ثنا عنبسة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص عن أبي موسى (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) قال : الكفلان : ضعفان من الأجر بلسان الحبشة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الشعبيّ ، قال : إن الناس يوم القيامة على أربع منازل : رجل كان مؤمنا بعيسى ، فآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فله أجران . ورجل كان كافرا بعيسى ، فآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فله أجر . ورجل كان كافرا بعيسى ، فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فباء بغضب على غضب . ورجل كان كافرا بعيسى من مشركى العرب ، فمات بكفره قبل محمد فباء بغضب .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرنى أبى ، قال : سألت سعيد بن عبد العزيز ، عن الكفل كم هو؟ قال : ثلاث مئة وخمسون حسنة ، والكفلان : سبع مئة حسنة . قال سعيد : سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه حبرا من أحبار اليهود : كم أفضل ما ضعفت لكم الحسنة ؟ قال : كفل ثلاث مئة وخمسون حسنة ؛ قال : فحمد الله عمر على أنه أعطانا كفلين ، ثم ذكر سعيد قول الله عزّ وجلّ فى سورة الحديد (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) فقلت له : الكفلان فى الجمعة مثل هذا ؟ قال : نعم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك صحّ الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا معمر بن راشد ، عن فراس ، عن الشعبيّ ، عن أبي بردة بن أبي موسى ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثَلاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ : رَجُلٌ آمَنَ بِالكِتابِ الأَوَّلِ وَالكِتابِ الآخِرِ ، وَرَجُلٌ كانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَها وَأَحْسَنَ تَأْدِيبَها ، ثُمَّ أَعْتَقَها فَتَزَوَّجَها ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَحْسَنَ عِبادَةَ رَبِّهِ ، وَنَصَحَ لِسَيِّدِهِ » .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، قال : ثنى صالح بن صالح الهمدانى ، عن عامر ، عن أبى بردة بن أبى موسى ، عن أبى موسى ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنى عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن صالح بن صالح ، سمع الشعبىّ يحدّث ، عن أبى بردة ، عن أبى موسى الأشعرى ، عن رسول الله صلى الله عله سلم ، بنحوه .

حدثنى محمد بن عبد الحكم ، قال : أخبرنا إسحاق بن الفرات ، عن يحيى بن أيوب ، قال : قال يحيى ابن سعيد أخبرنا نافع ، أن عبدالله بن عمر ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنَّمَا آجالُكُم فِي آجالِ مَنْ خَلا مِنَ الأُمَم ، كَمَا بَيْنَ صَلاةِ العَصْرِ إلى مَغْرِبِ الشَّمْس ، وإنَّما مَثَلُكُم وَمَثَلُ اليَهُودِ والنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ عُمَّالاً ، فَقَالَ : مَنْ يَعْمَل مِن بُكْرَةٍ إلى نِصفِ النَّهارِ على قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ ، ألا فَعَمِلَتِ اليَهُودُ ، ثُمَّ قالَ : مَنْ يَعْمَلُ مِنْ نِصفِ النَّهارِ إلى صَلاةِ العَصْرِ على قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ ، ألا فَعَمِلَتِ النَّصَارَى ثُمَّ قالَ : مَنْ يَعْمَل مِن صَلاةِ العَصْرِ إلى مَغارِبِ الشَّمْسِ على قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ ، ألا فَعَمِلْتُم » .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، أنه سمع ابن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَثَلُ هَذِهِ الأُمَّةِ ، أو قال أُمَّتِي وَمَثَلُ اليَهُودِ والنَّصَارَى ، كَمَثَلِ رَجُلٍ قالَ : مَنْ يَعْمَلُ لِي مِن غَدْوَةٍ إلى نِصْفِ النَّهارِ على قِيرَاطٍ؟ قالَتِ اليَهودُ : نَحْنُ ، فَعَمِلُوا ، قال : فَمَن يَعْمَلُ مِن نِصفِ النَّهارِ إلى صَلاةِ العَصْرِ على قِيرَاطٍ؟ قالَتِ النَّصَارَى : نَحْنُ ، فَعَمِلُوا ، وأنْتُم المُسْلِمُونَ تَعْمَلُونَ مِن صَلاةِ العَصْرِ إلى اللَّيْلِ على قِيرَاطَيْنِ ، فَغَضِبَتِ اليَهُودُ والنَّصَارَى وقالُوا : نَحْنُ أكْثَرُ عَمَلاً ، وأقَلُّ أجْرًا ، قالَ هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِن أُجُورِكُمْ شَيْئًا؟ قالُوا : لا ، قال : فَذَاكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أشاءُ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى الليث وابن لهيعة ، عن سليمان بن عبدالرحمن ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبى أُمامة الباهلىّ . أنه قال : شهدت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حجة الوداع ، فقال قولا كثيرا حسنا جميلا ، وكان فيها : « مَنْ أسْلَمَ مِن أهْلِ الكِتابَيْنِ فَلَهُ أجْرُهُ مَرَّتَيْنِ ، وَلَهُ مِثْلُ الَّذِي لَنَا ، وَعَلَيْهِ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَا وَمَنْ أسْلَمَ مِنَ المُشْرِكِينَ فَلَهُ أجْرُهُ ، وَلَهُ مِثْلُ الذي لَنَا ، وَعَلَيْهِ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَا » .

وقوله (وَيَجْعَلْ لَكُم نُورًا تَمْشُونَ بِهِ) اختلف أهل التأويل فى الذى عنى به النور فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى به القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو عمار المروزى ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جُبَيْر ، عن ابن عباس (وَيَجْعَل لَكُم نُورًا تَمْشُونَ بِهِ) قال : الفرقان واتباعهم النبىّ صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ) قال : الفرقان ، واتباعهم النبيّ صلى الله عليه وسلم .

حدثنا أبو كريب وأبوهشام ، قالا : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس (وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ) قال : القرآن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عطاء ، عن سعيد ، مثله .

وقال آخرون : عُنِي بالنور فى هذا الموضع : الهدى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (تَمْشُونَ بِهِ) قال : هدى .

﴿ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره وعد هؤلاء القوم أن يجعل لهم نورا يمشون به ، والقرآن ، مع اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم نور لمن آمن بهما وصدّقهما وهدى ، لأن من آمن بذلك ، فقد اهتدى .

وقوله (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) يقول : ويصفح لكم عن ذنوبكم فيسترها عليكم (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول تعالى ذكره : والله ذو مغفرة ورحمة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

﴿ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ، يفعل بكم ربكم هذا لكى يعلم أهل الكتاب أنهم لايقدرون على شىء من فضل الله الذى آتاكم وخصكم به ، لأنهم كانوا يرون أن الله قد فضّلهم على جميع الخلق ، فأعلمهم الله جلّ ثناؤه أنه قد آتى أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الفضل والكرامة ، مالم يؤتهم ، وأن أهل الكتاب حسدوا المؤمنين لما نزل قوله (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ، وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فقال الله عزّ وجلّ : فعلت ذلك ليعلم أهل الكتاب أنهم لايقدرون على شىء من فضل الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وآمِنُوا بِرَسُولِهِ) . . . الآية ، قال : لما نزلت هذه الآية ، حسَد أهل الكتاب المسلمين عليها ، فأنزل الله عزّ وجلّ (لِئَلاَّ يَعْلَمَ أهْلُ الكِتابِ ألاَّ يَقْدِرُونَ) . . . الآية ، قال : ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إنَّمَا مَثَلُنا وَمَثَلُ أهْلِ الكِتابَيْنِ قَبْلَنا ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتأْجَرَ أُجَرَاءَ يَعْمَلُونَ إلى اللَّيْلِ على قِيراط ، فَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهارُ سَئِمُوا عَمَلَهُ وَمَلُّوا ، فحاسَبَهُمْ ، فأعْطاهُمْ عَلى قَدْرِ ذَلكَ ، ثُمَّ اسْتأْجَرَ أُجَرَاءَ إلى اللَّيْلِ عَلى قِيراطَيْنِ ، يَعْمَلُونَ لَهُ بَقِيَّةَ عَمَلِهِ ، فَقِيلَ لَهُ : ما شأْنُ هَؤُلاءِ أقَلُّهُمْ عَمَلاً ، وأكْثَرُهُمْ أجْرًا ؟ قال : مالى أُعْطِي مَنْ شِئْتُ ، فأرْجُو أنْ نَكُونَ نَحْنُ أصحابَ القِيراطَيْنِ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) قال : بلغنا أنها حين نزلت حسد أهل الكتاب المسلمين ، فأنزل الله (لِئَلاَّ يَعْلَمَ أهْلُ الكِتابِ ألاَّ يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ) .

حدثنا أبو عمار ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس (لِئَلاَّ يَعْلَمَ أهْلُ الكِتابِ) الذين يتسمعون (ألاَّ يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، مثله .

وقيل (لِئَلاَّ يَعْلَمَ) إنما هو ليعلم . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (لِكَيْ يَعْلَمَ أهْلُ الكِتابِ ألاَّ يَقْدِرُونَ) لأن العرب تجعل « لا » صلة فى كلّ كلام دخل فى أوّله أو آخره جحد غير مصرّح ، كقوله فى الجحد السابق ، الذى لم يصرّح به (ما مَنَعَكَ ألاَّ تَسْجُدَ إذْ أمَرْتُكَ) ، وقوله (وَما يُشْعِرُكُمْ أنَّها إذَا جاءَتْ لايُؤْمِنُونَ) ، وقوله (وَحَرَامٌ عَلى قَرْيَةٍ أهْلَكْناها) . . . الآية ، ومعنى ذلك : أهلكناها أنهم يرجعون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر مَنْ قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : أخبرنا أبو هارون الغَنَوىّ ، قال : قال خطاب ابن عبد الله (لِئَلاَّ يَعْلَمَ أهْلُ الكِتابِ ألاَّ يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ) .

قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبى المعلىّ ، قال : كان سعيد بن جُبَيْر يقول (لِكَيْلا يَعْلَمَ أهْلُ الكِتابِ)

وقوله (وَأَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ) يقول تعالى ذكره : وليعلموا أن الفضل بيد الله دونهم ، ودون غيرهم من الخلق (يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) يقول : يعطى فضله ذلك من يشاء من خلقه ، ليس ذلك إلى أحد سواه (وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ) يقول تعالى ذكره : والله ذو الفضل على خلقه ، العظيم فضله :

آخر تفسير سورة الحديد

تمّ الجزء السابع والعشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرى

ويليه الجزء الثامن والعشرون

وأوله : تفسير سورة المجادلة